ترجمة : إلياس بديوي



まごろう!

مارسيل البحث عن الزمن المفقود يروست





جائب منازل فرمانت

« البحث عن الزمن المفقود » مفامرة كائن رائم الذكاء ، مريض الإحساس ، ينطلق من طفولته في البحث عن السعادة المطلقة ، فلا يلقاها في الأسرة ولا في الحبولا في العالم .ويرىنفسهمنساقاً إلى البحث عن مطلق خارج الزمان ،شأن المتصوفينمن الرهبان ،فيلقاه في الفن ،مما يؤدى إلى اختلاط الرواية بحياة الروائى ، وإلى انتهاء الكتاب لحظة يستطيع الراوى ببعدما استعاد الزمان ، أن يبد أكتابه ؛ فتنقلب بذلك الحيّة الطويلة علىنفسها لتغلق الطقة العملاقة . رواية تقارب المليون كلمة ، بأشخاص تبلغ المائتين، اشبهما تكون بالتمثال الروحي الذي يصمد كالصغر فروجه العاديات. إنهامرثاة للدمار الذي يصنعه الزمن بالاشياء والناس إن غَفِلَت .



مارسيل بروست البحث عن الزمن المفقود ترجمة : إلياس بديوي

البحث عن الزمن المفقود مارسيل يروست ترجمه: الياس بديري A la recherche du temps temps perdu Marcel Proust Gallimard, Paris ٢ جميع حقرق النشر لهذه الترجمة الكاملة محفوظة لدار شرقيات ١٩٩٤ الجزء الثالث: جانب منازل غرمائت

Le côté de Guermants الطبعة العربية الثانية لهذه الدرجية

دار شرقیات ۱۹۹۸

دارهرقيات للنشروالتوزيع

٥ شارع محمد صدقى، من هدى شعراوي رقم بريدي ١١١١١ باب اللوق - القاهرة.

ت: ۲۹۹۱۹۸ س . ت: ۲۹۱۹۱۲

الغلاف الأخير: الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا العمل يقلم مارسيل يروست

تصبيم الفلاف: محيى الدين اللباد

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع البعثة القرنسية للأبحاث والتعاون قسم الترجمة

مارسيل بروست البحث عن الزمن المفقود

ترجمة : إلياس بديوي

3
جانب منازل غرمانت

إلى مؤلف درحلة شكسير، وداقسام الطفل، ودالكوكب الأسود، وداشباح وأحياء، ودعالم الصور،، وروائع ما أكثرها. إلى الصديق الذي لامثيل له،

عربون إقرار بالفضل وإعجاب.

إلى اليون دوديه،



بلت زقزقة العصافير الصباحية تافهة في نظر ٥ فرانسواز٥.

كانت تتقض لكل كلمة يقولها «الخذام»، وتسائل النفس حولهم إذ تزعجم جميع خطاهم، فقد كنّا أخلينا بيتنا. وما كان الخدم بالتأكيد أقل حركة في «السادس» من مسكننا السابق، ولكنها كانت تعرفهم وقد جملت من غدوهم ورواحهم أمرواً بطيعها الودّ.

والآن تولي الصحت نفسه انتباها أليما. ولما كان بيدو حيّنا الجديد هادئاً بقدر صحف الشارع الذي كنّا حين ذلك تعلل عليه فإن أفقية رجل يعبر الطريق (ونميزها حتى من بعيد، آن هي ضعيفة كفكرة موسيقية ترددها أوركستران كانت تمكّز بالدمع عيني ه فرانسوازه في متفاها. ولين سبق لي أن سخرت منها هي التي، إذ سخر أن منها هي التي الله أن وقع عليها هيئم سبقي إلىك فيه أحسن القندي من كل صوب، ستوحت أمتعها باكية، حسب طقوس و كومبيهه ، ومعلنة أن ما كان بيتنا يفوق جميع البيوت للمكنة، نقد تقرّت في مقابل ذلك، أنا الذي كان يتحلل الأشياء الجديدة بصحوبة تساوي البسر الذي أمجر به القديمة بقرّت من خادمتا العجوز حينما رئيت أن الاتقام في يست لم يحطها فيه البراب الذي لم يكن بعد يعرفا بعلامات الاعتبار الفضروري لحسن ظالمها الروسي قد أغرقها في حالة قرية من السقم، وحدها كانت تستطيع أن تفهمين، وما كان خادمها بالتاكيد من يفسل ذلك، فالانتقال إلى بيت جديد والسكني في حي آخر كانت بالسبة إليه، هو الذي يبدو أقل ما يمكن من «كومبيه» كمث أن تعم بعطلة توليك جدة الاشياء فيها ما يوليك السقر من راحة.

كان يحسب نفسه في الريف ؛ لقد أولاه زكام ألمّ به، كمثل افلمت هواءه تصبيك في عربة قطار لايطنب الله على معالاً لايطنبي والمحالة أن لقي محالاً لايطنبي وحالاً الله المحالة أن لقي محالاً النقل المحالة أنها أبلى هذا الحد إذ رغب على الدوام موالي كثيري الأسفار، لذلك الجهت رأساً إلى دفرانسوازه دون أن أفكر فيه. ولما كنت قد ضحكت من دموعها في رحيل خلف في نفسي اللامبالاة فقد أبدت فتوراً شديداً إزاء حوني لأنها كانت تشاطري إياه. فإن أثاثية المصبيين تكبر مع حساستهم المزعودة، ذلك أنهم لايطيقون لدى الآخوين إيراز ضيق يعيرونه هم أنتياها متزلياً م

وه فرانسوازه التي ما كانت تنفل أقل ما يتنابها من ضيق كانت ندير رأسها إن أنا تألمت كي لايغطني أن أرى ألمي موضع رئاء وحتى عثار اهتمام. كذلك فعلت حالما أردت أن أحدثها عن بيتنا الجديد. ولما اضطرت ففرانسوازه على أي حال أن تلهب بعد انقضاء بومين أعجلب ملابس منسية في البيت الذي غادرناه منذ على فقد عادت، فيما كنت لا أزال عقب انتقالا إلى البيت الجديد ومحموماً وأحس بي عمليًا في الفلس معينا من جراء صندوق طويل كانت عيناي شحاولان والبيادعه كمثل فيمان ضيعم أقدم على ابتلاح فرو، عادت تقول، تطبيعها خيانة السابق وإنها رأت تفسها وقد ضلت طريقها نماماً في سعيها للذهاب إلى هذا الدحد وإنها لن تعود طريقها مناماً في سعينا للذهاب إلى هذا الدحد وأنها لن تعود كالسكني هناك معيناً إلى هذا الدحد وأنها لن تعود كناك مناكب أم يتاللا للسكني هناك ومقابل توليل أي يتا الجديد. وقد أن انا أن تقول أن يبتاحد هذا وقد جمتا للسكني ينفس للطبخ والحمرات أفضل ترتباً في بتنا المجدد. وقد آن لنا أن تقول أن يتباع هذا وقد جمتا للسكني شاعاً حلى غيرما عرام من الصحة، وهو سبب حرصنا ألا نذكره لها فكانت بحاجة إلى هوا أكثر نقاء – كان شقة تابعلى غيرما عرام من الصحة، وهو سبب حرصنا ألا نذكره لها فكانت بحاجة إلى هوا أكثر نقاء – كان شقة تابعلى غيرما عرام من الصحة، وهو سبب حرصنا ألا نذكره لها فكانت بحاجة إلى هوا أكثر نقاء – كان شقة تابعلى غيرما قرار في مائته.

وفي المصر الذي تضطرنا فيه الأسماء، إذ تقدم لتا صور الجهول الذي سكيناه فيها في اللحظة نفسها التي تغير فيها كذلك في نظرنا إلى مكان حقيقي، إلى المحاتلة بين هذا وذلك إلى حد أننا نصفي في البحث في مدينة ما عن روح لايمكن أن تضمها ولكنه لم يعد بمتفدونا أن نقصيها عن اسمهاء فإن هذه الأسماء لاتضفى شخصية على المدن والأنهار فحسب شلما تفسل الرسوم الربزية، وهي لاتلون العالم المادي فحسب بمواطن الاختلاف وتعمره بالمخوارة، بل العالم الاجتماعي كذلك: وإذ ذلك يضحي لكل حصن ولكل فدق أر قصر مشهور سيئته أو جيته خلها للقابات جنياتها والمعاء أتهاتها، وتصول الجية أحياناً، وقد الحيات أن في الحيات أن والذي كانت أصاف اسمهاء حسما تقضى حاة مخيلتنا التي تعدها بالفناء، وعلى هذا النحو شرع الجو الذي كانت الميذة دو غيرمانته تعيش في في داخلي، بعلما ظل على مدى سنوات محض ومضة زجاح فانوس سحري أو زجاج كنيسة ملون، شرع يخمد ألوائه حيدما مالأنه أحلام مغايرة تماماً بزيد السيول الندي.

بيد أن الجية تتلاشى إن اقتربنا من الشخص الحقيقي الذي يقابله اسمها، فذلك الشخص إنما يأخذ الاسم حينذاك يعكس صورته ولا يتضمن من الجنية شيئاً ؛ ويمكن أن تولد الجنية ثانية إن ابتعدنا عن الشخص، أما اذا ظللنا بالقرب منه فإن الجنية تموت موتاً نهائياً ويموت الاسم معها، كمثل أسرة الوزينيان، التي كانت ستنطفئ يوم تختفي الجنية «ميلوزين» وإذ ذاك يضحى الاسم الذي ربما أمكن في النهاية أن نلقى مختّ طبقاته اللونية المتعاقبة، أن نلقى في الأصل الرسم الجميل لغربية لم نعرفها في يوم، يضحي ذلك الاسم محض بطاقة هوية فوتوغرافية نعود إليها لنعلم إن كنا نعرف شخصاً يعبر طريقه وإن كان علينا أن نحيبه أم لا. فإن سمح شعور يعود إلى سنة سابقة – شأن آلات الموسيقي المُسجَلة التي تحتفظ برنة الفنانين المحتلفين الذين عزفوا عليها وبأسلوبهم - إن سمع لذاكرتنا أن تسمعنا ذاك الاسم بالنغمة المخاصة التي كان يحملها آنذاك بالنسبة إلى أذننا فإننا نحس، والاسم لم يتبدل في الظاهر، بالمسافة التي تفصل الواحد عن الآخر الأحلام التي عنتها على التوالي في نظرنا مقاطعه المتماثلة ونستطيع للحظة أن نستخلص من النغمة العائدة التي كانت نغمته في ذاك الربيع الغابر، شأتنا من الأنابيب الصغيرة التي تستخدم في الرسم، اللون الصحيح المنسى الخفي الندي للأيام التي خلنا فيما مضي أننا نتذكرها حينما كنا نضفي على كامل ماضينا المنشور على اللوحة الواحدة، كمثل الرديتين من الرسامين، ألوان الذاكرة الإرادية المبتذلة المتشابهة جميعها. ولكن كل واحدة من اللحظات التي شكلته كانت تستخدم على العكس، في سبيل إبداع أصيل وفي تناغم فريد، ألوان ذاك الحين، تلك التي، لا نمرفها من بعد والتي لاتزال، على سبيل المثال، تخلب لبي فجأة أن عاد اسم «غيرمانت»، بفضل صدفة ما، يتخذ لحظة بعد هذه السنوات الطويلة، الرنة الشديدة الاحتلاف عن رنة اليوم والتي كانت رنته بالنسبة إلى يوم زواج الآنسة •بيرمبييهه، فيعيد إليّ هذا اللون الخبّازي الشديد النعومة البالغ اللمعان المفرط في جدَّته الذي تَرقُ به ربطة عنق الدوقة الشابة المنفخة وعيناها اللتان تشرق فيهما ابتسامة زرقاء مثل عناقية يستحيل قطافها وقد أزهرت من جديد. وان اسم «غيرمانت» الأمس لهو أيضاً كأحد تلك النقاحات الصغيرة التي احبس فيها الاوكسچين أو أي غاز آخر فاني حينما أفلح في شقه وإخراج ما يحتويه أتنشق هواء ٥كومبريه، لللك العام، لللك اليوم، نمتزج فيه رائحة زعرور أبيض حركتها ربح الزاوية في الساحة، الربح التي تنذر بالمطر والتي كانت تطرد الشمس تاره وطوراً تفسح لها أن تستلقي على منجادة الصوف الحمراء في السكرمتيا وتكسوها بلون الجيرانيوم الزهري اللماع الذي يقرب أن يكون وردياً وبهذه العلوبة في الابتهاج، وتخالها وفاغيرية، التي تغمر الاحقال بهذا القدر من النبل. ولتن كانت الأسماء، حتى خارج الدقائق القليلة الشبيهة بتلك والتي نحس فيها فجأة بالكيان الأصلي يختلج ويستعيد شكله وخط نقوشه داخل المقامل الميتة في يومنا هذا، لئن كانت قد فقدت كل لون في زويمة الحياة اليومية المدوخة التي لم يظل لها سوى استخدام عملي تماماً، كمثل خذروف موشوري يدور بسرعة مفرطة فيبد ومادياً، فإننا في مقابل ذلك حينما نفكر في طور أحلامنا، حينما نحاول كيما نعود إلى الماضي أن فبطئ الحركة الدائمة التي تفهب بنا وان نوقفها فإننا نعود فنرى الألوان التي توالى بها الاسم الواحد لناظرينا تبرز شيئا فشياء تعاورة ولكنما يتميز بعضها عن بعض معيزاً كلياً.

وإني دون شك لا أدري أي شكل كان ببرز لميني في اسم «غيرمانت، هذا حينما كانت مربيتي تهدهدني بهذه الأغنية القديمة- وهي جمهل دونما شك، شأني اليوم، على شرف من تم تأليفها: والعرَّة لمركيزة غيرمانت، أو حينما كان الماريشال ٩دو غيرمانت، العجوز، بعد بضع سنوات، يتوقف في االشائز يليزيه، ليقول، وتمتلئ خادمتي بذلك اعتزازا: وباللطفل الجميل!، ويخرج من علبة ٥ سكاكر، من جيبه قرصاً من الشوكولاته. إن سنى طفولتي الأولى تلك لم تعد في داخلي، إنها في خارجي ولست استطيع أن أعلم شيئاً منها إلا بفضل حكايات الآخرين، كما هو أمر ما جرى قبل مولدنا. بيد أني ألقى فيما بعد على الترالي، في دوام هذا الاسم نفسه في داخلي، سبعة أو ثمانية وجوه مختلفة. كانت الأولى منها هي الأجمل: ثم يأخذ حلمي شيئاً فشيئا، وقد اضطره الواقع أن يهجر موقعاً لا يمكن الدفاع عنه، بالتحصين ثانية درنه بقليل حيى يضطر إلى التراجع مرة أخرى. وفي الحين نفسه الذي تتبدل فيه السيدة وغيرمانت، كان يتبدل منزلها المستخلص هو الآخر من ذاك الاسم الذي يخصبه سنة بعد سنة هذا القول أو ذاك أسمعه فيبدل أحلامي: كان ذلك المنزل يعكسها في حجارته ذاتها وقد أضحت عاكسة كسطح سحابة أو بحيرة. فهذا برج لاسماكة له، وهو محض شريط من الضوء البرتقالي كان السيد وعقيلته يبتان من علياته أمر حياة أتباعهما ومونهم، قد أفسح المكان- في أقصى «جانب غيرمانت، هذا الذي كنت أحاذي فيه مجرى نهر الـ الفيفون، بصحبة والديّ في الكثير من فترات العصر الجميلة- لهذه الأرض الكثيرة السيول التي كانت الدوقة تعلمني فيها صيد سمك ﴿التروتة﴾ واسم الزهور ذات العناقيد البنفسجية والضاربة إلى الحمرة التي تزين المجدران الواطية للاسياج المحيطة ؛ ثم كانت تلك الأرض المتوارثة والأملاك الشاعرية التي أخلت سلالة ٥دو غيرمانت، الأبية مذ ذاك تشمخ فيها، مثل برج مصفر ومزخرف بنقش الزهر يخترق العصور، فوق فرنسه في حين كانت السماء لاتزال خالية حيث ستنبثق فيما بعد كنيسة ونوتردام، في باريس وكنيسة ونوتردام، في وشارتره، وفي حين لم يقم على قمة رابية الانه صحن الكاندرائية مثل سفينة الطوفان على قمة جبل أرارات وقد غصت بالآباء (١) والصالحين يطلون قلقين من نوافذها ليبصروا إن كان غضب الله قد هدأ وحملت معها اصناف النباتات التي ستكاثر علمي الأرض وفاضت بالحيوانات التى تنطلق حنى من الأبراج حيث تجول ثيران بهدوء على السطح وتنظر من علي إلى سهول اشامبانيه؛ ؛ وفي حين لايري المسافر بعد، وهو يغادر مدينة اليوفيه، في آخر النهار، أجنحة الكاندرائية السوداء المتفرعة المبسوطة على شاشة الغروب الذهبية تتبعه محوَّمة. كانت وغيرمانت، تلك، شأن إطار روائي، منظراً خيالياً كنت أجد مشقة في تمثله ورغبة تتزايد بذلك في اكتشافه، تكتنفه أراض وطرق

⁽١) آباء الكنيسة هم رؤساؤها وكبار معلميها.

حقيقية تتشرب فجأة خصائص شعارية، على بعد فرسخين من إحدى المحطات ؛ كنت أتذكر أسماء الأماكن المجاورة كما لو وقعت على حضيض جبل الـ«بارناس» أو «الهيليكون» (١١) وكانت تبدو لي ثمينة شأن الشروط المادية - في علم الطوبوغ افية - في انتاج ظاهرة خفية. لقد عدت أرى الشعارات المرسومة على قواعد زجاج «كومبريه» الملون الذي امتلأت أقسامه قرناً بعد قرن بجميع البيوتات العربقة التي اجتذبها إليه ذلك البيت الشهير من سائر أركان ألمانية وايطالية وفرنسة بالزواج أو الشراء: فأراض شاسعة في الشمال ومدن قوية في الجنوب جاءت تلتقي وتتألف حول اسم ٥غيرمانت٥ وترسم بالرمز، بعدما فقدت ماديتها، برجها الذي من لون أخضر أو قصرها الذي من فضة في نطاقه اللازورديّ. لقد سبق أن سمعت عن سجاد وغيرمانت، وأراها وسيطية زرقاء على شيء من السماكة تبرز كسحابة على الاسم الأرجواني الخملي الأسطوري على حضيض الغابة العتيقة التي كثيراً ما اصطاد فيها ٥شيلدبير٥ وكان بيدو لي أنني ربما ولجت أسرار هذه الأراضي القصية الخفية وهذه القرون السحيقة، مثلما يتفق لي في رحلة، بمحض اقترابي لحظة في باريس من السيدة «غيرمانت» والية المكان وسيدة البحيرة كما لو أتبغي أن يمتلك محياها وأقوالُها سحر الغابات والضفاف المحلى والخصائص البالغة القدم نفسها التي تملكها مجموعة الأعراف القديمة في محفوظاتها. ولكني كنت إذ ذاك قد عرفت دسان لوه وقد أخبرني أن القصر لم يدع دغير مانت، إلا منذ القرن السابع عشر يوم اشترته أسرته. لقد أقامت حتى ذاك في الجوار ولم يأتها لقبها من تلك المتطقة. فلقد أخلت قرية وغيرمانت، اسمها من المقصر الذي بنيت بعده وقد نظمت تدابير قاسية ظلت سارية المقعول مخطط الشوارع وحددت ارتفاع المنازل كي لانقضي على مِناظره. أما الطنافس فكانت من أعمال دبوشيه، وقد اشتراها هاو من آل دغيرمانت، في القرن التاسع عشر ووضعت في صالة شديدة القبح مغطاة بقماش قطني أحمر وآخر طويل الخملة إلى جانب لوحات صيد ضحلة المُستوى رسمها بنفسه. لقد أدخل ٥سان لوه على القصر بهذه التصريحات عناصر غرية عن اسم وغيرمانت، لم تسمح لي من بعد بموالاة استخلاص حجارة المباني من رنّة المقاطع فحسب. حينك امحى في أعماق ذلك الاسم القصر الذي يتمكس في بحيرته ؛ أما مد بدا لي من حول السيدة ٥دو عيرمانت، على أنَّه مسكنها فقد كان فندقها في باريس، فندق دغيرمانت، وهو صاف صفاء اسمها إذ لم يقم ثمة أي عنصر مادي عاتم يوقف شفافيته ويقضى عليها. وكما أن الكنيسة لاتعني المعبد فحسب بل جمهور المؤمنين كذلك، كان فندق وغيرمانت، هذا يضم جميع الذين يشاطرون الدوقة حياتها، بيد أن هؤلاء الألاف الذين ما رأيتهم قط إنما كانوا في نظري محض أسماء مشهورة وشاعرية وهم إذ لا يعرفون سوى أشخاص هم بدورهم محض أسماء إنما كانوا يزيدون من سر الدوقة العنفي ويحمونه إذ يمدّون من حولها هالة واسعة أقصى ما يصيبها أن تتبهت ألوانها شيئاً فشيئا.

ولما كنت لا أشخيل؛ في الاحتفالات التي كانت تقيمها، أي جسد للمدعوبن وأي شارب وأي حداء وأية جملة منطوقة لبدو تافهة أو حتى مبتكرة على نحو إنساني ومطابق للمقل، فقد كانت زويمة الأمساء تلك التي تخمل من الملموس أقل مما يتوافر لوليمة أشباح أو لحفلة أطياف واقصة حول هذا التمثال الذي من بورسلين «ساكس» والذي تمثله السيدة «دو غيرماتت»، كانت مختفظ لقندقها الزجاجي بشفافية الواجهات

⁽١) Le Parnasse et l'Hélicon من جبال اليونان واشتهرا بتكريم ربات الشعر، والتكريم ربما أفضى إلى مسابقات شعرية.

الزجاجية. ثم اضحى فندق وغيرمانته ، بعدما قص عليّ وسان لوه نوادر عن كاهن الكنيسة وستانبي ابنة
عده، أضحى - شأن ما أمكن أن يكون عليه بالأمس مني والملوف - ضرباً من القصور تخيط به م في وسط
بنهي أضحها ، أراضيه التي تمت ملكيتها بالرالة بموجب حق قديم مستمر علي نحو غرب والتي لانزل
تمارس عليها امتيازات إقطاعية. على أن هذا المنزل الأخير قد تلاشي بدوره حينما جنا للسكني بالقرب من
السيدة ودو فيلهابريوس في إحدى الشقق المجاورة لشقة السيدة ودو غيرمانته في أحد أجنحة فندقها. لقد كان
السيدة ودو فيلهابريوس في إحدى الشقق المجاورة لشقة السيدة ودو غيرمانته في أحد أجنحة فندقها. لقد كان
المحدد على جوانبها مستودعات دكاكين ومشاغل وحي دكان حلاء أو تجاهل وهي إما فعلى فيها باحة
الشرف على جوانبها مستودعات دكاكين ومشاغل وحي دكان حلاء أو تجاهل وهي إما فعمي حملته مياه
الديم تراه المهاب من أزمنة أكثر اغراقاً في الماضي كانت مخلف المهن مجتمع فيها حول السيد
المنجاج بزيرع الزمور وفي أقصاها، في المحكن الذي له هيئة الفندق، عمال وكونيسه كانت توزع
درامة تعيير لذى خروجها في عربتها القديمة التي يجرها حسانان وتبرز فوق قبضها بعض من أواهير الجرجير
درامة العين لذى خروجها في عربتها القديمة الى جانب حوذيها خادم يزل ليوزع بطاقات في كل فندق
ليتم من حليقة المقصورة (وإلى جانب حوذيها خادم يزل ليوزع بطاقات في كل فندق
ليتم المي في الحي)، توزع دون تمييز بينهم بسمات وتلويحات غية باليد لأولاد البواب والمستأجهين
المستكرة اليها.

وفي المنزل الذي جتنا للسكني فيه كانت السيدة الكبيرة التي في أقصى الباحة ددوقة ، وهي أليقة ولا تراش شابة بعد وكانت السيدة ددوقيرمانت، وقد توافرت لدي معلومات حول الفندق في مدة قصيرة بفضل الخوائس الم المناح الدي القت قديم فرانسوازه ، خللت في الأسفراه وهشته ؟ وفرانسوازه ، خللت في الأسفراه وهشته ؟ كانت توقف شغلها الشائل منذ الصباح الذي القت فيه، فيما كانت تسرح والدي ، نظره وخطوة خفية لا تقارم إلى المباحة ، وكانت تقول: وحجا، تلكم واجتان المجها ذهبات اداميات بالتأكيد إلى أسفل أو: وآدا ما أجملها تدارج في نافذة للطبخ، ولا حاجة أن نسأل من أين جاءت، فالدوق لابد ذهب إلى الصيده، وحجى للماء حيث تستخلص، إن هي مسمحت، فيما تعطيني حوالجي الليلة، ضجة وبيائره أو أصداء أغيزة: وقديهم جماعة و في الانسفاره والمجر بهما في نظام معذ ورقيق كما هي الحال قبل رقصة جماعية.

بيد أن اللحظة التي كانت تثير اهتمام وفرانسوازه أشد ما تثير في حياة أن وغيرمانت، وتخلف لديها أشد أشد الرضى ونشق عليها كذلك كثيراً إنما كانت بالضبط تلك التي تنفح فيها البوابة الرئيسية على مصراعيها وتصعد الدوقة إلى عهتها. كان ذلك يجري عادة بعدما ينتهي خدائمنا بوقت قصير من الاحتفال بهذا الفصح المهيب الذي ينبغي ألا يقطعه أحد والمدعو خلايهم والدي كان من والحرمانته إلى حد لا يأذن فيه حتى والذي لفسه أن يستخيهم في أثابه وهو يعلم على أية حال أن لن يكلف أحد نفسه الجيء في دقة الجرس الخاصة أكثر ما يغمل في الأولى وأنه إنما يأتي على هلا النحو عملاً غير لائن لا يجديه نفعاً فيما لن يحد دونما اضرار به. ذلك أنه ما كان ليفوت فرانسوازة (التي كانت تتخذ لنفسها في كل لحظة، منذ أصبحتم امرأة عجوزاء ما يسمى بالمسحنة المناسبة أن نبير إليه طوال النهار يوجه تنطيه علامات صغيرة مسمارية وحمراء تتشر بها في الخارج، ولكن على نحو قلما يمكن ظك رموزه، مذكرة شكاراها الطويلة وأسباب استيائها العميقة. كانت تجود بها على أية حال على حدة ولكن دون أن يمكننا تعييز الكلمات يوضوح. وكانت تسمى ذلك- ونظته مكدواً بالنسبة إلينا ومؤلماً ومزحهاً التحدث إلينا طوال النهار القلسي بصوت خفيض.

يعد إشجاز الطقوس الأخيرة كانت دفرانسوازه، وهي في آن واحد، كما هي الحال في الكنيسة الأولى، الكاهن الذي يقيم القداس وواحد من المؤمنين، كانت تسكب لنفسها كأساً أخيرا أمن النبيذ وتنزع فوطنها عن رقيتها وتطويها وهي تمسح عن شفتيها يقية ماء تخالطه حمرة وقهوة وتضعها في حلقة وتشكر بنظرة شاكية خادمها الذي يقول لها مبالغة في الحصام، وهما باسيدي، دونك أيضاً قليلاً من العنب، إنه للبداء، وبصضي في الحال لفتح النافلة بحجة أن الحر شديد جلاً وفي هذا المطبخ للتعبير»، وكانت إذ تلقى نظرة حريمة متجردة إلى أقصى الباحة، فيما تنبر في الان نفسه قبضة النافلة وتستشق الهواء، كانت تخطس منها البقين بأن الدوقة لم تكن جاهزة بعد وتضم مدى لحظة بنظرات ازداء وشغف الهربة المسرجة خيولها وبعدما تصرف عيناها لحظة الانتباء هذه الأمرو المنيا كانت توفيها إلى السماء التي سبق أن استشفت صفاءها إذ أحسب بلطافة الهواء ودداء المنصر، كان تنظر في وإنهة السطح إلى المكان الذي كانت قبل إليه كل ربيع حمامات تبني عشها فوقه موقد غرض بالتمام شبيهة بطلك التي كانت بقدل في مطبخها في وكومبريهه.

وكانت تصرخ قائلة: وآء، كومبريه، ياكومبريه، (ولمل اللهجة المرتلة تقريباً التي كانت تلقي بها ذلك الدعاء كان يمكن أن تثير، فيما يخص وفراسواؤه، شكركاً بمنتأ جربي، بقدر ما يقمل نقاء ملامع وجهها والأرفيزي، (1) ويأن الوطن المقرو المنافر الديم والمنافراتية والكن المرعلي ضلال إذ يبدر أن ليس من مقاطمة إلا ولها وجنوبهاه، فكم من وسافراتية ووبرياتاية 10 التقي عمن تعذر الميهم على جميع صنوف التتقيل العلب ما بين مقاطع طويلة وقسيرة نظيم سكان الجنوب! وأدا ياكومبريه، من يأجود أصفى إلى الحساسين والمي نهر وفقونه الذي يصدر كأنما همس من يسرأ إليك بسر عوضاً عن أن أسمع أصفى إلى الحساسين والي نهر وفقونه الذي يصدر كأنما همس من يسرأ إليك بسر عوضاً عن أن أسمع جرس مطمئنا الشاب التبس الذي لايقى نصف ماحة البح دون أن يحصلني على الجري على طول هذا المدرجيس مطمئنا الدي التي أن تأمير دقيقة الشيطاني والأنكي أنه يرى أي لا أمضي بسرعة كافية كأننا ينبقي أن تسمع قبلما يدق وإن تأخيرت دقيقة التابعة مسوف من الفضب مريمة. أواد يا وكومبريه؛ قد لا أعود أوال إلامية حينما يومؤنني رمية السجر في حفر القبر، وإذ ذلك أن أشمها من بعد أزاهير زعروك الناصعة البياض. ولكني أطن أبي سأطل أسمع في وقدة المورد ذلك ان أشمها من بعد أزاهير زعروك الناصعة البياض. ولكني أطن أبي سأطل أسمع في وقدة المورد ذلك التابع، والماكن المربية أن تامني إلى التهلكة في حياري.

ولكنما نداعات صانع الصداري في الباحة كانت نقاطمها، ذاك الذي راق جديي فيما مضى إلى حد يعيد يوم ذهبت للقاء السيدة «دوفبلباريزس» ولم يكن يشفل منزلة أدنى في مودّة «فرانسواز». وكان قد رفع رأسه إذ سمح من يفتح فافذتنا وقدكان بحاول منذ فترة أن يسترعي انتباء جارته كي يقرئها التحية. وإذ ذاك

⁽١) نسبة إلى مدينة Arles في جنوب قرنسة.

⁽٢) نسبة إلى مقاطحي Bretagne, Savoie في فرنسة

كان غنج الفتاة التي سبق أن كانتها وفرانسواره يضغي في نظر السيد وجوبيانه وقة على الوجه المتأفف الذي لطاهبتنا المجوز التي نقلت من جراء السنين والمزاج المتكدر وحرارة المرقد وكانت ترسل لصانع الصداري بمونيم رائم من الحيطة والأخدام عنية ورقمة ولكن دون أن تجيبه بصوبته لأنها إن كانت تخالف توسيات واللدي أو تنظر إلى الباحة فما كانت التجرة على تحديها إلى حد التحدث من النافذه، الأمر الذي ترام على حمليها إلى حد التحدث من النافذه، الأمر الذي كان من مزاياه، حسبما ترى وفرانسوازه، أن يسممها وقصلاً كاملاًة على لسان السيدة. كانت تدله على المهمل في الوقت ففء، وباللمجوز الشمطاعه، المهم المنافزة ففء، وباللمجوز الشمطاعه، ولاسها أنها تعلم أنه من يحدث هذه بياء وبالمحرز الشمطاعه، وراسما كان السيدة وبالمحرز الشمطاعه، والأسها أنها تعلم أنه من يحدث فيما يمكن مماحه فيما يمكنام بصوت منخفض: وارائم أبضاً تستطيعون اقتداء مثلها فرشتم وربما أكثر منهم ولكنكم لاغبون كل هذاه.

وكانت دفرانسراؤه ، بعد أشارة متواضعة متهربة مفتونة تدي على وجه التقريب: ولكل طريقته، والاعجما هذا إلى البساطةه ، كانت تفلق النافذة مخافة أن تصل أمي. أما الد دأشمه الذين كان بامكانهم افتناء خيول أكثر من آل وغيرمانت، فتحون ، ولكن وجويانه كان محقاً بقرله دأشمه لأن دفرانسراؤه ، فيما عدا بعض متع الاعتزاز باللغمي المنخصية المفينة أكان ترعم، حينما كانت تسمل دوزما توقف حيى ليخشى الميت بكامله أن يصاب بركامهم، ترعم بتهائف بينظك أنها غير مصابة بالزكام) ، مثلها مثل تلك النباتات التي يغذيها حيوان عقدت به اتحاداً كيا بالأغذية التي يتتقطها وبأكلها ويهضمها من أجلها ويقدمها لها عبر فضلاكه الأخيرة القابلة للتحقل تماماً، كانت تعيش في الخاد كلي معنا، فنعن من كان عليهم واجب أن يضموا بفضائلهم وفرونهم ونصط معيشتهم السرات الصغيرات الصغيرة التي ترضي اعتزازها يغضها والتي يتألف منها هذا القصم من الارباح الفصي الذي يتضمن نشقة الهواء أما النافذة بعدما ينتهي وتسكح في الشارع وهي نمضي من الارباح الفصي الذي يتضمن نشقة الهواء أما النافذة بعدما ينتهي وتسكح في الشارع وهي نمضي لشراء طرة مؤة العربة المواء أمام النافذة بعدما ينتهي وتسكح في الشارع وهي نمضي

واتنا ندرك لذلك أن امتطاعت فرانسوازه أن تهرل في الأيام الأولى وقد وقعت في بيت لم تكن جميع ألقاب والدي الفخرية معروفة فيه بعد – فريسه داء كانت تدعوه هي نفسها السأم، السأم بالمعنى القوي الذي يكتسبه لدى وكورني، أو بريثة الجنود الذين يتتمرون في نهاية المطاف لانهم ويسأمونه أشد السأم حيناً إلى خطيتهم وقريتهم. أما سأم وفرانسوازه فسرعان ماتم شفاؤه وعلى يد وجوبياته بالضبط لأنه أملها في المحال بمتمة في مثل شدة تلك التي كانت توافرت لها، لو صممنا على اقتناء عربة، واكثر رهافة. عائلة وجوليانه (إذ يطب لـ ففرانسوازة أن تماثل بين المفردات الجديدة وتلك التي تعرفها من قبل) – ياتمم الناس، إنهم جماعة طبيون، ذلك باد على وجوههم، ع وقد عرف وجوبيانه بالفعل كيف يدرك ويعلم الجميع أتنا أن لم يقتن فهن خدم فلأتنا لاتبقى ذلك.

وصدين دفرانسوازا هذا قليلاً ما كان يعيش في منزله إذ حصل على وظيفة مستخدم في إحدى الوزارات. كان بادئ الأمر يضع الصداري مع دالينيّة التي حسبتها جدتي ابنته فلم تعد لديه أية فائدة في تمارسة الصنمة حينما الجمهت الصغيرة التي كانت عجيد مذ ذلك، ولاتوال بعد طفلة تقريباً، خياطة التنانير حينما ذهبت جدتي فيما مضى في زيارة للسيدة دوفيلمباريزيس، وجهة الخياطة للسيدات وأصبحت خياطة تنانير. كانت بادئ الأمر صانعة صغيرة لذي خياطة يعهد إليها بدرزة وخياطة كشكش واتركيب، زر أو كباس وإحكام خصر بوساطة بكل، وسرعان ما انتقلت إلى مركز للساعدة الثانية ثبم الأولى، وإذ اتخذت زبائن من سيدات أرقى المجتمعات أخلت تعمل في منزلها، يعني في ساحة دارنا، وفي الغالب مع واحدة أو النتين من رفيقاتها الصغيرات في المشغل تستخدمهما بمثابة متدرِّتين. ومنذ ذاك أصبح وجود وجوبيان، أقل فاتدة. ما من شك أن الصغيرة، وقد أضحت كبيرة، كانت لاتزال تضطر أن تصنع الصداري. ولكنها بمساعدة صديقتيها لم تكن مختاج أحداً. ولذلك التمس عمها ﴿جوبيان، عملاً. كان بادئ الأمر حراً في العودة ظهراً وبعدما حلّ نهائياً محل من كان بساعده فحسب لم يعد يفعل قبل ساعة العشاء. ولم يتم تثبيته لحسن الحظ إلا بضعة أسابيع بعد سكنانا، الأمر الذي أمكن معه أن يعمل لطف «چوبيان» فترة تكفي لمساعدة «فرانسواز» على اجتياز الأوقات الأولى البالغة الصعوبة دونما فرط عذاب. بيد أنه يجدر بي الإقرار بأن ٥چوبيان لـم يرقني كثيراً لاول وهلة دون أن أيجَاهل الفائدة التي نالتها «فرانسواز» منه بوصفه «داوء انتقاليا». كانت عيناه على مسافة خطوات تنقضان نماماً الأثر الذي ربما خلفته لولاهما وجنتاه السمينتان ولونه المورّد، عيناها اللتان تفيض منهما نظرة مشفقة حزينة حالمة وتخملان على الظن بأنه شديد المرض أو أنه ألمٌ به حزن كبير. ولم يكن من ذلك شيء بل كان يبدو بالأحرى، ساعة يتحدث، أحسن الحديث على أية حال، مجافياً ساخراً. وكان ينتج عن هذا التعارض بين نظرته وحديثه شيء من الزيف لم يكن مستحباً وكان يبدو هو نفسه من جرائه وكأنما بحس بمثل ضيق مدعو باللباس العادي في سهرة يرتدي فيها الجميع اللباس الرسمي أو واحد يقع عليه أن يجيب أحد أصحاب السمو فلا يعلم بالضبط كيف يحثثه ويتخطى الصعوبة بخفض حجم جمله إلى لاشيء تقريباً. أما جمل «چوبيان» والأمر مقارنة بحة فقد كانت على المكس رائعة. فسرعان ما تبينت لديه بالفعل، بما وافق اغراق العينين للوجه (وهو أمر لم يعد يسترعي الانتباء بعدما تعرفه)، ذكاء نادراً ومن أكثر ما تيسرت لى معرفته اتساماً بالطابع الأدبي العفوى بمعنى أنه اكتسب أو تمثل، دونما ثقافة على الأرجع، وبمحض قراءة عجلي لبعض الكتب، أكثر قوالب اللغة براعة. ولما كان أكثر الناس مواهب ممن سبقت لي معرفتهم قد قضوا نحبهم في مقتبل العمر فقد كنت على يقين بأن حياته سوف تنقضى بسرعة. كان قلبه عامراً بالطيبة والشفقة وأكثر المشاعر ,قة وكرماً.

وسرعان ما كف دوره في حياة دفرانسوازة عن كونه ضروريا. فقد تعلمت كيف تتخطاه. كانت وفرانسوازة حتى حينما بنجيء بائم أو خادم يحمل إلينا رزمة، أي رزمة، كانت تستفل، فيما تبدو وكأنها لاتهتم به وتشير فحسب بمظهر اللابهالي إلى كرسي وهي توالي عملها، اللحظات القليلة التي يقضيها في المطيخ في انتظار جواب أمي، على نحو حافق حتى ليندر أن يعود دون أن يكون قد انفرس في نفسه على نحو لا يمحي اليقين بأته وإن لم يتوافر لدينا فلائنا لاريده. ولين كانت شديدة التمسك من جهة أخرى بأن يعلم الناس أننا نملك دمن المال، (إذ كانت يجهل ما يدعوه وسان لوه غير المرّف وتقول دافتني من المال، ووجلب من المامه فليس يعني ذلك أن الغنى فحسب، الغنى المجرد عن الفضيلة، هو الخير الأسمى في نظر وهجلب من المامه الموت الموت الموت الأسمى في نظر وفرانسوازة، ولكن الفضيلة دون الثرة لم تكن هي الأخرى مثلها الأعلى. لقدكان الغنى بالنسبة إليها بمثابة شرط لازم تبدو الفضيلة بعونه مجردة من القيمة والمفتة. كانت تقصل ينهما قليلاً جملاً إلى حد أنها كانت تضمل ينهما قليلاً جملاً إلى حد أنها كانت تضمل ينهما قليلاً جملاً إلى حد أنها كانت

الغنى.

وما أن يتم إغلاق النافذة، وذلك بالسرعة الكافية (والا حكت لها أمى، ، فيما يبدو، «جميع ما يمكن تصوره من شتائم»، حتى تشرع «فرانسواز» متنهذة في ترتيب طاولة الطيخ.

ويقول الخادم: «ثلمة جماعة من آل وغيرمانت، لازالت في شارع «دو لاشيز» وكان لي صديق عمل هناك واستخدم بمثابة حوذي معاون. وابي أعرف أحدهم، لا رفيقي إذ ذاك، بل صهره وكان قد أمضى خدمته في الجيش برققة ذوّاق خمرة لذى البارون «غيرمانت». ويضيف الخادم: «عليك به على كل حال، فليس والذي كه وقد تمود أن يزرع أقواله بالمزحات الجديدة مثلما يدمدم أغنيات العام.

وقالت افرانسوازة وهي تستميد الحديث من جماعة آل اغيرمانت، الذين في شارع الانيزة مثلما تستماد مقطوعة موسيقية بدعا من الالندانتيه الآلا ولا بد للدوقة علاقات مصاهرة مع هذا النفر كله. ولست أعلم من قال لمي أن أحدهم زوّج الدوق واحدة من بنات عمه. والكل من االطينة، نقسها على أية حال، وتضيف باحترام: الإنها لأسرة عظيمة أسرة آل اغيرمانت؛ وهي تبني عظمة تلك الأسرة على عدد أعضائها وبريق شهرتها شلما يني وباسكال، حقيقة الدين على المقل وسلطان الكتب المقدسة. فقد كان يبدو لها، وهي لاتملك سوى كلمة اعظم، التجبير عن الأمرين، أنهما إنما يؤلفان أمراً واحداً إذ يحتور مفرداتها على هذا النحو، شأن بعض الحجارة الكريمة، عيب في تاحية منها يلقي غموضاً حتى في فكر وفرانسوازه.

- «انساءل إن لم يكونوا هم الذين يقوم قصرهم في «غيرمانت، على عشرة فراسخ من «كومبريه»، ولا

⁽١) رجال الدين.

Andanie(Y) تعنى ببطء معتدل، وهي من العلامات التي تسهل قراءة النص الموسيقي أو عزفه.

بد إذ ذاك من قرابة أيضاً بينهم وبين ابنة عمهم في «ألجمه (١). (وتساءلنا طويلاً أنا وأمي من يمكن أن تكون ابنة المعم في اللجيه؛ ولكننا أدركنا أخيراً أن وفرانسوازه كانت تعني باسم والجيمه مدينة وانجيمه. فعا كان بعيداً يمكن أن يكون معروفاً لدينا أكثر مما هو قريب. ودفرانسواز، التي كانت تعرف اسم والجيه، بسبب تمور شنيعة تصلنا في رأس السنة كان بجهل اسم هأنجيه. كانت لغتها ترصعها الأخطاء على غوار اللغة الفرنسية نفسها ولا سيمًا أسماء البلدان فيها.) ٥ كنت أود أن أحدث رئيس خدمهم في ذلك، وتوقفت كمن يطرح على نفسه سؤالًا في أصول التشريفات: 9كيف يدعونه باترى ١٥ وأجابت نفسها قائلة: ٥أجل، يدعونه أنطواك: كماً لو كان وأنظوانه لقباً. وكان باستطاعته هو أن يروي لي عن ذلك، ولكنه سيد حقيقي ومتحذلت كبير، لكأنما قص لسانه أو هو نسى أن يتعلم الكلام. ونضيف افرانسوازه: اأنه حتى لا يجود بجواب حينما تكلمه، وتقول وجاد بالجواب، مثل السيدة ودو سيفينيه، وأضافت دونما صدق: وولكن، ما دمت أعلم ما ينضج في قدري فلا أهتم بقدور الآخرين. وكل ذلك ليس من الاستقامة في شيء على أي حال. ثم إنه ليس بالرجل الشجاع (وربما أمكن أن يحمل هذا التقدير على الظن بأن وفرانسوازه غيرت رأيها في البسالة التي تخط الرجال، حسبما كانت ترى في اكومبريه، في مراتب الوحوش المفترسة، وما كان شيء من ذلك، فلفظة شجاع إنما كانت تعنى المجدّ فحسب). ويقول كذلك إنه لص كطائر العقعق، ولكن ينبغي ألا نصدق الشائعات دوماً فجميع المستخدمين يمضون هنا، فيما يخص المحفل، والبوابون حساد يثيرون حفيظة الدوقة. [لأ أنه يمكن القول إن وأنطوان؛ هذا عنوان الكسل وليست وانطوانيته، أفضل منه، تضيف وفرانسوازه التي لابد كالت مخفظ، بنية العثور لاسم النطوان، على مؤنث يدل على امرأة رئيس الخدام، ذكرى لاواعية لمخوري وخورية في ابتداعها القواعدي. وما كانت مخطئة في ما تقول فلا يزال ثمة بالقرب من كنيسة «نوتردام» شارع يسمى شارع الخورية، وهو اسم أطلقه عليه (إذ لم يكن يسكنه سوى الخوارنة) فرنسيو الأمس، وكانت ٥ فرانسواز٥ تماصرهم في الواقع. ثم يأتيك في المحال فضلاً عن ذلك مثال جديد على هذه الطريقة في صياغة أشكال المؤنث إذ تضيف وفرانسواره قولها: والأكيد الأكيد أن قصر وغيرمانت، للدوقة. فهي التي تشغل في المنطقة مركز السيدة هافتتارية، . وهو أمر ذو بال. .

ويقول الخادم قول المتيقن إذ لم يكشف السخرية: «بالطبع الأمر ذو بال.

- أنظن يابني أن الأمر ذو بال؟ ولكن المتتار وه الفتارية، في نظر جماعة مثلهم لايساويان فلساً واحداً. ولو كان قصر «غيرمائت» ملك بدي لما أبصرني الناس كثيراً في باريس. أفينيني مع ذلك أن يجمع لأسياد، لأشخاص يماكون كفايتهم مثل البيد والسيدة، المكاز غيبة كي يظلوا في هذه المدينة العقرة, بلا من أن يلده وإلى «كومبر» بما أنهم أحرار أن يعملوا ولا يمنعهم أحد، ما حساهم يمتظرون الاحالة على القاعد بما انه لايقصهم شيء : أن يطويهم الموت؟ أو الم توافر لدي خير جاف آكاله وحطب أستدفئ به في الشتاء انه لايقصهم شيء : أن يطويهم الموت؟ أو الم توافر لدي خير جاف آكاله وحطب أستدفئ به في الشتاء لكنت من زمان بعيد في منطقتي في بيت أخي البائس في «كومبره». هناك يعمل المرء على الأقل أنه يعيش، فليس أمامك كل هذه الدور والضجيج قليل إلى حد أملك تسمح الضفادع ليلاً وهي تفتي من مسافة تزيد على المرمخين،

⁽۱) Alger أي الجزائر.

ويصرخ الخادم الناب بحمامة كما لو كانت هذه الميزة الأغيرة لاصقة بـ «كومبريه» بقدر ما تعيز الحياة في مراكب الغنفول الينفقية: «لايد أن ذلك جميل حقاً ياسينهي».

ولما كان فضلاً عن ذلك أقرب عهداً في المنزل من الخام الخاص فقد كان يكلم ففرالسوازه في موضوعات يمكن أن تغير اهتمامها هي وليس اهتمامه. وففرالسوازه التي كانت تبدي اشمئزازاً حينما يضمونها موضع الطاهية كانت تخيط الخام بالعلف الخاص الذي يديه بعض أمراء الدرجة الثانية إزاء الشبان السليمي الطائية الذين يكيلون لهم لقب المالي.

- أنت تعرف على الأقل ما تفعل وفي أي فصل تعيش، فليس الأمر مثله ههنا حيث لايبت زر ذهبي بائس رارد من المستون على الأقل من على المنت ورد فعي بائس راحد في الفصح للقدس أكثر عما ينبت في البلاد ولا أميز حتى ناقوس صلاة خفيف حينما أرفع هيكلي المعظمي المهرم. أما هناك فتسمع دقات كل ساعة اليه ومرس بائس فحسب ولكتما تقول في نفسك، دهو ذا أخي يعود من الحقل 8، وترى نور النهار يتناقص ويقرع الناقوس من أجل خيرات الأرض ويجد متسماً من الوقت لتلتفت ورائك هيلما تاضيء مصباحك. أما هنا فيطلع النهار ويحل الليل وتذهب إلى فراشك ولانستطيع حتى أن تقول، أكثر عما تقمل المدورات، ما المدي قملت. ع

ويقاطمها الخادم الشاب الذي اتنظ الحديث حسب رأيه مجرى على شيء من المنموض واللَّب كان يذكر اتفاقاً أنه سمعنا نتحدث على المائدة عن دميز يكليزه ديبدو ياسيدتي أن ميزيكليز أيضا جميلة جداً.

وتقول فرانسواري : قام ميزيكيزي، بالابتسامة المهيضة التي ترتسم أبداً على شفتيها حينما ينطقون بأسماء فميزيكليزي و وكومبريه، وفتانسونفيل، . فقد كانت تؤلف جزءا من حياتها النخاصة إلى حد انها كانت ختس إذ تصادفها في الخارج وتسمعها في حديث ببجلل يكاد يقارب ذلك الذي يبعثه أستاذ في صفه إذ بلمح إلى شخصية معاصرة لم يحسب تلاميذة أن اسمها يمكن أن ينطلق في يوم من أعالي الذير. وتأتيها متعنها كذلك من الإحساس بأن هذه للناطق بالنسبة إليها غير ما هي بالنسبة إلى الأخيرين وأنها من أصحاب قدامى أشمنا ممهم الكثير من الحفالات، فكانت تبتسم لها كما لو تلفي لديها روحا لأنها تلقى فيها الكثير من ذاتها.

وتمود تقول وهي تضبحك ضبحكة ناعمة: وأجل، تستطيع أن تقول ذلك يابني، إن وميزيكليوا على قسط من البجمال، ولكن كيف اتفق لك أنت أن تسمع من يتحدث عن وميزيكليوا ؟.

ويجب بانعدام إجرامي في الدقة يتصف به ناقلو الأعبار الذين لايدعون لنا في كل مرة نحاول فيها أن تتبين بموضوعية الأهمية التي يمكن أن يكتسبها في نظر الآخرين أمر يتمانى بناء امكانية الإفلاح في ذلك: «كيف سمعت من يتحدث عن «ميزيكليزه؟ ولكن الأمر معروف تماماً لقد حدثوني عنها، بل حدثوني مراراً عديدة.

- وآوا أقول لك إن الحياة أفضل ههنا عجت أشجار الكرز منها بالقرب من موقد المطيخ.

كانت تروي لهم حتى عن وأولالي، وكأنما عن شخصية طينة. ذلك لأن وفرانسوار، نسبت تمامًا منذ أن توفيت وأولالي، أنها قليلاً ما أحبتها في حياتها مثلما لاغب أي شخص لا يملك ما يأكله في بيته ٢١ م ويموت جوعاً ثم هو يعبىء بعدها، شأن من لا يصلح لأمر، يتصنع في سلوكه بفضل طبية الأغنياء. ولم يعد يؤلمها أن عرفت فأولاليء حق المعرفة كيف تأخذ في كل أسبوع قطعة نفودها من عمسي.

أما فيما يخص هذه الأخيرة فلم تكن تكف افرانسواز، عن انشاد فضائلها.

ويسأل الخادم الشاب قائلًا: وأفي كومبريه، ففسها كنت حينذاك لدى إحدى بنات عم السيدة، ؟.

- وأجل لدى السيدة وأوكتاف، آدا يألها من امرأة قديسة با أولادي المساكين، وكان لديها على المدوام ما يكفى وما لل وطاب، امرأة طبية، ذلك ما بمكن أن تقولوه، ولم تكن تشتكي الحجال، ولا التدارج ولا أين شيء وكان يمكن الحضور إلى الهشاء بصحية خصسة أو ستة ولم يكن اللحم ما يفتقد ومن النوع الأول، والنبيذ الأبيض والنبيذ الأحمر وكل ما مختاج إليه. (كانت ففرانسوازة تستخدم القمل واشتكية بالمعنى الذي يستخدمه فيه ولا برويره) كان كل شيء على نفقتها دوماً وإن مكنت الأسرة شهوراً وسنوات. (ولم الذي يستخدمه فيه ولا بالأنقاق فحسب، أد أو أكد لك ألمل ما كنت تصغي من هناك وبك جوع. ومثلها أبرز لنا الميد الكاهن مرات عديدة، إن كان ثمة امرأة يمكن أن نأمل في السكتي بجورا ربها فانما هي بالتأكيد مسكينة صينتي، لا أزال أسمعها تقول لي بصوتها الضعيف: فاتدون يا ففرانسوازه، أنا لا آكل، بالتأكيد لم يكن ولكن أبود أن يعيه الطعام من أجلها. لو إنتها، لم تكن تون أكثر من صندوق كزاء كأنما لا وبحود لها. ولا تربد أن تصديد لم يكن الطعام من أجلها. لو إنتها، لم تكن تون أكثر من صندوق كزاء كأنما لا وجود لها. ولا تربد أن تصديد ولائمات في يوم أن تلحب إلى الطبيب، أدا ما كان المرء هذاك ليأكل شيئاً على جناح السرعة. ولهد أن يصديد ولدية. أن المساح دخيمها حسنى التغذية. أما ههنا ظم يتوافر لنا في هذا الصباح كذلك مجرد الوقت الانطار، وكل شيء يتم على. ه

كان يشر حقها على وجه الخصوص قطع النجز المحمص الذي يأكله والذي، وكانت على يقين أنه يستخدمها بنية التصنع وكيما يشغلها. ويصادق الدخاص الشاب قاتلاً: وبمكنني القول أبي لم أر ذلك في يوم أه كان يقول وكأنما رأى كل شيء وامتدت في داخله جفور تجرية محيقة إلى جميع البلدان وإلى عاداتها ولا تبرئ فضعها البقة عادة الخبز المحمص. ويضعفم رئيس الخشم قاتلاً: فأجل، أجل ولكن كل ذلك يمكن أن يتبل فالعمال يزمون القيام باشراب في كنا وقد قال الرزير في ذلك المساء لسيدي انه قبض في هذا السياء مائتي ألف فرنك، وما أبعد أن يذمه رئيس الخشم لذلك لا لأن هما الأخير لم يكن شريفاً تدمانً، ولكنما يحسب جميع رجال السياسة غير شرفاء فيدو له جريده الرشوة أتل وزناً من أدنى جرم مرقة. ما كان حتى يستام إن هو أحسن سماع هذه العبارة التاريخية ولانتهثه استحالة أن يكون المذنب فعه قد قالها لوالدي عرن أن يطرده. ولكن قسفة وكومريه كانت تحول دون أن تستطيع فوانسوازة توقع أثر لاضرابات كننا على المبحري استعمال الخبز المحمص. كانت تقول: فري، ما دام العالم عالما فسيكون لمة أسياد يحملوننا على المبحري وضعم لتنفيذ نرواتهم، وعلى الرغم من نظرية الجري بالمشمر هذا ققد أخلت أمي نقول منذ بعمادة وما ورلكن ماذا يمكنهم أن يفعلوا، لقد انقضى أكثر من ساحين وهم على مائدة الطعام، وقدع الجرس قرع المتهيّب ثلاث مرات أو أربعا. كانت وفرانسوازه تسمع وضادمها ورئيس الخدم ضربات الجرس الصغير لابمثابة دعوة ودون التفكير بالجهيء ولكن بمثابة النفصات الأولى للآلات التي تتوافق حينما تزمع حفلة موسيقية على معاودة البدء وتحس أن لن يكون من بعد أكثر من يضع دقائق للاستراسة. ولذلك كان خدمنا، حينما تشرع الشهربات في التواتر وفضحي أكثر ألنخاحاً، كانوا بأخذون في التبد لها وإذ يقدوون أنه لم يعد أمامهم الكثير من الوقت وأن معاودة العمل أضحت قريبة كانوا بطلقون زفرة لذى قرع الجرس الصغير قرعاً أشد رنيناً من سواه ويستومون أمرهم وينول الخاص لتذخين سيكارة أمام الباب، وقصعد فوانسوازه، بعد يضع ملاحظات حولنا من مثل دلم يعودوا بالتأكيد يستطيمون المكوث في مكانهم، لترتب حواتجها في طابقها السادس ويبادر رئيس الخدم بعدما مضى لجلب ورق للمراسلات في غرفني إلى الإسراع في لرسال مكاتباته الخاصة.

وقد استطاعت فونسوازه أن تطلعني، منذ الأيام الأولى، أن آل فغير مانت، على الرغم من هية رئيس خدمهم المتنظرسة ما كانوا يسكنون فندقهم بموجب حتى يعود إلى أقدم المهود، بل بموجب إيجار قريب المهد وأن الحفيقة التي يقلل عليها من الجانب الذي لم أكن أغرفه، على قدر من الغيني وتشه جميع الحالت المؤتمة. وعلم على أعمدة ولا والماعية والمعامنة، ولا ترسأ بنمار ولابرح حمام على أصمدة ولافرزا اقطاعاً ولاهريا يترسطه صحيح ولاحسنا صغيرا ولابحبوراً ثابتة أو متعركة ولاحيل مماير ولا مسلات ولاصكوكاً جدارية أو رجوماً تذكارية. ولكن مثلما أعاد الميلستري دفعة أخر سواء، من كعيات المياه المالت الكافئة على سطح الكرة، شخصية متفرة إذ قال لي إنه خليج ويستارة فز والمواد المؤتمة المؤتمة المؤتمة من من المؤتمة ويسترا فن والمؤتمة المؤتمة المؤتمة

وكانت ضرورة إمكان البحث في متندى السيدة ادر غيرمانت، وبين أصدقاتها عن سر اسمها تتزلد بقدر ما كنت لا أجده في شخصها حينما كنت أبصرها تخرج سيراً على الأقدام في الصباح وبعد الظهر في عربتها. صبحيح أنه سبق في كنيسة و كومبريه، أن بدت لي، في ومضة استحالة، بوجتين لايمكن ردِّهما، لا يمكن نفاذهما إلى ألوان اسم و فيرمانت، والسنيات على ضفاف نهر وفيفرنه، بدت بدلاً من حلمي المعظم، بمثابة تم أو صفصافة تحوّل بهما إله أو حورية وسوف بنساب مذ ذلك، وقد أخضحه قوانين الطبعة، على الماء أو تهزها الربح. يد أتى ما كنت أهجرها حتى عادت تلك الومضات المثلاثية تشكل مثلما التماعات الشمس الغارة الورية والخضراء خلف المجذلف الذي بددها وسرعان ما تم للاسم في وحثة فكري أن يتملك ذكرى الرجه. ولكني غالباً ما كنت أراها الآن إلى نافذتها وفي الباحة وفي الشارع ؛ ولتن كنت لا أقلح أنا في دمج اسم اغيرمانت، في شخصها وفي التفكير بأنها السيدة ادو غيرمانت، فقد كنت أتهم بذلك عجز فكري عن المضى حتى نهاية الفعل الذي كتت أطلبه منه. أما هي، وأقصد جارتنا، فقد كان يبدو أنها ترتكب الخطأ نفسه، وأنها أكثر من ذلك ترتكبه دونما ارتباك وبدون أي من مخاوفي وحتى دون أن يخامرها شك بأن ثمة خطأ. من ذلك أن السيدة دو غيرمانت، كانت تبدي في فساطينها الاهتمام نفسه في مجاراة الزي السائد كما لو حسبت أنها أضحت امرأة كالاخريات نصبت إلى هذه الاناقة في اللباس التي تستطيع نساء، أي نساء، أن يساوينها فيها وربما أن يتفوقن عليها. فقد رأيتها في الشارع تنظر باعجاب إلى ممثلة حسنة اللباس، وفي الصباح كنت أستطيع أن أراها، لحظة تزمع الخروج سيراً على الأقدام، تقف أمام المرآة، كما لو أمكن أنَّ يكون رأى المارة الذين كانت تبرز سوقيتهم إذ تنقل ببساطة بينهم حياتها المغلقة دونهم مجلس قضاء بالنسبة إليها فتؤدي دور المرأة الأنيقة هذا الذي يقع دون مستواها بكثير باقتناع خلو من ازدواج الشخصية والسخرية، بشغف ونوق واعتراز كملكة قبلت تمثيل دور الوصيفة في ملهاة كتبت للبلاط ؛ وفي إغفال أساطيري لعظمتها الفطرية كانت تنظر إن كان برقعها مالسا تماما وتبسط كميها وتسوي معطفها مثلما يصنع التم السماوي سائر حركات بني جنسه الحيواني ويحتفظ بعينيه المرسومتين على جانبي منقاره دون أن يحملها نظرات ويرتمي فجأة على زر أو شممية ارتماء تم دون أن يذكر أنه إله. ولكن مثلما يقول المسافر في نفسه، وقد خيب أمله أول مشهد للمدينة، أنه ربما نقذ إلى سحرها بزيارة متاحفها وبالتعرف إلى شعبها وبالعمل في المكتبات، كنت أقول في نفسي أنه إن تم استقبالي في منزل السيدة «دو غيرمانت» وكنت من أصدقائها ونفذت إلى حياتها فسأعلم ما الذي يتضمنه اسمها حقيقة وموضوعياً في نظر الآخرين مخت غلافه البرتقالي اللماع إذ سبق أن قال صديق والدي إن وسط آل «غيرمانت» نسيج وحده في حي دسان چيرمان».

كانت الحياة التي افترض ألهم يعيشونها فيه مستمدة من مصدر شديد الاختلاف عن التجرية ويبدو لي الحيا لابد خاصة إلى الحد الذي ما كنت لأتصور معه وجود أشخاص سبق أن ترددت عليهم فيما مضى. أشخاص حقيقيين في أسيات للدوقة. فلطهم إذ لا يستطيعون أن يبدلوا في طبيعتهم تبديلاً فجائياً كانوا صيتفوهون مناك بأقول شبيهة بتلك التي كنت أعرفها، وربما تواضع وثقاؤهم فأجابوهم باللغة الشرية فضها، موتفو وكان لمنة في أثناء أصية في أول منتدى من حي وسان بجيرمان لحظات عائلة للحظات سبق أن عشتها، في القربان لملقدس ليبو لي سرأ أكثر غموضاً من بجراء بعض المعموبات وما كان حضور جمد يسرع المسيح في القربان لملقدس ليبو لي سرأ أكثر غموضاً من المنتدى الأول في الدي الواقع على الشفة المدنى والذي كل مكنني مساح نفض أثاثه في الصباح من غرفتي، ولكن الحقد المقاصل الذي كان يقصل بيني وبين حكن سمكني سماح نفض أثاثه في الصباح من غرفتي، ولكن الحقد المقاصل الذي كان يقصل بيني وبين وهين وغيرمانت الممدودة في الحاب الأحراء في في فيسب، إلا أكثر والذي، بعدما فعها على، أن تقول في يوم كان بابهم في مفتوحاً إنها في حالة سيقة جداء كنت أحس تماماً أنها طلائع الدى. وكيف لايدو لي غلى أية حال المائع ألمن المكان المحر طويل الحملة والذي كنت على مشاهلة أحرائ المحر الدفقي الكامن في حي وسان جيرمانه أنها بوائن جورانه وأنهما المكان المحر الدفقي الكامن في حي وسان جرمانه وأنهما المؤان المحر والبها للمراغ في واقت الطعام مدان والمعال وبالموري الذهاب إلى جي وسان جيرمانه وأنهما الجنراني فيه بما أن استغال للراء في واقت القام مدان إستعال يبطران والمها المتعان هرائه إذ إن الذين كانوا يبطرون إلذهاب إلى جي وسان جيرمانه واستعال هوائه إذ إن الذين كانوا يبطرون إلى جانب

السيدة «دو غير مانت» على الأربكة الجلدية في الصالة قبل الذهاب إلى مائدة الطعام إنما كانوا جميعاً من حي وسان جيرمان، ؟ وما من شك أنه كان يمكن أن ترى أحياناً في غير هذا الحي وفي بعض الأمسيات أحد هؤلاء الرجال يتربع وسط دهماء من عامة الأنيقين، هؤلاء الرجال الذين هم محض أسماء ويتخلوك، حيتما يحاول المرء نمثلهم، شكل مباراة تارة وطوراً شكل غابة مُقطمةً. أما هنا وفي المنتدى الأول في حي هسان چيرمان، ، في الصالة المظلمة، فليس ثمة سواهم. لقد كانوا الأعمدة التي مخمل المعبد ومن مادة ثمينة. وما كانت السيدة دو غيرمانت، تستطيع اختيار مدعويها حتى في اجتماعات الألاف إلا من بينهم، وكانوا يشبهون في حفلات العشاء التي تضم اثني عشر شخصاً، وقد تخلقوا حول المائدة الممدودة، تماثيل الرسل الذهبية في والكنيسة الصغرى، وهم أعمدة رمزية وقدسية، أمام الماثلة المقدسة. وكيف لا أحسب، فيما يخص الحديقة الصغيرة التي كانت تمتد بين أسوار عالية خلف الفندق وحيث كانت السيدة ددو غيرمانت، صيفاً تأمر بعد العشاء بتقديم المشروبات الروحية وشراب البرتقال، أن النجلوس ما بين التاسعة والحادية عشرة مساء على كراسيها الحديدية- التي تتمتع بسلطان في مثل قوة الأربكة الجلدية- دون استنشاق الأنسام الخاصة بحي دسان چيرمان، في الوقت نفسه في مثل استحالة القيلولة في واحة وفيقيق، (١) دون أن تكون لذلك في أفريقية؟ ليس سوى الخيال والظن بمقدورهما أن يميزا عن الأمور الأخرى بعض الأشياء وبعض الكائنات وينشئا جواً. وربما لم يتأتُ لى في يوم، وا أسفي، أن أضع قدمي بين هذه المواقع البديمة والعوارض الطبيعية والغرائب المحلية والقطع الفنية في حي اسان چيرمانه. فكنت أكتفي بالرعشة وأنا ألمح من عرض البحر (دونما أمل في بلوغ الشاطئ يوماً؛ ممسحة الشاطئ البالية وكأني بها مثدنة متقدمة، وكأنما نخلة أولى، وبداية الصناعة أو النباتات الغربية.

واتن كانت حدود فندق وغيرمانته تبدأ، فيما يخصني، عند ياب ردهته، فلا بد أن ملحقاته كانت
تمتد إلى أبعد بكثير حسبما يرى الدوق الذي كان يعد جميع المستأجرين مزارعين وقروبين وعتملكين على
لما أيام المختلف من لا يحسب لرأيهم حساب فكان يعطى ذقته في الصباح أمام نافذته وهو في قصيص النوم وينزل
إلى الجاحة حسبما يائل نمه الحر كثيراً أو قابلاً بالنميمي أو السيجاما أو سترة سكولندية نادوة الألوان طويلة
الرغب أو بمماطف صغيرة فاشحة أقصر من سترته فيما يركض أحد سوامه أمامه حصاناً جديناً سبق أن ابتاعه
وهو يقبض على مقوده. وبلغ بالحصان أكثر من مرة أن أتلف واجهة وجوبيانه الذي أثار حفيظة الدوق إذ
طالب بالتعريض، كان السيد قدو غيرمانته يقول: قابن لم نأحد في حسابنا غير ما تفعل السيدة الدوقة من
طالب بالتعريض، كان السيد قدو غيرمانته يقول: قابن لم نأحد في حسابنا غير ما تفعل السيدة الدوقة من
لايمرف إطلاقاً أي وخيره صنعته الدوقة في يوم. يد أنها كان تنهل الدخير، ولكن بما أنه لايتسني للمرء أن
لايمرف إطلاقاً أي وخيره صنعته الدوقة في على منا على كانت نقعل المخير، ولكن بما أنه لايتسني للمرء أن
لاستراء وما كان المري يلد للدوق على أية حال، من وجهات نظر غير وجهة عمل المخير، سوى امتداد
لباحده وحلية أكثر انساعاً لمبياده وذلك إلى مسافات كبيرة فيما السائس يجري بحوار العربة وهو يمسك
لوحده كان يأمر بشدة إلى عرة وبأن يجاز جميع الشواروة فيما السائس يجري بحوار العربة وهو يمسك

Figuig (۱) من مدن المغرب.

بالمنان ويمر به، ويميد الكرة، أمام الدوق الذي توقف على الرصيف متصب القامة عملاقاً ضخماً بنياب فاتحة وفي فحه سيكار، شارد الرأس فضولي النظرة حتى اللحظة التي كان يقفز فيها إلى المقدد ويقود العجواد بنفسه ليجربه وينحب في المربة الجعيدة لملاقاة عشيقته في مجلة والشائزيليزيهه، كان السيد دو غيرمانته يحيى في المباحث أسرتين التتين لاصقتين إلى حد ما بعالمه، فأسرة من أبناء عم له لا تمكث قط في المنزل، عالم أن أن المربحة كانت تصني منذ الصباح إلى والملاسمة لتعلم الطباق لملوسيةي والمباروة النافرة. ثم المهارف للموسيقي والمباروة النافرة. ثم المهارف بالموسيقي والمباروة النافرة. ثم المهارف للموسيقي والمباروة النافرة. ثم المهارف الموسيقي والمباروة النافرة. ثم المهارف الموسيقي والمباروة النافرة. ثم المهارف الموسيقي والمباروة المنافرة المنافرة بالموسيقية على المؤسسة من أن الكنيسة، وهما أبنا في ثباب سوداء، الروجة سين أن التقي به والذي تحت نعطرة المرج ولكن دون أن يفهم من أين جاء. ذلك أن والذي كان نعمب المنافرة المنافريين المناصرين للأكبوري كان يحسب الاستفرائية الفارغة ما كان ربما يتردد على هؤلاء النبلاء المفمورين المناصرين للأكبوري المفدونين. كانا المنهدة في الماحة للزوج وهو يحيى السيد وهومات قدعاء السيد ودرويواة ألاء لايطم بالفنيط اسمه.

وصاح السيد «دو غيرمانت» وهو يلتفت صوب البارون: «آما السيد «نوربوا» ا تلك لقية بالحقيقة! صبرك! عما قلبل يدعوك هذا الفرد المراصل «نوربوا» ا «كان بمقدوره أخيراً أن يصب جام غضبه على وجوبيان» الذي كان يقول له وياسيده، لا وياسيدي الدوق».

وفي يوم كان السيد 3 دو غيرمات، فيه بحاجة إلى معلومات تتملق بمهينة والدي قدم نفسه بنقسه بكثير من الطرف. وكثيراً ما أففق له منذ ذلك أن تكون لليه خدمة حسن جوار يطلبها منه، وما أن يبصره الدوق نازلا على المسرح، وهو يفكر بعمل ما يورغب في خيب أي القاء حتى بزل القائدين على اسطبلاته بهقيل على والدي في البرحة ويرنب ياقة معطفه وبه هلما الاندفاع إلى خدمة الأخبرين الذي يتسبم به خدام الملك السائفون، ويأخط به من المحتفظ بها في يده، بل ينامهها كي بيرهن له يقلة حياه الخلال أنه لا يسبم نه علم بمحلامة لحمه ويأخط به من المحتفظ بها في يده، بل ينامها كي بيرهن له يقلة حياه الخلال أنه لا يعد الباب الكبير. وكان قد التعمن والمحتفظ بها في المحتفظ بها المحتفظ بها المحتفظ بها المحتفظ بها المحتفظ بها المحتفظ بها المحتفظ المحتفظ بها المحتفظ بالمحتفظ بها المحتفظ بالمحتفظ بالمحتفظ بالمحتفظ بالمحتفظ بالمحتفظ بالمحتفظ المحتفظ بالمحتفظ بالمحت

ولما كان أحد خدم السيدة (در غيرمات، يتحدث كثيراً إلى دفرانسواز، فقد سمعت أسماء بعض للمتنديات التي كانت نذهب إليها ولكنني كنت لا أيمثلها: أفلم تكن تستعصي على التصور بما أنها تؤلف جزءاً من حيالها، حياتها التي ما كنت أراها إلامن خلال اسمها؟. كان الخادم يقول: «تقام هذا المساء أمسية كبيرة لاخيلة المظل في منزل أميرة «بارما»، ولكننا لن نذهب لأن سيدتمي نستقل في الساعة الخامسة قطار «شانتيي» لتذهب لقضاء يومين لدى دوق «أومال»، بل تذهب الوصيفة والوصيف. أما أنا فأبقى هنا. لن يسر ذلك أميرة «بارما»، فقد كتبت أكثرمن أربع مرات إلى سيدتي المدوقة،»

- دلن تذهبوا من بعد إذن إلى قصر «غيرمانت» في هذا العام؟»

 - وإنها المرة الأولى التي لن تكون فيها هناك: فقد منع الدكتور أن نمود إلى هناك قبل أن تتوافر تدفئة
بسبب مايماني سيدي الدوق من آلام رتوية، ولكننا قبل ذلك كنًا نقيم هناك في كل عام حتى كانون الثاني.
 وإن لم ججهز التدفئة فريما ذهبت سيدتي بضمة أيام إلى «كان» إلى منزل الدوقة دورغيزه، ولكن الأمر ليس مؤكماً يعدة،

- دوالمسرح هل تذهبون إليه ١٩٠.

- فنذهب مرات إلى الأوبرا، ومرات إلى أسيات اشتراك أميرة فابرما، وتقم كل تعانية أيام. ويبدو أن ما يشاهد غاية في الأناقة: فهناك مسرحيات وأوبرا وما شت. لم تشأ سيدي الدوقة أن تشترك، ولكننا ناهب إلى هناك مع ذلك، مرة في مقصورة صديقة لسيدي، والنية في مقصورة أخرى وغالباً في مقصورة أميرة فخيرمانت؛ الخاصة، وهي زوجة ابن عم سيدي الدوق. إنها شقيقة دوق فإنفيرى.. ثم يقول الخادم الذي كان يحمل عن فالموالي، بعامة مفهوماً سياسياً يسمع له بمعاملة فؤانسواؤ، على الرغم من أنه صار مثيل آل فخيرمانت، بمثل الاحترام الذي يعاملها به لو أنها في خدمة دوقة،: وتصعدين على هذا النحو إلى البيت، إثنا تتمتمين بصحة جيدة ياسيدي.

 - دآءا لولا هانان الساقان اللمينتان! وفي السهل لايزال الأمر على ما يرام (والسهل كان يعني الباحة، الشوارع التي لاتكره فرانسوازه الثنزه فيها، الأرض المنسطة باختصار القول) ولكنها تلك الأدراج الشيطانية. إلى اللقاء ياسيد، ربما أمكن أن تراك أيضاً هذا المساء.»

كان يزيد من رغبتها في التحدث أيضاً إلى الخادم أنه أعلمها أن أبناء الدوقة غالباً ما يحملون لقب أمير يحفظون به إلى حين وفاة والدهم. وما من شك أن التعلق بطبقة البلاء الذي يمتزج بشيء من روح الثورة ضدها وينسجم معها لابد، وهو مستمد بالورائة من أراضي فرنسه، أن يكون قوياً في نفس ضمها، ذلك أن فرانسوازه التي كان يمكن أن مخدلها عن نبوغ نابليون أو اللاسلكي دون أن تفلح في لفت اتنباهها ودون أن تبطئ لحظة واحدة الحركات التي تستخرج بها الرماد من الموقد أو تعد المائدة، كانت نصرخ قائلة، إن أحيطت علماً فحسب بهذه الخصائص وبأن ابن دوق «غيرمانت» الأصغر كان يدعى بعامة أمير وأوليرون»؛ وذلك جميل ال ونظل مفتونة وكأنما أمام وجاج ماون.

وقد عرفت وفرانسوازه أبيضاً على لسان وصيف أمير وأغريجانت الذي ربطته بها أواصر الصداقة من جراء مجيّه المتكرر ليحمل رسائل إلى منزل الدوقة أنه كثيراً ما سممهم بالفعل يتحذنون في المجتمعات عن زواج المركيز ٥سان لوه من الآنسة ٥داميروساك، وأن الأمر يكاد يكون مقرراً.

ما كانت تبدو لي تلك الدارة وتلك للقصورة اللتان تنقل السيدة ودو غيرماتت حياتها إلى داخلهما
الماكن أقل روعة من جناحها. كانت أسماء وبارماه ووغيرماتت بافييره ووغيرة تميز عن كل ما عداها أماكن
الاصطياف التي تقصدها الدوقة والاحتفالات اليومية التي تربط فندقها بغط سير عربتها. ولفن كانت تنقل إلي
أن حياة السيدة ودو غرمات إنما تتكون على التوالي من أماكن الاصطهاف تلك، وتلك الاحتفالات فلم
تكن تحمل إلي أي أيمناح حولها. كان كل واحد يعنفي على حياة الدوقة تحديداً متحلفا ولكنه يقتصر على
تبديل سرها دوراً أن يسمح بتسريب شيء منه واحد يعنفي على حياة الدوقة تحديداً متحلفا ولكنه يقتصر على
داخل إناء وسط أمواج حياة سائر النام. كان بمقدور الدوقة أن تتناول معام الفناء أمام البحر المتوسط في فترة
لكرنفال، ولكن في دارة السيدة ودو غيرة حيث تستعيل ملكة المجتمع الباريسي بفسطاتها الذي من قماش
مدرياً أبيض، وسط المديد من الأميرات، محض مدعوة خبيهة بالأخيرات، وهي بذلك أند تأثيراً في نضيه
والفحق بذلها لما تتجدد كتجمعة وقص تقبل في طواقة خطوة لتحرا على التوالي مكان كل من الراقصات
أحواتها. كان بمقدورها أن تشاهد أخيلة الملل ولكن في أسبية لأميرة وبارماه، وأن تشهد المأساة أو الأوراء
ولكن في مقصورة أميرة وغيرمات». و

وطلما نحدد في جسم شخص ما موقع جميع احتمالات حياته وذكر الأشخاص الذين يعرفهم والذين فارقهم منذ قليل أو يزمع اللحاق يهم، كنت، إن بلغني على لسان دفرانسوازه أن السيدة ددو غيرمانتهه ستذهب سيراً على الأقدام للغداء في منزل أميرة دبارماه ورأيتها قرابة الظهر تنحد من منزلها بفسطانها الذي من السائين الزهري الفاخ ووجهها الذي من فوقه يماثل لونه، كسحابة في الشمس الغاربة، كنت أبصر جميع مباهج حيى دسان جيرمانه مجتمع أمامي داخل هذا الحجم الصغير، وكأنما داخل محارة، بين هذين المصراعين اللامعين اللذين بلون الصدف الوردي.

كان لوالدي صديق في الوزارة يدعى ها. ج. موروه حرص أبداً، بنية التميز عن سواه من كل هموروه، أن يسبق اسمه هذان العرفان البدئيان حتى كان يدعى اختصارا ها.جه ولست أدري كيف انفق لـ داً. جه هذا أن يحوز مقعداً لأسية احتفالية في الأوبرا ؛ وقد يعث به إلى والدي، ولما كانت ولابيرماه التي لم أرها تمثل منذ خيبة أملي الأولى تزمع تمثيل فصل من رواية وفيدو، فقد ألفحت جدتي في أن يعطيني والدي ذاك المقعد.

كنت والحق بقال لا أولي أي اهتمام امكانية سماع الاليمراء، هذه التي أثارت في نفسي منذ بضع سنوات خلت الكثير من الاضطراب. ولم ألاحظ لامبالاي بما سبق أن فضلته بالأسس على الصحة والواحة دونما اكتئاب. وليس يعني ذلك أن رغبتي في استطاعة تأمل عن كلب لأجزاء صغيرة لمهنة من الواقع المذي كان يستشفه خيالي كانت أقل حمامة منها بالأمس. ولكن خيالي لم يعد يضمها الآن في إلقاء ممثلة كبيرة. ظلقد صببت، منذ زياراتي إلى منزل البلستيره، على يعض صنوف المجادء على يعمق الموحات الحديثة، المثقة الداخلية التي محضتها بالأمس هذا التمثيل وهذا الفن لذى الابيرماه. وإذ أضحى إيماني، إذ أضحى اشتياقي لابحيط إلقاء الابيرماه ووقعاتها من بعد بالإجلال المتصل فقد أخذ «الصنو» الذي كنت أحمله عنها داخل فؤادي يهزل شيئا فشيئا كتلك والأصناءة الأخرى لأموات مصر القديمة التي كان ينيغي أن تغذى باستمرار للمخاظ على حياتها. لقد أصبح ذلك الفن زهيلاً وهزيلاً وما من روح بانت تسكن أعماقه من بعد.

قي اللحظة التي كنت أصعد فيها درج الأوبرا الكبير مقيداً من البطاقة التي تسلمها والدي، محت أمامي رجالاً حسبته بادئ الأمر المديد 3 دو شارارس، وكان له مظهره، وحينما أدار رأسه ليستوضح أحد المستخدمين أمركت أنني أخطأت ولكني لم أردد مع ذلك في وضع المجهول في الطبقة الاجتماعية فضيها لا استاداً إلى الطبقة التي كان يكلم بها المراقب والعاملات الماراتي يعلمين الطبقة التي كان يكلم بها المراقب والعاملات الماراتي يعلمين بن أي رجل أنيق وضع المستوضح المنتفقة التي كان يكلم بها المراقب والعاملات الماراتي يعلمين أي رجل أنيق وضعي من هذا القسم من الارسقواطيين وبين أي رجل أنيق وضني من دنيا المال أو الصناعة الكبرى، فسيطا طن أحد هؤلاء أنه يؤكد أناقته بلهجية قاطمة مستكرة إذاء من كان أذنى منه بنا السيد الكبرى المناطقة المراقب الموسويين لو دخلوا النظارة على أنها امتياز لمجودة نويته. ومن المرجع أن الكثير من أبناء أصحاب المصارف الموسوين لو دخلوا المناقب المناطقة المداوم المناسبة الكبير، إذ يونه يخفي على هذا النحو خلف ابتسامة تضح بالمساطة المناس الصغير المنابي بحمد في داخله، وجهلاً هيأ لو لم يلفوا لديه شبها مدهماً بالمرسم المناس الصغاص الصغير المناس الصغير الذي يحمله في داخله، وجهلاً هيأ لو لم يلفوا لديه شبها مدهماً بالرسم في ذلك الوقت بالضبط مو أمير و المكرى، وكان في باريس مسعت المعرد، أمر من يُعزش أنه كذلك، مسحت يقرل ميتسما: والست بغضي بالقرب من المراقب المعيد التي قالت في إلا مي المقورة الوالها البية والم المهتمرة وإنها ابته عمي التي قالت في إلا مهتمرة وإنها ابته على التي قالت في إلا مهتمرة من المناقب المعرف رقم المقول عن السؤال عن مقدمورتها،

ربما كان أمير هاكميء ؛ وربما كانت دوقة وغيرمانت ؛ ووقد أستطيح في هذه الحالة مشاهدتها وهي احدى لحظات حياتها التي تمتنع على الحيال في مقصورة ابنة عمها) من كانت عيناه تيصران بالفكر حينما يقول: وابنة عمها التي قالت لي إنه لا يقم على سوى السؤال عن مقصورتها ، حتى أن هذه النظرة البائمة الخاصة وتلك الكلمات السيطة أند البساطة كانت تنفذغ فؤادي (أكثر بكثير عا قد يفعل احتلام مجره) بهووائيات تتناول مابين سعادة بمي حياتي اليومية وجور بمكن إلى عالم جديد. كان الممر الذي داره عليه بعدم الفظ كلمة ومقصورته ، والذي مغنى فيه ، كان رطباً مصدعاً ييد و كأنما يقرد إلى مغاثر بحرية ، إلى بعدم الممكنة جيات المياه الأساطيرية. لم يكن أمامي صوى سيد بلباس رسمي أخذ في الإبتعاد، ولكنني كنت أنقل بالقرب منه ، وكأنما بكانف مؤمر يقر عروفة وهوره أن أناهم في تركيزه عليه بدقة ، المكرة القائلة بأنه أمير مساكس وهو مراجع في طريقة للقاء دوقة وغيرمانته . ومع أنه كان وحده فقد كانت تلك للفكرة الخارجة بعلى بقية الملاموسة الملاموسة اللامرتية بالنسبة إلى بقية الشر والين تقضه بالقرب من الحارب اليوناني.

اعجهت إلى مقمدي وأنا أحاول العثور على بيت من مسرحية دفيده لم أكن أتذكره بدقة. ما كان يحوي، على نحو ما أشده لنفسي، عدد المقاطع المطلوب، بيد أنه كان بيدو لي، وأنا لا أحاول عدها، أن ليس بين اختلال وزنه والبيت الكلاسيكي من سبيل إلى المقارنة. وما كان ليدهدني أن يبني طرح أكثر من منة مقاطع من هذه الجملة الشوهاء كيما نؤلف منها بينًا بالتي عشر مقطماً. ولكني ذكرته فجاة فزالت كفعل السحر جميع مواطن الوعورة اللامتآلفة من عالم غير إنساني، وملأت مقاطع البيت في السال مقاس البحر الاسكندري⁽¹⁾ واقضع ما كان زالناً منه بمثل السهولة والمرونة اللتين تنقشع بهما فقاعة هواء تقبل لتضمحل على صفحة الماء، وبالفعل لم تكن الفظاعة التي كافحت ضدها سوى مقطع واحد فحسب.

كان عدد من مقاعد الصائة قد يمع في المكتب فابتاعه متحلقون أو فضوليون يبغون مشاهدة أناس وبما ما توافرت لهم فرصة أخرى لرؤيتهم عن كتب، والحقيقة أن ما كان يمكن مشاهدته على رؤوس الأشهاد إنما كان بعضاً من حياتهم الاجتماعية الحقة، ذلك لأن أميرة «بارم» وضعت بنفسها ما بمين أصدقائها المقصورات والشرفات والمقصورات الخاصة فأضحت القاعة وكأنها صائة يغير كل فيها مقعده ويمعفي للجلوس هنها أو هناك بالقرب من إحدى الصديقات.

وكان إلى جانبي أناس من العامة شاؤوا، وهم لا يعرفون المشتركين، أن يظهروا أنهم قادرون على النعرف البهم فأعنوا بجهرون باسمائهم. ويضغون أن هؤلاء المشتركين إنما يجيئون هنا وكأنما إلى صالتهم ومرادهم أن يقولوا بالملك أنهم لا يعرون المسرحات المعروضة انتباها. وإنما العكس ما كان يجري. فالطالب العبقري الذي شعر من من من العبقر المنتقر المنتقرة المنتقرق ا

لم يسد بادئ الأمر سوى عتمة مهمة تلقى فيها فجأة بريق عينين شهيرتين وكأنما التماعة حجر كويم لاتراه أو كأنما ميدالية لـ دهنري الرابع، تبرز على خلفية سوداء صورة دوق الوطالي المجانبية وهو ينحني وتصيح به سيدة محتجة: دليأذن لمي سيدي أن أنزع معطفه، فيما يجيب الأمير قائلاً: وبالك، ما هذا ياسيدة دامبرساك، وكانت تفعل على الرغم من ذلك التمنع غير الصريح فيحسدها الجميع من جراء مثل ذلك الشرف.

⁽١) يتألف هذا البحر من ١٢ مقطماً ويقابل البحر الطويل في الشعر العربي.

أما في المقصورات الخاصة الأخرى فقد كانت الآلهات البيضاء التي حلت في تلك المنازل المظلمة قابعة في كلّ مكان تقريباً بمحاذاة الجدران العاتمة وظلت محتجبة. إلا أن أشكالها البشرية الغامضة أخذت، كلما تقدم العرض، تبرز بلطف، الواحد تلو الآخر، من أعماق الليل الذي كانت تغطى جنباته، وتدع بارتفاعها وجهة الضوء لأجسامها نصف العارية أن تطفو وتقبل لتتوقف على الحد العامودي والمساحة المبهمة حيث تظهر وجوهها الملتمعة خلف تدفق ريش مراوحها الضاحك الراغى الرقيق وتخت شعورها الأرجوانية المشبكة باللآلئ التي تبدو وكأنما لواها تموج سيل الشعور. وبعدها تبدأ مقاعد الصالة، مقام الغانين المفصول إلى الأبد عن المملكة العاتمة الشفيفة التي تقيم لها عيون آلهات المياه الصافية العاكسة حدوداً على سطوحها المائعة المستوية. ذلك أن مقاعد الشاطع الجانبية وأشكال الكائنات الخرافية في الصالة كانت ترتسم في تلك العيون تبعاً لقوانين الضوء وحدها ووفقاً لزواية سقوطه كما هي الحال بالنسبة إلى هذين القسمين من الواقع الخارجي اللذين قد نحكم على أنفسنا بالجنون إن خصصناهما بابتسامة أو نظرة إذ نعلم أنهما لايملكان نفساً شبيهة بنفسنا، مهما كانت بدائية، عنيت المعادن والأشخاص الذين لاتربطنا بهم علاقات. ولكن بنات البحر المشرقات كن، في الجانب الواقع قبل حدود موطنهن، يلتفتن على العكس في كل لحظة باسمات صوب سمادل ملتحية قابعة في تجاويف الغمر أو صوب نصف إله مائي جمجمته حَصبَةً مصقولة رد عليها الماء أشنة ملساء، وعينه أسطوانة من الكريستال الصخري. كن ينحنين صوبهم ويقدمن لهم السكاكر ؛ وتنشق اللجة أحياناً أمام جنية ماثية جديدة جاءت متخلفة باسمة خجلي نتفتح من أعماق العتمة. ثم تغوص الشقيقات المختلفات دفعة واحدة ويتوارين في الظلام بعد انتهاء المشهد إذ لا أمل لهن من بعد في سماع ضوصاء الأرض الرخيم الذي قد اجتذبهن إلى السطح. بيد أن أكثر جميع تلك المُعتَرلات التي كان الاهتمام الطفيف بمشاهدة أعمال البشر يقود إلى الالهات الفضوليات اللواتي لا يسمحن بالاقتراب منهن، إن أكثرها شهرة كان كتلة نصف العتمة المعروفة باسم مقصورة أميرة وغيرمانت الخاصة.

وكمثل إلهة عظيمة تشرف من بعيد على ألعاب الألهة الدنيا ظلت الأميرة عمداً في ركن قصي بعض الشيء على أربكة جانبية حمراء كصخرة مرجانية بالقرب من توهيج زجاجي واسع هو مرأة على الأرجع وكان يذكر بمقطع القطمة شعاع في بلور المياه المقتون عامونيا غامضاً رجراجاً. وكان ثمة زهرة بيضاء كبيرة هي ريخة وبيع في آن معاء كما هي حال بعض الأزهار البحرية، تتحضر، ناعمة الزخب مثلما البحاح من جين الأرهار البحرية متحضرة عاشمة زائمرة بالحياة وتبدر وكأنما غنيس الأميرة على شعر الأميرة تستند نبكة صغيرة تصدر حتى المضاجعين ثم تعيد من تعدد نتحك صغيرة تصدر عني المناوجين والتي تسارجها بعض اللآلي في فسيفساء بحيرة تكاد لاتفريم من الأمواج على المعادر بشية مناسبة عني المناسبة المنافقة على المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة على المناسبة المناسبة عني المناسبة تعرف بشرة مرتب عني الأمواج عني المناسبة تعرف بها كثيراً بانت المتحتق عتي الأمادي أن المناسبة الذي يضع هذه الأخيرة في مرتبة تعرف بها كثيراً بانت المتحتق الخراب منها كثيراً بانت المتحتق الخراب من الأمواج المناسبة الأمادية المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة علي المناسبة المناسبة على صفحة المظلام حيل المرأة كليف صورة خيالية المتحتة المنظوط خفية الاتموى العين إلا أن نستد بها وائمة لتشكر حول المرأة كليف صورة خيالية ترتسم على صفحة المظلام.

وقالت جارتي للسيد الذي كان يوفقتها: وإنها أميرة وغيرمانت،، وقد حرصت أن تضيف عدة ياءات إلى كلمة أميرة مشيرة بذلك إلى أن هذه النسمية مضحكة، دولم توفر لآلتها. يبدو لي أنه لو تيسر لمي مقدارها لما عرضتها على الملأ على هذا الدحو، فلست أرى في ذلك وجه ليافة.»

غير أن جميع اللبن كانوا يساولون أن يعلموا من كان في القاعة كانوا يصون، إذ يتعرفون الأميرة، بمرض الجمال الشرعي يرتفع في فؤادهم. ذلك أن ما كان يسمع، فيما يخص دوقة ولوكسمبروء والسيدة ودو مورية من فؤادهم. ذلك أن ما كان يسمع، فيما يخص دوقة ولوكسمبروء والسيدة ودو مورية أن بين خدين جعدين وشارب دقيق. كانت تلك الملامح كافية على أي حال لتغتن بما كبير وشفة مشرومة أو بين خدين جعدين وشارب دقيق. كانت تلك الملامح كافية على أي حال لتغتن بما تأليا المساورية إلى المساورية وأن ليس مهماً أن يكون وجه تطف إلى ذلك في العابة الأمر الفكرة إلى مفادها أن القبح مسحة أرستفراطية وأن ليس مهماً أن يكون وجه السيدة الراقية جميلاً إن كان متميزاً. ولكن مثلما يضع بمض الفنانين في أسفل لوحتهم، عوضاً عن حروف السهم، شكلاً جميلاً في حد ذلك، كفراشة أو حرفون أو زهرة، كللك كانت الأميرة إنما تضم في والوية مفصورية الميدة دو غيرمانت التي كانت الامرية إلى المسرح سوى أشخاص يؤلفون في الأوقات الأخرى حضور السيدة دو غيرمانت التي كانت لا يصطحب إلى المسرح سوى أشخاص يؤلفون في الأوقات الأخرى مقصوريها الحاصة في قصورها في ميونيخ مفصوريها الحاصة وهي ضرب من تحشل مشهد من حياة الأميرة المالومة الذي تقدمها في ميونيوس.

ولماكان خيالنا شبيها بأرغن شعي مختل يؤدي بُدا غير اللمن المان فقد شرع ذكر بعض أعمال القرن المادس عشر الفنية بتنطب أبر أشيد في صدري في كل مرة سمعت فيها من يتحدث عن أميرة و غيرمات السادس عشر الفنية بتنطبي أناشيد في صدري في كل مرة سمعت فيها من يتحدث عن أميرة و غيرمات بافيمره كان لابدة أن اجردها منه وأنا أراها الآن تقدم سكاكر مليسة لسيد بدين بالماس رسمي، ما كان أبعلني بالتأكيد عن أن استخلص من ذلك أنها ومدعويها أناس بماللون الآخيين. كنت أدوك تصاماً أن ما يقولون به لابدو كونه نشيلاً وأنهم بغية المتمهيد لأعمال سياتهم الحقيقية (التي ما كانوا يقضون هنا دونما شك الجوء المهم منها) كانوا يقضون هنا دونما شك الجوء المهم منها) كانوا يقضون مناوس مجهودة لدي، بل يتظاهرون بتقديم سكاكر وبرفضها، وهي حركة مجردة من دلالتها وقد نظمت سلقاً على غرار خطوات واقصة ترفقع نارة على أطراف قدمها وتدور أخرى حول منديل. ومن ذا يعلم ؟ فربما كانت الألكة لم أنها المكلمات التي توجهها إلهة إلى نصف إله كان أراها تبسم): همل لك في بعض السكاكر؟ وما همني؟ فلملني وجدت من قبيل التأتق الرائم المخلفة المقامد على طرفقة وميريميه أو طريقة وميلاكه في نلك الكلمات التي توجهها إلهة إلى نصف إله كان المقمن فيما يضمه المناك اللبية المي نصب بالمكر النامض نفسه: وأجل التي أرضب في كرزة، وروما أمينيت إلى ويطب، وقد أخط تنظم المناح ميث يدو لي غياب الشعر وواجب، وقد أخط أن المنف من الدور المنهم نفسه الذي أسمع به هنا المناهدة أوقا أن موادئ من قادراً على زجها فيها، يبلو والأنكار المظومة، وهي أمور جداً مألوقة لدي وأفتوش أن وميلاك كان ألف مرة قادراً على زجها فيها، يبلو بمخوده أفاق، آلاقة مصطفحة وزداد من جراء ذلك أسراراً ومعلومات.

وقال جاري بلهجة العارف وكان قد أساء سماع الاسم المهموس به خلفه: «البدين هذا هو مركيز دغانسيه».

كان المركيز قدو بالانسي، يتنقل الهويني، ممدود المنق ماثل الوجه وعينه الكبيرة المستديرة تلصق ابرجاج نظارته، كان بتنقل في المحمة المشفافة ويدو وكأنه لايصر جهور الصالة أكثر مما نقص سمكة تمر غير عاجة بعجمهور الوارا الفعنوليين، عطف حاجز السحوض الزجاجي، يتوقف بين العين والحمين وقوراً لاطنا مرغاً وما كان بمعقدور النظارة أن يقولوا إن كان يتأثم أو ينام أو يسبق أو يبيض أو يتنفى فحسب، ولم يكن أحد يثير وما كان معقدار النظارة أن يقولوا إن كان يتأثم أو ينام أو يسبق أو يتنفى والدي يدلو أنه اكتسبه واللامبالاة التي يدع للأميرة بها أن تعد المحاكز إليه. كانت تلقى عليه إذ ذاك نظرة من عينها الحميلتين اللتين فكنا على المناهب والمحالة المعالمين المناهب المحالة والمحالة والمحالة المحالة المحالة المحالة المحالة المحالة المحالة المحالة والمحالة المحالة والمحالة والمحالة المحالة المحالة والمحالة والمحالة المحالة المحالة المحالة المحالة المحالة والمحالة المحالة المحالة

بيد أن نظراتي تخولت عن مقصورة أميرة وغيرمانت، بفعل امرأة قصيرة رديثة الملبس قبيبحة العينين جاءت يتبعها شابان لتجلس على يضعة مقاعِد مني. ثم رفع الستلر. ولم يكن بمقدوري أن ألاحظ دونما اكتتاب أنه لم يظل في النفس شيء من الميل الذي كان لي بالأمس إزاء الفن الدرامي وولابيرماه أن كنت، يغية ألا يفوتني شيء من الظاهرة الخارقة الذي لعلني كنت أذهب إلى أقاصي العالم لاكحل العين بها، احتفظ بفكري جاهزًا كتلك الصفائح الحساسة التي يمضي الفلكيون فيقيمونها في افريقية وجزر الانتيل في سبيل ملاحظة دقيقة لمذنب أو لكسُّوف ؛ آن كنت أرتمد أن تخول سحابة (سوء حالة الفنان النفسية أو حادث في الجمهور) دون أن يجري العرض بأقصى درجات الزخم، آن اعتقد أنني لا أحضره بأفضل الشروط إن كنت لمّ أقصد المسرح ذاته المكرس لها على غرار مذبح وحيث يبدو لي أن المراقبين ذوي الفلة البيضاء الذين تسميهم بنفسها وقاعدة صحن المسرح فوق قاعة الجمهور الزاخرة بأناس رديئي الملبس والعاملات اللواتي يبعن برنامجأ يحمل صورتها وأشجار الكستناء في الحديقة وجميع رفاق انطباعاتي أنذاك وأنجيتي الذين بيدون لي وكأنهم لا ينفصلون عنها، يبدو أنهم لايزالون يؤلفون إذ ذاك جزءا من ظهورها مخت الستارة الحمراء الصغيرة وإن يكن ثانوياً. فقد كانت مسرحية افيدر، وامشهد البوح، والابيرما، مخمل في نظري ضرباً من الوجود المطلق. كان وجودها ينبعث من ذاتها إذ هي واقعة خارج حدود عالم التجربة المُألُوفَة وكان على أن أذهب إليها فقد أدرك منها ما أستطيع وقد ارتشف منها كذلك القليل القليل إن أنا فتحت عيني ونفسي قدر وسعها. ولكن ما أمتع ما كانت تبدُّو لي الحياة! وما كان لتفاهة تلك التي أقضيها أية أهمية، شأنها في ذلك شأن الأوقات التي ترتدي فيها ملابسك وتستعد فيها للخروج بما أنه يقوم خلف حدودها على نحو مطلق تلك الحقائق الأكثر صلابة، عنينا «فيدر» وطريقة إلقاء ولابيرما، وهي أمور يصعب الاقتراب منها ويستحيل تملكها بكليتها. ولما

كنت مشبعاً بتلك الأوهام حول الكمال في الفن للسرحي والتي كان من الممكن أن تستخلص منها كمية هامة لو تم في تلك الأوقات تخليل فكري في أية دقيقة من النهار وربما من الليل، فكنت على غرار بطارية نتج كهرباءها. وقد بلغ بي أن كان ينبغي لي المبادرة لسماع الابيرماه وأتا عليل حتى لو حسبتني أموت من جراء ذلك. أما الآن فكرابية تبدو في البعيد مجبولة من زرقة السماء وتعود عن قرب فتدخل في إطار رؤيتنا العادية للأشياء كان كل ذلك قد هجر عالم المطلق ولم يعد من بعد سوى أمر شبيه بالأمور الأخرى التي كنت أهللع عليها لأنني كنت في المكان، والفناتون كانوا أناسا من جوهر من كنت أعرفهم يحاولون أن ينشدوا بأفضل طريقة ممكنة أبيات مسرحية افيدر، تلك التي لم تعد تؤلف جوهراً سامياً فردياً مقصولاً عن كل شيء، بل أبيات يحالفها النجاح في كثير أو قليل وهي جاهزة للانخراط في مادة الأبيات الفرنسية الشاسعة التي تختلط بها. وكنت أحس من جراء ذلك بفتور في العزيمة يزداد عمقاً بقدر ما تستمر، إن تلاشي موضوع شوقي العنيد الناشط، الميول فاتها إلى وهم ثابت يتبدل من عام إلى عام ولكنه يقودني إلى نزوة مفاجئة لاتعبأ بالمخاطر فعشية أنطلق فيهاء مريضاً، للذهاب إلى أحد القصور أبغي مشاهدة لوحة لـ دايسلتير، وسجادة قوطية كانت تشبه إلى حد بعيد اليوم الذي اضطررت فيه أن أذهب إلى البندقية وذاك الذي ذهبت فيه لسماع ولابيرما، أو انطلقت فيه إلى وبالبيك، حتى لاحس سلفاً أن موضوع تضحيتي الحاضر سوف يخلف فيّ اللامبالاة بعد وقت قليل وقد أستطيع إذ ذاك المرور قريباً جداً منه دون أن أذهب لمشاهدة تلك اللوحة وذلك السجاد الذي لعلني كنت واجهت في سبيله في هذه اللحظة الكثير من ليالي الأرق والعديد من النوبات المؤلمة. كنت أحس من جراء تقلب موضوع جهودي بلا جدوى تلك الجهود وفي الوقت نفسه بصخامتها التي لم أصدقها شأن المصابين بالوهن العصبي الذين نضاعف تعبهم إذ نلفت انتباههم إلى أنهم متعبون. وبانتظار ذلك كان وهمي يضفي مهابة على كل ما يمكن أن يرتبط به. وربما أمكنني حتى في أشد رغباني الجنسية الموجهة أبدا وجهة معينة، المركزة حول حلم واحد، أن أتعرف بمثابة محرك أول فكرة، فكرة لعلني كنت أضحى بحياتي في سبيلها، وتقوم في النقطة الأكثر مركزية فيها، كما هي الحال في أحلامي في أثناء قراءات ما بعد الظهر في حديقة ٥ كومبريده، فكرة الكمال.

لم يعد لذي التسامع نفسه الذي كتت أحس به بالأمس إزاء مقاصد الحدان أو النفسب الحقه التي الاحظنها آتناك في إلقاء الروسي، والهسمين، واهميوليت، وتمثيلهم. وليس يعنى ذلك أن هؤلاء الممثلين— لا متطارات لا يعاولون على الدوام بالذكاء نفسه أن يضغوا في هذا المكان على صوتهم لهجة رقيقة أو لبساً منبراً وفي ذلك على حركاتهم اتساعا مأمويا أو ونوسلاً يقطر ألماً. كانت نبراتهم تأمر هذا الصوت قائلة: اكن علماً وأشعد "كاستيات ونفذة أو على المكسر وكن حائقاً، كانت نبراتهم تأمر هذا الحدوث في في مواطن سحره علماً أشعد ألما هو، المتمبد الغرب، عن إلقائهم، فكان يظل صوتهم الطبيعي لايتسول، بعيوبه أو مواطن سحره الملاحي، بعامية أو الاجتماعة التي لم يفسدها المصوتية أو الاجتماعة التي لم يفسدها المصوري الأييات التي أتشدوها.

وكذلك كانت تقول حركة هؤلاء الفنائين لسواعدهم ولردائهم أن «كوني مهيبة» ولكن الأعضاء العاصية كانت تدع عضلة الساعد التي لاتعلم شيئاً عن الدور تتبخر بين الكتف والمرفق. كانت تستمر في التعبير عن تفاهة الحياة اليومية وليراز ترابطات عضلية بدلاً من ألوان شعر هراسين؛ وكان الجوخ الذي ترفعه يعود فيهري وفق خط شاقولي لاتنازع فيه قوانين مقوط الأجسام سوى مرونة تافهة نسيجية. وفي تلك اللحظة صاحت السيدة الصغيرة التي كانت بالقرب مني:

 - الاتصفيق البتة! ويا الاثواب ترتديها! ولكنها طاعنة في السن والاحول لها من بعد، وفي هذه الأحوال يتخلى المره.»

وحاول الشابان اللذان كانا برفقتها أن يحملاها على النزام الهدوء إزاء مطالبة من كانوا بجوارها بالصمت ولم يعد غضبها يتفجر إلا في عينيها. ولم يكن بوسع ذلك الغضب أن ينصب بأية حال إلا على النجاح والمجد لأن ولابيرما، التي سبق أن كسبت الكثير من المال لم يظل لها سوى الديون. كانت تضرب على الدوام مواعيد ترتبط بالاعمال أو الصداقة ولا تستطيع الذهاب إليها فكان لها في كل الشوارع خدم يسارعون لالفاء مواعيدها، وفي كل الفنادق شقق يتم حجزها سلفاً ولانجيء قط لتشغلها، وبحور من العطور لغسل كلباتها وغرامات نكول تدفعها لسائر المديرين. ولئن كانت أقل تبذيرا لئن كانت أقل انصرافا إلى الللة من «كليوباترة»، فلعلها لقيت وسيلة في تبديد أقاليم وممالك في عجالات وفي سيارات عائدة لشركة نقل المدينة. ولكن السيدة الصغيرة كانت ممثلة لم يحالفها الحظ فأضمرت لـ الابيرما، بفضاً قاتلاً. كانت هذه الأخيرة قد اعتلت خشبة المسرح. ويا للمعجزة حينانك، فأنه على غرار تلك الدروس التي استنفدنا قواتا دونما جدوي في تعلمها مساء والتي نلقاها في صدورنا وقد عرفناها عن ظهر القلب بعد أن قد نمنا، وعلى غرار وجوه الأموات تلك التي تلاحقها جهود ذَاكرتنا الحثيثة دون أن نلقاها والتي نراها أمام أعيننا، حين لانفكر فيها من بعد، وبها شبه الحياة، أخذت موهبة ولابيرما، التي هربت مني حينما كنت أحاول باللفاع كبير أن أدرك كنهها، أخذت الآن بمد سنوات النسيان وفي ساعة اللامبالاة هذه تفرض نفسها على اعجابي بقوة البداهة. كنت فيما مضى، في محاولة لفرز تلك للوهبة، أسقط إلى حد ما مما أسمع الدور نفسه، الدور، هذا القسم المشترك بينها وبين جميع الممثلات اللواتي يؤدين دور «فيدر» والذي سبق أن درسته سلفاً لأنمكن من طرحه جانباً وألا أجمع بمثابة بقية باقية سوى موهبة السيدة الابيرماه. بيد أن تلك الموهبة التي كنت أحاول تبينها خارج الدور انما كانت تؤلف كلاً واحداً معه. ذلك هو شأن الموسيقي العظيم (وهي حال فانتوي، فيما بيدو حين كان يعزف على البيانو) فأن عزفه عزف ضارب على البيانو عظيم حتى لاتعلم من بعد البتة إن كان هذا الفنان عازف بيانو، لان هذا العزف (إذ لايضع بينك وبينه كل هذا الحشد من جهد الأصابع الذي تتوَّجه ههنا وهناك لمحات رائمة، وكل هذا التناثر في النوطات الذي يظن السامع، ذاك الذي لايعلم كيف تساس الامور على الأقل، انه واجد فيه الموهبة في حقيقتها المادية الملموسة) قد أضحى شفافاً يفيض مما يترجمه إلى حد أنك لاتحس به من بعد وقد أصبح محض نافذة تطل على رائعة فنية واذا كانت المقاصد نخيط كمثل حاشية فخمة أو ناعمة لصوت ٥ آريسي، و٥ ايسمين، و٩هيبوليت، وايماءاتهم فقد استطعت نمييزها، أما ٩فيدر، فكانت قد استبطنتها ولم يفلح فكري في أن ينتزع من الإلقاء والوقفات. وأن يضم يده في شع بساطة مساحاتها المستوية على تلك اللقيات؛ على تلك اللمحات التي لاتبرز عنها لشدة ما انفرست فيها بعمق وما كان صوت ولابيرماه الذي لم يظل به نفاية واحدة من مادة جامدة تستعصى على الفكر، ما كان يدع لك أن تميز من حوله هذا القائض من الدمع الذي تراه يسيل فوق مرمر صوت «آريسي» أو «ايسمين؛ لأنه لم يستطع التغلغل فيه، بل كان قد تم تليينه بلطف في أصغر خلاياه على غرار آلة عازف كمان كبير مُراد المرء، حينما يقول إن له رنة جميلة، لا أن يمتدح صفة مادية تميزة فيه بل تفوقًا في الروح. ومثلما هي الحال في المناظر الطبيعية القديمة حيث يدمل ينبرع لاحياة فيه محل حورية تواوت فقد استحال فيه مقصد واضح ومحسوس صفة في النبرة ذات معقاء غرب مناسب لاحرارة فيه وفراعا ولابيرماه الملذات تبدو الأبيات نفسها وكأنها ترفعهما فوق مصدرها بالنفتة نفسها التي تطلق بها صوفها من بين شفتها كتاب الأشعاف التي يوبحها الماء في انطلاقه المستحبة وفيدة بعناصر غنية محاكمات فقدت منشأها الأرادي وقد اتصهدت في ضرب من الإشعاع فحيط شخصية وفيدة بعناصر غنية ومعقدة تحقق من حولها ولكن المناحبة المنتوبة المستحبة المستحبة المستحبة المستحبة وفيدة بعناصر غنية ومعقدة تحقق من حولها ولكن يتفسها التي كانت تبدو، مضناة أمينة، وكأنها مادة حية قد غولها العقب الدي نصفه وثنية والنصف الم يكن كل ذلك من حول جملة الذي محكمة المنتجبة الأسماد، المستحبة المنتجبة والمستحبة المناحبة المستحبة المناحبة المناحة المناحة

ولم يكن الطباعي، وهو والحق يقال أكثر امتاعاً منه بالأسى، مختلفاً عنه. بيد أني لم أعد أضع قبالته
فكرة مسبقة مجردة زائفة عن البرخ للسرحي وأخلت أدرك أن النبوغ المسرحي إنما هو ذاك بالضبط. كنت
أفكرمنذ قبل أني لم أستمتع أول مرة سممت فيها الابيرماة فلأني، طأني بالأس حينما كنت ألتقي به
الجيبرتاة في االمدازياييهه ، كنت أجميء إليها وبي شوق مفرط. ربما لم يكن الخبيتين وجه الشبه هذا
اجيليرتاة في المدازيايية معدًا، أن الانطباع الذي يخلفه فينا شخص وعمل فني (أو تمثيل دور) متميزان
إلى حدّ بعيد إنما يتسم بطابع خاص. لقد جلبنا معنا أنكار والجمالة وورحابة الأسلوب، والمأساوية الإلى حدّ بعيد إنما أنمامة لرحمة ورجه مقبولين، ولكن فكرنا للتبة برى أمامه إلحاح شكل لا يملك له
مقابلاً فكرياً وينبغي له استخلاص المجهورة منه يأولين، ولكن فكرنا للتبة برى أمامه إلحاح شكل لا يملك له
عقالاً: وأجميل هذا؟ أمن الإحجاب ما أحسّ به؟ وهل ذلك غني الألوان والسمو والقواء أما ما يجيبه من
جديد فصوت حاد ولهجة لسائل مسابقة غريقة الشوال، ورئما الأعمال الجميلة حقاً هي التي لابد لها بسبب
خلك، الم ترك فيه أية مساحة فارغة لم ورحاية التشيل، ورئما الأعمال الجميلة حقاً هي التي لابد لها بسبب
خلك، ان تم سماعها بصدق، أن تغيب آمالنا أكثر ما تغيب لأنه ليس في مجموعة أفكارنا فكرة واحدة توافق
انظباءاً فرباً.

ذلك بالضبط ما كان يكشفه لي تمشيل (لابيرمانه ؛ والنبل والذكاء في الالقاء كانا ذلك بالتعمام. لقد أُحدَّت أتبين الآن مزليا التمشيل الذي يمناز بالرحاية والشاعرية والقرة، أو ذلك بالأحرى ما اتفق أن يمنح تلك

⁽١) حركة دينية مسيحية متزمتة ظهرت في فرنسةفي القرن السابع عشر على بد اللاهوني الهولندي ديانسن، (١٥٨٥ – ١٦٣٨).

الألقاب ولكن على نحوما يطلق اصم المزيخ والزهرة وزحل على نجرم الاتملك شيئاً من دنيا الميثولوجيا. إننا نخمر في عالم ونفكر ونسمي في عالم آخر، ويمكننا إقامة توافق ما بين الاثنين لاردم المسافة الفاصلة. تلك كانت إلى حد ما المسافة، الثغزة التي وقع علي اجتياؤها حينما لقيت في أول بيرم نفعت فيه لمخاهدة تمثيل ولايبرماء، وبعدما صرفت إليها كامل انتباهي، بعض المنقة في اللحاق بأنكاري عن وسمو التشيل و والأصالة، ولم أبر أصفق بحرارة الإبعد لحظة فراغ وكما لو يتطلق التصفيق لامن انطباعي نفسه، بل كما لو كنت أربطه بأفكاري المسيقة، بالمشعة التي أحص بها في أن أقول في نفسي: وها إتي أخيراً اسمع لايبرماه. ولن الفارق الكائن بين شخص وحمل في بارز الفردية وفكرة الجمال إنما هو كائن بالمقدار ذنته بين ما تولينا هأم من مشاعر وأفكار الحب والإعجاب. ونعن لذلك لانترفها، أناني لم أصب متعة في سماع والايبرماه (كما لم أسب متعة في سماع والايبرماه (كما لم أسب متعة في سماع والايبرماه (كما لم أسب متعة في معجب بها إذناه، ولكني ما كن خلال الأمرة فاتحد في نفي: وإلى غير معجب بها إذناه، ولكني ما كن ذلك.

وتلك العبقرية التي لم يكن تعثيل الابيرماء سوى كشف لها فحسب، أكانت عبقرية وراسين، وحدة؟.

لقد ظننت ذلك أول المطاف، وكان لابد أن أعود عن ضلالي بمدما انتهي فصل مسرحية الهيدر، وبعد [لحاح الجمهور طلباً لعودة الممثلين التي انتصبت جارتي القديمة الحانقة في ألنائها بقامتها الصغيرة جداً ووضعت جسمها بالورب وجمدت عضلات وجهها وصالبت ذراعيها على صدرها لتبدى أنها لاتشارك الآخرين تصفيقهم ولتبرز على نحو أوضح احتجاجاً حكمت أنه شديد الوقع ولكنما لم يشعر به أحد. كانت المسرحية التالية واحدًا من الأعمال الجديدة التي كان يبدو لمي بالأمس أنها لابد ستبدو هزيلة وخاصة بما أنها لا وجود لها خارج الدور الذي تؤدى به. ولكني إلى ذلك لم تتملكني الخيبة أن أبصر خلود العمل الفني لايمتد إلا امتداد خشبة المسرح والإ مدة دوام العرض الذي يؤديه على نحو ما يؤدي مسرحية مناسبات. ثم إني كنت أضيف إلى كل مقطع أحس أن الجمهور أحبه وقد يضحي ذات يوم شهيراً، كنت أضيف، بدلاً من الشهرة التي لم يتسن لها أن تخوزها فيما مضي، تلك التي ستحوزها في المستقبل بجهد فكري معاكس للجهد الذي قوامه تمثل روائع فنية في زمن صدورها الهزيل حين لم يكن يبدو أن عنوانها الذي لم يطرق الأسماع بعد سوف يتم وضعه فيما بعد بجانب عناوين مؤلفات الكاتب الأخرى وسوف تختلط في الضياء نفسه. وربما أدرج هذا الدور ذات يوم في لائحة أجمل أدوراها إلى جانب دور «فيدر». وليس يعني ذلك أنه لم يكن في حدّ ذته خلوا من أية قيمة أدبية ولكن الابيرما، سمت فيه سموها في افيدره. وأدركت حينذاك أن مؤلف الكاتب لم يكن بالنسبة إلى الممثلة سوى مادة غير ذات بال تقريبا في حد ذاتها من أجل ابداع راثعتها في التتمثيل، مثلما مبق لـ ﭬايلستير، الفنان الكبير الذي عرفته في ﭬبالبيك؛ أن وجد موضوع لوحتين تتساويان قيمة في بناء مدرسي لاطابع له وكاندرائية هي في حد ذاتها رائعة فنية. ومثلما يذيب الرسام البيت وعربة النقل والشخوص في دفقة ضياء كبيرة تجعلها متجانسة كذلك كانت ولابيرما، تمد طبقات واسعة من الرعب، من الرقة على الكلمات التي انصهوت بالتساوي فاستوت كلها أو سمت، ولعل الفنانة الضحلة كانت تبرزها الواحدة تلو الاخرى. وليس من شك أنه كان لكل منها نبرة خاصة وما كان إلقاء \$لابيرماه يحول دون أن يتبين المرء بيت الشعر. أقليس ثمة عنصر أول من التعقيد للنظم والجمال حيدما يحص المرء، إذ يسمع قافية، يشي أمراً هو في الآن نفسه مثيل ومغاير للقافية السابقة الذي تجد علتها فيها ولكنها تدخل فيها تغير فكرة جديدة، بمنظومتين تتناضلان، إحدالهما على صعيد الفكر والأخرى على صعيد الوزن الشمري ؟ يد أن لالإيبرماء كانت تدخل حتى الأبيات، وحتى للقاطع في مجموعات أرحب منها يفتنك أن تراها مضطرة للتوقف والانقطاع على حدودها ، كذلك يستمتع شاعر في أن تتردد لحظة في القافية الكلمة التي توشك الإسلامات، وموسيقي في خطط كلمات الكتب المختلفة في لفياع واحد يماكسها ويجذبها. ومكما كانت تعرف الإيبرماء كيف تدخل في جمل كانب الدواما الحديث وأشار فواسين، على حد سواء هذه الصور المرجة من الألم والنبل والهوى الذي تؤلف وواتمها هي وسيث كان يتم تعرفها علما يتعرف الرسام في رسوم شخصية نقلها عن نماذج مختلفة.

ما كنت لأنعني من بعد، شأي بالأسر، أن استطيع تجميد وقفات ولايبرماه ومسحة اللون الجعبية التي كانت تدفيع من جعيد، ولا أن أحملها التي كانت تدفيع من جعيد، ولا أن أحملها أن تكانت دفيقا على الذهر. فقد أخلت أدرك أن رغبي المقنيمة كانت أكرك ثل تطبأ من منها الشعر، فقد أشعات أدرك أن رغبي المقنيمة كانت أكرك تطبأ من منها الشعر، وهدا الجركات غير الثابتة التي بعد لم باسمية الزوال وهدا الجركات غير الثابتة التي بعدل باستمرار وهاه الموحات المتعاقبة إنما كانت التنبجة السريمة الزوال وهدا الجركات غير الثابتة التي بعد لم باسمية الزوالهية التابية منها الموقع المتعاقبة إنها كانت التنبجة السريمة الزوال منها المتعاقبة إنها كانت التنبجة المرامة الزوالهية التنبية المسمودة التي يهدف إليها القدن المسرعي والتي قد يقضي عليها التباه مستمد مكفي النفس منها. ذلك أن يحيضا كنت معجاً أنند الاعجاب إلى العد الذي لا يديب ظني موضوع المجاهزية على المتعاقب المنافق من انطباع الفد أن عبيا المالية المنافقة التي داخلتات من وفق المالية على المتعاقبة التي داخلتات من وفق الملاسمة فيما يتنابي مثمور غامض بأن واحد من وفق الملاسمة فيما يتنابي شمور غامض بأن عقرية ولابيرماه وبما لم يتجرجها أن الترجمة هذا التركيد لإيناري لها وللمكان والأول، الذي استحها إناء أن كان الهدوء الذي يبطانه لي.

آن بدأت تلك المسرحية الثانية نظرت إلى جانب السيدة ادر غيرماند، وكانت هذه الأميرة قد أدارت رأسها. بحركة ولذّت خطأ عذباً كان فكري يتابعه في الفراغ، بالمجاه الركن القصى في مقصورتها. كان المنحوون وقوفاً يلتفتون بدورهم تحو الباب وبين الصغين اللذي يؤلفونهما دخلت، تلقها نماماً أنواب الوسلين البيضاء، دوقة الخيرماند، دخلت وسط تقتها الظافرة وعظمة الآلهة لديها، ولكتما بها علوبة مجهولة ناجمة عن الخجل الذي يمتزج التصنيع فيه بالبسمات من جراء وصولها متأخرة إلى هذا الحد وحملها الجميع على القيام في أثناء المرض. وذهب رأساً إلى ابنة عمها وحيّت بالدخاءة واسمة شاباً أشقر كان يجلس في الصف الأول واستدارت صوب الكاتات الخوافية المجرية المقدمة الذي تصوح في ركن المغارة القصى وحيّت أنصاف ألهة لذي الفروسية – الذين ألفوا في ذلك الموق من لعالي فضلت أكثر ما أفضل أن أحل محلهم، ولاسيما منهم الميدادو بالانسيء — مخية ألفة من صديقة قليمة تشير إلى اليومي من علاقاتها بهم منذ خمصة عشر الميدادو عاما. كنت أحس ولكن لا أستطيع أن أستجلى سرّ هذه النظرة المشرقة التي تخص بها أصدقاءها في البريق الأزرق الذي تلتمع به فيما تدع يدها لهؤلاء وأولئك، هذه النظرة التي لعلها كانت تكشف لي، لو تيسر لي أن أحلل ألوان موشورها وتبلوراته، ماهية الحياة المجهولة التي كانت تبرز فيها في ذلك الحين. وكان دوق «غيرمانت» يتبع زوجته، فيما تنفرج بانعكاسات نظارته الجذلي وضحكة أسنانه وبياض قرنفاته أو صداره المتثني حاجباه وشفتاه وسترته الرسمية لتوسع مكاناً لضياتها. وأشار بحركة من يده الممدودة التي انحدر بها، منتصب القامة لايحرك الرأس، إلى أكتافهم، أشار إلى السمادل الأدنى مرتبة الذين كانوا يوسعون له المكان بالجلوس واتحنى انحناء كبيراً أمام الشاب الأشقر. وربَّما خيّل لك أن الدوقة حزرت أن ابنة عمّها، وكانت تسخر، فيما يقال، ثمّا تدعوه غلواء هذه الأحيرة (والغلواء هي الاسم الذي سرعان ما يتخذه الشمر والحماسة الجرمانيان من وجهة نظرها الفرنسية الذكية المعتدلة) ستكون هذا المساء في واحد من تلك الأثواب التي ترى الدوقة أنها متنكرة فيها وأنها أرادت أن تلقنها درساً في الذوق. فبدلاً من الريش الناعم الذي كان يتحلّر من رأس الأميرة حتى عنقها، وبدلاً من خمارها الذي من أصداف ولآلئ لم تكن الدوقة تضع في شعرها سوى خصلة ريش بسيطة تبدو فيما تعلو أنفها المعقوف وعينيها غير البارزتين وكأنها خصلة ريش على رأس طير. كان عنقها ومنكباها تطلع جميعا من سيل ثلجي من الموسلين تخفق فوقه مروحة من ريش التم، ولكن القسطان الذي لا يزين صداره سوى شذرات لا تخصى إما من معدن على شكل عصيات وحبات وإما من ماسات كان يقولب حسمها بدقة بريطانية تامّة ولكن مهما اختلفت ملابس الاثنتين بعضها عن بعضها الآخر فقد شوهدتا، بعدما قدمت الأميرة لابنة عمها الكرسي الذي كانت تشغله حتى ذاك، تستديران الواحدة نحو الأخرى لتتبادلا نظرات الإعجاب.

ربما علت ابتسامة لفر السيفة دور غيرمانت في الغد حينما تتحدث عن تسريحة الأمرة الشديدة التحقيد إلى حدّما، ولكنها سوف تعلن بالتأكيد أن تلك التسريحة لم تكن لللك أقل روعة وترتيا بديما. أما الأميرة التي كانت عجم اللاعتيان ومض الجفاف وبعض الجناف وبعض الصنعة في الطويقة التي تكنسي بها ابنة عمها أخوف كثيث في هذه البساطة الصارمة تأتقاً مستداباً. أضف أن الانسجام بينهما والجاذبية الشاملة المسبقة لتربيه كان المع الأميرة الصريح يلفظ أغامه فيما للريتهما كانا يطلا الأربية المصنعة بالفظ أغامه فيما اللاحرية المنافظة المستوفقة وتلتوي وصبح علوية وسحراً وطلحا لم يكن طيانا المسرح بالفظ أغامه فيما تتجلب بالمجاها استقامة الدوقة وتلتوي وصبح علوية وسحراً وطلحا لم يكن طيانا المي المسرحية التي يتم تتخلياء كيما ندول مدى ما تبعث والابيرماء من شاعية شخصية، صوى أن نكلف باللور الذي كان تنشأه مقصورتين طريقة في المباس تضفى على بارونة ومورينقال، وكانت غيسب أنها تلكر بطريقة أميرة وطيرهائنه، وكانت غيسب أنها تلكر بطريقة أميرة وطيرهائنه، معالمة التكافيف في سبيل محاكاة أتواب الحديدة ونقية سنت على سلك من وطيرهائنه، وكانت عبد أنافته بين مكان هلم الحديدة عادة الهية وفي شوها تتصب عصوريا وضة عربة رفاته سبيل محاكاة أتواب الحديدة كانت تذكل فيها للقصورات (وحي مقصورات أعلى الطوابي التي تبدو من الأمشل وكأنها الملان ضخمة زعت بالزعور البشرية والقت بقرس الأخيرة في قاعة كانت شكل فيها للقصورات (وحي مقصورات أعلى الطوابي التي تبدؤه المغملية) من ألم

نساء النام فحسب منظراً عابراً سوف يملل فيه عما قليل الأموات والفضائح والأدواء والخلافات ولكنما يئيته في هذه اللحظة الاهتمام والحر والدوار والغبار والأنافة والسأم في ما يشبه اللحظة العائلة المأساوية لحظة الانتظار اللاواهي والعنكر المهادئ التي تبدر بعد فوات الأوان وكأنها سبقت انفجار قبلة أو اللهب الأول في حريق.

فأما السبب الذي من أجله كانت السيدة 3دو كامير ميره هناك فقوامه أن أميرة 3بارم، وهي بعيدة عن السنوبية كأكثر صاحبات السمو الحقيقيات، ولكنما تتأكلها في المقابل الكبرياء والتوق إلى التصدق الذي يساوي لديها الميل إلى ما مخسبه الفنون، كانت قد تخلت ههنا وهناك عن بعض المقصورات لنساء من طراز السيدة ددو كامبر مير، لا ينتمين إلى المجتمع الارستقراطي الراقي ولكنها كانت على علاقة بهن لغرض أعمالها الخيرية. لم تكن السيدة «دو كامبرمير» ترفع نظرها عن الدوقة وعن أميرة «دو غيرمانت»، الأمر الذي يزيد من يسره لديها أنه لايمكن أن تبدو وكأنها تلتمس محّية منهما لأنها لم تكن على علاقات حقيقية بهما. مع أن الهدف الذي كانت تلاحقه منذ عشرة أعوام بصبر لايعرف الكلل إنما كانِ أن يتم استقبالها لدى هاتين السينتين الكبيرتين. لقد قدرت أنها لاشك ستفلع في ذلك في مدى خمسة أعوام. ولكنها تخشي، وقد أصابها داء لايرحم محسب أنها، إذ تباهى بمعلومات طبية تعرف طبيعته الحمية، كانت تخشى ألا تستطيع العيش حتى ذاك. بيد أنها كانت سعيدة في ذلك المساء أن تفكر بأن جميع أولئك النساء اللواتي لا تعرفهن سوف يشاهدن بالقرب منها رجلاً من أصدقائهن وهو المركيز الشاب ددو بوسيرجان، شقيق السيدة دارجنكور، الذي كان يتردد بالتساوي على المجتمعين والذي كانت نساء المجتمع الثاني يملن كثيراً إلى التباهي بحضوره إلى جانبهن أمام أنظار نساء الأول. وكان قد جلس خلف السيدة ٥دو كامبرمير، على كرسي وضع بالعرض ليستطيع استراق النظر إلى المقصورات الأخرى. كان يعرف الجميع فيها وكان بنية التحية يرفع، إلى جانب الأناقة الساحرة التي لشكله الجميل المقوس ولرأسه الناعم ذي الشعر الأشقر، كان يرفع نصف رفعة جسمه المنتصب وفي عينيه الزرقاوين تشرف ابتسامة وبه مزيج من الأجلال والوقاحة فينقش على هذا النحو نقشاً دقيقاً في مستطيل المستوى الماثل الذي يجلس فيه كأنما واحدة من تلك الصور المطبوعة القديمة التي نمثل سيداً كبيراً متعالياً متزلفاً. كان غالباً ما يرتضى الذهاب على هذا النحو إلى المسرح برفقة السيدة ددو كامبرميره. وكان يظل ببساطة بالقرب منها في القاعة وفي الردهة لدى الخروج، وسط جمهور الصديقات الأكثر شهرة اللواتي كن هناك واللواتي كان يتجب التحدث إليهن إذ لا يبغي إزعاجهن وكأنما هو بصحبة سوء. فإن مرّت أنذلك أميرة «غيرمانت» في جمال «ديانا» ورشاقتها، تجر وراءها معطفاً لامثيل له وتستلفت سائر الرؤوس وتتبعها جميع العيون (وعينا السيدة «دو كامبرمير» أكثر من كلّ ماعداهما)، كان السيد «دو بوسيرجان، يستغرق في حليث مع جارته ولا يستجيب لابتسامة الأميرة الودود الفائنة إلا مرغماً مضطراً وبالتحفظ المهلب والجفاء المتسامح الذي يبنيه امرؤ يمكن أن يكون لطفه قد أضحى إلى حين مصدر إزعاج.

ولو لم تعلم السيدة «دو كامبرمير» أن المقصورة الخاصة إنما تمود للأسيرة لعرفت مع ذلك أن السيدة «دو غيرمانت» كانت المدعوة وذلك لما تظهر من اهتمام أكبر بمنظر المسرح والقاعة كي تبدر لطيفة إيزاء مضيفتها. يبد أن قوة مماكسة تزامن هذه القوة النابذة وتصبها رغبة النودد نفسها كانت تردّ انتياه المدوقة باشخاه ملابسها الخاصة إلى ريش قبضها وعقدها وصدارها وباشخاه ملابس الأميرة نفسها كذلك، الأميرة التي تبدر ابنة عمها وكأنما تعان أنها من أتباعها وعبدة لها جاءت إلى هنا نحيض لقائها. وهي مستمدة أن تتبعها إلى مكان

أخر لو خطر لصاحبة المقصورة أن تذهب، ولا تنظر إلى باقي القاعة إلا على أنها مؤلفة من غرباء يدهشك منظرهم مع أنها تضم العديد من الأصدقاء الذين كانت في مقصورتهم في أسابيع أخرى والذين ما كان يفوتها أن تبدي إزاءهم الولاء الحصري والنسبي والأسبوعي نفسه. كان يدهش السيدة ددو كامبرميره أن ترى الدوقة هذا المساء. فقد كانت تعلم أن هذه الأخيرة نظل في «غيرمانت» إلى وقت متأخر جداً ونفترض أنها لاتزال هناك. ولكنما نَمي إليها أن السيدة «دو غيرمانت» كانت تأمر، بعدما تتناول الشاي مباشرة مع الخدم، بتجهيز احدى عرباتها حينما يتوافر في باريس عرض مخكم أنه شيق وتنطلق مسرعة لدى غروب الشمس عجر الغابة التي يلونها الشفق ثم على الطريق لتستقل القطار في٥ كومبريه٥ فتكون مساء في باريس. وتفكر السيدة «دو كامبرمير» يهزها الاعجاب: «ربما جاءت من «غيرمانت» عمدا لتسمع «لابيرما». وكانت تذكر أنها سمعت وسوان، يقول بهذه اللغة الخاصة الملتبسة التي يشاركه فيها السيد ودو شارلوس،: وإن الدوقة من أكثر الناس سمو خلق في باريس ومن الصفوة الأكثر رهافة ذوق والأوفر رقيا. ع أما بالنسبة إلى انا الذي كان يشتق من اسم اغيرمانت، واسم ابافيير، واسم اكونديه، حياة ابنتي العم وفكرهما (ولا يسعني ذلك من بعد فيما يخص وجهيهما بما أنه أتفق لي أن رأيتهما) فلعلى كنت أفضل معرفة رأيهما في وفيدره على رأي أعظم ناقد في العالم. لانني ما كنت لأجد في رأيه سوى الذكاء، ذكاء يفوق ما اجتمع لي، ولكنه من الطينة ذاتها. فأما ما كانت تفكر فيه دوقة وغيرمانت، وأميرة وغيرمانت، والذي زودني بوثيقة لاتقدر بثمن حول طبيعة هاتين الطلوقتين الشاعريتين فقد كنت أتصوره بوساطة اسميهما وافترض فيهما سحراً غير معقول، وإنما سحر عشيات الصيف التي تنزّهت أتناءها إلى جانب «غيرمانت» ما كنت أطلب، بظمأ المحموم وحنينه، أن يردّه إلىّ رأيهما في افيدره.

كانت السيدة دور كامبرميره تخاول تمييز نوع الملابس التي ترتديها ابنتا العم. أما فيما يخصفي فعا كنت أشك أن تلك الملابس، فاصلة بقوا المباقدة المحراء أو الثنية الزراة كانت تخص حصراً فيما مضي آن للطابس المانية المحراء أو الثنية الزراة كانت تخص حصراً فيما مضي آن دفيرمانت، وألى 5 كونده فحسب، بل كما هو بالأحرى بالسبة إلى الطير أمر الريش الذي لايفتصر على أنه حلة جماله ولكنه امتداد لجسمه. كانت ملابس ماتين المرأتين بدو في مجانة بجسيد المبي أو متركش لنتخاطية والمبيدة وأخيرمانت، قفير بها المبي أو متركش لنتخاطيها المناخلي، وكما هو مثان العركات التي سبق أن وأبت أميرة وضماراً ابنة عمها البلهم المراكبة المبيدة والمبيدة المبيدة المبيدة المبيدة والمبيدة المبيدة والمبيدة والمبيدة المبيدة والمبيدة المبيدة المبيدة والمبيدة والمبيدة المبيدة المبيدة والمبيدة المبيدة والمبيدة المبيدة المبيدة والمبيدة والمبيدة المبيدة المبيدة المبيدة المبيدة والمبيدة المبيدة والمبيدة المبيدة المبيدة

⁽١) Junon إلهة رومانية ترمز إلى الحب الشرعي.

⁽Y) Minerve إلهة الحرب عند الرومان وينسبون إليها حماية الفنون والعلوم.

طمأتينة. لقد سبق للدوقة أن وأتسي مرة مع زوجها بهيد أنها لابد لا تذكر ذلك بالتأكيد، وما كان يؤلني أن ينفق لها من جراء المكان الذي تشغله في المقصورة الدخاصة أن تنظر إلى تشابك المرجانيات المفقلة المشتركة في جمهور المصالة لالتي كنت أشعر شعور السحادة بحكاني ينوب فيما بينهم حينما أبصرت، لحظة أقبل برتسم ولاشك، بفضل قوالين الانكسار الضرئي، في مجرى الدينين الزواقاين الهادئ الشكل المبهم لوحيد المخلية المجرد من الوجود الفردي الذي كنته، أبصرت ضياء يشرق فيهما: فقد رفعت المدوقة، وقد انقلبت من إليه امرأة وبدت لي فجأة بللك القد مرة أكثر جمالاً، رفعت نحوي يدها التي لفها قفار أيضر، وكانت تستند بها على حالة المقصورة، وحركتها عربونا للصمالة، وأحسّت نظراني بالتوهج غير المقصود والبرق المنبطين من عيني الأميرة بانتهان بها، وقد ألهيتهما الأميرة دونما علم منها بمحض غريكهما لخارلة أن نوى من حيث ابنة عمها، وقد أمارتني هذه الأعيرة، وبدما عمرة منها بمحض غريكهما لخارلة أن نوى من حيث ابنة

كنت أمضى الآن كل صباح، قبل ساعة خروجها بكثير، لأقف بعد عطفة في زاوية الشارع الذي تنحدر فيه عادة وحينما كان يبدو لي أن لحظة مرورها أضحت قريبة كنت أعود بهيئة شاردة أنظر في انجماء معاكس وأرفع عيني إليها حالما أصل بمحافاتها ولكن كما لو لم أتوقع البتة رؤيتها. وقد بلغ بي في الأيام الأولى أن انتظر أمام بيتها كي أكون أكثر يقينا من أني ان أخطاتها. وفي كل مرة ينفتح فيها الباب الرئيسي (ليسمع بمرور العديد من الاشخاص على التوالي عمن ليسوا من انتظر) كانت حركته لتوالى في فؤادي اهتزازات تستمر فترة طويلة لتهدأ. ذلك أنه ليس من متحمس لمثلة كبيرة لايعرفها ويمضي في انتظار طويل أمام مخرج الفنانين، ليس من جمهور ساخط أو متعشق اجتمع ليشتم أو يحمل على الأكتاف المحكوم أو الرجل العظيم الذي يخيل إليهم أنه وشيك المرور كلما تناهت إلى الاسماع ضبعة من داخل السجن أو القصر، ليس منهم البتة من كان بمثل اضطرابي وأنا أنتظر رحيل هذه السيدة الكبيرة التي كانت بألوابها البسيطة تدوك، بفضل رشاقة مسيرتها (التي تختلف كلياً عن المشية التي تتخلها حينما تدخل إلى صالة أو إلى مقصورة)، كيف تصنع من نزهتها الصباحية- وليس في نظري من يتنزه في العالم سواها- قصيدة كاملة من الأناقة وأرق أنواع الزينة وأطرف أزاهير السماء الصاحية. ولكنني مضيت بعد ثلاثة أيام إلى أبعد من ذلك بكثير وحتى نقطة ما من خط سير الدوقة المعهود كي لايستطيع البواب أن ينتبه لحيلتي. غالباً ما كنت أقوم على هذا النحو، قبل هذه الأمسية في المسرح، ينزهات قصيرة قبل الغداء حينما يكون الطقس صحواً. فإن سبق أن هطل المطركنت أنحدر للسير بضع خطوات فألمح فجأة طالبة داخلية تتبعها معلمتها أو باثعة حليب بأكمامها البيضاء تنقدم على الرصيف الذي لايزال مبتلاً وقد استحال بفعل الضياء لكاً ذهبياً في اشراقة مفترق طرق يعصف به ضباب تديغه الشمس وتشقره، فأظلٌ لاحراك بي أضع بدأ على قلبي الذي انطلق مذ ذاك نحو حياة غرية، وكنت أجهد في تذكر الشارع والساعة والباب الذي اختفت خلفه البنيّة (التي كنت أتبعها أحيانا) دون أن تعاود الخروج. كانت سرعة زوال تلك الصور التي أداعبها والتي أمني النفس بمحاولة رؤيتها من جديد، كانت تخول لحسن الحظ دون أن تنغرس بشدة في ذاكرتي. وماهمٌ، لقد كنت أقل حزنا أن أكون مريضًا وألني لم مخالفني الشجاعة بعد في يوم للشروع في العمل ومباشرة كتاب، وتبدو الأرض في عيني أمتع للسكني وقضاء الحياة أبعث على الاهتمام منذ أخذت أرى أن شوارع باريس، شأن طرقات وبالبيك، نزدان بتلك الحسان المجهولات اللواتي ما أكثر ما حاولت أن يطلمن من أحواج ،ميزيكليز، واللواتي كانت كل منهن

تثير رغبة واشتهاء تبدو وحدها قادرة على اشباعهما.

كنت قد أضفت للغد، لدى عودتي من دار الأوبرا، إلى الصور التي كنت اثمني لقياها ثانية منذ بضعة أيام، صورة السيدة ٥دو غيرمانت، بقامتها المديدة وتسريحة شعرها الاشقر اللطيف العالية ووعود الحنان هي الابتسامة التي وجهتها إليَّ من مقصورة ابنة عمها. سوف أتبع الدرب الذي روت لي وفرانسواره أن الدوقة تسلكه وسوف أجهد مع ذلك أن لا تفوتني ساعة الانصراف من درس ومن تعليم مسيحي بغية أن أعود فألتقي بفتاتين كنت رأيتهما قبل البارحة. إلا أن ابتسامة السيدة ددو غيرمانت، المتلألفة والاحساس بالعدوبة الذي خلفته فيّ كانا يعودان إلىّ في تلك الأثناء بين حين وآخر. ودون أن أعلم بالتمام ما كنت أفعله، كنت أحاول وضعهما (مثلما تنظر امرأة إلى الاثر الذي قد يخلفه على أحد القساطين نوع معين من أزرار أحجار كريمة جيئت بهامنذ قليل) إلى جانب الافكار الخيالية التي كنت أحملها منذ فترة طويلة والتي أطلقها من عقالها فتور والبيرتين، ورحيل وجيزيل، المبكر ومن قبلهما الانفصال المتعمد والمطول جدا عن وجيلبيرت، (كأن تخبني امرأة على سبيل المثال وأن تكون لي حياة مشتركة معها). ثم كنت أقرَّب من تلك الاقكار صور هذه أو تلك من الفتاتين وأجهد بعدها في الحال في مواءمة ذكري الدوقة معها. كانت ذكري السيدة ددو غيرمانت، في الأوبرا أمراً هيئاً جلاً بالمقارنة مع تلك الأفكار، وما يشبه النجمة الصغيرة بالقرب من الذيل الطويل الذي لمذنبها الملتهب. ثم إنى إلى ذلك كنت أعرف هذه الأفكار تمام المعرفة قبل تعرَّفي بالسيدة دو غيرمانت، بفترة طويلة، أما الذكري فقد كنت على العكس أملكها على نحو غير نام، وكانت تغيب عني بين الحين والحين. كان على في أثناء الساعات التي انتقلت فيها شيئاً فشيئا من شكل غير ثابت في نفسي على غرار نساء أخريات جميلات إلى ترابط وحيد ونهائي – يستبعد أية صورة انثوية أخرى– مع أفكاري الخيالية التي سبقتها بكثير، كان على في أثناء بضع الساعات هذه التي كنت اتذكرها فيها أفضل الذكري أن انتبه لأعرف بدقة أية ذكرى كانت ؛ على أني ما كنت أعلم آنذاك الأهمية التي كانت تزمع أن تتخذها بالنسبة إلى ؛ ولكنها عذبة كانت كموعد أول للسيدة دو غيرمانت، في داخلي، لقد كانت الصورة الأولى، الحقيقية وحدها والتي صنعت وحدها نقلاً عن الحياة والوحيدة التي كانت حقا السيدة دو غيرمانت، وطوال الساعات القليلة التي أسعدني أن تكون فيها ملك يدي دون أن أعرف كيف أصرف انتباهي اليها كان لابد أن تكون، وأقصد تلك الذكري، شديدة الروعة مع ذلك بما أن أفكاري في الحب كانت تعود أبدأ إليها، ولاتزال تفعل يملء الحرية في ذلك الحين دونما عجلة ولاكلل ودون أن يداخلها شيء من الضرورة أو الضيق. ثم هي اكتسبت من تلك الأفكار، كلما رسختها هذه الأخيرة ترسيخاً نهائياً متزايدًا، قوة أعظم ولكنها أضحت أشد إبهاما، ولم يعد قليل أن أعود فألقاها، وما من شك أنني كنت أشوهها نماما في أحلام يقظتي فقد كنت في كل مرة أبصر فيها السيدة ٥دو غيرمانت، ألاحظ فارقاً، دائم الاختلاف على أبة حال، بين ما سبق أن تخيلت وما كنت أشاهد. كنت لا أزال أبصر الآن في كل يوم بالتأكيد، لحظة تطلع السيدة دو غيرمانت، في أعلى الشارع، قامتها المديدة وذاك المحيا ذا النظرة الصافية مخت شعر خفيف، هذه الأشياء كلها التي من أجلها كنت هناك. ولكنني بالمقابل، وبعد مرور يضع ثوان حينما كنت أرفع ناظري، بعدما أشحت بهما في انجاه آخر كي أبدو وكأني لا أتوقع ذلك اللقاء الذي جئت أبحث عنه، إلى الدوقة في الوقت الذي كنت أبلغ فيه ما بلغت من سوية الشارع فإن ما كنت أراه آنذاك إنما كان علامات حمراء، لا أعلم إن كان مردها الهواء الطلق أو

تيقع الجلد، تكسو وجها متجهما يود باشارة شديدة الجغاء وبعيدة جداً عن لطافة آمسية مسرحية وفيسره على النحية التي كنت أثرجه بها إليها في كل يوم بمظهر الدهشة الذي ما كان يبلو أنه يسرّها بيد أنه بعد المقتماء بضمة أيام كافحت في أنتائها ذكرى الفتاتين على نحو غير متكافئ في سبيل السيطرة على أفكار المشتق لدي ضدي ضد ذكرى السيدة ودو غيرمانت في كان أن عادت هذه الأخيرة في لنهاية أكثر المرات وكانما من الثقاف ظاها في المنافئة المان المتحدد عبد المتحدد المتحدد على المتحدد المتحدد على المتحدد المتحدد على المتحدد المتحدد عنه ولا المحدد المتحدد في المتحدد المتحدد على المتحدد على المتحدد على المتحدد على المتحدد على المتحدد المتحدد

فلماذا كنت أعلم ذات يوم، إذ أرى وجها عاباً أملس يتقدم مواجهة همت معطف خباري وقد ورُعَتْ مواطن الفتنة فيه بالتناظر حول عينين روقاوين وبدا فيه خط الأنف غائراً، باذا كنت أعلم من جواء انفعال جدلان أنني لن أعود دون أن تتم لمي وأية السيدة دو غيرمائته الا باذا كنت أحس بالاضطواب نفسه، وأصطنع اللابالاة نفسها وأضيح بهني يطريقة مرور البارحة فضها لدى الظهور المجاني في طريق محتصرة أوقحت فلنسوة ليلة لأنف على مكل منقار الطهر على صفحة جمة حمراء تعرضها عين ثالبة وكأنما إلهة من أهمة مصرا وذات مرة لم أهمر امرأة بأنف كمنقار الطهر على صفحة جمة حمراء تعرضها عين ثالبة وكأنما إلهة من الهجة مسكان السيدة ودع غيراسته وحدي قلندونها من القراء فيده بهما إذ لا يسمحان يراية أي قماش وكأنها معطاة بفرو طبيع كيمض النسور التي يبدو بوشها الكيف الأملس الأمها الفارة على أنه ضرب من الفرود وفي وسعد هذا الفرر الدينات البارزان المهتبين زوالون.

وفي بعض الأيام كنت أفرخ من فرع الشارع جيئة ورواحاً على مدى ساعات دون أن ألمح السيدة دو غيرمانت عينما يبرز فجأة في أقصى دكان لبان تختيع بمن فندقين في هذا الدي الارستمراطي والشمبي الوجه المهمم والجعابية لامرأة أنيقة تستعرض اجبنة بيضاءه عليها، وقبل أن يتسع لي الوقت لتعييزها كانت نظرة الموقة تطلق فنصيني وكانعا برق استغرق الموصول إلي زمنا أقال من بقية الصورة. وكنت أدوك في مرة أشروع، إذ لم التن بها وسممت الساعة تدق الثانية عديز ظهراء أن لاعاعي من بعد لأن أظل انتظر فكنت أعرد أدراجي حزينا إلي لبيت ؛ ثم أدرك فيجأة، وأنا مستغرق في خيية أميلي أنظر إلى عمية تبتعد دون أن أراها، أن حركة أفراس التي قامت بها سيدة من الباب كانت موجهة إلى وأن تلك السيدة التي تؤلف ملاصحها المفككة خالتي لا أعرفها إنما كانت المسيدة دو غيرمانت، التي لم لم لمي أن غيبني دون أن أرد حتى مخيتها. وأحيانا كنت ألفاه، وأنا عائد، في زاوية للقصورة حيث كان البواب المقيت الذي كنت أكره نظراته المصوية يصيها غيات واسعة ويقدم لها دون شك أيضا وتقريره، ذلك أن مستخدي آل دغيرمانت، كانة، كانوا يترصدون وهم يحتفون خلف متاثر النوافذ، يترصدون بخوف الحوار الذي لا يسمعونه والذي لم يكن يفوت الدوقة على إره أن غيرم هذا الخدم أو ذلك، وقد وني به البواب، نوعاته. ولم يلاً حيى، يسبب جميع الأشكال المتعاقبة للوجوه المتنافة التي كانت تبرزها السيدة ادو غيرمانته، وهي وجوه كانت تشغل مساحة نسبية ومختلفة تفنيق تارة وتتسع طوراً في مجمل زينتها، لم يك متعلقاً بهذا العبوء أو ذلك من أجزاء الجسم والقماش، هذه المتغيرة التي كانت تخل حسب الأيام محل الأخرى والتي كان يوسمها أن تبدل فيها وتجندها ما يقارب التجديد التام دون أن تنال من اضطرابي لأنني كنت أحس عبرها، عبر الياقة الجديدة والوجنة الجمهيلة بأنها المسيدة ادو غيرمانت، . فإن ما كنت أحبه إنما الشخصية الخفية التي تبعث الحركة في كل ذلك والتي يغمني عداؤها ويهزني قربها والتي أردت لو أشد إلى حياتها وأطرد المحدة بالأسبة إلى.

ولو لم أشعر بنفسي أن السيدة ٥دو غيرمانت، قد عيل صبرها من جراء التقائي بها كل يوم لعلمت ذلك على نحو غير مباشر من الوجه الذي يفيض جفاء واستنكاراً واشفاقاً والذي تتخذه افرانسوازه حينما تعينني في الاستعداد لهذه النزهة الصباحية. فما أن أطلب منها حوائجي حتى أحس بريح مضادة تهب في ملامح وجهها المنقبضة المتعبة. وما كنت أحاول حيى كسب ثقة وفرانسوازه لشعوري بأنني لن أفلح في ذلك. فقد كانت تملك سلطة ظلت طبيعتها غامضة أبدا على تعلم بها في الحال كل ما يمكن أن يقع ألوالدي ولي من أمر مكذّر. ربما لم تكن خارقة لطبيعة وأمكن تفسيرها بوسائل اعلام كانت خاصة بها. من ذلك أن أقواماً متوحشة تستقى بعض الأخبار عدة أيام قبل أن ينقلها البريد إلى المستوطنين الأوروبيين وقد نُقلتُ إليهم في الواقع لا بالتخاطر بل من تلة إلى أخرى بوساطة نيران مُشملَة. وهكذا ربما سبق لخدم السيدة "دو غيرمانته، في الحالة الخاصة المتعلقة بنزهاتي، أن سمعوا مولاتهم تعبر عن سأمها من أنها تلقاني دون مناص على دربها ورددوا هذه الأقوال لـ «فرانسواز». كان بمقدور والديّ بالحقيقة أن يُلحقا بخدمتي آخر غير «فرانسواز» وما كنت لأكسب في ذلك، فقد كانت وفرانسوازه في بعض الوجوه أقل وخادمية، من الآخرين. فقد كانت في طريقة إحساسها وظهورها طيبة ومشفقة، وقاسية ومستكبرة، ومرهفة ومحدودة وفي امتلاكها بشرة بيضاء ويدين حمراوين، كانت آنسة القرية النبيلة التي كان أهلها ٥من أصل مؤكده ولكنهم اضطروا، وقد ضاعت أموالهم، أن يزجوها في دنيا التخديم. وإنما كان وجودها في بيتنا جوّ الريف والحياة الاجتماعية في المزارع منذ خمسين عاماً وقد نُقلاً إلى بيتنا بفضل ضرب من الرحلة المقلوبة يسعى فيها مركز الاصطياف إلى المسافر. ومثلما تزدان الواجهة الزجاجية في متحف إقليمي بهذه القطع الغريبة التي لاتزال الفلاحات ينفذنها ويزينها بالشرائط في بعض المقاطعات كانت شقتنا تزدان بأقوال لـ «فرانسواز» مستلهمة من وجهة نظر موروثة ومحلية وتخضع لقواعد مغرقة في القدم. وكانت تعلم كيف تعيد فيهاء كأنما بخيوط ملونة، رسم أشجار الكرز والطيور في طفولتها والسرير الذي ماتت فيه والدتها والذي لانزال تراه. بيد أنها على الرغم من كل ذلك أخذت، حالما بدأت تعمل لدينا في باريس، تشاطر الخدم في الطوابق الأخرى أفكارهم وأحكام تفسيرهم - ولعل أية واحدة أحرى كانت من باب أولى تفعل ذلك محلها - وتعوض الإجلال الذي تضطر أن تبديه لنا بأن تردد على مسامعنا ما كانت تقوله طاهية الطابق الرابع من بذيء القول عن مولاتها وتفمل بارتياح الخادم الذي بلغ حلمأ أخذنا نقول معه، وقد أحسسنا للمرة الأولى في حياتنا بضرب من التضامن مع مستأجرة الطابق الرابع المقينة، أننا ربما كنا بالحقيقة أسياداً. وربما كان هذا الفساد في طباع ففرانسوازه محتما. فبعض ضروب الحياة شاذة إلى الحد الذي لابد أن تورث معه حتماً بعض العيوب، كالحيَّاة التي كان يقضيها الملك في قصر فرساي بين

رجال بلاطه، وهي في عثل غرابة حياة فرعون أو دوج، وأكثر من حياة الملك حياة رجال البلاط. على أن حياة المختلف مي دونما شلك من غرابة أكثر فظاعة وإنما تخبيها عنا العادة وحدها. على أني حتى لو صرفت وقرائسواره لكان محتوما على أن أحقظ بالخادم نفسه حتى ضمن حدود تفاصيل أكثر خصوصية. ذلك أن تنزين عدة استطاعوا فيما بعد أن يعملوا في خامتي، ومع أنهم كانوا يحملون من قبل العيوب العامة التي تطبع الخدم فما كان ذلك يعمل دون أن يلم بهم لدي تخول سريع. وبما أن قوانين الهجوم خمّم قوانين الرد فقد كان الجميع، لكن لاتفال منهم مواطن التتوعات في طباعي، يعملون في طباعهم مواضع غلارة متمثلة فقد كان الجميع، فكن المتابع المنافق على المتوافق التنوات في فيا يعمل بيحلون في طباعهم مواضع غلارة متمثلة الشفرات ما كنت أمرفها. ولا المتوات التي تسبيها فرجانها، لأنها بالفنيلة نفرات. إلا أن خدمي أطلعوني عليها من جراء فسادهم المتنبع، فقد عموبي الطبيعة اللا منفيرة من جراء عوبهم المكتسم على نحو لاينبل، جراء فسادة من المارة ومن المنفق ومذا المنشذ، لا أنه لابد في أن أولي، من الميود الذي من أجله لم كان أن منخس آخر به فرانسوارة أن هذا الآخر إنما الرية فيما الخافة وهذا الصندة، ولا أنه لابد في أن أنها من الخاص.

ثم إنى فيما يخص وفرانسوازه، لم أعان في حياتي قط ذلا إلا لقيت له سلفاً على وجه وفرانسوازه تعازي جاهزة تماماً. وحينما كنت أحاول، عبر سخطى من أنها ترثى لحالى، الزعم بأننى حققت بالعكس تجاحاً كانت أكاذيبي تتحطم دون جدوي على جدار تشككها الذي يفيض احتراماً ولكنه ظاهر للعيان وعلى الشعور الذي بها بمعصوميتها. ذلك أنها كانت تعرف الحقيقة، وكانت تكتمها وتقوم بمحض حركة صغيرة بشفتيها كأنما لايزال فمها ملآن وتأتي على آخر قطعة طبية. أو كانت تكتمها؟ لقد اعتقدت ذلك طويلاً على الاقل لأنني كنت لا أزال أتصور في تلك الفترة أن الحقيقة يتم نقلها إلى الآخرين بوساطة الكلمات. فحي الكلمات التي يقولونها لي كانت تلقى في فكري الحساس مدلولها الذي لايتغير لدرجة أني ما كنت أعتقد بامكان أن لايجني واحد سبق أن قال لي إنه يجني أكثر مما تستطيع وفرانسوازه نفسها أن تشك بأن يتمكن كاهن، أو أي رجل آخر، بعدما تم لها أن تقرأ ذلك على صفحة جريدة، أن بيعث إلينا بالمجان، في مقابل طلب تم إرساله بالبريد، بدواء ناجع ضد جميع الأمراض أو بوسيلة لمضاعفة دخولنا مئة مرة. (أما إذًا أعطاها طبيبنا، بالمقابل، أبسط المراهم ضد الزكام فقد كانت تئن، هي الصلبة في وجه أقسى العذابات، مما انبغي لها أن تتنشقه مؤكدة أن ذلك كان هينتف أنفها، وأن المرء لايعلم من بعد أين يعيش.) ولكن وفرانسواز، أعطتني، أول من أعطى، المثال (الذي لن يقدّر لي إدراكه إلا فيما بعد حينما زودني به ثانية وعلى نحو أشد إيلاما، مثلما سنرى في المجلدات الأخيرة من هذا الكتاب، شخص أغلى علىًا بأن الحقيقة لاحاجة بها أن تَفَال لتبرز للعبان أننا ربما استطعنا التقاطها على نحو أوثق، دون أن ننتظر الكلّمات وحتى دون أن نأخذها في حسابنا، في ألف من العلامات الخارجية وحتى في بعض الظاهرات غير المرئية الشبيهة في عالم الطباع بما هي عليه التقلبات الجوية في الطبيعة المادية. ولعله كان بمقدوري الشك في الامر إذ كثيرًا ما كان يتفق لي حينئذ أن أقول أمورا لانداخلها أية حقيقة في حين كنت أبرزها في الكثير من النجاوي اللامقصودة الصادرة عن جسمي وأفعالي (التي كانت تفسر أحسن التفسير على يد «فرانسواز» ؛ لعله كان بمقدوري الشك في الأمر، إلا أنه كان ينبغي لذلك أن أعلم أنني كنت آنذلك كذاباً ومخادعاً في بعض الأحيان. ولكن الكذب والخادعة كانت شخكمها لدي، كما هي الحال لدى جميع الناس، شخكمها على نحو مباشر وعارض، وفي سبيل أن يدافع فكري عن نفسه، مصلحة خاصة إلى حد أن فكري المنصب على مثل أعلى نبيل كان يدع لطباعي أن تنفّذ في الظلام قلك الأعمال الملحة والهزيلة ولا يلتفت إليها ليراها.

وحينما كانت افرانسوازا لطيفة معي في المساء وكانت تستأذنني في الجلوس في غرفتي كان يخيل إلىّ أن وجهها أضحى شفافاً وأنني ألمح فيها الطيبة والصراحة. ولكن «چوبيان» الذي كانت له أدوار في إفشاء الأسرار لم أعرفها إلا فيما بعد كشف مذ ذاك أنها كانت تقول إني لا أساوي الحبل الذي أشنق به وانني حاولت أن الحق بها كل ما أمكن من أذى وأخرجت أقوال «چوبيان» هذه أمامي في الحال وفي لون مجهول لديّ صورة عن صلاتي بـ • فرانسوازه مختلفة عن تلك التي كان كثيرا ما يطيب لي أن أحط بنظراتي عليها والتي كانت افرانسواز، دون أدني تردّد تعبدني فيها ولا تضيع فرصة في الاشادة بي إلى حدّ أني أدركت أن المالم المادي لا يختلف وحده عن المظهر الذي نشاهده فيه، وأن كل حقيقة ربما كانت في مثل اختلافه عن تلك التي نحسب أننا ندركها مباشرة والتي نكوّنها بوساطة أفكار لاتبرز للعيان ولكنها ناشطة، مثلما لن تبدو الأشجار والشمس والسماء على مثلما تبصرها لو عرفتها كالنات لها عيون كونت تكوينا مغايراً لعيوننا أو هي تملك من أجل هذا العمل أعضاء غير العيون تزودنا عن الأشجار والسماء والشمس بمقابلات لها ولكنها غير بصرية. وقد روعتني هذه الفرجة المفاجئة، على النحو الذي تمت به هذه الفرجة التي فتحها ذات مرة «چوبيان» أمامي على العالم المحقيقي، مع أن الأمر لم يكن يتعلق إلا بـ «فرانسواز» التي قلما كنت أهتم بها. فهل كان الأمر كذلك في سائر العلاقات الاجتماعية؟ وإلى أي يأس يمكن أن يقودني ذلك ذات يوم إن كان الأمر واحداً في الحب؟ كان ذلك سرّ المستقبل. أما أنذاك فكان الأمر يدور حول وفرانسوازه وحدها. فهل كانت تعتقد اعتقاداً صادقاً بما قالت لـ «چوبيان» ؟ وهل قالته لمحض أن تخلف بين «چوبيان» وبيني، وربعا كي لايتم استخدام اينة وجوبيان، لتحلُّ محلها؟ ومهما يكن من أمر فقد أدركت استحالة أن أعلم على نحو مباشر وأكيد إن كانت «فرانسواز» تخبني أو شمقتني. وهكذا كانت أول من زودني بالفكرة التي مفادها أن الشخص، أي شخص، ليس واضحاً وثابتاً أمامنا بصفاته وعيوبه ومشروعاته ومقاصده إزاءنا، كما سبق أن ظننت، (شأن حديقة تنظر إليها بجميع أحواضها عبر سياج) بل هو ظلَّ لا نستطيع البتة النفاذ إليه وليس من معرفة مباشرة به وننشىء من حوله فيما يخصه ظنوناً عديدة بوساطة أقوال وحتى أفعال، ولا تزودنا هذه وتلك إلا بمعلومات غير كافية ومتناقضة على أي حال، ظلَّ يمكن أن نتصور على التوالي وبمقدار الاحتمال نفسه أن الكراهية والحب يلتمعان فيه.

كنت أحب السيدة «دو غيرمات» حقا. ولعل أعظم سعادة كان يمكن أن أطلبها من الله كانت أن يصب عليها الفواجع كافة وأن تُقبل عليّ يعدما تفقد كل مالها واعتبارها وتنزع منها جميع الامتيازات التي تفصلني عنها، ولا بيت لها من بعد تسكنه ولا جماعة يقبلون أن يجوها، أن تقبل عليّ لتسألني المأوى. كنت انخيلها تفعل ذلك. وحتى في العثيات التي كان يجلب فيها تبدل ما في الجو أو في صحي لفيقة منسية إلى ساحة وعي، وقد سجلت عليها انطباعاتي بالأمس، كنت أفضل بدلاً من الإفادة من قوى التجديد التي ولدت منذ قليل في داخلي، وبدلاً من استخدامها لأستجلى في مسنوي ألمكاراً كانت تدخلي علمي عادة، وبدلاً من مباشرة العمل، أن أشكام بصوت مرتفع وأفكر بطريقة مضطوبة خارجية ما كانت سوى قول وحركة يدين لاجدرى منهما ورواية كاملة من مغامرات محضة عقيمة لا حقيقة لها تقبل فيها الدوقة وقد حل بها المؤمل لتومل إلي أنا الذي أصبح بفعل طروف محكومة غنيا ومقتدراً. وبعداما أقضي ساعات على هذا النحو أشخيل ظروةاً وانطق بجمل سوف أقولها للدوقة وأنا استغبلها عجد سقفي كان الوضع يظل على حاله. فقد اخترت في الواقع، والسفي، اخترت بالضبط من أجل أن أحجها المرأة التي ربما جمعت أكبر قسط من الحسات المتخلفة والتي ما كان لي من جراء ذلك أن أترق حيازة أية مكانة في عينها، فقد كانت بمثل ثراء من كان أوفر الناس قروة دون أن يكون من البلاء ؟ ولا ينخل في الصحاب ذلك السحر الشخصي الذي يقرض إيم النامي ويجل منها من يتهن جميعاً ما بشبه لللكة.

كنت أحس أنني لا أروقها أذ أمضي كل صباح للقائها. ولكن حتى لو توافرت لي الشجاعة لأظل يومين أو ثلاثة دون أن أتى ذلك، فريما لم تلاحظ السيدة ٥دو غيرمانت، هذا الامتناع الذي يمثل في نظري تضحية ذات بال، أو ربما ردّته إلى حائل لادخل لإرادتي فيه. وما كان بالفعل باستطاعتي أن أفلح في التوقف عن الذهاب على طريقها إلا إذا تدبرت أمري ليستحيل على إنيان ذلك، لأن الحاجة المتجددة دوماً إلى لقائها وإلى أن أكون مقدار لحظة موضع اهتمامها والشخص الذي يوجه إليه سلامها، تلك الحاجة التي كانت أقوى من همي من أن أسوء في عينيها. كان ينبغي أن أبتعد إلى حين، وما كنت أجرؤ على ذلك. كنت أفكر في الأمر بين الحين والحين، وأقول لـ ٥ فرانسوازه إذ ذاك أن ترتب حقائيي، ثم أن تفرغها بعد ذلك في الحال(١١). وما كانت مخب ذلك وتقول إنَّى وأترجَّح، أبدأ، إذ كانت تستخدم حين لاتبغي منافسة المحدثين لغة دسان سيمونه ذاتها. وصحيح أنه كان يروقها أقل من ذلك أيضاً حينما كنت أتخدث بلهجة الأسياد. كانت تعلم أن الأمر غير طبيعي لديّ ولا بالاثمني، وهو ما كانت تعبّر عنه بقولها «إن الارادي لايماشي شخصيتي». وما كانت لتتوافر لى الجرأة في الذهاب إلا في المجاه يقربني من السيدة ددو غيرمانت، ولم يكن ذلك بمستحيل. أقليس يعني بالفعل أنني أكثر قرباً منها مما كنت صباحاً في الشارع وأنا وحيد مُذلِّ أشعر أن ليس تصلها في يوم فكرة واحدة من الأفكار التي أردت لو أبعث بها إليها، وفي هذه المراوحة في المكان نفسه التي تتم بها الزهاتي التي قد تدوم إلى مالا حدود دون أن مجمديني نفعاً، – إن أنا ذهبت على بعد فراسخ عديدة من السيدة ٥دو غيرمانت، ولكن إلى منزل شخص تعرفه وتعلم أنه متصعب في انتقاء معارفه وهو يقدرني حق قدري ويستطيع أن يحدثها عني وإن لم يحصل منها على ما أريد فأن يعلُّمها على الأقل بذلك، شخص أضفى بفضله على أحلام يقظتي المتوحدة البكماء شكلاً جديدًا منطوقاً ناشطاً يبدو لي تقدماً ومايقرب أن يكون انجازاً بمحض أن أنظر معه إن كان يستطيع أو لايستطيع أن يأخذ على عاتقه إبلاعها هذه الرسالة أو تلك؟ وما كانت تفعله في أثناء الحياة الغامضة التي تقضيها سليلة آل ٥غيرمانت٥، ذاك الذي كان يؤلف موضوع تفكيري الحالم المستمر، أليس التدخل فيه، وإن على نحو غير مباشر وكأنما بعتلة، وذلك بتحريك شخص لايحظر عليه دخول فندق الدوقة وأمسياتها والعحديث المستقيض معها، أليس ذلك اتصالاً أكثر بعداً ولكنه أوفر حقيقة من

⁽١) وسا أن شيغان التقليد والاعتباع عن الطهور بسظهر من ولت أيامه يتسد الشكل الأفرب إلى الطبيعة والأوفر الله بلنانه فقد كانت افرانسوازه تقول إلى اهمول، واقتبس هلما التصبير من مفردان ابتتهالارودت المختبة نمى عن النصر).

تأملي لها كل صباح في الشارع؟

كان يبدو لي أنني لم أكن أهلاً للصداقة والاعجاب اللذين يكنهما لي «سان لو» وظلا لايثيران اهتمامي.

وفجأة أوليتهما أهمية ووددت لو يكشف عنهما للسيدة «دو غيرمانت» ولعلني كنت قادراً أن أطلب إليه القيام بالأمر. ذلك أن المرء يبغي حالما يمثق أن يكون بمقدورة إذاعة سر جميع الامتيازات الصغيرة الجهولة التي يملكها على المرأة التي يعجها مثلما يقمل في الحياة المجرومون والثقلاء. وبعلنها أنها جمهلها ونحاول أن تعزي النفس بقولنا إنها ربما تضيف إلى الفكرة التي تخملها عنك، يما أن هذه الامتيازات لانظهر قط للميان، هما الأحيال الإيملمها المرء.

كان دسان لوه لايستطيع منذ فترة طويلة الجيء إلى باريس إما بسبب متطلبات مهنته، حسما كان يقول، وإما بالأحرى بسبب صنوف غم كانت تسببها له عشيقته التي أوشك مرتبن أن يقطع علاقاته بها. لقد سبق أن قال لي مراراً عن المتمة التي أوفرها له إن ذهبتُ لرؤيته في تلك الحامية التي بعث اسمها في نفسي، بعد غد اليوم الذي غادر فيه «بالبيك»، الكثير من السرور حينما قرأته على مغلف أول رسالة وصلتني من صديقي. كانت، وهي أقل بعداً عن هبالبيك، مما قد يوهمك المشهد الأرضى كلياً، كانت واحدة من تلك المدن الصغيرة الارستقراطية العسكرية المحاطة بحقول واسعة كثيراً ما يخفق فوقها أيام الصحو في البعيد ضرب من البخار الرنان المتقطع الذي يكشف - مثلما يرسم حاجز من شجر الحور بتمرجاته مجرى نهر لاتبصره -تبدلات مطارح كتيبة في مناورة حتى ليبلغ الأمر بجو الجادات والشوارع والساحات أن يكتسب نوعا من الاهتزاز الموسيقي والحربي وأن تتردد فيه الضجة الأكثر فظاظة المتبعثة من عربة نقل أو من حافلة نداءات بوق غامضة يرددها السكون إلى مالا نهاية في الاسماع الواهمة. لم تكن بعيدة عن باريس إلى الحد الذي لا استطيع معه إذ انزل من القطار أن أعود وألقى أمي وجدتي وأنام في سريري. وحالما أدركت ذلك هزتني رغبة مؤلمة وبخمع لديّ القليل جداً من الارادة كيما أقرر الامتناع عن الرجوع إلى باريس والبقاء في المدينة. ولكنما القليل جداً كذلك لامنع مستخدماً أن يحمل حقبيتي إلى عربة وكي لا أتخذ وأنا أسير وراءه النفس الخالية التي لمسافر يراقب حوالنجه ولاتنتظره أية جدة، ولا أصعد إلى العربة بطلاقة من يبدو، بعدما كف عن التفكير بما يريد، وكأنه يعلم ما يريد، ولا لأأزود الحوذي بعنوان حي الفرسان. كنت أحسب أن دسان لوه سوف يجيء لينام تلك الليلة في الفندق الذي سأحل فيه كبي أجعل أول اتصال بهذه المدينة المجهولة أقل إقلاقا لي. · ومضى رجل من الحرس في طلبه وانتظرته على باب المحلة أمام هذه السفينة التي تدوّي بربح تشرين والتي كان يخرج منها في كل لحظة، إذ كانت الساعة تبلغ السادسة مساء، يخرج رجال إلى الشارع أزواجا يترنحون كما لو ينزلون إلى اليابسة في مرفأ غريب توقفوا فيه مؤقتاً.

ووصل دسان لوء وهو يتحرك في كل جهة ونظارته تطير أمامه. ولم أكن أعربت عن اسمي وكنت أتلهف إلى الاستمتاع بدهشته وضياته.

وصاح إذ أبصرني فجأة فأحمر حي أذنيه: «آه باللمشكلة، لقد حصلت على إجازتي الأسبوعة منذ 13 م

قليل ولن يمكنني الخروج قبل ثمانية أيام!

وإذ شغلته فكرة أن يراني أقضي هذه الليلة الأولى وحدى، لأنه يعرف أفضل من أي إنسان ما يعربني من صنوف ضيق في المساء وكثيراً ما لاحظها وهون منها في وبالبيك، و نقد كان يقطع شكاراه لبلتفت إلىّ ويوجه إليّ بسمات صغيرة ونظرات وقيقة غير متساوية بأتي بعضها من عينه مباشرة وبعضها الأخر عبر نظارته، وكلها تشير إلى هذا الأمر الهام الذي يهزه من جراء لقياي كما تشير إلى هذا الأمر الهام الذي ما كنت بعد ادركه ولكنه أضحى يهمنى الآد، عنيت صلاقتنا.

وياإلهي: وأين ترمع أن تنام؟ حمّا إني لا أشير عليك بالفندق الذي تنزل فيه فهو إلى جانب المرض
 حيث تزمع أن تبدأ الاحتفالات وسيكون ثمة جمهور ضخم. لاء الأفضل لك فندق وفلاتدره فهو قصر صغير
 قديم من القرن الثامن عشر بمفروشات قديمة، و ويليس، إلى حدّ ما ولبوس النزل التاريخي القديم،

كان وسان لوء يستخدم في كل مناسبة عبارة ويلس لبوس كناه بدلاً من وبيدوه لان اللغة المحكوة، شمس بين الدين والحين بحاجة هذه التغييرات في معاني الالفاظ وصنوف التأتن في التغيير. ومثلما يجهل الصحفيون في الغالب إلي أية مدرسة أدبية تعرد وجوه الأناقذة التي يلجؤون اليهاء كذلك كانت مفردات وسان لوء وإلفاؤه المنه مصنوعة من معاكاة ثلاث نزعات جمالية محتلفة لاسموقة لا لمرقة له بأي سنها ولكنه تشرب صبيفها الكلامية على نسو غير مباشر واختيم كلامه قائلاً: وإن هذا الفندق على أية بأي سنها الفندق على أية أنه يمكن أن يصل مسافر آخر في المغذ فليس من داع لاختيار هذا الفندق في سبيل نتاتج غير ثابتة. لا، إنه أنه يمكن أن يطل مسافر أخرة في إلى القلب إلى حدًا ما والأثاث كله قديم ومربع نما يوحي بالأطمئنان. أما بالناسبة إلى أنا الأقل ولما بالفن من وسان لوء فقد كانت المتعد التي يمكن أن يوليها منزل جميل سطحية أما بالديب عليه تشول في إلى المناس في وكوميريه حيداً لايجيء والدعي لتقول في ليلة مسيدة أو ذاك الذي أما بي يوم وصولي إلى وبالبيك في الغرقة المفرقة الارتفاع التي تنبط منها رائحة وطيب المربء، وأورك ومان لوء فلك من نظري المابية في الغرقة المفرقة الارتفاع التي تنبط منها رائحة وطيب المربء، وأورك ومان لوء فلك من نظري المابية في الغرقة المفرقة الارتفاع التي تنبط منها رائحة وطيب المربء، وأورك ومان لوء فلك من نظري المابية المنها الموساء المناسبة والمناس في الأمية المفرقة المؤركة والمناب من نظري المفرقة المفر

ولكتك لاتبالي البتة ياصغيري المسكين بهذا القصر الجميل، وأنك شديد الشحوب. وأحدثك أنا حديث البهيم عن أثاث لن يطاوعك الفؤاد حتى في انتظر إليه. إني أعرف الغرفة التي قد يخصونك بها، وإني شخصياً أجدها بهيجة ولكني أبين تماماً أن الأمر بالنسبة إليك وبالنظر إلى حساسيتك مختلف. لا تحسب أني لا أقيمك، أنا لا أحس الأحساس نفسه ولكني أضم نفسي مكانك. ٤.

وابتسم ضابط صف كان بجرب حساناً في الباحة وهو شديد الامتمام بعمله على الوئب ولا يستجب لتعيات الجزد بل يصب وابلاً من الشتائم على رأس الذين كانوا يقفون في دربه، ابتسم في تلك اللحظة لـ دسان لواء وحَى إذ لاحظ آتذاك أن ثمة صديقاً مه. ولكن حصانه انتصب بكامل قامته وهو يزيد. وارتمى هـان لوه على رأس وأخله بمقوده وأفلح في تهدئته وعاد إلى وقال لي:

«أجل، أؤكد لك أنني أتبين ماتمانيه وأتألم من جرائه». وأضاف يقول، وهو يضع بده بحنان على

كتفي: ويحمسني أن أنكر أنني لو امتطعت البقاء بالقرب منك فريما أمكنني بالتحدث إليك حتى الصباح أن أزيل عنك قايلاً من حونك. وكنت أعرنك كتباً ولكنك لن تستطيع القراءة إن كنت على هذا النحر. ولن يتسنى من يحل محلي هنا، فقد أقدمت على الأمر مرتين على التوالي لان صغيرتي كانت قد جاهت.

وكان يقطب حاجيه بسبب انزعاجه وبسبب جهده في البحث، شأن الطبيب، في أي دواء يمكن أن يستعمل في دائي. وقال لجندي يعبر طريقه:

وأسرع وأشعل نارا في غرفتي. هيا أسرعٌ من ذلك، استعجل،

ثم يلتفت إلىّ من جديد وكانت النظارة والنظرة القصيرة تشيران إلى صداقتنا العظيمة.

ولا، فأنت ههنا في الحي الذي كثيراً ما فكرت فيه بك: لا أستطيع أن أصدق عيني وأحسبني أحام. والصحة، في نهاية المطاف، هل هي بالأحرى في تخسن؟ سوف تروي في عن كل ذلك بعد قليل. سوف نصعد إلى عرفتى ويحسن ألا نمكث كثيراً في الباحة فالهواء يهب قوياً هناك، أما أنا فكدت لا أحس به من بعد، ولكنما أخاف بالنسبة إليك، أنت الذي لم يتموده، أن يصبيك البرد. والشغل هل باشرته؟ لا؟ ياما أغربك! لو اتفقت في مواهبك ظنتنني أكتب من الصباح إلى المساء. إلت بحد تسلية أكبر في ألا تفعل شيئا. وأية مصبية أن يكون الفضحال أمثائي من هم أبلنا على استعداد لعمل ولا يهد من يستطيعون ا ولكني لم أسالك حتى عن أخبار المسينة جنتك. إن كتابها عن ويرونونه لايغارئني،ه

وطلع من أحد الأدراج ضابط مديد القامة جميل مهيب يمشي بخطى وثيدة جليلة، وحياه ومان لوه وجمد تقلقل جسمه المستمر مه يكفي ليرفع ينه إلى جانب قبحته بحركة بالغة السرعة وتركها تسقط حال انتهاء التحية بحركة مفاجعة وهويدل جميع مواقع الكتف والساق والنظارة حتى بنت تلك اللحظة أقل جمودا منها توترا عنيفا تتمادل فيه الحركات المبالغ فيها التي جرت منذ قليل وتلك تزمع أن تبدأ. أما الضابط فقد رفع هو الآخر بده إلى قبعته العسكرية ولكن دونما استمجال ودون أن يقترب فيذا هادئا لطيفا رزينا امبراطوري المظهر يمثل باختصار القول نقيض وسان لوه تماما. وهمس وسان لوه في أذني قائلا:

ديبب أن أقول كلمة للنقيب، فكن لطيفاً وامضِ فانتظرني في غرفتي، إنها الثانية إلى اليحين في
 الطابق الثالث وسألحق بك بعد لحظة،٤

وانطلق مهرولاً تسبقه نظارته الذي كانت تطير في كل الجمّاء ومشى رأسا إلى النقيب الرزين الوليد الحركة الذي كان يُعاد إليه حصانه في تلك اللحظة والذي كان يصدر قبل استعداده لامتطاء صهونه بعض الأوامر بنبل في الحركات مدروس كانما في بعض اللوحات التاريخية وكأنما هو ذاهب ينشد معركة زمن الامبراطورية الأولى في حين كان عائداً إلى منزله فحسب في البيت الذي استأجره للفترة التي سيمكث فيها في «دونسييرا والذي كان يقع على ساحة سميت، وكأنما بفعل سخرية سابقة لأوانها إزاء هذا النابليزي النوعة، ساحة الجمهور. وتقدمت في الدرج وأنا أكاد أترحاق لذى كل خطوة على تلك الدرجات المزروعة بالمسامر وأبصر

غرفًا عارية الجدران بصف أسرتها المزدوج وأمتعتها. ودلوني على غرفة «سان لوه فظللت فترة أمام الباب المغلق إذ كنت أسمع من يتحوك، كانوا يحركون شيئاً ويدعون آخر يسقط. كنت أحس أن الغرفة غير خالية وأن ثمة أحداً. ولم يكن ثمة سوى النار للشتعلة تخترق. لم تكن تستطيع الهدوء وكانت تبدل مواضع الحطبات تبديلاً أبعد ما يكون عن البراعة. فلخلت وتركت واحلة منها تتهاوي وجعلت أخرى يتعالى دخانها. وحتى حينما لاتبدي حراكاً، فقد كانت تُسمعك في كل حين، شأن السوقة من الناس، أصواتاً كانت تظهر أمامي، بما انني أشاهد اللهب برتفع، على أنها أصوات تطلقها النار، إلا أني لو كنت في الجانب الآخر من الجنار لخلتها تنطلق من شخص ينفُّ ويمشي. وأخيرا جلست في الغرفة. كانت هنالك ستائر من قماش والليبرتي، وأقمشة ألمانية من القرن الثامن عشر مخميها من الرائحة التي تنبعث من باقي البناء غليظة تفهة متفسخة كرائحة الخبز الأسمر. ولعلني كتت هنا، في هذه الغرفة، تناولت عشائي ونمت بسعادة وهدوء. كان «سان لو، يبدو وكأنه حاضر تقريباً فيها بفضل كتب العمل التي كانت على طاولته إلى جانب صور شمسية عرفت من بينها صورتي وصورة السيدة ٩دوغيرمانت، وذلك بفضل النار التي تمودت، في نهاية المطاف، الموقد فأخذت، شأن حيوان يرقد في انتظار حار وصامت ووفيّ، تدع بين الحين والحين فحسب لجمرة أن تسقط فتنفرط أو تلعق جانب الموقد بلهبها. كنت أسمع تكتكة ساعة وسان لوه، ولابد أنها لم نكن بعيدة عني. كانت تلك التكتكة تبدُّل في كل لحظة موقعها لأنني لم أكن أبصر الساعة. كان يبدو لي أنها بجيء من خلفي، عن يميني، عن يساري وتتلاشى أحيانا كأنما هي بعيدة جداً. وفجأة اكتشفت الساعة على الطاولة. حينلد سمعت التكتكة في مكان ثابت لم تترحزح عنه بعد ذاك. كنت أحسب أني أسمعها في ذلك المكان، وما كنت أسمعها هناك بل آراها إذ ليس للأصوات مكان. بيد أننا نقرنها على الأقل بحركات وهي بذلك تفيدنا في اتقائها وفي أنها تبدو وكأنها تجملها ضرورية وطبيعية. ويتفق أحيانًا بالطبع ألا يسمع من بعد مريض سُدت أذناه سدًا محكماً صوت نار شبيهة بالتي كانت تردد أصواتها في هذه اللحظة في موقد «سان لو» فيما تعمل على صنع جمرات ورماد تسمح لها فيما بعد بالسقوط في سلتها، وأن لا يسمع كذلك مرور الحافلات التي كانت تنطلق موسيقاها، على فترات منتظمة، في ساحة «دونسيير» الكبري. ولَيْقرأ المريض حينذاك فإذا الصفحات تُقلبُ دونما ضجة وكأنما يقلبها إله. وتدفف الضجة المتناقلة المنبخة من حمَّام يشهر إعداده وتلطف وتبتعد كزقزقة سماوية. إن تراجع الضجة وخفتها مجردها من كل قدرة عدائية إزاءنا. بعدما جَنَّا منذ قليل من جراء ضربات مطرقة كانت تبدر وكأنها تزلزل السقف على رأسنا يروقنا الآن أن نجمعها خفيفة رقيقة بعيدة كهمس الأوراق تلهو مع الأنسام على الطريق. إنّنا نحرز تجاحات بورق لعب لا نسمعه إلى حد أننا نظن أننا لم نحركه وأنه يتحرك من تلقاء نفسه واستبق رغبتنا في اللعب معه فشرع يلعب معنا. ويمكن بهذا الصدد أن نتساءل إن كان لا يجدر بنا بشأن والحب، (نضيف إلى والحب، أيضا حب الحياة وحب المجد بما أن لمة فيما يبدو أناسا يعرفون هاتين العاطفتين الأخيرتين) أن نفعل ما يفعله هؤلاء الذين يسدون آذاتهم دون الضجة عوضاً عن أن يلتمسوا توقفها، وأن نصرف انتباهنا وحالتنا الدفاعية، شأنهم، إلى داخل ذاتنا وأن نعطيهما لا الكائن الخارجي الذي نحبه بل قدرتنا على التألم من جرائه وذلك بمثابة حاجة يخضعانها.

وإما عدنا إلى العموت، فلنزد من سماكة الكرات التي تسد القناة السمعية فاذا هي تضطر الفتاة التي كانت تعرف فوق رأسنا لمحاً صاخياً للتخفيف التام. ولتطلّ واحدة من تلك الكرات بمادة دهنية وفي الحال يخضع البيت كله لاستبداهما وتمتد قوانيتها نفسها إلى الخارج، فالتخفيف التام ليس كافياً من بعد بل تقوم الكرة على الفور بإغلاق المضارب ويختم درم الموسقى على نحو مفاجع، والسيد الذي كان يسير فوق رأسنا
يوقف طوافه دفعة واحدة، وينقطع سير العربات والحافلات كما لو يتم انتظار رئيس دولة. وإن تقليص الأصوات
ليمث أحياناً في النوم الاضطواب عوضاً عن أن يحميه. فالضجيج المتواصل كان لايزال البارحة يحمل إلينا
النوم في الفهاية، مثان كتاب على، إذ يصف لنا على نحو لا ينقطع الصركات في الشارع وفي البيت، أما اليوم
يتفلع صدمة أخد من الأخريات في أن تبلغ الأصماع، خفيفة كما الرفرة، لايبطها وباط باي صوت آخر،
ونافزة بالأسرار، على صفحة الصمت المحتد فوق نومنا، ويهدو الاستضار الذي تبدئه كافياً لإيقانانا. ولننزع
على المكس، ممنى لحظة، قطم القعلن المراكمة فوق غضاء طبلة الريض، يطلع فجأة ضياء الصوت، بل شمسه
المحافدة، تعمي الإبصار وتبعث من جديد في الكون. ويمود جمهور الضجيج النفي بأقصى السرعة، ونشها
المحافلات المتعدن من بلوت كما لو رئها ملاكمة موسيقيون. وتشعلي الشوارع الخالية منى لدعظة بأجدمة
المحافلات المتعدن الموت النار. وإن نحن زدنا من قطع القطن، إن نحن أطلقناها فكأنما نحرك بالتناوب هذه
وتلك من الدواستين المتين تحت إضافتهما إلى دوي العالم الخارجي.

بيد أن ثمة أيضاً إزالات للضجة ليست مؤقتة. فالذي أضحى كليّ الصمم لايستطيع حتى تسخين زجاجة حليب على مقربة منه دون أن يضطر أن يرقب بعينيه على الغطاء المفتوح الوهج الأبيض الذي من أقاصى الشمال والشبيه بوهج عاصفة ثلجية وهو العلامة المنبئة التي يبدو من التعقل الانصياع لها بسحب المَآخذ الكهربائية مثلما الرب يوقف الأمواج. ذلك أن الشكل البيضوي الصاعد المنقبض للحليب الذي يغلي إنما يتم مذ ذاك فيضانه في بضعة من التموجات الماثلة وينفخ بضمة أشرعة نصف منقلبة سبق أن غضنتها القشدة، ويدورها ويقذف منها في العاصفة شراعاً صدفياً، وإن تم تفادي العاصفة الكهربائية في الوقت للناسب، فإنما يجعلها انقطاع التيارات ندور جميعها على نفسها ثم يقذف بها إلى التهلكة وقد انقلبت توبيجات همانيولياه. ولو لم يتخذ المريض الاحتياطات اللازمة بالسرعة الكافية لاضطر، إذ تكاد كتبه وساعته الغارقة لاتبرز بعد قليل على صفحة بحر أبيض، بعد هذا التيار المعاكس من الحليب، أن يستغيث بخادمته العجوز التي سوف تقول له، وإن كان رجلا سياسياً شهيراً أو كاتباً كبيراً، إنه ليس أكثر تعقلاً من ابن خمس سنوات. وأحيانا أخرى يطلع شخص لم يكن هنا منذ قليل في الغرفة المسحورة أمام الباب الموصد، إنّه زائر لم يتم سماع دخوله ويقوم بإشارات فحسب كما هي الحال في واحد من مسارح العرائس الصغيرة المربحة إلى حد بعيد بالنسبة إلى أولئك الذين كرهوا لغة الكلام. وبما أن فقدان أحد الحواس، بالنسبة إلى هذا الأصم الكلي، إنما يضيف إلى العالم مقداراً من الجمال يساوي ما يفعله اكتسابه، فهو يتنزه الآن مستمتعاً على أرض قاربت أن تكون من جنات عدن ولم يتم بعد فيها خلق الصوت. إن أكثر الشلالات ارتفاعاً تبسط لعينيه وحدهما صفحتها البلورية وهيء أشد هدوءا من البحر الساكن وفي صفاء شلالات الجنة. وبما أن الضجة حركة كانت تؤلف بالنسبة إليه قبل صممه الشكل المحسوس الذي يرتديه سبب حركة ما فإن الحاجات التي يتم تخريكها دون ضجة تبدو وكأنما تم لها ذلك دون سبب، وهي تَظهر بعدما خلت من أية ميزة صوتية نشاطأ تلقائياً وتبدو وكأنما تدب الحياة فيها ؛ إنها تتحرك وتسكن وتشتعل من تلقاء ذاتها. ومن تلقاء ذاتها تطير شأن وحوش ما قبل التاريخ الخرافية المجنحة. والخدمة التي كانت تبدي، قبل أن تكتمل العاهة، في منزل الأصم المنعزل الذي لاجيران له، حذراً أكبر منذ ذلك الحين وتتم في صمت، إنما تتم الآن بشيء من الخلسة على يد بكم مثلما يتفق ذلك لملك من عالم الغرائب. وكما هي الحال على خطبة المسرح ليضاً لايعدو البناء الذي يوم ييصره الأصم من نافلته – أفكنة كان أم كنيسة أم دار مختار – كونه محض زينة. فإن اتفق أن ينهار ذات يوم فيمكن أن يمث سحابة من الغبار ويخلف أنقاضاً مرتبة، ولكنه يتهارى، وهر أقل كثافة حتى من قصر مسرحي لايملك مع ذلك رفته، يتهارى في العالم المسحور دون أن يلوت تهاري حجارته المنحوتة الثقيلة نقاء السكون بتضاهة أبة ضبة.

فأما السكون الذي يفوقه نسيية بكثير والذي كان يسود الغرفة العسكرية الصفيرة التي كنت فيها منذ حين فقد تخطم لقد انفتح الباس ودخل «سان لوه مسرعاً وقد ترك نظارته تهوي. وقلت له:

· • أه! يا دروبير، كم يشعر المرء بالراحة لديك، وما أجمل أن يُسمح بالعشاء والنوم ههنا!»

وأية راحة لايشوبها غم كنت تلوقتها بالفعل، لو لم يكن الأمر تمنزعاً، يحميني هذا البجر الذي قوامه الاطمئنان واليقظة ولمارح تفنيها جميعها ألف مشيئة منظمة لاقلق فيها وألف فكر غير مبال في هذه الجماعة الكبيرة التي هي التكنة حيث انخذ الزمان شكل العمل فحلت محل ناقوس الساعات الحزين الجوقة المفرحة نشمها المؤلفة من تلك النداءات التي كانت ذكراها الدابية معلقة باستمرار فوق وصيف المدينة، مفتنة مطمونة – هذا المعرف المتين من بلوغ الأسماع والموسيقي لأنه لم يكن أمر السلطة للطاعة فحسب، بل أمر الحكمة للساعة:

وقال لي دسان لوه وهو يضحك: وأم! لملك تفضل النوم ههنا بالقرب مني على الذهاب وحلك إلى الفندقية .

فقلت له: «ويحك يا «روبير»، إنك قاسي القلب في حملك الأمر محمل السخرية بما أنك تعلم أنه مستحيل وأنني سوف أقاسي الكثير هناك.»

فقال: «بالك؛ إنك ترضي كبريالي فقد خطوت لي هذه الفكرة تلقائياً، فكرة أنك ربهما فضلت البقاء ههنا هذا المساء، وذلك بالضبط ما ذهبت أطلبه من النقيب.:

وصحت قائلاً: ﴿ وَهُلُ أَذِنْ ﴾ ؟

- قدون أية صموبة

- وآءا إني أعبدها!

– ولا، تلك مغالاة، وأضاف قوله، فيما كنت أستدير لأخفي دموعي: دوالآن دعني أنادي حاجبي كي يهتم بأمر هشاتناه.

ودخل عدة مرأت هذا أو ذاك من رفاق وسان لوء فكان يلقي بهم خارجاً.

- هيا، ارحل من هناه.

وكنت أطلب إليه أن يسمح لهم بالبقاء.

— لا، لاا ققد برهقونك: فإنهم قوم غير متقفين على الاطلاق ولا يستطيمون التحدث إلا عن سباقات الخيرة، إن لم يتحدلوا عن حي الدواب. ثم انهم حتى فيما يتحسني قد يفسدون علي هذه اللحظات الثمينة جنا التي شد ما نقت إليها. ولأحظ أني إن أتخدت عن ضحالة رفاقي فليس يعني أن كل عمكريا يفتقر إلى الفكر، وبا أبيد أن يكون ذلك. إن لدينا رائداً هو رجل رائع. فقد ألفي دروساً عولج فيها التاريخ المسكري بمثابة برهان، بمثابة نوع من الجبر، وإن ذلك ليبلغ حتى على الصعيد الجمالي روعة استقرائية تارة وطوراً استتباجة ولن تظل بارد الشعور إزاءها.

- وأفليس النقيب الذي سمح لي بالبقاء هنا؟ه

- 18، والحمد لله، لان الرجل الذي انسبه، لامر زهيد إنما هو أكبر معتوه حملته الأرض في يوم. إنه لاعيب فيه للاهتمام بالاطعام وبلباس رجاله، إذ يقضي ساعات يرفقة الرقيب الأول روئيس الخياطين، تلك
عقليته. وهو شديد الازدراء على أية حال، مأن جميع النام، لدارت الراته الذي احتلال عنه، وليس من يتردد
على ذاك الأخير لأنه ماسوني ولا يبادر إلى كرسي الاعتراف، ولمل أمير وبروديوه لا يستقبل البتة لديه هذا
البروجوازي المستجر، يد أنها وقاضة لاتعاليها وقاضة من رجل كان أبر جده مزارعاً صغيراً ولمله ظل على
الأرجع مزارعاً لولا حروب نابليون، وأنه ليتبين قليلاً على أية حال الموضع الذي ولاهو خلراء، وضعه
ينها الجمعية، وبكاد هذا الأمير المزعم لا لمحب إلى نادي سباق المخيل الذي على بالضيرية، يشيف
قرويم الذي كان بجمع وقد قائدة روح الحاكثة إلى تني نظيات أسياده الاجتماعية ومزاعم والديه المجتمعية،
يهجمه عرد أن يتبه للأمر إلى حب الديمقراطية الزواء نبادة الاحبراطورية.

كنت انظر إلى صورة عمده وزادت الفكرة التي قوامها أن وسان اوه ربما استطاع، إذ بملك هذه المسروة، أن يعطيني إياها، من محبي له وتمنياتي أن أرد ألها من الخدمات التي كانت تبدو لي من زهيد الأمرر في مقابلها، ذلك أن تلك الصورة الشرقية إنما كانت بمثابة لقاء آخر بعداف إلى اللقاءات التي سبق أن تمت لي بالسيدة «دو غيرمانت»، بل وأفضل من ذلك لقاء مطول كما لو توقفت بالقرب مني، نهشل لقلم منيج، في علائلتان وعلى وأسها قبمة حدالتي، وأناحت لي لأول مرة أن أنظر غير معمعل إلى سمين وجنتها المساحة على الأول مرة أن أنظر غير معمعل إلى سمين وجنتها الله كرى لدي) ؛ وكان تأملها بمثابة اكتشاف للبيد ومنة باللسبة إلى يقدر ما هو تأمل الصدر واللراعين لدى المراح أن أنظر ألها محظوراً تقرياً سوف أمرة ما وضوا الطباعاتي ولا تمامك المراة ما رأيها قط إليها محظوراً تقرياً سوف المراح أن المسرو والمراحين لدى يمكنني درامتها هنا وكأنما في بحث للهندسة الخوطية التي كان يدو لي النظر إليها محظوراً تقرياً سوف إلى وروبيرة أنه يبدر هو الآخر إلى حد ما وكأنه صورة لمعته، وفي جو من الاسرار يقارب أن يحمل إلي الانقطال بقال كان يجمها عني وحوباشر، وأن أنظر المناقب عن وكرسريه» على نحو مباشر، الذي كمنقار المناقب عن وكرسريه، الأنف الذي كمنقار المناقب عن وكرسرية المنات مثبة في المصورة التي أحملها عن وكرسريه، الأنف الذي كمنقار المناقب عن المسروة ويقوة من بشرة مفرطة المعقور المناقب على المناقب الذي كنت أنظر نظرة حاسلة إلى هذه بطرطة المناقبة لأن وغيه على نهلة معرطة المنية لأل وغير ملت» إلهاء المناع لألبوة في خليد صورة واروبره التي تطابي نظرت عميرة ألى حدير وسط العالم الذي لا تضبع فيه والذي

نظل منفردة فيه في أسجادها الرائعة التي من عالم الطير إذ تبدو وكأنها انحدرت ايان عصور الميثولوجيه من اقتران الهة بطائر.

لقد اهتزت مشاعر (روبير) من جراء تأثري دون أن يعرف أسبابه. وكان ينضاف إلى هذا التأثر من جهة أخرى الارتياح الذي يسببه دفء النار وخمرة دشامبانيا، التي كانت ترصع في آن معا جبيني بقطرات العرق وعيني بالدموع. كانت تسقى فراخ حجال وكنت آكلها بدهشة غير المطلع أيا كان حينما يلقى في عيشة لم يكن يعرفها ما ظن أنه يتنافى وإياها (كدهشة الملحد يصيب عشاء لذيذاً في بيت كاهن رعية). وفي صباح الغد بادرت حينما استيقظت إلى القاء نظرة من نافذة دسان لو، التي كانت بموقعها الشديد الارتفاع تشرف على كامل المنطقة، نظرة فضول للتعرف بالسهل جاري الذي لم أتمكن من مشاهدته بالأمس لانني وصلت في ساعة متأخرة جدا أن كان يغفي في الظلام. ولكني لم أره، مهما بكر في استيقاظه، لم أره وأنا أفتح النافذة إلا مثلما يرى من نافلة قصر الغدير، إلا وهو ينثر بعد ثوبه الصباحي الناعم الأبيض الذي من ضباب ويكاد لايتيح لى أن أميز شيئا. ولكني كنت أعلم أنه سيكون قد خلمه قبل أن ينهى الجنود الذين يهتمون بالخيل في الباحة عملية حسها. وما كنت أستطيع أن أبصر بانتظار ذلك سوى تلة قليلة الخصب ترفع بجانب الحي تماما ظهرها الهزيل الخشن الذي خلع الظلام عنه ؛ ولا كنت أرفع ناظري من خلال الستائر التي يخرّمها الصقيع عن هذه الغربية التي كانت تنظر إليّ لأول مرة. ولكن حينما تعودت المجيء إلى الحي فقد أفضى الشعور بأن التلة كانت هناك وَأكثر حقيقة بِالتالي، حتى حين لا أراها، من فندق (بالبيك، ومن بيتنا في باريس اللذين كنت أفكر فيهما وكأنما في غيَّاب، كأنما في موتى، أي دون أن أعتقد بوجودهما من بعد، أفضى إلى أن ارتسم شكلها المنعكس باستمرار، حتى دون أن أنتبه للأمر، على أدنى الانطباعات التي وقعت لي في «دونسيير»، ولئن بدأت بهذا الصباح فعلى الانطباع الطيب بالدفء خلفته في الشوكولاته التي أعدها حاجب هسان لوه في هذه الغرفة المريحة التي وكأنها مركز بصري لمشاهدة التلة (إذ أن فكرة القيام بغير النظر إليها كفكرة التنزه عليها مستحيلة من جراء هذا الضباب نفسه الذي يغطيها). وأقبل هذا الضباب الذي يبلل شكل التلة ويقترن بطعم الشوكولاته وبكامل أرضية أفكاري آنذاك. أقبل دون أن أمحضه أقل فكرة يبلل كل أفكاري في ذلك الحين كما مبق أن ظل ذاك الذهب الخالص الذي لايفسد يقترن بانطباعاتي عن الالبيك، أركما كان يضفى وجود صخور رملية سوداء بجوار الأدراج الخارجية بعض الرمدة على انطباعاتي عن «كومبريه». على أنه لم يستمر حتى وقت متأخر في الصباح فقد بدأت الشمس فاستخدمت ضده دون جدوى بعض سهام زينته بشرائط ماسشية ثم أحرزت الغلبة عليه. واستطاعت التلة أن تعرض أردافها الشهباء لاشعة الشمس التي كانت تضفى على حمرة أوراق الاشجار وعلى حمرة اللصائق الانتخابية الموضوعة على الجدران وزرقتها حماسة تهزني بدوري وهجملني أذرع وأنا أغنى الطريق الذي أتمالك نفسي فيه كي لا أقفز من الفرح.

ييد أنه انبغى لى منذ اليوم الثاني أن أمضى لأنام في الفندق. وكنت أعلم سلفاً أتني أرم حدماً أن القى فيه الكآبة. كانت بمنابة أربح خانق تنفة بالنسبة إليّ منا مولدي كل غرفة جديدة وأعني كل غرفة: ففي تلك التي أسكنها عادة لم أكن حاضرًا إذ كان فبكري يمكث في مكان أخر ويمث مكانه بالمادة فحسب. غير أنه لم يكن بمقدوري تكليف هذه الخادمة الهينة الإحساس الاهتمام بأمروي في بلد جديد كنت أسيقها فيه وأصل إليه وحذي وبنبني لي فيه أن أقيم الاتصال بين الأشياء وهذه والأناء التي ما كنت ألقاها إلا قبل سنوات خلت ولكنها واحدة لاتتبدل على الدوام وليم تكبر منذ «كومبريه»، من قدومي الأول إلى «بالبيك» أبكي، دون أن يمكن مواساتي، على زاوية حقيبة مفتوحة.

بيد أني كنت مخطقاً، فلم يتمع لي الوقت للكآبة إذ لم أظل وحدي لحظة واحدة. فلك أنه بقي من القصر القديم فاتض من البلخ لا يستفاد منه في فندق حديث وقد دب فيه في بطالته بعدما جرّد من أي تخصيص عملي نوع من الدجاة: فممرات تعود أدراجها ولتنفي في كل لحظة بغدوها ورواحها الملفين لاهدف لهما، وردهات طويلة كمماش ووخرفة على غرار صالات وبدو وكأنها تسكن هناك أكثر من أنها تؤلف جزءا من للسكن، ولم يسع أحما أن يُدخلها إلى أية شقة ولكنها كانت تعلوف حول شقبي وأفيلت في المحال الترض علي مصحبتها – وهي من هؤلاء الجيران البطلين ولكنهم غير صاخبين، ومن أطبأت الماضي الثانية التي أذن لها بالبقاء دون صحب على باب المجرات المؤجرة والتي كانت تبدي في كل مرة القاها فيها التي أذن لها بالبقاء دون صحب على باب المجرات المؤجرة والتي كانت تبدي في كل مرة القاها فيها التي أذن كل مرة القاها فيها المؤدة عن المجرات حقيقة جمهة جمهة من المحبرات حقيقة جمهة حقيقة جمهة من المحبرات حقيقة حجة صحت ولكنما يضطر المرء أن بلاقها ويتجبها وبرحب بها ساعة يعود. ويحاول الاحتفاع من الإعاج ولا يستطيع أن ينظر بغيرما إجلال إلى الصالة الكبيرة التي تعودت منذ القرل أثلان عن دعالهما التي تجري من حولها دونما اهتمام البتة بالتناظر، عديدة لاتخصى ذاهلة تهرب في أن مند من الصحبرات الصحيرة التي يحرى من حولها دونما اهتمام البتة بالتناظر، عديدة لاتخصى ذاهلة تهرب في من حرفها دونما المتة بالتناظر، عديدة لاتخصى ذاهلة تهرب في فيضى حتى الحديقة المودية المحرات الصحيرة التي تتحدر بيسر كبير بثلاث درجات مثلمة.

وان شقت الخروج أو الدخول دون أن أسفل المصد دون أن يداهدني أحد علي الدرج الكبير كان ثمة درج أصغر خاص لم يعد يصلح للاستخدام، كان يقدم لمي درجاته التي رصفت بمهارة كبيرة الواحدة بملاصقة الأخرى حتى ليدو أن في تدرجها تناسباً ناماً من نوع ذاك الدي في الألوان والمطور والطعرم والتي غالمًا ما غرك فينا شهوات خاصة. على أن الشهوة الكامنة في الصعود والنزول كان لابد لي أن أجيء إلى هنا لاعرفها، كحالي بالأمس في محطة جبلية لأعلم أن فعل الشغى الذي لا نلاحظه عادة بمكن أن يكون للة لاعرفها، كحالي بالأمس في محطة جبلية لأعلم أن فعل الشغى الذي لا نلاحظه عادة بمكن أن يكون للة حينما وضمت قدى أن المربة على المسجود الذي تهينا إلى وحاما الأشياء الذي يطول استخدامنا لها وذلك حينما وضمت قدى أن أن تمرف كما لو استكت المدوية لعادات لم أكسبها بعد ولايمكن حتى إلا أن تضمف عندما تضمي عاداتي أنا، تلك المدوية التي ربما وضمها بل دمجها أكنية الماشق الباب المؤوية التي ربما وضمها بل دمجها تتيات السئائر مدكوناً أحسست لغمي على ضرباً من الملكية المسكرة. وكان موقد من المرم مزين يقملع من تتيات السئائر مدكوناً أحسست لغمي على ضرباً من الملكية المسكرة. وكان موقد من المرم مزين يقعلع من على مقد صغير الأرجل على الاستذاء استفاء مياه أكما أكما لو كنت جالساً على السجة المعلى المنافية المنافية والمسائل عرضها تعلق المجادة تخصل فيها ما يضفي عليها الشماء بناحد، كما تشجل فيها من يفها ما يضفي عليها الشماء بناحد المام المكتبة توضل في اجادة الممدي بقمل حرضها تعلق الأخية على المنافرة تستطول في الجادة الممدي بقمل حرضها تعلق الأخية على المنافرة التعلق المنطور الخشوع وكانت الفرقة تستطول في الجادة المحدي بقمل حرضها تعلق المؤدة تحمل المنافرة المنطور الخشوع وكانت الفرقة تستطول في اجبارة المحدون بهدل عرضها تعلق الأخية وتعلم المنطور المخدود

الذي نبحث عنه فيها مسبحة شهية من حيات قوحية. والأيواب إما تركتُها مفترحة بينما كنت اختلى في هذا المعتزل الأخير، ما كانت الأبواب تكتفي يتليثه دون أن يكف عن كونه متناسقاً والانسمح لنظراتي بتلوق متمة الانساع بعد للذ التركيز فحسب بل تضيف كذلك إلى متمة عزلتي، التي نظل الانشوبها شائبة وتكف عن كونها محجوزة، الشمور بالحرية. كانت هذه الخاوة نعل على باحثة على مترحدة جميلة سعدت بأن تكون جارتي حينما اكتشفتها صباح الفد صبينة بين أسوارها العالية التي لاتمدها بالنور أبة نافذة ولا تملك سوى شجرتي مصدقين كانت اكتفيان لإضفاء عذوبة بتفسيجة على السماء الصافية.

وأردت قبل النوم أن أخرج من غرفتي لاستكشاف كامل مملكتي الساحرة وسرت وأنا أتبع رواقاً طويلاً كرَّمني على التوالي بكل ما يسعه أن يقدمه لي إن لم أشعر بالنماس، فمقعد يقبع في زاوية ومعزف قيثاري، وفوق طاولة جدارية وعاء من الخزف الأزرق ملىء بالنباتات التربينية، وفي إطار قديم طيف سيدة من الماضي ذات شعور معفرة بالمساحين تخالطها أزاهير زرق وتمسك بيدها طاقة من زهر القرنفل. ولما وصلت آخر الرواق قال لي جداره المُصمَت الذي خلا من أي باب، قال بسذاجة: والآن ينبغي أن تعود أدراجك ولكن أنت في بيتك، كما ترى، فيما تضيف السجادة الوثيرة كي لاتؤخذ بالقصور أنني أستطيع إن لم أنم هذه الليلة أن أجيء حافي القدمين، وتؤكد لي النوافذ التي لامصاريع لها والتي كانت تتأمل السهول أنَّها سوف تقضي ليلة بيضاء وأنني إن جثت في الساعة التي أريدها فليس لى أن أخشى إيقاظ أحد. على أنى فاجأت ستارة حجرة صغيرة استوقفها الجدار ولم تستطع الهرب فاختبأت هنا خجلي تنظر إليّ بهلع من كوّتها التي انقلبت إلى زرقة من جراء ضباء القمر. وأويت إلى فراشي ولكن وجود اللحاف والاعمدة الصغيرة والموقد الصفير حال، إذ وضع اهتمامي في درجة لم يكن فيها في باريس، دون أن أصرف نفسي إلى رتابة أحلامي المعتادة. ولما كانت حالة الاهتمام الخاصة هذه هي التي تغلف النوم وتؤثر فيه وتبثله وتضمه على سوية واحدة مع هذه السلسلة أو تلك من ذكرياتنا فإن الصور التي ملأت أحلامي في هذه الليلة الأولى قد استمدت من ذاكرة مختلفة اختلافاً كلياً عن تلك التي كان يستعين نومي بها. ولو أغراني أثناء النوم أن أسمح لنفسي بالانجذاب بانجاه ذاكرتي المألوفة فان السرير الذي لم أتعوده والاهتمام الرقيق الذي أضطر أن أصرفه إلى أوضاع جسمي حين كنت أتقلب كانا كافيين لتقويم مجرى أحلامي الجديد أو للحفاظ عليه. فالنوم أمره كأمر إدراك العالم الخارجي ؛ يكفيك تبدّل في عاداتنا كي ينقلب شاعرياً، يكفي أن نكون أثناء خلع ملابسنا قد أغفينا على سريونا دون أن نبغي ذلك حتى تتغير أبعاد النوم وبتم الإحساس بجماله. ونستفيق ونرى أنها الساعة الرابعة في ساعتنا ؛ إنها محض الرابعة صباحاً ولكننا نظن أن النهار كله انقضى لشدة ما بدت لنا هذه الاغفاءة التي امتدت بضع دقائق والتي لم نسع إليها وكأنها انحدرت من السماء بموجب حق إلهي ضخمة ملأنة مثل كرة امبراطور ذهبية. وإذ أزعجني في الصباح أن أحسب أن جدي كان جاهزاً وأنهم يتنظرونني للذهاب من جهة ٥ميزيكليز، فقد أيقظتني موسيقي كتيبة ظلت تمر كل يوم څخت نافذتي. ولكن النوم الواقع بيني وبينها أبدي مرتين أو ثلاث مرات – وأقول ذلك لأن المرء لايستطيع وصف حياة الناس وصفاً صحيحاً إن لم يغمسها في النوم الذي يغوص فيه والذي يلتف من حولها ليلة إثر ليلة مثلما الجزيرة يحيط بها البحر – من المقاومة ما يكفي ليحتمل صدمة الموسيقى ولم أسمع شيئًا. وفي الأيام الأخرى تراجع لحظة ولكن وعيى، ولا يزال يغطيه مخمل النوم كتلك الأعضاء التي سبق تغنيرها والتي لاتحس بكي، ظل بادئ الأمر خارج الإحساس، إلا في أقصى نهايته وبمثابة ومطابة موهدة من المناصف الكي الحادة التي كانت تناعه بزقوقة صباحية مبهمة وندية. وبعد هذا الانقطاع الطفيف الذي استحال السكون فيه موسيقى كان يعود فيضائي مع النوم حتى قبل أن بكون الحيالة تعدقة الرائة. وكانت منطقة أن المبكون أن الحيالة المتنقة المرائة. وكانت منطقة الأن يكون الحيالة المتنقة المرائة. وكانت منطقة بدو على المسوق المتنشقة لما أرقية أضيقة وبالمنها النوم إلى الحد الذي لم أكن متهماً معه فيما بدن، حيضا مالتي وسان لوع إن كمنت معمد موسيقى، إن لم يكن صوت المرسيقى وهمياً قدر ذلك الذي كنت أصد المسابق على الرأقل ضبة فوق بلاط المدينة. فلماني ما سمعته إلا في طم وخشية أن أسمتها أو لا أستهقظ أو لا أستهقظ أو لا أستهقظ على المكمى فلا أشاهد المرض. ذلك أني حيضا كنت أطل نائماً في الفترة التي ظنت فيها على المحكس أن الفضية لابد أيقظتني، كثيراً ما كنت أعتقد ذلك على مدى ساعة فيما أوالي النوم وأمثل لنفسي بظلال وقيقة على شائة نومي المشاهد المختلفة التي كانت تحول دون مشاهدتي لها ولكني أنوهم أني

فما لمننا كنا فعلنا في النهار إنما يتقق بالفعل إذ يحل النوم أن لا تقوم به في الحطم، يعني بعد عطفة النمام، بسلوك درب غير الذي قد نسلكه في اليقظة. فالقصة نفسها تدور ولها نهاية مختلفة. وعلى الرغم من كل حيىء على الرغم من يعلن المنام الذي يعادفون شقة في الإنخفاء إنما يعادفون شقة في الإنخفاء إنما يعادؤون قبل كل ضيء الخروج من عالماً. فيدما يقبلون على نحو بالمي وحيد ماعات، والعيون الدقيقة المسابقة قد ألقلتها تماماً محاكمة تتناقص تناقض منوب مفتوحة إذا بهم يستعدون عزيمتهم إن نبينوا أن الدقيقة المسابقة قد ألقلتها تماماً محاكمة تتناقص تناقض أصريحاً مع قوانين المنطق وبداهة الحاضر إذ يعني هذا الدقيقة المسابقة قد ألقلتها تماماً محاكمة تتناقص تناقض الخراص في الحال من إدراك الواقع وأن يداروا إلى استراحة بعيداً عنه في كثير أو قبل، الأمر الذي سيمتحهم نوماً حميقاً إلى حد ما، ولكنما بمن المناز المسابقة من والمحافظة المناز وحياماً المناز المحافظة الأمراض المسبق، وترصد الساحة التي تطلق تنطاق تناف الدومة أن المساحرات، والطيحةة المنومة المناومة المناومة المناومة المناومة المناومة التي تطلق تنطاق تناد الاراعي ما يكفي من الموة لإيقائه.

وعلى مسافة غير بعينة نقع الحديقة الخصصة التي تنمو فيها كزهر مجهولة أسناف النرم الشديدة الاختلاف بعضها عن بعضها الآخر، فنوم الداتوره الشاكدة والقنب الهندي وخلاصات الأبر العديدة، ونوم حشيشة «ست الحسن» والأفيون والناردين، تلك الزهور التي تظل معلمقة حتى اليوم الذي يحيى، فيه الجهول للمصطفى منذ الأزل ليلمسها ويفتح أكمامها ويبعث على مدى ساحات طويلة ذلما أسادمها المخاصة في كالن للمص والتي ان تعرفها إلا لدى الاستيقادا، فيما يردد صوت تكتكه ذلك المبه المناطي، وهو نفير الاستيفاد الم والمسابق المناطق، وهو نفير الاستيفاد المنابق عنده من المناطقة على أتم استعماد عنداء تجيء لتقول للنبة الذي احسن اهتمامنا ضبعاء إلى حد أن خادمة المنزل سوف تلقانا على أتم استعماد عنداء تجيء لتقول لما تنا إنها المبابدة. وعلى المجواني المناطقة فيه أحياناً ويفكك بغمل حلم مزجع مليء بالذكريات عمله الذي سرعان نسيان غموم العب ذلك الذي ينقطع فيه أحياناً ويفكك بغمل حلم مزجع مليء بالذكريات عمله الذي سرعان ما تتم معادرته، على جوانيها تنطى حتى بعنما نستفيق ذكريات الأحلام ولكنها مظلمة إلى حد أننا غالماً مالا نلمحها للمرة الأولى إلا في تمام فترة ما بعد الظهر حينما يقبل شماع ذكرة مشابهة إلى إضاءتها على نحو مفاجئ، وبعضها متناسق الموضوح في أثناء نومنا ولكنما يضحي مجهول للعالم إلى حد أنه لايسمعنا بعد أن لم تتعرفه إلا أن نمازع وتردم إلى الأرض كما هو شأن أموات تفسخوا بسرعة كبيرة أو تخف هب فيها التلف إلى حدّ خطير وقاربت أن تقلب ترايا حتى لا يستطيع أمهر المرتمين أن يعيد إليها الشكل أو يستخرج منها شفا.

وبالقرب من السياح يقع المقلع الذي تبادر صنوف النوم المميق إلى البحث فيه عن المواد التي تغطي الرأس بطلاءات قاسية إلى حد أن إرادة النائم نفسها تضطر في سعيها لايقاناء، حتى في صباح ذهبيّ، أن تضرب بالفأس ضربات قوية على غرار وسيففريده ثاب. وثمة فيما وراءها الأحلام لمزعجة كذلك التي يزعم الأطباء بنباء أنها معتبة أكثر من الأتباه الأحلام المزعجة الأطباء بنباء أنها معتبة كثر من الأرق فيما تسمع للنائم عالمات على المحكس أن يهرب من الانتباه الأحلام المزعجة بمجموعات صورها الطبقة التي يقع لوالدينا الميتبان فيها حادث خطير لايتاني وشفاء قريباً. وإننا بانتظاره نيقيهم في فقعم صغير المقاولة المعارفة أصغر من الفئران البيشاء ويوجهون إليناء وقد علمتهم باور حمراء كبيرة ونقل على متهمة من كتاب الصور هذا تقوم اسطوانة لكبية المعرفة المتعبة الترام الدخول عما قليل إلى بيت هدم منذ خصصين عاماً وتدميم صورة، كلما ابتعد الدوم بينيا المقتودين .

ولم أكن قد سمعت شيئاً في بعض الأحيان وقد غرقت في واحد من صنوف النوم هذه التي يهوي فيها المرء وكأنما في خفرة يسعد أشد السعادة أن يُرفع منها بعد قليل تقبلاً متضماً يهضم كل ما جاءتنا به، على غرار الحوريات اللاي كن يفلين «هيركوليس»، هذه القوى المبهمة الرشيقة التي يتضاعف نشاطها في أثناء نومنا.

ذلك يدعى نوماً تقيلاً كالرصاص، ويبدو أن للرء ينقلب حتى على مدى بضع لحظات بعد توقف مثل هذه الخاصة هذه الاغفاءة محض دمية من الرصاص، وليس المرء من بعد أحدا. فكيف يمود في النهاية فليقى وأذاءه الخاصة أكثر من أي سواها وهو يبحث عن فكره وشخصيته مثلما يجري البحث عن غرض مفقود؟ وحيدما نعاود التفكير، لم لا يكون لمة شخصية أخرى غير السابقة تتجسد فينا؟ فليس يبصر المرء ما يملي عليه الخيار ولماننا ينفع بدا بالفضيط، من بين ملايين المكتنات الإنسانية التي يمكن أن يكونها، على قائل الذي كانه البارحة. وما الذي يقودنا حيدما كان ثمة القطاع حقا (إما لأن النرم كان اتما أو الأحلام مختلفة أنهم الاختلاف عنا؟ لقد وقع ثمة موت بالحقيقة تم الاختلام مختلفة الم الاختلاف عنا؟ أي المنافقات ورد إلينا المجلة عمليات شد لقد وقع ثمة موت بالحقيقة لإمال عينما يكف القلب عن الخقافات ورد إلينا المجلة علميات شد أكثر تقادماً، أو أن بعضاً منها كان ينها في واختانا فوعيناه. والقيامة للدى الاستيقاظ- بعد نوبة الاستلاب المقلى المقيدة هذه التي هي الدوم - ينبغي أن تدبه في الأماس ما يعري حينما نعود فعيرا على امم وبيت شعر ولازمة منسية. ووبما أمكن أدراك قيامة النفس بعد الموت بمثابة ظاهرة تذكر.

وبعدما انتهي من النوم كنت أرفع رأسي وأمد عنقي فيما أبقي جسمي نصف محبًّا داخل الأغطية، وقد

اجتذبتني السماء المشمسة ولكنما تمسك بي يرودة تلك الصبيحات الأخيرة الشديدة الإشراق الشديدة البرودة التي يبدأً فيها الشتاء، كيما أنظر إلى الأشجار التي لم يعد يشير إلى الأوراق فيها سوى لممة أو لمستين ذهبيتين أو ورديتين تبدوان وكأنهما ظلتا في الهواء في لمحة خفية. وكمثل خادرة في طور التحول كنت مخلوقاً مزدوجاً لا يوافق مختلف أجزاته الوسط نفسه. فلميني يكفي اللون دون الحرارة. أما صدري فكان يهتم على العكس بالحرارة لا باللون. وما كنت أنهض إلا حينما يتم إشعال ناري وكنت أنظر إلى اللوحة الشفافة الشديدة العذوبة التي تؤلفها الصبيحة الخبازية المذهبة التي أضفت إليها اصطناعاً منذ قليل أجزاء الدفء التي كانت تفتقر إليها وأنا أحرك ناري التي تشتعل وتنفث الدخان على غرار غليون لذيذ وتوليني، كما لعله فعل، متعة تجمع الغلاظة لأنها تقوم على ارتياح مادي إلى الرقة إذ يحتجب خلفها محض خيال. كانت جدران حجرة ملابسي مكسوة بورق من حمرة فاقعة تنثئر فوقه أزهار سود وبيض كان ينبغي لي فيما يبدو أن أعاني بعض المشقة لتعودها. على أنها اقتصرت على أن تبدو لي جديدة وعلى أن تضطرني إلى الدخول لا في نزاع معها بل في صلات بها، وعلى تبديل مرحى وأناشيدي لدى استيقاظي، واقتصرت على وضعى عنوة في صميم نوع من الخشخاش الأحمر كيما أنظر إلى العالم الذي كنت أراه يختلف أشد الاختلاف عنه في باريس من هذا الساتر البهيج هو هذا البيت الجديد الذي يختلف الجماها عن بيت والديُّ والذي يتدفق فيه هواء نقى. وكان يهزني في بعض الأيام الشوق للقاء جدتي أو الخوف من أن تكون متوعكة الصحة، أو هر استذكار مسألة ظلت في طور التنفيذ في باريس وتتعثر، وإلى ذلك أحياناً بعض صعاب لقيت السبيل إليها حي ههنا. لقد حال هذا الهم أو ذاك درن أن أنام وكنت لاحول لي في مواجهة حزني الذي كان يملأ في نظري كامل الوجود في مدى لحظة. حينئذ كنت أرسل أحدهم من الفندق إلى الثكنة أحمله كلمة لـ ٥سان لو٥: كنت أقول له أن يتكرم بالمرور حينا إن كان ذلك ممكناً من الناحية العملية- وأنا أعلم أن الأمر بالغ الصعوبة. ويصل بعد انقضاء ساعة فأحس أنني أنقذت من شواغلي أن أسمع صوت الجرس. كنت أعلم أنها إن كانت أقوى مني فقد كان هو أقوى منها فكان اهتمامي ينفصل عنها ويتجه إليه هو الذي كان عليه أن يقرر. وما أن دخل حتى أشاع من حولي الجو الطلق الذي كان بيذل فيه الكثير من النشاط منذ الصباح، هذا الوسط الحيوي الشديد الاختلاف عن غرفتي والذي كنت الكيف معه في الحال بردود فعل مناسبة.

- وآمل أنك غير حاقد على لازعاجك، فإن لدي شيئاً يعذبني ولابد أنك حرزته. ٤

 - ولا، لا، حسبت نقط أنك راغب في لقياي ورأيت أن ذلك لطيف جدًا. لقد أبهجني أنك أرسلت في طلبي. ولكن ماذا؟ أليست الأمور إذن على مايرام؟ وما عساي أن أفعل في خدمتك؟٥

وكان يصغى للمرسعى وبجيني بدقد بيد أنه كان قد جملنى ضبيها به حتى قبل أن يحدثني، فإلى جانب المشاغل الهامة التي كانت تظهره شديد السجلة كثير النشاط بالغ السرور أخلت الفعوم التي كانت شحول منذ قليل دون بقاتي لحظة واحدة دون علاب تبدو لي، كما تبدو له، غير ذات بال. وكنت كرجل لايستطيع أن يفتح عينيه منذ عدة أيام فيستدعى طبيبا يباعد جفنه بمهارة ولطف وينزع له حبة رمل ويربه إياها، فإذا بالمريض يشغى ويطمئن. كانت جميع متاعي تلاقي حلها في برقية يأخذ وسان لو، على نفسه أن يحث بها. وقيدو لي الدياة شديدة الاختلاف شديدة الجمال ويضمرني فيض من القوة عظهم إلى حد أن أبغي التحرك.

فكنت أقول لـ ٥سان لو٠ :

- هماذا تفعل الآن؟٤

- «سأتركك، لانهم يذهبون سيراً على الأقدام بعد ثلاثة أرباع الساعة وهم بحاجة إليّ..

- وأفأزعجك الجيء إذن إزعاجاً كبيراً؟،

– ولا، لم يزعجني ذلك، لقد كان النقيب لطيفاً جداً وقال إنه ينبغي لى أن أتي بما أن الأمر يتعلق بك، ولكن لست أريد أن أبدو وكأني استغل الموقف.»

ولكنبي لو نهضت بسرعة وفعبت بدوري إلى المكان الذي ستناورون فيه فسوف يستهويني الأمر
 كثيراً ورمما استطعت التحدث إليك في أثناء فنرات الاستراحة.a

 - فليست أخور عليك بذلك، فقد ظللت مستيفظاً وامتلأت هما من أجل أمر بالتأكيد غير ذي شأن البّعة فأما وأنه لا يشغلك من بعد فانقلب على وسادتك وم، الأمر الذي سيكون واثماً غمارية نقص المادن في خلاياك العصبية. ولا تعف سريماً لأن موسيقانا اللهيئة مشمر عتت نوافذك. بيد أبي أظن أتك ستمم بالسكينة بعدها في لحال ونعود فلتقي هذا المساء على العشاء.»

ولكنني كثيراً ماذهبت بعد ذلك بفترة وجيزة لأرى الكتيبة تؤدي خدمتها في السهل حينما شرعت أهتم بالنظريات العسكرية التي كان أصدقاء ٥سان لوه يشرحونها على مائدة العشاء وأصبح يؤلف الأمر شوق نهاري في أن أرى رؤساءهم المختلفين عن كثب، شأن من يجعل من الموسيقي دراسته الرئيسية ويعيش في جو العخلات الموسيقية فيسره أن يختلف إلى المقاهي حيث يهتم المرء بحياة عازفي الاوركسترا. وكان لابد لمي كيما أبلغ أرض المناورات من القيام بمسيرات طويلة. وفي المساء كانت الرغبة في النوم تهوي برأسي بين الحين والحين بعد العشاء وكأتها دوار. وكنت أفطن في الغد إلى أني لم أسمع العبوقة الموسيقية أكثر مما سمعت الحفلة الموسيقية على الشاطئ في «بالبيك» غداة العشيات التي اصطحبني فيها «سان لو» للعشاء في «ريفييل». ولحظة أبغي النهوض كنت أحس إحساساً لليذا بمجزي عن ذلك. كنت أحسني موثقاً إلى أرض خفية وعميقة بمفاصل يجعلها التعب محسوسة لدي، مفاصل من جذيرات قوية العضلات مغذية. كنت أحسني ملآن بالقوة وكانت الحياة ثمتد أمامي وهي أوفر طولاً. ذلك أنني تراجعت حتى متاعب طفولتي الكبيرة في ٥كومبريه، في اليوم التالي للأيام التي كنا قد تنزهنا فيها في جانب ٥غيرمانت، والشعراء يزعمون أننا نعود فنلقى حينا ما سبق أن كنّاه بالأمس ونحن ندخل إلى هذا البيت أو ذاك، إلى هذه الحديقة أو تلك حيث عشنا أحداثا. وتلك صنوف من الحج تنطوي على مخاطر كثيرة نعدَ على إثرها من خيبات الأمل ما يوازي وجوه النجاح. إن الأماكن الثابتة التي تعاصر سنوات مختلفة نما يجدر بنا أن نلقاها بالأحرى داخل ذواتنا. وذلك ما يمكن أن يجلبه لنا من فائدة إلى حد ما تعب عظيم تليه ليلة مريحة. وكيما ينحدر بنا هذان الأخيران إلى دهاليز النوم الأكثر عمقاً حيث لاينير أي شعاع من البارحة وأية ومضة ذاكرة من بعد المناجاة الداخلية، إن اتفق لهذه المناجاة نفسها أن لا تتوقف فيها، فانهما يقلبان أرض جسدنا وأعماقها إلى حد أنهما يعيناننا على العثور، حيث تنغمس عضلاتنا وتجنل تفرعاتها وتمتص الحياة الجديدة، على الحديقة لتي ذهبنا إليها أطفالاً. ولاحاجة بنا إلى السفر لنراها ثانية وانما ينبغي الانحدار للعثور عليها من جديد. إن ماغطى الأرض لم يعد فوقها بل غمت صفحتها فالرحلة لاتكفي لزيارة المدينة الدارسة، والخريات ضرورية لذلك. ولكننا سوف نرى إلى أي مدى تردنا بعض الانطباعات السريعة الزوال والمفاجئة على نحو أفضل إلى الماضي وبدقة أشد وجناح أكثر خفة وأوفر شفافية وأكثر سرعة وأبعد عن الخطأ وأقرب إلى الخلود من تلك التفككات العضرية.

ويتجاوز تعبى أحياناً ذاك الحد: فلقد تابعت المناورات على مدى بضعة أيام دون أن بمكنني النوم. ما أكثر ما كانت المودي أنهي أفلت أخيراً من أيدي محاني أنهي أفلت أخيراً من أيدي محار من أولئك الله المعرون وإيالت قرننا السابع عشر الخبوبة. وتضمي اخفايتي يونوي حتى ضمي اليوم الثاني محض رواية جنيات فاتدة ، فاتنة وربما مفيدة أيضاً. كنت أقول في نفسي إن لأمرأ المذاب مكانا يأوي إليه واننا استعلى على الدوام إن نلقى الراحة ان لم نلق خيراً منها، وكانت تلك الأفكار تقودني إلى مكان بعيد حدا

وكنت أمضي كثيراً في الأيام التي خصصت للراحة، ولايستطيع ٥سان لوء مع ذلك الخروج فيها، لمشاهدته في الثكنة. كان المكان بعيداً وكان لابد من مغادرة المدينة واجتياز الجسر فوق الوادي وعلى جانبيه يمتد أمامي منظر شامع. كان ثمة نسيم قوي يهب على الدوام تقريباً فوق تلك الأماكن العالية ويملأ العمارات المبنية على جوانب ثلاثة من الباحة، عمارات تهدر دون انقطاع وكأنها عرين رياح. وفيما كنت أنتظر دروبير، في حين تشغله خدمة ما، أمام باب غرفته أو في قاعة الطعام وأنا أتخدث إلى بعض من أصدقاء له سبق أن عرفني بهم (وقد جئت أحيانا فيما بعد لمشاهدتهم حتى حين لم يكن بالتأكيد هناك) وأشاهد من النافذة على مئة متر تختى السهل الأجرد، ولكنما ههنا وهناك مزروعات جديدة، ولايزال المطر في الغالب يبللها والشمس تمنحها النور، تضع فيه شرائط خضراء لها التماع المينا وصفاؤها الشفاف، كان يتفق لي أن أسمع من يتحدث عنه. وسرعان ما أمكنني أن أتبين إلى أي حد كان محبوباً وشعبياً، وكان التعاطف الذي يثيره لدى الكثير من المجندين التابعين لكتائب ثانية من بورجوازيين شباب أغنياء لايشاهدون الطبقة الارستقراطية الراقية إلا من الخارج ودون أن ينفذوا إليها، التعاطف الذي يثيره لديهم ما يعلمون من طباع ٥سان أو، إنما تبطنه المهابة التي يمتلكها في نظرهم الشاب الذي كثيراً ما رأوه مساء السبت، حينما يجيئون في إذن إلى باريس، بتناول طعام العشاء في قهوة السلام، مع دوق وأوزيس، وأمير وأورليان، وقد أدخلوا لذلك في محياة الجميل وفي طريقته المفككة في السير والتحية وفي قذفة نظرته الدائمة وفي غرابة قبعاته المفرطة في علوها وسراويله التي من قماش بالغ النعومة مفرط في لونه الوردي مفهوماً للأناقة يؤكدون افتقار أكثر الضباط تأنقا في الكتيبة إليه وحتى النقيب المهيب الذي سبق أن دنت له بنومي في الثكنة، وكان بيدو، إذا ما قورن به، مفرط الأبهة ويكاد أن يكون عامياً.

كان أحدهم يقول إن النقب ابتاع جواداً جديداً، فيجيب الآخر قائلا: فيستطيع ابتياع جميع ما يشاء من جياد. لقد التقيت فسان لوه صبيحة الأحد في بمر الأكاسيا وانه بمتطى الجياد بأناقة مختلفةاه ويقول قول العارف لان هؤلاء الشباب كان يتنسبون إلى طبقة لاتنخلف بفضل المال وأوقات الفراغ عن الارسقراطية في ٢٢ إ غيرة جميع صنوف الأناقة التي يمكن شراؤها. وإن لم تتردد على جماعة الطبقة الراقية نفسها. وأكثر ما هنالك أن أناقتهم كانت تتسم، فيما ينص الملابس على سبيل المثال، بما كان أكثر اجتهاداً وأكثر خاواً من العبوب من أناقة مسان لوء العليقة اللاحبالية تلك التي كانت تورق جدتي أكثر ما تروق. كان يباطل أبناء أصحاب المسارف الكبيرة أو العبارقة، فيما يتاولون أصناف المخار بعد المسرع، اضطراب طفيف لما يصورف ضابط الصند قدائ لوء إلى طاولة بجوار طاولتهم. وما أكثر القصص التي تقص في الكثمة نهار الاثنين لدى الماردة من المأذوبة على لمان واحد منهم كان من كبية فسان لوء وقد حياه هذا الأخير فبلطف شعده وعلى المان أخير لم يكن من الكبية نفسها ولكنه يعتقد تماما أن فسان لوء قد حوفه على الرغم من ذلك فقد سدد نظارته بالجاهد مرتين أو ثلاث مراد!

 وأبيل، لقد غه شقيقي في قهوة والسلام، يقول آخر أمضى نهاره لدى عشيقته، ووبيدو أنه كان يوتدي يزة فضفاضة والاتاب تساما.»

- دركيف كانت صدريته ؟

- دلم يكن يرتدي صدرية بيضاء، بل خبازية وبها أنواع من السعف، مذهل!»

أما بالنسبة إلى القدامى (وهم من عامة الشعب يجهلون نادي السبق ويضعون هاان لوه في فقة ضباط الصف الأغنياء جداً فحرس، وفيها يدخلون جميع الذين يعيدون حياة من مستوى معين، سراء أقفدوا أموالهم ألم المسلكون وقما علياً إلى حد ما من المائلات أو للدين وهم كرماء يحق جديم فإن نظارة هاان لواء وروايله وقيما أي سال من المائلات أو للدين وهم كرماء يحق جديم في ولائلة مع ذلك. لقد كانوا يتمرون في هذه الصفات المديزة السمة والنمط اللذين خصوا بهما نهائياً هذا الأكثر شمية بين أصحاب المرتب في الكثيرة، من تصرفات لاتشبه تصرف أحد وإزدراء لما يمكن أن بلور في خلد الرؤساء وما يمكو لهم بمثابة الشيجة الطبيعية لعظم على الجدود. وكانت تبدو قهوة المسباح في حجرة الديم أو الاستراحة على الأسرة أثناء فترة ما يم الجماعة النهمة الكسلى بأحد التفاصيل الطبيعة تما الكسلى بأحد التفاصيل الطبيفة تبدة كانت له وسال لوء لهما المحافقة النهمة الكسلى بأحد التفاصيل الطبيفة تبدة كانت له وسال لوء لهما المحافة النهمة الكسلى بأحد التفاصيل الطبيفة تبدة كانت له وسال لوء

- «في مثل ارتفاع رزمتي».

ويقاطمه مجاز شاب في الآداب قائلاً: «ويصك ياعم، تريد أن «تقطعها» في رقابنا، لا يمكن أن تكون بمثل ارتفاع رزمتك، يحاول باستخدام هذه اللهجة ألا يظهر بمظهر الغِرّ وليحمله بتجرئه على هذه المعارضة على أن يثبت له أمراً كان يمتمه.

– واليست بذلل ارتفاع رؤمتي؟ لعلك قستها. أقول لك إن المقدم كان يحدق إليه كما لو أراد أن يود المبحن. وينبغي ألا نحسب أن وسان لوء المخترم كان يتباهي، فقد كان يروح ويجيء ويخفض رأسه رويضه إلى جانب قذفة النظارة تلك على الدوام. لايد أن نرى ما سيقوله النقيب. آما من الممكن أن لايقول شيئاً ولكن الأمر لن يسره بالتأكيد. والقبمة هذه ليس فيها ما يدهش. ويدو أنه يملك في منزله في المدينة أكثر

من ثلاثين.

ويسأل الشاب متحذلقاً: «كيف تعلم ذلك أنت ياعم، على لسان عربفنا اللمبن؟»، وهو يعرض الأشكال القواعدية الجديدة التي لم يتعلمها إلا منذ عهد قريب والتي كان يفخر أن يزين حديثه بها.

- وكيف أعلم ذلك؟ على لسان مرافقه، ويحك!ه

- عندي أنه ينبغي ألا يكون أمثاله تعساء!١

- «معلوم ا والأكيد أنه أوفر مالاً مني! وهو يعطيه إلى ذلك كل حوائجه، كل شيء. لم يكن يتال
 كفايته في الندوة، فاذا «سان لوي يقبل وقد سمع «العشي» منه: فأريد أن تحسنوا تغذيته، وليبلغ الشعن ما بالمغ».

وكان المتقدم يستميض عن تفاهة الأقوال باللهجة الحازمة في تقليد ضعيف كان يصيب أكبر قسط من التجاح.

كنت أقوم بجولة لدى خروجي من الثكنة ثم أتوجه بانتظار الوقت الذي أذهب فيه يومياً لتناول طعام العشاء مع دسان لوء في الفندق الذي اتخذه واصدقاءه لنومهم وطعامهم، أتوجه إلى فندقى فور غياب الشمس كي تتوافر لي ساعتان للراحة والقراءة. وفي الساحة كان المساء يضع على سطوح القصر التي على هيئة سخزن بارود سحبًا صغيرة وردية تنسجم مع لون القرميد ويكمل التوافق بتلطيف هذا الأخير بنور منعكس وكان يتدفق في أعصابي تيار من الحياة قوي حتى لتعجز أي من حركاتي عن استنفاده ؛ كل خطوة من خطاي كانت تعود فتثب بعدما تلامس واحدة من بلاط الساحة فيبدو في عقبيّ جناحا رسول الآلهة. كان أحد الينبوعين مليئًا بوهج أحمر وفي الثاني يحيل ضوء القمر الماء إلى لون اللبن. وبين الاثنين يلعب صبية صغار ويطلقون صيحات ويرسمون دوائر يخضعون في ذلك لضرورة الساعة على غرار الخطف أو طيور الوطواط. وإلى جانب الفندق كانت القصور الوطنية القديمة ومبنى «الاورانجري» للويس السادس عشر الذي حل فيه الأن صندوق التوفير وكتيبة الجيش، كانت تضيئها من الداخل مصابيح الغاز الشاحبة المذهبة التي أضيئت منذ ذاك والتيّ كانت تنسجم والنهار لم يولُّ بعد وتلك النوافذ العالبة الواسعة التي من طراز القرن الثامن عشر والتي لم يمُّح فيها آخر انعكاس للشمس الغاربة، كما لعله كان شأن زينة من قشرة شقراء على رأس تلهبها الحمرة، ويقنعني بالذهاب للقاء ناري ومصباحي الذي كان يكافح وحد في واجهة الفندق الذي أسكن فيه أنوار الشفق، مصباحي الذي كنت أعود من أجله، قبلما يكتمل الليل، بداعي السرور مثلما يفعل المرء بالنسبة إلى العصرونية. وكنت أحتفظ في مسكني بتمام الإحساس نفسه الذي تملكني في الخارج فقد كان يقوّس مساحات ظاهرة تبدو لنا في الأغلب مسطحة خاوية: فلهب النار الأصفر وصحيفة السماء الشديدة الزرقة التي سوّد عليها المساء. شأن تلميذ مدرسة، لوالب خطوطه الوردية وغطاء الطاولة المستديرة ذو الرسوم الفريدة والذي كان ينتظرني فوقه ماعون من ورق التلامذة ومحبرة بالإضافة إلى رواية لـ (بيرغوت،) يقوَّسها على نحو استمرت مِعه هذه الأشياء مذ ذاك تبدو غنية بنوع خاص من الوجود يخيل إلىَّ أنني أستطيع استخلاصه منها لو قدر لي أن ألقاها ثانية. كنت أفكر بابتهاج بهذه الثكنة التي غادرتها منذ قليل والتي تنطلق دوارة الربح فيها مع جميع الرياح. وكمثل غطاس يتنفس في أنبوب يرتفع فوق سطح الماء كان احساسي بهذه الثكنة بمثابة نقطة

ارتباط لي، هذا المرقب العالي للطل على السهل الذي تخترقه أقتية من للينا الخضراء، الذي كنت أعدّ إمكان المذهاب ساعة أشاء تحمّت عنابره وداخل أمنيته، وإنّا متيقن أبداً من حسن الاستقبال، بمثابة امتياز ثمين أتمثّى ديموت، كان ذلك بالنسبة إلىّ بمثابة ارتباط بالحياة الهمجية وبالهواء الطلق.

كنت أرتدي ثيابي في السابعة وأخرج ثانية من أجل أن أذهب للعشاء مع ٥سان لوء في الفندق الذي انخذه للسكن والطعام. كنت أحب أن أمضى إلى هناك سيراً على الأقدام ؛ كَان الظلام حالكاً ومن اليوم الثالث شرعت نهب فور حلول الليل ربح باردة جداً تبدو وكأنها تبشر بالثلج. ولعله كان علىَّ فيما كنت أسير ألا أكف عن التفكير في السيدة ٥دو غيرمانت، وانما جئت إلى نكنة ٥روبير، لأجهد في الاقتراب منها. ولكن الذكرى، والغم، أي غم، متحركان. فثمة أيام يمضيان فيها بعيدًا حتى نكاد لانبصرهما ونظنهما وليًّا، وإذ ذاك نصرف انتباهنا إلى أمور أخرى. وشوارع هذه المدينة لم تكن بعد في نظري، شأن المكان الذي تعودنا العيش فيه، محض وسائل للذهاب من مكان إلى آخر فقد كان يبدو لي أنَّ الحياة التي يقضيها سكان هذا العالم المجهول لابد أن تكون رائعة وغالباً ما كان الزجاج المضاء في منزل. أي منزل، يسمّرني طويلاً في الظلام إذ يضع نصب عيني المشاهد الحقيقية الزاخرة بالأسرار لحيوات لا أنفذ إليها. فههنا بريني جني النار في لوحة يلون الأرجوان مقهى بائع كستنا يلعب فيه ضابطا صف بالورق، وقد وضعا نطاقيهما على كراسي، دون أن يرتابا بأن ساحرًا كان يبرزهما من الليل، كما هو أمر ظهور في المسرح، ويحدد خطوطهما كما كانا بالفعل في تلك الدقيقة نفسها لعيتي عابر سبيل متوقف لا يستطيعان أن يبصراه. وفي مخزن صغير لسقط المتاع كانت ترسل شمعة نصف ذائبة نورها الأحمر على صورة مطبوعة فتحيلها بلون المغرة فيما يكافح ضوء المصباح الكبير الظلام فيلون بالسمرة قطعة من النجلد ويرصع خنجراً بشذرات سوداء لامعة ويخلف فوق لوحات إن هي الا نسخ رديقة طلاء ذهبياً ثميناً كالقشرة التي يخلفها الزمان أو كلمعة أساتلة الفن فتجعل من هذا الكوخ في النهاية حيث لاشيء سوى «التنك» والقشور لوحة لـ«رامبرانت، لاتقدر بثمن. وكنت أرفع عيني أحياناً إلى شقة قديمة لم تغلق مصاريعها يعود فيها رجال ونسوة برمائيون إلى التكيف من جديد في كل مساء مع العيش في وسط غير وسط النهار، ويسيحون ببطء في السائل اللزج الذي ينبع دونما انقطاع لدى حلول الليل من مستودع المصابيح ليملأ الحجرات حي حافة جدارتها التي من حجر وزجاج، وينشرون فيه بتنقيل أجسامهم تموجات ناعمة مذهبة. وكتت أعاود السير وكثيراً ما يستوقفني عنف شهوتي في الجادة المظلمة التي تمر أمام الكاندرائية، كما كانت حالى بالأمس في طريق دميزيكليز، ؛ كان يخيل إلى أن امرأة سوف تطلع فجأة لتشبعها ؛ وان أحسست فجأة في الظلام فسطاناً يمر فإن عنف اللَّهَ التي أحس بها كان يحول دون اعتقادي بأن هذه الملامسة الخفيفة كانت عارضة فأحاول أن أحس بين ذراعي عابرة سبيل مذعورة. كانت تلك الجادة القوطية تبدو في نظري حقيقية إلى حد أنى لو لحقت بامرأة فيها وامتلكتها لاستحال على ألا أخال أنها الللة العتيقة التي تزمع أن مجمع بيننا، وان كانت المرأة محض مومس تقف هناك كل مساء ولكنما أضفى عليها الشتاء وأضَّفتُ الغربة والظلمة والعصر الوسيط جو أسرارها. وأخذت أفكر في المستقبل: كانت تبدر لي محاولة نسيان السيدة ددو غيرمانت، أمراً فظيعاً ولكنه معقول وللمرة الأولى ممكن بل ربما سهل. وكنت أسمع من أمامي في هدوء هذا الحي المطلق أقوالاً وضحكات لابد تردني من متنزهين نصف مخمورين يعودون إلى منازلهم. فكنت أتوقف لأراهم وأنظر إلى الجانب الذي سمعت الضجة منه. بيد أنه كان لزاماً على أن أنتظر طويلاً لأن السكون المحيط كان عميماً إلى حد أن سمع بانتقال ضجيج لايزال بعيداً بأنصى الوضوح والقوة. ويصل المتنزهون في نهاية المطاف لامن أمامي كما سبق أن ظننت بل بعيداً جداً من الخلف. لقد أخطأت الطن في المسافة والانجماء على حد سواء، إما لأن تقاطع الشوارع وتواسط المنازل قد أحدثا هذا الخطأ السمعي بسبب ظاهرة الانكسار، وإما لأنه من العسير جداً غديد موقع صوت مجهول المطرح لدينا.

وتأخذ الربع تتعاظم. لقد كانت تتقيض وتقصّر من إثلاج نميب، فكنت أعود إلى الشارع الكبير وألفن إلى الحافلة الكهربائية الصغيرة حيث يرد ضابط من أرضية الرقوف خيات جنود يبدو وكأنه لايراهم، جنود ثقال يعرون على الرصيف وقد ألقى البرد لطخ ألوان على وجوههم، وانها لتذكرك، في هذه الملبقة التي تبدو وكأنما دفعتها وثبة الخريف المفاجئة داخل بداية الشتاء هذه قدما إلى الشمال، بالوجوه الحمراء التي يعطيها «يروغيل» لفلاحيه المتعللين المولمن المصدّين.

وكان ثمة بالضبط في الفندق الذي كنت فيه على موعد مع دسان لوه وأصدقائه وحيث مجتذب الاحتفالات، وهي في بداياتها، كثيراً من الناص من الجوار ومن الأجانب، كان ثمة، فيما كنت أجتاز مباشرة الباحة التي تطل على مطابخ بلوث النجمر تدور فيها فراريج على أسياخ وتشوى خنازير وتلقى صنوف من سرطان البحر في ما كان يدعوه الفندقي «بالنار الأبدية»، كان اودحام خليق بما كان من قبيل لوحة «التعداد أمام بيت لحمه من مثل ما كان يرسم أرباب الفن الفلامنديون القدامي) لوافدين يجمعون زمراً في الباحة يسائلون صاحب الفندق أو أحد أعوانه (فيفضلان أن يشيرا عليهم بمسكن في المدينة حينما لايجدان أن لهم مظهراً حسنا) إن كان يمكن أن يقدُّم لهم الطعام والمسكن بينما يمر خادم وهو يمسك بيده عنق طير يتخبط. وفي قاعة الطعام الكبيرة التي اجتزتها في اليوم الأول، وقبل أن أبلغ الحجرة الصغيرة التي كان ينتظرني فيها صديقي، إنما كان يذكرني عند الأسماك والقراخ المسمنة وديوك الغابات ودجاج الأرض والحمائم التي جاء بها مزينة يتصاعد بخارها ندل فقدوا أنفاسهم يتزلقون على الأرضية الخنبية كيما يزيدوا من سرعتهم ويضعونها على الطاولة الجدارية الفسيحة حيث يتم في الحال تقطيعها وحيث تتكدس مع ذلك غير مستخدمة – إذكان الكثير من وجبات الطعام يشارف على الانتهاء حينما وصلت اإنما كان بذكرني كذلك بمأدبة في الانجيل مثَّلت بسلاجة الزمن الغابر ومغالاة بلاد الـ ٥ فلاندره، فكما لو أن الكثرة المسرفة فيها وتعجل الذين يحملونها إنما يستجيبان لاحترام النصوص المقدسة التي تتم مجاراة حرفها بدقة كبيرة، ولكنما يتم توصيحها توضيحاً ساذجاً بتفاصيل حقيقية مستقاة من الحياة المحلية، وللاهتمام الجمالي والديني الرامي إلى ابراز رونق الاحتفال للعيان بفيض الأطعمة وعجلة الخدم أكثر مما يستجيبان لطلبات المتعشين. وكان واحد بينهم يحلم في أقصى القاعة وقد وقف لايبدي حراكاً قرب حزانة آنية ؛ وكيما استعلم هذا الأخير، وكان يبدو وحده على شيء من الهدوء كي يجيبني، في أية حجرة أعدت مائدنا مضيت رأساً، وأنا أتقدم بين السخانات الصفيرة الموقدة ههنا وهناك لتحول دون أن تبرد قصعات المتخلفين (الأمر الذي ما كان يحول دون أن تمسك الحلوي في وسط القاعة يدا دمية ضخمة يحملها أحياناً جناحا بطة من البلور فيما يبدو ولكنهما في الواقع من مثلجات ينمقها كل يوم بالحديد المحمى طاه نحات وفق ذوق افلامندي، نماما). مضيت، وأنا عرضة لأن يطرحني الآخرون أرضاً، إلى هذا الخادم الذي حسبتني أتعرف فيه شخصية تماشي التقليد في هذه الموضوعات المقدسة، شخصية كان يعيد بدقة رسم وجهها المطفح الساذج الرديء الخطوط وملامحها الحالمة التي ربما 1 77

أمركت مذ ذاك سلقا معجزة حضور إلهي لم يرتب الأعورن بأمره بعد. ونضيف إلى أنه أضيف، بداعي الأعجاد المقبلة دونما شك، إلى هولاء المنطين ماجق مسعاوي جرى انتقاؤه بأسره في فئة من «الشيروبيم» والشيروبيم» (أن وكان ثمة ملاك موسيقي شاب له شعر أشقر يظلل وجه ابن أرمة عشر ربيعاً، وما كان بعزف بالحقيقة على أية آلة بل يعلم أمام صنع أو كومة صحون فيما يسرع ملائكة أقل طفولة عبر مسافات الفاعة للتراهية وهم يحركون هواءها بارتعاش لا يتوقف للفوط التي تتحار على طول أجسامهم على أشكال أجمحة لرسامين قدامي حادة الأطراف. وشفقت لفسي دوباء وأنا أنجب هما المناطق غير المحددة تماماً والتي يحجبها شاب كانت مالذة ومان لوع معدة فيها. ولقيت فيها بعضاً من أصدقاته الذي كانوا يتناولون طعام العشاء المهتمرة المهتمرة المهتمرة المهتمرة المهتمرة المهتمرة المهتمرة المهتمرة المؤلفة المهتمرة وصادقوهما واضين فيرهنوا بللك أفهم الإملاون البورجواوبين مبدئياً ولو كالوا جمهوريس بشرط أن يجلس إلى المائلة انتحبت بهرط أن يجلونه من قاعة الطعام وقلت له أمام الأعرب جميعهم، وما كانوا يسمعونا:

– وروبير، لم أحسن اختيار الزمان ولملكان لأقول لك ذلك، ولكن الأمر لن يدوم سوى ثانية. يفوتني دوماً أن أسالك ذلك في الثكنة: أليست السيدة «دو غيرمانت» هذه التي تملك صورتها على طاولتك ٩٣.

- وبلى إنها عمتي الطبية، .

خذلك صحيح، ويسى، وأتى خيزن، لقد عرفت ذلك فيما مضى ولم أفكر فيه في يوم. يا الهي، لابد
 أن اصدقاءك عيلوا صبرا، فلتتحدث بسرعة فهم ينظرون إلينا، أو فليكن ذلك في مرة ثانية فليس للأمر أي أهمية،

- وبلي، بلي، امض في حديثك، فإنهم هنا لينتظروا،.

 لا، يهمني أن أكون مهذباً فإنهم لطاف جداً، وتعلم على أية حال أن الأمر لايهمني أكثر من ذلك.ه

قوتعرفها، هذه الطيئة فأوربان، ؟

وما كانت عبارة دهذه الطبية أوريانه، كما لعله كان قال دهذه المسكينة وأوريانه، لتعني بأن وسان لوي كان يعد السيدة دور غير مانت، طبية على لمحو خاص. فالصفات وطبية، ودرائمة، وولطيفة، إن هي إلا ممحض عناصر تعزيز ولهذه، ونشير إلى شخص يعرفه كلانا، ولكتك لا تعلم تماما ما اللدي تقوله لمن ليس من ألاظك. وإن وطبية تستخدم بمثابة مقبلات وتتيج لنا التريث لمحظة ريشما يسنى لنا أن نجد عبارة: وهل تراها كثيرا؟؛ أو ولقد انقضت شهور دون أن أراها، أو ومالقاها يوم الخلاتاه، أو ولابد أنها لم تعد في أول شبابها،

⁽١) من فتات الملائكة في السماء.

- ولا أستطيع أن أقول لك إلى أي مدى يسرني أن تكون هذه صورتها لأننا نسكن الآن في بيتها وقد بلغني عنها أمور لانصدق (وربما أصابني الكثير من الحرج في أن أقول أية أمور كانت) مجمعلني أهم بها كثيراً. من وجهة نظر أدبية بالطبع، ما عسائي أقول. من وجهة نظر وبلزاكية، إنك تدرك ذلك بالتلميح أنت الذكي جداً. ولكن هيا نتبه بسرعة فما عسى يقول أصدقاؤك بتريشي اه

- ولكنهم لا يفكرون بشيء على الإطلاق، لقد قلت لهم إنك رائع وهم أكثر توجساً منك.

- وإنك بالغ اللطف، ولكن هاك بالضبط: إن السيدة وغيرمانت، لاترتاب في أتي أعوفك، أليس الأمر
 كذلك؟،

- ددعني أقول لك، لقد أكنوا لي أنها محسبني معتوها تماماً.

- اهذا مالا أعتقده: فليست الوريان، عبقرية ولكنها ليست غبية مع ذلك.٥.

- دندري أني لا أهتم على الاطلاق بمامة أن تذيع المشاعر الطبية التي تكنها لي لأمي لست على شيء من الاعتزاز بالذات. ووسفني للملك أنك نقلت عني أشياء لطوغة إلى أصدقاءك (الذين سناحق بهم بعد ثانيتين›. بيد أنه لو وسعك، فيما يخص السيدة دو غيرمانت»، أن تنقل إليها، ولو بشيء من المقالاة، ما تعتقدة بشأني فسوف تسريق أعظم السرور،»

— بكل طبية خاطر، وإن لم يكن لديك ما تسألني إياه سوى هذا فليس الأمر بالغ الصموية ولكن أية أهمية بمكن أن يرتديها ما تستطيع أن مخمله عنك؟ لدي أنك لاتبالي بالأمر إطلاقاً. ومهما تكن الحال فيامناه تناهل المخلف الأنمي أحتى أن فيامناه التحميد أو حيما نكون بهموردنا لاتبي أحتى أن يصيف التحميد في أمام الجميع أو حيما نكون بهموردنا لاتبي أحتى أن يصيف التحميد في التحميد واقفاً وعلى نحو غير مربح إلى هذا الحد في حين نملك فرصاً عديدة للقاءات منفردة.

وإنما كان ذاك الرضع غير المربح بالضبط مارودني بالجرأة للتحدث إلى ودوبيرة فقد ألف حضور الآخرين بالنسبة إلي حجة خولتيي أن أضفي على أتوالي طابعاً مقتضباً غير مترابط أستطيع بفضله أن أخفي على نحو أيسر الكذبة التي اقتملها إذ أقول لصديقي إلى نسيت قرابته من الدوقة وكي لا أتيج له الوقت ليطرح علي، حول دواعي رضيني في أن تعلم السيدة دو غيرمانت، أتنى صديق له، وأبي ذكي... الخ، اسئلة ربعا بعث لدي مزيدا من الاضطراب بساوي عجوي عن الإجابة عنها.

- وربيرا ، يدهشني، بالنحة إلى من كان بوافر ذكائك، ألا تدرك أنه يبني ألا ننافش ما يسر الأصدقاء بل أن نفعله. أما أثاء فإن سائتني أمراً أيا كان، ولني لاهتم كثيراً أن تسائني أمراً ما، فاني أركد لك أنني لن أسائلك إيضا-حات. إنني أتجاوز ما أرغب فيه فليس يهمني أن أعرف السيدة ودو غيرمانت اكتما كان يجلر بي أن أقول لك. بنية امتحالك، إنني أرغب في تناول العشاء مع السيدة قدو غيرمانت، وأعلم أنك ما كنت لتفعل. في المنافقة المتحالك، إنني أرغب في تناول العشاء مع السيدة قدو غيرمانت، وأعلم أنك ما كنت لتفعل.

- ولعلني كنت فعلت ؟ وليس ذلك فحسب، بل سوف أفعل،
 - (ومتى) ؟
 - حالمًا أجيء إلى باريس، بعد ثلاثة أسابيع دونما شك.
- دسوف نرى، ، ولكنها لن تقبل على أي حال. لا أستطيع أن أقول لك إلى أيّ مدى أشكرك.
 - ولا، لا، ليس ما يستحق الشكر.)
- ولا تقل ذلك، فالأمر هائل لأنبي أرى الآن أي صديق أنت. فسواء أكان ما أسالك هاماً أم لا، مزعجاً أم لا، وسواء أهمنني في الواقع أم كان محض خجريك، فالأمر قليل الأهمية ؛ تقول إنك ستفعل ذلك، وتبرهن به على رهافة ذكاتك روقة قلبك. أمّا الصديق الغني فربعا فاقش،»
- كان ذلك ما أقدم على فعله بالضبط. ولكني ربما أردت أن أوقعه في شرك الاعتزاز بالذات، وربما كنت إلى ذلك صادقاً إذ يدو أن محك الفضل الوحيد انما هو الفائدة التي يمكن أن نقدم لمي فيما يخص الأمر الوحيد الذي كان يدر لي هاماً، عنيت حيى، ثم أضفت، إما رباء وإما للمرط حنان حقيقي بعثه الامتنان وللصلحة وكلما ميق أن وضعته الطبيعة من ملامح السيدة «دو غيرمانت» نفسها في ابن أخيها «روبير»:
- وولكن، ها انه ينبغي أن نلحق بالأخمين ولم أسالك سوى واحد من الأمرين، وهو أقلهما. أما الأخر فأكثر أهمية في نظري، ولكني أخشى أن ترفضه، فهل بزعجك أن نرفع الكلفة بيننا؟؛
 - وكيف يزعجني، ويحك! وأيها القرح! يادموع الفرح! أيتها السعادة المجهولة!
- حكم أنا شاكر لك. حيدما تكون قد بدأت! إن ذلك ليفرحني إلى حد أنك تستطيع ألا تفعل شيئاً فيما يخص السيدة دو غيرمانت إن شئت، فرفع الكلفة يكفيني.
 - = استقوم بالأمرين معاً.»
- وقلت لـ «سان لو» كذلك في أثناء المشاء؛ وآما اسمع يا دروبيره! آما. إنها لمضحكة هذه المحادثة المتقطمة، راست أعلم لماذا، على أي حال- تعلم، السيدة التي حدثتك عنها منذ قليل ؟»
 - وأجارها
 - اتعلم تماماً من أقصد؟
 - و ويحك، تعدّني غبياً من منطقة الــوفاليه. ومتخلفاً.
 - وألا تتكرم باعطائي صورتها؟،
- كنت أنوي أن أسأله إعارتي إياها فحسب. ولكني أحسست لحظة الكلام يبعض الوجل ورأيت أن

معلمي بعيد عن التحفظ فصنته، كي لا أبدي من ذلك شيئًا. صياغة أكثر فظاظة وزدت فضخمته كما لو كان طبيعياً تماماً.

وأجابني قائلاً: الا، فلابد أن أستأذنها أولاًه.

وكست الحمرة وجهه في الحال ؛ وأدركت أن لديه مقصداً خفياً وأنه يعزو إليّ آخر وأنه لن بعد يد العون لحيى إلا إلى حد مع مراحاة بعض مبادئ أخلالية وكرهته.

ولكنما كان يوثر في مدلمك أن أرى إلى أي حد كان «سان لوه يبدو مختلفا إزائي منذ أن لم أعد وحدي معه وأن أصبح أصدخاؤه إزائي منذ أن لم أعد مقصود، ولكني كنت أحسه غير مقصود لا يؤلفه سوى ما كان لابد قالله بشأي حينما أكون غائباً ويكتمه حينما أكون وحيلاً مه. كنت بالناكيد أختمن المتعد التي كان يعسيها في التحدث إلى في جلساتنا اللغومة عينما أكون وحيلاً معه. كنت بالناكيد أختمن المتعد التي كان يعنوفها بالعاماة دود ولكن تلك المتعد كانت يرقب من طرف عينه إن كانت تثير لدى اصدقائه الأثر الذي توقعه والذي كان ينبغي أن يوافع ما مبن أن أخيرهم يه. وليست تركز أمّ إحدى المبتدئات انتباهها على ردود ابنتها وعلى موقف الجمهور أكثر عما يضمل و كان يلمحضها أملي وحدي سوى ابتسامة أن لا يكون تم إداراتها وعلى موقف المحمور أكثر عما يفعل. وكان يخشى، إن قلت كلمة ما كان ليمحضها أملي وحدي سوى ابتسامة أن لا الانتباء. ويلقت في التكوار وكي يحمل على التكوار وكي يحمل على الانتباء. ويلقت في المتحد إلى يتبعده الملانع بأن محكمه فيقدم في للدرة الأولى المذكرة التي يحملها عنى والتي لابد أنه كثيراً ما أفسح لهم عنها، إلى حد أي كنت أبعر نفسي فيعاة من الخارج كمثل من يقرأ اسمه في الجريدة أو يرى نفسه في مرآة.

واتفق لمي في إحدى تلك العثيات أن رضِت في رواية قصة مضحكة إلى حد ما عن السيدة «بلانيه» ولكني توقلت في الحمال إذ ذكرت أن وسان لوه يعرفها وأنه تلطمني يوم ابتنيت أن أقولها له في اليوم التالي لموصولي، قاطمني بقره التنفي المقدل المنافئة المسانة والمنافئة المنافئة والمنافئة المسانة والمنافئة المسانة ولكنك وهو يؤكد لي أنه لايموف علمه القصة أنها سوف تسرم كثيرا، وقلت له: «إلك تماني من لحظة نسيان» ولكنك سوف تصرفها عما قليل، « ولا ، أقسم لمك أنك تنظما نما قلتها لمي في يوم، ميا، « وظل موال القصة كلها يحدق بظرات محمومة مفتونة إلى طوراً وإلى رفاقي تارة أخرى. وأدركت بعدما انتهيت فقط وسط ضحكات الجميع أنه فكر أنها ستزود رفاقي يفكرة رفيمة عن ذكائي وأنه تظاهر للذلك بأنه لايمرفها، تلكم هي الصدائة.

وفي العثية الثالثة مخمد إليه أحد أصدقائه طويلاً جداً ولم يسبق أن سنحت لي الفرصة للتحدث إليه في المرتين الأوليين. وكنت أسمه يروي لـ وسان لوه بصوت منخفض عن المتمة التي يلقاها في الحديث. ومخدثنا بالفسل مما طوال الأمسية تقريبا أمام أقداح نبيذ وسوتيرنه التي لانفرغها وقد عزلنا عن الأخرين وحملانا منهم واحد من ضروب التماطف تلك التي تتسم وحدها بالإيهام التمام حينما لاتقوم على أسامى الجاذب الجمدى. هكذا سبق أن بدت لي في وبالبيك، تلك الماطفة الفامضة في طبيعتها التي كان وسان لوه يكتها لي والتي ما كانت تخلط بمتمة أحاديثا وقد انفصلت عن أي رباط مادي، خفية غير ملموسة، ولكنما كان يحب بوجودها في داخله كضرب من المال وعلى قدر كاف ليتحدث عنها وهو بيتسم. وربما اتفقى ما كان أكثر إدهاشاً بعد في هذا التحاطف الذي ولد مهنا في عشية واحدة كمثل زهرة نفتحت في مدى بضع دقائق في دلء هذه العجوة الصحيرة الصحيرة. ولم أنتالك انشي أن أسأل وروبيره، فيما يحاشي عن وبالميك، إن كان قد نقرر حقاً أن يتزوج الآسة وهامرساك، فأقر لي بأن الأمر لم يقفر، وليس ذلك فحصب بل هو لم يكن إلى الأمر لم يقفر، وليس ذلك فحصب بل هو لم يكن البته موضوع بحث واله لم يرها قط ولا يعلم من عناها تكون. ولو اتفق أن رأيت في تلك المحلقة بعن أفراد المجتمع الراقي الذين أو كمامرياك، وأحدام الثانية ودامرساك، ولماني واحد لم يكن والتماني عن زواج الآسة دهامرساك، ولماني كنت ادهشهم كثيراً لم يكن ومان لوي واحدة لم تكن الآسة ودامرساك، ولماني كنت ادهشهم كثيراً الأخبار الكافة بأن تواكم على المانية الصغيرة وأن تكثر الأمدة ودورت الطبيعة هذا المسنف الأخبار الكافة بأن تواكم على المان تواخل مرحة لصديقهم.

وكان دسان لو، قد حدثني عن آخر من رفاقه كان هنالك أيضاً وكان يتفق ولياه على أحسن وجه إذ كانا وحدهما في هذا الوسط يناصران إعادة النظر في دعوى «دريفوس».

وقال لي صديقي الجديد: فإنه ليس على غرار وسان لوء، فهو متهوّس وليس حتى سليم النية. كان بادئ الأمر يقول: وماهلينا الا أن تتنظر، فضمة رجل أعرفه تمام للمرفة يقيض رقة وطيبة، إنه اللواء فهواديفره، ويمكن أن نقبل برأيه دوضا تردد، ولكن حينما علم أن فهواديفره كان ينادي بتجويم ودريفوس، أصبح فهواديفره الإسادي شيئا من بعد. كانت النوعة الاكليروسية وراّء قيادة الأركان المصورة تحول دون أن يمكم بعمدق، مع أنه لبس من كان يبدي إنجاها أكليروسياً مثل صديقنا قبل قضية فريفوس، وقد قال لنا حينائك إن المحقيقة سوف يتم وضمها بين يدي قدر سوسيّه، وأن هلا الأخير، وهو جندي المحقيقة من أمرة تغالي في مناصرة لللكية)، رجل فولاذي ووجلان لايلين. ولكنه حينما أعلن جمهوري/وصنيه، اوأة وديسترهازي، وجد لهذا المحكمة تفسيرات جديدة لاني غير مسالح دريفوس، بل في غير مسالح المواد في مسالح دريفوس، بل في غير ما المحلوبيها أو بقدر ما كانه على الاقل لاني لم قدوسيه (ولاحظ أنه هو الأخر عسكري الزعة بقدر ما هو الخيروسيها أو بقدر ما كانه على الاقل لاني لم أعد أعلم ما أعتقد بثأن، وان أسرته شديدة الاغتمام إذ بهله الأفكار.

وقلت وأنا ألنفت نصف التفاتة صوب «امان لوه كي لا يدو أنني انتحي جانبا وصوب وفيقه كذلك كي أحمله على المشاركة في الحديث «ترى، ذلك أن التأثير الذي يعزونه إلى البيئة إثما يصدق على وجه المخصوص فيما يخص الومط الفكري. فائما الرجل نتاج فكرته، وثمة أنكار أقل بكثير من عدد الرجال. وهكذا يتماثل جميع رجال الفكرة الواحدة. وبما أن الفكرة لاتتسم بأي سمة مادية فان الرجال الذين لايمجعلون برجل الفكرة الاماديا لايمكون فيها شيئاه.

وفي هذه اللحظة قاطعني ٥سان لوه لان أحد الجنود الشبان دله عليّ وهو يقول مبتسما: ٥ديروك، إنه

بالتمام ديروك، وما كنت أدري ما يعنى ذلك ولكني كنت أحس أن تعايير الرجه الذي تملكه المخفية كانت تتم عما هو أكثر من العطف (قائف فصينما كنت أتحدث كانت موافقة الآخرين لاتزال تبدو نافلة في نشر «سان لوه وكان يطالب بالسكوت، ومثلما يستوقف قائد أوركسترا موسيقية وهو يضرب يقومه لأن أحدهم أثار ضجة، فقد أنب المشوش وقال: «جييرغ، ينبغي أن تصمت حينما يتحدث الناس، وتقول ذلك فيما بعده. وقال لي: «هيا، تابع اله.

وتنفست الصعداء إذ خشيت أن يحملني على إعادة كل شيء. وأضفت قائلاً: قولما كانت الفكرة أمراً لايستطيح المشاركة في المصالح البشرية ولا يمكن أن يحظى بمكاسبها فإن رجال فكرة ما لا يتأثرون بالمصاحة.ه

وبعدما أثبت على آخر كلامي استعجب «سان لوه الذي كان لاحقني بنظراته بالمطف القلق نفسه كما لو أثني سرت على الحبال، استعجب قائلاً: «هيا قولوا يا أولادي، إن ذلك يزيد من معلوماتكم. ما الذي كنت تبغى قوله يا «چييرغ» ؟

- و كنت أقول إن السيد يذكرني كثيراً بالرائد وديروك، حسبتني أسمعه،

وأجاب وسان لوه: ولقد فكرت في ظلك كثيراً، فثمة الكثير من أوجه الشبه، ولكنك سترى أنه يتحلى بألف من الأمور لايتحلى بهما دهيروك.

ومثلما كان لايفكر شقيق لصديق دسان لوء هذا طالب في دالمهد الموسيقي، بصدد أي عمل موسيقي جديد على نحو ما يفكر أبوه وأمه وأبناء أعمامه ورفاقه في النادي، بل يفعل بالضبط مثل جميع طلاب المهد الأخمين، كذلك كان لصف الضايط هذا (الذي كوّن دبلوك، عنه فكرة خارقة حينما حدثت عنه إذ أثر في نفسه أن يعلم أنه من حزبه نفسه ولكنه أخذ يتصوره مع ذلك بسبب منشئه الارستقراطي وتربيته الدينية والمسكرية يختلف عنه أشد الاختلاف ويزدان بالسحر نفسه الذي يحيط بأحد مواليد منطقة قصية) وذهنية. حسيما أخذ الناس يقولون، ممثلة لذهنية جميع مناصري ودريقوس، بعامة ودبولوك، بخاصة ولا يمكن لتقاليد

إناهة أم يكنف هماك أوه يهذه المقارنة، فقد أصد في صورة من الفرح كان يضاعف منها دونما نك الفرح الذي يحسه من جراء المناهة أنها أمام أمستقاته أخذ يود في بالملاقة عطيمة وهو يناجني على خراء حسان كان أول الواسيدن إلى خشية الطجوع تشريع من أخروا من الرحيات و المراحية إلى خشية الطجوع تشريع من أخروا من الرحيات و المراحية الأورة اليس كذلك المساقدة مقارنة أول ذلك كما رماة قل أم الوالكة إلى أعظم وراتي في هذا القررة إلى جانب وحستائل المساقد ما المراحية والمراحية المناهة المراحية ا

أسرته ومصالح عمله أن يكون لها أي تأثير عليها. من ذلك أن إين عم لـ وسان لوء تزوج أسيرة شابة من الشرق كانت تنظم فيما يقولون أشعاراً في مثل جمال شعر وفيكتور هوغوء أو والفتريد دو فيتيء ويفرضون لها على بالرغم من ذلك روحاً غير ما يمكن أن يتصور للرء، روح أميرة من الشرق حبيسة في أحد قصور ألف ليلة وقد خص الكتاب الذين حظوا بالانتراب منها بحية الامل أو بالأحرى بالمسرة لسماع حديث يخلف للميهم لانكرة عن وشهرراده بل فكرة عن إنسان عقوى من نوع والفريد دو فينيء أو وفيكتور هوغوه.

كان يسرني على وجه الخصوص أن أتخدث إلى هذا الشاب وإلى أصدقاء ﴿ روبيرِ ۗ الآخرين أيضاً وإلى «روبير» نفسه عن الثكنة وضباط الثكنة والجيش بعامة. وكنت قد باشرت، بفضل هذا المقياس المضخم إلى ما لاحدود والذي نرى به الأشياء التي نأكل وسطها ونتحدث ونعيش حياتنا، مهما صغرت تلك الأشياء، وبفضل هذه الزيادة الضخمة التي تقع لها والتي تؤدي إلى أن البقية لايمكنها، وقد غابت عن العالم، أن ننافسها وهي تتخذ إزاءها لاتماسك الحلم، باشرت أهتم بمختلف شخصيات الثكنة والضباط الذين كنت أنحهم في الباحة حينما أذهب للقاء وسان لوه أو حينما كانت الكتيبة نمر خمت نوافذي إن كنت مستيقظاً. ووددت لو تتيسر لى تفاصيل حول الرائد الذي كان وسان لوه ينظر إليه باعجاب، وحول مقرر التاريخ العسكري الذي كان سيفتنني - حتى على الصعيد الجمالي، كنت أعلم أن لدى دروبير، نزعة لفظية هي في الأغلب فارغة بعض الشيء ولكنما كانت تعنى في مرات أخرى تمثل أفكار عميقة كان قادراً تماماً على إدراكها. بيد أن (روبير) لسوء الحظ كان، فيما يخص الجيش، مهتماً كل اهتمام في هذه الفترة بقضية ودريفوس. كان قليل الحديث عنها لأنه الوحيد بين جلسائه من مناصري «دريغوس» فالآخرون يناهضون بعنف اعادة النظر، فيما عدا جاري على المائدة، وهو صديقي الجديد الذي كانت تبدو آراؤه على شيء من التردد. فقد سبق أن بلغ جارى، وهو معجب أكيد بالعقيد اللَّي كانوا يعدونه ضابطاً مرموقاً وقد ندد بالفتنة التي وقعت ضد الجيش في أوامر يومية مختلفة عدّوه بها بمثابة مناهض لـ \$دريفوس\$، بلغه أن آمره أطلق بعض التأكيدات التي حملتٌ على الظن بأنه كان يشك في تجريم دريفوس، ويحتفظ بتقديره لـ دبيكاره. على أن شائعة وقوف العقيد النسبي إلى جانب ودريفوس، كانت فيما يخص هذه النقطة الأخيرة دون أساس متين في جميع الأحوال شأن جميع الشائعات التي تنطلق من حيث لا نعلم والتي تتشكل من حول أية مسألة كبرى. ذلك أن هذا العقيد كان قد كلُّف بعد ذلك بقليل التحقيق مع رئيس مكتب الاستخارات الأسبق فعامله بوحشية وزراية لم يبلغهما بعد أحد في يوم. ومهما يكن من أمر ومع أن جاري ما كان ليسمح لنفسه بالاستعلام مباشرة لدى العقيد فقد تلطف وقال لـ ٥سان أو٥- باللهجة التي تصرح بها سيدة كاثوليكية لسيدة يهودية أن خوري رعيتها ينلُّد بمذابح اليهود في روسيا وينظر باعجاب إلى أربحية بعض الاسرائيليين (١١) - إن العقيد لم يكن بالنسبة إلى متاصري ودريفوس، ٥-بالنسبة إلى انجاه معين على الأقل بين مناصري ودريفوس، -الخصم المتعصب الضيق الأفق الذي صوروه.

وقال «سان لو»: ولست أعجب لذلك، فإنه رجل ذكي. ولكنما تعميه مع ذلك المراقف المشقية المتحيزة ولاسيما النزعة الاكليروسية.، ثم أردف يقول لي: آه اللرائد وديروك، أستاذ التناريخ العسكري الذي حدثتك

⁽١) بالمعنى الديني واللفظة ترجمة لـــ israélites

عنه، هاك واحدًا يماشي أنكارنا إلى أقصى حد فيما يبدو. ولعل العكس كان يدهشني على أية حال لأنه ليس واتع الذكاء فحسب، بلهو اشتراكي واديكالي وماسوني.٩

وسألت جاري، بمناعي التأدس إيزاء أصدادًاء وسان لرو الذين كانت نشق عليهم نصريحاته العلنية في مناصرة دريفوس، ولأن الأمور الباقية كانت أكثر أثارة لاهتمامي، إن كان صحيحاً أن هذا الرائد يحيل التاريخ المسكري براهين ذات مسحة جمالية حقيقية.

- (صحيح برجه الأطلاق. ٥
- دولكن ما عساك تمنى بذلك؟٥

- دخذ، على سبيل المثلا، إن كل ما تقرؤه، افتراضاً، في رواية أحد الرواة العسكريين، أصغر الوقائع وأصغر الأحداث إن هي إلا علامات فكرة بيني استخلاصها وهي في الذالب تغلى غيرها كما هي الحال في الطروس، وبذلت تتكون لديك مجموعة فكرية بقدر أي علم أو أي فن وتبدو مرضبة للعقل،

- دهات أمثلة، إن لم أثقل عليك.

وقاطعني «سان لو» قائلاً: «من الصعب أن أقول لك هكذا. أنت تقرأ على سبيل المثال أن هذه القطعة العسكرية حاولت.... وقبل المضى إلى أبعد من ذلك فليس اسم القطعة وتأليفها خالبين من الدلالة. فإن لم لكن المرة الأولى التي تتم فيها محاولة العملية وإن رأينا قطعة أخرى تبرز على الساحة من أجل العملية نفسها فربما أشار ذلك إلى أن القطعات السابقة قد أبيدت أو ألحقت بها العملية المذكورة أضراراً بالغة وانها لم تعد قادرة على انجاحها. ولابد أن نتقصى من كانت تلك القطعة التي أبيدت اليوم، فإن كانت فرق صدام احتفظوا بها بمثابة احتياط لعمليات اقتحام ضخمة فإن قطعة أدنى تملك حظاً أقل في الإفلاح حيث أخفقت تلك. وإن لم يتم الأمر، إلى ذلك، في بدء حملة عسكرية فان هذه القطعة الجديدة نفسها يمكن أن تتألف من عناصر مشتتة، الامر الذي يمكن أن يزودنا بشأن القوات التي لانزال في حوزة المتحاربين وبشأن قرب اللحظة التي ستضحى فيها أدنى سوية من قوات الخصم، بمعلومات تضفي على العملية نفسها التي ستقدم عليها تلك القطعة مدلولًا محتلفًا لأنها إن لم تعد قادرة أن تعوض عن خسائرها فإن انتصاراتها نفسها لن تقودها حسابياً إلا إلى الإبادة النهائية. وليس بأقل دلالة من ناحية أحرى الرقم الذي يتضمن خصائص القطعة التي تتصدى لها. فإن كانت على سبيل المثال وحدة أضعف بكثير وسبق أن قضت على وحدات هامة للخصم فإن العملية نفسها تتبدل في طبيعتها، ذلك أنها وأن أنتهت بخسارةالموقع الذي كان المدافع يسيطر عليه فأن سيطر عليه إلى حين يمكن أنَّ بشكُّل انتصاراً كبيراً إن كُفَّتَ الاستعانة بقوات ضئيلة جداً للقضاء على قوات كبيرة جداً لدى الخصم. ويمكنك أن تدرك أتنا إن لقينا هكذا أموراً هامة في تخليل القطعات المزجوجة في المعركة فإن دراسة الموقع نفسه والطرق والسكك الحديدية التي تتحكم بها وصنوف التموين التي يحميها أوفر أهميّة وأضاف ضاحكاً: «ولابد من دراسة ما أدعوه بكامل الظروف الجغرافية المحيطة.» (وقد سر بالفعل لهذه العبارة إلى حدَّ أنَّ الضحكة نفسها وافته على الدوام في كل مرة استخدمها فيها حتى عقب شهور من ذلك.) فان أنت قرأت، أثناء ما يتم الإعداد للعملية على يد أحد الأطراف المتحاربة، أن احدى دورياته قد أبيدت في جوار

موقع على يد الطرف الآخر فإن أحد الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها هو أن الأول كان يحاول تبين الأعمال الدفاعية التي ينوى الثاني بها تفشيل هجومه، ويمكن لعملية عنيفة على نحو خاص في نقطة معينة أن تشير إلى الرغبة في الاستيلاء عليها، وكذلك إلى الرغبة في إيقاف الخصم هناك والامتناع عن الرد عليه حيث هاجيم، أو حتير أن لا تكون سوى خدعة وأن تخفى خلف مضاعفة العنف هذه عمليات سحب قوات من ذلك المكان. (وإنها لخدعة تقليدية في حروب نابليون.) وليس غير ذي بال، من أجل إدراك دلالة مناورة معينة وهدفها المحتمل وأية مناورات بالتالي سوف ترافقها أو تليها، أن تستطلع ما تصرح بها القيادة عنها، مما يمكن أن يكون معداً لتصليل الخصم واخفاء فشل ممكن، أقل بكثير مما نستطلع أنظمة البلاد العسكرية. إذ ينبغي الافتراض أبدأ بأن المناورة التي ابتغي أحد الجيوش تنفيذها إنما هي تلك التي ينص عليها النظام المطبق في الظروف المشابهة. فإن نص النظام على صبيل المثال على مرافقة هجوم تصادمي بهجوم جانبي وإن فشل هذا الهجوم الثاني فزعمت القيادة أن لا علاقة تربطه بالأول وأنه محض عملية إلهاء فالمحتمل أنه يجدر البحث عن الحقيقة في النظام لا في تقوّلات القيادة. وليس ثمة الأنظمة الخاصة بكل جيش فحسب، بل ثمة تقاليدهم وعاداتهم مذاهبهم. ويجدر كذلك ألا نهمل دراسة العمل الدبيلوماسي وهو على الدوام في حالة مستمرة من الفعل أو رد الفعل العسكري. فسوف توضع لك حوادث غير ذات شأن في ظاهرها ولم يتم فهمها في زمانها أن العدو الذي اتكل على معونة كشفت هذه الحوادث أنه حُرمُها لم ينفذ في الواقع سوى جزء من عمله الاستراتيجي. وهكذا فإن ما كان رواية مبهمة في نظر عامة القرَّاء أضحى بالنسبة إليك، إن عرفت كيف تقرأً التاريخ. ترابطاً في مثل معقولية لوحة بالنسبة إلى الهاوي الذي يعرف كيف ينظر إلى ما يرتدي الشخص من ملابس وما يمسك بين يديه فيما زائر المتاحف الذاهل الدوار والصداع من جراء ألوان غامضة. ولكن هذه العمليات العسكرية، كما هو شأن بعض اللوحات التي لايكفي معها أن نلاحظ أن الشخص يمسك فيها بكأس يل ينبغي أن نعلم لماذا وضع المصور بين يديه كأساً وما الذي يرمز إليه بذلك. منسوخة بالعادة، حتى خارج هدفها المباشر، في ذهن اللواء الى يقود الحملة عن معارك أكثر قدماً هي، إن شئت، بمثابة ماضي المعارك الجديدة، بمثابة مكتبتها وعلمها الواسع وأصولها وارستقراطيتها. ولاحظ أني لا أتكلم في هذه اللحظة عن الهوية المحايد للمعارك، ما عساي أقول، الهوية المكانية. وإنها لقائمة أيضاً. إن ميدان معركة ما لم يكن ولن يكون عبر القرون ميدان معركة واحدة. ولئين كان ميدان معركة فلأنه كان يجمع بعض شروط في الموقع الجغرافي والطبيعة الجيولوجية وحتى العيوب التي من شأتها إعاقة الخصم اكنهر على سبيل المثال يقطعه قسمين) جعلت منه ميدان معركة يفي بالفرض. لقد كان كذلك إذن وسوف يظل. لست تقيم مشغل رسم باللجوء إلى أية غرفة، واست تصنع ميلان معركة باللجوء إلى أي مكان. فهناك أمكنة مصطفاة سلفاً. ولكني، وأقولها ثانية، ما كنت أتخلث عن ذلك، بل عن طراز المركة التي تتم محاكاتها، عن نوع من النسيج الإستراتيجي، من المحاكاة التكتيكية إن شئت:كمعركة «أولم» و«لودي، و«لابيزيغ» و«كان». لست أدري إن كانت ستقع حروب أيضاً ولا بين أية شعوب ؛ أما اذا وقعت فتأكد أن ستكون ثمة (وعلى نحو مقصود فيما يخص القائد) معركة «كان» ومعركة «أوسترليتز» وهروزباخ» وهوانزلوه، ناهيك عن الأخريات. ولايشعر بعضهم بالحرج في قول ذلك، فقد أعد المشير وفون شليفن، واللواء ودو فالكنهاوزن، سلفاً ضد فرنسة ما يشبه معركة ٥كان، من طراز هنيبعل يرافقها تثبيت الخصم على سائر الجبهة والتقلم بطريق الجناحين ولاسيما الميمنة في بلچيكا، في حين يفضل برنهاردي، نظام وفريدريك، الأول المائل، بفضل ولوتين، على وكان، ويعرض

آخرون آراءهم عرضاً أقل فجاجة، ولكني أؤكد لك تماماً ياصاح أن «بركونيسي» قائد السرايا الذي قدمتك إليه فاك اليوم، وهو ضابط ينتظره مستقبل باهر، قد درس بجد هجومه الصغير على «براتون» وبمرف خبايا رواياه ويضعها في جعبة احتياطه، فإن سنحت له في اليوم فرصة تنفيذه لم يتوان وقدمه إلينا في أوفى خطوطه. لسوف يعاد اختراق الوسط إن ظل ثمة حروب، فليس خلك أقدم ههدا من الإلياذة. وأضيف أنه مقضي مطايا تقريا باللجوء إلى الهجوم التصادمي لأننا لا نود أن نرتكب ثانية خطيفة عام السيمين بل نود القيام بالهجوم ولاشيء سوى الهجوم. والأمر الوحيد الذي يقلقني أني كنت لا أبصر سوى عقول متخلقة تقاوم هذا المذهب الرائح فإن أحد أحدث أسافذني سنا، وهو رجل عبقري يدعى «مانجان»، يود أن يحتفظ للدفاع بمكانه، مكان مؤقت بالطبع. وتلفي نفسك محرجاً بالرد عليه حيدما يستشهد بـ «أوسترليتز» حيث لايعدو الدفاع أن يكون فاشة الهجوم والنصر،»

كانت نظريات دسان لوء هذه تبعث في السعادة ؛ فقد كانت مخمل إلى الأمل بأنبى ربما لم أكن، في حياتى في دونسييره ، إزاء أولتك الضباط الذين كان بوافيني الحديث عنهم وأنا أحتمى خصور دسوتيرنه التي تمكن عليهم ألوها الساحر، لم أكن ضحة ذلك التضخيم نفسه الذي ضخم في عيني طوال إقامتي في المبلك ملك أوقيانيا وملكتها وجماعة المواقة الأربعة الصغيرة واللاعب الشاب وشقيق زوجة ولوغرائدانه وقد تقلموا الأن في ناظري حتى ليخيل إلى أنهم غير موجودين فيما لم يصبح ما كان يوقني اليوم غير دي بال في نظري خدا مثلما وقع في على الدوام حتى الآن. ويهما لم يكن محكوماً على الكان الذي لا أزال أولفه في على الدوام حتى الآن، ويهما لم يكن محكوماً على الكان الذي لا أزال أولفه في تلك الفترة بالخداء قلب كن عان يفيف أساساً تلك الأماسي القليلة لكل ما يتعلق بالحياة المسكية من جراء ما قالمه نما يختص فن العرب، كان يفيف أساساً كنداع فيمي، بأنني سأوالي بمدما أرحل الاهتماء بأشغال أصدقائي في دونسييرة ولن يطول بي الأمر حتى الور فيما لي الأمر حتى أعرد فيما بينهم، وكيما أزداد مع ذلك ثقة بأن فن الحرب هذا فن أكيد يمعنى الملفظة الفكري قلت لـ وسائل

- وتثيرون اهتمامي، عفوك، تثير اهتمامي إلى حد بعيد، ولكن قل لي، لمه تفعلة تقلقني. أحس أنه بمكتني التولّه بالفن المسكري، بيد أنه ينبغي لذلك أن لا أحسبه منطقا إلى هذا العد عن الفنون الأخرى وأن لا يشمل المقاعدة المتعلمة كل غيء فيه. تقول لي إنه يتم نسخ معارك، وانني أرى الأمر بالغمل جميلاً، حسبما كنت تقول أن يسمر المرء خطف معركة حديثة معركة أكثر قدماً، ولا يسمني أن أقول لك إلى أي حد تروقني ماه الفكرة. ولكن أثراه الإيهاوي شيئاً نبوغ القائف حيالك؟ أو لا يقوم بالحقيقة ألا بتطبيق القواعد؟ أم أن هذا لك، بساوي العلم، قواماً عظاماً مثلاً مثلك جراحون عظام يحسون، فيما المناصر التي تزوهم بها حالتان مرضبتان واحدة على الهميد الجمسمي، يحسون انظلاقاً من أمر زهيد ربما صنعته تجرتهم ولكنما تم تفسيره مرضبتان واحدة على الهميد الجمسمي، يحسون انظلاقاً من أمر زهيد ربما صنعته تجرتهم ولكنما تم تفسيره أنه عربي بهم عليهم في هذه الحالة أن يقعلوا بالأحرى هذا الأمر وفي تلك أن يُعملوا بالأحرى ذاك، وأنه حري بهم الذي يقع عليهم في هذه الحالة أن يقعلوا بالأحرى هذا الأمر وفي تلك أن يُعملوا بالأحرى ذاك. وأنه حري بهم

ذلك بالثمام ما اعتقدا سوف ترى نابليون لايهاجم حينما كانت القواعد جميمها تفرض أن بهاجم،
 ٢٧

ولكن تكهنا غامضاً كان ينهيه عن ذلك. هاك اأوسترليتزا مثلاً أو تعليماته عام ١٨٠٦ إلى الانَّه ولكنك سترى قادة يقلدون تقليداً مدرمياً هذه المناورة أو تلك لنابليون ويصلون إلى نقيض نتيجته نماماً. ثمة عشرة أمثلة من هذا القبيل في عام ١٨٧٠. ولكن، حتى على صعيد تفسير ما يمكن أن يفعله الخصم، ليس مايفعله سوى ظاهرة يمكن أن تعنى الكثير من الأمور المختلفة. ولكل من هذه الأمور مقدار الحظ نفسه في أن يكون هو الصحيح إن اقتصرنا على المحاكمة العقلية وعلى العلم، مثلما لاتكفى علوم العالم الطبية بكاملها في بعض المحالات المعقدة لتقرير ما إذا كان الورم الخفي ليفياً أم لا وإن كان ينبغي إجراء العملية أم لا. إنها حاسة الشم، إنه التكهن على طريقة السيدة ٥ دو تيب، (أنت تفهمني) الذي يحكم بالأمر لدى القائد الكبير والطبيب الكبير على حد سواء. من ذلك أنى قلت لك، لأضرب لك مثلاً، ما يمكن أن يعنيه الاستطلاع في بدء إحدى المعارك. بيد أنه يمكن أن يعني عشرة أمور أخرى، كأن تحمل العدو مثلاً على الاعتقاد بأنك تزمع المهاجمة في نقطة معينة في حين تبغي الهجوم في نقطة أخرى، أو ترخى ستاراً يحجب عنه رؤية الاستعدادات للعملية الحقيقية، أو تضطره إلى جلب القطعات وتثبيتها وتجميدها في غير المكان الذي هي ضرورية فيه، أو تتبين القوات التي بحوزته وتتلمسه وتضطره إلى كشف أوراقه. وحتى أمر زج قطعات ضخمة لعدد في عملية ما ليس البرهان أحياناً على أن هذه العملية هي المحقيقية، إذ يمكن تنفيذها جدياً مع أنها محض خدعة كي يتجمع لهذه الخدعة فرص أكثر في التضليل. ولو انسع لي الوقت لاروي لك حروب نابليون من وجهة النظر هذه فاني أؤكد أن هذه الحركات الكلاسيكية البسيطة التي ندرسها والتي سترانا نقوم بها أثناء الخدمة في الحقول، لمحض متمة النزهة أيها الخزير اللعين (لا، أعلم أنك مريض، عقوك!)، حسن، حينما نحس خلفها في إحدى الحروب يقظة القيادة العليا ومحاكمتها وبحوثها العميقة فإنما تهتز مشاعرنا أمامها شأنها أمام مجرد أضواء منارة وهي نور مادي ولكنها صادرة عن الفكر وعجوب فسيح للكان لتنبه السقن إلى الخطر. وريما كنت حتى على ضلال في أن أحدثك بلغة أدب الحرب فحسب. فمثلما يشير تكوين الأرض والمجاه الربح والضوء إلى الجهة التي ستنمو الشجرة فيها تحكم الشروط التي تتم فيها حملة ما ومميزات المنطقة التي تم المناورة فيها، عجكم في الواقع نوعاً ما الخطط التي يستطيع القائد أن يختار من بينها وتحد منها. حتى ليمكنك التنبؤ بمسيرة الجيوش، بما يقارب صفة الضرورة والجمال الرائع في منهارات الثلوج، على صفوح الجبال وفي مجموعة من الوديان وفي هذه السهول أو تلك.،

 - دانك تنكر علي الآن الحرية لدى القائد والتكهن لدى الخصم الذي يود نبين خططه، وكنت رهبتني إياهما منذ قليل.»

- ولا، بوجه الإطلاق! تذكر كتاب الفلسفة ذاك الذي كنا نقرة سوية في وبالبيك، والوفرة في عالم الممكنات بالنسبة إلى العالم الحقيقي. حسن! إن الأمر لكذلك في فن الحروب. ففي حالة معينة تمة أربع خطط تفرض نفسها واستطاع القائد أن يتخار من بينها، مثلما بمكن أن يتبع مرض خطوط سير مخطفة يبعدر بالطبيب أن يتوقعها. وههنا أيضا بيدو ضعف الإنسان وعظمته بمثابة أسباب جديدة للحيرة. فلفرض أن أسبابا مارقة (كأمداف ثانوية بلوغها أو الوقت الضيق أو العدد القليل في تواته وسوء تموينها) مخمل القائد على أن يفضل من بين هذه الخطف الأربع الخطة الأولى، وهي أقل كمالاً ولكن تنفيذها أقل كلفة وأوفر سرعة وتمتد ساحتها على منطقة أوفر غنى لإطعام جيشه. وقد يتفق له، بعدما يشرع بهذه الخطة الأولى التي سيتينها العدو

عما قليل بعدما حار بادئ الأمر فيها، أن لا يستطيع النجاح فيها بسبب عقبات كبيرة جداً- الأمر الذي أدعوه بالاحتمال الصادر عن الضعف الإنساني - وان يهجرها ويحاول في الخطة الثانية أو الثالثة أو الرابعة. بيد أنه يمكن كذلك ألا يكون أجرى محاولة- وهذا أدعوه بالعظمة الإنسانية- إلا بداعي الحدعة ولتثبيت الخصم على نحو تفاجئه فيه حيث ما كان يحسب أنه سيهاجَم. من ذلك أن ١ماك، الذي كان ينتظر العدو في وأولمه من الغرب قد تم تطويقه من الشمال حيث كان يحسب أنه في أتم الطمأنينة. وليس مثالي موفقاً جداً على أية حال. و«أولم» نمط أفضل في معارك الالتفاف سوف نراه يستعاد في المستقبل لأنه ليس مثالاً كلاسيكياً سوف يستلهمه القادة فحسب بل صيغة ضرورية إلى حد ما (ضرورية بين صيغ أخرى الأمر الذي يوفر الخيار والتنوع) كمثل نمط من التبلور. ولكن ذلك كله لاطائل تخته لأن هذه الأطر مصطنعة على الرغم من كل شيء. أعود إلى كتابنا الفلسفي، الأمر يشبه المبادئ العقلية أو القوانين العلمية والواقع ينطيق عليها تقريباً، ولكن عد بالذاكرة إلى الرياضي العظيم «بوانكاريه»، فليس أكيداً أن الرياضيات صحيحة كل الصحة. فأما الأنظمة نفسها التي حدثتك عنها فهي بإجمال القول ثانوية في أهميتها ويتم تبديلها على أية حال بين الحين والحين. من ذلك أننا نعيش، نحن الفرسان على نظام التدريب الحي لعام ١٨٩٥ الذي بوسعنا القول إنه تقادم عهده بما أنه يرتكز على المذهب القديم البالي القائل بأن قتال الفرسان لايملك سوى أثر معنوي تقريباً بالذعر الذي تبعثه غارة الخيالة في الخصم. ولكن أكثر رؤسالنا ذكاء، وهم أفضل من في الفرسان ولاسيما الرائد الذي كنت أحدثك عنه ؛ يرون على العكس أن الحسم يتم بلوغه في اشتباك حقيقي يتم فيه القتال بالسيف والرمح وينتصر فيه من كان أوفر صلابة لاعلى صعيد محض معنوي وبتأثير الذعر بل على صعيد مادي.٤

وقال جاري: وإن ٥سان لوء على حق والأرجح أن نظام التدريب السمي المقبل سوف يحمل أثر هذا التعاور،،

وقال دسان لوه صاحكا: دلست غاضباً من جراء موافقتك إذ يبدؤ أن آراءك أكثر تأثيراً في صديقى من آراءي أكثر تأثيراً في صديقى من آراءي دافرة الوليذة بين رفيقه وبيني كانت تزعجه بعض الشيء وإما لأنه رأى من اللطف أن يكرمها بالباتها رسمياً. دهم إلي ربحا ظلت من أهمية الأنظمة. إنه يتم نفيرها، ذلك أمر أكيا، ولكنها حتى ذلك عكم الوضع المستري واخطط الممارك وحشد القوات. فإن حكست تصوراً امرائيجياً خاطئاً أمكن أن تكر مللمسد الأولى للهزيمة، قم قال لي: «كل ذلك على شيء من التقنية بالنسبة إليك. فاعلم أن أكثر ما يسرع تطور فن الحرب إضاء هو في الأمان العروب نفسها. فأنت ترى أحد المتحاربين في أثناء حملة ما، إن هم طالت قليلاً، يفيد من الدوس التي تلقته إلها تجاحات الخصم وأخطائه وبحث طرائق هذا الأخير الذي ينالي فيها بدوره على أن ذلك أضبى من الماضي، فسوف تصبح حروب المستقبل. إن ظل فمة حروب، بفضل تقدم المنتقبل. إن ظل فمة حروب، بفضل تقدم المنتقبل. إن ظل فمة حروب، بفضل تقدم المدفعة الخيف، قسيرة جنا حتى ليتم السلام قبل أن يفكر المرء في الإفادة من الدرس الملقن،

وقلت لمد دسان لوه: والاتك شنيد المصامية، فقد أصغيت إليك بقدر من النهم كاف، وأنا أرد بذلك على ما سبق أن قال قبل هذه الأقوال الأعيرة.

وأضاف صديق ٥سان لو٥ يقول: إن تفضلت فلم تغضب دونما مبب وسمحت بذلك فسوف أضيف

إلى ما قلته منذ قليل أن للمارك إن هي تمت محاكلها وتطابقت فما الأمر بسبب نباهة القائد فحسب. فقد يتفق للفائد أن يسوقه أحد أخطائه (كتقدير غير كاف لقيمة الخصم على سبيل المثال) إلى مطالبة قواته يتضيحات مقرطة تضميات تتفلها بعض الوحنات بتجرد رفيح إلى حد أن دورها يضحى بذلك شبيها بدور هذه الوحدة أو تلك في أي معركة أخرى وسوف يذكرها الناريخ على أنها أمثلة قابلة للمبادلة فيما بينها: فإن اكتفينا بعام ١٨٧٠، فالحرس البروسي في وسان لوه ودالتركوه (⁽¹⁾ في وفروشفيلره وفي وفيسنبورغ».

وقال ٥سان لوء: وقابلة للمبادلة فيما بينها! هذا صحيح تماما! ممتاز! ويانعُمُ الذكاء

وما كنت لامبالياً بهذه الامثلة الأخيرة شأني في كل مرة بيرزون في العام فيها خلف الخاص. على أن عقرية القائد، ذلكم ما كان يثير اهتمامي، فقد كنت أود تبين ما نقوم عليه وكيف يتصرف في ظرف معين لايستطيع القائد غير المبقري الصمود فيه أمام الخصم، كيف يتصرف القائد المبتري ليميد لصائحه المحركة التي مالت كفتها وهي أمر بمكن تماماً، حسبما يقول وسان لوع، وقد تحقق مرات عدة على يد نابليون. وكيما أفهم أي شيء هي القيمة الصكرية، كنت أطالبهم بمقارنات بين القادة الذين كنت أعرف أسماءهم، من منهم بملك قدراً أكبر من طبيعة القائد، ومواهب الطهائد العربيّ وإذ بلغ بي أن أزعج أصدقائي المجدد الذين ما كانوا يدون من ظلك شيا وكانوا يجبونني بالطف لايموف الكل إلى المن بي أن أزعج أصدقائي المجدد

كنت أحسني مفصولاً لا عن اللهل الكبير الجليدي الذي يمتد في البعد فحسب، والذي كنا نسمع فيه بين الدين والحين صفارة قطار كانت تؤيد فحسب من عتمة أن تكون هنا، أو رنات ساعة لانوال لحسن السحط بهيدة عن والحين صفارة قطار كانت تؤيد فحسب من عتمة أن تكون هنا، أو رنات ساعة لانوال لحسن السحط بهيدة عن طلك القي ينبغي لهؤلاء اللبان أن يستعيارا سروفهم فيها ويمودوت بل عن جميع الشراعل الدخاجية كلك ولولا القليل، ومن ذكرى السيدة دو غير مانت، من جراء الطف دسان لوء الذي يشغي عليه كأنما كانانة أكثر لطف أصدقاته الذي ينبغي المنظرة عليه كانتها اللهاء مراء الأطباق الفاضة ما تولي بهمي، فقط حلم، ومن جراء الأطباق الفاضة الذي يقتب فيه بعض قطارت من الماء كانت وقي عنها المراء الذي يقتب فيه بعض قطارت من الماء لللهاء أو غصن كرمة أعقد وأوراق اصفرت حول عقود عنب، كانت لانوال تخيط بها أحيانا غير صاالحة للإكل شاعرية بهيدة كمثل منظر طبيعي تتعاقب بها في أثناء المشاء إيحاءات يقلولة في ظل كرمة وينوهة في الماء المساعرة بهيا أوي أثناء المشاء إيحاءات يقلولة في ظل كرمة وينوهة في الماء المساعرة بهيا أوي المناء المساعرة على على عرار عمل فني المسمحة مناهية والماء المساعرة بهيا في قسمة طويلة من الفخار وبلمو فيها وأذه تنز فوق تثارات من أعلمه ضارية إلى الرقة، متمامكة ولكنها لانوال تلتري من جراء أن ألقيت حيد فيها وأذها تظهره في قطعة عرفية من أحمال وبيزان النبري عن غيامة والقرادس وبلم المبحرة وبلوهة وكانها تظهره فيها وكانها تظهره والما وبيزان النبري عن طراء أن ألقيت حيد فيها وكانها تظهره والما وبيزان النبري عن ظلم كالسراطين والقرادس وبلم المبحرة والمناء والمهاء والمهاء والمهاء والمهاء والمهاء والمهاء والمهاء من طويات تدور في فلكها كالسراطين والقرادس وبلم المبحرة المهاء والمهاء والمهاء من حيوانات تدور في فلكها كالسراطين والقرادس والمهاء المبحرة المناس والمهاء والمهاء والمهاء والمؤلفة والمهاء والمؤلفة من المعامل وبيزان النبر في فلكها كالسراطين والقرادس والمهاء المبحرة المهاء والمهاء والمهاء من المهاء والمهاء وا

وقال لمي «سان لوه نصف هازل ونصف هازل ونصف جاد وهو يشير إلى الاحاديث الجانبية التي لا تنتهي والتي كانت بيني وبين صديقه إنني أغار، وأنا حانق! فهل تراه أوفر ذكاء مني؟ وهل تحبه أكثر مني؟

⁽١) قرق من الجنود الجزائريين.

وليس والحالة هذه من أمر إلا وتخصه به؟ (إن الرجال الذين يبحون امرأة حباً جماً ويعيشون في مجمع رجال مبالين إلى النساء يسمحون لانفسهم بمزحات لايجرؤ عليها آخرون ربعا أبصروا فيها قدرا من البراءة أقل.)

كانوا يتجبون، حالما يضحي الحديث عاماً، التحدث عن «دريفوس» منطقة أن يجرحوا ضعور «سان لوء
يبد أن النين من رقاقه أبديا بعد أسبوع كم يبدو غرياً أن يكون من مناصري «دريفوس» بهذا المقدار ويكاد
يناهض الروح العسكرية وهو يبيش في يئة عسكرية إلى هذا الحد، فقلت ومرادي ألا أدخل في التفاصيل:
يناهض الروح العسكرية وهو يبيش في يئة عسكرية إلى هذا الحد، فقلت ومرادي ألا أدخل في التفاصيل:
الأفكار التي سبق أن عوضتها لـ وسان لوه قبل بضمة أيام، وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أومع، إذ سبق أن
الأفكار التي سبق أن عوضتها لـ وسان لوه قبل بضمة أيام، وعلى الرغم من ذلك بأن أضيف: ووهو بالفلسط ما
تقلت لمه هذه الكلمات على الأقل بما يقرب أن يكون حولياً، الاعتذار عن ذلك بأن أضيف: ووهو بالفليف عي
كنت في ذلك اليوم..هولكني لم آخذ في حسابي الموجه الآخر الذي يملكه اعجاب ووربيره المطيف عي
ويمض الأضخاص الآخرين. فقد كان هذا الإعجاب يكتمل بتمثل نام لأفكارهم إلى حد ينسى معه بعد
طرحى المتواضع وكأنما بالناما أقام على الدوام في دماغه، وكاني إنما أطوف في مماكته، أن يهتشي بسلامة
الوصول تهتقة حارة وأن يقرئي في ما قلت:

- وبالطبع البياة لا أهمية لها ٤

وأضاف كما لو خشي أن أقاطعه أو ألا أفهمه وبالقوة نقسها:

والتأثير الحقيقي هو تأثير الوسط الفكري، فالإنسان نتاج فكرته او وتوقف لحظة وبه ابتسامة من هضم
 تمام الهضم وترك نظارته تهوي وثبت كالمقب نظرته عليّ، وقال لي بالهجة متحدية:

- وجميع رجال الفكرة الواحدة متشابهون، ولم يكن يتذكر دونما شك أنني قلت له قبل أيام ما
 تذكره على المكس تماماً.

لم أكن أصل كل مساء إلى معلمه هسان لوء وأنا في الحالة النفسية ذاتها. فلتن أمكن لذكرى وأمكن لغم أن يهجرانا حتى لا نراهما من بعد فاتهما يعردان كذلك ولا يتركاننا أحيانا على مدى فترة طويلة. فشمة عثيات كنت أتاسف فيها على السيدة ودوغرمات،، وأنا أجزار الملدينة لأمضي بالمجمّله المطهم إلى حد يشق علي معه التنفس لكأن جزها من صداري قد ثم بجرء على يد مغرّر عامر ونزع واستبدل به جزء مساو له من العاب اللامادي وما يقابله من حتين وحب. وعباً خيلت القطب على أحسن وجه الآت يتبق عليك العيش حياما بالمباط المام مكان فتحس به أبداً، ثم أعل بعض المنافق على من مكان فتحس به أبداً، ثم أي بعض ذلك العيش أي لبي ذلك أن تعفيظ إلى تفكيره جزء من جمسكا على أله يدو أنك تساوي أكثر من ذلك. فلاقها أي نسمية توفر من ضيق، بل من المباريج الهوري، أيضا كنت أنظر إلى السماء، فإن كانت صافية قلت في نفسي: وربعا كان يقول لي وهو يدخل إلى المهام: ولام كان عن يقول لي وهو يدخل إلى المهام: ولمامة خير مار، لقد كتبت إلى هماء وما كنت المطمرة ولما قبل المهام عنها من من المذربة تمر تبدو وكأنها المعم، والمة منها كما بالأمس من «جبليرت» في أقماح وميزكليزة: قالم لا يتبدل بل يقحم في الشعور غير المنافية على تعرب من المذربة تمر تبدو وكأنها شعور إلى مالة منها كما بالأمس من «جبليرت» في أقماح وميزكليزة: قالم لا يتبدل بل يقحم في الشعور المنافية منافية الميدة وحدم في الشعور التي رسائة على المنافق علم المن ومالة المن من المذربة تمر تبدو وكأنها التي ومالة المنافقة على المنافقة على المنافقة على المن من «جبليرت» في أقماح وميزكليزة: قالم لا يتبدل بل يقحم في الشعور

الذي يرده إلى كائن ما الكثير من العناصر الغافية التي يوقظها ولكنها غربية عنه. ثمَّ ان شيئا في داخلنا يجهد أبدا في إضفاء حقيقة أكبر على هذه المشاعر الخاصة، أعني في حملها على الاقتران بشعور أكثر عمومية تشارك فيه الإنسانية جمعاء ويبدو به الأفراد والغموم التي يسبّبونها لنا محض فرصة للايخاد فيه: إنّ ما كان يمزج بعض المتعة بغمى أنني أعلم أنها جزء صغير من الحب الشامل. ما كنت أخلص، دونما شك، عما كنت أحسب أنى أتعرفه من الأحران التي سبق أن أحسست بها بشأن «جيلبيرت»، أو حينما لاتمكث أمي مساء في الكومبريه في غرفتي وكذلك تذكر بعض صفحات لدى البيرغوت، داخل العذاب الذي كنت أعانيه والَّذي لم تكن ترتبط به السيدة دو غيرمانت، وجفاؤها وغيابها ارتباطاً واضحاً مثلما العلة بالأثر في ذهن العالم، ما كنت أخلص إلى أن السيدة دو غيرمانت، لم تكن تلك العلة. أفليس ثمة ألم جسدي منتشر يمتد اشعاعاً إلى مناطق خارج القسم لمريض ولكنه يهجرها ليتبدد كلياً إن لمس طبيب النقطة المحددة التي يصدر عنها؟ مع أن امتداده قبل ذلك كان يوليه بالنسبة إلينا طابعاً من الإبهام والحتمية إلى حد ظننا معه وقد عجزنا عن تفسيره وحمى عن مخديد مكانه أنه يستحيل شفاؤه. وكنت أقول في نفسي فيما أنا سائر إلى مطعم: ولقد انقضى أربعة عشر يوماً ولم أشاهد السيدة ددو غيرمانت، (أربعة عشر يوماً، الأمر الذي ما كان يبدو شيئاً هائلاً إلا في عيني أنا الذي كان يعد بالدقائق إن تعلق الأمر بالسيدة دوو غيرمانته). وما كانت تتخذ النجوم وحدها والنسيم في نظري شيئاً من الألم والشاعرية بل تبلغ مبلغها حتى تقسيمات الزمن الحسابية. لكأنما أصبح كل يوم الآن الذروة المتحركة لتلة غير ثابتة المعالم: فأحس من جانب أتني استطيع الانحدار صوب النسيان، وتحملني من الآخر حاجة لقاء الدوقة. وكنت حينا أكثر قربا من هذا أو ذاك لا أملك توازناً مستقراً. وقلت ذات يوم في نفسي: ٥ ربما كان ثمة رسالة هذا المساء، وتجرأت وأنا أقبل للعشاء فسألت، سان لو، قائلاً:

- اترى، ألا أخبار لنيك من باريس؟؟

فأجابني متجهم الوجه: ٥ بلي، وإنها لسيفة.

وتنفست الصعداء وقد أدركت أن به وحده غماً وأن الأخبار أخبار عشيقته. ولكني أبصرت بعد قليل أنّ من تناقجها أن همول فترة طويلة دون أن يصطحبني درويو، لدى عمته.

لقد علمت أن شجاراً وقع بينه وبين عشيقته إما بالرسائل أو هي جاءت ذات صباح لتلقاء بين موعد قطارين. كانت الشجارات التي وقمت بينهما حبى الآن، حبى تلك الأقل خطورة، كانت تبدر أبداً وكأنما ينبغي أن تظل دون حل. ذلك أنها كانت معكرة المزاج تخط الأرض بقدميها وتبكي لأسباب متعلرة الفهم شأن الاطفال الذين يعتصمون داخل غرفة مظلمة ولا يحضرون للمشاء ويرفعنون أي استفسار ويزدادون اتتحاباً فحسب حينما يضربون بعد أن أعيت الدياة.

وتألم وسان لوء ألما فظيماً من جراء ذلك الدخلاف، على أن هذه طريقة في رواية الأمر بسيطة جداً وهي تفسد بذلك الفكرة التي يجدر أن يكوّنها المرء عن ذاك الألم. فسينسا ألفى نفسه وسيماً لايملك من بعد سوى التفكير بعشيقته التي مضت خمل معها الاحترام الذي أحست به إذ _وأنه حازماً إلى هذا الحد انتهت صنوف الفكل التي انتابته في الساعات الأولى إذاء مالا يمكن تداركه، وإن توقف قان ما أمر عذب إلى حد أن الخلاف التخذ في نظره، بعدما تأكد، شيئاً من ذات نوع السحو الذي قد تكسبه المسالحة. فأما ما أحد يعلبه بعد ذلك بقليل فألم وعارض ثانويات كان دفقهما باستمرار من ذاته لدى لتفكير بأنها ربما كانت تود التقارب وأن ليس يستمول أنها تتظر كلمة منه وأنها بانتظار ذلك ربما فعلت بنية الثار لنفسها هذا الشيء أو ذلك في إحدى المشيات وفي مكان أي مكان، وأنه يقع عليه محض الإبراق إليها بأنه قام حى لايتم الأمر، وأن آخرين ربما كانوا يفيدون من الوقت الذي يسمح بضياعه وأنه قد يفوت الاوان بعد بضمة أيام كيما يلقاها ثانية إذ قد تكون ملك سواه، إنه لايعرف من كل تلك الاحمالات شيئاً فعشيقته للزم صمتاً بلغ مبلغاً جن به ألمه حتى التهى به إلى التساؤل إن لم تكن تخدى في «دو نسير» أو هي ذهبت إلى الهند.

لقد قبل إن الصحت قوّة، وإنه لقوّة رهية في يد المعترقين، بمعنى يختلف تسلم الاختلاف، فهي تربه من قلق الذي ينتظر. لهى ما يدعو إلى الاغراب من شخص كمثل ما يفصلك عنه، وأي حاجز أكثر استناعاً السبون، من الصحت ؟ لقد قبل أيضاً إن الفصيت عللب وهو قادر أن يلمب بقلّ من كان يُقرَضُ عليه في السبون، ولكن أي عذاب ذلك- وهو أشد من الترام الهممت ؟ لاشك هي تنونين مع أخرين ؟٥ وكان يقول في نفسه نه دماصالها تعمل حتى تصمت هذا الهممت ؟ لاشك هي تنونين مع أخرين ؟٥ وكان يقول في نفسه كان العمت يفقده صوابه من جراء النورة ومن جراء تأتيب الطبقير والهمت هذا على أية حال أشد قسوة كان الهمت يفقده صوابه من جراء النورة ومن جراء تأتيب الضمير والهمت هذا على أية حال أشد قسوة للأجواء الفارغة من صحت السجون فهو سجن في حد ذاته. وإنها لمو لا يلادي دوريا أو المنازة المرادة المنازة المناذة المنازة المنازة المنازة المنازة المنازة المنازة المن الخارة المنازة المنازة المنازة المن الخارة المنازة المناذ المنازة المنازة المنازة المنازة المنازة المنازة المنازة المناذة المنازة المناز

كان يعاني سلقاً جميع آلام قطيعة يظن في فترات أخرى أنه يستطيع تجنبها، دون أن يقوته صنف من الله الآلام، شأن الذين يرتبون أمروهم جميعها بقصد هجرة لن تتم فيما يضطرب فكرهم مؤقتاً وهو لايعلم من بعد على أي موقع سبقيم في الغد وينفصل عنهم شبيها بذلك القلب الذي ينتزع من صعدر مريض ويستمر في بعد على أي حال كان ذلك القلب الذي ينتزع من صعدر مريض ويستمر في من موالاة القطيعة مثلما الاعتقاد بامكان الرجوع حياً من القتال يساعد على مواجهة الموت. وبما أن العادة أقل البناتات البشرية جميمها حاجة إلى رض منفية كيم على العموة المؤتل ما أن العادة أقل البناتات البشرية جميمها حاجة إلى رض منفية كيم على العموة الأكل ما يرز على الصعرة الأكل إقفاراً في الظاهر، فربحاً انتهى تموذا تعرفاً صادقاً بدأن العرف كان يتخد على العمومة المؤتل المؤلف لديه حالة افترت بلاكرى تلك المؤة فشابهت الحب. ولكنه كان يرغم نفسه على الإحجام عن الكتابة إليها (طناً منه بأن العلل، وبما كان أقل قسوة في العيش بدون عشيقته منه إلى جانبها ضمن بعض المروط أو أن انتظار اعلرها بعد الطريقة التي افترة بها ضروري كيما تحفظ ما كان يحسب أنها تكته له إن لم يكن من حب قائله من تقدير واحرام . كان يكتفي بالمذهاب إلى الهاتف الذي أقيم منذ قليل في هوديسيرة وباستقاء أمنجار من وصيفة أقامها بالقرب من صديقته أو باصدار تعلمياته إليها. كانت تلك الاصلات معقدة على أية حال وبكلفه وقتاً أكثر لأن عشيقة ووبيره استاجرت لتوما عقراً صغيراً في ضواحي الانصالات معقدة على أية حال وبكلفه وقتاً أكثر لأن عشيقة ووبيره استاجرت لتوما عقراً صغيراً في ضواحي

وفرساي، طبقاً لآراء أصدقائها من الأدباء فيما يبخص قباحة العاصمة وعلى وجه الخصوص نظراً لحيواتها، لكلابها وقردها ونتوانها وبندينام لكلابها وقردها ونتوانها ويندينام بدوره المنافقة والمحتال أصوائها المستمرة، ولكنه لم يعد ينام بدوره لحظة واحدة أثناء الملل في «دونسيرة، وفات مرة أغفى لمبه قليلاً وقد غله التعب. ولكنه أخذ يتكلم منجأة كان يبغى المنجي والحؤول ودن أمر ما ويقول، «الني أمسمها» المستبد، واستيقظ قال في إنه وافاه في الصلم أنه خارج الملية لدى التوقيب الأول. القد حال هلا الأخير أن يقصيه عن قسم من المنزل. وأمرك هاسات الحلم أنه خارج المرفقة المنافقة المن عمر من المنزل. وأمرك هاسات في منافقة التي تعرف صديقته إلى حدّ بعيد. وسمع فجأة في الحظات الملكة. وأراد إرغام الرقيب على اصداحاته إلى الخرفة، وكان هذا يسمله بديامه من المناف إليها فيما يمدي استهاء الخلاص المنطقة المن المنافقة التي تعرف المنافقة المن المناف المنافقة المنا

وأضاف يقول، ولايزال متقطع الأنفاس: اإن حلمي لسخيف،

ولكتي أبصرت تماماً أنه أوشك عدة مرّات في أثناء الساعة التي نلت ذلك أن يتصل هاتفياً بعشيقته ليسائها المصالحة. كان والدي قد حصل على الهاتف صد وقت قريب، ولكني لا أحري إن كان دسان لوه ميفيد كثيراً من ذلك. وما كان يبلو في لاتقاً جداً على أي حال أن أكلف والدي بل حتى جهازاً موضوعاً ميفيد كثيراً من ذلك. وما كان يبلو في لاتقاً جداً على أي حال أن أكلف والدي بالموصوت مند الموصوت الموصوت من التهديب وليا المحاصر من التهديب وليا للشاع. وزيل الحاصر المنظوع الذي والذي قال قليلاً من ذهنه. وجاء شارد النظرة بالتهائي طول جميع هذه الأبام المنظمة التي رصمت بالسبة الي في تعاقبها كأنما المنحني الرائم لحاجر ضمنته مناشك دويري يتساعل من رواء أي قرار متخذه صبايقته.

وأعبراً سألتُه إن كان يرضى بأن يصفح. وما أن أدرك أن القطيمة تم مجنبها حتى رأى مساوى التقارب كافق لقد أنخذ ينائم مل ذاك أقل من ذي قبل على آية حال وكاد يقبل بألم ينبغي له، وبما بعد بضمة شهور، أن يلقى من جنبذ لسمته إن بلأت علاقت ثانية. ولم يتردّد طويلاً، ولعلّه الم يتردّد إلا لائه أيقن أخيراً آلة يستطيع امتعادة عشيقته، أنه يستطيع، وأنه فاعل إذا، ولكنّها كانت تطالبه كيما تعود إلى هدولها ألا يعود إلى باريس في الأول من كانون الثاني. بيد أنه لم يكن يملك الشجاعة في الذهاب إلى باريس دون أن يراما. تم إنها ارتفت أن تسافر معه، ولكنماكان ينبغي أن يتوافر له في سبل ذلك عطلة حقيقة لا يديد التقيب هدو بوروفيوه أن يستحد إلها.

 ويزعجني ذلك بسبب الزيارة التي سنقوم بها لممتي والتي ستؤجل. سوف أعود دونما شك في الفصح إلى باريس.»

دلن نستطيع الذهاب إلى منزل السيدة دو غيرمانت، في تلك الفترة لانني سأكون قبل ذلك في
 وبالبيك، ولكن لا أهمية لذلك على الأطلاق.»

- في ابالبيك، ؟ ولكتك لم تذهب إلى هناك إلا في شهر آب،

- وأجل، ولكنهم سيرسلونني هذا العام قبل الأوان بسبب صحي.

كان كلّ خوفه أن أسيء الظنّ بعشيقته بعد ما سبق أن رواه لي. وإنها عنيفة لجرّد ألها باللغة العمراحة كثيرة الصلابة في عواطفها. ولكنها كائن رائع. لست تستطيع تخيّل الرقة الشاعرية التي بها، إنّها نمضي في كل عام لقضاء يوم الأموات في «بروج». الس ذلك حسنا؟ إن قدرّ لك أن تعرفها في يوم فسوف ترى، إن لديها سمواً...ه ولما كان مشبعاً بلغة معينة كان يتم التحدث بها من حول تلك المرأة في أوساط أدبية: إن بها شيئاً عجيبا بل نبريا، أنت تدرك ما أيضي قوله، الشاعر الذي كاد يكون كاهنا.ه

وبحث طوال العداء عن ذريعة تسمح لـ «سان لوء أن يطالب عمته باستقبالي دون أن تنظر مجيه إلى باريس. وقد وقرت لي تنظر مجيه إلى باريس. وقد وقرت لي تلك المديرية المذي للذي ياريس. وقد وقرت لي تلك المديرية الذي يونت أن أوصان لوه أن يوانك أن المنطقة لانني إن كنت طالبت في عرفته أنا ووسان لوه في بالبيك. وفي الذريعة على الحال شيء من الحقيقة لانني إن كنت طالبت في تلويان لي الموالك أمور أفضل منه كان أفضل منه كذوبان للجاهزية على المناطق ولمواني المناطق ولمواني كنت طلبت إليه على الأكثر راسم وجوه الواقع التي لم أفلح في تعميقها، كدرب أزاهير الزعور، لا ليحقظ لي بجمالها بل ليكشفه لي)، أما الأن نقد كان الابتكار وافقتة في تلك الرسوم، على العكس، ما يشر اشياقي، وإنما ما كنت أودً على وجه الخصوص مشاهلته لوحلت الجوي له والمستهدية.

كان يبدو لمى من ناسية أخرى أن أقتل لوحاته شيء يغاير رواتيم رسامين حتى أعظم منه. لكأنما أعماله تملكة مغلقة منيعة الحدود ومن مادّة لاكاني لها. وإذ كنت أجمع بنهم الجلات النادرة التي نشرت فيها دراسات حوله، فقد علمت فيها أنه لم يشرع إلا منذ عهد قريب في رسم مناظر ولوحات طبيعة جامدة. ولكنه بذأ بلوحات ميثولوچية (وقد مبق أن رأيت صوو التتين منها في مشغله) ثم تأثر فترة طويلة بالفن الياباني.

كان بعض أكثر ما يميز أساليه المختلفة من أعمائه في الريف. وهذا البيت أو ذاك في وأندليس، الذي يعرى أحد أجمل مناظره كان يدو لي قيماً ويبث في موية إلى السفر شديدا بقدر ما تفسل قرية من منطقة وشاره فرّلت أحسني مدفوعاً نحو مالك هذه الرائمة وشاره فرّلت في حجارتها المصوافية لوحة زجاجية مجيدة. وكنت أحسني مدفوعاً نحو مالك هذه الرائمة منجم يسائل واحدة من مرايا هذا السابم التي تشكلها لوحة لمطالب على الطريق وقد احبس داخله شأن منجم يسائل واحدة من مرايا هذا السابم التي تشكلها لوحة لمطالب الياعها لقاء عدة آلاف من الفرنكات، أحسني مدفوعاً بلك التواجد الذي يوحد حتى قلوب أولتك للذين يفكرون بالطريقة نفسها التي يفكر بها بصدد موضوع جوهري وحبى طباعهم. وكان قد أدير في إحدى تلك المهادئ إلى للاتة أعمال فيها مامة لمامي المسابق المناء مامة لرسامي المفضل على أنها تحص السيدة «دو غيرمانت» فكان إذن أن استطحت باختصار القول، في المساء المناء وفي حضرة الذي أعلمني وحدال طية المساء مناه فرسان عليه معرفة من ومناه عليه يعرف مدفوة من مناه وفي حضرة أمدنائه وكأنما على نحو مفاجع:

– وإسمع، تسمح؟ حديث أخير بشأن السيدة التي تخدلتنا عنها. أتذكر والمِلستيره، الفنان الذي عوفتُه في وبالبيك؟ ؟

⁻ اويحك، بالطبع،

- دأونذكر إعجابي به ؟٥
- وتماماً، والرسالة التي قمنا بتسليمه إياها.
- دحسن، إن واحداً من الأسباب، وليس من أهمها، بل سبب ثانوي أرغب من جراته التعرف إلى السيدة للذكورة، لاولت تعلم تعاماً من هي ؟»
 - وأجل، أجل! ما أكثر المعترضات!٥
 - وذلك أنها نملك، لديها على الأقل لوحة جميلة جداً لـ اللستيرة.
 - اعجباً، ماكنت أعرف.١
- دسوف يكون دايلستيره في الفصح دون شك في دبالبيك، وأتت تعلم أنه يقضي الآن السنة بكاملها تقريباً على هذا الشاطئ. كتت أود كثيراً أن أكون قد رأيت هذه اللوحة قبل رحيلي. لست أعلم إن كنت على صلة وثيقة إلى حد ما بممثك: أفلا تستطيع أن نطلب إليها، إذ ترفع من قدري في عينيها بحلاقة تحول دون أن ترفض، أن تسمح لي بالذهاب لمشاهدة اللوحة بدونك بما أنك لن تكون هناك؟»
 - والفقنا، إلى أقوم مقامها وسآخيذ الأمر على عاتقى.،
 - وكم أحبك يا ورويره!
- الطيف منك أن غيني، ولكنك ستيدي اللطف نفسه لو ورفعت التكليف، بيننا مثلما سبق أن وعدت وبدأت تفعل.»

وقال لي أحد أصدقاء ورويرو: آمل ألايكون رحيلك ما تدبران. تدري، إن رحل وسان لوه في إجازة فينبني ألا يمكل الامر شيئاً فنحن هنا. ربعما تناقصت التسلية إليك ولكننا سنكلف أنفسنا الكثير من العناء لتحاول أن تسيك غيابه ا

لقد وافاهم بالقمل منذ قليل، فيما كانوا يعصبون أن صديقة ورويرة سوف تذهب بمفردها إلى
وبروجة، أن النقيب دو بورودينوه قد أذن، وكان حتى ذاك؛ من وأي مخالف، بمنح ضايط الصف دمان أو
وبرازة طويلة إلى وبروجة. وهاك ما حصل. كان الأمير، وهو شديد الاعتزاز بشمره الغزير، زبونا مواظباً لدى
أعظم حلاق في المدينة كان فيما مضى صابح الحلاق الأسيق لنابليون الثالث. وكان النقيب هو بر بررودينوه
على أحسن علاقة بهذا الحلاق فقد كان بسيطاً مع صفار القوم على الرغم من مسلكه الذي يسمف بالأتهة.
ولكن الحلاق الذي كان للأمير لديه قائمة حساب مضى عليها مالا يقل عن خمس سنوات وتزيدها قوارير
ولكن الحلاق الملك وكمكاري الشعر والأمواس والجوار بقدما تفعل مستحضرات غسل الشعر والقمات،
الغم، كان يضع همائة أرفع إذ هو يدفع في الحال ويملك عنة عهات وجياد ركوب. ولما يلته
أسف وسان لوه ألا يستطيع الذهاب مع عشيقته روى عن ذلك بحراة للأمير المقيد داخل قميص أيبض وفي

المحفلة التي كان الحلاق بمسك فيها برأسه مشدودة إلى الخلف وبهدد عنقه. وانتزعت وواية هذه المغامرات الغرابة لأحد الشبان من شفتي النقيب الأمير ابتسامة تسامع بونابرية. ومن غير المرجع أنه فكر في قائمة حسابه غير الملفوعة، ولكن توصية الحلاق المحتل المحلوق الذي من حسابه غير الملسوة الذي من كان المسابون الإيال ينطي ذقته حينما وعد بالإجازة وقد تم توقيعها في المساء فلمه. أما السلاق الذي من عادته أن يناهي باستمرار وأن ينحس فيمه كيما يستطيع ذلك بسنوف من الجاه مبتدعة كلياً وذلك بقدرة على الكذب خاوة فإنه في المرة التي أدى فيها خدمة مرموقة لـ وسان لوى لم يقم بنشر فضائلها، وليس ذلك فصب بل هو لم بعد البتة إلى المحديث عن ذلك أمام ووبيرة وكانما الغرور بحاجة إلى الكذب فإن لم يكن مجال لافتعاله تعلى عمجال لافتعاله تعلى عمال المحديث عن مكانه للواضع.

قال لي جمدع أصدقاء دروبيره أنه مهما طالت فترة مكوثي في ددونسيير، أو في أية شرة عدت إليها فإن عرباتهم وجيادهم وبيوتهم وساعات فراغهم ستخصص لي إن لم يكن هنالك فكنت أحس أن هؤلاء الشبان كانوا يضعون ترفهم وشبابهم وقوتهم في خدمة ضعفي.

وأضاف أصدقاء وسان لوء يقولون بعدما ألمحوا على بالبقاء: وولمُ لاتعود في كل عام ؟ فألت ترى أن هذه الحياة البسيطة تروقك! وإلك حتى لتهتم بكل ما يجري في الكتبية شأن المتقدمين.؛

ذلك أني ظللت أسألهم بتلهف أن يصنفوا مختلف الضباط اللين كنت أعرف أسماءهم حسبما يبدو لهم أنهم يستحقون من اعجاب كثير أو قليل، مثلما كنت بالأمس أطالب رفاقي أن يفعلوا بشأن ممثلي المسرح الغرنسي. فإن قال أحد أصدقاء وسان لوء بدلا من أحد الألوية الذين كنت أسمع ذكر اسمهم أبداً على رأس جميع الآخرين، من أمثال وغاليفيه، أو نيغريبه، وولكن نيغريبه ضابط قائد من أكثرهم ضحالة، وألقى باسم هبوه أو «جيسلان دو بورغونيي، جديداً ناصعاً طريقاً كنت أشعر بالدهشة السعيدة نفسها التي كنت أحس بهما فيما مضى حينما يفضى النجاح المفاجئ لاسم «آموري» غير المألوف أسماء «تيرون» أو «فيفر» المستنفدة. ايفوق حتى نيغربيه؟ ولكن بم يفوقه؟ هات مثلاء كنت أريد أن تكون ثمة فوارق عميقة حتى بين ضباط الكتيبة الأعوان وآمل إدراك جوهر ما يؤلف التفوق العسكري في علة هذه الفوارق. ولعل من بين من كان يهمني أكثر ما يهمني سماع من يتحدث عنهم إنما كان الأمير ددو بورودينو، لأنه هو من سبق أن أبصرت أكثر ما أبصرت. ولئن كان دسان لو، وأصدقاؤه ينصفون فيه الضابط الجميل الذي يضمن لكتبيته مظهرا لايضاهي إلا أنهم ما كانوا يحون الرجل لا هو ولا أصدقاؤه. لم يكن يبدو أنهم يضعون السيد سدو بورودينوه، دون أن يتحدثوا عنه بالطبع بذات اللهجة التي يستخدمونها بحق بعض ضباط ترفعوا بالقدّم وهم ماسونيون لايخالطون الأخرين ويحتفظون إلى جانبهم بمظهر مساعدين مخيف، لم يكن يبدو أنهم يضعونه في عداد باقي الضباط النبلاء الذين كان والحق يقال يختلف كثيراً عنهم في موقفه حتى إزاء ٥سان لوه. أما هم فكانوا يستغلون كون «روبير» مجرد ضابط صف وأن أسرته المقتدرة تستطيع أن تسعد والحالة هذه أن تتم دعوته لدي رؤساء لعلها لولا ذاك احتقرتهم، فلا يضيعون فرصة يستقبلونه فيها على ماثلتهم حينما يكون ثمة واحد من كبار القوم قادر أن يفيد رقيباً شاباً. وحده النقيب ددو بورودنيو، كانت له مع دروبير، علاقات ناجمة عن الوظيفة فحسب، وكانت ممتازة على أيّ حال. ذلك لأن الأمير الذي أصبح مشيرًا ودوقًا أميرًا على يد والاسراطوره والذي صاهر أسرة هذا الأخير بعد ذلك بزواجه ثم تزوج والده اينة عم لنابلون الثالث وأصبح مرّين وزيراً بعد الانقلاب، ذلك لأنه كان يحس أنه على الرغم من ذلك ما كان يساوي الكتبر في نظره سان لوي ومجتمع آل وغير مائت الله يكن ينظر من وجهد نظره بما أنه لم يكن ينظر من وجهد نظرهم. كان يشك أنه- هؤ فيها أسرة فه هوهنزولروله بالمصاهرة لم يكن في نظر امان لوق نبيلاً حقيقة مزارع، ولكنه كان يعد فسان لوة بالمقابل بمثابة ابن رجل تم تنبيت إقطاعه الكوتتي على يد والاسراطورة - كانوا يسمون ذلك في حي همان چيرمانه بالكوتات الجمادين- وقد التمس منه منصب محافظ هم نصباً آخر هيئاً جداً بأشعر بأمر معالى الأمر دادر بورودنيوة وهو وزير دولة كان يكتب إليه بلقب وصاحب السادة وكان ابن دقيق لللك.

وريّما كان أكثر من ابن شقيق. فأميرة «برروندية الأولى انتهرت بأنها أبدت صنوفاً من اللطف لنابليون الأولى الشهرت بأنها أبدت صنوفاً من اللطف لنابليون الثالث. ولتن كنت تلقى في وجه التقيب المهادئ على الأولى المدروس إن له تلق ملامح الوجه الطبيعيّة، فقد كان لدى الضابط، ولاميّما في النظرة الكينة الطبّية وفي الشارب المتهلّل، ما يذكر بنابليون الثالث. وذلك على نحو ملفت إلى حد أنه إذ طلب بعد محركة «مواذاته أن يؤذن له باللحق بالامبراطر وإذ صرفه «يسمارك» الذي جيء به إليه ورفع هذا الأخير عينه مصادفة إلى وجه الشاب الذي كان يتأهّب للمغادرة تولته الدهشة فجأة إزاء هذا الشابة في المنطق المناسكات المناسكات المناسكة مع المدعنة وليا وجه عده منذ قليل شأنه مع الجميع.

وإن لم يشأ دبورودنيو، أن يحاول التقرّب من «سان لو» ومن أفراد حيّ «سان جيرمان» الآخرين الذين ضمتهم الكتيبة وفي حين كان كثير الدعوة لملازمين أولين من طبقة العوام وكانا رجلين ممتمين) فلأنه كان يقهم إذ ينظر إليهم جميعاً من عالي عظمته الامبراطورية، بين هؤلاء الأدنى مرتبة هذا الفارق الذي قوامه أن بعضهم كانوا من الأدنين الذين يعرفون أتهم كذلك والذين يفتنه أن يقيم صلات معهم إذ هو خلف مظاهر الحلال بسيط المزاج مرحه، والبعض لآخر من الأدبين الذين يحسبون أنهم أرقى مستوى، الأمر الذي لم يكن يقبل به. وفي حين كان جميع ضباط الكتيبة يرحبون بــ ٥سان لو، فقد اكتفى أمير ٥ بورودنيو، وكان المشير هر، قد أوصاه به، بأن يكون لطيفاً معه في أثناء الخدمة التي كان دسان لوه مثالياً فيها على أيّ حال، ولكنه لم يستقبله قطّ في بيته إلا في مناسبة خاصة اضطر فيها إلى حدّ ما أن يدعوه وقد طلب إليه، إذ وقعت في ألناء اقامتي، أن يصطحبني. وأمكنني في ذلك المساء وأنا أشاهد «سان لو» إلى مائدة النقيب، أن أميز بيسر حتى في سلوك كلِّ منهما وأناقته الفارق الكائن بين الارستقراطيتين: طبقة النبلاء القديمة ونبلاء عصر الامبراطورية. كان دسان لوء سليل طبقة سرت معايبها، وإن رفضها بكامل عقله، في دمه ولاترى، بعدما كفَّت عن ممارسة سلطة حقيقية منذ مالا يقلُّ عن قرن، لاترى من بعد في اللطف الحاني الذي يؤلف جزعا من التربية إلى تنشأ عليها سوى تمرين كركوب الخيل أو لعبة الشيش يمارس دونما هدف جدّيّ وبداعي التسلية خلافاً للبورجوازيين الذين تزدريهم طبقة النبلاء هذه بما يكفي لتحسب أنَّ ألفتها ترضي غرورهم وأنَّ تماديها قد يشرفهم، كان يأخذ على نحو ودّي يديّ بورجوازي تَمَدّ إليه، ولعله لم يسبق له أن سمع باسمه، ويدعوه في حديثه إليه «ياعزيزي، (دون أن يكفّ عن مصالبة ساقية وفكهما وهو ينقلب إلى الوراء لايبالي ورجله في يده). وعلى العكس من تذلك كان الأمير ددو بورودنيوه، وهو من طبقة أشراف لاتزال ألقابها تختفظ بمدلولها إذ ظلت تزخر بإقطاعات غنية جاءت جزاء حدمات مجيدة وتعيد إلى الأذهان ذكرى وظائف رفيمة
يسط فيها سلطته على العديد من النام ويجعر به فيها أن يعرف النام، كان يعدّ مكانت إن لم يكن على
نحو واضح وفي صفاء وعيه المشخصي فعلى الأقل في جسمه الذي كان يكثف عن ذلك بمظهره ومسلكهنحو واضح وفي صفاء وعيه المشخص فعلى الأقل في جسمه الذي كان يكثف عن ذلك بمظهره ومسلكهزعاهم، بلطف يسم بالمهابة وبلطف من بشاشة الطبية الطبيعة الدين تخفظ يفيض بالعظمة، وذلك بلهجة
بطبيها العطف الصادق والترقع المقصود في آن معا، كان مرد ذلك دونما شك أنه كان أقل بعداً عن السفارات
الكبرى وعن المبلاط الذي سبق أن اضعالم فيه والمد بأرفع المناصب وحيث قد لايقلي تصرف «صاف لوه
ومرفقه على الطارلة ورجله في يده أي ترحيب ؛ على أن مرد ذلك على وجه الخصوص أن تلك البررجوازية
إثما كان أقل أفراء لها وأنها كانت الخزان الكبير الذي استقى الامبراطور الأول منه مشيريه وأشرافه ووجد
الثاني فيه أشال فولده وورجه».

وليس من شكَّ أن اهتمامات والد السيد ٥دو بورودينو، وجدَّه ماكانت لتستطيع البقاء حقًّا داخل فكره لغياب الأشياء التي تنصب عليها، فهو ابن امبراطور أو حفيد له لم يبق له من أمر غير بسط سلطته على سريّة، ولكن مثلما نظلٌ روح الفنان تكيف التمثال الذي نحته على مدى سنوات كثيرة بعدما تنطفيء جذوته، كانت تلك الاهتمامات قد تكونت في داخله واتنخلت شكلاً ماديًّا وتجسلت فهي ما كان يعكسه وجهه. فبحيويّة الامبراطور الأول في صوته كان ينحى باللائمة على أحد العرفاء، وبكآبة الثاني الحالمة كان ينفث دخان لفافة. وحينما كان يمرٌ في شوارع «دونسبير» بثياب مدنية ينطلق بريق في عينيه من نخت القبّعة يتألق به من حول النقيب حضور ملكيّ متخفّ، وبرنجف القوم حينما يدخل مكتب الرقيب الأول يتبعه المساعد وضابط الإطعام وكأني بهما وبيرتبيه، ووماسّينا، (١). وحينما كان يختار قماش بنطال لسريَّته كان يثبت على العريف الخياط نظرة قادرة أن تفسد خطط «تاليران» وتخدع «الكسندر». ويتوقف أحياناً وهو يستعرض إقامة إنشاءات ويسلم للأحلام عينيه الزرقاويين الرائعتين ويفتل شاربه فكأني به بيني دبروسيا، ودايطاليا، جديدتيين. ولكنّه يلفت الانتباه في الحال، وقد انقلب نابليون الأول، إلى أنّ المتاع لم يكن ملمَّعاً وأنّه يربد تذوّق طعام الجنود. وكان يأمر في بيته وفي حياته الخاصة بأن تقدُّم لنساء ضباط بورجوازيين (شرط ألاً يكونوا ماسونيين) لا آنية طعام من خزف ٥سيفره الأزرق الملكي فحسب مَّما يليق بالسفراء (وهي هبة نابليون لوالده وكانت تبدو أوفر قيمة في المنزل الريفي الذي كان يسكنه في المنتزه العام، شأن ذلك الخزف الصيني ذي القطع النادرة التي يتأملها السيّاح بمتعة أكبر داخل الخوانة القروية لقصر ريفيّ قليم تمّ تخويله مزرعة كثيرة الزوّار مزدهرة) بل هدايا أخرى كذلك قدَّمها الامبراطور: تلك التصرَّفات الكريمة الرائعة التي ربما أتت بالعجب في هذه الممثلية أو تلك، لو لم يكن \$ كرم المحتده في نظر البعض إنما يعني أن يحكم على المرء مدى حياته كلُّها بأشدٌ صنوف الإبعاد ظلماً، والحركات الأليفة والطيبة والظرف والذخيرة الزاخرة بالأسرار المشعة التي لانزال حيَّة. ذخيرة العس التي مختبس خلف مينا زرقاء ملكية هي الأخرى صوراً مجيدة.

أمَّا بصدد العلاقات البورجوازية التي كان يقيمها الأمير في ادونسبير، فيجدر أن نقول مايلي: كان

⁽١) من ضباط نابليون يونابرت الاول.

العقيد يعزف على البيانو عوناً واتما وزوجة رئيس الأطباء تعنى وكأنها نالت جائزة أولى في المعهد الموسيقي.
كان هذان الزوجان الأخيران يتناولان طعام العشاء كلّ أسبوع في منزل السيد قدو بورودنيوه شأن العقيد
وزوجته كان ذلك يرضي غروهم بالتأكيد إذ يعلمون أنّ الأمير إنماً يتناول طعام العشاء في منزل السيدة قدو
بورنالهي، وفي منزل أل قموراه الغن، حينما يلعب في إجازة إلى بايس. ولكنهم كانوا يسرون فينا، وينهم، وإنه معيرة غيب وفي منزله، وإنّه على أي حال صديق حقيقي لنا، ولكن حينا عين السيد قدو بورودينو، في معينة قبوفيه، وكان يقوم منذ فترة طويلة بمساح للالتراب من بايس،
قام بقل المن يتهدي ولمي الوجين الموسيقين نسيانا تما طلحا نسي مسرح قدونسيرة وللطم الصغير الذي
كثيراً ما كان يطلب منه إحضار غذاك، ولم يقال المناز الذي خياشهما،

وذات صباح أثر لي دسان لوه أنه كتب إلى جدتي لوزردها بأخياري ويوحي إليها بفكرة التحدّث إليُّ بما أنّ الخدمة الهاتميّة أخذت تعمل بين «دونسير» وباريس. وقصارى القول انها عومت أن تطلبني على الهاتف فى اليوم نفسه فأشار عليّ بالحضور إلى البريد في حوالى الرابعة إلاّ ربماً.

ولمم يكن استعمال الهاتف في تلك الحقبة قد شاع بعد شيوعه اليوم ومع ذلك فإنَّ العادة تستغرق وقتاً قصيراً جدًّا لتجريد القوى المقدَّسة التي يتم اتصالنا بها من أسرارعا إلى حدُّ أنَّ الفكرة الوحيدة التي راودتني، حين لم أحصل على الاتصال في الحال. هي أنَّ الأمر تطاول كثيراً وبلغ من الازعاج حدًّا وكاد يخطر لي أن أتقدُّم بشكوى: فما كنت أجد، شأننا كلنا الآن، على ما أشتهي من سرعة في تغيراتها المفاجئة هذه الفتنة الرائعة التي تكفيها بضع لحظات حتى يظهر بالقرب منّا الشخص الذي كنّا نبغي التحدّث إليه، خفيّاً ولكنه هنا، الشخص الذي نراه فجأة ينقل مئات الفراسخ (هو وكامل الأجواء التي يظلُّ مغموسا فيها) بالقرب من أذننا لحظة قضت لزواتنا بذلك، وهو باق إلى طاولته في المدينة التي يسكنها (وهي باريس فيما يخصّ جدّتي) تخت سماء تختلف عن سمائنا وفي طقس ليس واحداً بالضرورة وسط ظروف واهتمامات خجهلها ويزمع هذا الشخص أن ينقلها إلينا. وإننا لنشبه وجل الحكاية الذي تبدي ساحرة لعينيه، بناءً على الأمنية التي صدرت عنه، وفي ضياء خارق. جلَّته أو خطيبته وهي تقلبُّ صفحات كتاب وتسكب دموعًا وتقطف زهوراً على مقربة من المُشاهد مع أنها بعيدة جداً وفي المكان الذي تقيم فيه بالحقيقة. ولايقع علينا، كيما تتمُّ هذه الأعجوبة، إلا أن ندنى شفتينا من اللوحة السحرية الصغيرة وننادي- ويطول الأمر كثيراً في بعض الأحيان، إنيّ مقرّ بذلك -وبالعذاري اليقظات، اللواتي نسمع صوتهن كل يوم ولا نرى وجههن في يوم وهن ملائكنتا الحراس في الظلمات المنوَّخة التي يراقبن أبوابها مراقبة الغياري، المقتدرات اللواتي يطلع بهنَّ الغيَّاب إلى جانبنا دون أن تتاح رؤيتهم، بنات الخفاء اللواتي لايفتأن يفرغن أجاجين الأصوات ويملأنها ويتناقلنها، إلهات الثأر الماخرات اللواتي يصحن بنا قاسيات، لحظة نهمس بسر في أذن صديقة آملين أن ليس من يسمعنا: وإنني مصنية،، خادمات والسرَّه الغاضبات أبداً، كاهنات اللامرئيُّ المحافرات، أنسات الهاتف!

وما أن يدوّي نداؤنا في الليل المليء بالأشباح الذي تفتح أذلتنا وحدها عليه حتى تبرز ضعبّة طفيقة— ضجة غامضة - وهي ضجة المسافات القهورة ويحدّلنا صهوت السهي. هذا هو، هذا صوته يحدثنا، إنه ههنا. ولكن ما أبعده عناا وكم مرّة لم استطع الاصغاء إليه دونما قلق كما لو كان ين، إزاء استحالة أن أرى قبل ماعات طويلة من السفر تلك التي كان صوتها قريباً جناً من أفني، إحساس أنفضل بما في ظاهر القتارب الأكثر علوية من خيبة أمل وأية مسافة يمكن أن تفسلنا عن الأحباء لحظة يبدو أنه يكفينا أن نمذ بدنا كيما نمسك بهم، وأنه لحضور حقيقي ذلك الصوت القريب جناً— داخل القراق القملي اولكنه إلى ذلك استباق لقراق أبديً افكتوراً ما بدا لي وأنا أصغي على هذا النحو دن أن أصاد من كانت تخلكني من المبعد المبعد أن ذلك الصوت يهضف من الأعماق التي لايمود المرء عنها، وعرفت الملكي و الذي سعتريني ذلت يوم حينما يعود صوت على هذا النحو (حينا لايرتبط من بعد بجسد لن يتأتى في أن أواء نائية في يوم) فيهمس في أذني كلمات ودت لو أقبلها لذى مرورها بين شفين استحالت ارأيا إلى الأبد.

ولم تقع المعجزة للأسف في «دونسيير» في ذلك اليوم. فحينما بلغت مكتب البريد كانت جلَّتي قد طلبتني ودخلت إلى غرفة الهاتف وكان الخط مشغولاً إذ كان ثمة أحدهم يتكلم ولايدري دونما ريب أن ليس هناك من يجيبه، فقد أُخدَتْ قطعة الخشب تلك حينما جذبت إلى السمَّاعة تتكلم كما يفعل كراكوز، وأسكتها مثلما يتم الأمر في مسرح العرائس باعادتها إلى مكانها، ولكنّها كانت تعاود ثرثرتها ما أن أعيدها بالقرب منّى. وانتهى بي الأمر بعد استنفاد كل الوسائل إلى اعادة السمّاعة نهائياً فقضيت بذلك على اختلاجات هذا القسم الرنّان الذي ثرثر حتى الثانية الأخيرة. ومضيت فجئت بالمستخدم الذي قال لي أن انتظر لحظة ؛ ثم تكلم، وبعد بضع لحظات صمت سمعت فجأة ذاك الصوت الذي حسبت خطأ ألني أعرفه تمام المعرفة لأن ما كانت تقوله لمّى جدَّتي حتى ذاك كلّ مرّة تخدَّثت فيها إليّ تابعته على الدوام على أنغام وجهها المفتوحة حيث تشغل العينان مكاناً كبيراً. أما صوتها نفسه فقد كنت أسمعه اليوم للمرّة الأولى. واكتشفت إلى أيّ حدّ كان ذلك الصوت عذباً لأن ذلك الصوت كان يبدو لي وقد تغيّر في أحجامه منذ اللحظة التي أضحى فيها كلاً واحداً وأخذ يبلغ مسامعي وحده ودون مرافقة ملامح الوجه. ولعلَّه لم يكن علماً إلى هذا الحدُّ في يوم لأن جدتي ظنَّت، وقد أحسَّت أنيَّ بعيد وتعيس، أنَّها تستطيع الاستسلام لتدفق حنان كانت تكتمه وتخفيه بالعادة بداعي مبادئ تربوية. كان عذبًا، ولكن كم كان حزينًا كذلك بسبب عذوبته نفسها بادئ الأمر وقد تخلص أكثر مما أمكن أن يتم ذلك للقليل من الأصوات البشرية من كلّ خشونة ومن كل عنصر مقاومة للآخرين وكل أنانية! كان بيدو في كل لحظة، هو الهش لفرط رقته، أنه على شفا أن ينكسر ويفيض دفقة صافية من الدمع. ثم إنني. لاحظتُ فيه للمرَّة الأولى، وقد أضحى وحيداً بالقرب منَّى أراه دون قناع الوجه، الغموم التي صدّعته في بحر حياتها.

وعلى أي حال هل كان الصوت بمقرده ما كان يشيع في هذا الانطباع الجنيد الذي يعزفني، لأنه كان وحيداً؟ لا، بل بالأحرى لأن عولة الصوت هذه كانت بعثابة رمز، بمثابة استدكار، وأثر مباشر لعزلة أخرى، عولة جنتي التي انفصلت عني للمرة الأولى. إن ضروب الأمر أو النهي التي كانت توجهها إلى في كل لحظة في الحياة المادية، وسأم الطاعة أو حمى التمرّد وكلاهما كان يشل الحان الذي أحس به نحوها، قد زالت في هذه اللحظة بل ربّما أمكن أن تزول في المستقبل (بها أن جنتي لم تعد تصرّ على الاحتفاظ بي إلى جانبها وشحت سيطرتها وكانت تنقل إلى أملها في أن أبقى نهائياً في «دونسييره أو أن أطبل إقامتي فيها في جميع الأحوال أطول فترة بمكنة إذ يمكن أن يوصّن ذلك من صحبي وعملي) ؛ ولذلك فإن ما كان مخت هذا الجرس الصغير الذي أقرِّبه من أذني إنما كان مودِّننا المتبادلة وقد زالت عنها ضغوط متعارضة كانت في كل يوم توازنها فاذا هي مذ ذاك لاتقاوم وتدفعني بكليّتي. لقد بعثت بي جلّني إذ أشارت عليّ بالبقاء حاجة متلهفة مجنونة بأن أعود. لقد بدت لي تلك الحربة التي تدعها لي مذ ذلك والتي لم يراودني في يوم أنّها تستطيع القبول بها، بدت لي فجأة في مثل ما يمكن أن تكون عليه حريتي من أسى بعد موتها (يوم أظل على حبها وتكون قد تخلت عني إلى الأبد). وصرخت قاتلاً: ١جدتني، باجدتي، ووددت لو أتبلها، بيد أنه لم يكن بالقرب منى موى ذاك الصوت، ذاك الطيف المتهرّب تهرّب الطيف، الذي ربما عاد يزورني بعدما تكون جدّتي قد ماتت. ٥- علميني، ؛ ولكنّما حدث إذ ذلك أن كففت فجأة عن سماع ذلك الصوت وقد تركني أكثر وحدة من ذي قبل. لم تعد تسمعني جدَّتي، لم تعد على اتصال بي، لقد توقف قيامنا الواحد قبالة الآخر، وأن يظل واحدنا يسمع الآخر، وواليت النداء وأنا أتلمس الليل وأحسّ أن نداءات لها كان ينبغي أن تضيع هي الآخري. وكان يهزّني القلق نفسه الذي أحسست به بالأمس في يوم كنت فيه طفلاً وفقدتها داخل الجمهور، والقلق من ألا أجدها أقلّ من الأحساس بأنها تبحث عني، والإحساس بأنها كانت تقول لنفسها إنّي أبحث عنها. قلق يشبه إلى حدُّ ما القلق الذي سينتابني يوم يتحدَّث المرء إلى من لا يستطيعون الاجابة من بعد وعمَّن يودّ على الأقلّ كثيراً أن يسمعهم كلّ مالم يقله لهم والتأكيد بأنه لايتمذَّب. كان يخيل إلى أنّه مذ ذاك طيف حبيب سمحت منذ قليل أن يضيع بين الأطياف وأنى وحدي أمام الجهاز أو آليّ الترداد دونما جدوى: ٩جدُّتي، ياجدتي، مثلما يردّد وأورفيوس، وقد بڤي وحده اسم الميتة. وقرّرت مغادرة البريد والذهاب لملاقاة ﴿روبير، في مطعمه كي أقول له إني ربَّما كنت على وشك تسلم برقية قد تضطرّني للعودة وأودّ لذلك معرفة مواعيد القطارات عجسباً لكلّ طارئ. ومع ذلك فقد وددت قبل انتخاذ ها القرار أن أضرع مرّة أخيرة إلى بنات الليل. ورسولات الكلمة والآلهات النواتي لا وجه لمهنّ. ولكنّ المحارسات المتقلبّات الطباع لم يشأن يفتحن لمي الأبواب المسحورة أو هنُّ لم يستطعن ذلك دون شك؛ وعبثاً ضرعن دونما كلل حسب عادتهنَّ إلى مخترع الطباعة الجليل والأمير الشاب هاوي الرسم االانطباعي والسائق معاً (وكان ابن أخ للنقيب (بورودينو) فقد ترك اغوتنبرغ، وافاغرام، توسلاتهنّ دون جواب ومضيت وأنا أحس بأنّ اللامنظور المبتهل إليه سوف يظلّ أصمّ.

ولدى وصولي بالقرب من وربيره وأصدقائه لم أثر ألهم بأن فؤادي لم يعد معهم وأن رحيلي قد تقرر قراراً لا رجمة فه. وبدا أن عمان لوه يصدقني، ولكني علمت مذ ذلك أنه أدرك منذ الدقيقة الأولى أن حيرتي متصنعة وأنه لن يلقاني في الغد. وفيما كان أصدقاؤه يبحثون معه في لوحة الدليل، ويدعون أصناف الطعام تبرد إلى جانبهم، عن القطار الذي بعمان أن استقله للمودة إلى باريس. وتتناهم إلى الاسماع في المليل المنجم البار صفارات القطارات، لم أعد بالتأكيد أحمى بالطعائبية نفسها التي سبق أن أولتني إياها ههنا على مدى المعدد من الأمسيات صداقة هؤلاء ومرور تلك في المبعد. مع أنها لم تقل عددا هذا المسلء وقد اتخذت شكلاً أخر في هذه المرقة نفسها. لقد أضحى رحيلي أقال إدهاقا لي حين لم أعد مضطراً إلى التفكير به وحدي وحين شعرت أنه يستخدم في عقيق ما بجري النشاط الأوفر طبية والأكثر سلامة، نشاط أصدقائي الحازمين وحين روبيرة وقلك الكائنات القوية الأعرى، عنيت القطارات التي كان غدوها ورواحها صبح مساء من ودونيسية إلى بارس يفتتان، بانجاء الماضي، ما كان في انفصالي الطويل عن جدّي من كنافة شديدة لاتطاق، إمكانات عودة يومية. وقال لي هسان لوه ضاحكا: ولست أشك في صحة كلامك وأنك لاتعتزم الرحول بعد، ولكن تصرّف كما لو أنك ترحل وتمال فودّعني صباح غد في ساعة مبكرة، وإلاّ تعرّضتُ لخطر أنَّ لا أراك. إني أتناول طعام الفناء في المدينة فقد صرّح لي التقيب بذلك، وينبغي أنْ أكون عدت إلى التكتة في الساعة الثانية لأتنا منذهب في مسيرة طوال النهار. وليس من شك في أنَّ السيد الذي أتنذك في منزله على بعد ثلاثة كيلومترات عن هنا سوف يعيدني في الوقت المناسب لأكون الساعة الثانية في الثكنة،»

وما أن قال هذه الكلمات حتى جاؤوا يطلبونني من فندقي. لقد أرسلوا في طلبي من البريد إلى الهاتف. وأسرعت إلى هناك إذ كان يزمع أغلاق أبوايه. كانت لفظة «الهاتف الخارجي» تتردد مون انقطاع في الأجوبة التي تأتيني على لسان المستخدسين. كتت في قمة الاضطراب لأن جنتي هي التي أرسلت في طلبي. كان المكتب بزمع إغلاق أبوايه. وأخيراً تم في الانصال هاهذه أنت ياجلتني الا وأجابني صوت امرأة بلكته المكلونية المفرد: أجلن، ولكنني لا أدمرف صوئك، ولم يتم في أكثر منها تمرّف صوت من كان يحلتني، لم إن جدتي لم تكن تخاطبني بالجمع. وأخيراً أتضح كل شيء خلك أن الثاب الذي أرسلت جدّنة تعليه إلى الهاتف كان إنتيث في الاتصال تلفرنيا بحبكي فإني لم أشك لحقة واحدة أنها هي التي طلبتني، وكان أن أرتكب البرياد والفندق ما خطأ مزدوجا من جراء المهادفة المضة.

وفي صبيحة الذه تأخرت ولم ألق دسان لوء الذي كان قد ذهب لتناول طعام الغناء في هذا القصر الجارو. وفي نحو الساعة الواحدة والعصف كنت استعد للذهاب إلى التكنة على سبيل الاحياط لأكرن هناك حالم المورد عنه الحوارة المورد عنه المورد المورد عنه المورد المورد

وسألت قائلاً:

- وألم تروا الرقيب وسان لوه ؟

فقال المتقلم؛ ولقد نزل ياسيديه

وقال حامل البكالوريا: الم أره.

وقال للتقدّم دون أن يعيرني من بعد انتباها: دلم تره. لم تر دسان لوه الشهير، ما أتقه بيزّله الجديدة! وحيتما تقع عين النقيب على ذلك، إنّه قماش ضباط!»

- (أه! إذك حلو النكتة، قماش ضباطه، يقول حامل البكالوريا الشاب الذي لم يكن يشارك في
تدريات السير، وهو مريض يلازم غرفته، وكان يحاول، ولا تخلو المحاولة من بعض القاتى، أن يبدي جرأة مع
المتقدمين، وقماش الضباط هذا قماش عادية.

وسأل المتقلم الذي تخلَّث عن البزَّة غاضباً: «ياسيد؟»

لقد أثار سخطه أن شك حامل البكارلوبا أن تكون البرة من قماش الضباط، ولكنه، وهو البريتاني المولود في قرية تدعى وبانغيرن ستريدنه والذي تعلّم الفرنسية بصحوبة من كان انكليزياً أو ألمائيا، حينما كان يحس أن غمت وطأة الفعال ما، كان يقول مرتين أو ثلاثاً وباسيده كي يدع لنفسه وفتاً يلقى به كلمائه، ثم يستسلم بعد هذه التهيئة لبلاخه مكتفياً بترداد بضع كلمات يعرفها أكثر من سواها. ولكن دون عجلة وباتخاذ الاحتياطات إزاء قلة اعتياده في اللفظ.

عاد يقول بغضب كانت تتنامي به شيئاً فشيئا شدة القائه وبطئة معاً: وآدا إنه قماش عادي؟ آدا إنه قماش عاديًا حينما أقول لك إنه قماش ضباط، حينما أقو – ل ذ – لك، بما أنبي أقو – ل ذ – لك فمعناه أنبي عالم به، فيما أرى. ولسنا ممن يقال لهم كلام مصول بجوز الهند.:

وقال حامل البكالوريا وقد غلبته هذه الحجج: «آه! إن كان الأمر كذلك».

— «وربحك، هذا هو النقيب يمرّ. لاء انظر قليلاً إلى«سان لوء، وهذه الطريقة في قذف ساقه ؛ هاك رأسه. أثراه ضابط صف؟ والنظارة، إنها تتطلق في كل مكان تقريباًاه

وطلبت إلى هؤلاء الجود الذين لم يكن حصوري ليثير اضطرابهم أن انطلع بدوري من النافذة. فلم يمنعوني عن ذلك ولم يكلفوا أنفسهم عناء ورأيت النقيب وبرودنيوه يمرّ بجلال وهو يحمل جواده على النجب وبيدو وكافحة يقومم أنه يممركة فأوستيرليتزة، وكان بعض المارة مجمعين أمام حاجر الثكنة المشبك ليشاهداو المكتبية عارجة. كان لا بدّ أن يكون الأمير، وهو منتصب القائمة على ظهر جواده والوجه على شيء المستمة والوجه على شيء المستمة والوجه على شيء كان المستمة والوجه على تناوية كان المستمة والوجه على تناوية كان حالي في كلّ مرة كان يدو لي، بعد مرور الحافلة الكهرائية، أن السكون الذي يلي جلجاته يسري فيه كان حالي في كان مرتبع كان المقدم خالية ويشكن وحالت مع ذلك لأن همي الوجه كان المودة بالقرب من جلتي، فحينما كنت أفكر حتى ذلك الجهار وفي تلك الملاينة الصغيرة بما كانت فقطه جنتي وحدها، كنت أنصائها عثلما كانت معي نماماً ولكني أحذف نفسي من الصورة دون أن أضع في الموسان آثار هذا الدهف عليها. وكان علي الآن أن أضع في الموسان آثار هذا الحدف عليها. وكان علي الآن أن أضع على المروده حتى ذلك والذي يوحي به صوتها على نحو مفاجء، شبح جلة افترقت عتى افتراقاً الذي لم أرتب بوجوده حتى ذلك والذي يوحي به صوتها على نحو مفاجء، شبح جلة افترقت عتى افتراقاً

حقيقياً وسلمت بالأمر، وبدت معمّرة، الأمر الذي لم أكن بعد عرفته، وقد تسلمت وسالة منّي في الشقة الخالية التي سبق أن تخيلت أمي فيها حينما رحلت إلى وبالبيك.

كان ذلك الشبح، واأسفى، هو الذي أبصرته حينما دخلت إلى الصالة دون أن تكون جنّتي قد أخطرت بعودتي ڤوجدتها تقرأ. كنت هناك، أو لم أكن بعد هناك بالأحرى بما أنها ما كانت تعلم بالأمر، وكما هي حال امرأة نفاجئها وهي آخذة في انجاز شغل سوف تخفيه إن نحن دخلنا، كانت مستسلمة لأفكار لم يسبق أن كشفت عنها البئة أمامي. ولم يكن منّى هناك – بفضل هذا الامتياز الذي لايدوم والذي تتوافر لنا فيه، في أثناء اللحظة القصيرة التي تتمّ فيها العودة، القدرة على أن نشهد فجأة غيابنا الخاص -سوى الشاهد، سوى المراقب بقبعته ومعطف السفر. الغريب الذي من غير أهل البيت، المصوّر الذي جاء يلتقط صورة للأماكن التي لن نراها من بعد، فما ثمَّ آلياً في تلك اللحظة في عينيّ حينما أبصرت جلَّتي إنَّما كان صورة فوتوغرافية. نحن لا نرى أحبَّاءِنا البِّنة إلا داخل المنظومة الحية والحركة الدائمة التي تطبع حناننا المستمرَّ الذي يحمل في زوبعته الصور التي يزوّدنا بها محيّاهم قبل أن يسمح لها بالدخول إلينا ويردّها إلى الفكرة التي نكوّنها عنهم على الدوام ويحملها على الالتصاق بها ومطابقتها. فكيف لأأغفل، بما أن جبين جدّتي ووجنتيها إنّما كنت أحمَّلها ما كان الأكثر رقة والأوفر استمراراً في روحها، كيف لا أغفل بما أن كل نظرة معتادة استنباء أموات، وكل وجه نحبه مرَّاة الماضي. كيف لا أغفل فيها كلِّ ما أمكن أن يتثاقل لديها وبتغير، في حين تهمل عيننا، إن يثقلها الفكر، حتى في أقلُّ مشاهد الحياة إثارة لاهتمامنا، تهمل، مثلما قد تفعل مأساة كلاسيكية، جميع الصور التي لاتسهم في سير الحوادث ولا تختفظ إلا بالتي تساعد على جعل هدفها في متناول الإدراك؟ فإن تكن نظرة عدسة محض ماديّة وصفيحة فوتوغرافية بدلاً من عيننا فإنّ ماسوف نرى آنذاك في باحة المعهد مثلاً بدلاً من خروج أحد أعضاء المجمع اللغويّ يريد استدعاء عربة إنّما هو ترنّحة وصنوف احترازه كي لايهوي إلى الخلف ومسار سقوطه كما لو كان ثملاً أو كانت الأرض مفطّاة بالجليد. والأمر واحد حينما تخول خدعة قاسية للصدفة دون أن تبادر مودَّتنا الذكية البارَّة في الوقت المناسب لتخفي عن أبصارنا ما ينبغي ألا تتأمل فيه البُّتة حينما تسبقها عيوننا التي تعمل، بعدما تصل المكان على رأس القادمين وتنصرفٌ على هواها، تعمل آلياً على نحو ما تعمل الأفلام وترينا، بدلاً من المحبوب الذي لم يمد موجوداً منذ فترة طويلة ولكنها لم تشأ في يوم أن يَكشف لنا عن موته، الكائن الجديد الذي كانت تضفى عليه مئة مرّة في اليوم شَبَهاً عزيزاً كاذباً. ومثلماً المريض الذي لم ينظر إلى نفسه منذ فترة طويلة ويؤلف في كل لحظة الوجه الذي لايراه وفقاً للصورة المثالية التي يحملها عن ذاته في فكره، مثلما يتراجع إذ يبصر في مرآة وسط وجه جاف مقفر الارتفاع المائل الورديُّ لأُنفَ عملاق كأحد أهرام مصر - كذلك أبصرت أنا الذي كانت جدَّه بالنسبة إليه لاتزال وكأنها ذاته، أنا الذي لم يرها قط إلا في نفسه وعلى الدوام في الموضع عينه من الماضي عبر شفافية الذكريات المتلاصقة المتراكبة، أبصرت في صالتنا التي أصبحت جزءاً من عالم جديد، عالم الزمن الذي يعيش فيه الغرباء الذي نقول عنهم الله بادي الشيخوخة، أبصرت، للمرّة الأولى وعلى مدى لحظة فحسب، إذ سرعان ما اختفت، على أربكة بخت مصباح الضوء امرأة عجوزاً متهالكة ما كنت أعرفها، محمرة متثاقلة عاميّة المظهر مريضة حالمة تنقل فوق كتاب عينين يطل منهما بعض الجنون.

كان وسان لو، قد قال لي لدى طلبي الذهاب لرؤية لوحات وايلمتير، التي تملكها السيدة ودو

غيرمانته: التي أقوم مقامها، وكان للأسف وحده بالنسبة إليها الذي استجاب. فإننا تنوب بيسر عن الآخرين حينما نرتب في خاطرنا الصورة الصغيرة التي تمثلهم فتحركها على ما نشتهي. وليس من شك أننا نأخط في حسباننا حتى في تلك اللحظة الصموبات الناجمة عن طبيعة كل واحده وهي مختلفة عن طبيعتنا، ولايفرتنا أن نلجاً إلي هذه الوسلة أو تلك في التأثير القوي عليها، من اهتمام أو اقناع أو انعفال بيطل مفعول الميوا الماكمة. ولكن اللك الاختلافات عن طبيعتا إنما تعزيلها الميتنا في المسهاء وتلك المدويات إنما نرفعا نحن ا وتلك الدوافع القمالة إنما نمارها نحن، وتلك المحركات التي حملنا الشخص الآخر في فكرنا على تردادها والتي يخمله يتمرك على هوانا إن نحن ابتغينا حمله على تنفيذها في العياة تبلك كل شيء واصطلمنا يستيف من المقاومة غير متوقعة ويمكن ألا تنغلب عليها. وإنَّ من أكثرها قوة دونما شك تلك التي يمكن أن ينميها للتي المرأة لاغتب القوف التن الذي لا يقارم والذي يوحي به إليها الرجل الذي يدجها: قلم تطلب إلي مرة الجيء الم

ولاقوت يعض مظاهر العبضاء على يد شخص آخر في الدار.كان ذلك على يد وجوبيان، فهل كان يرى أنه بجدر بي الدخول لتحيّه لدى عودتي من «دونسيير» حتى قبلما أصعد إلى منزلي؟ لقد أجابت والدتي بالنفي وأنه ينبغي ألا ندهش للأمر. فقد سبق أن قالت لها «فرانسواز» إنّه هكذا، تتنابه نوبات غضب مفاجئة ودونما سبب. ويرول ذلك على الدوام بعد وقت قليل.

كان المنتاء في تلك الأثناء يقترب من نهايته. وقات صباح سمعت في موقدي، بعد بضعة أسابيع من والله المطار والمواصف، سمعت – بدلاً من الربح الفاقدة الشكل المطاطة القائمة التي بعث في الرغبة في اللفاح إلى خاطئ البحر حديث المحام الذي كان يعشش في الجعار، متقرحا غير متوقى كحدقية أولى تعرق بعد تمتون بالحلف قلبها المذتي كي تبتين منه ومرتها الرأقة، خيازية صقبله، تدفيم «أن نها نفذة مفتوسة» إلى غرفتي» لا توال منطقة موداء، الدفيء والذهول والتعب في أول يوم صاح، واقيتني فجأة في ذلك الصباح أهمم لحن مقاه نسيته منذ السنة التي اضغروت فيها إلى الذهاب إلى وفاورته والبندقية، إذ الجوّ حسب الآيام يؤثر تأثيراً عميةً في جسمنا ويستخرج الألحان المحبلة التي لم تكشفها ذا كرتنا من المستودعات المظلمة التي نسيناها فيها. وبعد فليل صاحب حالم أنذ وعياً ذاك الموسقيّ الذي كنت أصغي إليه في داخلي حتى دون أن أكون

كنت أحس نصاماً بأنَّ الأسباب لم نكن خاصة بـ وبالبيك، نلك التي لم أعد من جرَّاتها القي لكنستها بعدما وصلت إليها السحر الذي يطبعها في نظري قبلما أعرفها ؛ وأن عيالي لن يفلح في الحطول محلّ عيني في وفلورنسه، أو وبارماه أو البندقية لينظر إليها. كنت أحس بهذا وقد اكتشفت كذلك ذات مساء في الأولَّ من كانون الثاني لدى حلول الليل، اكتشفت أمام عامود للإعلانات الوهم الكامن في الاعتقاد بأن بعض أيام الأعياد تختلف اختلافاً جوهرياً عن الأيام الأعرى، يبد أنه لم يكن بمقدوري الحؤول دون أن يستمرّ ذكر الزمن الذي خيل إلى في أثناته أتي أقضى أمبوع الآلام (11 في وفلورنسه، في أن يجعل منها ما يشبه

⁽١) الأمبوع الذي يسبق عبد الفصح لدى للسيحيين

أجراء مدينة الزهور وأن يضفى على يوم الفصح شيئاً من العالميم الفلورنسي وعلى وفلورنسه شيئاً من أجواء الفصح في الآن نفسه. كان أسبوع الفصح لايزال بدياً، ولكن أسبوع الآلام كان يبرز في مسلسلة الأيام التي تمتد أمامي أكثر جلاءً في آخر الأيام الفاصلة. كان يعلق بها شعاع، شأن بعض منازل قربة تشاهدها في البعيد في جوّ من الظلام والضياء، فتحجو فوقها الشمس كلّها.

كان الطقس قد أضحى أكثر دفعاً وكان أهلي أنفسهم يوفرون لي إذ يشيرون عليّ بالخورج إلى النزعة الحجة لمتابعة نزهاتي الصباحية. وقد سبق أن ابتنيت الكفّ عنها لأنني كنت ألتقى فيها بالسيدة ودو غيرمانت، والا آتي لهذا السبب عينه كنت أفكر الوقت كله بتلك النزهات، الأمر الذي كان يوجد لي في كل لحظة سبباً للقيام بها لاصلة له إطلاقاً بالسيدة ودو غيرمانت، سبباً يقنمني بأنه ما كان ليفوتني الخورج في نزهة في تلك الساحة نفسها حتى ولو لم تكن موجودة.

وافن كان سواء عندي لقاء أي شخص غيرها فقد كنت أحس وأاسفي أذّ لقاء أيّ شخص باستنائي أنا متحمل بالنسبة إليها. كان يتفق لها في نزهاتها الصباحية أن تقبل شخية الكثير من البلهاء، وهي يخكم أقهم كذلك. ولكنّها كانت تعدّ ظهورهم من قبيل المصادفة على الأقلّ إن لم يكن وعدا بالمتحة. كانت تستوفقهم أحياناً، فضمة قبرت يعنون الأخيين شرط أن تكون تلك أحياناً، فضمة لمن باخت فض الأخين شرط أن تكون تلك النفس، مهمما بلغت من الانضاع والقيم، ففا غير بحتى أن ما قد تلاقية في فؤادي إنسا مع في موادي أنها هو شخصها، فكنت أرشخه شأن الله تنسم في مبادراتي من منالاة، أكاد لا أستجب لتحيقها، أو أحدى اليها دون أن أقلح إلا في زيادة غضبها وفي حملها فضلاً عن ذلك، على الشروع في اعتباري وقطأ أن أحيها يدين أن ألله الميرود في اعتباري وقطأ الناهابي.

كأن ترتدي الآن فساطين أكثر رقة أو أزهى لونا على الاقل وتتحد في الشارع حيث كانت ستاتر قد أرخيت اتفاءً للمصمر، وكأنما الوقت ربيع، أمام الدكاكين الضيقة المحضورة بين الواجهات الفسيحة التي أرخيت اتفاءً للمصمورة بين الواجهات الفسيحة التي للمنادق الارستقرامية القديمة وعلى إلى المراة التي للمنادق الارستقرامية القديمة للمستوبة والتجار كدت أشاهدها من البعيد تسير وتفتيح شمسيتها وجتاز المشارع كانت تتقلم إذ ذاك : وكان جسمها العاهل بتلك المحركات وأن تجمل منها أمرا رائما. كانت تتقلم إذ ذاك : وكان جسمها العاهل بتلك الشهرة المتنازة، كانت بتعقم إذ ذاك : وكان جسمها العاهل من الحرير الهندي المنابع المنابع على نحو ماثل محت شال كانت تعمل طوف على نحو ماثل محت شال كانت تعمل طوف المهنية أمراها ترفع فروة يديها وتصدق على نقير وتشتري باقة بنفسج من إحدى الدائمات كانت تعمل طوف المهنية وأما ترفع فروة يديها وتصدق على نقير وتشتري باقة بنفسج من إحدى الدائمات بالمنطول فسمه الذي رئما عضاف إلى رسام كبير يرسم خطوطاً بهشته. وحيدما كانت تعمل بالمضول فلم يتحد المهنية من المنابع من المعدى المهنية من المعدى المهنية من والمناف المهنية المنابة من المعدى ولائم وبحثاية استاط لمطهر خاص من نفسها. وفي إحدى مبيحات العميام ، وكانت واجه المبدة وخويمانته يبدو حالاً محت شعرها الأضور الأحمر الفاغ وكان هير حالاً عقد شعرها الأضور. كان وجد المبدة وحويمانته يبدو حالاً محت شعرها الأضور الأحمر الفاغ وكان هير حالاً عقد شعرها الأضور الأحمر الفاغ وكان هيره حالة عقد عشرها الأضور المستمية المتابة استاط المعراء المنابع المناب

وكنت أقلّ اغتماماً من المعتاد لأنَّ كآية ملامحها وما يشبه العزلة التي يقيمها اللون الصارخ بينها وبين باقي البشر كانا يضفيان عليها شيئاً من التعامة والعزلة بيعث في الطمأنينة. لكأنما بجسدُ ذلك الفسطان من حولها أشعة قرمزية تبيت من قلب ما كنت أعهده لديها وربما استطعت مؤاماته. كانت تذكرني، بوقد هرمت داخل النور المخفي المنبعث من القماش ذي الثنيات اللطيفة، يقدّية من العصور المسيحية الأولى. ويعتريني المخمل إذ ذلك من أن نبعث رؤيتي الأمي في قلب تلك الشهيدة. وولكن الشارع على كلّ حال ملك لجميع الناس. ع

وأعيد الكرّة فأقول: والشارع ملك لجميع الناس، وأنا أضفي على هذه الكلمات معنى مختلفاً وأستعجب أن نمزج السيدة «دو غير مانت» بالفعل في الشارع المزدحم الذي غالباً ما يبلله المطر فيضحى رائعاً كما هي حال الشارع أحياناً في مدن إيطاليا القديمة. أن تمزج بالحياة العامّة فترات من حياتها الخفيّة فتبدو على هذا النحو في عين كلِّ واحد محفوفة بالأسرار، يمرّ الجميع بجانبها، وبها المجانيّة الرائعة التي لكبريات الروائع الغنية. وكما كنت أخرج في الصباح بعدما أظلّ مستيقظاً الليل كله فقد كان يقول لي والداي بأن أستلقى قليلاً وأبحث عن النوم. ولا حاجة للكثير من التفكير لامكان العثور عليه ولكنَّ العادة مفيدة جدًّا في ذلك وحتى غياب التفكير. بيد أني كنت أفتقر إلى كليهما في تلك الساعات. كنت قبلما أنام أفكر تفكيراً طويلاً إلى الحدّ الذي لا أستطيع معه التفكير ويظلّ لي معه قليل من الفكر حتى أثناء نومي. كان ذلك محض بصيص وسط ما يقارب الظلام التامّ ولكنّه كان كافياً كي تنعكس به في نومي أوّل الأمر الفكرة التي مفادها أنني لن أقوى على النوم، ثمَّ أنَّي، وهو انعكاس لذاك الانعكاس. إنما وافتني ألناء النوم فكرة أنني لم أكن نائماً، ثم استيقاظي، من جراء انعكاس جديد...، في نوم جديد كنت أبغي فيه أن أروي لأصدقاء دخلوا غرفتي أنني ظننت منذ لحظة في أثناء نومي أنني لم أكن نائماً. كانت تلك الأشباح صعبة التمييز، ولعلم كان ينبغي لإدراكها رهافة في الإحساس كبيرة وعقيمة إلى حدَّ بعيد. فقد رأيت على هذا النحو فيما بعد في البندقيّة، وبعد مغيب الشمس بفترة طويلة، حينما يخيّل إليك أن الليل قد حلّ تماماً، رأيت، بفضل الصدى، مع أنَّه غير مرئيَّ، المنبعث من رنَّة نور أخيرة تتردَّد إلى مالا نهاية فوق الأقنية وكأنما بفعل دوَّاسة ضوئية ظلال القصور تنتشر وكأنمًا إلى الأبد مخملاً أشدَ سواداً على رمدة المياه الغسقية. كان أحد أحلامي التلاف ما سعت مخيَّلتي كثيرًا إلى تمثله في اليقظة بين منظر بحريً ميّن وماضيه في العصر الوسيط. كنت أبصر في نومي مدينة قوطية وسط بحر جَمَّدُتُ مياهه كأنما على زجاج ملوّن، والمدينة يشطرها شطوين خليج ضيّق، والماء الأخضر يمتد محمّد تدميّ، ويحيط بكنيسة شرقية على الضفة المقابلة، ثم بمنازل كانت لانزال قائمة في القرن الرابع عشر حتى ليعني اللـهاب إليها الصعود في مجرى العصور، كان يبدو لي أنَّ هذا الحلم قد وافاني كثيراً، ذاك الذي تعلمت الطبيعة فيه الفنّ والذي أضحى البحر فيه قوطياً، ذاك الحلم الذي كنت أتوق فيه إلى بلوغ شاطئ المستحيل وبخيّل إلىّ ذلك. وبما أنّ من شأن ما يتخيله المرء في أثناء النوم أن يتضاعف في الماضي وأن يبدر مألوفا مع أنه جديد، فقد ظننت أنني أخطأت. وتبين على العكس أني غالباً ما كنت أحلم ذاك الحلم.

كانت الانتقاصات نفسها التي تطبع النوم تتمكس في نومي ولكن على نحو رمزيّ: فما كنت أقوى في الظلام على تمييز وجوه أصدقاتي الحاضرين لأنّ المرء ينام مفمض العينين ؛ وكنت أحس، أنّا الذي كان يردُد لنفسه في الطم إلى مالا نهاية حججاً كلاميّة، أنّ الصوت يتوقف في حتجرتي ما أنّ أيفي التحدّث إلى هؤلاء الأصدقاء لأن المرء لا يتحدّث بوضوح في نومه ءوكنت أودّ الذهاب إليهم ولا أقوى على نقل سافيّ إذ المرء لا يمشي فيه كللك، وفجأة يعتريني الخبل من الظهور أمامهم لأنّ المرء ينام بدون ثيابه. هكذا كانت تبدو هيئة النوم الني يسقطها نومي نفسه فاقدة العينين، ملصقة الشفتين، مربوطة السافين، عاربة الجسم. تبدو وكأنّها من تلك الوجوء الرمزيّة الكبيرة التي مثل فيها وجونوه الحسد وفي فمه حيّة، وكان وسوائه قد أعطاني اياها.

جاء وسان لوه إلى باريس لبضع ساعات فقط. وقال لي، وهو يؤكد أنّ الفرصة لم تسنح له ليحدّث ابنة
عدّ، ويفضح نفسه بسلنجة: وأروبان غير لطيفة على الاطلاق. لم تعد وأروبانه الأسم، لقد تبلكت. أوكد
لك أنها ليست جديرة باهتمامك. إنك تمحضها الكثير من التكرة. ألست تريد أن أقدّمك لابنة عمي
وبواكتيبه ؟ يضيف قوله دون أن يتبين أنّ الأمر لا يمكن أن يوليني أيّة مسرة. وفعلك امرأة شابة ذكية وقد
غيس في عينك لقد توزجت ابن عمي دوق وبواكتيبه وهو رجل طبي ولكنه على شيء من المساطه بالنسبة
غيس في عينك لقد توزجت ابن عمي دوق وبواكتيبه وهو رجل طبي ولكنه على شيء من المساطه بالنسبة
وخسن في المعين، كانت تلك عبراءت تبناها وربيره حديثاً - الما يزيد في اندفاعه - وتعني أنّ المذهب
وخسن في المعين، كانت تلك عبراءت تبناها وربيره حديثاً - الما يزيد في اندفاعه - وتعني أنّ المذهب
يملك طبيعة مرهفة. ولا أقول لك إنّها من مناصري «دويقوس» فلا بد كذلك من أخذ يشتها في الحسان،
ولكنها تقوله وإن كان بريكا، فمنا أبضم أن يكون في جريرة المهادلة مل تدرك ذلك؟ لم إنّها أخيراً نفام
الكثير من أجل معلماتها السابقات، فقد حظوت أن يشار إليهن بالصعود من درج الخدم. أوكد لك إنها شيء
يرق جداً. واأروبانه لاغيها في الاساس لأنّها غسها أشدّ ذكاءً،»

لقد حرّ في نفس وفرانسوازه، مع أنها كانت تشغلها الشفقة التي يثيرها لديها أحد خدم آل وغيرمانت، وما كان يستطيع المبادرة إلى لقاء خطيته حتى بعدما نخرج الدوقة إذ يتمّ نقل الأمر في الحال على لسانِ المحفل - حرَّ في نفسها أن لم تكن حاضرة حين قام وسان لوه بزيارته، وذلك لأنَّها كانت تخرج الآن بدورها. كانت تخرج حماً في الأيام التي أكون فيها بحاجة إليها. كان ذلك على الدوام كيما تذهب لرؤية أخيها وابنة أخيها ولاميما ابنتها التي وصلت منذ قليل إلى باريس. كانت الطبيعة العائليّة لتلك الزيارات التي نقوم بها ففرانسواز، تزيد من تبرَّمي لحرماني من خدماتها إذ كنت أتوقع أنَّها سوف مخلَّتني عن كُلّ واحدة وكأنمًا عن واحد من تلك الأشياء التي لا يمكن أن تكون في غني عنها بحسب القوانين التي تمّ تعليمها في اسانت أندريه دي شانه. لذلك لم أكن قط استمع إلى اعذارها دون تكدّر شديد الاجحاف يدفعه إلى أتصى درجاته الطريقة التي تقولها بها وفرانسوازه فلا تقول: وذهبت لرؤية أخي، ذهبت لرؤية ابنة أخي،، بل تقول: «ذهبت لرؤية الأخ، دخلت دراكضة» اقرئ ابنة الأخ السلام (أو ابنة أخبى اللحامة)». أمّابشأن ابنتها، فقد ودَّت وفرانسواز، لو تراها تعود إلى «كومبريه». ولكنَّها هي كانت تقول، وتستخدم، شأن الأنيقات، كلمات مختصرة بيد أنَّها عامية، إن الأسبوع الذي يقع عليها فيه الذهاب لقضائه في \$كومبريه، سوف يبدو لها طويلاً جداً دون أن يتوافر لها حتى جريدة دالمتشدّد، وكانت تبدي رغبة أقلّ في الذهاب لدى شقيقة وفرانسواز، التي تقطن في محافظة جبليَّة ولأنَّ النجبال أمر غير مفيد تقريباً، تقول ابنة ، فرانسواز، وهي مخمّل لفظة ١مفيد؛ معنى قبيحاً وجديداً. ما كانت تستطيع أن تحمل نفسها على العودة إلى ٩ميزيكليز؛ حيث الناس بلهاء إلى حدّ بعيد، وحيث قد تكتشف الخالات، في السوق صلة قرابة بها ويقلن: اويحك، أليست هذه ابنة المرحوم بازيرو؟، لعلَّها تفضل الموت على العودة للسكني هناك «الأن قد ذاقت طعم الُحياة في باريس،،

وه فرانسواز، المتمسكة بالتقاليد كانت تبتسم بلطف مع ذلك إزاء روح التجديد الذي تجسّده الباريسية، الجديدة حيدما تقول: دحسن يا أنسي، إن لم تخصلي على يوم عطلتك فما عليك إلاّ أن تبعثي إليّ ببرقية.

كان العلقس قد عاد فأصبح بارداً. وكانت افرانسوازه تقول، وهي تفضل المكوث في المنزل في أثناء الأسبوع الذي ذهبت فيه اينتها والشقيق واللحامة لقضائه في ه كومبريه: «أخرج؟ لماذا؟ ليدركني الموت». وكانت فارانسوازه تضيف قولها في حديثها عن هذا الطقس الذي في غير أوانه، وهي على أيّ حال آخر متميزة ظلّت تعيش في صدرها على نحو غامض عقيدة عمتي وليوني، فيما يخص الفيزياء، وإنه بقية غضب اللهاء وما كنت أجيب على شكاواها إلا بابتسامة يماؤها الرهن ويزيد من لامالاتي بتلك التيزوات أن الطقس سوف يكون صاحباً بالنسبة إليّ في جميع الأحوال. فقد كنت أبصر مذ ذلك شمس الصباح نشرة فوق تلة وفيزيل، والدفاغ بأمضها نصف اغماضة فيما ابتسم سوف يكون والدفائسهما نصف اغماضة فيما ابتسم فيمتألمان بضياء ورديّ عثن انصباح من المرم ما المرم ما الأجوال وحدها تعود من إيطاليه ققد جاءت إيطاليه معها. وسوف لن تحلو بداي الخلفتان من الرهر ما لاكرم ذكرى الرحلة التي وقع علي أن أقرة بها في لماضي، معها. وسوف لن تحلق بأن أقرة بها في لماضي أن أن عام أخر حين كن نمذ للمفر في في باحة مؤلئا تقيع أوساعي في الماضية أعلمت أدار الصيام، أعلمت أشجار اللب في الدوارع والمنجوة التي في باحة مؤلئا تقيع أورافها في المؤلؤ المؤلئ القاميا، أعلمت أشجار اللب في الدوارع والمنجوة التي في باحة مؤلئا تقيع أورافها في المؤلؤ المؤلئ الأومر الذي يعمر أشجار الكستاء، كما في كوب من لماء الصافي أزاهير النرجس والجدكيل والشقاق على والموسر القديم».

كان والدي قد روى لنا أنه يعلم الآن على لسان أ. ج. أين كان يذهب السيد ادو نوربوا، حيتما كان يصادفه في المنزل.

- «إلى منزل السيدة «دو فيلاراريس»، إنه يعرفها نماماً وما كنت أعلم شيئاً من ذلك. ويدو أنها شخصية جلماية وامرأة متفرقة، وقال لي: «يجدر بك أن تبادر إلى لقائها. لقد دهنت أشد الدهشة على أيّ معرف. لم يت من الله و دور غيرمانت، وكأنما عن رجل أنين تماماً وكنت قد حسبته دوماً الساناً متوحشاً. ويدو أنه يعرف أمورا الأعمى ويتمتع بدورة وفيم» إلا أنه فخور جلاً باسمه وبأسابه. ولكن رضعه الملي من جهة ثانية، على حدّ قول «نوربراه» منين جداً، لاهمها فحسب، بل إنه كان في أوربا، لقد قال في المروبا، لقد قال في المروبا، لقد قال في المروبا، قد قال في المروبا، قد قال في المروبا، قد قال في المتعارف أي معتدافاً إلى شخصيات ذات بال. المروبا في حضرتي وصوف تلقلي به في منزلها ويمكن أن يسدي إليك أحسن النصح حتى إن البني أن عمل غير ذلك. يمكن عدّما مهنة جميلة، أنما أنا فليس ذلك المنتفى الك، ولكنك منظمي رداله عير خلك ميكن عدّما مهنة جميلة، أنما أنا فليس ذلك عنت أشتهي لك، ولكنك منظمي رجلاً عما قرب ولن نكون على الدولم إلى جانبك وينيني ألا نحول وبين وبين ولن يكون على الدولم إلى جانبك وبيني ألا نحول وبين وبيا ولن دوربا وبيا المورباك.

ليتني استطعت على الأقل أن أباشر الكتابةا ولكن، أيّة كانت الشروط التي أتناول فيها ذلك المشروع (كما هو للأسف أمر ألا أتناول الكحول من بعد وأن آوي إلى فرانسي في ساعة مبكرة وأن أنام وأن أنستع بصحة جيّدة، أكان ذلك بالنفاع، بمنهجيّة، بالمثّة، بالامتناع عن نزهة، بإرجائها والدّخارها بمثابة مكافأة، بالإفادة من ساعة أنمتّع فيها العافية، باستخدام البطالة القسرية في يوم من أيّام المرض، فإنّ ما كان ينتج أبداً في نهاية المطاف عن جهودي إثما كان صفحة ييضاء لاتدتسها أيّة كتابة، محتمة كتلك الورقة التي لا مغرّ من محبها في النهاية في بعض أدوار اللعب أيّة كانت الطريقة التي تمّ بها سلفاً وخلطه الورق. فلم أكن سوى أداة العادات في الاستاع عن المنفر اللهي كانت تتعلف من أول ظرف طارع! يوفرة لها ذلك اليوم كمنا أدعها فإن لم أقارمها، وإن وضبت بالعفر اللهي كانت تتعلف من أول ظرف طارع! يوفرة لها ذلك اليوم كمنا أدعها لتعلل علم علم والما كتت أنجو بنفسي دونما ضرر كبير وأستريح بضع ساعات مع ذلك في آخر الليل وأثراً قليلاً و ولا أسرف إلي حد بعيد. أمّا إذا شئت مقارمتها، وإن عزمت أن أدي إلى فراشي في ساعة مبكرة وألا أشرب سوى المأه وأن عائماً والمسائل وشحمل إلى المرض الأكيد فأرافي مضطراً إلى مضاعفة كمية الكحول ولا آدري إلى الفراش طوال يومين ولا أقرى حتى على القراءة من بعد وأعد النفس في قارمت. من المداورة النفس في قارمت.

سبق لوالدي أن المتقى مرة أو مرتين بالسيد ددو غيرمانت، في هذه الأثناء، أمّا الآن وقد نقل إليه السيد
دور نوربوا، أنّ الدوق رجل مرموق فقد أخذ يعير أثواله انتباها أكبر. واتفق أن عمّلًا في الباحة عن السيدة
دوفيلمارينس، و قال لمي إنها عمّته، وبلفظها وفيلريزي، لقد قال لي إنها خواقة الذكاء، وبلغ به أن أضاف
النها تنده حمكياً فكرياً ، يضيف والدي بوقد أثر فيه غموض هذه العبارة التي قراًها بالحقيقة مرة أو مرتين في
مذكرات إلا أثنه لم يكن يعيرها معنى دقيقاً وكانت والذي تكنّ أن من الاحرام ما حكمت معه، وقد رأت أله
لايجد غير ذي شأن أن تعير السيدة دو فيلمارينس، مكتها فكرياً أن الأمر على شيء من الأهمية. ومع أنها
عرفت على الدوام على لسان جعلني ما تساوي المركزية بالضبط، فقد كونت عنها في الحال فكرة مشرقة. أما
عرفت على الدوام على لسان جعلني ما تساوي المركزية بالضبط، فقد كونت عنها في الحال فكرة مشرقة. أما
تمكناً في ضقتنا الجديدة طلبت إليها السيدة دووفيلمارينس، عملة مرات أن تأتي إيازيها. وقد أجهات جديد
على الدوام أنها لم تكن تعرّج في هذه الآوذة في واحدة من ظك الرسائل التي لم تعد، من جواء عادة جعليدة
على الدوام أنها لم تكن تعرّج في هذه الآوذة في واحدة من ظك الرسائل التي لم تعد، من جواء عادة جعليدة
كنت لا أنصرر تماماً هذا فلكتب المفكريء، أن أجد السيدة المجوز التي من دبالبيك، مستقرة أمام أحد
كنت لا أنصرر تماماً هذا فلكتب المفكريء، أن أجد السيدة المجوز التي من دبالبيك، مستقرة أمام أحد
ملكاتب، الأمر الذي وقد على أمّ أخذ حال.

ود والدي، علاوة على ذلك، أن يعلم إن كان دعم المفير سوف يكسبه الكثير من الأصوات في المجمع المند دو نوربوا، وألا الذي كان يعزم المفير سوف يكسبه الكثير من الأصوات في المجمع المند دو نوربوا، وألا أنه المن يكن يجرؤ على الشكة بدعم السيد دو نوربوا، وألا أنه في الدولة المنافقة على يقين. وقد حسب أنه يواجه بعض المساقة المساقة على أوجه المؤلفة المنافقة على نحو عاص في هذه الفترة التي كان يسائد فيها ترشيحا أخر على أنه تأثير على أنه الإعجاد على المؤلفة المهاقة على المؤلفة المنافقة على المؤلفة المؤلفة المؤلفة المؤلفة على المؤلفة المؤلفة المؤلفة المؤلفة المؤلفة على المؤلفة المؤلفة المؤلفة على المؤلفة كان معتملة يزيد من احتمالها أن لطف المشير كان مغرب

الأمثال، إذ يعترف النامل الذين يكتون له أقلّ الحبّ أن ليس من يحبّ اسداء الخدمات بقدر ما يفعل. وكان من جهة أخرى يسط في الوزارة حمايته على والدي على نحو أكثر بروزاً منه على أيّ موظف آخر.

وقد تم لوالدي لقاء آخر ولكن هذا اللقاء أحدث لديه دهشة بالغة أعقبها سخط بالغ. لقد مرَّفي الشارع قرب السيدة «سازرا» التي كان فقرها النسبي يُقْصر حياتها في باريس على إقامات قليلة لدى احدي الصديقات. وما من أحد كان يزعج والدي بقدر ما نفعل السيدة «سازرا» إلى حدّ أنّ والدتي كانت تضطر مرة في العام أن تقول له بصوت ناعم ومتوسل: «ياصديقي، لابد لي أن أدعو السيدة «سازرا» ذات مرّة، ولن تمكث حتى ساعة متأخرة، بل وتقول: «اسمع ياصديقي، سوف أطلب منك تضحية كبيرة، هيّا قم بزيارة قصيرة للسيدة اسازراه. أنت تعلم أنَّى لا أحبّ إرعاجك، ولكن كم سيكون الأمر لطيفاً فيما يخصك فكان يضحك ويغضب قليلا وبيادر إلى القيام بتلك الزيارة. على الرغم إذن من أن السيدة «سازرا» لم تكن تسليه فقد أقبل عليها، إذ التقي بها، وهو يكشف عن رأسه، ولكن السيدة ٥سازرا٥ اكتفت، لدهشته العميقة، بتحيّة جافة يضطرك إليها التأدّب إزاء شخص متهم بفعلة شائنة أو حكم عليه أن يعيش مذ ذاك في نصف آخر من الكرة. وعاد والدي غاضباً مذهولاً. وفي الغد التقت والدنمي بالسيدة هسازراه في أحد المنتديات فلم تمدّ هذه الأخيرة يدها وابتسمت لها بهيئة غامضة حزينة وكأنّما لامرأة لعبت معها في طفولتك ولكنك قطعت مذ ذاك جميع علاقاتك بها لأنها عاشت حياة خليعة وتزوُّجت محكوما بالأشغال الشاقة أو رجلاً مطلقاً، وذلك أدهي. ولكنّ والديّ كانا على مدى الأيام بمحضان السيدة وسازراه أعمق التقدير ويوحيان به إليها. بيد أنّ السيدة هسازراتا (وهو أمركانت تجهله والدتمي) كانت وحدها من بنات جنسها في وكومبريه، مناصرة لـ دريفوس،. أما والدي، وهو صديق السيد «ملين»، فقد كان مقتدماً بلنب «دريفوس» وقد سبق أن طرد بُغضب زملاء طلبوا إليه التوقيع على لاتحة تطالب بإعادة الدعوى. ولم يعد إلى التكلم معى طوال ثمانية أيام حينما علم أنى سلكت خط سير مختلفاً. كانت آراؤه معروفة وما كان يستعبد أن يؤخذ مأخذ الوطنيّ. أمّا فيما يخصّ جدّتي التي كان يبدو أن الشك المتسامح لابدُ أن يلهب عواطفها وحدها في الأسرة، فقد كانت تهزّ رأسها في كل مرَّة يحدثونها فيها عن براءة «دريفوس» المحتملة هزَّة لم نكن نفهم معناها آنذاك وتشبه مايقوم به شخصُّ تألى لإزعاجه في غمرة أفكار أكثر جدّية. أما والدني التي كان يتنازعها حبّها لوالدي وأملها في أن أكون ذكياً فقد كانت تلوذ بحيرة تترجمها بالصمت. وما كان جدّي أخيراً، وهو يعبد الجيش (مع أنّ التزاماته كحرس وطنّي كانت هاجمه في سن النضج) ماكان يبصر قط في اكومبريه اكتيبة تمرّ أمام السياج دون أن يكشف عن رأسه لدى مرور العقيد والعلم. كان كل ذلك كافيا كيما تبادر السيدة ١ سازرا، التي كانت تعرف تمام المعرفة حياة التجرُّد والشرف التي قضاها والدي وجدَّي إلى اعتبارهما بمثابة محرَّضين على والظلم. والمء يصفح عن الجرائم الفردية لا عن المشاركة في جريمة جماعية. فما أن عرفت أنّه من مناهضي ودريفوس، حتى جعلت بينها وبينه قارات وقروناً. والأمر يوضح أن تكون خيَّتها قد بدت لوالدي من مثل تلك المسافة في الزمان والمكان غير ملحوظة بالعبين وأنها لم تفكّر في مصافحة وأقوال لعلها لانقوى على اجتياز العوالم التي تفصل بينهما.

كما كان وسان لوء يزمع المجميء إلى باريس فقد سبق أن وعدني باصطحابي إلى منزل السيدة ودر فيلمباريزس، حيث كنت أمل، دون أن أكون صرحت له بذلك، إمكان التقاء السيدة ودو غيرمانت. وطلب إلىّ أن أتنذى في المطعم برفقة عشيقته التي سنصحبها فيما بعد إلى يجربة مسرحية. كان علينا أن نذهب في طلبها صباحاً في ضواحى باريس حيث كانت تقطن.

وكنت قد سألت وسان لوء أن يكون المطعم الذي سنتناول طعام الفناء فيه (والمطعم في حياة النبلاء الدين ينفقون المال يقوم بدور في مثل أهمية صناديق القماش في الحكايات العربية أن يكرن بالأحرى المأخرى المناسبة الذي أعلمني وإيميه أن يومع الدخول فيه بعثاية رئيس خدم بانتظار موسم وبالبيك. كانت بهيئة كبيرة بالنسبة إلي أنا الذي كان يحلم بالكثير من الرحلات ويقوم بالقليل القليل منها أن أعود فالتى شخصاً كبيرة بالنسبة إلي أنا الذي كان يحلم بالكثير من الرحلات ويقوم بالقليل القليل منها أن أعود فالتى شخصاً وهو أكثر من جزء من ذكرياتي في بالبيكة يفسها، شخصاً يذهب إليها في كل عام ويقل ينظر، حينما يضطري التماس أو دورسي إلى البقاء في بارس، اثناء أواخر عشات تعوز الطهابة وبانتظار أن يقد الزبائل للعشاء، إلى الشمس تتحدر وتفيب في البحر، عبر ألواح زجاج قاعة الطمام الكبري، ومن خلفها ساء المنابة والمناسبة إلى الشمس المناسبة المنابة المنابة إلى الزرقة وكأنها فإنسان غربية ليلية في واجهة زجاجية. وإذ تعضط رئيس الخدم ها نقسه من جراة تصامة مع متناطيس وبالبيك، القوي فقد أضحى بدناطيس وبالبيك، بعشاً من ووعة السفر.

غادرت ألبيت منذ الصباح وتركت افرانسوازاء تتأوّه فيه لأن الدخادم الخطيب لم يستطع مرّة أشرى مساء المبارحة أن يذهب لراية خطيته. لقد وجدته افرانسوازة باكيا ؛ وقد أوشك أن يبادر فيصفع البوّاب ولكتّه تمالك نفسه لأنّه كان متمسكاً بمركزه.

وقبلما أصل إلى منزل «سان لوه الذي سيتظرني على عتبة بابه صادفت داوغ/لدان» الذي غلب عن أبصارنا منذ «كوسهم» والذي احتفظ رغم تشبيه بمظهوه الفتيّ الساذج. فوقف وقال لمي:

- (آما هذا أنت، رجل أبيق وبالسترة الرسمية أيضاً! ذلك لبلس قد لا يناسب طبعي الاستقلالي. مسجح المنك لابد رجل أبيق وبالسترة الرسمية أيضاً! ذلك لابد رجل مجتمع وأنك تقوم بزيارات! وليست ربعلة عنقي وسترتي في غير محلهما كيما أمشني وأحلم مثلما أفعل حجال قبر نصف مهلم. أنت تعلم التي أي حد معلقهات والمناسبة والمنتها المقام المناسبة والمنتها المناسبة وتنكي المناسبة والمنتها المقامة في جو المصالات المتن الذي لا يطاق في نظري. إلي أبسر الأمور من هنا، أنت تردد على ذوي الأفلة المنظيفة ومجتمع القصور ؛ ذلك هو حيب البورجوازية الماصرة. بالاستقراطين! لقد كان ذب وعصر المناسبة على المناسبة على المناسبة كان ذب وعصر المناسبة والمناسبة المناسبة على المناسبة على المناسبة على المناسبة على المناسبة على المناسبة على المناسبة المناسبة المناسبة على المناسبة على محمل المناسبة على المناسبة على محمل المناسبة على المناسبة فلاح المناسبة المناسبة على تعسل بي فيها ولا أقر إلى كرة أمرى. إنني من كوكب آخر، الوضاع، ولا المناسبة المناسبة المناسبة على محمل المناسبة فلاح المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة المناسبة على محمل المناسبة فلاح المناسبة المناسبة المناسبة على قدر كاف من النصية ومن وروح والمناسبة والمناسبة والكنها لن توقك فليست على قدر كاف من النصية ومن وروح وقد المير الذك بي المناسبة والمناسبة ومن وروح وقد المناسبة على قدر كاف من النصية ومن وروح وقد المناسبة على قدر كاف من النصية ومن وروح وقد المناسبة على قدر كاف من النصية ومن وروح وقد المناسبة على قدر كاف من النصية ومن وروح وقد المناسبة على قدر كاف من النصية ومن وروح وقد المناسبة على قدر كاف من النصية ومن وروح المناسبة على على المناسبة على على المناسبة على قدر كاف من النصية على على المناسبة على على المناسبة على على المناسبة على على المناسبة على على على المناسبة على على على المناسبة على المناسبة على على المناسبة على المناسبة على على المناسبة على المناسبة على المناسبة على المناسبة على المناسبة على المناسبة على على المناسبة على المناسبة على على المناسبة على على المناسبة على على الم

أواخر الفرن بالنسبة إليك، إنها مفرطة الصراحة، مفرطة الاستفامة ؛ أما أنت فإنك بحاجة إلى طراز «بيرغوت» ، وقد أقررت بالأمر، إلى أشياء متخمرة تصلح لحلوق متيلدة لدى أرباب للتح المتأتفين. لابلد أنهم يعدوني في جماعتك عسكرياً عتيقاً. ذنبي أنني أشي أغلف ما أكتب بالعاطفة ولم يعد ذلك محملاً ؛ ثم إن حياة الشعب ليست على قدر من الأناقة كاف لتثير اهتمام متخلقاتك. هياً، حاول أن تتذكّر بين الحين والحين قول المسيح، «أصنموا هلا تحجواً» إلى أللقاء أيها الصدق.»

لم أفارق السيد الوغراندانه وأنا شديد التكدّر منه. فإن بعض الذكريات شبيه بالأصدقاء المشتركين ويعرف كيف يقوم بالمصالحات. فقد كان الجسر الخشي الصغير المرميّ وسط الحقول المغطاة بالأزوار الذهبية والتي تتكدس فيها خوالب اقطاعيّة، كان يجمعنا أنا والوغراندانه كما يجمع صفتي نهر الدفيقون».

بعدما غادرت بصحة وسان لوه باريس حيث كادت أنجار الشوارع على الرغم من بدايات الربيع الانعقيها أوراقها الأولى، وحينما توقف بنا القطار الهيطيّ في قربة الضاحة التي تقطن فيها عشيقته أمخلتنا الانعقة الأورد. لكأنما المسخدة ان نوى كل حديثة صغيرة تردان بالهياكل البيضاء الفسيحة التي تؤليم أشجل المناولة المؤردة للكوحد من تلك واحد من تلك الإختفالات المشافقة. فترى أزهار أشجار الكرز تلتصق بالأغصان التصاقأ وثيقًا على هيئة راب أيض حديد المحكنك المقلن ألك تبصر من الأشجار التي تكاد تعلق من الأرهار والأوراق وفي هذا المنبع المأخم الله وقال مناطقة المنبعة المنبعة المنابعة الأورية حداد والمنابعة القرية جميمها تقيم في التاريخ نفسه حقلة متاولتها الأولى.

ولاتوال قرى ضواحي باريس هذه تحقفظ على أبوابها برياض من القرنين السابع عشر والثامن عشر هام بها وكلاه البيونات والمخطؤات. وقد استخدم جنائتي واحداً منها كأناتا إلى صفح الطبق من أجل زراعة الأشجار المنظوة للشجة داو ربّما المنهاد المنظوة للشجة داو ربّما الشجة داو ربّما الشجة داو ربّما كنات تشكل وباعيات زرت على شكل مخمسات أكثر تباعداً غيما ينبها وأقل اقتراباً من تلك التي رأيتها، كانت تشكل وباعيات أضلاع من الزهر الأبيض، تفصل بينها جدران خفيضة، وعلى ضلع كل منها يقبل الفدوء فيرتسم ألواناً أضلاع من الزهر الأبيض تفصيل بينها جدران خفيضة، وعلى ضلع كل منها يقبل الفدوء فيرتسم ألواناً نحو ما قد بعران وقصر الشمس، على نحو ما قد بعران الفروطية في جزيرة وكوبت، كانت تذكر كذلك بحجرات خوان أو بعض أجواء من نحو مسترضها الإنسان من أجل صيد أو تربية معار حيما كنت ترى الضوء يقبل، حسب تعرضها للشمس، فيتواقس على عطوط الأشجار، مثلماً يقمل على صفحة المياه الربيعية، وتعلق به ههنا وهناك الرغوة المبيضة للودة مئوة راغة تنسع بين شبك الأغصان المفرغ الذي تماؤه زرقة السماء.

كانت قرية قديمة ببلديتها العتيقة للشوية المخمرة التي ترتفع أمامها بمثابة صوارٍ للمخملات وبيارق ثلاث شجرات إجماص ازدانت بالسائين الأبيض الأنيق وكائما لاحتفال وطني محليّ.

لم يحدثني (روبير، في يوم عن صديقته بلهجة أكثر رقة نما فعل في أثناء ذلك المشوار. كنت أحس أنّ

لها وحدها جلوراً في فؤاده ، فمستقبله في الجيش ومركزه المدنيوي وأسرته، كل ذلك لم يكن بالتأكيد غير خري مأن لديه ولكنه الإساوي شيئا إذاء أقل الأمور التي تتعلق بعشيقته. ذلك وحده يتمتع بمهاية في نظره، بمهاية أكبر بما الإنقاس من آل فوطر ماشته وملوك الأرض كافقه راست أفري إن كان هو بعرب لنفسه عن أنها من جوهر بسمو على كل شيء، ولكنه لم يكن يبدي إسيلالا واهشماء إلا لكلّ ما يتعلق بها. كان بها قادراً أن يتعلف بيسحوب إلى ما كان أمر يثير اهشماه بالدقيقة وسيتهويه إلا كللّ ما يتعلق بها. كان بها تقادراً أن يتعلب بيحري في المساحة الفضية التي تؤلف وجهها وخلف جينها الحظوظ، وكان يستعين تقمله، وإلى الما كان يعرب عليه المخلوظ، وكان يستعين بالأكثر بأمارات عابرة وكان يعلم بها. ولن تساحل المرء بأي ثمن كان يقدرها ففي أحقد أنه لا بمكننا في يوم تعرف من مرتفع إلى حدّ كاف. وإن كان لايتروجها فلأن غيزة عملية كانت تشعره أنها سوف تهجوه أو تعين على الأقل على هواما منذ اللحظة التي لن يظل لها فيها ما تتظره عنه، وألى لابدً من شدّها إليه بمعلية تعين على هواما منذ اللحظة التي لن يظل لها فيها ما تتظره عنه، وأله لابدً من شدّها إليه بمعلية التظرة الخده هذه. فقد كان يغترض المام المستمى بالحب كان لابد يضطرة – علما ما غمل بجميع الرجال— إلى الظن بين الدعن والحين بأنها عنها للحب والمها منذ الدورة منه روال دون أن تظل معه بسبب ماله فحسب وأنها موف تسارع على حبّه حسبما يعتقد، وقال لي:

- دسوف أقدّم لها اليوم؛ إن كانت لطيفة، هدية تدخل السرور على نفسها. إنه عقد وأنه لدى
بهورونه، ثلاثون ألف فرنك. ذلك باهط الثمن إلى حدّ ما بالنسبة إلى في هذه الفترة. ولكنّ المسكينة
لالالالمي الكثير من المسرّة في الحجاة. سوف تفرح أشد الفرح، فقد سبق أن حدثتي عنه وقالت لي إنها تعرف
واحدًا ربما وجهها إيّه. لا أحسب الأمر صحيحاً ولكني عقبياً مني لكل طارئ الفقت مع بهرشرونه، وهو
مورد أسري، كي يحفظ لي به. أنا صعد إذ أنكر أنك ستراها عمّا قليل. ليست خارقة على صعيد الوجه،
تدري روايت تماماً أنه يفكر عكس ذلك ولايقول ما يقول إلا ليزداد إججابي)، فهي تمثار على وجه
المخصوص بفهم والدع و ربّما لم يجرّو أمامك على التحدّد كثيراً، ولكني أبتهج سلقاً عا ستقوله لي عدك فيما
بعد. تدري، إنها تقول أشياء يمكن التعمق فيها إلى مالا حدود إن لديها بالحقيقة ثبياً من المراقاة.

كنا نسير بمحافلة حدائق صغيرة لنصل إلى البيت الذي تسكده، وما كنت أقوى على الامتناع عن التوقف لأنها كانت تخلية بعد التوقف لأنها كانت تخل الأبصار بزهو أشجار الكرز والإجاس المؤهرة. كانت بالأمس لاشك خالية بعد وخاوية مثل عقار لم يتم تأجيره فإذا بتلك الوافدات الجديدات المواتي، وصلى البارحة واللواتي كنا نلمع من خلال الأصيحة ضاطيفها البيضاء الجميلة في زوايا الممرات تعمرها فجأة وترتبها.

وقال لي «روبير»: «اسمع» بما أني أرى أنك نوذ النظر إلى كل هذا وأن تتصرف كالشعراء فلا تتحوك من هناء إن صديقتي تقطن قريباً جداً وسأمضي لإحضارها.».

وقمت ببضع خطوات بانتظاره، وكنت أمرٌ أمام حدائق متواضعة. كنت أبصر أحياناً، إن أنا رفعت رأسي، فنيات في النوافذ، بيد أنه كان ههنا وهناك حتى في الهواء الطلق وعلى سوية طابق صغير طاقات من المبلك الفتي طيعة رشيقة في أتوابها الندية النجازية معلقة بين الأوراق تدع للنسيم أن يرجمها دون أن تهتم يعابر السيل الذي يرتفع بعينيه حتى سوية طابقها الأخضر. لقد تعرفت فيها الفصائل البنفسجية المسفوفة على مدخل حديقة السيد قدوانا، في عشبات الربيم للملافقة من أجل مطرزة ويفية واتعة. وسلكت دراً يفضي إلى مرج. كان يهب فيه هواء بارد وقارس كما في «كوسويه» وفي وسط التربة الطينية الرطبة الريفية التي كان يمكن أن تكون على ضفة نهر فيفونا، انبقت فجأة، لا تخلف بالموعد المضروب كماثر زمرة رفيقاهها، شهرة إجاص كبيرة بيضاء مخرك باسمة وتعرّض للشمس أوهارها التي يقيضها النسيم ولكنما تصقلها أشعة الشمس وللمحميا بلون القضة، وكأفها ستارة من نور أضحت محسوسة ملموسة.

وفعاً طلع دسان لوه تصحه عشيقته، وإذ ذلك عرفت في الحال في تلك المرأة التي كانت كلّ العب بالنسبة إليه وكلّ الحجالات الممكنة في الحياة، والتي تمثل شخصيتها الخبأة على نحو خفي وكأنما داخل بيت قربان الموضوع الذي تنشط دون انقطاع من حوله مخيلة صبيقي، والتي يحس أنه لن يعرفها في يوم ويتساءل عما تكون في حدّ ذاتها خلف حجاب النظرات والجسد، – عرفت فيها وراحيل حينما الربّاء، تلك التي كانت تقول للقوادة منذ سنين خلت (والنساء سرعان ما ينكن من وضمهنّ في هذه الفترة، أن هنّ بيكن من وضمهنّ في هذه الفترة، أن هنّ بيكن، وطلبي، ع

وبعدما فيأتون في طلبها؛ وبتجد نفسها وحدها في الغرفة مع هذا والأحداء كانت تعلم تعلم العلم ماييغي حدى أنها كانت تشرع، بعدما أغلقت الباب بالمقتاح من جراء حيطة تتخذها المرأة الدخرة أو من جراء حيطة تتخذها المرأة الدخرة أو من جراء حيطة تتخذها المرأة الدخرة أو من يقدصك، ولا تتوقف في تلك الأثناء إلا إذا قال لها فلك والأحداء، وهو لايحب العرب، إنها تستطيع الاحتفاظ بقميصها، متعلم المعناط المني يتمسها المرد مريضهم فيكتفون من يعسب المرد مريضهم فيكتفون المناسخاء إلى التنفس وصفه على تلك بالاصغاء إلى التنفس وضفق القلب من خلال القمائر. لقد انصب قلق دسان فو وطابه وحيه على تلك المرأة التي كانت حياتها كلها وجيمع أفكارها وكل ماضيها وسائر الرجال اللذي أمكن أن بعتلكوها أمراً غير كان بالنسبة إلى المدت المراقبة المراقب عن ذلك، إلا تأدياً وما كندت سمحها، هدي بال بالنسبة إلى المديد من النساء اللواتي يعيش الرجال من اجلهن ويتعلبون ويقتلون أنفسهم يمكن أن يكن في هدين ألعديد من النساء اللواتي يعيش الرجال من اجلهن ويتعلبون ويقتلون أنفسهم يمكن أن يكن في أدرك أن المعانية المي الأحديد من النساء اللواتي يعيش الرجال من اجلهن ويتعلبون ويقتلون أنفسهم يمكن أن يكن في خطرا حياتها الديد من النساء اللواتي من عضول مؤلم حياها الغرامية التي تبدو لي أقل أمور الدنيا أهمية. داكم حياها حياتها، وكان توسعي أن أعلم ورويره بالكثير من خطراتها الغرامية التي تبدو لي أقل أمور الدنيا أهمية.

كنت أتدين كلّ ما يمكن أن تضمه مغيلة بشرية خلف قطمة وجه صغيرة على نحو ما كان عليه وجه هذه للمرأة إن كانت الحيلة أول من عرفها، وإلى أي عناصر مادية بائسة خالية من أية قيمة كان يمكن على المكس أن يتفكك ما كان هلف الكثير الكثير من الأحلام لو تم إدراكه على نحو مماكس بأكثر أنواع لملمرقة إسفافاً. كنت أدرك أن مابنا لي لايساوي عشرين فرنكاً حينما قلم لي مقابل عشرين فرنكا في بيت الدعارة حيث كان في نظري محض امرأة تتوق إلى كسب عشرين فرنكاً يمكن أن يساوي أكثر من مليون ومن جميع الاحوال المشتَهاة وأكثر حتى من صنوف حنان الأسرة إن بدأنا بتخيل كاتن خفيٌ فيها تشوقنا معرفته وبصعب القبض عليه والاحتفاظ به. ليس من شك أننا كنا نبصر أنا واروبير، الوجه النحيف الضيق ذاته، بيد أننا بلغناه بطريقين متعاكسين لن يتصلا في يوم ولن نبصر البتة منهما الصفحة نفسها. ذلك الوجه عرفته أنا ينظراته وبسماته وحركات فمه من الخارج على أنَّه وجه امرأة، أيُّ امرأة، قد تفعل كلِّ ما أبغي مقابل عشرين فرنكاً. ولذلك بدت لي النظرات والبسمات وحركات الفم دالة على أفعال عامة فحسب دون أيّ شيء فرديّ، وما كان الفضول ليدفعني إلى البحث عن شخص خلفها. بيد أن ما قدّم لي، إن صحّ القول، في البداية، ذلك لوجه المرتضى، إنما كان في نظر «وبير» نقطة الوصول التي احجه وجهتها عبر آمال وشكوك وربيات وأحلام ما "كثرها! أجل، لقد وهب أكثر من مليون كي يحصل على ماسبق أن قدم لي ولكلّ واحد على حدّ سواء، مقابل عشرين فرنكاً، وكي لايكون لآخرين سواه. فلأي سبب لم يحصل عليها بذلك الثمن، ذلك أمر يمكن ردُه إلى لحظة صدفة، لحظة تتهرّب من كانت تبدو على أهبة تسليم نفسها لأن لديها موعداً محتملاً، أوسبهاً، ي سبب، يجعلها أكثر عسراً في ذلك اليوم. فإن كان أمره مع أحد العاطفيين، حتى لو لم تتبين ذلك، بل على وجه الخصوص إن تبينته، بدأت لعبة رهيبة. وإذ يعجر عن التغلب على خيبة أمله وأن يكون في غني عن لملك المرأة فإنه يلحق بها فتهرب منه فإذا الابتسامة التي لم يمد يجرؤ على توقعها تساوي ألف مرّة ما كان ينبغي أن تساوي المننَ الأخيرة. وريما اتفق في هذه الحالة أحيانًا، حينما يصيب الجنون المرء، من جرّاء سذاجة ني الادراك تمتزج بتخاذل أمام العلماب، فيجعل من الفتاة صنماً عزيز المنال، أن لا ينال البئة تلك المُننَ لأخيرة، أو لاينال حتى القبلة الأولى ولايجرؤ حتى على المطالبة بها من بعد كي لايكذب تأكيدات تقُول حبُّ أفلاطوني. وإنه لعذاب عظيم آنذاك أن تفارق الحياة دون أن تكون علمت في يوم ما يمكن أن تكون بلة المرأة التي أحبيتها أكثر ما أحببت. أما منن وراحيل، فقد سبق أن أفلح وسان لو، لحسن الحظ في نيلها جميعها. صحيح أنَّه لو علم الآن أنَّها عُرضت على جميع الناس مقابل ليرة ذهبية لتألم دونما شكُّ أشدُّ الألم لكنَّه ما كان ليحجم عن إعطاء هذا المليون للاحتفاظ بها، فما كان كلِّ ما علمه قادرًا على إخراجه -إذ لا حكن أن يحدث ما كان مهماً لدى الإنسان إلا رغم أنفه وبفعل قانون طبيعي عام -- من الدرب الذي كان 4 والذي لايمكن أن يتبدَّى له هذا الوجه منه إلا من خلال الأحلام التي سبق أن كوَّنها. كان جمود ذاك وجه النحيف يبدو لي، شأن جمود طلحية من الورق تتعرَّض للضغوط الهائلة المنبقة من جوَّين النبين، وكأنما رازنه لانهايتان تفضيان إليه دون أن تتلاقيا إذ هو يفصل بينهما. كنا ننظر إليها كلانا، أنا ووروبيره، فلا نراها ن جهة السرّ الخفيّ نفسها.

وليست وراحيل حينما الربّ التي كانت تبدو لي قليلة الشأن، وإنما قوّة الخيلة البدرية والوهم الذي تكرّ عليه صنوف عذاب الحبّ ما كنت أجده عظيماً.. ورأى فروبيره أنني بادي الثائر ؛ فأنسحت بوجهي إلى شجار الإجاس والكرز في الحديقة المقابلة كي يحسب أن جمالها هو الذي يؤثر في نفسى. لقد كان يؤثر في ن حدّ ما بالطريقة نفسها. إذ كان يضع كذلك بالقرب مني أشياء لايصرها المرء بمينيه فحسب وإنما يحس ما في قليه. فتلك الشجيرات التي رأيتها في الحديقة أما أخطأت، إذ احسبتها آلهة غرية، مأن المجدلية عنما مصرت في حديقة أعرى في يوم تزمع ذكراء أن شخل عما قريب شكلاً بشرياً افظنت أنه البستانية؟ والمفاوقات البيضاء الضخمة بانحناءتها الرائدة قوق المظال المؤتفي للقبلولة والصيد والقراءة، حارسة ذكريات المعمر الذهبي، الضامة للرعد بأن المواقع لهي ما نحسب وأن روحة الشعر بربرق البراءة العجيب يمكن أن يتألقا فيها وقد يوالفان المكانأة للتي صنجهد في استطاقها، خلك الخلوقات أماكالت الملاكفة بالأخرى؟ وببادلت بضع كالمات مع عشيقة ومان لوه. ومرزا في الفرية. كالت بيوتها تمار بأن مسافراً من عالم الأسرار، مسافراً توقف يوماً واحداً في البلدة الملاونة، ملاكاً متألقاً كان يتصب بالقرب من أكثرها بؤساً، تلك الذي تبدو ركانماً أخرفها مطر من طبح المباود، يسط فوقها أأن جناحيه البريفين: أيّها شجرة إجامى مزهرة. وخطا وسائه

- 8 كان بودّي لو نستطيع الانتظار سوية أنا وأنت. ولمليّ كنت أكثر سروراً في تناول طعام الفداء وحيداً ممك أن نظل وحدنا حتى لعظة الدهاب إلى سزل صدى. بد أن طقلتي للسكينة يسرها الأمر كثيراً وهي منديدة الملطف يحقي، تدوي، فما استطعت أن أخرمها ذلك. على أنّها ستروقك بأيّ حال. فمبولها أدبية وهي مرهفة الأحاسيس، ثمّ ما ألطف أن تتناول طعام الغداء معها في المطعم فهي محمدة ويسيطة إلى حد بعيد ودائمة الرخم عن كلّ شيءة

وأظنَّ مع ذلك أنَّ وروبير، قد هرب في ذلك الصباح بالضبط. وللمرَّة الوحيدة على الأرجح، خارج المرأة التي سبق أن ألفها على مهل حناناً تلو حنان ولمح فجأة على مسافة منه «راحيل» أخرى، لمح صنواً لمها ولكنه يختلف عنها تمام الاختلاف ويمثل مجرّد بلهاء صغيرة. كناء وقد غادرنا البستان الجميل، في طريقنا لنستقلُ القطار بنية العودة إلى باريس حينما تم التعرّف في المحطّة على ٥راحيل، التي كانت تسير على بعد خطوات منا وصاحب بها ٥ساقطات٥ مبتذلات، كما كانت حالها، وصرخن وقد ظننها وحدها بادئ الأمر: وويحك، يا راحيل، هل تصعدين؟ إن دلوسيين، وهجيرمين، في العربة ولايزال ثمَّة مكان ؛ تعالى، ونذهب سوبة إلى التزلج، كنّ يتأهبن لتعريفها بمستخدمين، هما عشيقاهما، وكانا يرافقانهما حينما رفعتا أعينهما باستغراب إلى أبعد بقليل إزاء ما بدا من ضيق طفيف على دراحيل، فأبصرتانا واعتذرتا واستودعتاها وجاءهما منها عَيَّة وداع كذلك، عَيَّة وديَّة ولكتِّما بها بعض الاضطراب. كانتا التتين مسكينتين من بنات الهوى بباقتين من فراء ثمالب الماء الزائفة تبدوان على وجه التقريب بالمظهر الذي بدت به وراحيل، حينما لقيها دسان لوه أول مرّ. وما كان يعرفهما ولايعرف اسمهما ولما رأى أنهما تبدوان على أوثق الصلات بصديقته خطر له أن هذه الأخيرة ربّما كان لها مكانها، ولعلّها لانزال، في حياة لم يرّب بها شديدة الاختلاف عن تلك التي يقضيها معها، حياة تتوافر فيها النساء للمرء مقابل ليرة ذهبيَّة. ولم تتراء له تلك الحياة فحسب، بل تراءت كذلك وسطها قراحيل، مختلفة نماماً عن تلك التي يعرفها، قراحيل؛ شبيهة بهاتين قالساقطتين، الصغيرتين، اراحيل؛ تساوي عشرين فرنكاً. قد أصبح لـ اواحيل؛ باختصار القول شبهها مقدار لحظة، وقد لمح على مسافة ضفيلة من «راحيله» وراحيل، التي من بنات الهوى، وراحيل، الحقيقيّة. إن أمكن القول أن تكون «راحيل، الساقطة أكثر حقيقة من الأخرى. وربما خطر لـ دروبير، أنشاك أن جهتم هذه التي كان يعيش فيها، إلى جانب التطلع إلى زواج ثريّ وضرورته وإلى بيع أسمه كي يستطيع الاستمرار في تقديم مئة ألف فرنك الـ اواحيل؛ في العام، ربَّما تأتى له أن يفلت منها بسهولة وأن ينال منن عشيقته، مثلما ينال هؤلاء المستخدمون منن بالتعات الهوى، في مقابل النزر اليسير. ولكن كيف عساه يفعل؟ فهي لم تأت ما تستحقُّ عليه اللوم. وقد

تضحى، إن أقلِّ من نعمه عليها، أقلَّ لطفاً ولن تقول له ولن تكتب إليه من بعد شيئاً من تلك الأمور التي كانت تهزّ مشاعره إلى حدّ يعيد والتي كان يذكرها لرفاقه بشيء من التباهي ويحرص أن يلفت الانتباه إلى أي حدّ كان ذلك لطيفاً من جانبها، ولكنه يغفل أنه ينفق عليها ببذخ، وحتى أن يكون قدّم إليها أيّ شيء وأن تلك الاهداءات على صورة فوتوغرافية أو تلك الصيغة الذي تختم بها عجالة إنما هي تخوّل الذهب إلى الشكل الأكثر اقتضاباً والأغلى ثمناً. ولتمن كان يتحاشى أن يقول إن لطائف «راحيل» النادرة تلك كانت مدفوعة الثمن فمن الضلال أن نقول إن ذلك كان بداعي الاعتزاز بالنفس والغرور- مع أن هذا الاستدلال الساذج يتمّ استخدامه بسخف بحق جميع العشاق الذين ويدفعون؛ وبحقّ العديد من الأزواج – كان وسان لوء على قدر كاف من الذكاء كي يتبيّن أن جميع متع الغرور ربّما لقيها بيسر ودون مقابل في المجتمع بفضل اسمه الكبير ومحياه الجميل وأن علاقته بـ (راحيل) هي التي وضعته على العكس خارج المجتمع إلى حلَّما وأسهمت في كونه أقلّ تقديراً فيه. لا، إن هذا الاعتزاز في ابتغاء الظهور مظهر من ينال بدون ثمن علامات الإيثار الظاهر لدى من يحب إنما هو محض أمر ناتج عن الحبّ والحاجة في أن يعطي المرء لذاته وللآخوين صررة عن ذاته بوصفه محبوباً لدى من يحبه هو حبّا جمّاً واقتربت (راحيل، منا تاركة المرأتين تصعدان إلى مقصورتهما ؛ بيد أن اسمى الوسيين، واچيرمين، استبقيا اراحيل، الجديدة فترة لا تقلُّ عمَّا فعلت فراء ثعالب الماء الزائفة ومظهر المستخدمين المتصنع فيه. لقد تدخيل لحظة حياة في ساحة «بيغال» برفقة أصدقاء مجهولين وثروات ضخمة قذرة وعشيّات من المتع الساذجة في باريس هذه التي لم يبد له فيها ضباء الشمس في الشوارع الممتدّة من شارع «كليشي، على أنه الضياء ذاته الذي كان يتنزّه فيه بصحبة عشيقته لأن الحب والعلماب الذي يؤلف وإيَّاه شيئاً واحداً يتمتعان، شأن السكر، بالقدرة على التفريق بين الأشباء بالنسبة إلينا. كان ما ارتابه يقارب أن يكون باريس أخرى وسط باريس ذاتها ؛ وتبدَّت له علاقته بمثابة استكشاف لحياة غريبة، فلتن كانت (راحيل، معه شبيهة إلى حدّ ما بلاته فإنّما كانت الراحيل، تعيش معه جزءاً من حياته الحقيقية، وحتى الجزء الأغلى ثمناً من جرّاء المبالغ الطائلة التي كان يغدقها عليها، الجزء الذي كانت تخسدها عليه الصديقات إلى حدّ بعيد وسوف يسمح لمها ذات يوم بالاعتزال في الريف أو أن تسمى إلى الشهرة في المسارح الكبرى بعدما يتم لها جنى المكاسب. كان بودّ فروبير، أن يسأل صديقته من كانت الوسيين، واچيرمين، وما لعلهَّما قالنا لها لو انها صعدت إلى مقصورتهما وبما كنّ سيقضين النهار سوية هي ورفيقتاها، نهاراً ربما انتهي، بعد التزلج، في مقهى الأولمبيا بمثابة التسلية القصوى لو لم نكن حاضرين، هو، ٥روبيره، وأنا. وأثارت مشارف الأولمبيا التي سبق أن بدت له حتى ذاك مملة فضوله وعذابه وخلفت في نفسه شمس ذلك النهار الربيعيّ المطلّ على شارع «كومارتان»، حيث ربَّما ذهبت «راحيل» بعد قليل وكسبت ليرة ذهبية لو لم تكن عرفت «روبير»، حنيناً مبهماً. ولكن أية جدوى أن يطرح أسئلة على وراحيا، ٩ هجين يعلم مسبقاً أن الجواب سوف يكون إما محض صمت وإمّا كذبة وإمّا أمرأ محزناً بالنسبة إليه ولا يصف أي شيء؟ لقد دام ازدواج دراحيل، بما جاوز الحدّ.

كان المستخدمون يطقون الأبواب، فصعدنا بسرعة إلى عربة من الدرجة الأولى ونقلت لأليء وراصيل؛ الرائمة إلى وروبير؛ ثانية أنّها امرأة عظيمة القيمة فناعبها وأدخلها إلى قلبه حيث تأملها، بعدما استبطنها، مثلما قعل على الدوام حتى هذا المعن – فيما عدا هذه الفترة الوجيزة التي أبصرها فيها في ساحة وبيخال، من وحي رسام انطباعي – وانطاق القطار. كان صحيحاً أنَّ لها ميولاً أديية. فلم تكفّ عن التحدّث إليَّ عن الكتب والفنَّ الجديد والنزعة التولستوثية إلا لتنحى باللائمة على وسان لوه لأنه يفرط في احتساء الخمر.

- وآه! لو استطعت العيسش معي عاماً واحداً لرأيت، كنت حملتك على شرب الماء ولأضعيت أحسن حالاً بكثير. ه

- دأنا موافق، فلنمض بعيداً جداً.٥

- ولكنك تعلم أن لديّ عملاً كثيراً (إذ كانت تأخذ الفن المسرحي على محمل الجدّ.) وما عسى
 نقول عائلتك على أي حال ؟)

وضرعت توجّه أمامي لعائلة ورويرة صنوقاً من اللوم بدت لي مصبية جندًا وقد تبناها وسان لوه كلياً فيما خرج على طاعة وراحيل، فيما يخص الشامبانيه. أما أنا الذي كان يخشى عليه أشدً الخشية من الخمر وبهحسً يتأثير عشيقته الخبرَ عليه فقد كنت على أهبة أن أشير عليه برذل أسرته، وتصاعد الدمع إلى عبني المرأة الشابة لأنتي غفلت فتحدّلت عن «دويافوس». وقالت وهي تغالب زفرة:

- وأبها الشهيد المسكين، سوف يقضون عليه هناك. ٥

- داطمتني يا دزيزيت، فسوف يعود وتتمّ تبرئته ويعترفون بخطأهم.

- (ولكنه يكون قد فارق الحياة قبل ذلك! على أنّ أيناء، سيحملون على الأقلّ اسماً لاغبار عليه.
 ولكن التفكير بها ينبغي أن يعانيه، ذلك ما يذبحي! وهل تصنك أنّ والمدة (روبير»، وهي امرأة تشيّة، تقول إنه
 ينبغي أن يظلّ في جزيرة الشيطان وإن كان برئياً، أليست تلك نظاعة؟»

وأكد فروبير، قائلاً، فأجل ذلك صحيح تماماً، إنها نقول به. إنها والدنمي ولا اعتراض لديّ، بيد أنّ الأكيد أنّها لا تملك حساسية فزيزيت.

ولكن وجبات الغذاء، تلك والأمور الملطيفة جداة، كانت تتم أبدا في الواقع على أسواً حال. فما أن كان وسان لوه يضنى مكاناً عاماً برفقة عشيقته حتى يخيل إليه أنها تنظر إلى جميع الرجال الحاضيين فيتجهم، وتتين سخطه الذي رسما تلهث يتأجيجه، أو هي ما ابتنت على الأرجع، بلاعي اعتزاز بالفس أبله، وقد جرحتها لهجته أن تبدو وكأنها مخاول أن تهدى منه. فكانت تتظاهر برفض تخويل عنيها عن هذا الرجل أو ذلك، ولم يكن ذلك على المدولم غيض التسلية على أيّ حال فإن اتفق السيد الذي صادف أن يكون جاراً لهما في المسرح أو المقهى، أو اتفق بكلّ بساطة لحوذي الموبة التي استقلاها أن يكون على شيء من الإمناع لاحظ ورويره ذلك قبل عشيقته وقد نبهته غربته في الحال. كان يسمر لتوه فيه واحداً من تلك الكائنات الفلرة التي سبق أن حدثني عنها في وبالبيك، والتي تفسد النساء وتلحق بهن العار بناعي النسلية، فيتوسل إلى عشيقته أن تصرف عنه نظرائها وبلفت بذلك نظرها إليه. فكانت ترى أحياناً أن درويره قد أعرب عن حسن فوق بالغ في شكركه إلى حد أنها كانت تكفّ في المنهاية عن مضايقته كي يهياً بالأ ويرضى بالذهاب في مشوار ليفسح لها الوقت في مباشرة الحديث مع الرجل المجهول وفي ضرب موعد في الغالب، وحتى في اشباع نزوة عاجلة أحياناً.

وقد رأيت نماماً فور دخولنا إلى المطعم أنّ (ووبيرا كان يبدو مشغول البال. فقد لاحظ في الحال أنّ اليميه، وسط رفاقه العاميين، وهو ماخفي علينا في البالبيك، كان يبعث من حوله على نحو غير مقصود، وبألق متواضع، الجوّ الخياليّ العاطفي الذي ينشأ على مدى عدد من السنين من جرّاء شعر خفيف وأنف يوناني، الأمر الذي كان يميزُه وسط جمهرة الخلم الآخرين. فقد كان هؤلاء، وكلهم تقريباً مسنّون إلى حدّ ما، يمثلون نماذج قبيحة أيما قبح جلية كل الجلاء لخوارنة مراثين ومرشدين روحيّين منافقين، بل في الغالب لمثلين هزليين سابقين لا وجود تقريباً لجاههم التي على شكل قوالب السكر إلا في مجموعات الرسوم المعروضة في الاستراحة التاريخية المتواضعة لمسارح صغيرة متقادمة العهد يمثلون فيها بأدوار الخدم أو كبار الكهَّان، وكان يبدو هذا المطعم، بفضل انتقاء اصطفائي وربمًا بفضل طريقة تعيين وراثيَّة، وكأنَّه يحافظ على أنموذجها المهيب في ضرب من المجمع العرافيّ. ولما عُرفّنًا وإيميه، فقد أقبل بنفسه لسوء الحظُّ ليسجّل طلبنا فيما ظل ينساب بانجاه مواتد أخرى موكب كبار الكهان المسرحيّ. وسأل اليميه، عن صحة جدّتي وسألته عن أخبار زوجته وأولاده، فنقلها إلىّ بحماسة إذ كان رجل أسرة. كان يبدو ذكباً وحازماً ولكتَّه مجلّ لغيره. وأخذت عشيقة وروبير، تنظر إليه بانتباء غريب. ولكنّ عيني وإيميه، الغائرتين اللتين يضفي عليهما قصر نظر طفيف شيئًا من العمق المخادع لم يقصحا عن أيَّ انطباع على صفحة محيًّاه الجامد. ولابدُّ أن الخطوط الجميلة التي اصفرت قليلاً وأرهقت الآن والتي تؤلف وجهه، تلك التي كانت نشاهد أبدأ على مدى سنوات عديدة، شأنَّ تلك الصورة التي تمثل الأمير وأوجين، في المكان ذاته وفي أقصى قاعة الطعام الخالية على الدوام تقريباً، لابد أنها لم عجتذب الكثير من النظرات الفضولية في الفندق الريفي الذي عمل فيه سنوات عديدة قبل مجيئه إلى وبالبيك، لقد سبق إذن أن ظلّ فترة طويلة، لقلة توافر العارفين بالأمور دونما شك. جاهلاً لقيمة محيًّاه الفنية وقليل الاستعداد على أيّ حال للفت الأنظار إليها إذ كان يتسم بالجفاء. وأكثر مافى الأمر أن تكون باريسية عابرة سبيل قد توقفت مرّة في المدينة ورفعت ناظريها إليه وطلبت أن يجيء ليقدّم لها الطعام في غرفتها قبلما تستقل القطار ثانية ودفنت في الفراغ الشفاف الرتيب العميق لحياة الزوج الصالح والخادم الريفيّ سرّ نزوة مضت دون رجعة، ولن يجيء من يكتشفها هناك في يوم. بيد أنَّ اإيميه، لابدُ لاحظ الإلحاح الذي بقيت فيه عينا الفنانة الشابّة مخدقان إليه. ولكن الإلحاح لم يفت (روبير، على أيّ حال، فقد أخذت أرى حمرة تتجمع عجت وجهه، ولم تكن شديدة كالتي تلهبه إن هزَّه انفعال مفاجئ بل طفيفة مبعثرة. فسأل عشيقته بعدما صرف وإيميه، بشيء من الجفاء:

- درئيس الخدم هذا ظريف جداً يا دزيزيت ؟ يخيل إلى أتك تودّين اجراء دراسة تمهيدية عليه.

- وها نحن قد بدأنا، كنت متيقنة من ذلك،

 - «ولكن ما الذي بدأتاه ياصغيري ؟ إن كنت مخطةاً فلست أنكر، ذلك لك. ولكن لي الحق مع ذلك أن أحذرك من هذا الخادم الذي أعرفه من «بالبيك» (ولولا ذلك لما بالبت)، فهو واحد من أعظم ماحملت الأرض من أوغاد في يوم.» وبلما أنّها تودّ طاحة دوريره وبدأت معي حديثا أديبًا شارك فيه. لم أشعر بالسأم وأما أختدَّت إليها فقد كانت تعرف تمام المعرفة الأعمال التي كنت معجباً بها وتكاد توافقني الرأي في أحكامها، ولكني ما كنت أولي تلك الثقافة أهمية كبيرة إذ كنت قد سمعت على لسان السيدة «دوفيلاريزس» أنّها عديمة الموهمة. كانت تعزز بعظرافة حول ألف أمر، ولماها كانت محمة حقاً لو لم تتصنّع على نحو مزصع اللغة الخاصة بالندوات الأدبية ومشاغل الرسم. وكانت تمدّها على أيّة حال لتنسل كل شيء، وإذ تعودت على سبيل المثال أن تقول الرحة إن كانت العالمياء، ومن أوبرا إن كانت من المهج الفاغيرية أو الملك عميد الإحساس، أجد أنّ عن لب في أذنها ولبدى اتضاعاً، وقد أثر فيه أنها تظاهرت برعشة، «بلى، على صعيد الإحساس، أجد أنّ خلك حسن، ولكنّ ما كان يثير دهشتي أنّ المبارات الخاصة بـ«ورييرة (والتي ربّما جاهته من أدباء تعرفهم) كانت على لتتخدمها في حضرته، وهو في حضرتها كما أو كانت تلك لذة ضرورية ودون أن يتبينًا علمية أمالة هي ملك للجميع.

كانت إذ تتناول الطعام غير حافقة في استخدام يديها إلى حدّ يدعو إلى افتراض أنها لابدّ تظهر غير ماهرة إلى حدّ بعيد وهي تمثل على خشبة المسرح. وما كانت تستميد شطارتها إلاّ في الحبّ بفضل هذا التُكهّن المؤثر لدى النساء اللاتي يعبين الرجل إلى حدّ يعزرن معه من آوّل مرّة ما سيجلب أعظم المتمة لهذا الجمد الختلف إلى حدّ بعيد عن جمدهنّ.

وكففت عن المشاركة في الحديث حينما أخلا في الكلام عن المسرح لأن دراحيل، كانت مفرطة الإساءة في هذا الشأن. لقد دافعت، والحق يقال، عن ولابيرماه بلهجة للشفق – ضدَّ وسان لوه، الأمر الذي يبرهن على أنَّها كانت كثيراً ما تهاجماه في حضرته –قائلة: ولا، لا، إنَّها امرأة مرموقة. إن ما تفعله لايؤثر من بعد فينا بالطبع، إذ لم يعد يوافق تماماً ما تبحث عنه، ولكن ينبغي لنا أن نضعها في مكانها في الفترة التي جاءت فيها ؛ إن لها الكثير بلمتنا. لقد قامت بأشياء حسنة، لو تدرى. ثم إنّها امرأة طبيّة إلى حدّ بعيد، وهي كبيرة القلب ؛ هي لاغجب بالطبع الأمور التي تثير اهتمامنا، بيد أنَّها تمتمَّت بميزة ذكاء حلوة إلى جانب وجه مؤثر بعض الشيء.» (والأصابع لاترافق جميع الأحكام الجمالية على نحو واحد. فإن تعلق الأمر بالرسم بالألوان اكتفى المرء، كيما يبدي أنَّها قطعة جميلة ومن عجينة ممتازة، برفع الإبهام. ولكنَّ وميزة الذكاء الحلوة، أكثر تطلبًا. فلا بدُّ لها من اصبعين، أو ظفرين بالأحرى كما لو اقتضى الأمر أقصاء ذرَّة غبار.) ولكن عشيقة ٥سان لوه- ان استثنينا ذلك - كانت تتحلُّث عن أكثر الفنائين شهرة بلهجة من السخرية والاستعلاء كانت تثير حنقي إذ كنت أحسب - وأنا مخطئ في ذلك - أنها هي من كانت أدني منهم. ولاحظت تماماً أنَّى لابدَ أعتبرها فتَانة ضحلة وأنى أكنّ على العكس الكثير من التقدير لأولئك الذين تحتقرهم. ولكنها لم تستأ لذلك لأن في الموهبة العظيمة التي لم مخط بعد بالاعتراف، كما كانت حالها، وأية كانت ثقتها بنفسها، ضرباً من التواضع وأتنا نقيس علامات الاحترام التي نطالب بها لا بمواهبنا النخفية بل بوضعنا المكتسب. (كتت أزمع بعد ساعة رؤية عشيقة وسان لو، في المسرح تبدي الكثير من الاحترام حيال الفنانين ذاتهم الذين كانت تصدر بحقهم حكماً قاسياً إلى هذا الحدّ. ولذلك لم نقلَ إلحاحاً، مهما صغر الشك الذي كان لابدّ أن يخلفه سكوتي في نفسها، على أن نتعشى معاً في المساء مؤكلة أن لم يرقها حديث إنسان قط بقدر ما فعل حديثي. ولئن لم تكن بعد في المسرح حيث كنّا نزمع الذهاب بعد الغداء، فقد كان يبدو لنا أننا في استراحة

مسرح تزينه رسوم قديمة للفرقة لكثرة ماتواظر ارؤساء النخدم من وجوه تبدو وكأنها تخطط بعيل كامل من الفائنين المبرزين. كانوا يدون كذلك وكأنهم أعضاء مجامع لغزية: فهذا توقف أمام طاولة مملة يفصص إجاصات بالوجه والفضول المتجرّد الذي رئما استطاع أن يبديه السيد دوه جوسيوه، وتخرون إلى جانبه ينقلون أن المحموم أعضاء من للمهد سبق أن وصلوا في القامة نظرات تتسم بالفصول والفتور من تلك الذي ينقلها في الجمهوم أعضاء من للمهد سبق أن وصلوا في الخاص بها بالمحاودة بيد أنهم كانوا بشيرون إلى واقد جديد مغضر الأنف معمول الشفة تبدو عليه، حسيما كانت تقرل واصياع في لفتها، هيئة الكهان، فيظر كما بالمحام إلى المصطفى الجديد. ومد ظيل شرعت واصواع نفر بدينها طالباً ثاباً كان يتاول خلاءه إلى طاوة إلى ماورة على الرجيل كي نظل وسدها مع والهميه،

وقال وسان لوء الذي تركزت على وجهه الحصرة المتردة، التي كسته منذ قليل، سحاية بلون لدم تصلد ملامح صديقي المشدودة وتضمق لونها: وزيزيت، أرجوك ألا تنظري على هذا النحو إلى هذا الشاب. أفضل، إن ابغى أن يجملي منا فرجة المتفرّجين، أن أتناول الغداء بمفردي وأمضي لانتظارك في المسرح.

وفي هذه اللحظة جاء من يقول لـ «إيصيه» إنّ سيداً يرجوه انجيء للتحدث إليه على باب عربته. ونظر وسان لو»، وما يزال قلفاً يخشى أن يكون ثمة مهمة عشق يقع عليه أن ينقلها إلى عشيقته، نظر من الزجاج فأيصر السيد «دو شارلوس» في أقصى عربته مشود اليدين في قفازين أبيضين مخططين بالأسود وفي عروة سترته زهرة. وقال لي بصوت منخفض:

- قترى، إن أسري تعمل على ملاحقتي حتى هنا. رجونك، أنا لا أستطيع، ولكن بما آلك تعرف رئيس الخدم حتى المعرفة، وهو سيشي بنا بالتأكيد، فاطلب إليه ألا يندهب إلى العربة. وليكن على الأقل خادماً لايمرفني. فإذا ما قبل لعمي إنهم لا يعرفونني فأنا أدرى بطبيعته، إنه لن يأتي للبحث في المقهى فهو بعقت هذه الأماكن. وإنه لن المقرف على أيّ حال أن يعطيني زير نسأة عجوز مثله لم يرعو بعد دورساً على نحو مستمر وأن يجيء للتجسس على أله

وبعدما أبلغ وإيميه أوامري أرسل واحدًا من خدمه كان عليه أن يقول إنّه الإستطيع أن يكلف نفسه وإن تمّ السؤال عن المركبز ددو سان لوء فهم لايعرفونه. وانطلقت العربة في الحال. ولكن عشيقة وسان لوء لم تسمح أقوائنا المهموس بها بعموت منخفض وحسبت أن الأمر يتعلق بالشاب الذي كان وروبيره يلومها أن تضمرة فالفجرت بالشتائع:

 • اعجبًا جاء دور هذا الشاب الآن؟ حسناً تفعل أن غفرني. ما أحلى تناول الغذاء ضمن هذه الشروط! لانهتم بما يقول فهو مهزوز العقل إلى حدّ ما وهو على وجه الخصوص، تضيف قولها وهي تلتقت إلى، وإنّما يقول ذلك لأنه يظن أن الظهور مظهر الغيران يضفي أناقة وبلبسك لبوس السيد الكبير.»

وأخلت تصدر بقدميها ويديها بوادر توتر عصبي.

 - اولكن الأمر محرج بالنسبة إلي أنا يا وزيزيته. فأثل تضميننا موضع صخرية هذا السيد الذي سدخل في روعه أنك تخاولين التقرّب منه والذي يبدو لي من أسوأ ألسوء. وامّا أنا فيروقني جدًا بالمكس. إن له بادئ الأمر عبنين أخاذتين لهما طريقة في النظر إلى النساء
 غير معها أنه لابدً يحقهن،

وصاحة روبير، قائلًا: «اصمتي على الأقلّ إلى ما بعد رحيلي إِن كنت مجنونة. إليّ بحوائجي ياغلام.

وما كنت أمري إن انبغى أن أتيمه ؛ فقال لي باللهبية نفسها التي حدّث بها عشيقته منذ هنيهة وكما لو كان غاضياً مني بالمقدل نيسه: ولا، إن بي حاجة إلى أن أكون وحديه. كان غضبه كجملة موسيقية واحدة تنشد وفقها في الأوبرا عدّة محاورات تختلف كلّ الاختلاف فيما بينها في نعنّ الكلام من حيث معناها وطبيعتها ولكنما تجمعها في شمور واحد. وبعدما ذهب فروبيره نادت عشيقته فإيميهه وسألته معلومات مختلفة. كانت تريد بعد ذلك أن تعلم كيف كنت أراه.

— وإنّ له نظرة مسلية، أليس كذلك؟ تفهيم، ماقد يفرحني أن أعلم ما ومكن أن يقكر فيه وأن يقدّم لي المعلم غالباً أن أمسطحيه في السفر ؛ ولكن لا أكثر من ذلك. قلر اضطررت أن غجب جميع الذين يروقونك لكان الأمر في الأساس تقبلاً إلى حدّ ما. ووروبيره ليس على حقّ في ما يخطر له من ظنون. فكلّ ذلك يشكل وينتهي في رأسي، وعلى وروبيره أن يطمئن بالأ. (وكانت توالي النظر إلى قابميهه .) هيا انظر إلى عيد السوداوين، إني أود موفقه ما وراجهما.»

وبعد قليل جاء من يقول لها إن دروبيره أرسل في طلبها إلى حجرة خاصة ذهب إليها، مروراً بمدخل آخر، لينهي غداءه دون أن يجتاز المطعم ثانية. وهكذا ظللت وحدي، ثم أرسل (روبير) يناديني بدوري. فوجدت عشيقته مستلقية على أربكة تضحك تحت وابل القبلات والمداعبات التي يغدقها عليها. كانا يحسيان الشمبانيه، وكانت تقول له بين الحين والحين امرحيي يا أنت!ه إذ كانت قد تعلمت منذ وقت قريب هذه الصيغة التي تبدو لها آخر ما وصل إليه الحنان والذكاء. كنت قد أقللت في طعام الغداء وأحس أتي غير مرتاح، وأخذت آسف، دون أن تسهم أقوال الوغراندان، في شيء من ذلك للتفكير بأني أبدأ عشية الربيع الأولى هذه في حجرة مطعم وسوف إختمها في كواليس مسرح. وبعدما نظرت دراحيل، إلى ساعتها لترى إن كانت لن تتأخر قدَّمت لي الشمبانيه ومدَّت لي واحدة من سكايرها الشرقية وانتزعت من أجلي وردة من صدارها، وإذ ذاك قلت في نفسي: وليس لي أن آسف كثيراً على نهاري، فلم تذهب تلك الساعات التي قضيتها إلى جانب هذه المرأة الشابة هدراً إذ توافر لي بوساطتها وردة وسيكارة معطرة وكوب شمبانيه، وهو أمر لطيف ولا يمكن دفع مقابل كاف له. كُنت أحدث نفسي بذلك إذ كان بيدو لي أنني أضفي طابعاً جمالياً على ساعات الضجر تلك وأني بذلك أبرّرها وأنقذها. ولعله كان ينبغّي لي أن أفكر بأن ما كنت أحس به من حاجة إلى سبب يحمل إلى العزاء لما لحق بي من ضجر كان كافياً ليبرهن أني ما كنت أحس بأيّ أمر جمالي. فأما (روبير، وعَشَيْقته فقد بدا أنهما لايحتفظان بأي ذكر للمشاجرة التي قامت بينهما قبل بضع لحظات ولابأني شهدتها. فلم يلمحا إليها البتة ولابحا لها عن أيّ عدر ولا للتناقض الذي تورثها إيّاه تصرّفاتهما الآن. ولكثرة ما احتسيت من الشمبانيه معهما أخلت أشعر بشيء من النشوة التي كنت أحس بها في اريغبيل، ولعلها لم تكن واحدة على الأرجح. فليس يكشف فينا كلُّ نوع من النشوة فحسب، من تلك التي توليها الشمس أو السفر إلى نشوة التعب أو الخمرة، بل كل درجة من النشوة، ولابدُّ أن تخمل ورقما، مختلفا كما هي حال الأعماق في البحر، إثما تكشف فينا عن إنسان خاص في العمق الذي تبلغه بالضبط.
كانت الحجرة التي يجلس فيها ١٩سان لوه صغيرة، ولكن المرأة التي تزينها قد وضعت بحيث بدنو وكأنها
تمكس ثلاثين غيرها على مدى منظور لاينتهي، وكان لابد للمصباح الكهربائي للموضوع في أعلى الإطار
حياما يضاء ويلحق به قرابة ثلاثين من الأضراء المنكحة التي تشبهه أن يولي الشارب، وإن كان وحياءً
حياما يضاء ويلمه أنّ المكان يضاعف من حواه في الوقت الذي تشاعف في أحلىه اللهاب التي تثيرها المندوة وأنه
إن سجن رحاء داخل هذا المقر الصغير فإنما بمنذ سلطانه مع ذلك على شيء أكثر امتداداً في خطه الملحق
إن سجن رحاء داخل هذا المقر الصغير فإنما بعد سلطانه مع ذلك على شيء أكثر امتداداً في خطه الملحق
الملاحدود المضيء من مم وحليقة باريس. و ولما كنت إذ ذلك في تلك الملحظة ذلك المأرب فقد بحث
عن في المرأة فأهصرته فيجاً ينظر إلى، قيحاً مجهولاً، وكنت أحسى غتم السلطان المارة والقوي للدفية التي تبدو
الأحاسيس فيها شديدة القوة إلى أني لم أعلم إن لم يكن حزي الوحيد يكمن في التمكير بأن الأنا الفيهة.

أما وروبير، فقد أغضبه ألني، لم أشأ التألق أكثر ممَّا فعلت في عيني عشيقته.

– دويحك، هذا السيد الذي التقيت به هذا الصباح والذي يمزج المخللقة بعلم الفلك، قُصَّ عليها ذلك، فإنبي لا أذكر تماماً، – وكان ينظر إليها من طرف عينه.

- اولكن ليس ثمة مايقال، يا صغيرتي، غير الذي قلت منذ قليل. ا

- الله عن الله عن المور وفرانسوازه في محلة الـ «شانزيليزيه» فسوف يسرّها ذلك كثيراً.»

- وأجل، فما أكثر ما حكثي وبويده (١) عن وفرانسوازه. وأعدت بذفن وسان لوه وعادت تقول،
 لمجر في الابتكار، وهي عجلب ذاك الذفن وجهة الضوء: ومرجى يا أثت اله.

منذ لم يعد المشاون حصرا ، في نظري، هم المؤتمنين في إلقائهم وتمثيلهم على حقيقة فيه أخداوا يحظون باهتمامي في حد ذاتهم. كنت أتلهى، ظناً مني أني أتامل شخصيات رواية هزاية قديمة، براية الفتاة المناجبة تتابع، ساهية، على الوجه الجعيد العائد لمبيد شاب دخل إلى القاعة منذ هنيهة، التصريح الفرامي المدينة عن المناجبة، عن المناجبة عن المناجبة المناب في المسرحية، فيما لايفراح هلا الأخير، وهر في قملة مقالته الفرامية، عن المختصر نظرة لاهبة إلى معاشفة ؛ ومكال كنت المختصر والمسابقة عن حياة المناب المعاشفة عن منابعة عن حياة المنابعة المنابعة المنابعة المنابعة المنابعة عن حياة المنابعة المنابعة عن منابعة عند منفحة المسرحية المحكية التي كانت تثير اهتمامي علي أيّة حال على ضحالتها ؛ في المنابعة المنابعة المنابعة المنابعة المنابعة ألم أخرى وبه أخر من أصيفة وكرتون فرق وجه المنابع ونشى منابعة عجت أضواء المسرح وقد تشكلت من التصاف وجه أخر من أصيفة وكرتون فرق وجه المنابع ونوق ولم

⁽١) تصفير درويرة للتحيب.

نلقاها مرّة أخرى بدما نفادر المسرح ولكنها تفرط مذ ذاك ممثلا لم يعد في وضعه الذي كان عليه في المسرحية، ونصاً الايريك وجه الممثل من بعد، ومسحوقاً ملوّناً يزيله المنديل ؛ لقد عادت باختصار القول عناصر لم يظلّ فيها شيء منها بسبب انحلالها الذي اكتمل فور انتهاء العرض والذي يحملك، شأن زوال المحبوب، على الشكّ بحقيقة الأنا وعلى التأمل في الموت.

وقد حز في نفسي إلى حدّ بعيد مشهد من مواد البرنامج. فقد كان على امرأة شآبة تمقتها وراحيل، وكثيرات من صديقاتها أن تتم في إطار اغنيات قديمة بدايات بنت عليها جميع أمالها المستقبلية وآمال ذويها. وكان لهذه الامرأة الشابة مؤخرة شديدة البروز تكاد أن تكون مضحكة وصوت جميل ولكنه نحيل إلى حدّ بعيد بضعفه إلى ذلك الانفعال ويتناقض وذلك الهيكل الجبار. وكانت اراحيل، قد وزّعت في القاعة عدداً من الأصدقاء والصديقات يتناول دورهم إرباك المبتدئة. ويعهدونها خجولة، بتهكِّمهم الجارح وإفقادها أعصابها على تحو تفشل معه فشلاً ذريعاً لابيرم المدير بعده تعهداً معها. ومنذ النغمات الأولى التي فاهت المسكينة بها أخذ بعض النظارة تمّن. تمّ انتقاؤهم لهذا الغرض يتدالون ظهرها ضاحكين، وتضحك بعض النساء المشاركات في المؤامرة بصوت عال وتزيد كلّ نغمة ناحلة من الضحك المقصود الذي أخذ ينقلب فضيحة. وحاولت السكينة التي تصبّب عرقها من ألم تحت مساحيقها أن تقاوم فترة، ثمّ ألقت من حولها على الجمهور نظرات يمترج فيها الأسي والحنق فكان أن ضاعفت من صبحات الاستنكار. وجرّت غريزة التقليد والرغبة في الظهور بمظهر الذكاء والشجاعة ممثلات جميلات لم يسبق اعلامهن بالأمر ولكنهن كن يرمين الآخرين بنظرات مختلسة يبطئها التواطؤ والخبث ويتلوين من الضحك بفهقهات عالية حتى إن مدير المسرح أمر باسدال الستار في نهاية الأغنية الثانية مع أن البرنامج كان يتضمن خمساً غيرها. وجهدت ألا أفكرٌ في هذا الحادث أكثر مما كنت أفعل بعذاب جلتي حينما كان عمّ والدتي يأمر، بغية تنكيدها. بإعطاء جَدّي بعضّ الكونياك، لأن فكرة الخبث تتضمنّ في نظري شيئاً مؤلماً إلى أبعد الحدود. ولكن كما أن الإشفاق على الشقاء قد لا يكون صحيحاً كلِّ الصحة لأننا نعيد بالمحيلة خلق ألم كامل لايفكر الشقيُّ أن يرثي لحاله منه إذ هو مضطرٌّ لمحاربته، كذلك من المرجع أنَّ ليس للخبث في نفس الشرِّير تلك القسوة المحمَّة المتلذَّذة التي يؤلمنا تخيلها أشدُّ الألم. فالبغضاء تلهمه والغضب يضفي عليه حدّة ونشاطاً لايتسمان بما يبهج القلوب، ولابدّ من السادية كيما نستخلص منه المتعة، فالشرير يظنُّ أنَّه إنما يعدُّب شرّيراً. كانت ؛ راحيل؛ تتصوّر بالتأكيد أنَّ الممثلة التي أذاقتها المر لا أهمية لها البتة وأنها على أية حال إذ تدعو إلى استنكار فنها فانما تثار للذوق السليم وتلقن الرفيقة الردثية درساً. وقد فضلت مع ذلك ألا أروي عن تلك الحادثة بما أنتى لم أملك لا الشجاعة ولا القدرة للحؤول دونها. فقد كان شقُّ على كثيرًا إن تناولت الضحية بالخير أن أشبه المشاعر التي نخرُّك جلَّادي هذه المبتدئة بمباهج القسوة.

على أن بداية هذا العرض قد أثارت اهتمامي بطريقة أخرى. فقد أفهمتني جزئياً طبيعة الوهم الذي وقع وسيقة وسايقة بين العمور التي كنا نكونهاء أثا ووربير، عن عديقته وسايقة بين العمور التي كنا نكونهاء أثا ووربير، عن عديقته حين العمور التي كنا نكونهاء أثا ووربير، عن عديقته حين المورة. كانت وراحيل المتشارة على المسايقة وكان لـ وراحيل، واحد من تلك الوجوه التي يرسم البعد خطوطها – وليس البعد بالفعرورة بعد المسرح، إذ العالم لا يُعدو كونه مسرحاً أوسع رقعة – والتي تتهاوى هباء إن تحتّ وليس البعد بالفعرورة بعد المسرح، إذ العالم لا يُعدو كونه مسرحاً أوسع رقعة – والتي تتهاوى هباء إن تحتّ المعرف المناس وي مديرة من بقع النمش

وبثور في غاية الصغر، ولاشيء سوى ذلك. وتتوقف امكانية رؤية كل ذلك على مسافة مناسبة ويطلع من الوجنتين المتراجعتين الغائرتين، كما الهلال، أنف دقيق نقيّ الخطوط إلى حدّ نودٌ معه لو تكون موضع انتباه وراحيل، وتلقاها إلى مالا حدود وتمتلكها بالقرب منك إنَّ لم يتفق لك البتة أن رأيتها على نحو آخر رعن كثب. ولم تك تلك حالى، بل كانت حال دسان لوه حينما رآها تمثل أوّل مرّة، وقد تساعل حيناك كيف يقترب منها، كيف يتعرّف بها، واتكشف داخله مجال كامل رائم - ذاك الذي كانت تعيش فيه - تصدر عنه اشعاعات لذيذة ولكنه لن يستطيع ولوجه. وانطلق من مسرح المدينة الريفية الذي جرى ذلك فيه، لعدّة سنوات خلت، وهو يقول في نفسه إن الكتابة إليها قد تكون جنوناً وإنها لن تجيبه، وهو على أثمُ الاستعداد لمنح ثروته واسمه المخلوقة التي كانت تميش في صدره في عالم يسمو كثيرًا على هذه الحقائق المألوفة تماماً، عالم يزيده الشوق والحلم جمالاً حينما أبصر على مدخل الفنانين الفرقة المرحلة بقبعاتها اللطيفة، فرقة الفنانين الذين قاموا بالتمثيل حارجة من أحد الأبواب. وكان ثمة في انتظارهم شبّان ممن كانوا يعرفونهم. ولما كان عدد البيادق البشرية أقلّ من عدد التشكيلات التي يمكن أن تؤلفها، فإنّه يتفق في قاعة غاب عنها جميع الأشخاص الذين يمكن أن نعرفهم أن نلقى ثمة شخصاً ظننا أنّا لن نحظى بلقياً، ثانية في يوم ويوافينا في الوقت المناسب حتى لتبدو المصادفة ربانية ولعلّ مصادفة أخرى كانت حلت دونما شكّ محلهاً لو كنا لافي هذا المكان بل في آخر مختلف وبما ولدت فيه رغبات أخرى واتفق أن نصادف فيه آخر من معارفنا القدماء ليرفدها. لقد انغلقت أبواب عالم الأحلام الذهبية على وراحيل، قبل أن يراها دسان لوه خارجة من المسرح مما جعل بقع النمش والبثور قليلة الشأن. ولكنها على ذلك كدّرته، يزيد من الأمر أنه لم يعد وحيداً فلم يتوافر له من القدرة على الحلم ما توافر له في المسرح. ولكنها هي ظلَّت مخكم أضاله. مع أنَّه لم يتفق له من بعد أن يراها، شأن تلك الكواكب التي مخكمنا بجاذبيتها حتى في أثناء الساعات التي لا نراها فيها بأعيننا. وللملك فقد حجم عن الشوق إلى الممثلة ذات الملامح الدقيقة التي لم تكن حتى حاضرة في ذاكرة (روبير، أن ارتمي على الرفيق القديم الذي كان هنالك مصادفة وحمله على تعريفه بالمرأة فاقدة الملامح وصاحبة بقع النمش، إذ هي المرأة نفسها، قائلاً في سرّه إنه سوف يفكر بعد ذلك في معرفة مَنْ من الاثنتين كانت في الواقع المثلّة. وكانت في عجلة من أمرها فلمَ تتجّه حتى بالكلام إلى ٥سان لوء في تلك المرّة ولم يتيسرُ له أخيراً إلا بعد بضعة أيام أن يعود ممها وقد حصل منها على فراق رفاقها. كان مدَّ ذاك يجها. فإنَّه ينجم عن الحاجة إلى الحلم والرغبة في أن يسعد المرء على يد من حلم بها أنَّ الكثير من الوقت غيرَ لازم كي تعهد بجميع احتمالات سعادتنا لتلك التبي كانت قبل بضعة أيام محض ظهور على خشبة المسرح مفاجئ مجهول لانبالي

وحينما انتقلنا إلى خشية المسرح بعدما أسدل الستار أردت، وقد تملكتني الرهبة من التنقل عليها، أن أشحد إلى وسان لوه بحدة، فيجيء مظهري، وما كنت أمري أي مظهر بينهي انخاذه في هذه الأمكنة الجديدة عليّ، وقد استأثرت به محادثتنا كلياً ويظنون أبي منغمس فيه وساه إلى الحدّ الذي يرون من الطبيعي معه أن لا أشخد الملامح التي كان يجدر بي اتخاذها في مكان أكاد لا أعلم أثي موجود فيه لاستغراقي في ما كنت أقول. واغتمت، بغية الإسراع، أول موضوع حديث محلو لى فقلت لد ووييره؛

– تعلم أنّى ذهبت لوداعك في يوم رحيلي، إِذ لم يتسنّ لنا البَّة التحدّث في الأمر. لقد حَيّيتك في الشارع.» وأجابني قاتلاً: ولاتكلمني عن ذاك فقد اغتممت من جرّاته. لقد تلاقينا قرب التكنة تماماً ولكني لم أستعلم التوقف لانتي كنت متأخراً جبّاً. أوّكد لك أني كنت شديد الغمّ.».

لقد تعرقني إذنا كنت الأزال أستميد النحية اللاضخمية تماماً التي وجهها إلى وهو يرفع يده إلى قبعته المسكوية دون أية نظرة تكذف عن أنه عرضي ودون أية إشارة تبرز أنه يأسف لفقده القدرة على التوقف. ولايد أن الايهام الذي اعتمده في ذلك الحين بأنه لايتعرقني قد بسط بالطبع الكثير من الأهور. ولكني ذهلت أن عرف كيف يقر المراجعة وقبل أن يكشف رد فعل لديه عن انطباعه الأول. لقد سبق لي أن لاحظت في وبالميث أن جسمه، إلى جانب تلك الصراحة الساخية غياه الذي كانت بشرته تسمح شفوقا الريقة تندق بعض الميثالات المفاجع، قد دريته التربية تدرياً رائماً على عدد من وجوه الشفاق الذي تفرضه الميانة وأنه يستطح مثان فأن منان يعين حا معها ويتصرف حياته الاجتماعية أدواراً مختلفة الواحدة للأعرف في أحد أدواره كان يعيني حا عميةا ويتصرف حيابي وكله اخ لي. لقد كان أنجا لي وعاد فأضحاه النابة بيد أنه أصبح مقدل لحظة شخصاً أخر لا يعرفي وقد رفع يده، وهو يمسك بالأعنة ونظارته على عرد ومدعى المسكوية على نحو صحيح!

كانت مناظر المسرح التي أمر بينها الانوال قائمة وقد بدت بالسة إذ تمت رؤيتها جلى هذا النحو من كتب وفقدت كل ما يشفيه عليها البعد والإضاءة اللدين تقرهما الرسام الكبير الذي نقذاها، ولم تعترض وراحيل، حينما اقتربت منها لقرة تدميرية أقل شأناً. فقد بقيت فتحا أتمها البديع عافقتين في المنظور بين القاعة القاعة والمسرح شأن بروز المناظر تماما. فلم تعد هي نفسها وما كنت أتمرفها الأبقمنسل عينيها اللتين احتمت فيهما هويتها. لقد زال ممكل هذا الكركب الفقي الشديد المعمان منذ قبل رؤال ألقه، ولم أعد أمير في مقابل فيق هذا الوجه المعتمين مقابل سوى تتومات وبقع وأخاديد، كما لو نقرب عيننا من القمر وبكف عن الظهور بلون ورعي وذهبي بالنسبة إلينا.

وسرّبي أن ألمح ما بين صحفيين أو رجال مجتمع من أصحاب الممثلات كانوا يديون ويتحدثون ويدخون كما هوشأهم في المعبنة، شاباً بقلنسوة من الخدال الأسود وتتورة بلون الأرطنسيه ووجنتين خطاعا بالأحمر كصفحة من دفتر رسوم لمد والواق، وكان يلوه والبسمة في فعه وعياء عالقتان في السماء وهو يخط إشارات حلوة براجي يلهه ويقفز بخفة، كان يدو وكأنه إلى حدّ بعيد من جنس غير جنس النامي المتعالمين اللمن برتدون السترة وحلة المراسم واللدين كان يتابع فيما بينهم كالمجنون حلمه المشدوه ويبدو بعيداً عن مشاخل حياتهم، سابقاً لمادات حضارتهم، محرراً من قوانين الطبيعة حتى ليدو الأمر مريحاً ندياً كان ترب فيامة تلعت وسط جمهور، وأن تلاحق بعيدك ما بين الأفاريز الخطوط المعرّبة الطبيعية التي تعظها صنوف لهوها المجنح المتقلب الملون. إلا أن وسان لوه تصور في اللحظة نفسها أن عشيقته لولي امتمامها هذا الراقص

 - ايوسمك أن تتطلعي إلى جهة أخرى. فإنك تعلمين أن هؤلاء الراقصين لايساوون الحل الذي لعلهم يحسنون فعلاً بالصعود عليه كي تقصم ظهورهم، وهم من قوم يمضون فيما بعد متيجمين بألهم كانوا موضع اهتمامك. وتسمعين على أية حال أنهم يطلبون إليك الذهاب إلى مقصورتك لارتداء ملابسك. والقرب سادة ثلاثة – ثلاثة صحفيين – وقد رُأوا هيئة اسان لوء اللحافقة، القربوا، وقد انفرجت أساريوهم، ليسمموا ما كان يقال. ولما كانت تقام مناظر مسرحية من الجهة الأخرى فقد تراصت صفوفنا إليهم.

وصاحت عشيقة «سان لوه وهي تنظر إلى الراقصين: «أوه! ولكني أتمرّفه، إِنه صديقي. هاك عملاً متقناء وتطلع لي إلى هامين اليدين الصغيرتين اللتين تتراقصان كسائر بقية جسمه!»

وأدار الراقس رأسه نحوها وكان شخصه البشري بيرز خلف جتّي الهواء الذي كان يتدرب على الظهور بمظهره، وارتعش خط هلام عينيه الرمادي والتسم بمن أهنابه للصلبة المطلبة وطاولت ابتسامة جانبي فعه في وجهه الملوّن بالحمرة. ثم أخذ، شأنه شأن هفية تدمام لنا تلطقاً اللحن الذي قلنا لها إننا اعجبنا بها فيه، أخدً يعيد حركة راحيه وهو يقلد نفسه بدقة للقلدين ومرح الأطفال.

وصاحت وراحيل، وهي تضرب ما بين يديها: وشيء في منتهى اللطف هذه الفعلة في تقليد المرء اله.1

فقال لها فسان لوه بصوت حزين : ورجوتك، ياصغيري، لا يخملي من نفسك فرجة للناس، فإتك تقتليني ؛ أقسمت لو فهت بكلمة أخرى فلن أرافقك إلى مقصورتك، وأمضى في سبيلي؛ هبًا، لا تقسي عليّ.» وأضاف، وهو يتفتّ إليّ، بلناك العطف الذي كان يبديه لي منذ وبالبيك»: ولاتبق هكذا في دخان السيكار فسوف يفترك ذلك.»

- وآوا أية سعادة لو تمضى في سيلك!
- 13حدرك من أتنى لن أعود من يمد.
 - اتخونني الجرأة في توقع ذلك.،
- «اسمعي، تعلمين أني وعدتك بالعقد إن كنت لطيفة، ولكن بما أنك تعاملينني كما تفعلين....
- أاما إليك مالا بدهنتي منك. لقد سبق أن وعدتني ولعله كان يجدر بي التفكير أنك لن تبرً
 بوحدك. تريد أنّ تعلن على الملاً أنك تملك المال، ولكني لست نفعية مثلك. أنا لا أبالي بمقدك، ولديّ من
 سهبني إيّاه. ه
 - اليس من يستطيع سواي أن يهبك إياه، فقد احتجزته لدى (بوشرون) وقد وعد بألا يبيعه لغيري.
- دعظیم ما فعلت، لقد أردت أن تتهذینی واتخذت مسبقاً جمیع احتیاطاتك. هذا بالدمام مأیشال:
 دمارسانت، دماتر سیمیتاه Mater Semita من هنا تنبعث واتحة العرق، بخیب واحیل قولها مرددة تأثیلاً
 مرتکز علی خطأ فادح لان Semita (۱۲ اینما تعنی دالدرب، ولیس دالسانیة، ولکن الوطنیین کانوا بستون بها

 ⁽١) نظن راحيل أن مان لوء من والدة يهودية، وهو ما تعنيه لفظة «ساهي، في اللغة السياسية آنذاك ولا يزال المعنى واردا في لفظة antisérnitisme (معادلة السامية).

وسان لوع بسبب آراء معادية لـ ودريفوس، كان يدين بها للمصئلة. (وكان أقل من يحق له نعت السيدة دور مارسانت، باليهودية، وما كان بمقدور علماء الأجناس في المجتمع أن يلقوا من يهوديتها سوى قرباها بآل ولاوي ميربواه). وولكن كن على ثقة من أن كل شيء لم يت. فالوعد المقطوع في مثل هذه الشروط لاقيمة له البتة. لقد تصرّفت معي تصرّفاً غادرا. وسوف يعلم ويوشرون، بالأمر ويُدفع له الضعف ثمنا لعقده. اطمئن، عما قليل يوانونك بأخباري،

كان اروبيره مقد مرّد على حقّ. ولكنّ الظروف متشابكة أبناً إلى حدّ أنّ من كان مئة مرّد على حق يمكن أن يكون مرّد على ضلال (١٠). ولم أفلح في الحؤول دون تذكر تلك الكلمة غير المستحة والبريمة كلّ البراءة مع ذلك والتي أطلقها في وبالبيك»: بههذه الطريقة أضمن سيطرتي عليها.»

— «القد أسأت فهم ما قلته لك بشأن العقد. فلم أعدك به وعداً قاطماً. وبما أثلث نفعلين كل ما ينبغي فعملًا. فعلم أميرك فبم أي المقدم أميرك فيه فلك ولا كوني نفعياً. فعلم كيما أميرك فبم أن القدر في ذلك ولا كوني نفعياً. لايمكن أن يقال إنني أذبع على لملكأ مالي فإنبي أقول لك على الدوام إنبي رجل مسكين لايملك فلساً واحداً. لست على حق في فهم الأمور على هذا النحو، ياصغيرفي. فيماذا تراني نفعياً العلمين حق العلم أن اهتمامي الرحد إنما هو أثب، "

وقالت له بلهجة ساخرة زهي ترسم حركة من يحلق لك ذقتك: دأجل، أجمل، يوسمك أن تتابع، ق. ثم التفتت إلى الراقص وقالت: وإنه رائع حقاً بيديه ؛ ولعلي لا أستطيع، أمّا المرأة، أن أفسل ما يفعله هنا، والتفتت إليه وهي تربه ملامح دروبيره المتشجة وقالت له بصوت خافت في الاندفاعة المؤقمة لقسوة سادية لا تتناسب مطلقاً على أي حال ومشاعر الودّ الحقيقي الذي تكنه لـ 1سان لوه: «أنظر، إنه يتألم».

- «اسمعي، للمرة الأخيرة أقسم إلى عبئاً ستسعين ويمكنك أن تبدي بعد ثمانية أيام جميع صنوف
 الأسف في العالم فلن أعود، لقد طفع الكيل، احدري فالأمر لا رجعة فيه وسوف تندمين عليه ذات يوم ولات
 ساعة مندم.!

ربما كان صادقاً وبدا له عذاب هجر عشيقته أقلِّ قسوة من عذاب البقاء إلى جانبها في شروط معينة.

ثم أضاف قوله وهو يلتفت إليّ: وولكن لاتظلّ ههنا ياصغيري، قلت لك، عما قليل تأخذ في السمال.ه

وأريته المناظر التي كاتت تمنعني من التنقل ولمس قبعته لمسة خفيفة وقال للصحفي:

- ٥ يأسيد، هلا تكومت برمي سيكارك فالدخان يضرّ بصديقي.

وكانت عشيقته ماضية، لا تنتظره، إلى مقصورتها، واستدارت وقالت للراقص في أقصى المسرح بصوت

⁽١) ان اللورد دديري، يعترف بنفسه ان الكلترا الاتبدو دوماً وكأنها على حق حيال ايرلندا. (وردت في متن النص)

بادى التصنع في رخامته وبراءة الفتاة الساذجة فيه:

 دراهما تتصر فان هكفا أيضاً مع النساء هاتان الينان الصغيرتان؟ إلل تبدو امرأة بدورك، وأظن من الممكن التفاهم معك وواحدة من صديقاتي.»

وقال الصحفيُّ: دليس التدخين تمنوعاً فيما أعلم، وعلى المرء ملازمة بيته إن كان مريضاً.!

وابتسم الراقص للمثلة ابتسامة زاخرة بالأسرار، وصاحت به: داصمت، فإنك تجننني، وكما أكثر ماستقيم من حفلات!!

وقال وسان لوه للصحفي: ولست لطيفاً جناً على أي حال باسيده، قالها لايبتكل من لهجته المهذبة اللطيفة وبمظهر من وقف على أمر وقام بالحكم على حادثة انتهت حكماً ينطبق على الماضي.

وفي تلك اللحظة رأيت السان لوه يرفع ذراعة عامودياً فوق رأسه كبما لو أنه أشار إلى شخص ما كنتّ أراه، أو مثل تاثد أوركسترا – ودونما تمهيد أكثر نما تعقب إيقاعات عنيفة لحناً بطيثا حلواً بمجردً حركة قوس – أهرى بيده، بعد الأقوال المهلّبة التي قالها قبل قليل، بصنّمة مديّة على خدّ الصحفي.

أما الآن وقد أهقب أحاديث الديلوماسيين المؤوونة وفتوث السلام الضاحكة الاندفاع المجنون إلى العرب وبما أن الفعريات تستدعى الضربات فلعلني ما كنت سأعجب كثيراً لرؤية الخصوم يسبحون في دمهم. ولكنّ كنت لا أعضريا من غير المنافق في دمهم. ولكنّ كنت لا أعشرا من غير المنطقي أن تقع حرب بين بالمين في حين لم يبحث بعد إلا في تعديل للجدود، أو أن توافي المئية من من بعض المؤان المفلية بحركة لاتبع البئة منها الكبد كيف استطاع وسان لوه أن يتبع تلك الأقوال التي تئم عن بعض الران اللطف بحركة لاتبع البئة منها الكبد كيف استطاع وسان لوه أن المؤان المهام المؤان الم

وددت أو أكلم وسان لوه ولكنما الخياطه من الراقص كان قد عمر صدره حتى لقد التصن تمام الالتصناق على صفحة الأحداق، وكمثل هيكل داخلي كان يشد وجنيه إلى حدَّ لم يعد يملك مده، وقد انقلب اضطرابه الداخلي جموداً خارجياً كاملاً، حتى الارتخاء وامكان التحريك اللازم ليستقبل كلمة متّي ويجيب عنها. وإذ رأى أصدقاء الصحفي أن كل شيء قد انتهى ققد عادوا بالقرب منه ولا يزافرن يرتجفون. ولكنهم كانوا يحرصون كل الحرص. وقد أخجلهم أنهم تخلوا عنه، أن يظن أنّهم لم يلاحظوا شيئاً. ولذلك كانوا يسترسلون في الحديث هذا عن المترق في عيد، وذلك عن التعقول الكانب الذي وقع له إذ تعمّل أنّ الستارة تُرفي من ساعتها. بل بلغ بهم الأمر أن أبدوا له شيئاً من الستارة تُرفيم، والثالث عن الثانب الذي وقع له إذ تعمّل أنّ

الاستياء أن لم يشاركهم انفعالاتهم.

- اكيف، ألم يدهشك ذلك؟ أفالا ترى الأمور على حقيقتها؟، وغمغم الصحفي المصغوع قاتال؟.
 وأعنى أنكم كلكم جبناء.

وبدا أنهم يناقضون الوهم الذي أخفَوا به والذي كان يجدر بهم بموجه– ولكنهم لم يفكروا فيه –أن يظهروا مظهر من لايفهم ما يقصد إليه فتقوّموا بجملة متعارف عليها في المناسبات: دهما أنت تثور قلا تنضب بدون سبب، لكأنما عجمع بك نفسكك 8.

لقد أدركت في الصباح أمام أشجار الإجاص المزهرة الوهم الذي كان يستند إليه حبّ «روبير» لـ وراحيل حينما الربَّه. وما كنت أقلَّ ادراكاً بالعكس لحقيقة العذاب الناجم عن هذا الحبِّ. وتقلصَّ العذاب الدِّي كان يكابده منذ ساعة شيئاً فشيئاً دون أن يتوقف وغار في صدره، ولاحت في عينيه منطقة شاغرة مرنة. وغادرنا المسرح أنا وهسان لوه وسرنا بادئ الأمر قليلاً. واتفق أن تأخرّت لحظة في زاوية من شارع وغابرييل، غالباً ماكنت أبصر اجيلبيرت، تصل منها بالأمس. وحاولت قدر بضع ثوانًا أن أتذكر تلك الانطباعات البعيدة، كنت أزمع اللحاق بـ دسان لو، بخطأ رياضية حينما أبصرت سيداً رديء الملبس إلى حدّما بيدو وكأنه يحدثه عن قرب. فجزمت أنه صديق شخصي لــ ووبير، ، وبدا إذ ذاك أنهما يواليان الاقتراب الواحد من الآخر ، وفجأة، ومثلما تبرز في السماء ظاهرة تجميّة، رأيت أجساماً بيضويّة الشكل تتخذ بسرعة مدوخة جميع المواقع التي تسمح لها بتأليفٌ مجموعة غير ثابتة من النجوم أمام ٥سان لو، وبدا لي أنَّها سبعة على الأقلُّ قذفت كأنما بمقلاع. بيد أنها لم تكن سوى قبضتي •سان لوه وقد ضاعفت منهما سرعتهما في تبديل موقعهما في تلك المجموعة المثالية والتزييتية في ظاهرها. ولم تكن تلك اللعبة النارية سوى مجموعة لكمات يوجهها اسان لوه وقد كشف لي في الحال عن طابعها العدواني، بدلاً من الجماليّ، مظهر السيد الردئ الملبس وقد بدا أنه يفقد في الوقت نفسه كامل رباطة جاشه وفكاً وكثيراً من الدم. وقد أعطى ايضاحات كاذبة للاشخاص الذين اقتربوا لسؤاله وأدار رأسه ولما رأى دسان لوه بيتعد نهائياً للحاق بي ظلّ ينظر إليه بهيئة تمتزج فيها الضنينة بالارهاق، ولكنها غير غاضبة البتة. أما دسان لو، فكان غضاباً على العكس مع أنه لمم ينل شيئاً وكانت عيناه لاتزالان تسطعان غضباً حينما لحق بي. ولم يكن للحادثة أية صلة بصفعات المسرح كماسبق أن ظننت. لقد كان متنزِّها متقد الحب أبصر العسكري الجميل الذي يمثله ٥سان لوه فراوده عن نفسه. وكان صديقي لايزال مندهشاً من جوأة هذه والطغمة، الى لم تمد تنتظر حتى ظلام الليل لتغامر بنفسها، وكان يتحدث عن العروض التي قدمت إليه بالحنق الذي تتحدث به الصحف عن سرقة بقوة السلاح جرى الإقدام عليها في وضح النهار في أحد أحياء باريس المركزية. بيد أن السيد الذي ضرب كان يكمن عدره في أن مستوياً ماثلاً يقرب بسرعة كافية الرغبة من المتعة كيما يبدو العجمال وحده وكأنه مذ ذاك قبول. ولم يكن موضع جدال أن «سان لو» كان جميلاً. أما اللكمات التي تشبه تلك التي كالها «سان لو» منذ قليل ففاتدتها بالنسبة إلى رجال من نوعية الذي وقف بجانبه منذ قليل أن مخملهم على التفكير جديًّا ولكن على مدى من الوقت أقلُّ من أن يستطيعوا معه إصلاح أنفسهم وتجتب العقوبات القضائية. ومع أن •سان لوه كال لكماته دون تفكير كثير فإن جميع اللكمات التي من هذا القبيل لانفلح، وإن هي جاءت عوناً للقوانين، في مجانسة الأخلاق. وقد خلفت هذه الحوادث، ومن بينها دونما شك الحادثة التي كان «روبير» يصرف إليها أكثر تفكيره، لقد خلفت في نفسه الرغبة في شيء من الوحدة: ذلك أنه طلب إلتي بعد شرة أن نفترق وأن أذهب فيما يخصني إلي منزل السبنة «دو فيلهاريزيس» وسوف يلقاني هناك ولكنه يُفضل ألا ندخل مما كي يظهر بمظهر من يصل لتوة إلى باريس بدلا من أن بيعث على الظن بأنه قد سبق لنا أن أمضينا الواحد مع الآخر قسماً من بعد الظهيرة.

كان ثمة فارق كبير، مثلما سبق أن افترضت قبل التعرف إلى السيدة ١دو فيلباريزيس، في ٩بالبيك، بين الوسط الذي تعيش فيه ووسط السيدة ودوغيرمانت، فقد كانت السيدة ودو فيلباريزيس، واحدة من تلك النساء اللواتي ولدن في أسرة ذات أمجاد ودخلن بطريق زواجهن في أسرة أخرى لاتقل عن تلك أمجاداً، ولكنهن لا يتمتعن بمكانة اجتماعية رفيعة، فإنّه فيما عدا بعض دوقات هن بنات أشقائهن أو زوجات أسلافهن أو حتى واحداً أو النين من سلالات ملكية من معارف الأسرة القديمة، لايرتاد صالتهن سوى جمهور من الدرجة الثالثة من بورجوازية وأشراف ريفيين أو من أرباب مفاسد أقصى وجودهم منذ زمن يعيد جماعة الأنيقين والمتخذلقين الذين لاتضطرُّهم إلى الجيء واجبات القربي أو الأُلفة البعيدة العهد. صحيح أنني لم أصادف بعد بضع لحظات أية مشقة في أدراك السبب الذي اتفق من أجله للسيدة ودو فيلباريزيس، في ابالبيك؛ أن تكون على أتم اطلاع، وأن تغضلنا في ذلك، على أدق تفاصيل الرحلة التي كان يقوم بها والدي آنذاك في اسبانية بوفقة السيد «دونوربوا». بيد أنه لم يكن من الممكن على الرغم من ذلك أن تستوقفنا الفكرة التي مفادها أن علاقة السيدة «دوفيلباريزيس» منذ أكثر من عشرين عاما بالسفير ربما كانت السبب في هبوط مكانة المركيزة في عالم كانت النساء الأكثر شهرة فيه يجاهرن بعشاق أقل جدارة بالاحترام من هذا الأخير الذي لم يعد على الأرجع منذ زمن طويل بالنسبة إلى المركيزة موى صديق قديم. فهل وقع للسيدة ودوفيلباريزيس، في الأمس البعيد مغامرات أخرى؟ أو لم تفلح، وهي آنذاك من طبيعة أكثر هوى منها الآن في شيخوخة هادلة ورعة ربّما دانت مع ذلك بشيء من طابعها المميز لتلك السنوات المضطرمة المستنفدة، ألم تفلع في الريف الذي سبق أن قضت فيه زمناً طويلاً في خجنب بعض فضائح مجهولة لدى الأجيال الجديدة التي كانت تشهد أثرها فحسب في التركيب المخلط الفاسد لصالة أهل لتكون، لو لاذلك، من أنقاها من كلّ خليط ضحل؟ «لسان السوء» ذاك الذي كان ابن أخيها يخصها به هل صنع لها في ذلك الزمان أعداء؟ وهل دفعها إلى الإفادة من بعض صنوف التوفيق لدى الرجال كي تمارس صنوف ثأر على النساء؟ كل ذلك ممكناً. وليست الطريقة العذبة الحنون التي كانت السيدة «دو فيلماريزيس» تتحدث بها عن الحياء والطيبة – والتي الانضفى ألوانا رقيقة على العبارات فحسب، بل على النبرات كذلك - ما كان يمكن أن يضعف ذاك الافتراضُ ؛ ذلك لأن الذين يحسنون التحدث عن بعض الفضائل، بل حتى الذين يحسون روعتها ويفهمونها على أحسن وجه (والذين يفلحون في مذكراتهم في رسم صورة لائقة عنها) إنما ينحدرون في الغالب من الجيل الصامت الفظّ غير المخادع الذي مارسها، بيد أنّهم ليسوا أنفسهم في عدادًه. إن هذا الجيل ينعكس فيهم ولكنه لا استمرار له فيهم، وإنَّك واجد بدلاً من الحزم الذي كان بها حساسية وذكاءً لاجدوى منهما في العمل. ومواء أكان أم لم يكن في حياة السيلة ٥دوفيلباريزيس، من تلك الفضائح التي قد تطمسها شهرة اسمها، فإنما ذلك الذكاء، ويكاد أن يكون ذكاء كاتب من الدرجة الثانية أكثر منه ذكاء امرأة مجمع، الذي كان بالتأكيد سبب تدنى مكانتها في الجتمع. ليس من شك أنّ السيدة ١٥و فيلباريزيس، إنّما كانت تشيد على وجه الخصوص بمزايا لاتثير الحماسة إلى حدّ بعيد كالرزانة والاعتدال. ولكنّ الاعتدالُ لايكفي كيما نتحدّث عن الاعتدال بما يطابقه كليا ولابدً من بعض مزايا لدى الكاتب تفترض حماسة قليلة الاعتدال. كنت لاحظت في «بالبيك، أنَّ عبقرية بعض كبار الفنانين كانت تظل بعيدة عن مدارك السيدة «دوفيلباريزيس» وأنها ما كانت مجيد سوى أن تسخر منهم سخرية رقيقة وتضفى على قصور فهمها شكلاً ذكياً وظريفاً. بيد أنّ ذاك الذكاء وتلك الظرافة يضحيان بدورهما، بالدرجة التي يبلغانها لديها، –على صعيد آخر وعلى الرغم من استخدامهما لانتقاص قدر أرفع الأعمال الفنية-مزايا فية حقيقية. والأكيد أنّ مثل هذه المزايا إنّما تمارس على أي وضع اجتماعي تأثيراً مرضياً مختاراً، على نحو مايقول الاطباء. تأثيراً مُفَكَّكاً، إلى الحدَّ الذي تعسر على أمتنها أساساً مقاومته بضعة أعوام. فما يدعوه الفنانون ذكاءً إنّما يبدو إدعاء محضاً في نظر المجتمع الأنيق الذي يعجز عن الانطلاق من وجهة النظر الوحيدة التي يحكمون منها على كلّ شيء ولايدوك البتة الجاذب الخاص الذي ينقادون له في اختيارهم لعبارة أو قيامهم بمقارنة ما فيحسّ بالقرب منهم باجهاد وإزعاج سرعان ما ينجم عنه النفور. مع ألّ السيدة ودو فيلباريزيس، لم تكن تظهر في حديثها، كما هو الأمر في مذاكرتها التي نشرت منذئذ. سوى ضرب من الظرافة الاجتماعية إلى أبعد الحدود. فقد مرّت بجانب أمور عظيمة دون أن تتعمق فيها ءودون أن تميُّزها أحياناً فلم نستبق من السنوات التي عاشت فيها، والتي كانت تصفها على أيَّة حال بالكثير من الدقة والروعة، سوى ما قدّمت من أكثر الأمور طيشاً. على أن المؤلف يظلّ عملاً من أعمال الفكر وإن لم يتناول سوى موضوعات ليست فكرية، ولا يدُّ كيما لنخلف في كتاب أو في حديث، وهو قليل الاختلاف عنه، الانطباع التنام عن الطيش، لابد من قدر من الرزانة قد يعجز عنه محض الطائش. فهذه الجملة أو تلك التي يستشهدون بها على أنها نموذج الظرافة الرشيقة في بعض المذكرات التي سطرتها امرأة ويعدّونها من الروائع قد حملتني أبداً على افتراض أن المؤلفة لابدّ امتلكت فيما مضى، كيما تبلغ هذا الحدّ من الرشاقة، علماً على شيء من التثاقل وثقافة منفرة وأنَّها كانت على الأرجع تبدو لصديقاتها، ولا تزال فتاة، دعية أدب لاتطاق. وإن الترابط بين بعض المزايا الأدبية والفشل الاجتماعي ترابط لازم حتى لتكفي القارئء إذ يقرأ اليوم مذكرات السيدة ادوفيلباريزيس، ، هذه الصفة الصحيحة وهذه الصور المجازيّة التي تتلاحق كيما يُستعيد بوساطتها التحية العميقة والجافة مع ذلك التي لابدّ كانت ترفعها إلى المركيزة العجوز على درج إحدى السفارات هذه المتحدَّلقة أو تلك من أمثال السيدة ١٥ ووا، التي ربَّما كانت تخصها ببطاقة دعوة، وهي في طريقها إلى منزل آل «غيرمانت»، ولكنها لاتطأ قدماها في يوم صالتها مخافة أن يحطُّ من مكانتها هناك بين مجموعة نساء الأطباء والكتَّاب العَدَل ربَّما كانت السيدة ٥دو فيلباريزيس، في أوَّل شبابها دعيَّة أدب وأنَّها ربما لم تفلح، وقد انتشت إذ ذاك بعلمها، في الامتناع عن إرسال سهام حادَّة لاينساها المجروح ضدَّ جماعة من المجتمع أقلُّ ذكاء منها وأقل علماً.

ثم إن المرهبة ليست ملحقاً والدًا يضاف على نحو مصطنع إلى تلك المزايا المختلفة التي تضمن النجاح في المجتمع كمي تصنع من كل فلك ما يدعو، رجال المجتمعات الراتية وبالمرأة الكاملة، فهي النتاج الحيّ لينية خلفية تفتقر بعامة إلى كثير من المزايا وتسود فيها حساسية بمكن أن يبرز منها إلى حيز الإحساس على نحو ملموظ خلال الدجاة بخميليات أخرى لانتينها في صفحات كتاب، من مثل ضروب من الفضول والنزوات والرغبة في الذهاب إلى هنا أو هناك سعياً وراء المتعة الخاصة لابغية إنما العلاقات الاجتماعية أو صيانتها أو مجرَّد تسييرها. لقد سبق لي أن رأيت السيدة «دو فيلباريزيس» في «بالبيك» يحيط بها قومها ولا تلقى نظرة واحدة على الأشخاص الجالسين في بهو الفندق. بيد أني داخلني حدس بأن ذاك الامتناع لم يكن لامبالاة ويبدو أنَّها لم تلازمه على الدوام. فقد كان يأخذها شغف بمعرفة هذا الفرد أو ذلك نمَن لايملكون ما يخوِّلهم حتى الاستقبال في منزلها لأنَّها وجدته جميلاً أحياناً، أو لأنه نقل إليها فحسب أنَّه كان طريفاً، أو لأنَّه بدا لها مختلفاً عن الأشخاص الذين تعرفهم، وكلهم ينتمي، في تلكُ أَلفترة التي لم تكن بعد تقدرهم فيها حقّ قدرهم لأنها تحسب أنهم لن يتخلوا عنها في يوم، إلى الصفوة في حي دسان چيرمان. فهذا البوهيمي، هذا البورجوازي الصغير الذي لفت نظرها أضحت مضطرّة أن توجّه إليه الدعوات الثي لا يستطيع تقدير قيمتها، وذلك بالحاح كان يحطُّ شيئاً فشيئاً من قدرها في أعين المتحذَّلقين الذين تعوَّدوا تقدير المنتديات بعدد من تستبعدهم ربّة البيت أكثر منهم بعدد الذين تستقبلهم. ولتن تلهت السيدة ادوفيلباريزيس، بالتأكيد في فترة معينة من شبابها، وقد أورثها اللامبالاة اعتزازها بالانتماء إلى زهرة الاستقراطيين، لئن تلهت إلى حدّما بإثارة استنكار الجماعة التي كانت تعيش بين ظهرانيها وبتخريب مقصود لوضعها الاجتماعي فقد أخذت تولى ذاك الوضع أهمية بعدما أرادت أن تظهر للدوقات أنَّها تفوقهم إذ تقول ونفعل كلُّ مالا يجرؤن على القيام به. أمَّا الآن وقد امتنعن، باستثناء من كنّ من قريباتها، عن الجيء إلى منزلها، فقد أخذت مخس بانتقاص مكانتها وتتمنى أن تستمرّ سيادتها ولكن عن غير سبيل العقل. ودّت لو تجتلب إليها جميع اللواتي اهتمت إلى حدّ بعيد باقصائهنَّ. وكم من حياة امرأة، حياة قلما تكشفت على أي حال (لأنَّ لكلَّ حسب سنه ما يشبه العالم المختلف، ويحول تكتّم الشيوخ دون أن يكوّن الشبان فكرة عن الماضي ويحيطوا بكامل دورته)، فسمت هكذا فترات متعاكسة صرفت الأخيرة منها كلها في استعادة ما قذفت به الثانية عن طيب خاطر في مهبّ الربح! وباليَّة طريقة قذفت به في مهبّ الربح؟ إن الشبان أقلّ قدرة على تخيل الأمر بقدر ما تخطر أمام أعينهم مركباة عجوز جليلة هي المركيزة «دوفيلباريزيس» ولا يراودهم أن صاحبة المذكرات الرزينة في يومنا، وهي شديدة الوقار بجمتُها المستعارة البيضاء، استطاعت أن تكون بالأمس جليسة موائد مرحة ربَّما أمتعت يومها قلوب رجال يرقدون مذ ذاك في القبر وربما التهمت ثروتهم. وليس يعني كونها سعت أيضاً بجدّ دؤوب وطبيعي إلى تخريب مكانتها التي آلت إليها من كرم محتدها، ليس يعنى ذلك مطلقاً أن السيدة ٥دوفيلباريزيس، لم تعلق أهمية كبيرة على مكانتها حتى في تلك الفترة البعيدة.كذلك يمكن للعزلة والخمول اللذين يعيش فيهما أحد المصابين بالوهن العصبيّ أن يَحَاكا على يدء من الصباح إلى المساء دون أن يبدو له محتملين من جرّاء ذلك ومن الممكن ألا يحلم إلا بالحفلات الراقصة والصيد والرحلات فيما يسارع إلى اضافة حلقة جديدة إلى الشبكة التي يختبسه. إننا نعمل في كل لحظة على اعطاء حياتنا شكلها، بيد أننا نفعل بأن ننسخ رغما عنا كما ينسخ الرسم ملامح الشخص الذي نمثله لاذاك الذي ربَّما سرَّنا أن نكونه. كان يمكن أن تعبّر غيات السيدة الوروا، المتعالية بطريقة أو بأخرى عن طبيعة السيدة ادو فيلباريزيس، الحقيقة ولكنَّها لم تكن تستجيب إطلاقاً لرغبتها.

وفي اللحظة التي كانت السيدة ولورواة انتفاطعة فيها، حسب تعبير عزيز على قلب السيدة وسوانة، لمركزوة، كان يمكن لهذه الأعبرة أن تخاول مؤاساة نفسها بتذكرها أنّ الملكة وماري أميلي، قالت لها ذات يوم: وأحيك محبة الابنة، ولكن مثل تلك الألطاف الملكية الدفقية الجهولة لم تكن موجودة إلا بالنحبة إلى المركزة، وقد كساها الغبار كشهادة فائز قديم بالجائزة الأولى في الكونسرفانوار. فالامتيازات الاجتماعية الرحيدة هي تلك التي تبدع حياة، تلك التي تستطيع أن تزول دون أن يقع على من أفاد منها أن بسمى إلى الاحتفاظ بها أو فضح سرّعا لأن منة غيرها تعقيها في النهار نفسه. ولعل السيندة ودوفيالريوس، إذ تذكر أقوالاً للملكة من هذا القبيل، لعلها كانت تبادل بها مع فلك راضية القدرة المائمة في تقبل المدعوات التي تقبلي للمعالدة ولاني قصة من المناسبة ولارواء، مثلم المواجعة المناسبة ولاني متحد مبادلة المناسبة المائل في أحد مبادلة بالمناسبة ولكنه يتناسبة مناسبة والمائل في أخد مرائب المجتمع ولكنه يتنال فلماء والكانم ومناسبة مناسبة والمناسبة والكانم ومناسبة المناسبة والمناسبة والمناسبة

على أنه لابدُ أن نقول إن غياب السيدة داورواه عن صالة السيدة ددولياباريزيس، إن هو يغمّ سيدة البيت فقد كان خافياً عن أبصار عدد كبير من مدعميها. لقد كانوا يجهلون كلياً وضع السيدة داورواه الخاص الذي يعرفه جماعة المجتمع الراقي فحسب ولا يشكون أن استقبالات السيدة ددوفيلباريزيس، إِنّما تمثل أكثر الاستقبالات تألقاً في باريس على نحو ما الختم به اليوم قراء مذكراتها.

وفي هذه الزيارة الأولى التي قمت بها لذي فراقي دسان لوه للسيدة ددوفيلباريزيس، بناء على النصحية التي سبق أن زوّد بها السيد ٥دو نوربوا، والديء لقيتها في صالتها الممدودة بالحرير الأصفر الذي تبرز عليه الأراثك والمقاعد الرائمة المكسوَّة بقماش «بوفيه» بلون وردِّي يكاد أن يكون بنفسجياً، لون توت العليق اليانع. كنت ترى إلى جانب رسوم آل «غير مانت» وآل «فيلباريزيس» رسوماً أخرى - قدَّمها النموذج نفسه-للملكة؛ ماري آميلي، وملكة بلچيكا والأمير «دو جوانفيل» وامبراطورة النمسا. كانت السيدة «دو فيلباريزيس» تعتمر قلنسوة من الدانتيلا السوداء من الزمن الغابر (كانت مختفظ بها بغريزة اللون المحلّى أو التاريخي المتيقظ نفسه الذي يبديه صاحب فندق بريتاني يظنُّ أنَّ ثمة مهارة أكبر في حمل خادماته على الاحتفاظ بالعمرة والأكمام العريضة مهما أغرق زبائته في انتمائهم الباريسيّ) وتجلس إلى مكتب صغير كان عليه، إلى جانب ريشاتها ونمزجة ألوانها ولوحة أزهار مائية باشرتها، ورود راغبة وزينيات وشعور جنَّ في أكواب وصحون وفناجين وقد توقفت عن رسمها بسبب ازدحام الزيارات في تلك الفترة فبدت وكأنها تغطى طاولة باتعة زهور في صورة مطبوعة من القرن الثامن عشر. كان في تلك الصالة المدفاة بعض الشيء عن قصد لأنَّ المركيزة أصابها رشح لذي عودتها من قصرها، كان بين الحضور ساعة وصولي أمين محفوظات صنفت معه السيدة ودوفيلباريزيس، ني الصباح الرسائل المسطرة بيد شخصيات بيد شخصيات تاريخية والتي وجهت إليها وكانت معدّة لابرازها صور طبق الأصل بمثابة وثالق ثبوتية في المذكرات التي كانت في طور تخريرها، وَمُؤرِّخ رسميُّ السلوك بادي الفزع علم أنَّها تملك بطريق الإرث رسماً لدوقة «مونمورانسي» فجاء يستأذنُها نسخ هذا الرسم في لوحة من كتابه حول ٥حركة التمرّده، وقد انضمّ إلى هذين الزائرين رفيقي السابق ٥بلوك، الذي أصبح الآن مؤلفاً مسرحياً شاباً وكانت تتكل عليه ليزوّدها دون مقابل بفنانين بمثلون في عشياتها المقبلة. صحيح أن المشكال الاجتماعي كان آخذاً في الدوران وأنّ قضية دريفوس، تزمع أن تهوي باليهود إلى آخر مرتبة في السلم الاجتماعي. ولكن عبثًا يبلغ الإعصار الدريفورسي أوجه من جهة، فما تبلغ الأمواج أشدّ غضبها في أوَّل العاصفة. ثم أن السيدة ودوفيلباريزيس، تركت قسماً كاملاً من عاتلتها يحمل بعنف على اليهود وظلت هي حتى الآن غربية كلياً عن المسألة ولاتبالي بها. وإن شاباً مثل «بلوك» لا يعرفه أحد كان يمكن ألا يفطن له أحد فيما أخذ الخطر يعيق مذ ذلك بكبار اليهود الذين يمثلون حزبهم. لقد أصبح له الآن ذقن وتيس، مرقط وأخذ يضع نظارة وسترة رسمية طويلة وقفازا كأنه لفة من ورق البرديّ في يده. يستطيع الرومانيون والمصرّيون والأثراك أن يمقتوا البهود. ولكن الاختلافات بين تلك الشعوب ليست محموسة إلى هذا البحدُ في صالة فرنسية، وإنَّ يهودياً يقوم بالدخول كما لو كان خارجاً من أعماق الصحراء متقوَّس الجسم كالغميع، يميل بقفا عنقه جانباً وينتشر سيلاًمن السلامات، العريضة ليرضى تمام الرضى نزعة استشراقية. على أنه لابد لللك ألاً ينتمي اليهودي إلى عالم ەالمجتمع الراقي، وإلاً اتخذ بسهولة منظر دلورد، وأضحت تصرّفاته مفرنسة إلى حد أن أنفأ متمرّداً لديه ينمو كالحدقيات في الجَاهَات غير متوقعة إنما يذكر بأنف هماسكاريي، أكثر منه بأنف سليمان. ولما لم يتم تليين «بلوك» برياضة والحيَّ، ولاشرِّف نسبة اختلاط مع انكلتره أو اسبانيه فقد ظلّ هاوي الطابع الأجنبي غريةً يلذك النظر إليه، على الرغم من برَّته الأوروبية، كيهودي من ددوكان، فما أروع قوّة العرق الذي يدفع إلى الأمام من أعماق القرون حتى قلب باربس العصرية، في ممرّات مسارحنا وخلف كوى مكاتبنا وفي جنازة وفي الشأرع كتيبة خالصة تضفي أناقة على القبعة الحديثة وتمتص السترة الرسمية وتنسيها وتنظمها، وقد ظلت باختصار القول شبيهة تماماً بسترة الكتبة الأشوريين الذين تم رسمهم بلباس الاحتفالات على افريز بناء في دسوسة، أمام أبواب قصر دداريوس، (وكان دبلوك، يزمع بعد ساعة أن يتصوّر أنَّ السيد ودوشارلوس، النَّما يستعلم إن كان يحمل اسماً يهودياً بدافع من مقصد سيخ معاد لليهود في حين كان الأمر مجرّد فضول جمالي وتعشق للوّن المجلى.) ولكن التحدّث عن استمرار الأجناس إنّما يترجم على أي حال ترجمة غير دقيقة الانطباع الذي يخلفه فينا اليهود واليونانيون والفارسيون وسائر تلك الشعوب التي يجدر أن ندع لها تنوّعها. إننا نعرف وجه قدماء اليونان بفضل الرسوم القديمة وقد رأينا أشوريين في زخارف أحد قصور السوسه، بيد أنه بيدو لنا، حينما نلائمي في العالم شرقيين ينتمون إلى هذه الجماعة أوتلك، أننا في حضرة مخلوقات خارقة ربّما أظهرتها قوّة استحضار الأرواح. ما كنّا نعرف سوى صورة سطحية، فإذا هي قد آكتسبت عمقاً، وإذا هي تمتد في الأبعاد الثلاثة وتتحرُّك. فالسيدة اليونانية الشابة، ابنة صاحب المصرف الثري التي شاعت في هذه الفترة، تبدو وكأنُّها واحدة من تلك المشلات الصامتات اللواتي يرمزن في دباليه، تاريخي وجمالي مُمَّا إلى الفن الهليني بلحمه ودمه. على أنَّ الاخراج في المسرح إنَّما يطبع هذه الصور بالابتذال. أما المشهد الذي يعرضه لأعيننا دخول تركية أو يهوديّ إلى صالة فإنما يبجلّ الوجوء على العكس أكثر غرابة إذ يرفدها بالحياة وكأنَّما الأمر أمر أشخاص تمَّ استذكارهم بجهد وساطة روحيَّة. وإنَّما الروح (أو بالأحرى النزّر البسير الذي تؤول إليه الروح حتى الآن على الأقلّ في ضروب اتخاذ الشكل المادي هذه)، إنَّما الروح التي لمحناها من قبل في المتاحف وحدها، روح اليونان القدماء وقدماء اليهود التي انتزعت من حياة تافهة وتُبلّية معاً تنفذ أمامنا هذه الايمائية المحيرة. فما نودٌ عبثاً أن نشدُه إلينا في السيدة اليونانية الشابة المتهرّبة إنّما هو شكل أعجنا به بالأمس على جنبات أحد الآنية. وكان يخيل َ إلى أنني لو أخذت صوراً لـ ابلوك، في ضياء صالة السيدة دو فيلباريزيس، لتقلت عن اسرائيل تلك الصورة نقسها التي ترينا إيّاها صور استحضار الأرواح، صورة

مشوشة إلى حدّ يعيد إذ لايندو أنها تصدر عن الإنسانية معنية إلى حدّ بعيد إذ انها نشبه الإنسانية مع ذلك إلى أبعد الحدود. حتى تفاهة الأقوال التي يتفوّه بها الأشخاص الذين نميش بينهم إنما تخلف فينا، على نحو أعمّ، الاحساس بالأمر الخارق في عالمنا المسكين، عالم كلّ يوم، الذي يتفوّه فيه حتى الرجل العبقري الذي نتنظر مده، وقد انتظمتا من حوله كأنما حول الطاولة الدوارة بسرّ اللاتهاية مجودٌ هذه الكلمات – تلك نفسها التي خرجت منذ قلل من شفتى وبلوكه –: والتبهوا لقبعتي الرسمية،

وكانت السيدة (و فيلمايزيس، تقول، وتوجه الحديث على نحو أخص إلى رفيقي القديم مستأنفة المحديث الذي قطعه دخولي: (يا إلهيم، الوزراء يا سيدي العزيز، الوزراء، ما من أحد كان يود لقاءهم. ومهما كنت صغيرة أنلك فلمي لأأول أذكر الملك وهو يرجو جدي أن يدعو السيد ودوكازه إلى حفلة راقصة سيراقص فيها والمدي الدورة ودوييري، قال الملك: وسيرتي ذلك ياه فاولروسونه. وإن سمع جدي، وكان به شيء من الصحه، ما السيد ودوكازه المرس يتعلق الملك طبيعياً تماماً. وصياحاً أورك أن الأرم يتعلق بالسيد ودوكازه ثارت الروبة أن أن الملك: الملك طبيعياً تماماً. وصياحاً أورك أن الأرم يتعلق يتكرم ويشرفه بحضور حفلته الراقصة التي ستجري في الأسبوع التالي. فالتاس كانوا مهذبين في فلك الزمان يتكرم ويشرفه بحضور حفلته الراقصة الا يتعامل بالملك من عنه بعضور منايه أو وحفلته المراوبية في ياهم، ولكنه كان مغرماً بالرسميات ذكياً وقد أقام البرهان على ذلك حيدما السيد دو فينيها في المؤدد كان يقدة مؤرك مغرفة بالرسمية في يده.

— (آه! إن ذلك ليوحي تماماً بزمن شديد الأذى إلى حدّماً في تفاهته، فقد كانت تلك عادة عامة ولاشك أن يحتفظ المرء بقبعته في يده وهو في منزله، يقول وبلوك وقد رغب في الإفادة من هذه الفرصة النادرة جدًا في استطلاع خصائص السياة الارستقراطية الغابرة لدى شاهد عيان، فيما يرميها أمين أعفوظات، وهو مايشيه أمين سرَّ متقطع للمركيزة، ينظرات رقيقة ويدو وكأنه يقول: وهذه حالها، إنّما عجيط بكلّ شيء وتعرف كال النام، وبمكنكم مؤالها حول ما ترينون، إنّها خارقة.»

وأجابت السيدة «دوفياباريزس» وهي نقرّب أكثر منها اناء الزجاج الذي تتنلى منه أزهار وشعور الجرّا التي سوف تعاود عمّا قليل رسمها: ١لا، ١لا ١لا كانت تلك عادة للسيد «موليه» فحسب. فلم أزّ والذي يحقظ بقبعته في منزله، إلا بالطبع حينما يجيء للملك إِذ يغدو سيد البيت محض زائر في صالته الخاصة به إِذ الملك في يهته أيدما حلَّ.

ويخترأ السيد «بييره مؤرّخ «حركة التمرّه فقال: «لقد قال لنا أرسطو في الفصل الثاني...»، ولكن بلهجة خعجولة إلى حدّ أنّه لم يسترع انتباه أحد. لقد اصابه منذ بضمة أسابيع تارّن عصبيّ لم تفلع معه جميع العلاجات فلم ينم من بعد ولا يخرج، وقد أنهكه التعب، إلا حينما تضطوّه أعماله إلى التنقل. ولما كان عاجراً عن أن يعد مرّات عديدة هذه الرحلات البسيطة جداً في نظر غيره ولكنها تكلفه بقدر ما تكلفه لونتحدر من القمر للقيام بها، فقد كان يذهل أن يجد في الغالب أن حياة كلّ واحد لم تكن منظمة تنظيماً واثماً كي توفر لاندفاعات حياته المفاجقة أقصى جلواها. فقد كان يجد أحياتاً أنْ مكتبة لم يبادر إلى زيارتها إلا بتصنّع الوقوف على قدميه وبسترة رسمية، كأحد رجال «وبلزه، كانت مغلقة. وقد التتى لحسن الحظ بالسيلة، «دو ظيباريزس» في منزلها وسوف يشاهد الرسم.

وقطع «بلوك» عليه كلامه وقال وهو بردّ على ماقاته السيدة «دو فيلباريزيس» بصدد التشريفات التي مخكم الزيارات الملكية: «حقاً، ما كنت أهرف ذلك البئة» (كما لو كان غربياً الأيعرف ذلك).

وسألت السيدة ددو فيلباريوس، أسين المحفوظات قائلة: ديسناسية هذا النوع من الزيارات، هل تعرف المزحة الغيبة التي جاءني بهما ابن أخيى دبازاناه صباح البارحة؟ لقد أرسل يقول لمي، بدلا من أن يعلن عن نفسه، إنّ ملكة السويد تطلب زيارتي،

وصاح «بلوك» مقهقها: وآءا لقد أرسل يقول ذلك ببرود على هذا النحو! ما أجمل للزاح!؛ فيما كان المؤرخ يتسم بمهاية تحجلي.

-- القد دهشت بعض الشيء لأنني لم أعد من الريف إلأسند بضمة أيام. وكنت قد طلبت كيما أشم بالهدوء الاينقارا لأحد أنني في باريس وأتساءل كيف علمت ملكة السهد بالأمراء وتضيف السيلة 3دو فيلماريزيس، قولها: دولاندع لي في كلّ الأحوال يوسن لأستربح قليلاً، مخلفة المعشة في نفوس زوارها أن لاتكون إيارة ملكة السويد في حدّ ذاتها أمرا مستغرباً بالنسبة إلى مضيفتهم.

ولمن قلبت السيدة «دو فيلمارينس» في الصباح وثائق مذكراتها مع أمين المفوظات نقد كانت بخرب
في هذه اللحظة على غير علم منها آليتها وثائيرها السحري على جمهور مترسط بمثل الجمهور الذي سيطلح
منه ذات بوم قراؤها. كان يمكن أن تتميز صالة السيدة «دو فيلمارينس» عن صالة تسم بالأناقة المحقة ونتيب
عنها الكثيرات من البورجوازيات الملالي كانت تستقبلهن فيما تتسنى بالمقابل رؤية سيلمات لاممات اجتذبتهن
عنها الكثيرات في نهاية المطاف، وكن هذا القارق الطفيف لايتم تبيئة في مذكراتها حيث تزول بمعن
السيدة ولورواة في نهاية المطاف، وكن هذا القارة الطفيف لايتم تبيئة في مذكراتها حيث تزول بمعن
الملاقات الضحوط الأن قليلاً من الأشخاص يمكن أن بعثلوا في المساحة الشيقة بالفرورة التي تقدمها هذه
لما يخوفرن لها لأن قليلاً من الأثبة الذي يمكن أن بعثلوا في المساحة الشيقة بالفرورة التي تقدمها هم
هؤلاء الأشخاص شخصيات أمراء أو شخصيات تاريخية. كانت صالة السيدة «دو فيلم إيزيس» و حسيما ترى
السيدة ولوروا عمالة من المرجة الثالثة، وكانت السيدة «دو فيلم إيزيس» و يقما صالة السيدة ودو فيلم إيزيس، والتي ترددت
أحد اليوم من كانت السيدة ولورواه ، وقد زال ما حكمت به ، و إشما صالة السيدة ودو فيلم إيزيس، التي ترددت
عليها ملكة السيد وترد عليها دوق وأومال، ودوق «دوبروي» واحسره والدي الموب وصاحب السيادة المو
عليه الشي ستملما الأجيال القادمة إحدى لمل على المرتبة المشتهاة بالنسبة إليها، المنت الملكي أو شبه
الملكي وصاحبة الملوك ورؤساء الشعوب وصفاهير الرجال.

كانت السيدة ودو فيلباريزيس، تملك شيئا من كلّ ذلك في صالتها الحالية وفي الذكريات التي عدلَّت أحيانا تعديلاً خفيفاً والتي كانت تمدُّ بوساطتها تلك الصالة في الماضي. ثم إنَّ السيد دو نوربوا، الذي لم يكن قادراً أن يعيد لصديقته مكانة حقيقيّة كان يجيثها عوضاً عن ذلك برجال الدولة الأجانب أو الفرنسيين الذين كانوا بحاجة إليه ويعلمون أن الطريقة الوحيدة الفعّالة التي يتودّدون بها إليه هي التردّد على منزل السيدة هدو فيلباريزيس، ربّما كاتت السيدة الورواة تعرف بدورها تلك الشخصيات الأوروبية البارزة، ولكنها كانت تتحاشى، بوصفها امرأة ظريفة تتجنّب لهجة دعيّات الأدب، التحدّث عن المسألة الشرقية إلى رؤساء الوزراء بقدرما تتحاشى التحدّث عن ماهية الحبّ إلى الرواتيين والفلاسفة. لقد أجابت ذات مرّة سيدةً مدّعية سألتها: ومارأيك في الحبِّ؟، أجابت قائلة: والحبِّ؟الحبُّ، إنِّي أتعاطاه كثيراً ولكني لا أتخدَّث عنه البتَّه، وحينما كانت مجمع في بيتها أساطين الأدب والسياسة كانتُ تكتفي، شأن دوقة اغير مانت، بحملهم على لعب والبوكرة. وغالباً ما كانوا يفضلون ذلك على الأحاديث العريضة حول الأفكار العامة التي تضطرهم إليها السيدة ددو فيلباريزيس. بيد أنَّ تلك الأحاديث التي ربَّما بدت سخيفة في المجتمع قد زوَّدت ذكريات السيدة ودو فيلباريزيس، بتلك المقطوعات الممتازة، بتلك الأُبحاث السياسية التي تُستساغ في المذكرات كما هي الحال في المسرحيات التي من طراز مسرحيات «كورنس». وصالات مثيلات السيدة «دو فيلباريزيس» وحدها تنتقل إلى الخلف لأنّ مثيلات السيدة الررواه الايحسن الكتابة، وإن هنّ أحسنها، لم يجدن منسعاً من الوقت. ولئن كانت ميول مثيلات السيدة دو فيلباريزيس، الأدبية سبب ازدراء مثيلات السيدة الوروا،، فإن ازدراء مثيلات السيدة ولورواه يخدم بدوره على نحو عجيب ميول مثيلات السيدة ودو فيلباريزيس، الأدبية إذ يوفر لدعيّات الأدب من السيدات الرقت الذي تقتضيه مهنة الأدب. والله الذي يريد أن يكون ثمة بضعة كتب جيدة الصنعة إنَّما ينفخ في سبيل ذلك في قلوب مثيلات السيدة الورواه أنواع الازدراء تلك، لأنَّه يعلم أنَّهِن إن دعون منيلات السيدة ددو فيلباريزيس، إلى العشاء فسوف تهجر هؤلاء محايرهنّ في الحال ويأمرن بأن تسرُّج الخيول المثامنة.

وبعد حين دخلت سينة عجوز مديدة القامة بخطى وليدة وزينة وكالت تبرز عجت قبتها المرفوعة التي الخلات المواقع المناسبة المناسبة المستقبل أيضا واحدة من النسوة المالات الخلات المواتي كان الايزال بالإمكان ملاحظتهن في المجتمع المارسي وقد اضطرارا، حثال السينة دور فيلياريزيسه، وصد أيضاً كي المحتلفة الأوامان، ولمل عجوزا أنبقا من المناسبة كان وحده بسطيع أن يبيتنا عنها، سوى حالة من الناس الارشورة فيها في مكان آخر. كان لكل من تلك السينة المواقعة وغيرات تحصيها، ابنة شقيق لها لاممة عجىء إليها للوفاء بواجاتها ولكنما الاستعطع من تلك السينة وقد قدوم فيلياريزيس، على علاقة وليقة بأولئك السينات الخلاف ولكنها لاخيهن. ورياما كان وضعهن الشبه إلى حدّ ما بوضعها بزودها بصرة عنهن لا تزويم على بصرة عنهن لا تقوم يبحول أن يتوافر لهن المناسبة من حياء المناسبة من المناسبة من جراء عدد المشاهد الصغيرة التي يعملن على تشيلها، كانت تقوم يبحول أن يتوافر لهم مها المناسبة من على تشيلها، كانت تقوم يبحون متنافسات شؤلها لمن مها الإفادة من معونة مجالية المهنود وتضطران إلى الإفادة من معونة مجالية المهنود وتضطران إلى الإفادة من معود المشهنة المعامة وتشيلها، كانت تقوم يبحق مناسبة المشهنة ذات الشعور المصففة بالمناه ، عراله إلى ضرب من النضال في سبيل السياة أصف في ذلك أن السينة ذات المصور المصففة

على طريقة دماري انطوانيت، لم تكن تستطيع في كل مرّة تيصرفيها السيدة دو فيلباريزيس، السؤول دون التفكير بأنّ دوقة دغيرمانت، لم تكن تذهب إلى استقبالاتها في أيام المجمعة. وكان عزاؤها أنّ الأميرة دويوا» لاتفوّت البتة أيام الجمعة تلك بوصفها قرية مثالة، وكانت حصتها من آل «غيرمانت» ولا تذهب البتة إلى منزل السيدة «دو فيلباريزيس» مع أنّ السيدة «دويوا» صليقة حميمة للدولة.

بيد أنَّ رباطاً قوياً ومقيتا معاً كان يوحد بين الالهات الثلاث الخلوعات من فندق وصيف «مالاكيه» إلى صالات شارع «تورنون» وشارع «لاشيز» وحي «سالتونوريه»، تلك الالهات اللواني وددت لو أعلم، بتقليب أحد معاجم المجتمع الاساطيرية، أي مغامرة غرامية وأي انتهاك وقح للمقدسات قد آل بهنّ إلى العقاب. وربما ألف المنبت الرفيع نفسه والانهيار الحالي نفسه الكثير من الضرورة التي كانت تدفعهنّ إلى التزاور والتباغض في آن واحد. ثم إن كلّ واحد منهنّ كانت عجد في الأخربين وسيلة سهلة لمجاملة زائريها. إذ كيف لايحسب هؤلاء أنهم يَدخلون إلى أكثر الأحياء انغلاقاً حَينما يجري تعريفهم بسيدة رفيعة الألقاب تزوّجت شقيقتها أمثال دوق وساغان، أو أمير ولينهي،؟ ولاسيمًا أنهم كانوا يتحدثون في الصحف عن هذه الصالات المزعومة أكثر مما يفعلون عن الحقيقية بكثير. حتى أبناء الأشقاء من النخبة (وعلى رأسهم ٥سان لو٥) كانوا يقولون لرفيق يسألهم أن يصحوه إلى المجتمع:«أصحك إلى منزل عمتَى «فيلباريزيس» أو إلى منزل عمتي س...؛إنها صالة جديرة بالاهتمام.٥ كانوا يعلمون على وجه الخصوص أن ذلك سوف يكلفهم عناء أقلُّ من إدخال الأحمدةاء المذكورين إلى منازل ينات شقيقات تلك السيدات أو زوجات أشقاء أتيقات الهنّ. لقد قال لي الرجال الطاعنون في السن والنساء الشايات اللواتي علمن ذلك منهم إنه إن لم يتمّ استقبال تلك السيدات الطاعنات في السن فبسبب الانحراف غير المألوف في سلوكهن، ذلك الانحراف الذي تمّ تصويره لي، عندما احتججت يأته لايشكل عائقاً أمام الأتلقة، على أنه قد تجاوز جميع الحدود المعروفة في يومنا. كان سوء سيرة تلك السيدات المهيبات اللواتي يجلسن متتصبات القامة يتخذ على لسان الذين يتحاذون عنهن شيئا لا أستطيع تخيله يتناسب وضخامة حقمب ما قبل التاريخ وعصر الماموث. كانت الهمات الجحيم الثلاث تلك ذوات الشعور البيضاء أو الزرقاء أو الوردية قددضن إلى التهلكة عدداً لايحسى من الرجال. وكنت أحسب أن الناس في يومنا يضخمون عيوب تلك الأزمنة الخيالية، شأن الاغربق الذين ألقوا المكاروس، واليسيوس، واهيركوليس، من رجال كانوا قليلي الاختلاف عن أولتك الذين أخذوا يؤلهونهم بعد ذلك يزمن طويل. على أنهم لايقومون بجمع عيوب امرئ إلا حينما لايستطيع ممارستها من بعد، وحينما يقيسون حجم النجرم الذي اقترف بحجم العقاب الاجتماعي الذي يأخذ طريقه إلى التنفيذ والذي يلاحظونه وحدهم، فيتخيلونه ويضخمونه. وفي مجموعة هذه الرجوه الرمزية التي يؤلفها المجتمع الراقى تظهر النساء الطائشات الحقيقيات، والمتحللات شماماً، يظهرن أبدأ بالمظهر المهيب الذي لسيدة بلغت السبعين على الأقلِّ، متعالية تستقبل قدرما تستطيع، ولكنها لا تستقبل من تريد، ولا ترضى بالذهاب إلى بيتها النساء اللواتي يؤخذ على سلوكهنّ بعض ما يعيب، وبمنحها البابا على الدوام ووردته الذهبية، وقد سطرت أحياناً حول شباب ولامارتس، كتاباً حاز جائزة المجمع الفرنسي وقالت السيدة ددو فيلباريزيس؛ للسيدة ذات التسريحة البيضاء التي من طراز دماري انطوانيت: وصباح الخير يا وأليكس، وكانت السيدة المذكورة تلقى نظرة حادّة على الحفل كيما تكتشف إن لم يكن في هذه الصالة قطعة يمكن أن تكون ذات فائدة بالنسبة إلى صالتها وينبغي لها في هذه الحالة أن تُكتشفها بنفسها لأنّ السيدة ١٥ فيلباريزس، لا شك لديها، سوف تكون على قدر كاف من النجث كي څخاول إخفاء الأمر عنها. من ذلك مالاً أن السيدة ادو فياريوس، اهتمت كثيراً بالا تقدم وبلوك السيدة المجوز مخافة أن بعمل على المسيدة المجوز مخافة أن بعمل على المسيدة المديو مناله أن الله المسيدة المجوز مخافة أن بعمل على أن السيدة العجوز استصافت عشية البارحة السيدة ورستوري» التي المشت أخساراً وحرصت أن جمهل السيدة ومن فيارين المجازة ومي لاامرفها هذه الأخيرة عن طبئ فيارونهم، التي سرقت الفنانة الإيطالية بنها المحدث قبل المجازة وكي لاامرفها هذه الأخيرة عن طبئ المصحف فيجرح ضعورية المعارية المديدة ودو فيلماريوس أن المسيوف فيجرح ضعورية المهانير تضمها التي يحملها التعريف بد وبلوك فقد ذكرت اسمي لـ هاماري العلوانيس أن الرصيف. وإذ حاولت هذه الأخيرة بالقيام بأقل حركة مكتبة أن تخافظ في شيخوخها على قد المهة من الرصيف. وإذ حاولت هذه الأخيرة بالقيام بأقل حركة مكتبة أن تخافظ في شيخوخها على قد المهة من الميان كوارتهوكركم، سيق أن فن مذ سنوات علية المباب الأنيق وقد أشاد به الآن أدباء مزيفون في أبيات ظيلة حرارة التخاف فيها جميع الذين يضطورهم قلم المنازة على أي حال عادة الجفاء المتعالية التعريفية التي يشارك فيها جميع الذين يضطورهم تقرفها الزوج للطابة بحول للمائية تجول للمبدؤ وهو المتعرفها الزوج للطابة بحول للطابة ولي معارف وأن النبان حراست أسيء الهجم على الاطلاق حملاني المجمعة التعالى مقصورتها بصحية المن مراجع أفادت من الفنوضاء وهمست في أذي بأن أني بهار الجمعة قبل المواجة التحرفها المواج الواجء التعالى المعملة المناورة الواجء المؤاولة قبل الواجء المؤاولة قبل الواجء المؤاولة قبل الواجء قبل الواجء المؤاولة قبل الواجء قبل الواجء قبل الواجة قبل الواجء قبل الواجء قبل الواجء قبل الواجء قبل الواجء قبل الواحة على الواجء قبل الواحة على الداهاء المؤلوكة علقال الواحة وكان المبها المؤلوكة المؤلوكة على المها المؤلوكة قبل الواجء قبل الواحة وكان المبها المؤلوكة المؤلوكة المؤلوكة المؤلوكة المؤلوكة وكان المبها المؤلوكة المؤلوكة المؤلوكة المؤلوكة المؤلوكة وكان المبادة المؤلوكة المؤلوك

- واعتقد ياسيد أنك تبغي تسطير شيء ماحول السيدة هوقة وموتمورانسي، تقول السيدة ودو فيلبارين، المؤرخ وحركة التمرّدى بملك المظهر المتجهم الذي يتنفن به على غير علم منها لطفها العظيم من جراء انكماش الشيخوخة العابس وامتعاضها الفيزيولوچي، ومن جراء تصنع محاكاة اللهجة الفلاحية تقريباً التي تتخذما الارستقراطية القديمة. وسأويك رسمها وهو أصل النسخة المرجودة في متحف اللوفر،»

وبهضت وهي تضع ريشتها قرب أوهارها فواد الإزار الصغير الذي بدا آنذاك حول خصرها والذي كانت لربداء لله ين المسلم المس

وأجابت السيدة ددو فيلماريزيس، بالهجة طبيعية كأكثر ما تكون: ديزواجهم من آل دميديتشي، ويحك! إنّ الرسم جميل، ألاترى ذلك؟؛ وأضافت قولها: دوفي أحسن حالة،

وقالت السيدة إلتي صففت شعرها على طريقة «ماري انطوانيت»: «تذكرين ياصديقتي العزيزة أن والبست». حينما صبحيه إلى منزلك، قال لك إنّ هذا هو النسخة.» -وإني أنحني أمام رأي يبديه وليسته في الموسيقي لافي الرسم كان قد دبّ فيه الخرف على كل حال، ولست أذكر أنه قال ذلك في يوم. ولست أنت من صبّحيته إليّ، فقد مبق أن تمثيت عشرين مرّة برفقته في مثل أميرة وسيفيتنشتاين».

لقد طاشت رمية والبكس، فصمنت وظلت واقفة لاتبدي حراكاً. وقد بنا وجهها، وتكسوه طبقات من البودرة كأنه من حجر. وبما أن صورتها الجانبية كانت نبيلة الخطوط فقد بدت، فوق ركيزة مثلثية تكسوها الهاحاك ومخفيها الإزار، كأنما إلهة يتفتت تمثالها في حديقة.

وقال المؤرّخ: دهوذا رسم آخر جميل أيضاه.

وانفتح الباب ودخلت دوقة وغرمانت، فقالت لها السيدة «دو فيلباريزس» دون أيّة إيماءة برأسها، وهي لنخرج من جيب إزارها بما منتهما إلى الوافدة البعديدة: «مرحى، باللث، وتوقفت في الحال عن الاهتمام بها لتلفت إلى المؤرّخ قاتلة: «إله رسم دوقة «لاروشفوكو» ...

ودخل خادم شاب جريء المظهر فاتن المحيّا (ولكنما تمّ حكه إلى أبعد العدود كيما يظلّ كاملاً إلى حدّ أن الأنف كان به شيء من الاحمرار وبالجلد تخريش خفيف كما لو يحفظان بأثر من المدنّ والنحت الحدين العهد، يحمل بطاقة على صينية.

- وإنه ذاك السيد الذي صبق أن جاء عدّة مرات للقاء سيدتي المركيزة. ٥

- دوهل قلت له إنى استقبل ؟؟

- القد سمع الناس يتحدثونه.

- فليكن إذنا أدخامه، وأضافت السيدة «دو فيلباريزس»، «إنه شخص عرّفوه بي. لقد قال إنه يرغب
 كثيرا أن يتم استقباله ههنا، ولم أصرّح له قط بالمجيء. ولكن هذه خمس مرّات يكلف نفسه عناء الجيء
 وينبني ألا تجرح شعور الناس، ٤ ثم قالت لي: «ياسيد، وأنت ياسيده. تضيف قولها وهي تشير إلى مؤرخ حركة
 المرّد. «أنش لكما ابنة أخي دوقة وغيرمائت».

وانحى المؤرخ انحاءة عميقة، وهكذا فعلت، وإذا نحيّل له أن لايدٌ من ملاحظة وبّية تعقب هذه التعمية نقد تألقت عبناه وكان يزمع أن ينتج فاه حينما برّد من عزيمته مظهر السيدة دوه غيرمانته التي استغلت استقلال جدعها كي تقلف به إلى الأمام بتفليب مبالغ فيه وتردّه يحركة صبحية دون أن يبد أن وجهها ونظرتها قد لاحظا أن ثمة شخصاً أمامهما. واكتفت بعدما زفرت زفرة خفيفة بابراز انتفاء الانطباع الذي تخلقه لدنها رقية المؤرخ ووأيتي وذلك إذ قامت بعض حركات في فتحتي أنفها بدقة تشهد بالجمود المطلق في التبادها المطل.

ودخل الزائر الثقيل الظلّ يسير وأساً باخجاء السيدة «دو فيلباريزيس» بهيئة ساذجة متحمسة، فإذا هو دلو غراندان». وقال: «أشكرك كثيراً لأنك تستقبلينني ياسينني»، قال وهو يلح على كلمة: كثيراً»، وإنها لمتمة نادرة تماماً روقيقة توفّرينها لمتوحد عجوز، وإنبي ألكدّ لك أنّ صداها...»

وتوقف تماماً إذ أبصرني.

-- كنت أرِّي السيد رسم دوقة ولارومفوكوه الجميل، وهي زوجة مؤلف والحكمِ، لقد خلفته لي أسرتي.ه

أما السيدة ودوغيرمائت، فقد حيت واليكس، وهي تعتفر أن لم تستطع المبادرة إلى زيارتها في هذه السنة شأنها في السنوات الأخرى. وأضافت تقول: ولقد نقلت لي ومادلين، أخبارك، .

وقالت مركيزة رصيف «مالاكيه»؛ لقد تناولت طعام النداء عندي هذا الصباح»، قالت باعتزاز من يفكر أن السيدة «در فيلماريزيس» لن يسمها أن تقول البقة مثل هذا القول.

كنت في تلك الأثناء الخناء الخنث إلى وبلوك وقلت له، وقد خشيت أن يحسدني حياتي بالاستناد إلى ما الله إلى عن تبدّل والده إزاء، الأحياد لابد أوفر سعادة كانت تلك الكلمات الصادرة عني محض أثر من آثار الطف. ولكنه يقنع بيسر أولتك الذين يحسون بالكبير من الاعتزاز بالذات أنَّ حظهم صعيد ويتم بعث الرغبة لديم لنيهم في إنناع الأخرين بذلك. فقد قال لي وبلوك بعظهر السعادة: وأجمل أي إغير حياة حلوة. لدي الدعادة والمسادة والمسابقة والمنافئ النيادة، ومنهم الله المنافئة المنافئ الله المنافئ الله يتمدح نفسه وزيرع الآب ها المقابل المنافئ المنافئ المنافئة عن المنافئة من من رغبة التفرد العلى وجه المحموص أن يعتدح نفسه بالتفاهات ذاتها المنافئة على مؤالي الذي طرحته بالتفاهات ذاتها المنافئة على مؤالي الذي طرحته بالتفاهات ذاتها التي يجب بهاكل الناس: قاودا منيه لا يذكر، الخن. وحيما أجابني على مؤالي الذي طرحته بالتفاهات أنها على مؤالي الذي طرحته بالمنافقة أنهمت بعد الظهر في منزله ولم أستطع الذهاب إليها: وهل كانت حلودً 18 ، أجابني بالهجة مناسوة؛ كما لو تعلق الأمر بسواء: بالطبع كانت حلوة جناً وبلغت أقصى درجات النجاح. كانت حقادة، الماسوة، العامة عالماء وناها المنافئة عاسوة، الماسوة، الماسوة، الماسوة، الماسوة، الماسوة، الماسوة، الماسوة، الماسوة، عاسوة، الماسوة، الماس

وقال الوغراندان المسيدة الاو فياريريس: امانطلبينناه عليه ههنا يهمني إلى مالا حدود، فقد كنت بالضبط أقول في نفسي البارحة أثّل تدينين له بالكثير في صفاء العبارة وخفتها وفي ماسوف أدعو بمبارتين متناقضتين السرعة المقتضبة واللحظة الخالدة، وددت في هذا المساء لو أدوّن جميع الأشياء التي قانها،، ولكنّي سوف أحفظها، فإنها صديقة الماكرة، حسب كلمة هي قيما أعتقد لـ الاجوبيره، ألم تقرئي قط وجوبيره؟ آما كم كنت تروقيه اسوف أصمح لتفسى منذ هذا المساء بارسال مؤلفاته كاملة إليك وكلي اعتزاز بأن أعرّنك بذكاته. لم يكن يتمتم بقوّلك، ولكنه كان يملك الظرف أيضا،

لقد أردت أن أبادر في الحال لتحية الوغراندان، ولكنه كان يقف باستمرار أبعد ما يمكنه الوقوف عني آملا درنما شك ألا أسمع صنوف الإطراء التي ما كان يكف عن إغداقها في كل لحظة على السيدة ودو فيلباريزيس، بالكثير من أليق العبارة. وارتفعت بمنكبيها مبتسمة كأنَّما كان بيغي أن يسخر منها والتفتت إلى المؤرّخ.

– دامًا هذه فهي دماري روهان، الشهيرة، دوقة دشفروز، التي سبق أن عقدت زواجها الأوّل على السبد دو لوبن، .

– وتذكرني السيدة 1دو لوين٬٥ ياعزيزني، بـ1يولانده. لقد جاءت البارحة إلى منزلي، ولو علمت أنّ أمسيتك لم تكنّ موقولة لأحد لأرسلت في طلبك. لقد أشدت السيدة «ويستوري»، التي جاءت على غير انتظار، أبيانا للملكة «كارمن سيلفا» أمام المؤلف، وما أجمل ما كان ذلك!»

وفكوت السيدة دور فيلماريزيس، قاتلة: ويالها من خيانة! لقد كانت بالتأكيد تتحدّث عن ذلك بصوت منخفض إلى السيدة دورولانكورة والسيدة دور شابوزيه، في ذلك اليوم.،

ثم أجابت: وكنت غير مرتبطة، ولكني ما كنت لأجيء. لقد سممت السيدة ويستوري، في أيام العزّ. وهي الآن فريسة الهوم. ثم إلي أمقت أشعار وكارمن سيلفا، لقد جاءت السيدة ويستوري، إلى هنا ذات مرّة تصطحبها دوقة فأورست، لألقاء نشيد من جحيم «دائته». إنها ههنا لاتجارى،؛

واحملت وآليكس، الضرية دون أن تضعف، فقد ظلت في جمود المرمر. كانت نظرتها ثاقبة وخالية وأنفها مقوساً نبيل القوس. ولكن أحد حطيها كان يتقشر، وكانت تجتاح ذقتها نباتات خفيفة غربية خضراء وورديّة وريّما أودى بها شتاء آخر.

وقالت السيدة «دو فيلماريزيس» الـ «فرغراندان» كيما نقطع دابر المديح الذي كان يعاود الكرة: •هاك إن كنت خمبة الرسم الزيمي ياسيد، انظر إلى رسم السيدة «دو مونمورانسي».

واستغلت السيدة ادو غيرمانت اأنه ابتعد فدلت عمَّتها عليه بنظرة ساخرة مستفهمة.

فقالت السيدة دوو فيلماريزيس، بصوت خافت: وإنه السيد دلوغراندان، وإِنَّ له شقيقة تدعى السيدة دعو كامبروه، الأمر الذي لايمني بالتأكيد بالنسبة إليك أكثر نما يعني لي.»

وصاحت السيدة دو غيرمانت، وهي تضع يدها أمام فمهاء؛ كيف ذلك، إني أعرفها نصام للمرفة. أو أنا الا أخرفها بالأحرى، ولكني لا أدري ما الذي حلّ بـ وبارائه الذي يلتني الزوح حيث الله يعلم كي يقول لهله المرافة. أن أنها المنافعة أن أنها المنافعة أن أنها للهاء وبارتها. لقد روت لمي أنها ذهبت إلى لندن وعدّت لي جميع لوحات المتحف الانكليزي. وسأبادر لدى خروجي من منزلك، وعلى نحو ذهبت إلى وضع بطاقة دعوة لدى هذا الوحش. ولا تظني أن الأمر من أفرها سهولة، فهي على الدوام في منزلها بحجة أنها على المنام في المنام في منافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة في السابعة مساء أم في التنامعة فإنها على استعداد لتقدم لك فطائر بنوت الأرض.عجبا لك، إنها وحش بالتأكيد، مقول السيدة ودر غيرمانت إزاء نظرة متمافلة من عمتها. وفهي امرأة لاتطاق: إنها تقول وريشيّة أو ماكان على هذا النحو، وسألت السيدة وحو

عن ذلك، ولا أبريد أن أعرف، فلتي لا أهمتن هذه الفرنسية، ولما رأت أن عمقها لم تكن تعرف حتى المعرفة معتمها بعدما سخرت من السيلة دور كاسرمبرو قالت في نصف ضبحكة تكتمها بمايا الفيظ المتكلف، وبلي، حمتها بعدما سخرت من السيلة دور كاسرمبرو قالت في نصف ضبحكة تكتمها بمايا الفيظ المتكلف، وبلي، كل الناس يعرفون ذلك، «الرياشي» هو الكاتب، أنه المنخص الذي يحمل ربعة، ولكنها لفظة بشمة من بشاعة تواري تقليع أضراس المقل ليس من يستطيع البئة أن يعملني على قول ذلك... إنه الأخ، ياعجبي الم أدرك بعد. ولكن الأمر بالحقيقة لايتطر إدراك. فإن لها الافضاح الخاتم نشه وتشعب المعارف نقسه. رهي في مثل

وقالت السيدة «دو فبالمزيرس» للسيدة «دو غيرمات»: «اجلسي، ستناول قليلاً من الشاي، قومي بذلك بنفسك، أنت لاحاجة بك أن تشاهدي رسوم جدًات جدًاك، فألك تعرفينهنّ بقدر ما أعرفهنّ.»

وعادت السيدة قدو فيلباريزس، بعد قليل لتجلس وشرعت ترسم، واقترب الجميع فاغتنمتها فرصة للذهاب إلى قانوغراندانه ولما لم أجد فنباً في وجوده في منزل السيدة قدو فيلباريزس، قلت له دون أن ينغطر في إلى أيّ حد كنت أزمع أن أجرح ضعوره وأحمله على الاعتقاد بنيّة جرح ضعوره: قال لي ياسيدي، أكاد أكون ممذوراً لوجودي في إحدى الصالات بما أتي أجدك فيها، واستخلص السيد فلوغرائدانه من تلك الأقوال أنني كان صغير شرّير في الأساس ولايروقه إلا الشرّ (كان ذلك على الأقل هو الحكم الذي أصدره عليّ بعد بضمة أيام).

فأجابني: وبإمكانك، أن تطفل فبدأ بالقاء التحية على أولاه، دون أن يأحذ يدي وبصوت حانق مبتلل ما كان يعطر بالي ولم يكن فا صلة منطقة بما يقوله عادة وإنما يملك صلة أشد مباشرة واسترعاء للانتباء بما كان يعصر به. ذلك أننا لما كنا عاربين أن نعفي أبدأ ما نصر به فإننا لم نفكر قط في الطيقة التي قد نحرب بها عد، فإذا في داخلنا فبها حيوان فجرس معهول يسمعنا صوته ويمكن لنيرته أحيانا أن لبلغ حد إشاعة نحوف في نفس من يسمع ذلك الكشف الملا مقصود لمضمر الذي يكاد لايقاوع عن قصووك أو عيل بمادل ما يفعله الإقرار المفاجئ الذي ينطق به على نحو غير مباشر وغرب مجرم الاستعليم المحؤول دون اعترافه بقتل ما كنت تعلم أنه اقترف كن مناز المثالية، حتى الذائية منها، لاتقول دون أن يظل فلاسفة كبار نهمين أو أن يقتلموا بإصرار لعضوية الجمع ولكن ولوغرائدانه لم تكن به بالحقيقة حاجة إلى التذكير إلى منا الدخر بأنه من كركب أخر في حين كانت الرغبة في بلوغ مركز جيد على هذا الكركب عكم جميع

ثم تابع بصوت خافت: «بالطبع، سينما تتم مضايقتي عشرين مرّة على النوالي لحملي على الجميء إلى مكان ما فليس يسعني، مع أن لي الحقّ في حريتي، أن أتصرّف تصرّف الأجيلاطي.

كانت السيدة دور غيرمانت، قد جلست، ولما كان لسمها مرفقاً بالمنها فقد كان يضيف إلى شخصيتها لمادية اقطاعتها الدوقة التي كانت ترتسم من حولها وتبسط الظلال الندية للذهبة لأحراج هغيرمانت، في وسط الصالة ومن حول المقمد الجلدي الذي تجلس عليه. كنت أحسني دهشاً فقط ألا يكون الشه يبنهما

أكثر وضوحاً على وجه الدوقة الذي لم يكن به شيء من النبات والذي كانت بقع حمرة الوجنتين فيه – وكان ينبغي فيما يبدو أن تحملا شعار اسم آل «غيرمانت» –نتيجة لجولات طويلة على ظهور الخيل في الهواء الطلق، وليس صورة لها. وقد عرفت بعد ذلك، حين أضحت الدوقة لاتثير اهتمامي ، الكثيرمن الميزات الخاصة ولاسيما عينيها (كيما أكتفي بما كنت واقعاً مذ ذاك أسير سحره دون أن يمكنني تمييزه) حيث تحتجز كأنما في لرحة زرقة سماء عشية فرنسية نادرة السحاب غارقة في الضياء حتى حينما لا تتألق ؛ وصوت لها يخيل إليك، في بحة النبرات الاولى، أنه يقارب السفالة ويتسحب فيه، كما على درجات كنيسة ٥ كومبريه، أو دكان الحلو الذي في الباحة، ذهب شمس ريفية خاملة دسمة، ولكني لم أميّز شيئًا في ذلك اليوم الأوّل فقد كان انتباهي الملتهب بيخر في الحال القليل مما كنت أستطيع جمعه وحيث كان بمقدوري أن ألقي شيئاً من اسم وغيرمانت، بيد أنني كنت أقول في نفسي على أية حال إن اسم دوقة وغير مانت؛ إنما كان يشير إليها في نظر الجميع وان الحياة التي لايمكن تصورها والتي يعنيها فاك الاسم إنما كان يحتويها فعلاً ذاك الجُسد، وقد أدخلها منذ قليل وسط كاثنات مختلفة، في هذه الصالة التي كانت تخيط بها من كل جانب والتي كانت تمارس عليها أثراً شديداً إلى حدّ كنت أحسب معه ألى أيصر حيثما تتوقف تلك الحياة عن التدفق حاشية من الفوران ترسم حدودها: داخل الدائرة التي كانت تخطها على السجادة كرة التنورة التي من حرير صيني أرزق، وداخل حدقتي الدوقة الصافيتين وفي تقاطع المشاغل والذكريات والفكر اللامدرك المزدري الهازئ الفضولي الذي يملؤها والصور الغربية التي تنعكس فيهما. ربما رأيتني أقلّ اضطرابا لو أنّى لقيتها في منزل السيدة ١٠دو فيلباريزيس؛ بمناسبة أمسية بدلاً من أن ألقاها على هذا النحو في واحد من وأيام، المركبزة وفي واحدة من حفلات الشاي تلك التي تؤلف بالنسبة إلى النساء مجرّد استراحة قصيرة وسط مشوارهن، والتي يحملن إليها، إذ يحتفظن بالقبعة التي قمن بها بجولاتهنّ، في توالى صالاتها ميزة الهواء في الخارج ويوفرّن إطلالة على بًاريس في أواخر ما بعد الظهر أكثر ممَّا تفعل النواقذ العالية المفتوحة التي يتناهى منها ضجيج عجلات العربات. كانت السيدة «دو غيرمانت» تعتمر قبعة واسعة من القش تزينها زهيرات الترنشاه. وما كان ما تذكرني به شموس السنوات الغابرة على أتلام «كومبريه» حيث قطفت منها الكثير الكثير وعلى السفح المحاذي لسياج وتانسونفيل، بل رائحة الشفق وغباره على نحو ما كانا عليه منذ قليل لحظة اجتازتهما السيدة دو غيرمانت، في شارع الابيه، وكانت ترسم، تغمر وجهها البسمات، متعالية غامضة فيما نزمٌ شفتيها اشمئوازًا، كانت ترسم بطرف شمسيتها دوائر على السجادة. ثمّ تخذَّق إلى كلِّ منا على التوالي بذاك الانتباه اللامبالي الذي يبدأ باقصاء أية نقطة تماس بين ما ينظر إليه المرء وبين ذاته، ثم تتفحص الأرائك والمقاعد ولكن النظرة يلطفها حيتئذ ذلك التواد الإنساني الذي يوقظه وجود حاجة تعرفها وإن تكن قليلة الشأن، حاجة تقارب أن تكون شخصاً ؛ فما كانت حال ذلك الأثاث كحالنا إذ كان يرتبط بَحياة عمتها. ثمّ تنثني تلك النظرة من أثاث وبوفيه، إلى الشخص الذي يجلس عليه فتستعيد إذ ذاك نفاذ البصيرة نفسه والاستنكار نفسه الذي ربَّما حال احترام السيدة «دو غيرمانت» لعمتها دون الانصاح عنه والذي لعلها كانت محس به على أية حال لو أنها لاحظت على المقاعد بدلا منا وجود بقعة من الدهن أو طبقة من الغبار.

ودخل الكاتب المجلمي ج...؛ لقد جاء يقوم بزيارة للسيدة دور قبلباريزيس؛ كان يراها بمثابة سخرة. أما الدوقة التي اغتبطت بلقائه ثانية فلم تومئ مع ذلك ٍاليه ولكنه جاء بالطيع بالقرب سها نقد كان ما تملك من فتنة ولباقة وبساطة يحمله بالطبع على اعتدادها من النساء الظريفات. وكان الأدب يملي عليه على أيه حال واجب الذهاب بالقرب منها، فكثيراً ما كانت السيدة «دو غيرمانت، تدعوه، إذ كان محبهاً ومشهوراً، إلى طعام الغداء حتى على انفراد معها ومع زوجها، أو تستخلُّ إبَّان الخريف في «غيرمانت» تلك الألفة لتدعوه في بعض الأمسيات للعشاء بصحة بعض أصحاب المعالى الطأمحين إلى لقائه. ذلك أنَّ الدوقة كانت تستعذب استقبال بعض رجال النخبة شرط أن يكونوا عازبين، والشرط يحققونه أبدأ بالنسبة إليها وان كانوا متزوّجين، فقد كانوا يدعون دوما دون زوجالهم فلعلهنَّ، وهنَّ عاميات في كثير أوقليل، كنَّ يشكلن لطخاً في صالة لانجَّد فيها سوى أكثر نساء باريس جمالًا وأناقة. وكان الدوق يوضح لهؤلاء الأرامل المرغمين، دفعا لأيّة حساسية، أن الدوقة لا تستقبل نساء ولا تطيق صحبة النساء كما لو كان الأمر تقريبا وصفة طبيب وكما لو أنه قال إنها لا تستطيع المكوث في غرفة تملؤها الروائح أو تناول طعام شديد الملوحة أو السفر في المؤخرة أو لبس المشدّ. صحيح أنَّ هؤلاء الرجال العظام كانوا يبصرون في منزل آل «غيرمانت» أميرة «بارما» والأميرة «دو ساغان» (وقد دعتها افرانسوازة أخيراً، وهي تسمع أبدأ من يتحدّث عنها، االساغانة، ظناً منها أنَّ هذا المؤنث ضرورة قواعدية) وغيرهما كثيرات، إلا أنهم كانوا بيررون حضورهنّ بقولهم إنّهن من الأسرة أو صديقات طفولة لايمكن اقصاؤهنّ. وكان الرّجال العظام ينقلون إلى زوجاتهم الايضاّحات التي زوّدهم بها الدوق ددو غيرمانت، حول مرض الدوقة الغريب الذي قوامه أنها لا تستطيم مخالطة النساء، سواء اقتنعوا بها أم لا. كانت بعضهنّ يعتقدن أن المرض كان محض عذر لإخفاء غيرتها لأن الدوقة تبغى أن نمدّ سلطانها وحدها على حاشية من المعجبيين. وتعتقد أخريات أكثر سذاجة أنّ الدوقة ربّما كانت من نمط غريب، بل ربما كان لها ماض شائن وأنَّ النساء لا يرغمن في ارتباد منزلها وأنَّها تطلق على الضرورة اسم نزرة لديها. أما أفضلهنّ فكنّ يقدّرن، إذ يسمعن أزواجهن يروون العجالب والغرائب عن نباهة الدوقة، أن هذه الأخيرة تفوق باقي النساء إلى حدٌ أَنْهَا كانت تملُّ صحبتهن لأنهن لايحسن التحدُّث عن شيء والحقيقة أنَّ الدوقة كانت تملُّ صحبة النساء إن لم تضف عليهن ميزة الأمارة أهمية خاصة. ولكنّ الزوجات المستبعدات كن على خطأ لدى تصوّرهن أنَّها لاترغب بغير استقبال الرجال لتستطيع التحدّث عن الآداب والعلم والفلسفة. ذلك أنَّها ما كانت تتحدث البتة فيها على الأقلّ من كبار رجال الفكر. ولئن كانت بموجب التقليد الأسروي نفسه الذي يحمل بنات كبار العسكريين على الاحتفاظ وسط أكثر مشاغلهنّ بعثاً على الغرور باحترام أمور الجيش، لئن كانت المرء في صالته مكاناً لجماعة الفكر، إلا أنَّها أخذت من الطريقة المستكبرة والأليفة في آن معا التي يتم فيها استقبال مشاهير الرجال في اغيرمانت، عادة احساب رجال المواهب بمثابة معارف مألوفين لا تبهرك موهبتهم ولا تتحدَّث إليهم عن أعمالهم الفنية، الأمر الذي وبما لن يثير اهتمامهم. ثم إن نمط وميريميه، ووميلاك، وههاليفي، الْفَكري، وكان نمطها، كان يدفعها، بما يناقض النزعة العاطفية اللفَّظية التي طبعت حقبة سابقة، إلى طراز من الحديث يستبعد كلّ ما كان من قبيل المجمل العريضة والتعبير عن العواطف السامية، ويجعلها تتخذ نوعا من التأنق في قصر حديثها، حينما تكون بصحبة شاعر أو موسيقي، على أصناف الطعام التي يتم تناولها أو لعبة الورق التي يزمعون أن يلمبوها كان لللك الامتناع، في نظر ثالث هيّن الاطلاع، شيء محير بيلغ حدٌ السرّ فان سألته السيدة ودو غيرمانت، إن كان يضِطه أن يدعى برفقة هذا الشاعر أو ذاك كان يصل في الساعة المحددة يتأكله الفضول. وكانت الدوقة تكلم الشاعر عن الطقس السائد. ويقومون إلى المائدة، فتسأل

الشاعر: ١أخب هذه الطريقة في تخضير البيض؟ ؟ وإزاء موافقته التي كانت تشاطره إياها، إذ كان يبدو لها كل مافي بيتها لليذا، حتى شراب تفاح شنيع كانت بجيء به من وغيرمانت، كانت تأمّر رئيس الخدم قائلة: وقدُّموا بيضاً للسيد مرَّة أخرى،، فيما يوالي الشخص الثالث، تملؤه الحبرة، انتظار ماكان بالتأكيد في نية الشاعر والدوقة قوله فيما بينهما بما أنهما تدبّرا أمر لقاء بينهما قبل رحيل الشاعر على الرغم من ألوف المصاعب. ولكن الوليمة تستمرّ وألوان الطعام ترفع الواحد تلو الآخر، ولايتم الأمر دون أن تتاح للسيدة ددو غيرمانت، فرصة مزحات ذكية أو حكايات لطيفة. ويوالي الشاعر في تلك الأثناء تناول الطعام دون أن يبدو أن الدوق أو الدوقة يتذكران أنّه شاعر. وينتهي الغداء بعد قليل ويتم الوداع دون أن تُقال كلمة واحدة عن الشعر الذي كان الجميع يعشقونه على الرغم من ذلك ولكنما لايتحدّث عنه أحد بداعي ضرب من التحفظ شبيه بذاك الذي زودني ٥ سوان، بشعور سابق منه. كان ذاك التحفظ من جميل التهذيب فحسب. فأما بالنسبة إلى الآخر، فقد كان مبعثا لكابة شديدة إن هو فكر في الأمر قليلاً، وكانت وجبات طعام محيط آل اغيرمانت، تذكر أنذاك بتلك الساعات التي غالبًا ما يقضيها معا عشاق وجلون في التحدّث عن تفاهات إلى أن يحين فراقهم ودون أن يتأتى للسرّ الكبير الذي ربّما سعدوا أكثر في البوح به أن يمرّ من قلوبهم إلى شفاههم، إما وجلاً أو استحياء أو خرقاً على أنّه لابدّ أن نضيف من جهة أخرى أن ذلك الصمت حول الأمور الدفينة التّي ينتظر المرء دوماً دون جدوى ساعة مباشرتها لم يكن مطلقاً لدى الدوقة وإن أمكن عدّه سمة مميزة لها. فقد سبق أن قضت السيدة دو غيرمانت، شبابها في وسط مختلف بعض الشيء، وسط يساوي في ارستقراطيته الوسط الذي تميش فيه اليوم ،ولكنه أقلّ تألقاً وأقلّ تفاهة على وجه الخصوص ومن ثقافة رحبة. ولقد خلف لطيشها الراهن نوعاً من التربة الأشد صلابة، تربة خفية الغلماء كان يبلغ بالدوقة أن تبحث فيها (ولأمر نادر جدًا لأنها كانت نكره الحلائقة) عن استشهاد من «فيكتور هوغو» أو «لامارتين» مناسب تماماً وتقوله بنظره صادقة التعبير في عينيها الجميلتين فلا يخلو من اندهاش وسحر ألباب بل ويبلغ بها أحياناً دونما حيطة وبسداد في الرأي وبساطة أن تسدي النصح الذكيّ لمؤلفٌ مسرحي عضو في المجمع فتحمله على تلطيف موقف أو تعيير خائمة.

والذن كنت أصادف مشقة، في صالة السيدة «دو فيلما يزيس» وفي كنيسة «كومبريه» سواء بسواء، لذى زواج الأنسة «يرسييه» ، في أن أعثر، على وجه السيدة «دو غيرماتت» الجميل الذي يفيض سمات بشرية، على المجهول الذي يعمر اسمها فقد كنت أحسب على الأقل أن حديثها العميق الذي تكتنفه الأسرار سوف يزندي» إذ تتحدّث، غرابة سجادة من القرون الوسيعلة وزجائية قوطية بيد أنّه ما كان كافياً، كي لا تنفيب طأي الأقوال التي ستفوه بها امرأة يدعونها السيدة «دو غيرمات»، حتى وان لم أحيها، ما كان كافياً أن تكون الأقوال ذكية وجميلة وعميقة، بل كان البفى أن تمكس ذلك اللون الأرجواني الذي في المقطع الأخير من المعها، ذلك اللون الذي دهشت منذ اليوم الأول ألا أجده في شخصها والذي هربت به إلى فكرها. لقد سبق دونما شك أن سمعت السيدة «دو فيلماريزيم» ووسان لوء، وهما من قوم لاخارق في ذكاتهم، يتطقان دون أن يحاطا للأمر باسم «دو غيرمات»، ويساطة وكأنه اسم شخص يزمع القدوم في زيارة أو تومع تناول المشاء معه، ولايدو أنهما يحسان في ذلك الاسم مناظر غابات أخذة في الاصفرار وركنا خفياً نماماً في الريف. كان الاماد أن يكون الأمر تصنعاً من جهتهما، كل الله المعامل حين لاينهنا الشعراء الكلاسيكيون إلى المقاصد لابد أن يكون الأمر تصنعاً من جهتهما، كما هي الحال حين لاينهنا الشعراء الكلاسيكيون إلى المقاصد الصيقة التي راويتهم مع ذلك، تصنما كنت أجهد بدوري في محاكاته قائلاً بلهجة طبيعية كأكثر ما تكون :

دوقة وغيرمانته ، وكأنه اسم يشبه أسماء أخرى. كان الجميع بؤكدون على أيّة حال أنّها امرأة شديدة الذكاء
ظريفة الحديث تعيش في جماعة صغيرة من أكثرها إثارة، وكانت تلك الأقوال تشجع حلمي. ذلك أتي
حياما كانوا يقولون جماعة ذكة وحديث ظريف لم أكن أتخيل على الإطلاق الذكاء حسيما كنت أعرفه
وإن كان ذكاء أعظيم المقول وما كنت على الاطلاق أتؤلف تلك الجماعة من قوم على غرار وبيرغوت، لا،
لقد كنت أعني بالذكاء قدرة لايحيط بها وصف، ملعبة أمريت ندوة النابات. ولعل السيدة ودو غيرمانته
كانت، وإن هي تفوقت بأكثر الأقوال ذكاء (بالمنى الذي كنت آخذ فيه لفظة ذكرية حينما يدورا لأمر
حول فيلسوف أو ناقد) ستهد من خبية ما أتنظر من قدرة خاصة إلى هذا الحد كما لو أنها اكتفت، عبر
حديث لاسأوف أو ناقد) ستهد من خبية ما أتنظر من قدرة خاصة إلى هذا الحد كما لو أنها الكفت، عبر

قالت السيدة دوو غيرمانت، لعمتها: وظننتني ألاقي دبازان، ههنا فقد كان يعتزم الجيء للقياك.

فأجماب السيدة دو فيلمبايزيس؛ بلهجة بادية التأثر غاضبة: دلم أرّ زوجك، ومنذ عمّة أيام. لم أرّه أو ربعا رأيته مرّة واحدة منذ تلك لملوحة الطريقة في أن يبحث من يعلن لمدى قدومه أنّه ملكة السويد،

وزمت السيدة ددو غيرمانت، زاوية شفتيها لتتبسم وكأنما عضت على برقعها الصغير.

والقدتخذينا معها البارحة لدى وبلانش لورواه ، وقد لا تتعرفينها فقد أصبحت ضخمة ، إلى متيقنة أنها
 بريضة ، ٤

كنت الضبط أقبل لهؤلاء لسادة إتك ترين لها هيئة ضفدعة. وصدر عن السيدة ودو غيرمانت.
ضرب من الضجة الحثنة تعنى بها أنها تقهقه إيراء للمتها.

 - «ما كنت أعلم أنني قمت بهذا التثبيه الجميل، ولكنما الضفدعة في هذه الحالة هي التي أفلحت الآن في أن تضحي بضخامة الثير. أو لعل الأمر بالأحرى ليس على هذا النحو نماماً لأذ كامل ضخامتها قد عجمع على البطن، فهي بالأحرى ضفدعة في وضع مثير.»

وقالت السيدة دو فيلماريزيس، داأه! إنّي أجد الصورة مضحكة، وكانت في أعماقها على شيء من الاعتزار بنباهة ابنة شقيقها أمام زوارها.

- وأيّها على وجه الخصوص اعتباطية، يخبب السيدة دو غيرمانت، وهي تبرز بسخوية هذه الصفة المتضادة كله على المتضادة كله الخشفادة المتضادة كله أو المتضادة كله أو المتضادة كله المتحدد ال

وأصدرت السيدة ودو فيلباريزيس، نوعاً من الغمغمة المبهمة، وأضافت تقول: وأعرف أنَّها تناولت العشاء

قبل البارحة في منزل السيدة «دو مكالمهوره» وكان ثمة «هنيبال دو بريونيه»، وقد جاء فروى لمي عن ذلك، وعلى أن أتول أيّه فعل علمي نحو مضحك إلى حدّما.»

- «كان في ذلك العشاء آخر أكثر ظرفاً من وبابال»، تقول السيدة (دو غيرمانت» التي كانت تصرً»
 على الرغم من ألفتها المشديدة في علاقتها بالسيدة (دو بريوتيه كونسالفي»، على ابراز ذلك بتسميته بصيغة التصغير تلك ؛ (أيه السيد (بيرغوت»).

لم يكن قد خطر لمي أنه يمكن عد " ويرغرته من الطرفاء، لام إنه كان يدو لمي أنه يخالط البشرية الذكية، وأعني أنه كان بعيداً إلى ما لاحدود عن هذه المملكة النامضة التي سبق أن رأيتها شحت أرجوان ستاثر إحدى المفصورات حيث كان السيد دو بهوزيه، يضحل الدولة إذ يسوق معها بلغة الألهة ذلك الأمر الذي لايمكن تخيله بين جماعة من حيّ وسان جومانه، وحرَّ في نفسي أن أشهد الوازن يفرط و ويرغرته يمرّ من نوق السيد دو بهوزيمه ولكنما بعث في نفسي البأس على نحو خاص التي تجنب ويرغرته في أسية مسرحية وفيدرة وأنتي لم أفهب إليه، وذلك حينما سمعت السيدة دور غيرمانته تقول للسيدة دور فياروي.

- وإنه الشخص الوحيد الذي أفرق إلى التعرف إليه، تضيف الدوقة التي كتب تستطيع أن تبصر فيها
 أبدًا، وكأنما لحظة تدفق روحي، مد فضول إيزاء مشاهير المثقفين يلتقي في طريقه بجزز السنويية الارستقراطية ؟
 وفما أكثر ما سيمتحى هذا الأمراء

فلعل وجود ابيرغوت، إلى جانبي، وما أكثر ما كان يسهل عليّ نواله ولكني ربما فلنت أنّ من شأنه أن يقل عني فكرة سيئة للسيدة 3دو غيرمانت، المله كان نخيم عنه بالتأكيد، وعلى عكس ذلك، أن توميع إليّ بالحجيء إلى مقصورتها وتطلب إليّ أن أصطحب الكانب الكبير ذات يوم للغداء.

وأضافت السيدة دو غيرمانت، قرلها: ديدو أنه لم يكن لطيفاً، فقد قدّموه للسيد دو كوبوره ولم يقل له كلمة، وهي تشير إلى هذه الفعلة الغربية كما لو تروي عن صينيّ تمخط بالورق. ثم أضافت: دلم يقل له مرّة واحدة ياصاحب السيادة، بادية السرور من جرّاء هذا الأمر الذي يساوي في أهسيته بالنسبة إليها وفض بروتستتنيّ ألتاء إحدى مقابلات البابا أن يركع أمام قدامته.

وقد أثارت خصائص «بيرغوت» هذه اهتمامها ولم يكن يبدو عليها على أيّة حال أنّها غمدها ممية بل بدا بالأحرى أنّها تجمل له منها فضلا دون أن تعلم هي بالضبط من أي نوع. وعلى الرغم من هذه الطريقة المحبية في فهم غرابة «بيرغوت»، فقد وقع لي فيما بعد ألا أجد غير ذي شأن تماماً أن تكون السيدة «دو غيرمانت» قد ألفت فبيرغوت» أشدر ظرافة من السيد «دو بربوتيه» أمام دهمة الكثيرين الكبيرة. ومثل هله الأحكام التخريبة المنفردة والصائبة مع ذلك إنما تصفرها على هذا النحو في العالم ندرة من النامي المنفوقين على سواهم وإنهم ليرسمون فيها الخطوط الأولى لمراتبة القيم على نحو ما سيخطها الجيل الملاحق عوض أن ودخل الكونت ددار جنكروه القائم بأعمال بلبيكا وابن قريب بالنسب للسيدة دو فيلباريوبي، وهو
يعرج، وقد تبعه بعد قليل شابان هما البارون دو غيرمانته وسمّو الدوق دو شابيلروه الذي قالت له السينة
دو غيرمانته: ومرحمي ياصغيري دشائيلروه، قالت بهيئة ساهية ودون أن تتحرّك على مقعدها المنفوخ لأنها
كانت صديقة كبية لوالدة الدوق الخاب الذي كان يجلها من جراء خلك ومنذ طفولته إلجلالاً بالناً. كان
يبد هذان الشابان، وهما منينا القادم، نحفان ملها الجلد والشعر من طراز آل دغيرمانت، تماماً، كاناً يدوان
يبد هذان الشابان، وهما منينا القادم، نحفان ملها الجلد والشعر من طراز آل دغيرمانت، تماماً، كانا يدول
وكاهما تكثيف النور الربيمي والمسائي الذي كان يفعر الصالة الكبيرة. ووضعا قبحتيهما الرسمينين على
الأرض بالقرب منهما وفق عادة كانت شحكم السلوك في ذلك الوقت. وظن مؤرّع وحركة التمرده أنهما
مرتبكان مثل فلاح يدخل إلى دلر العمدة ولا يعلم ما يقعل يقبحه. فقال فهما، وقد ظن من واجهه أن بهبة
بداعي الرأقة بهما لمساهدة الإبالك والاستجاء الملفين يفترضهما لديهما،

- ولاء لاء لا تضعاهما على الأرض فسوف تتلقاتهما.

وحانت نظرة من البارون «دو غيرمانت» أمالت ساحة حدقتيه وبعثت فيهما فجأة لونا أزرق فاقماً حاماً جمّد للرّرخ.

وسائني البارون الذي قدّت، لمي السيدة «دو فيلباريزيس» قبل قليل قائلاً: «كيف يدعى هذا السيد، ؟ فأجابت يصوت خافت: «السيد بير».

- ديبير آل مَنْ؟ه

- ابير، تلك كنيته، إنّه مورخ عظيم الشأن.

- وآما... ماعدت أستغرب ما تقول ا

وأوضحت السيدة دور فيلبارينهم، قائلة: ١لا، إنها عادة جديدة التخدها هؤلاء السادة يوضع قبعاتهم على الأرض، وإنّي لم أنمود الأمر مثلما هي حالك. ولكني أفضل ذلك على ابن شقيقي (ووبيره الذي يترك أبدأ قبحته في الرهمة. وأقول له حينما أراه داخلاً على هذا النحر إنّه يبدو وكأنه الساعاتي وأسأله إن كان آتياً لتدبي ساعات الجدان، ٤

وقال مؤرخ حركة النحرّد، وقد اطمأنٌ قليلا من جراء تدخل السيدة «دو فيلمايزينس»، بيد أنّه فعل مع ذلك بصوت خافت إلى حدّ أن لم يسمعه أحد فيما عدلي: 9كنت مختكينني منذ قليل، ياسيدني المركبزة، عن قبعة السيد «موليه»، وسوف يقدّر لنا عما قليل أن نؤلف، مثلما فعل أرسطو، فصلاً عن القيمات.

وقال السيد دهارجكوره وهو يشير إلى السيدة دوو غيرمات، التي كانت تتحدث مع ج..... وإنّها مدهشة حقّاً هذه الدوقة الصغيرة. فما أن يكون رجل بارز في صالة حتى تراه دوماً إلى جانبها، ولايمكن بالبداهة أن يكون غير الحبر الكبير للوجود هناك، لايمكن أن يكون في كلّ يوم السيد ددويوريللي، أوضلومبرجواً أو دافتيل»، فإذا هو حيثلة السيد فيير لوتي، أو السيد دادمون روستان، والبارحة في منزل عائلة دو قبل ه حيث كانت، ونقولها بين قوسين، والمة غخت تاجها الذي من أحجار الزمرّد وبفسطان وردي طويل بأذيال، كان يجلس إلى جانيها السيد دويشانيل، من جهة وسفير ألمانيه من الجهة الثانية وقد صمدت أمامهما فيما ينعس الصين. وكان الجمهور المادي يتساعل، وهو على المسافة التي يقرضها الإجلال، وما كان يسمح ما يقولون، إن لم تكن الحرب وشيكة الوقوع. لكأنها بالمحقيقة ملكة تدير النادي،

وكان كلّ قد اقترب من السيدة «دو فيلباريزيس» ليشاهدها ترسم. ، قال «الوغراندان»: همذه الأرهار من لون ورديّ سماويّ حقاءً وأعنى بلون سماء ورديّة ؛ فثمة لون ورديّ سماويّ مثلما هنالك لون أزرق سماويّ » ثم همس قائلاً يعاول ألاً تسممه سوى المركزة، «أغنني لازلت أميل إلى اللون العريزي، لون البشرة الزهري العيّ في النسخة التي ترسمينها لها. آه! إزلتٌ تخلفين بعيدا ورادك «بيزائيللو» وفان هويسوم» ومجموعتهما العذبيّة الليقيقة التي لاحياة فيها.»

والفنان يرتضى دوما، مهما يكن متواضعها، أن يفضل على منافسيه ويحاول أن ينصفهم فحسب.

وإن ما يورثك هذا الأثر أنهم كانوا برسمون أوهاراً من ذلك العصر ما عدنا نعرفها ولكتهم كانوا على
 علم ولير.»

وصاح ولوغراندان، قائلا: وأزهار من ذلك العصر، ما أبرع القول!

ترسمين بالفعل أزهار كرز جميلة أو أزهارا من أزهار أياره . يقول مؤرخ حركة التمرد، ولا يفعل
 دون ترد فيما يخص الزهرة ولكن بلهيجة الوائق بنفسه إذ أخذ بنسى حادثة القبعات.

وقالت دوقة وغيرمانت، وهي توجه الحديث إلى حمتها: دلا، إنَّها أزاهير تفاح.،

- وأراك ربفية صادقة، فاتك مخسنين مثلى تمييز الأزهار. ا

وقال مؤرّخ حركة الثمردّد يبغي علراً: «أجل، هذا صحيح! ولكني ظننت فصل التفاح قد انقضي.

فقال مدير المحفوظات الذي كان أكثر اطلاعاً على أمور الريف إذ كان يدير بعض الشيء أملاك السيدة ددو فيلباريزس، : ولا، لا، بالمحكس، إنها لم تزهر ولن يتمّ ذلك لها قبل خمسة عشر بوما وريّما ثلاثة أسابع.

 - «الجعل، وفي ضواحي باريس فقط حيث تدبق أواتها كثيراً. أما في النورماندي مثلا، ولدى واللده،
 نقول وهي نشير إلى دوق «دو شاتيللرو»، «الذي يملك أشجار نفاح بديمة على شاطع البحر وكأنما على سائرة پايانية، فلا تصبح وردية حقاً إلا بعد المشرين من أبار.»

وقال الدوق الشاب: ﴿ إِنِّي لا أُواها البُّنَّة لأنَّها تصيبني بزكام الحشائش، وذلك مدهش،

وقال المؤرِّخ: وزكام الحشائش، ما سمعت قط من يتحدَّث عن ذلك.

وقال مدير المحفوظات: وإنَّه المرض الشائع،

وقال السيد «دارچدكور» الذي لم يكن فرنسياً نساماً فكان بعاول الظهور بمظهر الباريسي: والأمر رهن بسواه فريّما لم تصبك بشيء إن كان العام عاماً فيه تفاح. تعرفين كلمة جماعة النورماندي، فقي سنة كثر نفاجعا...»

وأجابت السيدة دو فيلباريوس، ابنة شقيقها قائلة: «أنت على حتى إنها من تقاح الجنوب. إنها باتمة زهور بعثت إلى بهذه الاغصان طالبة أن أتقبلها. يدهشك ذلك ياسيد وفالنيرة، تقول موجهة الحديث إلى مدير الهفوظات، دأن تبعث إلى بائمة زهور بأغصان شجرة تقاح؟ ولكنى وإن تقدمت بى السن أعرف بعض الناس، إن لدي بعض الأصدقاء، تضيف وهي تبتسم بناعي البساطة، فيماً ظنوا بعامة، أو بالأحرى لأنها، فيما بدا لى، كانت تجد إلارة أن توهو بصداقة بائمة زهور حينما يتوافر لك معارف عظام إلى هذا الحدّ.

ونهض «بلوك» ليجيء بدوره وينظر بإعجاب إلى الأزهار التي« كانت السيدة «دو فيلباريزيس» ترسمها.

وقال المؤرّخ وهو يعود إلى كرسيّه: ولا أهمية للأمر، أيتها المركيزة فحى لو عادت واحدة من تلك الثيرات التي كثيراً ما خمرت بالدماء تاريخ فرنسه، – والمرء لايستطيع، والله، أن يعلم في هذه الأزمنة التي تعيش فيها، يضيف قوله وهو يلقي نظرة الترية محافرة وكأنما ليرى إن لم يكن في المسألة أي من افزي التفكير السيء، مع أنه لايشك في الأمر، – فإلك بمثل هذه الموهبة وأماناك الخمس لعلى ثقة دائمة بحسن لدرً مدارة بحسن لدرً والمروك،

كان مؤرّخ حركة الدمرّد ينعم بمعض الراحة إذ كان قد نسي أرقه. ولكنّه ذكر فجأة أنّه لم ينم منذ ستة أيام: وإذ ذلك اجتاح ساقيه تعب قاس كان وليد عَقله فأحنى كتفيه وأخد وجهه الهزون يتدلمى شبيها بوجه رجل عجوز.

وأرد • بلوك، أن يجيء بحركة ليجر عن إعجابه ولكنه قلب بضربة من مرفقه الإِناء الذي كان يحوي الفصن وسال الماء كله على السجادة.

وقال المؤرّخ للمركبزة، ولم يكن قد لاحظ تصرّف «بلوك» الأخترق إذ كان بولينبي ظهره في تلك اللحظة: «إن لك حقاً أنامل جديّة».

وظن هذا الأخير أن الكلمات تتطبق عليه فقال بنية أعظاء خبيله من تصرّفه الأرعن خلف ستار من الوقاحة: ولا أهمية للأمر بثاثا فإتي لم يصبني البلل:»

وقرعت السيدة 1دو فيلماريزيس، الجرس فأقبل خادم ليمسح السجادة ويجمع قطع الزجاج. ودعت الشابين إلى استقبالها بعد الظهر وكذلك الدوقة دو غيرمات. التي أرصتها قائلة.

– وافطني أن تقولي لــــدجيزيا، وعييرت. (وهما دوقتا وأبييرجون، وادبريقنان» أن يخضرا قبل الثانية ظهراً بقليل كي تعاوناتي، ، كما لعلها كانت تقول لرؤساء خدم إضافيين أن يصلوا سلفاً ليمدّوا أطباق الفواك. المطبخة.

فلم تكن تبدي لفويها الأمراء ولا للسيد دوو نوربوا، أيّا من تلك الألطاف التي تبديها للمؤرّخ واكوتار، والموكة ولى ولا يبدو أنهم يكتسبون في نظرها غير أهمية تقديمهم بمثابة مادة لفضولنا. ذلك لأنّها كانت تعلم أن ليس عليها أن تتحرَّج مع جماعة لم تكن بالنسبة إليها امرأة لامعة إلى حدَّما، بل الشقيقة الشديدة الحساسية التي يراعون شعورها شقيقة والدهم أو عمّهم. فما كانت لتفيد شيئًا من محاولة التألق أمامهم هم الذين لايمكن أن يخدعهم ذلك حول مكانتها الرفيعة أو الهزيلة والذين كانوا يعلمون أكثر من أي سواهم تاريخها ويجلون السلالة الشهيرة التي تتحدر منها. وهم ما عادوا على وجه الخصوص يمثلون في نظرهم سوى بقية ميتة لن تثمر من بعد، فلن يعرَّفوها بأصدقائهم الجدد ولن يشاطروها متمهم. وهي لا تستطيع الحصول على غير حضورهم إلى استقبالها في الساعة الخامسة أو إمكان التحدّث عنهم فيه مثلما هي الحال فيما بعد في مذكراتها التي لم يكن الاستقبال سوى نسخة بجريبية لها ونوع من القراءة الجهريَّة الأولى أمام ندوة صغيرة. فأما الجماعة التي كان هؤلاء الأقارب النبلاء يقيدونها في استثارتها وخلب ألبابها وتكبيلها، جماعة أمثال اكوتار، والملوك، والمؤلفين المسرحيين المرموقين ومؤرخي حركة التمرّد من كل صنف وجنس، فإنما تكمن في هذه الجماعة بالنسبة إلى السيدة «دو فيلباريزيس» -في غياب هذا القسم من المجتمع الذي لايرتاد منزلها- الحركة والجدّة والتسليات والحياة. فمن هؤلاء القوم كان بمقدوها أن مخصل على مكاسب اجتماعية (تساوي تماماً أن تفسح لهم أحياناً مجال التقاء الدوقة ددو غيرمانت، دون أن يعرفوها في يوم): فولائم عشاء برفقة رجال مرمرقين استهوتها أعمالهم الفنية وغنائية هزاية أو تمثيليَّة إيمائيَّة معلَّة تمام الإعداد ويسمح المؤلف بتمثيلها، ومقصورات لعروض غربية. ونهض البلوك، يريد الذهاب. لقد سبق أن قال جهاراً أن حادثة إناء الزهر المقلوب كانت غير ذات بال، ولكن ما كان يقوله سرّاً كان مختلفاً ٥وأكثر اختلافاً منه ما كان يفكر فيه: فقد كان يغمغم بصوت خافت: ٥-ينما لايملك المرء خدماً حسني التدريب إلى حدّ ما.كي يحسنوا وضع إناء دون أن يعرَّضوا الزوَّار للبلل أو النجرح فلا يغامر في اتَّخاذ صنوف الترف هذه. لقد كان في عناد هؤلاء الناس الحسَّاسين ١٩لعصبيَّين، الذين لا يستطيعون احتمال الوقوع في عمل أخرق لايقرّون به مع ذلك في سرَّهم ويفسد عليهم نهارهم كلُّه. كان حاتقاً تعتمل في نفسه أفكار في سرَّهم ويفسد عليهم نهارهم كلَّه. كان حانقاً تعتمل في نفسه أفكار سوداء ولايريد العودة إلى صفوف المجتمع من بعد. وإنَّه الوقت الذي لابدٌ فيه من بعض الترفيه. ولحسن الحظّ كانت السيدة ٥دو فيلباريزيس، مقبلة بعدّ ثانية على استبقائه. فلم تكن قد عرّفت به الأشخاص الذين كانوا هناك إما لأنها كانت تعرف آراء أصدقائها وموج معاداة السامية الذي كان آخلاً في الارتفاع، وإمّا أنّها سهت عن ذلك. أمّا هو الذي كان قليل العهد بالمجتمع فقد ظنّ من واجبه أن يحييُّهم وهُو ذاهبَ التزَّاماً بآداب السلوك ولكن دون تلطف، فأحنى الجبين عنَّةِ مرات وغاص بذقنه اللحيّ في ياقة قميصه ينظر على التوالي إلى كلِّ منهم من خلال زجاج نظارته نظرة فيها جفاء واستياء. ولكنُّ السيدة 1 دو فيلباريزيس، أوقفته، فقد كان لايزال عليها أن تخدَّته عن الفصل الصغير الذي يزمعون تمثيله في منزلها وما كانت تودُّ من جهة ثانية أن يمضى دون أن يكون قد نعم بالتعرُّف إلى اليسد دو نوربوا، (الذي كانت تمجب كيف لاتراه يدخل) مع أن هذا التعرّف غير ضروري لأن ابلوك؛ كان عازماً على اثناع الفنانين اللذين مخلَّث عنهما بالمجيء للغناء دون مقابل في منزل المركيزة في واحد من تلك الاستقبالات التي تتردَّد إليها صفوة أوروبا وذلك لصالح شهرتهما. وقد بلغ به أن اقترح إلى ذلك ممثلة مأساوية «فيروزية العينين وفي جمال هيراه (١٠ تنشد نثراً وجدانياً وتعمتع بحس الجمال التشكيليّ. ولكنّ السيدة «دو فيلباريزيس» وفضت لمدى صماع اسمها، فقد كانت صديقة «سان لو» وهممت في أنشي قائلة؛

ولدي أخبار أفضل منها، فإنمي الأمور لاتخفق إلا بجناح واحد وأقهما لن يتوانيا عن الانفصال. وتضيف قولها: وعلى الرغم من ضابط قام بدور بنيض في كل ذلك. (ذلك أن أسرة دووبره أخدت محقد حقلاً مميناً على السيد دو بورودنوه الذي سبق أن منح التصريح إلى مدينة دورج» نزولاً عند إلحاح الحلاق، وتهممه بتيسير علاقة شائدة. وقالت لي السيدة دو فيلباريزيس، باللهجة الفاضلة التي لآل دخيرمات، وحمى من كان أكثرهم انحطاماً: وإنه شخص سبح جداً . كنت غمس أنها لانشك أن يكون الشريك الثالث في سائر الحفلات الفاجرة. ولما كان اللطف يشكل العادة السائدة لدى المركزة فقد انتهت ملامح القسوة المقطمة إزاء حساباً، انتهت في ابتسامة وقيقة موجهة إلى بغمزة عين آلية يطنها نواطؤ غامض معي.

وقال وبلوك : وكنت أحب إلى حد دو سان لو آن بريه مع أنه كلب رديء لأنه مهلب إلى أقصى الحدود في أحماً فما أندهمه . يقول ولا يلاحظ إلى أعتى الحدود حياً جماً فما أندهمه . يقول ولا يلاحظ إلى أعتى مدى تسوء أقواله إذ كان سيع التهليب إلى أقسى الحدود حياً جماً فما أندهمه . يقول ولا يلاحظ المهلية وبعدما مدى تسوء أقواله إذ كان سيع التهليب إلى أبعد حدًا . وسوف أذكر لكم دليلاً أواه جلياً جماً على تهدية الرفية نات العجلات الجميلة وبعدما الرفيم بنفسه الأحومة الراقعة على جوادين غلياً بالشوفان والشعير ولا حاجة لحثهما بالسوط الملتمع . وقدّمنا المواحد للأخر ولكني لم أسمع اسم الشاب لأنك لاتسمع قط أسم الأشخاص الذي يتم تقديمك إليهم، يضيف ضاحكاً إذ كانت تلك مرحة لوالده، ووظل دوسان لو آن بريه بسيط السلوك ولم يظال في الاهتمام بالمشاب ولم يد البنة أي الزعاج. وقد طمت بالمسادقة بمديضة أيم أنّ الشاب ابن السيد وروض إسرائياؤاه

ويدت خاتمة هذه القصة أقل إرعاجاً من بدايتها إذ ظلت متمادة الفهم بالنسبة إلى القوم الحاضرين. ذلك أنَّ السيد دروفوس إسرائليزه الذي كان يبدو لـ «بلوك» ووالده بدنابة شخصية ملكية كان ينبني أن يرتجف دسان لو، في حضرته إنَّما كان على المكسّ في نظر محيط آل دغيرمانته أجنبياً حديث النعمة يتناضى عنه انجتمع وما كان ليخطر لأحد أن يفاعر بصدائته، بل على المكس تماماً!

وقال دبلوك: دلقد عرفت ذلك على لسان وكيل السيد درونوس اسرائيلزه المقوض بالتوقيع وهو صديني لوالدي ورجل خارق تماماً. آما إنه شخص غريب كلّ الفراية، يضيف قوله بهذا الحرم في الثاكيد وبنبرة الحمامة التي لا يبديها لمرء إلا في القناعات التي لم يشكلها بنضه. وعاد دبلوك يقول وهو يكلمني بصوت خافت جداً: دلكن قل لي، كيّة ثروة يمكن أن يملكها وسان لوه؟ تعرك تماماً أنني إن كنت أسالك ذلك فإني لا أحفل به في حدّ ذلك يقدر ما أفسل بالنسبة إلى عام الأربعين ؛ ولكنّ الأمر من رجهة نظر دبلزاكيّة، كما ترى، ولست حي تعلم فيما تمّ توظيفها وإن كان يملك أسهماً فرنسية وأجنية وأراضي؟؟

⁽١) Héra المهة الزواج لدى قدماء البونان وترمز إلى مطامة الأمّ وسلطانها.

لم أستطع تزويقه بأية معلومات. وكفا وبلوك عن التحدث يصوت خافت واستأذن يصوت عال بفتح النوافد وابخه إليها دون أن ينتظر الجواب. وقالت السيدة ودو فيلباريزيس، إنه يستحيل فتحها وإنها مصابة بزكام فرد وبلوك، يقول خالب الأمل: وآده إن البخى أن يؤذيك ذلك! على أنه يمكن القول إن الجو حارّه وأخد في الضحك وجعل في نظراته التي جالت حول الحضور استجداء يطالب بدعم ضد السيدة ودو فيلباريزيس، فلم المضحك وجعل في مفرف أولئك النام الحسني التهذيب، واستعادت عياه المتغلقات المائل الم تفلط في إفساد أحد رصائعها معتسلمتين. وأعمل بلهجة الهزيمة: والمراجع يبلغ التنين وحقرين درجة على الأقل، خمساً وعزين وعنين المنافقة في عرقي، واست أملك على غرار الحكيم وأتمينزوه ابن البعر والمنافوس، قدرة للك لايدهشتي فإني أسح تقريباً في عرقي، واست ألملك على غرار الحكيم وأتمينزوه ابن البعر والمنافق المؤسس في الماء الأورية كي أوقف عرقي قبل أن أدخل حماماً صقيلاً وأدمن فنسي يزيت معمل، وأضاف المنافقة في المحاجة التي لمدى المرء إلى وضع نظريات طبية عنت تسرّف الأخرين، نظريات قد يجيء تطبيقها في صالح راحتنا: وبما أذلك تظنين أن الأمر يمود عليك بالفضع أماً أنا فاعن المكرى تماماً. ذلك بالضبط ما يحمل لك الركام،

لقد أبدى «بلوك» أنّه منتبط بفكرة التعرّف بالسيد «دو نوربوا»، ولعله كان يبحبّ، فيما يقول، أنّ يحمله على التحدث عن مسألة «دويفوس».

دثمة ذهنية لا أعرفها حق للعرفة، وربّسا كان مثيراً إلى حدّ ما أن أحظى بمقابلة هذا الدبلوماسي
 العظيم الشأنه، يقول بلهجة جارحة كي لا يبدو أنه يمدّ ذاته أدنى من السفير.

وأسفت السيدة ددو فيلباريزس، أن قال ذلك أيضاً بصوت عال ولكنها لم تعلق على الأمر كبير أهمية حينما أبصرت أن مدير المحفوظات الذي كانت تنقاد، إن جاز القول، لآرائه القومية كان في مكان أبعد من أن يمكنه من الاستماع. ولكنما صدمها أكثر من ذلك أن تسمع «بلوك»، وقد دفعه شيطان سوء تهذيبه الذي سبق فأعماه، يسألها وهو يضحك للمزاح الأبري:

 - «ألم أفرأ له بحثاً علمياً بينّن فيه لأية أسباب لاندحض كان ينبغي أن تتهيى الحرب الروسية - اليابانية بانتصار الروس وهزيمة البابانيين! أفليس على شيء من الحرف؟ وبيدو لي أنّه هو من رأيت ويسدده إلى مقعدة قبل أن يبادر إلى الجلوس فيه منزلقاً وكأنما على عجلات.»

- ٥ مستحيل ٥٤ وتضيف المركيزة قولها: ٥ انتظر لحظة، فلا أدري ما يمكن أن يفعل.٥

وقرعت الجرس، وبعدما دخل الخادم، وإذكانت لاتخفي على الإطلاق أن صديقها القديم كان يعضي أكبر قسط من واقد في منزلها، بل غخب أن تبرز ذلك:

 - «هيًا امض وقل للسيد «دو نوربوا» أن يأني، فهو يقوم بتصنيف أوراق في مكتبى، وقد قال إنه آت بعد عشرين دقيقة، وها إني انتظره منذ ساحة وثلاثة أرباع الساحة، وقالت تخاطب «بلوك» بلهجة الحرداًن: «سوف يحذّلك عن مشكلة «دريفرس» وعن كلّ ما تريد، إله لايقر كثيراً "مايجري.»

ذلك أنَّ السيد دو نوربواه لم يكن على علاقة طبية بالوزارة الحالية وكانت السيدة دور فيلماريزيس، ١٤٢٧ع بوساطته على علم بما يجري، مع أنه ماكان ليسمح لنفسه أن يأتيها بجماعة من الحكومة (إذكانت مختفظ مع خلاك بكبرياء السبدة التي تتعمي لكبار الارستقراطيين وظلت خارج دائرة العلاقات التي كان يضطر أن يعلى الله يقد أولك ليجرؤوا بدورهم أن يطلبوا إلى السيد ودو ريوراه أن يعرف بهم السبدة ودو فيلماريس، وكثما سبق للعديد منهم أن جاؤوا في طلبه في منزلها في الريف حينما يحسّون بعاجتهم إلى مساعلته في ظروف عصبية. كانوا يعرفون العنوان، فيذهبون إلى القصر، ولايرون سيدت، ولكنها يزعمون ألمانان، فيذهبون إلى القصر، كانت تقول في الشناء: وأعلم ياسيدي أنهم جاؤوا يزعجونك. فهل الأمور أفضل مما

وسألت السيدة ددو فيلباريزيس، دبلوك، قائلة: دلست على عجلة من أمرك؟،

– ولا، لا، كنت أبغي الرحيل لأنبي لست على مايرام، بل أنا الأن بصند القيام باستشفاء في وفيشي، لملاج مراري،، يقول وهو يتلفظ هذه الكلمات بسخرية شيطانية.

 وعجاً، إن ابن ابن أخى اشاتيلروه بزمع بالضبط الذهاب إلى هناك، وعليكما تدبر ذلك سوية، أمايزال هنا؟ إنّه لطيف، لو تدري»، تقول السيدة دو فيلماريزيس، ربّما عن حسن نية وظناً منها أن شخصين تعرفهما كايهما لايملكان أيّة حجة تمنعهما من الارتباط بصداقة.

وقال «بلوك» وبه خمجل وغيطة: «آه لست أدري إِن كان ذلك سيروقه ؛ فاتي لا أعرفه.. إِلا لماماً، إِنّه هناك إلى أبعد بقابل».

ولا بد آن رئيس العظم لم ينفذ على أتم وجه للهمة التي كلف بها لدى السيد دو نورواه ، ذلك أنّ هذا الأخير، كيما يظن أنّه أن من العظرج ولم ير بعد ربة البيت، اختلا كيفما تيسر في الردهة قبمة بنا لمي أتمي أشرفها وجاء يتمل بتكلف كبير بد السيدة دو فياباريوس» وهو يسألها عن أخبارها بالاعتمام ذاته الذي يديه المرء بعد خياب طويل، وكان يجهل أنّ المركيزة سبق أن نزعت عن تلك للهولة أيّ مظهر للاعتمام ذاته الذي يديم على أيّة حال عند حضاه إذ اصطفحت السيد دو نوريواه وهبلوائة إلي صالة مجاورة. أما وبلوكه الذي شاهد على أيّة حال عند حضاه إذ المصطحب السيد دور نوريوالاه والمبادة أنّ السيد دور نوريواه والتحيّات المتكلفة جميع صنوف التودّد التي أحيط بها ذلك الذي لم يكن بعلم بعد أنّه السيد دور نوريواه والتحيّات المتكلفة ترجه إليه في يوم فقد قال لي ليظهر مظهر المرتاح: وأيّ صنف مدوء هو هذا؟ ويثما صدمت غيّات السيد دونورواة جميعها ما كان أفضل شيء في نفس وبلوكه، ونضي الصراحة الأبكثر مباشرة لدى بيئة عصيهة، فكان أن رأي جربًا بصلت أنها مضحة، ولكنها كفت على أية حال عن الشهور بهذا المظهر، با أغياته منذ اللحظة التي أصبح فيها هو، وبلوك، ومؤموكما

قالت السيدة قدو فيلماريزيس، «ويوذي ياسيدي السفير أن أعرَفك بالسيد. السيد وبلوك، السيد المركزز «دو نوربوا» كانت تهتم، على الرغم من الطريقة التي تقسو بها على السيد قدو نوربوا» ، بأن تقول له: سيدي السفير، قمسكا بآذاب السلوك وسالفة في تقديرها لرتبة السفير، ذاك التقدير الذي لقنها إيّاه السفير، وأخيراً كيما تعلبق تلك التصرفات الأقلّ للفة والأكثر مجاملة إزاء رجل ما، وهي التي إذ تعتلف أمتحلافاً قاطعاً في صالة امرأة لامعة عن العمراحة التي تستخدمها مع رؤاد بيتها الآخيري، إنما تشير في العجال إلى عشيقها. وأغرق السيد «دو نوربوا» زرقة عينيه في بياض لحيته وأخمى بعمق قامته المدينة وكآتما يصيها أمام كل ما يمثله اسم «بلوك» في نظوء من شهرة ومهابة وهمس قائلا: «إننى منتبطه، في حين صحح محتله الشاب بسرعة وقد اهتزت مشاعره ولكنه رأى أن الديلوماسي الشهير بيالنم كثيراً فقال: «لا، بل على المكس تماماً، إِنِّي قَال المُعْتِيطُا» بيد أنَّ هذه الحفاوة التي كان السيد «دو نوربوا» يكرّها حبَّا بالسيدة «دو فيلباريزيس» مع كلً مجهول تعرّف به صديقته القديمة لم تبد لهذه الأخيرة تأثماً كافها إزاء وبلوك؛ الذي قالت له:

 هميًا اسأله كل ما تريد معرفت، واصطحبه جانباً إن كان ذلك أكثر يسرأ، وسوف يغيطه أن يتحدّث إليك. وأظنك كنت تبغي محادثته في مسألة «دريفوس» تضيف قولها دون أن تهنم إن كان الأمر يروق السيد «دو نوربوا» أكثر مما لعلها فكرت في سؤال وسم الدوقة «دو مونمورانسي» موافقته قبل أن تلمر ياتازيه للمؤرّخ، والشاي موافقته قبل أن تقلّم كرياً منه.

وقالت أنه والمولكه: «كلمة بصوت عالى، فهه شيء من العمدم، ولكنّه ميقول لك كلّ ما تهد، فقد عرف حتى المعرقة بيسمارك وكافور. أليس آتك عرفت بيسمارك حق المعرقة؟» تقول بصوت عالي.

وسألنى السيد «دو نوربواه بايماءة بيمائيها التواطؤ وهو يند على يدي بحرارة ١٤هل لديك عمل باشراده ٢ فاغتمت القرصة كي آخذ منه بلطف القبحة الذي ظنّ من واجبه أن يجبيء بها بمثابة طابع رسميات إذ تبينت لتوي ألَّ ما أخذ كينما ترسِّم إلَّها كان قبضي. ولقد مبقى أن أريتني مؤلفاً صغيراً على شيء من التصنع كنت تبلغ فيه في تعقيد الأمور. وقد ألبت لك وأهي بصراحة ؛ فلم يكن ما فعلته جديراً بأن تسطره على الورق. فيل تمذ لنا أمراً ما ؟ إلَّكُ شغوف جماً بده بيرغوت، إن كنت أذكر تماماً بموساحت الدوة قالما: والاساول البرغوت، بالسوع بالموساحة الموساحة المواقد قالما: والاساول المرغوب بالموساحة الموساحة الموساح

ومنيت النفس لحظة إذ رئيمه يتحدث إلى السيدة دو غيرمانت، بأنّه ربّسا مدّ لي للدهاب إلى منزلها يد العون التي سبق أن حجبها عتى للذهاب إلى منزل السيدة دموان، فقلت له: دهنالك مظهر آخر من مواطن إعجابي الكبير، إنّه الهلمستيرة ويبدو أن الدوقة دو غيرمانت، تملك لوحات رائمة له ولاسيما ضمّة الفجل البديمة التي غتها في المعرض والتي وددت كثيراً لو أراها ثانية، فأية رائمة فنية تمثلها تلك اللوحةا، ولو تسنى لي بالفعل أن أكون رجلاً مرموقاً وسئلت أي رسم أفضل لذكرت ضمّة الفجل تلك.

وقالت السيدة ودو غيرمانت، لممتها بعدما انتحى وبلوك، بالسفير ناحية: وسمعت أنك توفنهن صديقة 184 م هروبيرة، وأحسب أنّ ليس ما تأسقين عليه، تدرين أنّها شيء شنيع، فليست تملك ذرّة موهبة وهي إلى ذلك مضحكة.8

قال السيد ددارجنكوره: دولكن كيف تعرفينها أيتُها الدوقة؟٥

- وكيف، ألا تعلم أنها مثلت لدي قبل كل الناس؟ ولست أكثر اعتزازاً لذلك، تقول السيدة «دو غيرمانت، ضاحكة، ويسعدها مع ذلك، إذ يتم الحديث عن ذلك الممثلة أن تعلن أنها قطفت باكورة مساخرها. وتضيف قولها: «همًا» ما علي بعد سوى الرجيل»، دون أن تتحرك.

لقد أيصرت منذ قبل زوجها داخلاً وكانت تلمح بالكلمات التي تنطق بها إلى سخرية أن يدوا وكانتها يقومان سوية بزيارة عرس الا إلى العلاقات العمية في الغالب التي كانت قائمة بينها وبين هذا الرجا الغضم القوي البية المتنبخ الذي كان يعيش دوماً مع ذلك حياة المتباب. كان الدوق يتقلم وهو ينقل على العدد الكبير من الأشخاص المجيلين بمائدة المتاي النظرات الأبينة الحبيثة التي بهرتها بعض الشيء الشمة المشعد المجير من الأشخاص المجير المستورين المستورين المستورين بدينة في المعين شأن مراكز الدويات التي كان يجيد التسديد إليها وإصابتها على أكمل وجه هذا الرامي المتاز الذي يحثاء كان الدوق يتقدم بيطم على الفساطين ويهرب الأحاديث. وكانت تسمح له ابتسامة دائمة تلونها الطبية الساذجة والشعرة الخليةة أن يسبر على الفساطين ويهرب الأحاديث. وكانت تسمح له ابتسامة دائمة تلونها الطبية الساذجة والشعرة الخلية أن يسبر على الفساطين كما يتاح صدك القرش إلى جانب صدره ويهلقها ليشد عليها دونما تصيرا أصدقاؤه القدامي والمجهولون المدين يقلمون له أن يرضى حصامة الجميع دون أن يقع عليه القيام بحركة واحدة أو يقطح جولته البشرة والمدين الملكية، وهو يهمس فقط: وعلى المرتب أنها الطبيب، صماء الخير باحمديقي العزيز مرني الملقاء والميا المدين المحبودين المستورية المنازية بعدال الموساء الخير باحمديقي العزيز عمل أرجدكرورة، وعلى مقربة متي، أنا الذي نال أكبر حظوة، قال بعدما سعم اسمي: المن إبداري الصغير، ولم يقم على نظاهرات عربضة إلا بخياه السيدة دود فيلياريوس؟ التي حيّته باشارة من رشريقها الصغيرة.

كان ثريًا ماثل الثراء في عالم ترى الناس فيه أقل فأقل ثراء، وقد ماثل باستمرار بين شخصه وفكرة هذه الثروة الضخمة فاقترن اعتداد السيد الكبير لديه باعتداد رجل المال وتكاد لانفلح تربية الأول المرفقة في كبح غرور الثاني. وكنت تدرك على أي حال أن مجاحاته النسائية التي كانت مصدر شقاء لزوجته لم يكن مردّها محض اسمه وثروته إذ كان لايزال على جمال كبير وفي خطوط رجهه نقاء إله يوناني ولبات تقاطيعه.

وسأل السيد ددار جنكوره اللموقة قائلاً: وأهي حقاً مثلت في منزلك، ؟

– ويبحك، لقدجاءت للإنشاد وفي يدها بالقه زيق ودعاه فسطانها زنابق أخرى. (كانت السيدة دو غيرمانت، تبدى، شأن السيدة دو فيلماريزيس، تكلفاً في تلفظ بعض الكلمات على نحو فلاحي تماماً، مع أنها لا تنطق بعض الحروف بطريقة عمتها.)

وقبل أن يصطحب السيد ددو نوربواه، مكرها مرغماً، دبلوك، إلى الشرفة الصغيرة حيث يمكنهما التحدّث معاً، عدت لحظة إلى الدبيلوماسي الشيخ وأسررت إليه بكلمة حول مقعد في المجمع لوالدي. وأراد بادئ الأمر إرجاء الحديث إلى ما بعد. ولكنّى اعترضت بأنّى أزمع الذهاب إلى وبالبيك. وعجباً! أتذهب من جديد إلى وبالبيك، ؟ إنَّك لجوَّاب أفاق حقيقيَّا، ثم أصغى إليّ. ولدى سماع اسم الوروا بوليو، نظر إليّ السيد ودو نوربوا، نظرة مرتاب. وخيّل إلى أنه ربما تفوّه أمام السّيد الوروا بوليو، بأقوال مسيئة بحق والدي وأنّه يخشى أن يكون الاقتصادي قد ردَّدها أمامه. وبدا في الحال يهزِّه وداد حقيقيّ إزاء والدي. وبعد واحد من تلك الإبطاءات في الإلقاء التي تنفجر فيها عبارة مفاجئة وكأنما غصباً عن المتحدث الذي يجرف اليقين الذي لايقاوم لديه ما كان يبذل من جهود متعثرة ليصمت، قال لي بانفعال: الا، لا، ينبغي ألا يتقدَّم والدك. ولا ينبغي ذلك لصالحه هو، وإجلالًا لقدره، وهو عظيم، وربَّما أساء إليه في منامرة كهذه. إنَّه يساوي أفضل من ذلك، وهو إن تم تعيينه سيخسر كل شيء ولايكسب شيئاً. وما هو بالخطيب لله الحمد. وذلك هو الشيء الوحيد المعتبّر لدى زملائي الأعرّاء وإن كان ما يقال محض ترّهات. إن لوالدك هدفاً هاماً في الحياة ويجدر به أن يسير رأساً إليه دون أن يسمح بأن يثنيه عن ذلك الطواف في البراري، وإن كانت براري رب المجامع، وشركها مهماً تكن الحال أكثر من زهرها. وهو إلى ذلك لن يجمع إلا بضعة أصوات. والمجمع يحبّ أن يَخضع المرشح للتدريب قبل أن يقبله في حظيرته. لاثمرة في الوقت الراهن، أمّا فيما بعد فلست أمانع. بيد أنه لابدً من أن يجيء المجمع نفسه ليبحث عنه، فهو يمارس سياسة والقرار المستقلِّ، التي ينادي بها جيراننا خلف جبال الألب وذلك بما هو أقرب إلى الصنميَّة منه إلى الفلاح. لقد حنتني «لوروا بوليو، عن كل ذلك بطريقة لم ترقني. وقد بدا لي للوهلة الأولى أنه على اتفاق مع والدك؟.... ربَّما حملته بلهجة قاسية بعض الشيء إلى الإحساس بأنَّه لايحسن، وقد تعوَّد الاهتمام بالأقطان والمعادن، أن يدك دور دقائق الأمور، على حدٌّ قولَ بيسمارك. ما ينبغي نجنبه قبل أي شيء أن يقدّم والدك ترشيحه: Principiis obsta (١) وقد يلفي اصدقاؤه أنفسهم في وضع حرج إن جابههم بالأمر الواقع، وقال فجأة بلهجة صريحة وهو يثبت على عينيه الزرقاوين، وخذ مثلاً، سأقول لك أمراً سوف يدهشك من جانبي أنا الذي يحب والنك إلى هذا الحدّ. أجل، بالضبط لأنّي أحبه (ضحن لايفارق أحدنا الآخر Arcades ambo) (٢) ولأني أعرف بالضبط الخدمات التي يمكن أن يؤدّيها لبلاده والمخاطر التي يمكن أن بجنبها إياها إن ظلّ يمسك بالدفّة فلن أصوّت له بداعي المودّة والتقدير الرفيع والوطنية ! و أحسب على أيَّة حال انَّني أَلِحت إلى ذلك. (وحستني أبصر في عبنيه تقاطيع الوروا بوليو، الآشورية القاسية.) وإنَّما يعني منحه صوتى ضرباً من التراجع.؛ وعدَّ السيد ١دونوربوا؛ زملاء، بمثابة مستحالات مرَّات عديدة. وإنَّما يحبُّ كلِّ عضو في ناد أو مجمع، بمعزل عن الأسباب الأخرى، أن يولي زملاء، نوع الطباع الأكثر تعارضاً مع طباعه وذلك للاعتزاز الذي يداخله أن بيرز اللقب الذي ناله على أنَّه أكثر صعوبة وأبعث على الزهو أكثر منه لجدوي أن يمكنه القول: «آها لو لم يكن من يد في الأمر إلاّ لي!» وخلص إلى

⁽١) لهبارة لانينية، وتعني التمسك بالمبادئ، وبما أن للتحدث عضو في المجمع فإنه برى حسناً أن يلجأ إلى اللانبية، بهن العمن و العمن. (٣) لهبارة لمناعر الرومان الأول (فيرجيليوم) وتعني الأركادبين الإنتين ويرمز بها إلى زوج من الأغياء، ولعل دونوبيراء لابتهين المعني الأمهر.

القول: فسأقول لك، وذلك لصالحكم جميعكم، إنَّي ألفسل لوالدك انتخاباً مظفراً بعد عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً،ع وقد حكمت أن تلك الأقوال إن لم تملها الغيرة فقد أملاها على الأقلّ غياب كليّ لحب المعروف وقد أتخلف ُ فيما بعد من المحادلة نفسهاً معنى مختلفاً.(١٠) وقالت الدوقة لزوجها: فتعرف عمن تتحدّث يا فايازات ٣

فقال الدوق: ٤-ورت بالطبع. آدا ليست ما نسميه بممثلة من سلالة المظماء.٤

وعادت السيدة «دو غيرمانت» تقول وهي توجّه الكلام للسيد «دار جنكور»: «لم تتصورٌ قط ما كان أكثر إثارة للسخمية».

وقاطع السيد «دو غيرمانت» قائلاً: «بل كان إلى ذلك مسابلة» وكانت كلماته الغربية تسمح في الأن نفسه لرجال المجتمع أن يقولوا إنه لم يكن غيباً ولرجال الأهب أن يلفوه من أبشع المعترهين.

وأردفت الدوقة: ولا أستطيع أن أفهم كيف استطاع ورويرو أن يحبها في يوم. أودا أعرف تماماً أنّه لا ينغي البئة مناشئة ملده الأمورة، تضيف قولها ولها عبسة حاوة لفيلسوف ولماطفهّ مخيئة الآمال. فوأعلم أن أيّا كان يمكن أن يحبّ أيّ شيء كان، لم أضافت: فإلى إن ذلك ماهو جميل في الحبّ، فهو بحقّ ما يجمله مكتفاً بالأسراو–، ذلك أنّها إن كانت لاتوال تسجّر من الأدب الجديد، فقد تسرّب هذا الأخير قليلاً إلى نفسها ربّما بطريق النبسيط الصحافيّ أو من خلال بعض الأحاديث–.

وقال الكونت ددار جنكوره: دمكتنف بالأسرار! أقرَّ أن الأمر يجاوزني قليلاً يا ابنة العمُّ..

فأردفت المدوقة تقول بابتسامة علية لامرأة مجتمعات الطيفة، بل كذلك بالقناعة المتشددة التي لواحدة من نصيرات وفاضره تؤكد لرجل منتدى أن ليس في مسرحية السفالكيري، ضجيج ضحسب: وبلى، الحبّ مكتنف بالكثير من الأسرار. وعلى أبه حال، لست تعرف في الأساس لمانا يحبّ شخص آخر غيره. وقد لا يكون الأمر البتة ما نصب ، تضيف ميتسمة ومستبعدة بذلك دفعة واحدة بفعل تفسيرها الفكرة التي فاهت بها منذ قلل وخطمت إلى القول بلهجة مرتابة متبة: والمرء على أية حال لا يعرف قط شيئاً. وينجى لذلك،

⁽١) وسأل مؤرخ مركة الشعرة السيد «دونوريوا» يوجل تقافلاً؛ فألس في نينك أن عقدت للمهد عن تسن الخبز في ألناء حركة السيرة تقد تلاقي في نينك أن عقدت للمهد عن تسن الخبز في ألناء حركة السيرة تقد تلاقي في خلاصة والمؤرخ المناه يوجبانه، الألم يتم المناه يوجبانه، والمناه يوجبانه، والمناه يتم يتم في المناه المناه المناه والمناه يتم يتم المناه المناء المناه المن

تدري، ألأنناقش البتَّة في اختيار العشاق، فللك ينَّم عن ذكاء أكبر. ا

ولكنها بعدما طرحت هذا المبدأ خرقته في الحال بانتقادها اختيار ٥سان لو٠.

- «تدري مع ذلك، إنّي أرى عجباً أن يستطيع المرء أن يجد فنة في شخص يثير السخرية.،

وإذ سمع وبلوك أثنا تتحلّت عن وسان لوو وأدوك ألّه في باريس أخط يتناوله بسوء مربع إلى حد أثار الجمعية. لقد أخدت تخالته الأحقاد وكنت مخس أنه لن يتراجع أمام شيء بنية إشباعها. ولما طرح بمثابة مبنأ أنه يتمتع بقيمة أخدات تخالف وأن صنف الناس الذين يرتادون والايولي، اوهو ناد رياضي كان يحسبه أنيقاً أوضا هم أهل للسجن فقد كانت بدو له جميع الضربات التي يمكن أن يلحقها بهم جديرة بالثناء ويلغ به خلى أحد أصدفاته من نادي والإيولي، كان ينوي أثناء بلك خلف مؤلف أن يشهد شهادة كانية لايستطيع ألمتهم مع ذلك إقامة الدليل على زيفها. كان وبلوكه الذي لم يناش على أحد أصدفاته من نادي ولايولي، الدي لم يناش على أحد أصدفاته من نادي ولايولي، كان وبلوكه الذي لم يناش على أحد أصدفاته وبناس من ذعره. وأي سوء في ذلك بما أن المناس كان يبغي ضربه على هذا النحو رجل الإيكر إلا بالأنقة، رجل من نادي ولايولي، وأن جميح الأسمة مصرت بها ضد مثل هؤلاء القرم ولاسهما تقديس عنده مو، وبلوكه إلى واحد من المناس ضد مثل وأن جميح الأسمة مصرت بها ضد مثل هؤلاء القرم ولاسهما تقديس عثله هو، وبلوكه إلى واحد من الدي ولايولي، وأن جميح الأسمة مصرت بها ضد مثل هؤلاء القرم ولاسهما تقديس شله هو، وبلوكه إلى المناس على المناس المنا

ويرة السيد «دارجنكور» بقوله: «ولكن خذي «صوانه مثلاء، بعدما أدرك آخر الأمر معنى الأقوال التي تفوّمت بهما ابنة عمّه ودهش لصحّها وأخذ يبحث في ذاكرته عن مثال لجماعة أحبرا أشخاصاً ما كانوا ليروفوه.

واحتجت الدوقة قائلة: وسوان حالة مختلفة تماماً. كان الأمر مع ذلك مدهشاً جناً لأنّها بلهاء طبيّة القلب ولكنها لم تكن مضحكة وقد كانت جميلة.»

وغمغمت السيدة ودو فيلباريزيس، دهيه، هيه،

– 15ء أما كنت ترين أنها جميلة؟ بلي، كانت لها مفاتنها، عينان جميلتان جذًا وشعر جميل وكانت ملابسها ولاتوال رائمة. إلي أعترف أنها مقرفة الآن، ولكنّها كانت فيما مضى امرأة فائنة. ولم يكن غمّي بلنك أقال ان ترزّجها وشارل، لأنّ الأمر كان عديم الجدوى إلى حدّ بعيد.،

وما كانت الدوقة همسب أنّها تقول شيئاً ملفناً ولكنما أخذ السيد ودارجنكوره في الضحك فكررّت الجملة إنّا لأنها وجدتها غريبة أو أنها ألفت الضحك لطيفاً فشرعت تنظر إليه نظرة منتاجة لتضيف إلى سحر الظرافة فتنة الحلاوة. وتابعت تقول:

وأجل، أليس كللك، لم يكن من داع للأمر ؛ على أنها لم تكن عديمة الفتنة وأمرك دماما أن أحبرها، في حين أن آندة وربيرا بالتأكيد مضحكة إلى حد الموت. أعرف تماما أنهم سيرقرد على بهلمه الملازمة القديمة لـواوجيمه : ولاشأن للقارورة شرط أن تبلغ النشرة الاحسن، ربّما حاز وروبره النشرة ولكنه بالمقبقة لم يبرهن عن فرق في اخيار القارورة تصوّر بادعة الأمر أنها طالبتي باقامة درج في قلب صالتي، والأمر زهيد، أكست ترى، تمّ هي أخيرتني أنها سقطل منبطحة على بعلنها فرق الدرجات. ولو أنك سممت من جهة ثانية ما كانت تقول، أنا لا أعرف سوى مشهد واحد، ولكني لا أحسب بالامكان تخيل ما كان من هذا القبيل: إنهَّم يدعون ذلك بـ ١١ الأميرات السبع. وصاح السيد ١ دارجنكور، قاتلاً:

– والأميرات السيعا، آما أجل، أجل، باللسنوية؛ ولكن صبركِ، فإنني أعرف الرواية كاملة. لقد بعث بها المؤلف إلى الملك الذي لم يفهم فيها شيعًا وسائني أن أشرح ظلك.»

وسأل مؤرخ حركة التمرّد بقصد إيداء الذكاء المرهف والراهنيّة، ولكن بصوت خافت إلى حدّ أنّ سؤاله لم يلفت الانتباء: وألا يصادف أن يكون ذلك من أعمال «سارييلاهان»؟

وردّت الدوقة على السيد دوارجنكور، قاتلة: «أو تعرف «الأميرات السبع»؟ تهاني لك كل التهاني! أمّا أنا فلا أعرف سوى واحدة ولكن ذلك أفقدني الشوق إلى التعرّف بالستّ الأخريات. فإن كنّ جميعاً خبيهاتٍ يتلك التي رأيتها!!

وفكرت في نفسي قاتلاً: «باللنبيّة ا، وقد أغضيني الاستقبال الجاف الذي قابلتني به.. ووجدت نوعاً من الرويات المديق في ملاحظة لانهمها التام لدوميترلك، وأنثل هذه الامرأة أسير في كلِّ صباح هذه الكولومترات الكثيرة، إلى طبيّ النفس حقاًا وإنما أنا الآن من لايرضي بها، تلك كانت المبارات التي كنت أتولها بيني وبين نفسي، وكانت عكس تفكيري ؛ كانت محض أقولها بيني وبين نفسي، وكانت عكس تفكيري ؛ كانت محض أقوال في حديث شبيه بما نسرً به لأنفسنا في غياب ألم محاور أخر، وذلك دونما صدق وكأنما إلى غرب.

وتابعت الدوقة قولها: الا أستطيع أن أزُودك بفكرة عن ذلك فقد كان يثير أعنف الضحك. ولم نقصرً فيه، بل جاوزنا الحدّ لأذّ المرأة الصغيرة لم تعجب به، وقد ظلّ وروبيره حاقدًا عليّ من جراء ذلك، الأمر الذي لا آسف له علي أيّة حال فقد كانت عادت الآنسة لو أنّها صادفت نجاحاً، وأتساعل إلى أي مدى كانت «ماري إيناره ستنتيط له.٤

هكذا كانوا يسمّون في العائلة والمدة ورويره السيدة دو مارسانت أرملة وإينار دو سان لوء ليسمّروا بينها وبين ابنة عسّها الأميرة «دو غيرمانت بافيير»، وهي ماري أخرى، كان أبناء أشقائها وأعمامها وأصهارها يضيفون إلى اسمها بغية تلافي الاختلاط إمّا اسم زرجها وإمّا واحداً من أسمائها الأخرى، الأمر الذي كان يفضي إمّا إلى هماري چيليره أو إلى هماري هيدويج».

وتابعت السيدة دور غيرمانت، بلهجة ساخرة، دتم بادئ الأمر في عشية ذلك اليوم نوع من التجربة، كان شيئاً رائماً! تصوّر أنّها كانت تقول جملة، وهي حتى لا تبلغها، بل ربع جملة، ثم تتوقف، ولا تقول شيئاً من بعد، ولست أبالغ، على مدى خصى دقائق.

وصاح السيد ادارجتكورا: اللي، بلي، بلي ال

ولقد سمحت لتفسي أن ألمح بأقصى التهليب إلى أن الأمر ربّما يثير بعض الدهشة، فأجابتني
بالحرف: وينبني أبدأ أن تقول الشيء وكأدما نعن ماضود شخصيا في تأليفه، والجواب ضخم إن أنت فكرت
فداه

وقال أحد الشابين: (ولكني كنت أحسبها تحسن إلى حدٌّ ما قول الأشعار).

فأجابت السيدة (دوغيرمانت؛ ﴿ إِنَّهَا لاترتاب في ما يكون ذلك. ولم أحس على أَيَّة حال بالحجَّة إلى سماعها. فقد اكتفيت برؤيتها تحمل زنايق! لقد أدركت في الحال أنّها لاتمتّع بموهبة حيدما رأيت الزنابق!؛

وضحك الجميع.

- «ألم تنضيي منّى يا عمتّى لقاء مزاح ذاك اليوم بشأن ملكة السويد؟ لقد جنت أسالك الأمان.»

- ولا، لست غاضبة منك وإنّي أمنحك حتى حق تناول العصرونية إن كنت جائماً.،

وقالت السيدة «دو فيلباريزيس» لأمين المحفوظات وفق مزاح أصبح شائماً: «هيًا ياسيد وفالنيو»، قم بدور بتاة.»

وانتصب السيد دور غيرمانت، في مقعد الذي كان مسترخياً فيه وقبته إلى جانبه فوق السجادة ونظر نظره راضية إلى قصمات المعجنات المحمدة التي تقدم له.

- وبطيبة خاطر، الآن وقد بدأت آلف هؤلاء الحضور الكرام، أقبل بقطعة دبابا، ، فإنها تبدو ممتازة.،

وقال السيد ددارجنكوره الذي ردّد مزاح السيدة ددو فيلباريزيس، يدفعه روح التقليد: وإنه يقوم علمى نحو واتع بدور الفتاة الموكل إليمه .

وقدَّم أمين المحفوظات قصمة المعجنات لمؤرَّخ حركة التَّمرد، فقال له هذا الأُخيرُّ وَجَلَّا وَفِي محاولة كسب العلف العامَّ: وإنَّك تنهض بوظيفتك على نسو رائعة .

ورمي الذين سبق أن فعلوا مثله، رماهم خفية بنظرة تواطؤ.

وسأل السيد دور غيرمانت، السيدة دو فيلماريزيس؛ قائلًا: دقولي لي يا عمتي الطبية من ذلك السيد الحسن الشخصية الذي كان خارجاً حين دخلت؟ لابدّ أنّي في خصام مع الأسماء، والأمر مزعج جدًا،، يقول قول الراضي عن نفسه.

- دائسيد لوغراندان،

- وآه! ولكن لـ وأوريان، ابنة عمّ والعنّها، إن لم يخنّي الذاكرة، من عائلة وغراندان،

فأجابت السيدة «دو فيلماريزيس»: «لا»، ليس من صلة البنّة، فإنهَم من آل هغراندان» فحسب ولاشيء سوى ذلك. ولكنّهم إِلّما يسعون إلى إضافة ما شقت إلى كنيتهم (ع) يدل على النبلاء) ``أ` إِن شقيقة هذا

 ⁽١) ما ورد بين قوسين مضاف إلى المص الفرنسي في محاولة لايتفاح الفكرة. ويمرّف ارحقراطيو فرنسه بإضافة اسم إلى كنيتهم يمثل بعامة أحد ممتلكاتهم من قصر أو أرض والسيدة تشي أن يكونوا من النبلاء، فيما يحوث هم إلى كسب الصفة.

الأخير تدعى السيدة ٥دو كامبرميره.

وصاحت الدوقة غاضية: فويحك يالابازانه، تعلم تماماً عمن تبغي عمتي التحدّث، إنَّه شقيق تلك الماشية الضخمة التي عطرت لك فكرة غربية في ارسالها للقائمي ذلك الوم. لقد مكثت ساعةً وحسب أنتي سأجنّ. رلكنّي بلمان أعقد أنها هي المجنونة إذ رأيت امرأة تدخل بيتي ولا أعرفها وتبدو كأنّها بقرة.

السمعي يا دأورياناة لقد طلبت منّى يوم استقبالك فما كان بمقدوري أن أرتكب فظاظة إزاءها، ثم
 إنك تباشين، ويحك، فليس يبدر أنّها بقرة، يضيف قوله بلهجة شاكية، ولايفعل دون أن يلقي خلسة على
 ألحضور نظرة تشرق فيها ابتسامة.

كان يعلم أنّ قريعة أمرأته بحاجة أن تُستحثُّ بالمعارضة، بمعارضة الحس السليم الذي يعترض على سبيل المثال بأنه لايمكن أن تعدّ امرأة بمثابة بقرة (فكثيراً ما أفلحت السيدة 9در غيرمانت، في أداء أفضل كلماتها بمجاوزة العمورة الأولى). وكان الدوق يادر بسلاجة إلى مساعنتها لتتجع في طرفتها دون أن يبدي من ذلك شيئاً مثلما الشريك للستر للاعب ياتصيب في عربة قطار.

وصاحت السيدة دو غيرمانته قائلة: داخر في بأنها الانب البقرة الآنها تبدء عدة بقرات. وأقسم لك أنني كنت شديدة الارتباك إذ رأيت هذا القطيع من الأيقار يدخل بالقبحة إلى صالتي ويسألني عن الدحال. كنت لرغم من جهة في أن أجيب: دولكنك تخلط يا قطيع الأيقار فلا يمكن أن تكون على علاقة بي بما ألك تطلع إنجازه وركني النبوية، من جهة ثانية، ويعلما بحثت في طاكرتي، أن ذكام بحري التي رويت علم ما حباة الرفيعة التي من جهة ثانية، ويعلما بحث في ويقيقها إلى حدّما، حتى أوضكت عنه هي صاحبة الرفيعة المواقعة التي المناه الثالثة التي بالمكة السويد. من أن منا المجموع قبل المناه الثالث إلى تطلع أدري من وقت كانت تبدع على المناه الأقال وكأنها نشرات أدري من وقت كانت تبدع طي بالمائلة المؤلف وكأنها نشرات المناه كناه المناه المناه المناه المناه المناه المناه على أن هذا كانت تبدع على المركزة والم كيزة والم كيزة والم كيزة والم كيزة والم كيزة والم كابيرميوه إلى حقيد عنوان لا أنذكره وأنا مصممة على إنه حال ألا استخدم في يوم. عا

وقال مؤرّخ حركة التمرد: ﴿ إِنَّمَا لَمِمْتُ اعْتِوَازُ أَنْ تَكُونَ شُبَّهُ الْمُلَكَاتِ. ٤

• «باإلهي» الملوك والملكات في عصرنا ليسوا بالأمر العظيم»، يقول السيد «دو غيرمانت» الأنه كان
 يدّعي التحرّر الفكري والمعلقة وكي لايدو إلى ذلك أنه بهتم بالعلاقات الملكية التي كانت تهممه كليراً.

وأُلفينا البلوك، والسيد الدونوربوا، بعدما نهضا أكثر قربا منًا.

وقالت السيدة : ٥هل حدَّاته باسيدي عن قضية ٥دريفوس، ٢

فرفع السيد «دو نوربوا» عينيه إلى السماء ولكنه كنان بيتسم كانّما ليبوز ضخامة النزوات التي تفرض عليه رُبّه أفكاره واجب الخضوع لها. بيد أنه كلّم «بلوك» بكثير من اللطف عن السنوات الرهبية، بل ربّما المتاناة التي جمتارها فرنسه. وبما أن ذلك كان يعني على الأرجح أن السيد دو نوربواه (الذي سبق أن تقل إليه وبلوك مع ذلك اعتقاده ببراءة دويفوس» إلى المن من أقرار بالدي من أقرار بالدي من أقرار بالدي من أقرار بالدين بالمحكومة، كان كل ذلك بالدين بحث أن الدين بالدين بالدين من أن الله بالدين بالدين بالدين بالدين والمواجعة بالمواجعة بالمواجعة بالمواجعة بالمواجعة بالمواجعة بالمواجعة بالمواجعة بالدي بمكن أن يجمع وكان يقبل وكان يواد في القضية الذي يداء في القضية الذي يمكن أن يجمع بينها وكان يزيد من دشته وبلوك وإنه الإثماق الهامن الذي يدو قائماً بينه وبين السيد دونوربواه أن ذلك الاتفاق لم يكن بتناول السيامة فحسب، إذ كانت السيدة دور فيلياريوس، قد حالمت السيد دور فوربواه حديثاً طويلا إلى حضاء على العوادك الأديكة.

وقال السفير السابق لهذا الأخير: الستَ من عصرك، وإتّي اهتّلك على ذلك، لستَ من هذا العصر الذي لا وجود فيه من بعد للدواسات المجرّدة من المآرب والذي لابيمون فيه للجمهور من بعد سوى صنوف الخلاعة أو السخافة. كان جديرًا بجهود مثل جهودك أن تلقى التشجيع لو كانت لدينا حكومة.،

كان يثير اعتزاز وبلوك، أن يطفو وحدء وسط هذا الغرق الشامل. ولكنَّما ودَّ ههنا أيضاً لو يحصل على إيضاحات ولو يعلم السخافات التي يبقى السيد ٥ دو نوربوا، أن يتحدّث عنها. كان ٩ بلوك، يحسُّ بأنّه يعمل في ألدرب الذي سلكه كثيرون ولم يحسب أنّه خارق إلى هذا الحدّ. وأعاد الكرّة على قضيّة ٥دريفوس، ولكنّه لم يفلح في كشف رأي السيد دوو نوربواه. وحاول أن يحمله على الكلام عن الضبّاط الذين كانت أسماؤهم تتكرُّر كثيراً على صفحات الصحف في تلك الفترة، وكانوا يثيرون الاهتمام أكثر من السياسيين المشتركين في القضية نفسها لأنّهم لم يكونوا معروفين آنذاك شأن هؤلاء، وقد طلموا منذ قليل وتكلموا في يزّة خاصة ومن أعماق حياة مختلفة وصمت التزم بدقة، شأن الوهانغرين، ينحدر من قارب يقوده تمّ. وكان ابلوك، قد استطاع بفضل محام وطنّى يعرفه أن يدخل إلى عدّة جلسات من محاكمة ازولاه. كان يصل هنالك في الصباح ولايخرج إلاً في المساء يحمل مؤونة من الصاندويش وزجاجة قهوة كما هي الحال في المسابقة العامة أو امتحانات البكالُوريا، وإذ كان تبديل العادات هذا يوقظ الهياج العصبي الذي تبلغ به القهوة والانفعالات الناجمة عن المحاكمة أقصَى حدّله، فقد كان يخرج من هناك بالغ العشق لكلّ ما جرى إلى حدّ أنّه كان يبغي في المساء بعدما يعود إلى منزله أن ينغمس من جديد في الحلم الجميل فبجري ليلاقي في مطعم يرتاده الفريقان رفاقاً يعيد معهم حديثاً لاينتهي عمّا جرى في النهار ويصلح بفضل عشاء يوصى عليه بلهجة آمرة تخلف في نفسه وهم السلطة الصيام ومتاعب يوم بدأ باكرا جدًا ولم يتّم فيه تناول طعام الغداء. والإنسان الذي يتنقُّل باستمرار بين مستويى التجربة والخيال راغب في تعميق الحياة المثلى للناس الذي يعرفهم وفي معرفة الأشخاص الذين تم له تخيل حياتهم. وأجاب السيد ددو نوربوا؛ على أمثلة دبلوك؛ قائلا:

اثمة ضابطان اشتركا في القضية القائمة وقد سمعت عن أخبارهما فيما مضى على لسان رجل كتت أثن ثقة كبيرة برأيه وكان يقيم وزنا كبيراً لهما (هو السيدادو ميريبيل)، وهما المقدم «هنري» والمقدّم «بيكار».

وصاح وبلوك، قائلاً: اولكنّ اللَّينا، الإلهيّة ابنة وزيوس، وضعت في عقل كل منهما عكس مافي ١٩٥٧ ع عقل الآخر وإلهما ليتصارعان وكالمهما أسدان. كان العقيد «بيكاره يتمتع بمركز كبير في الجيش ولكنّ البؤة قادته إلى الجانب الذي لم يكن جانيه. وسوف يقطع سيف الوطنيين جسده الرقيق وبينمجي غذاء للوحوش الملاحمة والطيور التي تتغذّى بشحوم الأموات.»

ولم يحر السيد ددو نوربوا، جواباً.

وسأل السيد ددر غيرمانت، السيدة ددو فيلباريزيس، وهو يشير إلى السيد ددر نوريوا، ودبلوك: دعما يشتراران في زواية هناك؟ه

−ەعن قضية دريفوس،

- وبا ويحمها اهل تعلمين بالمناسبة من يناصر «دريفوس» إلى حدّ الولم؟ لاسبيل البتّه لأن تخزري. إنه
ابن أخي «روبيره! بل سأتول لك إنهم عندما بلفتهم تلك المأثر في نادي الفروسية ثاروا ثورة عارمة وأطلقوا
صيحات الاستتكار. وبما أنه سيتم تقليمه بعد ثمانية آيام...»

وقاطعته الدوقة تاثلة: «بالطبع» إن كاتوا جميمهم على شاكلة «چيلبير» الذي أكد دوما أنّه ينبغي طرد جميع اليهور إلى القدس...».

وقاطع السيد ددارجنكور، بدوره: ٩إذن فالأمير ددو غيرمانت، يماشي أفكاري تماماً.،

كان الدوق يتباهى بامرأته ولكنّه لايعتهما. وإذ كان شديد الإعجاب بنفسه فقد كان يكره أن يُقاطع، ثم إِنّه كان من عادته في منزله أن يعاملها بفظافلة. وهزه غضب مزدوج، غضب الزوج السيئ الذي يجري التحدّث إليه والمحدّث المتحدلق الذي لايتم الإصغاء إليه فتوقف على الفرر ورمى الدوقة بنظرة أربكت الجميع. وأخيراً قال:

هما الذي دهاك لتحكينا عن «جيليره والقدس؟ فما هذا هو الأمر، ولكنّه أضاف بلهجة مُطلقة: «ستقرّين أنّه إذّ وفش واحد منا في نادي الفروسية، ولاسيما «روييره الذي كان والده رئيساً على مدى عشرة أعوام، فسيكون ذلك قمة المصيبة. لاحول لنا في ذلك باعزيزي، لقد جنّ هؤلاء الناس وحملقوا بميونهم، ولا أستطيع أن أحقهم تعلمين أتي شخصياً خلو من أي تحيز عرقي فلست أرى أنّ ذلك يساشي عصرنا وإني عازم على مسايرة الركب. ولكن، ويحك! حيتما يحمل المرء اسم المركيز «دو سان لو» فليس له أن يكون من أنصار «دريفوس» ، ماذا نبغيني أن أقول إك.

وتلفظ السيد ٥دو غيرمانت، بهذه الكلمات: ٥سينما يحمل المرء اسم المركيز ٥دو سان لوه بلهجة مفخمة. كان يعلم مع ذلك تعام العلم أن حمل اسم والدوق دو غيرمانت، أرفع ثناناً بكثير. ولتن كان اعتزازه بغضه ميالاً إلى أن يضحّم في عينيه بالأحرى تفوق لقب الدوق ٥دو غيرمانت، فيما لم تكن تدفعه إلى التقليل منه قواعد الدوق السليم بقدر ما يواه لدى الأخرين. ذلك أن القوانين التي تحكم المنظور في الخيلة إِنّما تعليق على الناس الآخرين سواء بسواء. وليس الأمر أمر قوانين الخيلة فحسب بل أمر قوانين اللغة كذلك. وكان بمكن هنا أن يتطبق هذا أو ذلك من قانوني اللفة. فالأول يقضي أن يتحدّث للرء مثل جماعة طبقته الأهمية. كان يمكن للمبيد قدو غيرمانته تتبجة لذلك أن يدين في تعابيره، حجى حينما ينمي التحدّث عن طبقة البلاء، لممنار البورجوازيين اللغن ربّما قالوا: قسيدما لمرء المبراء المبراء وورغرانيان المائن ربّما قالوا: قسيدما لمرء المبراء وورغرانيان المائن ربّما كان ليقول ذلك. يستطيع دوق أن يكتب عام اسمان حجى حول أخلاق المجتمع الراقي فهنا لا تفيد القالب البلاء في عنى ويمكن لكتابان رجوا من عامة المبعب أن مخوز معنفة الارستقراطية. فمن تراء كان في هذه العالة البورجوازي الذي سمعه المبيد قد غيرامانته يقول، قصيد المبراء أيّه دونما شك لابعام شيامان ذلك ولكن ثمة قانوانا أمر في اللغة قوامد غيرامانته يقول، قصيد من يعمد من يعتمل عنها، أنه يبتش بون المعين المبراء أنه نشائي الم يتعدل معنى المبراء المبراء أن تعبير تتنامى إلى أسمان أن الم يتوافقوا في الأمر، ومثلما محمدت بلاركه في إحدى المنين أسمان على المبائن المال لم يتوافقوا في الأمر، وتقالمهم وزائة وأكثرهم تلذذا أن ليس موى رجل واحد يرونه ذكيا وعتما وهو بلوكه، والجملة نفسها على لمان العليد غيره من الشيان اللين المحاوم في المقد ذكيا وعتما وهو بلوكه، والجملة نفسها على لمان العليد غيره من الشيان اللين الميم يعرف المراء والمياء يضم المراء محل المراء محل المولان محل وبلوكه وسبب اسمهم الخاص، كانك ينتا ينبغي أن أسمم كثيراً عبارة وحيما يدم المروة.

وتابع الدوق قوله: ١٥١ عساك تبغين، مع الروح السائدة هنا يصبح الأمر قريب الإدراك.

فأجابت الدوقة: «الأمر مضبحك على وجه الخصوص إِذا نظرنا إلى أفكار والدته التي توهقنا من الصباح إلى المساء بـ«الوطن الفرنسي» .

- وأجل، ولكنّ واللته ليست وحيدة هناك، وينبغي ألا تروي لنا الأكانيب. هنالك امرأة لموب، بهلوانة
 من أسوأ طينة وهي أشد تأثيراً عليه وهي بالضبط من موطن «السيد دريفوس». وقد نقلت إلى «رويبر»
 عقليتها،»

وقال أسين الهفوظات الذي كان أمين اللجان المعادية لإعادة النظر في الدعوى: دما كنت ربّما تعلم ياسيدي الدوق أن ثمة كلمة جديدة للتبيير عن نمط التفكير هذا. إنّهم يقولون الذهنية، وهي تعني الشيء ذاته نماماً ولكتّما لايعرف أحد على الأقل ما الذي ترمي إليه. إِنّهَا الخلاصة وهآخر ما جادت به الفرائع، كما يقولون».

وإذ سمح في هذه الأنتاء اسم «بلوك» رآه يطرح أسئلة على السيد «دو نوريوا» باضطراب بعث بدوره اضطراباً مختلفاً في نفس المركزة ولكنه يساويه شدة. كانت ترتجف أسام أسين المحفوظات وهي تصطنع مناهضة «دريفوس» معه وتخشى ملامته إن هو تبين أنها استقبلت بهودياً ينتسب إلى حدّمًا إلى «النقابة».

وقال الدوق: «آما ذهنيّة، سأسجّل ذلك وأعود فأستخدم. (ولم تكن صورة بلاغيّة نقد كان الدوق يحمل دفتراً صغيراً مليناً «بالشواهد» وكان بعيد قراءتها قبل مآدب العشاء الكبرى. تروقني «الذهنيّة، هناك من هذا القبيل لفظات جديدة يطلقونها ولكنها لاندوم. لقد قرأت مؤخراً من هذا القبيل أن الكاتب يكون دمواهبياًه. هيّا افهم إن كنت تستطيع. وما عدت رأيت اللفظة ثانية.»

وقال مؤرّخ حركة التمرّد بنية المشاركة في الحديث: وولكنّ دذهنيّة أكثر استعمالاً من مواهمي، . فأتي عضو إحدى اللجان في وزارة التعليم العام وقد سممتهم يستخدمونها عدّة مرّات، وكذلك في ناديّ، نادي وفولنيه، وحيى في مأدية عشاء لذى السيد وأميل أوليفيده.

- وأمّا أنا الذي لم يحر شرف عضوية وزارة التعليم المام، يجيب الدوق قوله بحراضع متصنع، ولكتما يفعل بغرور عموق إلى حدّ أن قمه لايستطيع الحؤول دون أن يتسم وعينه دون أن ترميا المحضور بنظرات تعليم سرورا وبحمر من سخويتها المؤرّة للسكين، وأمّا الذي لم يحرّ شرف عضوية وزارة التعليم المام، يقول ثانية وهو يسفى إلى مايقول، وولائدي فوزيمه (فإني عضو في الاقتاد وفي نادي الفورسية فحسب... وسأل المؤرخ الذي استم في السؤال وقاحة قلما لم يفهمها أخد يرتمد كل عضو فيه: والست من نادي الفورسية ياسيه أن الذي لايتمشى حتى في منزل المبيد وأميل أولهنيمه فإنى أثر بأني ما كنت أعرف كلمة ودهنية، ويقيني أنك في معا حالي با وترسكوره... تعرف لماذا لايمكن إقامة الدليل على خيانة ودويفوس، ذلك لأنه فيما يبدو عليه أمرأة ولير الحرب، هذا ماتنافله الأفواء في الطلام.».

وقال السيد ددار جنكوره: ٥أه! ظننته عشيق امرأة رئيس مجلس الوزراء.»

وقالت الدوقة «دو غيرمات» التي كانت تصرّ أبداً، على صعيد المجتمع، أن نظهر للعبان أنها لائدع لأحد أن يقردها: «أراكم تتناورن جميعاً في ايلاي ضجراً قابلاً في هذه القضية. إنها لايمكن أن شحمل بالنسبة إلى تبعة على صعيد اليهود للسبب البيط الذي مفاده أن ليس منهم بين معارفي وأنا عازمة أن أطَلَ دوما داخل هذا الجهل المسيد، ولكني أرافي لا أطبق أن تفرض علينا وماري إيتازه أو وفيكتور بيينا، طائفة من زوجات لريد أو عبيد ما كنا لمرفق بصحة أنهن مستقيمات الرأي أو أنهن لا يتمن شيئاً من الباعة اليهود وأنه قد كب على شمسيتهن والمؤت لليهوده. لقد ذهب إلى منزل وماري إينازه قبل البارحة. كان بديماً فيما معنى، أمّا الآن فتجدين فيه كل الأشخاص الذين قضيت حياتك في تجنبهم بحجة أنهم معادون لـ ودينا في المؤترين لايخطر لك من حساهم يكونون، ع

وعاد الدوق يقول: ولا، إنها زوجة وزير الحرب، تلك على الأقلّ شاتمة تتناقلها الأفواه، وكان يستخدم على هذا النحو في التحديث بعض المبارات التي يظنّها متقادمة المهد. ووائناس يعلمون على آية حال أتني
ضخصياً أنكر التفكير للماكس تماماً فيما يخصر أبن عشى وجيليره لست إتفاعياً مثله، وقد أتنوّه مع زيجي إن
كان من أصدقائي ولملني أهمّ برأي الثالث أو الرابع كما أهتم بسنة الأريمين. بيد أنه ينبغي مع ذلك الإقرار
بأنك حينما محمل اسم ومان لو الاتعلهي باتخاذ نقيض أفكار عموم الناس الذين هم أشد ذكاء من فولتيره
وحتى من ابن أخي. ولاتصرف على وجه الخصوص إلى ما اسمية بهلوانيات رقة المشاعر قبل ثمانية آيام من
رقع اسمك إلى النادي! ذلك أمر صعب التمديق. لا، هي على الأرجح عاهرته الصغيرة التي جعلت الدم
يفلي في رأسه، فريّما اقدمته بأنه سيّم تصنيفه في عفاد والمثقفين، والمثقفون يشكلون الجواب الجامع في نظر

هؤلاء السادة. وقد أفضى ذلك إلى تلاعب بالألفاظ جميل إلى حدُّ ما ولكنَّة لاذع جداً.»

وذكر الدوق والسيد ١٩ دارجدكور، بصوت خافت جناً: Matter Semita ، (١²) وكانوا بالدخيقة يتناقلونها في نادي الفروسية، فمن بين جميع البذرات العبرّالة إنّما يشكل المزاح البذرة التي شدت إليها أصلب الأجنحة التي تمكنّها من التشت إلى مسافة أكبر بعيدًا عن مكان ظهورها.

وقال وهو يغير إلى المؤرّخ: وبوسعنا أن نستوضح السيد الذي يبدو لي واسع الأطلاع. ولكتما من الأوضاح السيد الذي يبدو لي واسع الأطلاع. ولكتما من الأفضل أن لا نتحدّث عن ذلك نظراً لأن الأمر خاطئ تساماً. لست في مثل طموح اينة عشي ومربوراه التي تندّعي أنّها تستطيع متابعة أنساب أمرتها قبل يسوع المسيح وحتى عشيرة ولاوي، وأشلن بمقدوري إقامة المليل على أنّه لم يكن ثمّة نقطة دم يهودي واحدة في عائلتنا. على أنّه يبني ألا يخدعونا، فمن المؤكّد أن آراء السيد ابن أخي الظريفة بمكن أن تثير ضجة في ولاندرنوه. أضف إلى ذلك ألافونسائه مريض وسوف ينولي ودوراس، كلّ شيء وتعلمين أنّه يعشق خلق الإرباكات، يقول الدوق الذي لم يفلح قطأ في معرفة المعنى التمقيدات لاصنوف الذي لم يفلح قطأ في معرفة المعنى

وقاطمته الدوقة قائلة: ووفي جميع الأحوال إن كان دريفوس، هذا بريمًا فإنه لايقيم الدليل على ذلك. فأنّه رسائل غيبًة مفخّمة بسطرٌ من جزيرته! لست أدوي إن كان السيد داسترهازي، أفضل منه ولكنّ له غير تأثّمة في طريقه سكب جمله وغير ألواله. ولابدّ أن ذلك لايسرّ أنصار السيد دريفوس. فيالمسيبتهم أنّهم لا يستطيعون استبدال بريء بيريء.»

وأغرق الجميع في الضحك، وسأل الدوق دو غيرمانت، السيدة ددر فيلباريزس، بشغف تقالاً: إعلى سمحت نكتة وأرويانه ؟ -- وأجل، وأجدها مضحكة جناً، و رما كان ذلك كافياً في نظر الدوق. -- وأمّا أنا فلا أجدها مضحكة ؛ أو بالأحرى لا يهمنّي على الإطلاق أن تكون مضحكة أو لا تكون، فلست أقيم أيّ وزن للظرافة، ورفع السيد دوارجنكرو، صونه بالأحجاء، فهمست الدوقة ثالفة: وإنه لايهمنك كلمة ممّا يقول». للظرافة، ورفع السيد دوارجنكرو، صونه بالأحجاء، فهمست الدوقة ثالفة: وإنه لايهمنك كلمة ممّا يقول». وذلك دونما شك لأنّي كتب عضواً في المجالس المنافقة المنافقة والمنافقة المنافقة الم

كان وبلوك، يحاول دفع السيد دور نوربواه إلى موضوع العقيد «بيكار». فأجاب السيد «دو نوربوا» قائلاً: الا اعتراض على أنّ شهادة العقيد أضحت ضروريّة ما أن تبادر إلى ذمن المحكومة إمكان أنّ يكون ثمة

 ⁽١) يفلن الدوق أن Semita تمنى يهودية قيما هي تعني الدوب وذلك تلاكيراً يكنية والدة ١٠١٥ لروء: مارسال(Semita)
 (١) يفلن الدوق أن كان عبري في عروق دسان لرو ١٤ يفسر متاسبونه لسة دويفوري.

سرً دفين. وأعلم أنبي دفعت بمساندتي هذا الرأي أكثر من واحد من زملامي إلى إطلاق صيحات البوم، ولكن المحكومة فيما أرى كان من واجبها أن تفسح مجال الكلام للعقيد. والمرء والمرع من مأزق كهالما بحركة بهلوانية فحسب أو هو يعرّض نفسه إذ ذلك للوفرع في ورطة. أمّا فيما يخص الضابط نفسه فقد أحدثت هذه الشهادة في البطسة الأولى الطباعاً مشجعاً جداً فحيتما رؤه يقبل مشلود الجسم في بزّة المفاصة بشرفي المسكري « (دوها هرّت صوت السيد «دو نوربوا» ارتماشة وطنية طفيفة) (تلك هي قناعتي، فلا يمكن أن نكر الذلاطياع كان عميقا،»

وفكّر وبلوك، في نفسه قائلًا: وها إِنّه من انصار ودريفوس، الم يعد ثـمة أدنى شك.

- ولكنّ ما أفقده كلياً مشاعر المطف التي استطاع أن يحوزها بادئ الأمر فمواجهته بأسين المحفرظات وغريدانه : ودغييلانه : فحدين تم سماع هذا المخادم المجوز، هذا الرجل الذي لا يملك إلا قولاً واحداً (وشدّد السيد «دو نربومة القناعات الصادقة على الكلمات التي تلت ذلك) ، وحين شوهد ينظر في عيني رئيسه ولايخشي أن يجابهه بحرج ويقول له بلهجة لاتقبل الردّ، وهيا آيها المقيد إنك تعلم تمام العلم أني لم أكذب في يوم وتعلم تماماً آتي في هذه اللحظة أقول الحقيقة شأبي على اللوامة، تغير اثجاه الربح وعبثا حرّك السيد وبيكاره الساعد وايكاره السعدة والكرش في الجلسات اللاحقة فقد أضفق اخطاقا تاناء

وقال وبلوك في نفسه: ولاء إنه بالتأكيد مناهش لـ«دريفوس»، والأمر متوقع. ولكن إن هو ظُن «بيكاره خالتاً يكلب فكيف بيمكن أن يأخذ في حسابه ما يذّيع من أسرار وبذكرها كما لو يجدّ فيها روعة وبطنها صادقة؟ فأما إن رأى فيه على المكس رجلاً صالحاً يتقذ ضميره فكيف يمكن أن يفترضه كاذباً في مواجهته بـدغربيلانه؟؟

وريّما غيم السب الذي من أجله كان السيد «دو نوربوا» يحدّث دبلوك» على هذا النحو وكأنما هما على النفاق عن أنه كان يناهض «دويفوس» إلى الحدّ الذي أضحى معه، وقد وجد الدول الاتاهضه مناهضة كانية، عدوًا للدولة بقدم ما كان مناصرو «دويفوس» درويما لأنّ للرضوع الذي كان يتعمل به في السياسة كانية، عدوًا للنبي كان يتعمل به في السياسة المرّ أكثر عمقاً بكثير ويقع في مستوى أخر تبدو مناصرة «دويفوس» منه بيثانة صيغة لا أهمية لها وليست أهلاً كان ستوقف وطنيًا همة الفضايا الخارجية الكبرى، ويتما بالأحرى لأنّ قواعد حكمته السياسية كانت عاجزة، وهي لاتنطيق إلا على مشكلات تتعلق بالشكل والأسلوب والمناسبة، عن حلّ الفضايا الأسابية عجر المطلق المؤرد في القليمة عن البن في قضايا الرجوده أو أنّ هذا المحكمة فضها جدلته يجد خطراً في خوض مثل يكمن في اعتقاده أن السيد «د نوربوا» كان باستطاعته، حي ولو كان أقل حداً في طباعه وأقل شكلية مطلقة في عقله، أن يقول له المختبقة، لو ناه ذلك، حول در و هدري، وويكاره ودو بائي طباعه وأقل شكلية مطلقة في عقله، أن يقول له المختبقة، لو ناه ذلك، حول در و هدري، وويكاره ودو بائي طباعه وكن مواسر الحجيم حول هده الأسلة، عن المناه المناه على نحو كلام، وحول على مناه المناه المناه على نحو تقيي أكثر الأصنة مناء، وكنّه كان يخول » يحسب أنّ السيد دو نوربوا» كان يستطع حداية ويجله المن إلا المناه أولى كان أقل المناه، وأنه المناه أن بشك بأن السيد دو نوربوا» كان برف الحقيقة السياسية يمكن أن تعبد بناها على نحو قبي أكثر الأصنة مناء، وكنّه كان يخول مناس الحقيقة السياسية ونائن، أن تكسب هذه اللذين يطلمان الزراء عليها. بيد أنه يندر، حي حينما تضمن الحقيقة السياسية ونائن، أن تكتب هاه

الأخيرة أكثر من قيمة صورة شماعية هحسب العائمة أن مرض المصاب مسطر فيها بكامل حروفه فيما تؤود هذه المستقي منها المستورة في الواقع بمحض عنصر تقويم ينضم إلى عناصر أخرى كثيرة يدحكم فيها الطبيب عقله ويستقي منها الصورة في الواقع بمحض عنصر تقويم ينضم إلى عناصر أخرى كثيرة يدحكم فيها الطبيب عقله ويستقي منها حينما وقصت فيما بعداء كيما نظل في نطاق قضية الدريفوس»، واقمة في مثل وضوح إقرار اهنري» الذي تلاه تتحاوه فقد فُسرت في المحال تفسيراً متاقضاً على يد وزراء من أنصار الدريفوس» وعلى يد وكافيناك عمتاقضاً تماماً في صغوف الوزراء المناصرين لـ ودريفوس» أنفسهم ومن ذوي المؤدن السيامي نفسه المندين لم ودريفوس أنفسهم ومن ذوي المؤدن السيامي نفسه المندين لم حكموا على المناسخ شريكا لم المحكموا على المناسخ ألم على المحكمة المناصرين في المحكم إلى ودي باتي دوكلام، فانضموا على هذا النحو إلى طرح خصمهم الاينينية وأصبحوا ونصيرهم الويناك، على طرفي نفيض. كلّ ما استطاع وبلوك استخلاصه من خصمهم الكينينية وأصبحوا التصيره الويناك، على طرفي نفيض. كلّ ما استطاع وبلوك استخلاصه من المبد ودروشهروه القيام بمكالمة المناح الهياء بعيد.

- فالمكن ثابتا لديك أن وزير الحرب لابد نفر رئيس أركانه على الأفل في قرارة نفسه، لألهة جهناً..
 وما كان الشجب الرسمي فيما أرى ليؤلف قولاً نافلاً. ولكن وزير المحرب يجر عن ذلك أثناء الشواب بفجاجة.
 نمة على آية حال موضوعات يبدو من التهوّر أن نبعث من حولها اضطرابات لاستطيع فما بعد الاستمرار في السيطرة عليها.

وقال الملوك، الولكن هذه للستندات بادية الزيف.

ولم يحر السيدددو نوربوا، جوابا ولكته أعلن أنّه لا يوافق على تظاهرات الأمير دهنري دورليان، :

ه إلله لايمكن على أية حال إلا أن تعبث يهدوء المحكمة وتشجع اضطرابات قد تدعو إلى الأسف في هذا الاتجاه أو غيره سواء بسواء. ينبقي باللتأكيد أن نضم حنًا للدسائس المعادية للمسكر، بيد أثنا كذلك في غفى عن فوضى تشجعها جماعة من عناصر اليسين يفكّرون في استخدام الفكرة الوطنية عوضاً عن أن يخدموها. وفرتمه ليس، والحمد لله، من جمهوريات أميركا الجربية ولاتمس بها الحاجة إلى لواء يقوم بانقلاب،

. ولم يفلح داوك في حمله على التحدّث عن قضية مسؤولية دوريفوس، الجرمية ولا على التبؤ بالمحكم الذي قد يصدر في القضية المدتية الجارية حالياً. وبدا في مقابل ذلك أنّ السيد دور نوربواه يغيط باعطاء تفاصيل حول عواقب ذلك الحكم، فقال:

وإن كان أمّه إدانة فالأرجع أنّها ستقض إذ يندر في دعوى تكثر فيها شهادات الشهود إلى هذا الحدّ ألاً يكون هناك أخطاء اجرائيّة بمكن أن يعجع بها المحامون. وكيما أقول كلمتي الأخيرة حول تهجم الأمير «هتري درايانه فلي أشل كثيراً أن يكون والده قد ارتضى ذلك.»

وسألت الدوقة وهي تبتسم مستديرة العينين، محمرة الوجنتين نفسس أنفها في قصمة الحلوى ويعلو وجهها الاستنكار: وأنطش هشارتره إلى جالب «دريفوس»؟ - ولا على الإطلاق، لقد قصدت أن أقول فقط إذ في العائلة كلها من هذه الناحية، حساً سياسياً أمكن أن نلاحظ أقصى درجاته لدى الأميرة الرائمة «كليماتدين» وقد احتفظ به ابنها الأمير ففردينان» بمثابة تركه ثمينة. وما كان أمير وبلغاريا» ليضم بين ذراعيه القائد واستراهازي». – فلمله كان يفضل جندياً بسيطاً، تقول السيدة ودر غيرمانت، هامسة، وكثيراً ما كانت تتناول طعام العشاء برفقة البلغاري في منزل الأمير وهو جواففيل، وقد أجابته ذات مرة إذ سألها إن لم تكن غيرى: «بلى، باصاحب السيادة، من أساورك».

وقال السيد «دو نوريوا» للسيدة «دو فيلباريزيس» كيما يضع حلًا للحفيث مع «بلوك»: «ألا تذهبين هذا المساء إلى حضلة السيدة «دو ماغان» الراقصة»؟

وما كان هذا الأخير ليسوء في عين السفير الذي قال لنا فيما بعد بشيء من السذاجة ووزما شك بسبب بعض الآثار الذي ظلت في لغة وبلوك من الطراز الهرميروسي الجديد، مع أنه كان قد هجره: وإنه مسل إلى حدّ ما بطريقته في التحدّت بكلام متقادم المهد بعض الشيء ورسمي إلى حدّ ما. وما هو إلا القليل ليقول: والمالمات الشقيقات، (١) على غرار والامارتين، ووجان باتيست روسوه. لقد أضحى الأمر نادراً إلى حدّ ما لدى الشباب الحالي وقد كان نادراً حتى لدى من سبقهم، لقد كنا بدورنا ومانتيكيين بعض الشيء، ولكن مهما بدا الحدث غرباً فقد وجد السيد دو نورواه أنّ الحديث جاوز الحدود.

فأجابت بابتسامة حلوة على شفتي امرأة عجوز: \$لا ياسيدي ماعدت أذهب إلى الحفلات الراقصة. فهل تذهبون أنتم ؟٥ وتضيف قولها وهي تشمل بالنظرة نفسها السيد «در شاتيللرو» وصديقه و«بلوك»: «ذلك يناسب عمركم. ولقد دهيت بدوري،» تقول وهي تتظاهر بالتفاخر في سبيل للزاح. «لقد جاء حتى من يدعوني» (وومن، تمنى الأميرة «دو سافان»).

وليس لديّ بطاقة دعورة ، يقول وبلوك غطّ منه أنّ السيدة (دو فيليارينس) سوف تقدّم له بطاقة وأنّ
 السيدة (دو ساخات) متسعد باستقبال صديق امرأة جادت تدعوها بشخصها.

ولم مخمر المركزة جواباً ولم يلح «لهوك»، إذ كان لديه مسألة أكثر جدية يبغي معالجها ولياها وقد طلب منها منذ قليل في هذا السبيل موعداً لما بعد ألغد. كان بيني سؤال السيدة «دو فيلباريزس»، بعدما سمع الشابين يعلنان أنهما قدَّما استقالتهما من نادي الشارع الملكي حيث يدخل المرء وكأنّما إلى طاحوية، أن توعز بقبوله فيه.

وقال بسخرية جارحة: «أليس آل «ساغان» على شيء من الأناقة الزائفة وبعض السنوبيّة على الحواشي، ٢

وأجنب السيد ددار جنكور؛ وكان قد تبنى كل صنوف المزاح الياريسي: ولا على الإطلاق، إنّه خير ما نصنع من هذا القبيل؛

وقال «بلوك» نصف هازئ: «ذلك إذن ما يدعى واحداً من احتفالات الموسم الرسمية والمؤتمرات؛

⁽١) نقصد تسبيق الصفة على الموصوف كما هي الحال في الشعر.

المجتمعيّة الكبرى!

وقالت السيدة ددو فيلباريزيس، جذلانة للسيدة ددو غيرمانت،:

- هاتي نرّ، هل حفلة السيدة دو ساغان، الراقصة احتمال مجتمعيّ كبير؟،

فأجابت الدوقة بلهجة ساخرة: الاينبغي أن تسأليني عن ذلك لأني لم أقلح بعد في معوفة ما عسى يكون الاحتفال المجتمعي. وأمور المجتمع على آية حال ليست ما أستار به ٤

وقال «بلوك» الذي تبادر إلى ذهنه أنَّ السيدة «دو غيرمانت، قد قالت كلاماً صادقًا: «آه! كنت أحسب المكس،»

وتابع يطرح العديد من الأسئلة على السيد «دو نوربوا» حول مسألة «دريفوس» تما أثار اغتصامه. وقد أعلن هذا الأخير أن العقيد «دي باتبي دو كالام» كان بيدو له لاَوَّل وهلة وكأنه مقل غامض وربّما سلم بعصن اختياره للقيام بهذا الأمر الدقيق الذي يقتضي الكثير من رباطة الجائر ونفاذ البصيرة، عنينا التحقيق.

- وأعرف أن الحزب الاشتراكي يطالب عالياً برأسه وكذلك بإخلاء سبيل سجين جويرة ابليس فوراً. ولكنه أن أثنا لم نرخم بعد على الانصباع لإرادة السيد وجيرو ريشارة وشركائه. وإنسا هذه المقضية حيى الآن ما لمذكلة العربيمة. لسبت أنكر أنه لايلمن إنخفاء فضائح بشعة إلى حدّما من هذا الجانب وذاك على حدّ سواء بل أن يستطيع بعض نصواء عميلك غير المتحازين إلى حدّما أن يبدوا مقاصد طبية، فلست أزعم عكس مواء بل أن يستطيع بعض نصواء عميلك غير المتحازين إلى حدّما أن ايدوا مقاصد طبية، فلست أزعم عكس في قبضة زمر اليسار أكثر تما يقع عليها أن تسلم مكيلة الانذارات مالست أدري من جيش عاص بالمخاكم في قبضة زمر اليسار أكثر تما يقتل المتحرف المتحرفة بها النظر في الدعوى. واضحة وضحة وضح وضح المشحس والمطالمة بذلك تعني اقتحام أبراب مفتوحة. وستعرف المحكومة يومها كيف تتكلم عالياً بوضوت أو مي تسمح بهالهلة ما يشكل امتيازها الأسامي. ولن يكني من بعد اللفو الذي لامتي لم اولابد من توفير قضاة لم ودريفوم. وسيكون الأمر سهلا لأنه، على الرغم من العادة المتحافة في فرنسه الحيا بياتها المحلمة على الاعتقاد بأن لابذ كيما تبلغ الأسماع المنا المحقيةة والعدالة من اجبياز بحر المائن، وهو مالا يعلو في المناف المؤتمة والعدالة من اجبياز بحر المائن، وهو مالا يعلو في الفائد التحقية والعدالة من اجبيان ولكن هل منفطح في الإصفاء لهذه المحكومة بعدما تتحرك الدعوم الخواني؟ وهل مستطيع ألا تعسم الأناه ؟

كان السيد دو نوربوا، يطرح تلك الأسقلة على دبلوك، بعنف يدغدغ مشاعر رفيقي فيما يمث في نفسه. ذلك أن السفير كان يبدو وكأنه يتوجّه من خلاله إلى حزب بأكسله، كأنه يسائل دبلوك، وكأنّما نم تزويده بأسرار ذاك الحزب وكان بمقدوره الاضطلاع بمسئوولية ماقد يتخذ من قرارات. وأردف السيد دو نوربوا، قوله دون أن ينتظر إجابة دبلوك، الجماعية: دفإن لم تهدأ نفسك وإن افقق أن انقلت، حتى قبل أن

يجفُّ حبر المرسوم الذي يحدُّد إجراءات إعادة النظر في الدعوى، إلى ما لست أدري من شعار ماكر فلم تهدأ نفسك بل قبعت في معارضة عَقيمة تبدو لبعضهم وكأتها «I'ultımaratio» (المحجة الأخيرة، في السياسة وإن انسحبت إلى خيمتك وأحرقت سفنك فسوف يكون ذلك وبالأ عليك. فهل أنت سجين مسببي الفوضى؟ وهل قدَّمت لهم ضمانات؟؛ وحار إيلوك؛ في الجواب، ولم يدع له السيد «دو نوربوا؛ متسما لذلك. وفإن كان النفي هو الصحيح، كما عزمت على اعتقاده، وإن انفق لك قليل مما يفتقر له لسوء الحظ بعض قادتك وأصدقائك، شيء من الروح السياسية، وإن لم تسمح، في اليوم الذي تَحال فيه الدعوى إلى غرقة الجنايات، بأن يجنَّدك الصيَّادون في المياء العكرة، فَسُوف تكسب الجولة. ولست آخذ على عاتقي أن تستطيع مجموعة الأركان بأسرها أن تتخلص من الورطة، وجميل جلماً إن استطاع قسم على الأقلّ أن يحفظ ماء الوجه دون أن يشمل الحريق. وبديهي على أيَّة حال أنَّه إِنِّما يعود للمحكومة أن تعلن الحقُّ وتختم اللائحة الطويلة للجرائم التي لم تلقَ عقابها، لا بأنصياعها بالتأكيد للتحريضات الاشتراكية ولما لا أدري من صنف العسكرة، يضيف قولُه وهو ينظر في عيني فالموك، وربَّما بالغريزة التي يمتاز بها حميع المحافظين في أن يهيئوا لأنفسهم أعواناً في معسكر الخصم. ﭬوالنشاط الحكومي ينبغي أن يتم دون الاهتمام بالمؤاودات أيّا كان مصدرها. والحكومة، لله الحمد، لا تأمر لا بأوامر العقيد ادريان، ولا بأوامر السيد اكليمانصو، في القطب الآخر. لابد من قهر ممتهني الشغب والحؤول دون أن يرفعوا رؤوسهم. إن فرنسه في غالبيتُها العظمي ترغب أن تعمل داخل النظام! ولقد قرُّ قراري بهذا الشأن. ولكنما ينبغي ألا نخَشي تنوير الرأي العام، وإن ارتمى بعض الخراف، من الصنف الذي عرفه ورابليه، نمام المعرفة، مغمض العينين في الماء فاتَّما يجدر أنَّ تبدي لهم أن هذا الماء عكر وقد تَم تعكيره عن قصد على يد أوغاد لبسوا من ديارنا بغية تخفية قاعها الخطير. ويجدر بها ألا تتظاهر بالخروح من سلبيتها مكرهة حينما تمارس الحق الذي هو في الأساس حقها، وأعنى تخريك صاحبة السمو العدالة. سوف ترتضي المحكومة مقترحاتكم كافَّة. فان كان ثابتا أن ثمة خطأ قضائياً فسوف تضمن له أغلبية ساحقة تسمح له بحرية e. 25 ml

وقال «بلوك» وهو يلتفت إلى السيد «دار جنكور» وقد سبق أن ذكروا اسمه أمامه مع بقية الناس: «وأنت، ياسيد، إنّك من مناصري «دريفوس» بالتأكيد، فالجميع هذه حالهم خارج خارج البلاد.»

- وتلك قضية لاتخصّ سوى الفرنسيين فيما بينهم، أليس كذلك؟ يجيب السيد وطارجكور، بهذه الوقاحة النفاصة التي قوامها أن تحمّل محدّلك رأيا تعلم بصراحة أنّه لا بشاطرك إيّاء بما أنّه أبدى منذ قليل ,أيّا مماكك.

وكست الحمرة وجه وبلوكه؛ وابتسم السيد الارجنكورا وهو ينظر من حوله، والتن كانت الابتسامة أثناء ما وجهها إلى الزوار الآخرين محملة بالإساءة بحق وبلوك فقد لطفها ببعض المؤدة إذ حط بها أخيراً على صديقي كي لايدع لهذا الأخير حجة الاختياظ من الكلمات التي سمعها منذ قليل والتي ظلت مع ذلك قاسية. وقالت السينة ادو غيرمات، شيما في أذن ودارجنكورا لم أسمعه إلا أنه كان لابد ذا علاقة بدين وبلوك! إذ مر على وجه الدوقة في تلك اللحظة ذلك التعبير الذي تضفي عليه الخضية من أن يلاحظك الشخص الذي تتحدّث عنه شيئاً من الثردد والزيف وتمتزج به الفيطة الفضولية المحملة سوءاً التي توسمي بها جماعة بدرية نحص أننا غرباء صنها كلياً. والنفت دبلوك، ناسية الدوق دائيلاره يغي التعويض على ذاته وقال: «أنت آيها السيد ذو الجنسية الفرنسية، إنّك تعلم بالتأكيد أن الناس بناصرون دوريفوس، مع أقهم يرعمون أقهم في فرنسه لايدرون البتة ما يجري في البلدان الأجنبية. وأعلم من ناسية أخرى أنه يمكن التحدّث إليك، نقد قال لي ذلك دمان لوء ولكن الدوق الشاب الذي كان يحرى بأن التجميع أحنوا يقفون ضد ويلوك والله كان كان يحرى بأن التجميع أحنوا يقفون ضد بالموق المال عقل وهو يلها على أيّة حال إلي طبقة متحللة المجارعة بدون شاروس، : اعفرني ياسدي ألا أتأتش إلهاك حول جارحة يدو شاروس، : اعفرني ياسدي ألا أتأتش إلهاك حول درية من اللهام قال وهو يلها المثال المتنقش بالمراكبة والمواجهة والمواجهة بعض المهمة دوريفوس، فلكن المجل المواجهة الله يدول والمنابة المجارية والمهم المجارة ونها شائل علم المعام المواجهة المنابقة المعاملة المواجهة المنابقة المعاملة المنابقة غير مالهي؛ وولكن يكف استطعت أن تعرف؟ بالمحاف قال المالة ومن حالة ولما كان ابن محكوم بالأحكان القاطة غير مالهي؛ وولكن يكف استطعت أن تعرف؟ بالشخط بالنه في سيد قال كان ابن حكوم بالأشخال الشافة. ولما كان المدة من جهة ثالية لايوسي بالضبط بأنه مسيحي وكلك وجهه ققد كانت وهنت عظهم خينا مراسلة المنابة المنابة.

ولما لم يرضه ما قاله له السيد «دونوربوا» تمام الرضى فقد اقترب من أمين المحفوظات وسأله إن كانوا يشاهدون أحياناً في منزل السيدة «دو فيلباريزيس» السيد «دي باني دو كلام، أو السيد «چوزيف ريناك، ولم يجب أمين المحفوظات بشيء، فقد كان وطني النزعة ولايفتاً يتكهن للمركيزة أن حرباً احتماعية ستقوم عما قليل وأنَّه يجدر بها أن تكون أوفر حذراً في انتقاء أصدقائها. وتساءل إن لم يكن «بلوك» رسولاً خفيًا للنقابة جاء لينقل إليه الأخبار، ومضى في الحال يردّد للسيدة دو فيلباريزيس، تلك الأسئلة التي طرحها عليه وبلوك، منذ قليل. وَحكمت أنه على الاقلُّ سيع التهذيب وربَّما كان خطراً على وضع السيد دو نوربوا، وكانت تريد أخيراً أن ترضي أمين المحفوظات، وهو الشخص الوحيد الذي يوحي إليها ببعض المخافة والذي كان يلقتها المبادئ دون أن يلقى نجاحاً كبيراً (كان يقرأ عليها في كلّ صباح مقالة السيد اجوديه، في الصحيفة الصغيرةه). لقد أرادت إذن أن تلفت نظر «بلوك» إلى أنَّه يقع عليه ألاَّ يمود وعثرت على نحو طبيعي جدًّا في مجموعتها الاجتماعية على المشهد الذي تطرد فيه سيدة كبيرة أحدهم من منزلها، مشهد لايتضمن الاصبع المرفوع والعينيين اللاهبشين اللتبين نتخيِّلهما. ففيما كان «بلوك» يقترب منها ليودِّعها بدت، وقد غاصت في مقعدها الواسع، وكأنَّما تستفيق من اغفاءة غامضة. ولم ثرسل نظراتها سوى الوميض الواهن البديع الذي ترسله الوالوة. ولم ينتزع وداع ابلوك، وكاد لاينشر على محيًا المركيزة ابتسامة واهنة، لم ينتزع منها كلمة واحدة ولم تمدُّ إليه يدها. وقد بلغ هذا المشهد بـ٩بلوك، أقصى درجات الدهشة، بيد أنَّه لم يظنَّ، بما أن حلقة من الاشخاص كانت شاهدة على ذلك من حوله، أنَّه يمكن لها أن تطول دون أن تلحق الأذي به، وكيما يرغم المركزة فقد مدّ من تلقاء نفسه اليد التي لم يقبل من يأخذها منه. واغتاظت السيدة دو فيلباريزيس. ولكنّها شاءت دونما شك، فيما اهتمت أن مخوز في الحال رضى أمين المحفوظات والمجماعة المناوثة لـ ٥دريفوس، أن تراحى المنتقبل فاكتفت بخفض جفنيها وبأن أغمضت عينيها نصف إغماضة.

[﴿] ١) ابناء يافث ويقصد اليهود.

وقال وبلوك، لأمين المحفوظات الذي النخذ هيئة غاضبة إذ شعر أنّ المركزة تسانده: وأظنّها نائحة. ثم صرخ قائلاً: وولماً بإسيدتي».

وقامت المركزة بالحركة الخفيفة التي لدفقي محتضرة نود أن نفضح فمها ولكن نظرتها لم تعد تتمرف شيعاً. ثم التفتت، نفيض حياة مستعادة، نحو المركز ودارجتكوره فيما كان وبلوك يتعد وقد أيقن أنّ الخرف نال منها. وعاد ليزما بعد يضمة أيّام وقد تسلكه الفضول والعزم على ايضاح حادثة غربية إلى هذا الحدّ. فاستقبلته أحسن استقبال لأنها كانت امرأة طبية وأن أمين الحفوظات لم يكن هناك وأنّها مخرص على المشهد الصغير الذي يزمع وبلوك أن يدعو إلى تمثيله في منزلها ، وأنها في نهاية المطاف قد قامت بدور السيدة الراقية التي كانت تتوق إليه والذي أثار اعجاباً شاملا رتمايقات في العشية نفسها في صالات مختلفة ولكن وفق رواية لم يعد لها مذذك أي صلة بالحقيقة.

- وكنت تتحكين عن والأميرات السبع» أينها الدوة، تعلمين (ولست لذلك أكثر اعتزازا) أذ مؤلف هذا.. ماذا عماي أقول، هذه الأميرية هو أحد مواطني بلدي»، يقول السيد دوارجتكوره بسخرية يخالطها الاعتزاز بأن يعرف أفضل من الآخرين مؤلف عمل فني جرى الحديث عنه منذ قليل. ويضيف قوله: وأجل، أنه بليجكي، وتلك مهنته.

- وحقا؟ لا. لسنا تتهمكم أن تكونوا على شيء من والأميرات السبع، واتكم، لمحسن حظك وحظ مواضل مواضليك، لاتشههون مؤلف هذه السخافة. إني أعرف بالمبيكيين محبين جنا، أنت وملككم، وهو نحبول بعض الخبر ولكنه يفيض ذكاء، وأبناء أعمامي الينبي، وكثيرون غيرهم، ولكنكم لحسن الحظ لا تتكلمون اللغة نفسها التي يتكلمها مؤلف والأميرات السبع، وإن شنت، على أي حل، أن أقول لك فإن الحديث عها مثالاة لأنها لاشيء بوجه الخصوص. إنهم جماعة يعاولون أن يظهروا بمظهر الغموض ويتلبرون أمرهم ليدوا لأنها لاشتفا صحاء فكرهم، وأضافت بلهجة الجد: ولملني كنت أقول لك، لو أن خلف القشور شياء إني لا أشعى معنوف الجرأة بما أن ثمة فكرا. لست أدري إن كنت أعامات مسرحة وبريالمي». هناك من صدموا من جراء ذلك، أما أنا فأثر ولم بلغ بي الأمر أن أرجع، تضيف قولها دون أن تيرا أنها لا تعدود قاما واللأميرات السبع، اوجها تغذل إحداميً محدود قما واللأميرات السبع، اوجها تغذل إحداميً موضوة ومودت الأمر شياراً إلى ملا حدود قاما واللأميرات السبع، اوجها تغذل إحداميً مناوي ومودت الأمر شياراً المعام بمشاعري الماللية حدّ....

وتوقفت اللدوقة فجأة لأن سيدة دخلت وكانت الفيكرتيسه دو مارسانت واللدة وروبيره. كانوا يمدّرن السيدة ودرمارسانت، واللدة وروبيره. كانوا يمدّرن السيدة ودرمارسانت، في حيّ وسان جيرمانه بمثابة كائن متغرق يتمتع بلطف وتسليم ملاكجين. لقد سبق أن قبل في ذلك وما كان لديّ أي داع خاص لأدهش للأمر إذ لم أكن أعلم في ذلك الوقت أنها شقيقة المدوق و در غيرمانت، حقّا. ولقد أصابتني اللهمتة فيما بعد كلّ مرّة بلغني فيها، في هذا المجتمع، أن نساء كينات نقيات مضحيّ بهن مكرهمات شأن قبيسات مثاليات على زجاج الكتائس قد نبتن من الأصل الإنساني نفسه الذي أنب الأمقاء والشقيقات، يوم يتمثلون تماماً في الرجه كما كان شاك والحدة ودر مارسات، وإنما ينبغي أن يملكوا عقلاً وإحداً وقاباً أنه المحكوا عقلاً وإحداً وقاباً واحداً كما هي حال شخص يمكن أن تنقق له لحظات سعد أو نحس إلا أنه لايمكن مع ذلك توقع رؤي

واسعة له إِن كان محدود العقل وسمواً في انكار الذات إِن كان قاسي الفؤاد.

كانت السيدة ٥دو مارسانت، تتابع دروس (برونتييره، وكانت تثير حماسة حيَّ ٥سان جرمان، وتوفر له إلى ذلك، بفضل سيرتها الورعة، القدوة الصالحة. على أن رابطة الشكل في الأنفُ الجميل والنظرة الثاقبة كانت تدفعني إلى تصنيف السيدة دو مارسانت، في أسرة شقيقها الدوق العقلية والأخلاقية نفسها. وما كنت أقوى على الاعتقاد بأن محض كونها امرأة وأنّها ربّما سبق أن كانت تميسة وأن الجميع يقفون إلى جانبها يمكن أن يجعل منها كاتناً يختلف إلى هذا الحدّ عن ذويه كما هي الحال في القصائد الملحميّة حيث تتجمّع كلُّ الفضائل والمحاسن لشقيقة إخوة أفظاظ. كان يخيَل إليَّ أنَّ الطبيعة، وهي أقلَّ حربَّة من الشعراء الأقدمين، لابدً أن تستخدم بما يقارب الحَصر العناصر المشتركة في الأسرة وما كان بمُقدوري أن أخصُّها بسلطان معين في التجديد تصنع بموجبه عقلاً واسعاً لاتشوبه شائبة غباء وقديسة لاتلوّنها لطخة قسوة بموادّ مشابهة لتلك التي تؤلف غبيًا عليظ القلب. كانت السيدة دو مارسانت، ترتدي فسطاناً من الحرير الهندي الأبيض بسبلات عريضة تبرز فوقها زهرات من القماش، وكانت سوداء. ذلك لأنّها فقدت لثلاثة أسابيع خلت ابن عمها السيد «دو كونمورانسي» ، الأمر الذي ما كان يحول دون أن ثقوم بزيارات وأن تذهب إلى حفلات عشاء صغيرة ولكن بثياب الحداد. كانت سيدة راقية، وكانت نفسها يملؤها بالوراثة طيش ضروب العيش في البلاط بكلٌ ما يعمرها من سطحية وصرامة. لم تتجمّع للسيدة ددو مارسانت، القوّة لتأسف فنرة طويلة على أبيها وأمّه ولكنّها ما كنت لترتدي أثواباً ملوّنة في الشهر الذي يلي وفاة ابن عمّ لها أيّة كانت الظروف. لقد أبدت لي ما كان أكثر من اللطف لأنني كنت صديق «روبير» ولأثنى لم أكن من مجتمع «روبير» نفسه. كانت تلك الطبية تقترن بخجل متكلف بما يشبه حركة التراجع المتقطع في الصوت والنظرة والفكر الذي يردّه المرء إليه كمثل تنورة غير محشمة، كي لا مختل حيَّزاً أكبر وكي نظل مستقيمة تماماً حتى في إطار المرونة كما يفرض ذلك حسن التهذيب. حسن التهذيب الذي ينبغي أن لا نبالغ في فهمه بمعناه الحرفي على أيّ حال، إذ سرعان ما كان يتبجه العديد من أولئك السيدات ناحية التهتك الأخلاقي دون أن يفقدن في يوم لياقة في السلوك طفولية تقريبًا. كانت السيدة «دو مارسانت» تزعجك بعض الشيء في الحديث لأنَّها كانت تقول كلما تعلق الأمر برجل من العامة، بـ ايبرغوت، والملستير، مثلاً، كانت تقول وهي تبرز الكلمة، وهي تظهرها وترتلها بلحنين مختلفين في تنفيمة خاصة بآل ه غيرمانت، القد حرت الشرف، عظيم االششرف، في لقاء السيد وبيرغوت، في التعرّف بالسيد وايلستيره، إمّا لتحمل على الإعجاب باتضاعها وإمَّا عن ذات الميل الذي كان لدي السيد ودو غيرمانت، في العودة إلى الصيغ المهجورة ليعلن معارضته للعادات التي تتسم بسوء التهذيب المحالي الذي لايعلن المرء فيه أنَّه وتشرَّف؟ إلى حدُّ كاف، أيًّا كان السبب الحقيقي من بين هذين السببين فقد كنت تحس في جميع الأحوال أن السيدة ودو مارسانتُ، محسب حينما تقول: ولقد حزت والشرف، عظيم الششرف، أنَّهَا تنهض بدور عظيم وتبرز أنَّها مخسن استقبال أسماء الرجال ذوي الشأن كما لعلَّها كانتُ استقبلتهم بذاتهم في قصرها لو اتفق لهم أن يقيموا في الجوار. ولما كانت أسرتها من جهة ثانبة كبيرة العدد وأنها كانت تخبُّها حبًّا جمًّا وتبغي، وهي بطيئة الإلقاء مغرمة بالإيضاحات، أن توضح مواطن القربي، فقد كان يتفق لها (دون آيّة رغبة في الإدهاش وفيما لا مخبّ صادقة سوى التحدّث عن فلاَّحين يهزّون المشاعر وخفراء صيد شرفاء) أن تذكر في كلّ لحظة جميع الأسر المعتقة من سلطان الملوك في أوروبا، الأمر الذي ما كان ينتفره لها من كانوا أقلَّ شهرة، ويهزؤون منه على أنَّه من السخافة إن كانوا على قدر قليل من الثقافة.

كانت السيدة دو مارسانت، موضع عشق في الريف من جراء الخير الذي تفعله، وعلى وجه المخموص لأنّ صفاء السيل الذي لم تعد تلقى فيه منذ عدة أجبال إلا أعظم ما في تاريخ فرنسه قد خلص سلوكها من كلّ ما تسميه عامة الشعب وتكلّفاه وأولاها الساحلة التامد في كانت تحضى أنّ ناخذ في أحضائها امرأة مسكينة حالفتها الصاحفة وتطلب إليها أن تمني لتأتي بعربة أحطاب من القصر. لقد كانت فيما يقال مثال المسيحة، وكانت حويصة على أن تزرج وربيره زواجاً طائل النزاء. وإثما يعني أن تكون سيدة واقية تمثيل دور المسيدة الراقية، يعني التظاهر بالبساطة. وإنّها المبة تكلف ثمناً غالباً جناً، فضلاً عن أن البساطة من لانتحر المنافزات إلا بمرط أن يعلم الأخورت أنه يمكن ألا تكونوا بصفاء، يمن أنّكم طائلو النزاء. لقد قبل لي فيما يعد حينما روحت أنني شاهبتها؛ وأنت لا أنت رائمة، ولكن الجمال الحقيقي خاص وجليد إلى حدّ أنّك لا تصرفه على أنّ الجمال المقيقي خاص صفي آجناً ويعين زفاين جاكل اليوم إنّ لها أنتأ

وقالت السيدة ددر فيلما يزيهس، للمدوقة ددر غيرمانت.: «أسمعي أطان آبي سأحظى عما قالمل بزيارة امرأة لاتربندين التعرّف بها، وأفضل أن أخطرك كي لايزعجك الأمر. يمكن أن تطمئني على آية حال فلن استقبلها البئة في منولي فيما بعد، ولكنها ستجيء اليوم لمرّة واحدة. إنها زوجة «سواك».

كانت السيدة وسوائه، إذ رأت الأبعاد التي تتخدها قضية «دريفوس» وخديت أن تنقلب منابت زوجها ضداما، قد توصلت إلى أبعد من ذلك حيدما لايكون حاشراً فتجهم بأنث الوطنية عنداً. وإنحا كانت تتأثر في ذلك على أية حال خطى السيدة وفيردورانه التي حاضراً فتجهم بأنث الوطنية عنداً. وإنحا كانت تتأثر في ذلك على أية حال خطى السيدة وفيردورانه التي مستقط في نفسها عداء للسامية كانت أعمده في التشكل وأقامت علاقات مع عديد من جماعة الارستقراطيين. وربما بدا على أن تكون دوقة وغيرمات، على صدائتها المنية فـ مسوانه، قد صملت درماً، بدلاً من أن تقلدهم، في حياً أن تكون دوقة وغيرمات، على صدائتها المنية فـ مسوانه، قد صملت درماً، بدلاً من أن تقلدهم، في وجه الرغة التي ملى أثنا سنرى فيما بعد أن الأمر كان تتبحة لطباع وجه الدوة الخاص كان تنبحة لطباع المستهد ما الدوة الخاص كان تتبحة لطباع المستهد ما الأمر كان تتبحة لطباع المستهد ما الأمر كان تتبحة لطباع المستهد ما المراقة الاحتماعية الاحتماعية إلى الهدد على أن الأمر أو ذلك وكانت تفرض فرض المستهد ما أثرته وارادتها الحراة الاحتماعية الاحتماعية إلى الهدد على المستهد ما وراة المستهد ما وراة وراة المستهد ما المستهد ما وراة وارادتها الحراة الاحتماعية الاحتماعية إلى الهدد على المنابعة المستهد على المستهد ما وراة وراة المستهد على المستهد عالم المستهد على المستهد عالم المستهد عالم المستهد على المستهد عالم المستهد عليه المستهد عليه المستهد على المستهد عليه المستهد على المستهد على المستهد على المستهد على المستهد عليه المستهد على المستهد على المستهد عالم المستهد على المستهد

وأجابت الدوقة: فأشكر لك ألك أخطرتني، فلملّ الأمر يزعجني بالفعل أشدّ الإزعاج. ولكنّي سأنهض في الوقت المناسب بما أتّي أعرفها بالوجمه.

وقالت السيدة دو مارسانت؛ وأؤكد لك يا وأوريان؛ أنَّها ممتعة إلى حدَّ بعيد، إنَّها امرأة ممتازة، .

- ولاشك في الأمر ولكنِّي لا أشعر بأيَّة حاجة إلى التأكد من ذلك بنفسي.

وسألت السيدة «دوفيلباريزيس» الدوقة بغية الحديث: «هل أنت مدعوّة لدى السيدة «اسرائيلز»؟

فأجابت السيدة دو غيرمانته: ولكنّي لله الحمد لا أعرفها. والأجدر أن نسألني دماري إيناره عن ذلك، فأنّها تعرفها وقد تساعلت دوماً عن السبس».

وردت السيدة «دو مارسانت، قائلة: «لقد عرفتها بالفعل، وإنِّي أقرِّ بأخطائي. ولكنِّي مصمَّمة ألا أعرفها

من بعد. يبدو أنها من أسوأهن وأنها لاتخفى ذلك. لقد جاوزنا جميعنا على أية حال حدود الثقة والضيافة. ولن أتردد من بعد على أيّ من هذه الأمّة. ففيما كان لنا ابناء عمّ قدامي في الريف نفلق الباب دونهم كنّا نفتحه لليهود. وإنَّنا نشاهد اليوم امتنانهم. ليس لديٌّ ما أقوله، واأسفى! إن لي ابناً رائماً يجود في جنونه الفتي السيدةً «دو فيلباريزيس» قائلة: «ولكن، أما رأيت «روبير»، إذ نحن بصدد الحديث عنه؟ لقد ظننت، بما أنَّ اليوم سبت، أنَّه ربُّما كان باستطاعته قضاء أربع وعشرين سَاعة في باريس، ولعله كان جاء بالتأكيد في هذه الحالة لبشاهدك. ٥.

كانت السيدة ١٤ مارسانت، تظن في الواقع أن ابنها لن يمنح إذنا. ولما كانت تعلم في جميع الأحوال أنَّه ما كان ليجيء إلى منزل السيدة ددو فيلباريزيس، لو حصل علَّى إذن فقد كانت تأمل، وهي تتظاهر بالاعتقاد بأنها ربُّما وجدته هذا أن تصفح له عمَّته الشديدة الحساسية عن جميع الزيارات التي لم يقم بها

- وروبير في هذا المكان! ولكني لم أتسلم حتى كلمة واحدة منه، وأظنَّ أنى لم أره منذ ابالبيك. فقالت السيدة ددو مارسانت: (وإنّه كثير المشاغل وما أكثر ما لديه من أعمال.

وهزّت ابتسامة خفية أهداب السيدة «دو غيرمانت» التي نظرت إلى الدائرة التي كانت تخطّها على السجادة بطرف شمسيتها. كانت السيَّدة ٥دو مارسانت، قد لزمت صراحة، في كلِّ مرَّة هجر فيها الدوق امرأته

على نحو مفضوح، جانب زوجة أخيها ضدَّ أخيها نفسه. وظلت هذه الأخيرة تختفظ من تلك الحماية بذكرى يمتزج فيها الامتنان بالحقد، وما كانت إلا نصف غاضبة من جهالات (روبير). وفي تلك اللحظة انفتح الباب من جديد، فدخل هذا الأخير.

وقالت السيدة قدو غيرمانته: قصبها، ما أن تتحدث عن الذلب.....

ولم تكن السيدة ددو مارسانت، التي كانت تولى الباب ظهرها قد أبصرت ابنها داخلاً. فلما رأته خفق الفرح بالحقيقة في صدر هذه الأم خفقة جناح وهمّت السيدة ١دو سارمانت، بالنهوض واختلج وجهها وأخذت مخدّق إلى ٥ روبير، بعينين ذاهلتين:

- وكيف، ها أمَّك جدت! يا للسمادة! يا للمفاجأة!ه

قال الديبلوماسي البلجيكي وهو يضحك بأعلى صوته: «أه ما أن تتحدّث عن الذئب.. لقد فهمت،

وردَّت السيدة ددو غيرمانت؛ بجفاء: دقول رائع، وكانت تكره التلاعب بالألفاظ ولم مجازف بهذا الأخير إلا وهي تتظاهر بأنها تسخر من نفسها. وقالت: ٥مرحيي يا ٥روبيره ؟ أرأيت كيف ينسي الناس عمتهم اه .

وتخليًا معاً فترة، وعتى دونما شكَّ إذ إن السيدة «دو غيرمانت» التفتت نحوي فيما كان «سان لو، [171

يقترب من والدته وقالت لي: ١٥مرجي، كيف حالك، ؟

وسكبت فوقي نور لمنظها الأورق وترقدت مدى لعظة ونشرت ثمّ منّت جذع فراعها وأحدت إلى الأمام جسدها الذي ارتدّ بسرعة في الخلف مثل شجيرة تسيل بها إلى الأرض فصود إلى وضمها الطبيعي إن تركتها لنفسها. هكذا كانت تفسل وقد سلطت عليها نار نظرات «سان لوه الذي كان يراقبها ويقوم من بعيد بجهود يائسة ليحصل من عمته على ما كان أكثر من ذلك بقليل. وإذ خشي أن يفتر الحديث أقبل يغذيه وأجاب بدلاً منى قائلاً:

 - اليس على مابراه، إنه متعب قايلاً، وربّما أصبح أفضل حالاً لو رآك مرّات أكثر فأتى لا أخفى عليك أنه يمت كثيراً أن يلقاك...

وقالت السينة دو غيرمانت؛ بلهجة تعملتها عاديّة كما لو أني جثنها بمعطفها: وآه! هذا أمر لطيف. وأنه ليرضيني إلى حدّ بعيد.؛

وإليك، إلى ذاهب قليادً بالقرب من أمي وأعطيك كرسيّى، يقول دسان لو، وهو بضطرتي بالمك
 إلى الجاوس بالقرب من عمته.

وصمت كلانا.

وقالت لمي: «إنبي ألهك أحياتاً في الصباح»، وكانُّما ذلك خبر تنقله إلىّ وكأني لا أراها بدوري دذلك مفيد جدًا للصحة.

وقالت السيّدة دور مارسانت، بصوت عمافت: دأوريان، كنت تقولين إنّك خاهبة لزيارة السيدة دور سان فرّيُغول»، فهل تلطفت وقلت لها ألاً تنتظرني على المشاء؟ سوف ألازم منزلي بما أن دروبير، عندي. ولئن توافرت لمي الحبرأة لسألتك أنّ تقولي في طريقك بأن يقوموا في الحال بشراء نوع السيكار الذي يحبّه دروبير، ويسمّونه «كورونا» ولم يعد موجوداً».

واقترب «روبير» ؛ لقد تم له فقط سماح اسم السيدة «دو سان فرّيول» وسأل بلهجة تقترن فيها الدهشة بالتصميم، إذ كان يتظاهر بجهل كل ما يتعلق بالمجتمع: «ومن عساها تكون هذه السيدة «دو سان فرّيول» ؟

فقالت أمه: «عجباً للك ياعزيزي، أنت تعرف تماماً. إنها شقيقة وفيرماندواه، وهي التي سبق أن أعطتك لعبة البيليارد الجميلة هذه التي كنت خميها أشد الحبّ.

- «شقيقة «فيرماندوا» ما هذا، لم يسبق أن خطرت لي أيّة فكره عن ذلك، يا ما أروع عائلتي»، يقول في نصف التفاقة ناحيتي فيما يتخذ دون أن يتنبه للأمر نبرات وبلوك مثلما كان يقتب أفكار» «إنّها تعرف أناماً لايخطرون بيال، أناماً يدعون ما كان في كثير أو ظليل من قبيل «سان فرّهول» (ويلخّ على الحرف الأخير من كلّ كلمة»، وتذهب إلى الحفلات الراقصة، وتتزه في عربة واسعة وتعيش عيشة خيالية. هائل.»

وأطلقت السيدة «دو غيرمانت» من حنجرتها ذلك الصوت الخفيف المقتضب الشديد، وكأنَّما لابتسامة

نكتبها، وتريد أن تمان به أتمها تشارك بالقدر الذي تضطرُها إليه القرابة بنباهة ابن شقيقها. وأقبل من يعلن أن الأمير دو فافتهايم مونستر بورغ فاينعن؟ ينقل للسيد دور نوربواه ألّه قد حضر.

وقالت السيدة «دو فيلباريزيس» للسفير السابق: «اذهب وأتِ به ياسيدي»، فأسرع لاستقبال رئيس الوزراء الألماني.

ولكن المركيزة استدعته: ٤على رسلك ياسيدي ؟ أوينبغي أن أويه منمنمة الامبراطورة ٥ شارلوت، ؟

وقال السفير بلهجة المقتنع وكما لو يحسد هذا الوزير المحظوظ على المنة التي تنتظره: وأظنه سيغتبط كثيراًه.

وقالت السيدة ددو مارسانت»: وأعلم أنّه مستقيم الرأي، وما أندر ذلك بين الأجانب. ولكني على اطلاع، إنّه التجسيد السي لعداء السامية».

كان اسم الأمير يحتفظ عبر الصراحة التي تتمّ بها مباشرة مقاطعه الأولى - حسبما يقولون بلغة الموسيقي- والفأفأة المتكرّرة التي تقطعُها، كان يحتفظ بالزخم والسذاجة المتكلفة وصنوف التلطف الألمانية الغليظة التي ترتسم وكأنها أغصان ضاربة إلى الخضرة على اللوحة التي من مينا زرقاء قائمة تنشر صوفية زجاج ملوّن خلف مذهبات القرن الثامن عشر الجرماني الشاحبة الدقيقة النقوش. كان هذا الاسم يضمّ بين الأسماء الهتلفة التي يتألف منها اسم مدينة استشفاء ألمانية صغيرة ذهبت إليها وأنا طفل صغير برفقة جدّتي على حضيض جبل شرّفته نزهات ٥غوته، وكنا تختسي في محطة الاستشفاء خمور كرومه الذائعة الصيت ذات الأسماء المركّبة الداوية كالنعوث التي يطلقها هرميروس على أبطاله. فما أن سمعتهم ينطقون باسم الأمير حتى بدًا لي قبلما أتذكر مركز المياه الحارّة يتقلص وبمتلئ إنسانية ويلقى له مكاناً صغيراً كافياً في ذاكرتي. التي التصقُّ بها أليفاً عادياً طريفاً لذيذا خفيفاً وبه شيء من المجوَّز والمفروض. وزاد السيد «دو غيرمانت، على ذلك فذكر، وهو يوضع من كان الأمير، عدماً من ألقابه وتعرّفت اسم قرية يجتازها النهر الذي كتت أمضى فيه، في نهاية الامتشفاء، في القارب عبر البعوض، واسم غابة بعيدة بما يكفي كي لا يصرّح لي العلبيب باللهاب إليها في نزهة. وكان معقولًا بالفعل أن تمتد إقطاعية السيد إلى الأماكن المحيطة المجاورة وتقرن من جديد في تعداد ألقَّابه الأسماء التي يمكن قراءة يعضها إلى جانب بعضها الآخر على الخريطة. وهكذا رأيت مخت واقية أمير الامبراطورية المقلَّمة وفارس «فرنكونيه» وجه أرض حبيبة كثيراً ما توقفت فيها بالنسبة إلى أشعة شمس الساعة السادسة أقله قبلما دخل الأمير الذي من أمراء ١الراين، وأعيان ١بالاتينا، ذلك لأني علمت في مدى بضع لحظات أن العائدات التي كان يجنيها من الغابة والنهر اللذين يسكنهما الجان وحوريات الماء ومن الجبل المسحور الذي شيدت فوقه القرية القديمة التى نختفظ بذكرى دلوثره ودلويس الجرماني إنّما كان يستخدمها ليملك خمس سيارات دشارون، وفندقاً في بآريس وآخر في لندن ومقصورة في الأوبرا نهار الاثنين وأخرى في أيام الثلاثاء في مسرح ﭬالفرنسيون، وما كَان يخيل إلىّ – ولايبدو أنّه يصدّق بدوره – أنّه يختلف عن الرجال الذِّين يملكونُ الثروة نفسها والعمر نفسه وأصلاً أقلُّ شاعرية. فقد كان يملك ثقافتهم ومثلهم الأعلى ويغتبط لمكانته ولكن بسبب المكاسب التي تقدّمها له فحسب ولم يظلُّ له سوى مطمح في الحياة وهو أن يتمّ انتخابه عضواً مراسلاً لمجمع العلوم الأخلاقية والسياسية وهو السبب الذي جاء من أجله إلى منزل السيدة

ودوفيلباريزيس، .

ولئن كان التمس، وهو من كانت زوجته على رأس الجماعة الأكثر انفلاقاً في برلين، أن يُعرُّفُ به لدى المركيزة، فما كان ذلك لأنه أحس بادئ الأمر بالرغبة فيه. فلم يتسن له البتة لسوء الحظَّ، وقد تأكلُه منذ سنوات ذاك المطمع في دخول اتحاد المجامع، أن يرى عدد أعضاء المجمع الذين بيدون على استعداد للتصويت إلى جانبه يتجارز الخمسة. كان يعلم أن السيد «دو نوربوا» يتصرّف وحده بما لا يقل عن عشرة أصوات يستطيع أن يضيف إليها أخرى غيرها يفضل عمليّات بارعة. ولذلك فقد سبق للأمير الذي عرفه في روسيا حينما كَان كلاهما سَفيراً فيها أن ذهب لزيارته وفعل كلّ مافي وسعه ليكسب وده. ولكن عبثاً ضاعف مظاهر اللطف وحصل للمركيز على أوسمة روسيّة وذكر اسمه في مقالات تتناول السياسة الأجنبية فقد ألفي أمامه عامًّا وإنساناً بدت كلَّ تلك المظاهر من التودّد وكأنَّها لاحساب لها في نظره ولم يدفع ترشيحه خطوة إلى الأمام ولم يعده حتى بصونه ا وليس من شك أنّ السيد «دو نوربوا» كان يستقبله بتأدَّب بالغ ولاييغي حتى أن يكلف نفسه عناء «ويتحمل مشقة الجميء حتى بابه»، فيذهب بنفسه إلى فندق الأمير وحينما قال الفارس التوتوني: دبودّي أن أضحى زميلاً لك، أجابه بلهجة المقتنع: «آه! سوف أغتبط لذلك!» ولا ربب أنّ أحد السلاج من أمثال الدكتور وكوتاره كان قال بينه وبين نفسه: ﴿ وَيَحَيُّ إِنَّهُ هَهُنَا فِي مَنزَلِي وهو الذي أصرُ على الجيءَ لأنَّه يعلنني شخصاً أعظم خطراً منه وهو يقول لي إنَّه سينتبطُ لأن أكونَ في المجمع، وإنَّما للكلمات مدلولها، يا ربي! ولاريب أنه إن لم يعرض على التصويت لصالحي قلاته لايفكر في الأمر. إنه يبالغ في التحدث عن سلطاني العظيم وَلَابِدَ أَنَّهُ بِمُحسِبُ أَمَانَيَّ تتحقَّق دون عناءٌ وأَنِّي أَملكُ من الأصوات بقدر ما أَشَاءً ولذلك لايقدَّم لي صَوته، ولَكتَّما عليَّ أن أحرجه وأن أقول له ههنا فيما بيننا: هيَّا، صوَّت في صالحي وسوف يضطرُ إلى القيام بذلك. ولكنَّ الأمير ددو فافتهايم، لم يكن ساذجاً. لقد كان ما لعلَّ الدكتور اكوتار، كان يدعوه فديبلوماسياً داهية، وكان يعلم أن السيد قدر نوربوا؛ لايقلُّ عنه دهاء وأنَّه ما كان رجلاً لا يفطن من تلقاء ذاته أنّه قد يحسن في عيني مرشح إن هو صوّت لصالح. لقد سبق للأمير في سفاراته ويوصفه وزيرًا للخارجيَّة أنْ تفرَّه، في سبيل بلاده بدلاً من أنْ يفعل في سبيل نفسه كما هي حاله الآن، بأحاديث يعرف المرح سلفاً إلى أي حدّ يبنى الذهاب فيها ومالن يحملوك على قوله. وما كان يجهل أن الحديث في لغة الديلوماسيين إنّما يعني التقدمة، والذلك عمل على أن يحصل السيد «دو نوربوا» على وشاح «القدّيس الندراوس، ولو كَان لابدُّ له أن يقدّم لحكومته تقريراً عن الحديث الذي تمّ له بعد ذلك مع السيد «دو نوربوا» لاستطاع أن يذكر في برقيَّه: القد أدركت أتى ضللت السبيل. اذلك لأنه ما أن عاد يتكلُّم عن المجمم حتى كرّر له السيد 1 دو نوربوا) قوله:

- ولعلّي أرغب في ذلك كثيرًا كثيرًا جدًا من أجل زملائي. فلا يد أنهم، فيما أظنّ، يحسود أنك تشرّفهم حقّاً لأنك فكرت فيهم. إنه ترشيح مثير نماماً وخارج حدود عاداتنا إلى حدّ. تدري، المجمع روزيني جنّا ويداخله الرعب من كلّ مايوندي بعض الجنّد. وإنّي ألومه شخصيًا على ذلك. وكم مرّة أفقى لي أن أنقل ذلك إلى مسامع زملائي! ولست أدرى، عفوك يا رب، إن لم تنطلق من شفتي مرّة لفظة ومتحجّين، ويو يفقي قوله بابتسامة مستنكرة وبعموت خافت وكأنما يحدّث نفسه، كما هي الحال في حركة مسرحية، وهو يلقي على الأمير نظرة خاطفة مائلة من عينه الرواء كممثل عتيق يهد أن يعكم على التأثير الذي يخلّف. وتعركة آيها الأمير اثني لا أودّ أن أدع لشخصيّة بمثل شهرة شخصكم أن تنجّر إلى جولة خامرة سلفاً. فأتي أرى من المحكمة أن تمتنع مادامت أفكار زملائي متخلفة إلى هذا الحدّ. وصدّق على أيّة حال أنني إن رأيت في يوم روحاً آكثر جدّة بقليل، أكثر حيرية بقليل، ترتسم خطوطها في هذا المجمع الذي ينزع إلى أن يصبح مقبرة كجيرة، وإن توقّت حظاً مكنا لك فسوف أكون أوّل من يخطرك بالأمر،.

وفكر الأمير في نفسه قائلاً: وإن وشاح والقدّيس اندراوس، غلطة، والمفاوضات لم تخفق خطوة واحدة. ما هذا ما كان يريد، ولم أضع يدي على المفتاح الصحيح.

كان ذلك ضرباً من المحاكمة ربَّما توافرت القدرة عليه للسيد ٥دو نوربواه الذي نُشِّئ في مدرسة الأمير نفسمها. ويمكن لنا أن نسخر من الغباء المتحلق الذي يؤخذ به دبلوماسيون من أمثال «نوربوا» إزاء عبارة رسمية تكاد الاتعنى شيئاً . ولكنّ لصبيانيتهم ما يقابلها: فالديبلوماسيون يعلمون أنَّ المشاعر الطبيّة والخطب الجميلة والتوسيلات هيئة الوزن في الميزان الذي يضمن هذا التوازن الأوروبي أو غير الأوروبي الذي يدعونه السلام، وأن الوزت الثقيل والحقيقي والحاسم قوامه أمر آخر، قوامه القدرة التي يملكها الخصم، إن كان على قدر كاف من القوَّة، أو لا يملكها في إرضاء رغبة ما بوسيلة المبادلة. إن هذا النوع من الحقائق، ألذي ربَّما لم يدركه شخص خالى الغرض نماماً شأنَ جدَّتي مثلاً، كثيراً ما واجههُ السيد ددو نوربوا، والأمير دفون....... فقد كان السيد ه هـو توربوا، يعلم تمام العلم، وهو قائم بالأعمال في يلدان كنّا قاب قوسين أو أدنى من إعلان الحرب عليها، ويساوره القلق من جرًاء الاتجاه الذي توشك الأحداث أن تتخذه، كان يعلم أنَّها لن تبلغ إليه بلفظة «السلم» أو بلقظة «الحربه، بل بكلمة أخرى تافهة في ظاهرها، مخيفة أو مباركة، يفلح الدبيلُوماسي في الحال في قراءتها بوساطة رموزه ويجبب عليها كيما يحافظ على كرامة فرنسه بكلمة أخرى في مثل تفاهتها ولكن وزير الامَّة المُعادية بيصر خلفها في الحال: ٥الحرب٥. بل إنَّ الحوار الذي قد تملي فيه الأقدار كلمة ٥الحرب، أو كلمة والسلم؛ لم يجر بعامة، وفق عادة قديمة شبيهة بتلك التي كانت تضفي على أول تقارب بين شخصين نذر كلّ منهما نفسه لَلآخر شكل لقاء عارض في أثناء عرض مسرحي في مسرح القاعة الرياضية، لم يجر في مكتب الوزير بل على مقعد حديقة كان يمضى إليها الوزير والسيد ٥ نوربواه إلى ينابيع مياه حارة ليحسياً من النبع أكواباً صغيرة من ماء استشفائي. كانا يلتقيان، بنوع من الاتفاق الضمني، ماعة الاستشفاء فيقومان معا بادئ الأمر ببضع خطوات في نزهة يعلم المتحاوران أنّها، خلف مظهرها الذي لايوحي بالخطر، مأساويّة كمثل أمر بالمتعبئة العامة. وقد لجأ الأمير في قضية حاصة كهذا الترشيح إلى المجمع إلى طريقة الاستقراء نفسها التي صمنعها في السلم وأسلوب القراءة نفسة من خلال رموز متناضدة.

وليس يمكن بالتأكيد الرعم بأن جنتي وأشالها النادرين وحيدون في جهلهم لهذا النوع من الحسابات. فوسطى البشرية تمن بمارسون مهنا حدّت خطوطها سلغا ليتقون جوانيا من جراء العدام العضم للبهم بالجهل المذي كانت تدين به جندي لتمرّوها الرفيع. ولايد في العالب من الانحدار إلى الأضخاص اللغن بجري الانفاة عليهم، رجالاً أو نساء على السواء، كيما يقع علينا أن نبحث عن العلقم إلى العمل أو الأقوال الأكثر براءة في ظاهرها داخل للصلحة وضرورة العيش، فمن قا لايطهم، حيما تقول له امرأة يزمم أن يعفع لها: ددعا من حديث الماراي، أن هذه العبارة ينبئي أن تُعدّ، حسيما يقال في لفة الموسيقي، بمثابة وفاصل صاسحت، وأنها إن صرّحت له فيما بعد قائلة: ولقد يعتت في نفسي الكثير من الغمّ، وكثيراً ما أخفيت عني الحقيقة، لقد طفح الكيل»، فينبغي أن يفسر: وإن حامياً آخر يعرض عليها أكثره؟ على أن الأمر ههنا لايمدو كونه لفة إمرأة لعوب قرية إلى حذ من نساء المجتمع الراقم. إن قطاع الطرق يؤردوننا بأشاة. أكثر إثارة. ولكن السيد «دو نوربوا» والوزير الألماني قد تعرفا، إن كان قطاع الطرق غير معروفين لديهما، قد تعرفا العيش على مستوى الشعوب نفسه، وهي على الرغم من عظمتها كاتئات تناخلها الأنانية والمكر ولا تتم السيطرة عليها إلا بالقوة وبالنظر إلى مصلحها التي يمكن أن تصل بها إلى القتل، وهو قتل ومزي في الفالب، إذ يمكن أن يعني محض التردد في القتال أو رفض القتال بالنسبة إلى شعب ما «الهلاك». ولما كان كلّ ذلك غير وارد في مختلف «الكتب المعفراء» وغيرها فالشعب من دعاة المسلام القانعين. وإن كان تورعاً إلى الحرب فبالغرية ومن جراء المحقد والحفيظة لا من جراء الأسباب التي دفعت رؤساء الدولة المذين تم إخطارهم عن طرق أشأل ونوربوا».

في المشتاء التالي مرض الأمير مرضاً شديداً وشفى، ولكن قلبه ظلّ صماباً إصابة لا اشفاء لها. وقال في انفسه: ووبسي! ينبغي ألا أضبع الوقت بالنسبة إلى المجمع، لأني إِن طال بي الزمن سأوشك أن أموت قبل تصيفي، وسيكون الأمر مزحجاً حقاله.

فقام بدرامة حول السياسة في المشريين سنة الأخيرة لصالح ومجلة العالمين، وأعرب فيها مرّات عديدة عن أكثر العبارات إطراء للسيد «دور نوريوا» . ونصب هذا الأخير لزيارته وشكره. وأضاف أنه لايدري كيف يعرب عن امتنائه . وقال الأمير في نفسه ، شأن من أقلم على تجربة مفتاح آخر من أجل أحد الأقفال: ١ ما هذا أيضاً هو المفتاح، وفكر إذ شمر بأنه فقد أنفاسه بعض الشيء وهو يشيع السيّد «دو نوريوا» : النبا لهم، فسوف يوردني هولا الملجون حتّى قبل أن يأذنوا بدخولي. فهيا نسرع ،

وفي المساء نفسه التخي بالسيد «دو نوربوا» في الأوبرا، فقال له: «كتت تقول لي هذا الصباح، أيّها السفير العربز، إنّك لاتدري كيف تبرهن لي عن اقرارك بالجميل. ذلك من المبالفة الكبيرة لاتّلك لاندين لي بأي شيء من هذا القبيل، ولكني سأبدي قلة ذوق في قبول العرض في الحال.».

لم يكن السيد دو نوربوا، أقل تقديراً للباقة الأمير من الأمير للباقت. وأدرك في الحال أن الأمير دعو فافتهايم، ما كان يزمع أن يتقدم إليه بطلب، بل بعرض وأعمّا نفسه ببشاشة للإصغاء إليه:

- دورنك، سون عجندي قابل التحقط إلى حدّ بعيد. ثمة شخصان أنا شديد التعلق بهما، وعلى نحو مختلف تماماً مثلما ستدرك ذلك، وقد أقاما منذ قابل في باريس حيث اعتزما الميش من الآن فصاعدا، وهما زرجتي والمدوقة الكبيرة اجهانه. وسوف تقدّمان بعض الولاتم ولاسيّما على شرف ملك انكلترا وملكتها. ولعلّ ما غلمان به أن يمكنهما تقديم شخصية لمدعوتهما تكرّ كلاهما لها، دون معرفة بها، إعجاباً عظيماً. وإلي ألم أني لا أدري كيف أفعل لتلبية رغتهما حينما علمت لتوي بمحض المسادفة أنك تعرف هذه الشخصية. أن أني يك أدري كيف أفعل التبية رغتهما حينما علمت لتوي بمحض المسادفة أنك تعرف هذه الشخصية. أن ساندتني إلى جانب ما توليني من عطف، فأني متيقن أنها سوف ثأن بأن تقدمتي في منزلها وأن أنقل أن الدونة الكبيرة والأميرة والأميرة. وربما ارفضت الحيء لتناول طعام المشاء مع ملكة الكلترة، وربما ارفضت الحيء لتناول طعام المشاء مع ملكة الكلترة. وراني الرئيم، في أن أملي في أن أضحي واحداً من رؤاد مثل هذا المتندى

الفكري قد يحمل إليّ العزاء ويجعلني أفكر دون غمّ في التخلي عن ترشيع نفسي إلى المجمع. ففي منزلها كذلك يتداولون العقل والأحاديث الظريفة.

وأحس الأمير بغبطة لاتوصف بأنَّ القفل لايقاوم وأن هذا المفتاح قد دخل فيه.

وأجاب السيد دو نوربواه قاتلاً: وإن خياراً كهذا لاجدوى منه أيها الأمير النزير، فليس ما يتوافق والجمع أكثر من المنتدى الذي تتحلّث عنه وهو منيت حقيقي للمجمعيين. سوف أنقل طلبك إلى السيدة للمركزة دود فيلباريزيس، وستغتبط لذلك بالتأكيد. فأما أن تلهب للمشاء في منزلك، فإنها قليلاً ما تقادر منزلك، والإما كان الأمر أكثر صحوبة. ولكني سأعرف بك وتتولى بنفسك الدفاع عن قضيتك. إلا أنّه ينبغي رجه النخصوص ألا تتخلي عن الجمع، وإنّي بالفنيط أنبارل طعام النداء بعد خصة، عشر يوما من الله عني به النخصوص ألا تتخليب استوال طعام النداء بهدها إلى جلسة مائة. وقد سبق لي أن أردت اسمك في حضرته وهو يعرفه بالطبع أنّم المرقة. لقد أطلق بعض الاعتراسات، ولكنما يتفق الله بمناهي من مسائدة جماعتي في عملية الانتخاب المقبلة وإنّي عازم على إعادة الكرّة. سأقول له بمنتهى المسراحة عن الروابط الورقية تماما التي يجمع عاليا ولن المرقة، وقد المسائل التصويت إلى المسراحة عن الروابط الورقية تماما التي يجمع عين ولن أكتمه أنبي سأطلب إلى جمع أصدقائي التصويت إلى خيم مامنات أن احمالات تجاحك متمسح جدية، فعمال في ذلك المداء في الساعة السادمة إلى منزل

ومكاما تم الأحرر دو فافنهايم؛ أن يجيء ازيارة السيدة دو فيلباريزس، وأصابتني خبية أمل عميقة حينما تكام. فلم يخطر لي، إن كان لعصر معين سمات خاصة وعامة أقوى عما يتفى لجنسية ما إلى حدّ أنْ معمور يزونونك في حتى برسم حقيقي لدوينيرفا؛ ما يختلف من داريفره أو صامويل ببرناره في معجم معمور يزونونك في حتى برسم حقيقي لدوينيرفا؛ ما لم يخطر لي أن جنسية ما تخمل سمات أقوى من طبقة اجتماعة منطقة، ولكنها استبالت أمامي لابخطاب فينت سلفا أثنى سأسمع فيه حقيف جنيات ألهواء ورقص جنيات الكهوف، بل بتبليل صوتي ما كان أقل توكينا لهذا النشأ الشاعري وقوامه أن أمير والراين، قال وهو ينحني في حضرة السيدة دو فيلماريس، محمراً مكرشاً؛ وصباح الخير، سيلتي المركزة، باللهجة نفسها الني لواب أراسي.

وقالت لمي السيدة 1دو غيرمانت، رغبة منها في أن تكون لطيفة ما أمكنها اللطف: وألا تودّ أن أعطيك كوباً من الشاي وشيئاً من «التورته» إنّها طبية جناً. إني أرحب بضيوف البيت وكانه بيتي»، تضيف قولها بلهجة ساخرة تضفى على صوتها شيئاً من التقدير كما أو أنّها كتمت ضحكة خشنة.

وقالت السيدة ددو فيلباريزيس. للسيد ددو نوربراه: دهل ستفطن بعد قليل ياسيدي أذّ ليديك شيئًا تقوله للأمير بشأن المجمع، ؟

وخفضت السيدة دو غيرمانت، عينيها ورسمت ربع دائرة بمعصمها لتنظر إلى الساعة.

– ind يا الهي، لقد آن أن أستودع عمتّي إن انبغي لمي أن أمرَ لدى السيدة «دو سان فرّيثول» وأتناول

طعام العشاء في منزل السيدة الوروا.

ونهضت دون أن تودّعني. فقد لهت لتوّها السيدة «سوانه التي بدا عليها بعض الارتباك من جراء ملاقاتي. فلا بدّ ألّها تذكرت أنّها قالت لي قبل أي شخص آخر إنها على يقين من براءة «ديفوس».

وقال لي وسان لوء : ولا أربد أن تقدّمني أمي للسيدة وسان»، فإنها مومس سابقة، وزوجها يهودي وهي تتظاهر بالوطنية. انظر، هوذا عمّي وبالاميدة .

كان حضور السيدة دسوان، يرتدي بالنسبة إليّ أهمية خاصة ناجمة عن أمر جرى قبل بضعة أيام ومن الضروري أن أروبه بسبب النتائج التي ستنجم عنه فيما بعد والتي سنتابعها في تفاصيلها عندما يحين الوقت. فقد اتفق لي قبل هذه الزيارة ببضمة أيَّام زيارة أخرى ما كنت أتوقعها، وزيارة وشارل موريل، ابن الخادم السابق لشقيق جدّى، وكان مجهولاً لديّ. وكان شقيق جدّي هذا (الذي سبق أن شاهدت لديه السيدة ذات الأثواب الوردية) قد توفي في السنة السابقة، وقد أعرب خادمه عدّة مرّات عن عزمه في أن يجيء لزيارتي. لم أكن أعلم هدف زيارته ولكنَّى ربما رأيته بطيبة خاطر إذ علمت على لسان «فرانسواز» أنَّه ظلُّ بيدي تعلقاً حقيقياً بذكرى عمى ويقوم في كلّ مناسبة بزيارة المقبرة. وَلكنه أوفد إليّ ابنه وقد اضطرّ أن يذهب للتداري في بلده ويتوقع أن يمكث فترة طويلة هناك. ودهشت أن أبصرت فتى جَميلاً في الثامنة عشرة يدخل، وملابسه توحي بالغني أكثر منها بالذوق، على أنه كان يظهر بمظهر أيّ شيء فيما عدا مظهر الخادم. وقد أصرٌ منذ البداية على أيّة حال أن يقطع الاتصال بعالم الخدمة الذي كان يتحدر منه إذ أطلعني وعلى فمه بسمة الرضى أنّه يحمل جائزة المعهد الموسيقيّ الأولى. وكان هدف زيارته هو الآتي: كان والمده قد وضع جانباً، من بين تذكارات عمّى «أدولف» ، عدداً منها حكم أنه لايليق إرسالها لذويّ ولكنّ من شأنها، فيما يَظنّ، أن تثير اهتمام شاب في مثلّ سنى. كانت تلك صور المثلات الشهيرات والغانيات الكبيرات اللواني عرفهنّ عمَّى، الصور الأخيرة لحياة الماجن العجوز تلك التي كان يفضلها عن حياته العائلية بحاجز منيع. وفيما كان «موريل» الشاب يويني إياها تبينت أنّه يتكلف التحدُّث إليّ حديث الندّ للندّ. كان يحس، في قوله وأنت، وأقل ما يمكن هيا سيده، متعة من لم يستخدم والده قط في حديثه مع ذوي موى صيغة الغائب. كانت جميع الصور القوتوغرافية تقريباً تحمل عبارة إهداء من مثل: وإلى أفضل صديق لي، ولكنّ مثلة أكثر عقوقاً وأوفر فطنة كتبت: وإلى أفضل الأصدقاء، الأمر الذي كان يسمح لها، فيما أكدوا لي، أن تقول: إن عمي لم يكن البتة، وإلى حدّ بعيد على وجه التقريب، أفضل صديق لها، بل الصديق الذي أدّى لها أكثر الخدمات الصغيرة، الصديق الذي كانت .. تستخدمه، رجل ممتاز وما يقارب الحيوان العجوز. وعبثاً كان دموريل، الشاب يحاول الهروب من نسبه فقد كنت تخس أنَّ طيف عمي «أدولف» ظلُّ يوفرف، جليلاً هائلاً في نظر الخادم العجوز، يرفرف بما يشبه القدسية فوق طفولة الابن وشبابه. وفيما كنت أشاهد الصور كان دشارل موريل، يتفحص غرفتي. ولما كنت أبحث أين يمكنني أن أجمعها، قال لي (بلهجة لم تكن الملامة بحاجة إلى الظهور فيها لكثرةً ما تبدو في العبارات نفسها): ولكن كيف يتفق ألا أرى صورة لعمك في غرفتك؟، وشعرت بالحمرة تكسو وجهي وتمتمت قائلاً: وأظن أن ليس لديُّ صورة. ٤ - كيف، لا تملكُ صورة واحدة لعَّمك وأدولف، الذي كان يحبُّك إلى هذا الحدَّا سوف أبعث إليك بواحدة آخذها من بين الكميات التي في حوزة الوالد وآمل أنَّك متضعها في مكان الصدارة فوق هذا الصوان الذي جاءك بالضبط من عمك. عصحيح أنّه لم يكن ثمة ما يثير

في ألا يكون في غرضي صورة لممي «أدولف» بما أبي لم أكن أملك فيها حتى صورة لوالدي أو لوالدي بيد أنه لم يكن من العسير الاحساس بأن عتى كان في نظر «موريل» الذي علم ابنه هذه النظرة إلى الأمور، الشخصية الهامة في العائلة ومنه يستقي والعلي ألما أمقاصاً. كنت أكثر حظوة لأن عمي كان يقول كل يوم لمخادمه إنني سأضحي ما يتبه فراسين، وفولا يهل و وكان «موريل» بعدني تقريباً بمثابة ابن بالتبني لعمي روالمه المخار، رسوعان ما تبيت أن أبن «موريل» كان وصوليا. من ذلك أنه سألني في ذلك اليوم، بما أنه كان ملحظ المخار. بمن الأشعار، أن كنت لا أعرف شاعراً يستقم قط فدوّله. إلا ألني بعض الشرعة وقادراً على تلحين بعض الأشعار، أن كنت لا أعرف شاعراً يستقم قط فدوّله. إلا ألني الارستقراطين. فذكرت له أحدهم، ولم يكن يعرف أعمال هذا الشاعر ولم يسمع بالسمة قط فدوّله. إلا ألني علما المناعر ولم يسمع بالسمة وأثة وضع موسيقى علمات والله إلى المؤل له إنه معجب محمس لاعماله وإنه وضع موسيقى الإحدى مقطوعاته الشعرة وسوف يسعده أن يقلم مؤلف الكلمات وصلة إلقاء في منزل الكونتيسة (...). كان
ذلك من قبيل التسرع وإماطة المثام عن عطع، ولم يجب الشاعر وقد جرحت كرياؤه.

وقد بدا على أيَّة حال أنَّ \$شارل موريل، كان يملك إلى جانب طموحه ميلاً قوياً إلى صنوف من الواقع أكثر حسيَّة. فقد لاحظ في الباحة ابنة شقيق «چوبيان» وهي تخيط صدرية، ومع أنَّه اقتصر على القول بأنَّه يحتاج بالضبط إلى صدرية من النوع الغريب فقد أحسست أنَّ الفتاة خلفت في نفسه انطباعاً قوياً. ولم يتردّد بأن يسألني أن انزل وأعرّف به، ولا بالنسبة إلى موقعي في أسرتك، أنت تعي ذلك، فإني اعتمد على تكتَّمك فيما يخصُّ والدي، قل فقط إنّه فنان كبير من أصدقائك، فلا بدّ، كما تلوُّك، من أن تخلف انطباعاً طيباً في نفس التجاره. ومع أنّه ألمح إليّ بأني استطيع، إذ لا أعرفه معرفة كافية كيما أدعوه ٥صديقي العزيز٥-وهو يدرك ذلك-، أن أقول له في حضرة الفتاة شيئاً ما لا من نحو ومُعلَّمي العزيز... مع أنَّه، وبل. إن حسن ذلك في عينيك، عزيزي الفنان الكبيره، فقد مجنبت داخل المحل أن «أنعته»، كما لعلُّ ٩سان سيمون، كان يقول، وأكتفيت بأن أردَّ على تأدَّبه بتأدَّب يقابله. ورأى بين قطع من المخمل قطعة من حمرة فاقعة صارخة إلى حدٌ أنّه لم يستطع قط ارتداء تلك الصدرية فيما بعد على الرغم نمّا به من ذوق رديء. وعادت الفتاة إلى الشغل مع تلميذتيها، إلا أنه بدا لي أنَّ الانطباع كان متبادلاً وأنَّ وشارل موريل، الذي حسبته ومن عالمي، (ولكنه أكثر أناقة وأوفر ثراء) قد راقها إلى حد بعيد. ولما دهشت أشدٌ الدهشة أن عثرت بين الصور التي بعث بها إليّ والله على صورة لرسم الآنسة «ساكرينان»(يعني وأوديب) بريشة وايلستير،، قلت لـ وشارل موريل، وأنا أرافقه حتى المدخل الرئيسي: وأخشى أنَّك لن تستطيع نزويدي بمعلومات. هل كان عَمي يعرف هذه السيدة تمام المعرفة؟ لست أرى في أية فترة من حياة عمى يمكن أن أحدد موقعها، والأمر يهمني بسبب السيد وسوانه ... - ولقد فاتني بالضبط أن أقول لك إنّ والدي أوصاني بلفت انتباهك إلى هذه السيدة. فقد كانت هذه المرأة اللعوب تتناول طعام الغداء في منزل عمَّك في آخر يوم رأيتها فيه. وظلَّ والدي لايدري إن هو يستطيع إدخالك. ويبدو أنك حسنت كثيراً في عيني ثلك المرأة الطائشة وكانت تأمل أن تلقاك ثانية. بيد أن نفوراً وقع بالضبط في ذلك الوقت داخل الأسرة، حسبما قال لي والدي، وما عدت رأيت عمَّك البَّة.، وابتسم في تلك اللحظة كي يودّع من بعيد ابنة شقيق ٥ جوبيان، كانت تنظر إليه وتتأمل بإعجاب دونما شكّ محيَّاه النحيل ذا الخطوط المُنتظمة وشعره الخفيف وعينيه المرحتين. أما أنا فكنت أفكر في السيدة «سوان، فيما أَشُدُّ على يده، وكنت أقول في نفسي مستعجاً إنه لابدّ لي منذ الآن أن أماثل بينها وبين السيدة ذات الأثواب الوردية؛ ، أقول مستحجاً لشدة ما تنفصلان وتختلفان في ذاكرتي. وسرعان ماجلس السيد قدو شارئوس، إلى جانب السيدة وسوائة فقد كان يسارع في سائر الاجتماعات الدي بحضرها. متعاليًا مع الرجال محاطاً بالنساء، إلى الالتحام بأكثرهن أناقة فيحس أنها تكلله بزينتها. كانت سرة البارون الرسمية أو لياسه الرحسي بجعلانه شبيها بتلك الرسوم التي تجمع في خطها فنان ألوان عظيم لرجل يوني السواد ولكنما بالقرب منه على كرسي معطف رأه يزمم ارتباده إلى حفلة راقصة تتكرية. كانت هذه المثلمانة الانفرادية، وهي بعامة مع صاحبة مسوء توفر للسيد قدو شارئوس، حسنوناً من الاستياز بتعشقها. فقد كان من نتائجها مثلاً أن تسمع سيفات المثال أن يكون للبارون وحده في خفلة ما كرسي أمامي في صحف سيفات المثال أن يكون للبارون وحده في خفلة ما كرسي أمامي في حصف المنتون أماد بالمؤلف في الركن القمي، وكان السيد قدو شارئوس، إلى ذلك في حل، وقد المنتونات منافرات المثال موقعه من المبادرة إلى يخمية كان معزولاً وصط صالة وكأنما وسط قاعة مصر في مقصورة، وحينما يبادرون لتحيته، وكأنما من خلال جوان معرفة المراقد أم بكن السيدة جوان بها ويهدائك لم ومن السيدة وسوانه ويملم أنها منتبط لاهتمامه بها ويغيطه بدوره أن يتوقف عن محداث لدخطر بإحجال المؤلف.

كانت السيدة دو فيلباريزيس، نصف راضية فحسب عن زيارة السيد دو شارلوس، لها. وكان هذا الأخير بحبّ عمَّته كثيراً مع أنَّه يجد لها عيوباً كبيرة. ولكنَّه كان يوجه إليها بين الحين والحين في سورة الغنفب ولمآخذ وهمية، ودون أن يصعد في وجه نزواته، رسائل في غاية العنف يكشف فيها عن أمور صغيرة ما كان يبدو حتى ذاك أنه لاحظها. ويمكنني أن أذكر هذه الواقعة، من بين أمثلة أخرى غيرها، لأن اقامتي في وبالبيك، قد أطلعتني عليها؛ فقد قبلت السيدة دوو فيلباريزيس، في خشيتها ألا تكون حملت مايكفي من مال لتمديد فترة اصطيافها في ابالبيك، وإذ لاغمَّ، بما أنَّها كانت بخيلة وتخشى المصروفات الفائضة عن الحاجة، أن تستقدم مالاً من باريس، أن يقرضها السيد \$دو شارلوس؛ ثلاثة آلاف فرنك. واتفق أن أستاء من عمته لسبب واه فطالبها بها بحوالة برقية بعد ذلك بشهر واحد. فوصله ألفان وتسع مئة وتسعون ويضع فرنكات. ولما رأى عمته بعد بضعة أيام في باريس وتخدَّث إليها حديثاً ودياً حملها بكثير من اللطف على ملاحظة الخطأ الذي ارتكبه المصرف المكلف بالإرسال. وأجابُّت السيدة همو فيلباريزيس. قائلة: ٩ ولكن ليس ثمة من خطأ، فالحوالة البرقية تكلف ستة فرنكات وخمسة وسبعين.» فردُ السيد «دو شارلوس»: «آه! بما أنَّ الأمر مقصود فهو على ما يرام. لقد قلت لك ذلك فقط فيما لو كنت عجهلينه لأنَّ الأمر في هذه الحالة كان يمكن أن يغيظك لو فعل المصرف ما فعل مع أشخاص أقلّ ارتباطاً بك منّى. ٤ ولا ، لا ، ليس من خطأ هذاك . ٤ وختم السيد ددو شارلوس، قوله مبتهجاً وهو يقبل برقة يد عمَّته: ٥ كنت تماماً على حق في حقيقة الأمر.، ولم يكن بالفعل حاقداً عليها وكان يبتسم فحسب إزاء هذه الدناءة الطفيفة. ولكنه سطر لها بعد ذلك بوقت قليل رسالة نفيض حنفاً ووقاحة إذ حسبُ أنَّ عمَّتهُ كانت تريد أن تخدعه في أمر عائلي وه تخيك ضلَّه مؤامرة كاملة؛ وفيما كانت هذه الأخيرة تختبئ بغباء خلف رجال أعمال اشتبه بالضبط أن تكون حالفتهم ضدّه. وأضاف في التمقيب قوله: ٥لن أكتفي بالانتقام، بل سأجعلك مضغة الأفواه. سوف أبادر منذ الغد إلى رواية قصة الحوالة البرقية والستّ فرنكات وخمسة وسبعين التي اقتطعتها من الثلاقة آلاف التي أقرضتك إيّاها، وذلك على مسامع كل الناس، وسألحق بك العارء وهوضاً عن ذلك بادر في الفد إلى طلب الصفح من عمته وفيلاارزيس، آسفا لرسالة ضمنها جمالاً مقينة بالحقيقة. ومن كان عساء يمكن أن يطلع على قصة المحوالة المرقبة على أية حال؟ إن قصة السوافة هذه إنما كان سيكتمها الآن إذ لا يبني انتقاماً بل مصالحة صادقة. أنا قبل ذلك، نقد رواما في كل مكان وهو على أحسن حال مع عمته، لقد رواما دون خبث، للاضحاك ولأته كان التجديل الحي للفضيحة. تقد رواما ولكن دون أن تعلم بذلك السيدة ودو فيلاريس»، حتى أنها لما علمت من رسالته أنه على الحاق المرا بها بفضح طرف أعلن المكتما لم يكن يعلم كل معهما باللدقة علمت علم المنافق على الحاق المرا بهم لها. لقد هما كل ذلك، ولكتما لم يكن يعلم كل منهما باللدقة خدعها أشاك وأنه يكنب وهو يتظاهر بحبه لها. لقد هما كل ذلك، ولكتما لم يكن يعلم كل منهما باللدقة أي الآخرة فيه. والأمر هنا بالتأكيد أمر خلاقات المتقدمة خاص بعض الشيء، أما خلاقات وبلوك وأصدقاته فكانت من نوع مخطف، ومن نوع آخر كذلك خلافات السيد ودو شاولوس» مغلما عن نزيء مثلما سوف نرى، مع أشخاص غير السيدة وو فيلارتهابي، تماماً. ولابة أن تذكر مع ذلك أن الرأي المذي نصحه بعضنا عن بعض وعلاقة والأسرة ليس فيها من أمر ثابت إلا في المظاهر، فهى على المكس أيدية الحركة كالبحر، من هنا جاء المكتبر من الأحاديث الشائلة يقولها صديق عن مرابط تائم تم هم بعد قبل يتحلون بحثان بعضهم عن المكتبر من الحدود فيقاء والكثير من الأحدوث الشائلة يقولها صديق عن صديق حسينا لاينفصل عنه ونعرد فنقاء وقد صالحه قبل أن تسمنا المودة عن دهشتنا ء والكثير من انقلابات الأحلاف بين الشعوب في وقت قصير جنا.

وقال لي دسان لوء : فا إلهي، الحرارة ترتفع بين عمي والسيدة دسوانه. وأمي التي جاءت، يبراءتها، ترحجهما. فكل شيء طاهر في نظر الطاهرات!»

كنت أنظر إلى السيد ددو شارلوس. كانت خصلة شعره الأشيب وعينه الضاحكة التي ترفع النظارة المفردة حاجبها وعروته يزهراتها الحمر تؤلف كأنما الرؤوس الثلاث المتحركة لمثلُّث مضطرب ومدهَّش. ولم مخالفتي الحرأة لتحيَّته إذ لم تبدر منه أيَّة إشارة نحوي. بيد أني كنت متيقنًا أنه رآني مع أنه لم يكن يلتفت صوبي. ففيما كان يروي قصة للسيدة «سوان» التي يتهدّل معطفها الرائع الذي بلون زهر الثالوث حتى إحدى ركبتي البارون كانت عينا السيد «دو شارلوس» الشائحان، وكأنَّى بهما عينا بائع في الهواء الطلق يخشَّى من مجيء الشرطة، قد تخرّيتا بالتأكيد كلّ قسم في الصالة واكتشفتا كل الأشخاص الحاضرين فيه. رجاء السيد ٥ دو شاتليرو، يقرئه السلام دون أن ينم شيء في وجه السيد ٥دو شارلوس، أنَّه لمح الدوق الشاب قبل مثول هذا الأخير في حضرته. فهكذا كان السيد هدو شارلوس، في الاجتماعات الحاشدة إلى حدّما، شأن الاجتماع هذا، يحفظ على نحو ثابت تقريباً بابتسامة لا الخاه محدَّداً لها ولا مقصد خاصاً فتجيء، وقد سبقت على هذا النحو عَمَيَّات الوافدين، خلوا، حينما يدخل هؤلاء ساحتها، من أي دلالة تودَّد لهم. وكان لابدّ لي مع ذلك من المبادرة إلى نخية السيدة وسوان. وبهما أنها لم تكن تعلم إن كنت أعرف السيدة دمو مارسانت، والسيد دمو شارلوس، فقد أبدت شيئاً من الجفاء وقد خشيت دون ريبَ أن أطلب إليها أن تَعرف بي. فتقدّمت إذ ذلك صوب السيد ١دو شارلوس، وأسفت في الحال لأنَّه لابدّ كان يراني تماماً فلم يبد من ذلك شيئاً. وقد وُجدت، ساعة انحنيت أمامه، إصبعاً بعيداً عن جسمه الذي كان يمنعني من الاقتراب منه بكامل طول فراعه المملودة، إصبحاً تخالها فقلت خانماً اسقفياً تبدو وكأنما نقدّم لك مكانه المكرّس له لتقوم بتقبيله، ولا بدّ أني بدوت وكأنى دخلت على غير علم من البارون وبطويق عخطيم للابواب يلقى عليّ مسؤوليته إلى ابتسامته الدائمة وتيدّهما المنفل الخالي من الدلالة. وما كان من شأن هذا الفتور أن يشجع السيدة وسوانه كثيراً على الإقلاع عن فتورها.

وقالت السيدة ددو مارسانت، لابنها الذي أقبل لتحيَّة السيد ددو شارلوس،: ٥ كم تبدو متعبًّا ومضطرباً.

كانت نظرات اوريير، بالفعل تبدو بين الحين والحين وكاتبها تبلغ أعماقاً تعادرها في الحال شأن غواص يلغ القاع. وإنّما كان ذلك القاع الذي كان يؤلم وروير، أشد الألم حينما يبلغه ويغادره في الحال لمعرد إليه بعد لدعظة، إنّما كان فكرة أنه قطع علاقه بعشيقته.

وأضافت والذته وهي تداعب خدّه: الا بأس عليك، لا بأس عليك، حسن أن أرى ابني الصغير.،

وإذ بدا أن هذا الدحان يوعج فروبيره جذبت السيدة قدو مارسانته ابنها إلى أقصى الصالة حيث كانت
يعض مقاعد من طراز فيوفيهه في فجوة مكسوّة بالحرير الأصفر تكثّل أغطيتها البنفسجية كأزهار سوسن
تغضيها الحمرة في حقل من الأزوار الذهبيّة. وإذ ألفت السيدة قسوانه نفسها وحيدة وأدركت أتي أرقبط
يعلاقة صدائة مع وسان لوه أشارت إليّ بالجيء بالقرب منها. وما كنت أدري، إذ لم أرها منذ فترة طويلة، عما
أحدثها. ولم أغفل عن قبحتي بين جميع تلك التي كانت فوق السجادة، ولكني كنت أنساعل بفضول لمن
يمكن أن تكون قبمة لم تكن قبمة الدوق دو غيرمانت، وفي بطائتها حرف GB، يعلوه التاج الدوقي. كنت
أعرف من كان الزوار جميمهم ولا أجد واحداً من ينهم يمكن أن تكون قبحة.

وقلت للسيدة «سوان» وأنا أشير إلى السيد «دو نوربوا»؛ دما أقربه إلى القلب. صحيح أن « روبير سان لو» يقول لى إقه ضرب من الوباء ولكن...».

فأجابت: ﴿إِنَّهُ عَلَى حَنَّهُ.

ولما رأيت نظرتها ترتد إلى أمر كانت تكتمني إيّاه ضيقت عليها بالسؤال، فمضت بمي إلى زواية إذ رأحا سرّها أن تبدو وكأنّما بشفلها إلى حدّ بعيد واحد في هذه الصالة التي تكاد لا تعرف فيها أحداً. وأجابتني قاتلة:

واليك ما أراد السيد (دو سان لوء أن يقوله لك) ولكن لا تُعد له القول، فريما وجدني غير حافظة للسر وأيضة المسلوك واليك أجرم على تقديره، فأنا كما تملم ومثالية السلوك إلى أبعد حد. لقد تناول وشارلوس، وشواطعام المشاء في منزل الأميرة (دو غيرمائت، ولست أدري كيف تم الحديث عنك. وقد روى السيد (دو نوربوا) على حد قولهم، والأمر صخيف فلا تشغل بالك لذلك إذ لم يوله أحد أهمية، فالكل يعلم نماماً على أيّ لسان يحىء الخير – ألك متولف نصف مهروز.»

لقد سبق أن روب قبلاً عن ذهولي أن استطاع صديق لوالدي على نحو ما كان السيد دو نوربواء أن يتكلم هكذا في حديثه عني. واتنايني ذهول أكبر أن علمت أن أنفطالي في ذلك اليوم البعيد الذي تكلّمت فيه عن السيدة وموانه وعن «جيلبيرت» وكان معروفاً لدى الأميرة دور غيرمانت» التي كنت أحسبها مجمهاني، إن كلا من أعمالنا وأقولنا ومواقفنا إنّما يفعمله عن «العالم»، عن الناس الذين لم يدركوه مباشرة، وسط تختلف نفاذيته إلى مالا نهاية ونظلٌ مجهولة لدينا. ولما علمنا بالتجربة أنَّ قولاً مهما، أيَّ قول، تمنينا بشدة أن ينتشر (كتلك الأقوال المتحمسة جدًا التي كنت أجود بها فيما مضى للجميع وفي كل مناسبة حول السيدة وسوانة ظنًا منى أنه سوف يكون بين الكثير من البذرات الصالحة المبثوثة واحدة ستنبت) إنما وقع له وفي الغالب بسبب رُغبتنا نفسها أن وضع في الحال مخت المكيال، فكم كنّا بالأحرى بعيدين عن أن نصدَّق أنَّ هذه العبارة الصغيرة جدًا التي نسيناها، بل لم نتلفظ بها في يوم وتكوّنت في طريقها من جراء انكسار غير صحيح لعبارة مختلفة سوف يتُم نقلها، دون أن تتوقف مسيرتها في يوم، إلى مسافات لا نهاية لها– وحتى منزل الأميرة ددو غيرمانت، فيما يخص موضوعنا - وتمضى لتنشر المرح على حسابنا في وليمة الآلهة! إنَّ ما تتذكَّره من سلوكنا يظل مجهولاً لدى أقرب جيراننا ؛ أمَّا ما نسبنا أنَّا قلناه أو حتى مالم نقله في يوم فينتقل ليثير الضحك حتى إلى كوكب آخر والصورة التي يكوّنها الآخرون عن حركاتنا وسكناتنا لا تشبه تلك التي نرسمها للمواتنا أكثر مما يشبه رسماً ما نقل افاشل؛ عنه يقابل فيه مجال فارغ خطأ أسود واستدارة غامضة آخر أبيض. وقد يتفق على أيَّة حال أن يكون ما لم يتم نقله إما خطأ وهمياً لا نبصره إلا بداعي الإعجاب بالنفس وأن ما يبدو لنا مضافا إنّما يخصنًا على العكس على نحو جوهري إلى حدّ أنّه يفوتنًا. حتى أنّ هذه المسوّدة الغربية التي تبدو لنا قليلة الشبه بنا إلى حدّ بعيد إنّما تملك أحياناً نوع الحقيقة التي لصورة بالأشعة السينية، وهي قلّما ترضي بالتأكيد ولكنها عميقة ومفيدة. وليس ذلك سبباً كيما نتعرّف ذواتنا فيها. فمن تعوّد أن يبتسم في المرآة لمحيّاه الجميل وصدره الجميل سيتفق له، إن هم أروه صورتهما الشعاعية، حيال هذه السلسلة العظيمة المشار إليها على أنَّها صورة له ذات الارثياب بالخطأ الذي يتفق لزائر معرض يقرأ في الدليل أمام رسم امرأة شابَّة: وجَمل نائم، وكنت سأتبين فيما بعد هذا الفارق بين صورتنا حسبما يتم رسمها على يدنا أو على يد الغير، وذلك لدى آخرين غيري يعبشون عيشة راضية وسط مجموعة من الصور أخلوها لأنفسهم فيما تكشر من حولهم صور مخيفة تخفى عليهم بالعادة ولكنها تغرقهم في الذهول لو أرتهم إياها المصادفة قاتلة لهم: وأولئك أنتمه.

لعلني كنت سعدت منذ بضم سنوات أن أقول للسيدة وسوان، ولأي داع، كنت رفيقا إلى هذا الحدّ بالسيد «در نوربوا» بما أن ذلك «الداعي، كان الرغمة في التعرف بها. ولكنّي ثم أهد أحس بلملك ولم أهد أحب «چيليبرت». وما كنت أفلح من جهة ثانية في عائلة السيدة «سوان» بالسيدة ذات الأثواب الوردية التي رأيتها في طفولتي. وقد تكلمت لذلك عن للرأة التي كانت تشغلني في ذلك الوقت. فسألت السيدة «سوان» تاثياً؟

- دهل رأيت لتوك الدوقة ددو غيرمانت، ؟

ولما كانت الذوقة لاغمي السينة «سوان» فقد شاءت هذه الأخيرة أن تبدو وكأنها مختسبها امرأة لا شأن لمها ولا ينتبه المرء ارجودها فأجابتهي بلهجة متكذّرة وهي تستخدم لفظة مترجمة عن الانكليزية:

- دلست أدري، لم دأحقق، ذلك،

على أنى وددت لو أحصل على معلومات لا حول السيدة «دو غيرمانت» فحسب، بل حول جميع الذين كانوا بقربون منها، فسألت السيدة «دو فيلباريزيس» حمل السيدة «لوروا»، في محاولة لتمثل حياة السيدة دو غيرمانت، تمثلاً دقيقاً، شأن مايفسل «بلوك» تماماً وبالافتقار إلى اللياقة الذي يديه أنامي يحاولون في حديثهم لا أن يحسنوا في عيون الآخرين بل أن يستوضحوا، كما يفعل الأنانيوّن، نقاطاً تهمّهم. فأجابت بازدراء متكلف:

الجل، أدري، ابنة عجار الخشب الكبار. أدري أنها تلتقي الآن أناساً، ولكني سأقول لك إني تقدّم بي
السن كثيرًا كيما أدهذ معارف جدداً. وقد عرف أناساً ذوي خطر ولطف كبيرين إلى حدّ أحسب معه حقاً أن
السيدة ولورواه أن تضيف شيئاً إلى ما أملك.ه

أمًا السيدة دو مارسانت التي كانت تقوم بدور وصيفة للمركيزة فقد قدّستي للأمير ولم تكد تنتهي حبى كان السيد دو نوربوا، يقلمني بدوره وبأكثر العبارات حوارة. فربما وجد من اليسير أن يقوم بمجاملة إزائي لانمس في شيء سمعته إذ تم التعريف بي بالفعل منذ قليل ١ وربّما لأنَّ الغريب، وإن يكون مشهوراً، أقل اطلاعا على الصالات الفرنسية ويمكن أن يحسب أنّهم يعرفونه بشاب من علية القوم ١ وربما لممارسة واحد من امتيازاته، وهو أن يضيف ثقل توصيته الخاصة بوصفه سفيراً، أو بداعي نزحة إلى الأسلوب القديم في القيام على شرف الأمير بأحياء عادة ترضي كبرياء صاحب السمر وهي ضرورة أن يكون ثمة عرابان إن شاء المرة أن يقدم له.

وصاحت السيدة ددو ليلباريزس، بالسيد ددو نوربوا، وقد أحست بحاجة أن تقول لمي علمى لسانه إِنّه ما كان لها أن تأسف لأنّها لا تعرف السيدة داورواه .

 - قاليس أن السيدة فاروراه، يا سيدي السفير، امرأة لا شأن لها وأدنى بكثير من جميع اللوالي يترددن إلى هنا وأني على حق في أني لا أستميلها 99

واكتفى السيد «دونوربرا»، إِمَّا بناعي الاستقلالية أو الإرهاق، بأن يجيب بتحيَّة تفيض احتراماً ولكنّها خالية المدلول.

وقالت له السيدة ددو فيلماريزيس؛ ضاحكة: دثمة أناس يثيرون السخرية إلى حدّ كبير. هل تصدّق يا سيدي أن رجلاً قد زارني اليوم وشاء أن يحملني على الاعتقاد بأنّه يحس متمة أكبر في تقبيل يدي منه في تقبيل يد امرأة شابة؟؟

وفهمت في الحال أأنها تعني ولوغراندان. وابتسم السيد هدو نوربوا، بغمزة خفيفة من عبده كما لو كان الأمر ململة طبيعة إلى حد لا يمكن معه أن نحمل على من يشعر بها وما يقارب أن يكون بداية رواية نهدي استعداداً لأن نففر لها، وحتى أن تشجعها، بتسامح شيطاني على طريقة وفوازنون، وا كريبيون، الابن.

وقال الأمير وهو يشير إلى اللوحات المائية التي باشرتها السينة دوو فيلباريزيس، : وقد تعجز أبدي الكثيرات من النساء الشابات عن صنع ما شاهدت هذا »

ثمّ سألها إن كانت شاهدت أزهار دفانتان لاتوره التي عُرضَتْ منذ قليل.

وصرّح السيد 3دو نوريوا، قائلاً: وإنّها من الطراز الأول وهي، كما يقولون اليوم، من ريشة رسام مرموق، ريشة واحد من أسائلة الممرّجة. غير أني أزى أنّها لاتستطيع احتمال المقارنة مع أزهار السيدة دو فيلباريزيس، التي أتعرّف فيها أكثر من تلك ألوان الزهرة.»

وحتى لو افترضنا أنَّ تخيز العشيق السابق وعادة التزلف والآراء المسلم بها في جماعة مغلقة قد أملت تلك الأقوال على السفير السابق فقد كانت تبرهن مع ذلك على أي انتقاء حقيقي في الذوق يرتكز حكم أهل المجتمعات الراقية الفنّي، وهو اعتباطي إلى حدّ أن النزر البسير يمكن أن يبلغ به أسوأ صنوف السخافة التي لا يلاقي على دربها كيما يوققه أي تفطياع نابع من إحساس حقيقي.

فأجابت السيدة دور فيلماريوس، باتضاع، دليس لي أي ضفل في معرفة الأزهار، فقد عنت أبداً في الدخل، وأضافت بالطف وهي توجّه القول للأمير: دولتن تسنت لي في حدالة سني أفكار أكثر جدية بقليل من أطفال الريف الآخيرين واليب المقلف وهي توجّه القول للأمير: دولتن تسنت لي في حدالة سني أفكار أكثر جدية بقليل في دبرويه حيث اصطحبتني عمتي و كروديايا، وعقيلة المشير دوح كاستيلانه، وإني أقد كر تماماً أنّ السيد والمنتوبة والسيدة دو سافندي، والسيدة دو الذي كان يلهو بمداخية، على الحديث عن الأزهار وكنت بنية صغيرة جداً لا أحسن تماماً فهم ما يقول. ولكنة كان يلهو بمداخية، وبهدما عاد إلى بلاد كم بعث إلي بمجموعة عشبية جميلة تذكاراً لنزهة كنا قمنا بها في عربة مكنوفة إلى محلة دفال ربشيه، وقد أغفيت فيها على عربة مكنوفة إلى محلة دفال ربشيه، وقد أغفيت فيها على حديث الأزهار التي عالم كانت لتسترعى انتباهي لولا ذلك، وحيضا المحبية وقد علمتني أن الاحظ الكثير من خاضايات الأزهار التي جميلة انهية المنه على يدو ما كانت هي يفسها أملت أن ألقي فيها بعض أحاديث السيدة دو بروعه، حيلة الدية الصاحبة دو منوفيا المين أحاديث الديدة دو ذر طيفية، على الدين، ع

ودعامي وروبيره إلى أقصى الصالة حيث كان مع والدته. فقلت له: «كم كنت لطيفاً وكيف أشكرك؟ هل يمكن أن تتناول خداً طعام المشاء معاً؟»

- دخلاً، إن ششت، ولكن برفقة دبلوك، لقد التقيت به أمام الباب. وبعد لحظة من الفتور لأنني كتت غصباً عني قد تركت جانباً رسالتين له دون جواب (لم يقل لي إن ذلك ما جرح شعوره ولكني أدركت الامر)، أبدى من للودة مالا يمكنني معه أن أبدي العقوق نمو صلّيق كهذا. وأحمى أن ذلك سيظل بيننا، فيما يخصة على الأقلام مدى المجاة وحتى للمات.»

ولا أحسب أنَّ ووبيره كان على خطأ تأم. فكثيراً ما كانت المذمّة لذى وبلوك تتيجة مودّة قوية ظنَّ اللهم الكن يخطر له أنّه بمكن للمرء أن يكون النّهم لايبادارة إلى اللهم أن يكون يخطر له أنّه بمكن للمرء أن يكون مريضاً أو على سفر، الذه وسرعان ما يبدو له صمت دام ثمانية أيّام أنّه ناجم عن جفوة مقصودة. ولم أعتقد لفلك في يوم أن أسراً صنوف عنف الصديق لديه، والكاتب فيما بعد، كانت على عمق كبير. لقد كانت تزداد حدّة إنّ قوبل فيها بجفاء وقور أو بيرودة تشجعه على مضاعفة ضرباته، ولكنّها لتنهار في الغالب أمام حرارة المودّة. وتابع هسان لوه قوله: وأما الملطف فإنك تزعم أثني كنت لطيفاً معك، ولكني لم أكن لطيفاً

على الإطلاق، فعمتي تقول إِنَّك تتجنبها أنت وإنك لاتقول لها كلمة واحدة: وتتساءل إِن كنت لا تضمر أمرًا ضدها.؛

ولو وقعت ضحية هذه الأقوال لحال رحيانا إلى وبالبيك لعصن حظيى، وكنت أحسبه وشيكا، دون أن المسلم الحال الله ألى لا أضمر شيئاً ضبكما وإن أضطرها بذلك إلى أن تثبت أحال لقاء السيدة دو غيرمات، ثا ثانية وأوكد لها ألى لا أضمر شيئاً ضبكما ولى أن تثبت ألم الله على على حجى الذهاب لوإرة أسرة وللمستبوء وما كان ذلك على أن أقد حال حيية أمل، إذ ما توقعت على الإطلاق أن تكلمني عن الأمر. كنت أحام أتي لا أروقها وأنه لم يكن لي أمل في حملها على صحتي، واكثر ما أمكن أن أتمناه أن أحمل عنها، بغضل طيتها، وبما أتي لن أعود فأراها قبل منافرتي بارس، انطباعاً كلي الحالاة أنتحاه إلى وبالبيك عنها، بغضل طيتها، وبما أتي لن أعود فأراها قبل منافرتي بارس، انطباعاً كلي الحلاوة أتحاه إلى وبالبيك ويتطارل إلى مالا نهائة ولائمة له، بلاً من ذكرى تصترع بالثابق والكابة.

كانت السيدة «دو مارسانت » تقطع في كل لحظة حديثها مع «دوبيره لتقول لي كم كلمها كثيراً عثي وحم كان يحبين أحس أنها إثما تعليها وحم كان يحبين قد كت أحس أنها إثما تعليها وحم كان يحبين أن تقد كله المستعجل أن تعزيد به المشخبية التي يها أن تعضب بسببي من ذلك الاين اللدي لم تكن بعد قد رأمه اليوم واللدي تستعجل أن تعزيد به والذي تحسب أن السلطان الذي تصارمه عليه لايوازي سلطاني ولايد أن يراعجه. واستعلمت السيدة ودم مارساتته بعدما سمعتني قبلاً أسائل وبلوك» عن أعجاز عمة ونسيم بيرناره إن كان ذلك الذي سبق أن سكن وقيس، وظالب كريم الطاني مارساتته قبل أن يتروجهني وكثيراً ما حدثلي واليمين و كثيراً ما حدثلي

ولعَّله كان خطر لـ اللوك، أن يقول: ٥ عجاً أنَّه لم يكلب هذه المرَّة، ذلك أمر لا يصدَّق.

كان بودّي دوماً أن أقول للسيدة دو مارسانت، إنّ دوييره يكنّ لها مودّة أعظم بما لايقاس كما يكنّ لي وأن ليس من طبعي محاولة استعداله عليها وفصله عنهاً ولو أبدت لي العداء. ولكني أصبحت أكثر حرية في ملاحظة دوييرة منذ أن ذهبت السيدة دو غيرمانت، وتبيت آذلاك فقط أنّ نوعاً من الغضب أخذ يبدر ثانية وكأنه يعتمل في صدره ويلوح على رجهه القامي المتهجم. وكنت أخشى أن بشعر بالمذمة ازائي، لدى تذكّر شجار ما بعد الظهيرة، أن سمح بمعاملته معاملة قاسية إلى هذا الحدّ على يد عشيقته دون أن يردّ.

وتملص فجأة من والدته التي كانت قد لفت عنقه بذراعها وأقبل إلي تقادني خالف متضلة السيدة ودو فيلباريزيس؟ المزهرة حيث كانت هذه الأخيرة قد جلست وأشار إلي أن أتبعه فجى الصالة الصغيرة. وكنت ماضياً إليها بسرعة حينما فارق السيد دود شارلوس، على نحو مفاجئ، ولمله حسيني ذاهباً بايجاه الخرج، السيد دو فافقهام، الذي كان يتحدث معه وقام بدورة سريعة قادته قبائي. ورأيت بهكم أنه أخط القيمة التي خطً في أسفلها حرف (G) وتاج دوقي، وقال لي في فتحة باب الصالة الصغيرة دون أن ينظر إلىً:

- «بما أتني أراك الآن ترناد المجتمع فتكرّم علىّ بأن تأتي لزيارتي، وأضاف بهيئة الشارد المتحسب
 وكما لو تعلق الأمر بمتمة كان بخشى ألا يمود فيلقاها بعلما نقلت من يده فرصة تنظيم وسائل مخقيقها معي:
 ولكنّ الامر على شيء من التعقيد، فقليلاً ما أكون في منزلي ولايدّ من أن تكتب إليّ. على أني أفضل أن

أوضح لك ذلك بهدوء أكبر. إني أزمع الذهاب بعد لحظة فهل تسير خطوتين بوفقي؟ لن أستوفقك سوى لحظة.

فقلت له: ايحسن بك أن تنتبه ياسيدي، فقد أخذت خطأ قبعة أحد الزائرين.

- دمرادك أن تمنعني من أخد قيمتي ؟،

لقد افترضت، إذ انفقت لى المفامرة قبل ذلك بقليل، أنه بعدما أحد أحدهم قبعته لمح إحماها اثفاقاً كي لايمود حاسر المرأس وأنهي كنت أحرجه بكشف حيلته. ولذلك لم أكمّ، وقلت له إنه ينبغي في أولا أن أقول لايمود حاسر المرأس وأنهي كنت أحرجه بكشف حيلته. ولذلك لم أكمّ، وقلت له أنه مذاك . - وظريف ما تقوله، يضم كلمات لد وسان لواء وأصفت قولي، وأنه يحادث موقى السيد دور شارلوس، ؟ (وكنت أتصور أنه، وأن كان له أح، فلا بدأ أن يدهى هذا الأح يدوره وشارلوس، لقد سبق أن زورني وسان لواء يعيض الايمناحات بهذا الشأن في والبيك، ولكني نسبتها، فقال لي البارون بلهجة وقحة: ومن يحدّلك عن السيد ودو شارلوس، ؟ هيا المن باللوب من ووبيره، إلى ألم أنك شاركت هذا الصباح في واحد من أغلبة المريدة التي يسبه يتميه الحدود ولنا جميعاً بتميخ اصدنا في الرحل، المنها بالمحكينة ولنا جميعاً بتميخ اسمنا في الرحل، ه

وددت لو أجيب أثنا لم تتحدث في أثناء الشداء الشائل إلا عن وإيمرسونه ودايسن، ووتولستوي» وأنا المرأة الشابة قد حضت ورويبره على ألا يشرب غير الماء. وكيماً أجهد في جلب بعض العزاء لـ ورويبره المدي طنت كرامت قد جرحت حاولت أن أعلن عشيقته. ولم أكن أعلم أنه إنما كان يوجه الملامة النفسه في تلك اللحظة على الرخم من غضبه منها. ذلك أنه يتفق دوماً حتى في المشاجرات بين صالح ورشيرة وحينما يكون الحق بكلية من حالب أن يكون ثمة إحداى الترامات التي يمكن أن نبدي للشريرة أنها ليست مخطة في نقطة معينة. وبما أنها تهمل جميع النقاط الأخرى، فإن أحتاج الصالح إليها أقل ما يحتاج وأضعف الهجر معنوياته فسيناخل ضعفه الوساوس إلى نفسه وسيتذكر صنوف اللوم اللامتقولة التي رجهت إليه ويتساعل إن لم يكن لها عن والأساس.

وقال لي «روبير»: «أطنني أخطأت في مسألة النقد هذه. أنا بالتأكيد لم أفعل ذلك بمقصد سبيء ولكنّي أعرف تماماً أنّ الآخرين لايتخلون وجهة النظر نفسها التي تتخلها نعن. لقد عامت طفرلة قاسية جناً. وإنّما أنا في نظرها الغني الذي يعتقد أن المرو يبلغ كل شيء بماله والذي لايقوى الفقير على محاربت سواء في ذلك التأثير على ويرشرونه أو كسب دعوى أمام القضاء. ليس من شلك أنّها كانت قاسية جناً، أنا الذي لم يبحث في يوم إلاً عن خيرها، ولكنّي أتبيّن الأمر تماماً، إنّها نظرًن أني أردت أن أُشِّرها بامكان وبطها بالمال، وما ذلك يصحبر.

ما عساها نقول في نفسها هي التي غميني أشدُّ الحجّا يا للمزيزة للسكينة، إن لديها، لو تدري، من صنوف المرقة، أنا لا أستطيع أن أقول لك، فكثيراً ما فعلت من أجلي أمور رائمة. كم يُدِيني أن تكون تعيسة في هذه اللحظة! ومهما يكن من أمر، على أي حال، لا أريد أن تملّني غليظ الفؤاد، وإلَّي مسرع لدى «بوشرون» لاحضار المقد: من يعري؟ ربما اعترفت بأخطائها ساعة نراني أضل ما أنسل. ترى، هي فكرة أنها تتعلّب في ملد المحقد المن المقدلة مالا أطيق احتماله! ما تحمل من علماب إنما نعلمه وهو غير ذي بال. أما فيما يخصمها، فأن نقول لأنفسنا إنها تصلّب ولا نستطيع تصرّر ذلك، أطانتي سأجنّ وأفضل ألا أعرد ظائفاها في يوم على أن أدعها تتعلّب. فلتكن سعيلة معرول عني إن وجب الأمر، فللك كلّ ما أشناه. اسمع، تلزيء، كلّ ما يسمها لاحدود له، في نظري، ويتخذ شيئاً من رحاية الكون. إني مصرع إلى الجواهري، وبعدها أسالها المسفح. وإلى أن أصل إلى هناك، ما مسكن أن تشكر في الو أنه تعلم فحسب أتي أرمع الجيء! ممكنك تخسباً لكلّ طارع أن نجيء وقال مبتسما وكأنما لايجرة على الاعتقاد يسلم كيلنا: وربما ذهبنا ثلاثنا للمشاه في الأرباف. ولكنما الاستطيع أن نعرف بعد، فأني لا أحسن معاملةيا. بالمعذوة المسكيدة، وبما أزمعت أن أجرح شعورها أيضاً، وقد يكون قرارها قراراً لا رجعة فيد،

ومضى بى «روبير» على نحو مفاجع إلى والنته، وقال لها: «الوداع، إنى مضطرٌ إلى الرحيل، ولست أعلم متى أعود في اذن، ولن يكون ذلك قبل شهر دونما شك. سوف أكتب لك ما أن أعلم ذلك.»

لم يكن درويوء بالتأكيد من أولئك الأبناء الذين يحسبون، إما وجدوا في المجتمع برفقة واللنهم، أنه لابد أن يوازي موقف ساخط إزاءها البسمات والتحيات التي يوجهونها للأغراب. فلهس ما كان أكثر شيوعاً من ذلك الانتقام البشم بمارسه أولئك الذين يظنون أن الفظافلة تجاه الأهل إنما تكمل بالطبح البرة الرسمية. ذلك الانتقام البشم المسكنة فإن ابنها يرفع في السال في وجهه التوكيد الذي صبغ برجل قولاً مناقضاً ساخراً قاسياً كما لو اسملاب رقماً عده وابتنى أن يكلفهم حضروه دفع ثمن مرفع وتعشم الموالدة في الحال إلى وقلياً كما الكان المتفرق، درن أن تهلاً مورة غضبه لللك. وتولى الإنادة به في غابه أمام الجميع على أنه فو على عنه عنه عنه عنه منافعة تماماً بيد على على عنه منافعة تماماً بيد أن المقال الذي يعدف فياب دواجل كان من تتبحه أن أم يكن أقل قسوة على واللته من هؤلاء الأبناء على أن المقال الذي يعدف فياب منحلفة وأبت لدى الكلفات التي تقوه بها الخفقة نفسها، وهي شبهية بخفقة جناح، أمها التي الم السيام الذي وصول ابنها، تدفيها في الانتصاب بكامل قائمها.

- اعجباً، أنت ذاهب (يا روبير) والأمر جديّ ياولدي الصغير! وهو اليوم الوحيد الذي يمكن أن
تكون فيه لي!».

وأضافت بصوت خالف تقريبا وبلهجة طبيعيّة كأكثر ما تكون وبصوت تجهد أن تقصي منه أيه حون كي لا توسي لابنها بأية شفقة قد تكون قاسية عليه أو غير مجدية ومن شأنها أن تفضيه فحسب، أضافت وكأنما تلك حجة صادرة عن سلامة التفكير :

- التعلم أنَّ ما تفعله ليس لطيفاً.

ولكنها كانت تضيف إلى تلك الساطة قدراً كبيراً من الرجل كي تبدي له أنها لاتعجارز حريم، وقدراً كبيراً من الحنان كي لا يأخذ عليها أنها تقف حاتلاً دون متمه إلى حدّ لم يستطع دسان لوء ممه ألا يتبين في داخله إشفاقاً ممكناً، يعني عاتقاً دون قضاء الأمسية مع صديقته. ولذلك أخذه النضب:

- وذلك مؤسف، أما أن كون لطيفاً أو غير لطيف، فالأمر هكذا. ٤

ووجه إلى والنته اللوم الذي أحس دونما شك أنه ربما يستحقه ؛ إذ مكنا يملك الأتانيون أبدا الكلمة الفصل ؛ فاتّهم يفترضون بادئ الأمر أنّ عزمهم لايتزعزع، ويقدر ما يبدو الشعور الذي يستحون به لشيهم عن عزمهم مؤثراً بهذا القدر يشجون، لا أفسهم هم الذين يقاومون ذاك الشعوء بل أولك الذين يفرضون عليهم ضرورة مقاومته، حتى إن قسوتهم يمكن أن تبلغ أقصى درجات الشرامة دون أن يفضي ذلك في نظرهم إلاً إلى أن يزيد بالقدر نفسه من ذنب الشخص الذي يدي من قله الذوق ما يكفي ليتألم ويكون على حقّ رسبب لهم بذلك على نحو جبان ألم التحرّك ضد إشفاقهم ذاته. وقد كفت السيدة ودو مارسانت، على أية حال من تلقاء نفسها عن الإلحاح إذ أخذت بخس أنها لن تستوقفه من بعد.

وقال لي: وإني أدعث، ولكن لاتستبقيه طويلاً يا أمي إذ ينبغي له أن يبادر بعد قليل إلى القيام بزيارة. ع

كنت أحس تماماً أنّ وجودي لايمكن أن يجلب أيّه مسرّة للسيدة «دو مارسانت» ولكنّي كنت أفضل، إذ لا أرحل مع «رويبر»، ألا غخسب أني أشارك في تلك المتبح التي غرمها إياه. وددت لو ألقى عذراً لسلوك أبنها، وذلك اشفاقاً عليها أكثر منّي مودّة له. ولكنها كانت أوّل من بادر إلى ألكلام وقالت لي:

- «يا للصخير المسكين، إلى على يقين من أنني بعثت الغم في نفسه. أرأيت ياسيدي، الأمهات أثانيات إلى أبعد حدّ. مع أنه لايتوافر له الكثير من المتع، فما أقل ما يأتي إلى باريس. يا إلهي، وددت لو ألحق به إن لم يكن بعد قد ذهب، لا لأحتيقيه بالتأكيد، بل لأقول له إلى غير حاقدة عليه وإني أرى أنه كان على حقّ. ليس يزعجك أن أنظر على الدرج؟»

ومضينا حتى هناك. وصاحت: (روبيرا روبيرا لا، لقد ذهب وفات الأوان.

لعاني كنت أخلت الآن على عاتقي مهمة أن أحمل (روبيرة وعنيقته على قطع علاقتهما بمثل ما كنت أبديت من طبية خاطر منذ بضع ساعات كيما يمضي للميش معها كلياً. وربما حكم وسان لوء في هذه الحالة انتي صديق خاتن، ودعتني أسرته في الحالة الأخرى قرينها الشرير. مع أتي كنت الرجل نفسه بفارق بضع ساعات.

وعدنا إلى العمالة، فبادلت السيدة «دو فيلمايزيس» ، إذ لم تيصر «سان لو، يمود، السيد «دو نووبوا» نظرة متشككة ساخرة دونما اشفاق كبير فيها، نلك التي نرسلها ساعة نشير إلى زوجة مفرطة الغيرة أو أم مفرطة الحان (وكلتاهما نوفرَ أن عرضاً هزاياً للآخرين) والتي تعنى: «ويحك، لابدً أنَّ عاصفة هبّت هناك.»

ومضى «ووبير» إلى منزل عشيقته يحمل إليها الجوهرة الرائمة التي ما كان يجدر به، بموجب اتفاقاتهما، أن يهيمها إياها. على أنّ الأمر أفضى إلى النتيجة نفسها لأنها لم تقبل بها ولم يفلح البتة في حملها على القبول بها. كانّ بعض أصدقاء دووبيره يعتقدون أنّ أذلة التجرّد التي توفّرها كانت خطة ترمي إلى شدّة إليها. بيد أنّها لم تكن متعلقة بالمثال إلا بالقدر الذي يمكنها أن تصرف دون حساب فقد رأيتها تتصدّق كيفما تيسر لها وعلى نصو مجون على أناس كانت نظنهم فقواء. وكان أصدقاء وروبيرا يقولون له كيما يوازفوا بأقوالهم المسيئة فعلة متجرّدة فاست به وراحيل، ولابدّ أنّها الآن في تمرّ ملهى والفولي ببرجيره. إن وراحيل، هذه لمزر وستودع أمرار حقيقي، وكم من امرأة مغرضة، بما أنّه يتّم الانفاق عليها، نراها تقيم بنفسها ألّف حاجز صغير دون كرم عشيقها تدفيها لماقة تورق وسط هذه الحياة ا

كان ﴿ رَوْبِيرِ ۚ يَجَهُلُ سَائَرُ خَيَانَاتَ عَشْيَقَتُهُ تَقْرِيبًا وَبِعَمَلُ فَكُرُهُ فَي كُلُّ مَا كَانْ مَحْضُ هَنَاتَ تَافَهَةً فَي مقابل حياة ،واحيل، الحقيقية، الحياة التي لم تكن تبدأ كلّ يوم إلا بعدما يفارقها بقليل. كان يجهل تقريباً كلّ خياناتها. وربما أمكن اطلاعه عليها دون أن يزعزع ذلك ثقته بـ ١١حيل، ؛ فذلك قانون للطبيعة رائع يمرز في صميم المجتمعات الأكثر تعقيداً وقوامه أن يعيش المرء في جهل كامل لما يحب. فالعاشق من جانب يقول في نفسه: «إنَّها ملاك ولن تهبني نفسها في يوم، ولم يبق لي سوى الموت، على أنَّها خبني إلى حدُّ أنها ربما... ولكن لا لن يكون الأمر ممكناً اله وفي ثورة اشتياقه وقلق انتظاره كم من المجوهرات يضع على قدمي هذه الامرأة وما أسرع ما يجري إلى افتراض المال ليجبها الهمّ! أما الجمهور فيقول من جانب الحاجز الزجاجيّ الآخر الذي لن تمرّ عبره الأحاديث أكثر ما تفعل تلك التي يتبادلها المتنزّهون أمام حوض أحياء مائية: وألست تعرفها؟ إني اهنئك على ذلك، لقد سرقت وهدّمت مالست أدري من الناس. إنّها محض محتالة. خدّاعة إلى ذلك اه وربما لم تكن هذه الصفة الأخيرة باطلة تماماً، فحتى الرجل المتريب الذي لايعشق حقاً هذه المرأة بل تروقه فحسب يقول لأصدقائه: ولاياعزيزي، ليست غانية على الإطلاق. أنا لا أنكر أنها عرفت في حياتها نزوتين أو ثلاثاً، ولكنها ليست امرأة تشتري، أو أن الثمن مرتفع جدًا حينذاك. معها تدفع خمسين ألف فرنك أو لاشيء على الإطلاق. وقد دفع، هو، خمسين ألث فرنك في سبيلها وحصل عليها مرّة، أما هي فقد أفلحت في إقناعه أنَّه من بين الذين حصلوا عليها مقابل لاشيء إذ لقيت من أحل ذلك على آيَّة حال شريكاً في داخله وفي شخص كبريالة. وهكذا فإن الشخص الأكثر افتضاحًا والأسوأ سمعة لن يتمّ لأحد في المجتمع أن . يعرفه في يوم إلا في أقاصي ندرة طبيعية حلوة مستعذبة وفي حماها. وكان في باريس رجلان لاتقان لم يعد وسان لوه يحييهما ولايتحدَّث عنهما دون أن يرتجف صوته ودون أن يدعوهما مستغلى نساء: وذلك أتَّهما تبدّدت ثروتهما على يد دراحيل.

وقالت لي السيدة 3 دو مارسانت و بصوت خاف: ولمست ألوم نفسي إلاً في أمر واحد، وهو أبي قلت له إنّه لم يكن لطيفاً. هو، ذلك الابن الرائم الفريد الذي لامثيل له، أن أكون قلت له في المرّة الوحيدة التي ألقاه فيها إنّه لم يكن لطيفا، إني أفضل لو ضربت بالمصا لأنبي متيقده أنّه مهما أصاب من متمة في هذا المساء، هو الذي لايصيب الكثير، فسوف تودي بها تلك العبارة الظالمة. على أبي لن استقبك ياسيدي بما أنك في عجلة من أمرك،

كل ما جاءت السيدة (دو مارسانت، على قوله لمي كان يتعلق بـــ (روبيره. كان صادقاً ولكنها كفت عن كوفها صادقة لتعود من جديد سيدة كبيرة:

- القد شاقني وأسعدني جدًا وراقني أن أنخدَّث إليك قليلاً. شكراً! شكراً!

وكانت تثبت عليّ، بادية الانصاع، نظرات ممتنة متشفية كما لو كان حديثي احدى أعظم المتع التي عرفتها في حياتها. كانت تلك النظرات الراتمة تتناسب والزهرات السوداء على الفسطان الأبيض المعرّق، كانت نظرات سينة كبيرة تتقن مهنتها.

- الايمكنني الذهاب في الحال، فلابدً أن انتظر السيد دوو شارلوس؛ الذي ينبغي لي أن أمضي معه. ٥

وسمعت السيدة دوو فيلارويس، هذه الكلمات الأخيرة، فبنا أنها تكثرت. ولعله خيل إليّ أنّ ما بدا وكانّه في ذعر لدى السيدة دوو فيلارويس، في تلك اللحظة إنّما كان السياء، لو لم يدر الأمر حول مسألة لايمكن أنّ نرهًا إلى ضعور من هذا القبيل. ولكنّ تلك الفرضية لم تخطر حتى ببالي. فقد كنت مسروراً من السيدة دو غيرمانت، ودسان لو، والسيدة دو مارسات، والسيد دوو شارلوس، والسيدة دو فيلارويس، نعما كنت أفكر وكنت أشخَلت بمرح وكيفما تيسر،

وقالت لى: وأتومع الذهاب مع ابن أخى وبالاميده ؟

وإذ خطر لي أنّ ارتباطي بصداقة مع ابن اخ للسيدة (دو فيلباريزيس، كانت تقدّره إلى حدّ بعيد كان يمكن أنّ بيررثها انطباعاً مشجعاً جنّا فقد أجبت منتبطاً: ولقد طلب إليّ أن أعود معه، ويضطني الطلب. وإننا على كلّ حال أعمق صداقة نما تظنّين ياسيدتي وأنا عارم على كلّ شيء كيما نزداد ارتباطاً.»

وخيل إلي أنَّ السيدة دو فيلباريزس» أضحت، بمد تكسّر، في هم، فقالت لي بهيئة المهنّم: «لاتتظره، إِنَّه يتحدث إلى السيد دو فافتهايم». ولم يمد يفكر في ما قاله لك. هيا امضِ واتنهز الفرصة بسرعة فيما هو يدير ظهره،

ولم أكن فيما يخصني معجلاً في الذهاب للحاق بد ورويره وعشيقته. ولكنما بنا أنّ السيدة دو فيلباريزيس، كانت تعمر إصراراً كبيرا على ذهابي إلى حدّ أبي استودعتها وقد تبادر ربما إلى ذهني أنها ترغب أنصاب مسائل هامة مع ابن شقيقها. كان السيد دور غيرمانت بعطى بتناقل بالقرب منها، واثماً إلهي المنظهر. لكانما كانت خكرة أمواله الكبيرة للثالة في كلّ جوء من أعضائه، وكان تلك الأموال قد أديت في المنظهر. لكانما كانت واكبيرة المناقد عادقة عادقة على هذا الرجل الذي بساوي الكبير الكبير، وصاحة السيدة بنهض بتأدب من مقمده وأحسست بكتلة الثلاثين مايوناً الجادة المتراصة التي كانت الزيمة الفرنسية القرنسية القديمة غركها وترفعها تتعبب واققة أمامي. كان يخيل إلي أبي أرى تمثال وجويتيره الأولي الذي صنحه وفيدياس، ذلك كان سلطان الثرية البرسوية على السيد «دو غيرمانت»، على جد السيد «دو غيرمانت» على المقال الدوق سيطرة مطاقة. نقد السيد «دو غيرمانت» على الدوق سيطرة مطاقة. نقد السيد «دو غيرمانت» يضحك لنكان الوكن إلى ذلكان الأخيرين.

وسمعت من الخلف صوتاً يصرخ بي في الدرج:

- وأعلى هذا النحو تنتظرني ياسيده !

وكان السيد ددو شارلوس.

وقال لي بجفاء حينما أضحينا في الباحة: «ألا يضيوك أن نقوم بيضع خطوات سبراً على الأقدام؟ سنمشي إلى أن أجد عربة توافقتي.»

- و كنت تريد أن تتحدّث إلى ياسيدي ؟٥

- وأجل، بالناكيد، كان لدي بعض أمور أقولها لك، ولكني لا أدري تماماً إن كتت سأُفعل. إلي اعتقد بالطبع أنها قد تكون بالنسبة إليك نقطة انطلاق إلى مكاسب لانقدر بنمن. ولكني أستشف كذلك أنّها قد يجلب في حياتي وفي مني التي يعرع المرء يتمسك فيها براحة البال الكثير من ضياع الوقت والكثير من الازعاج من كل صنف ونوع. إلى أساهل إن كنت تساوي ما أنكلف في سبيلك من عناء ولم يسمدني أن أمونك معرفة كافية لأقرر في الأمر. لقد ألقيتك على كثير من الضحالة في وبالبيك، حتى إذا أعذنا في احتيازنا الذياء الذي لاينقصل عن شخصية والمستحمه واتعال هذا الشيء المسمى والخف القماشي، وربما لم يكني بك على أية حال ما يكفي من كبير رفية في ما يمكن أن أفعله من أجلك حتى أولي نفسي هذا القدر من الإرعاج لانني أكرر لك بأقصى الصراحة ياميده، يعيد قوله وهو يقطع كلماته بشدة، ولا يمكن أن يكون

وقلت محجاً إِنَّه بينهي حينانك الامتناع عن التفكير في الأمر. ولم يبد أن قطع المحادثات هذا يوافق فوقه. فقال لي بلهجة قاسية:

دهذا التأدب لايعني شيئاً، فليس أمتع من تكبد الإزعاج في سبيل ضخص جدير بللك. فدراسة الفتون وحب سقط المتناع والجموعات والحدائق إن هي إلا أمور بديلة وحجج بالنسبة إلى أفضلنا. إننا في داخل برميلنا نبحث عن رجل، شأن دديوجين، ونزرع أزهار والبيغونيا، ونقلم شجر السدر لافقارنا إلى الافضل ولأن شجر السدر وأزهار البيغونيا تنقاد لمشيئتا، ولكننا نفضل أن نكرًس وقتنا لشجيرة بشرية لو تيقنا أنها جديرة بذلك. والمسألة كلها تكمن هنا، ولايد أتك تعرف نفسك إلى حدّما، فهل أنت جدير بذلك أم لا 8

فقلت له: الا أودً، ياسيدي، مقابل أي شيء في العالم أن أكون سب هم لك، فأما من جهة سروري فصدّى أن كل ما يأتيني منك سوف يوليني سروراً عظيما. إنّي بالغ التأثر أن تتكرم هكذا وتصرف إليّ اهتمامك وقسمي إلى منفعتي.٤

فكان أن شكرني على تلك الأقوال بما يقرب أن يكون فيض حنان مَا أروثني أعظم الدهشة. وتأبط ذراعي بتلك الألفة المتقطمة التي سبق أن أثارت دهشتي في دبالبيك، والتي كانت تتناقض قسوة نبرة صوته.

وقال: وقد تتفوّ أحياتًا، في طيش سنك، بأقوال من شأنها أن يخفر هوّة عميقة جنّا بيننا. فأما ما تفوّصت به منذ قليل فهو على المكس من النوع الذي من شأنه أن يؤثر في وبدفضي إلى أن أفعل الكثير، وربعا أكثر من الكثير في سبيلك. وفيما كان السيد قدو شارئوس، يسير معي يتأبط كل منا فراع الأخر، وإذ كان يسممني تلك المباوات التي نفيض مودّة، على ما يخالطها من تعالى، كان يثبت حيناً نظراته على وجهي بذلك الشخوص القوي، بمثلث القصوة الثاقبة، وقد سبق أن أدهشاني قبل صباح رأيته فيه أمام مقصف ابالبيك، وحتى قبل سنوات منطت قرب شجرة الزهرور الوردية إلى جانب السيدة احموانه التي كنت أصبها عشيته اتمثلا في حديقة والنسونفيل، وينقلها أحياناً من حوله ويتفحص العربات التي كانت تمرّ عديدة في ساعة التبذيل تلك، ويؤاطح توقفت معه عدّة عربات وقد طن المحردي أثنا تنوي اكتراء، ولكن السيد قدم الموامى كان يعمرفهم. جميعهم.

وقال لي: «ليس منهم من يلاتمني، وكل ذلك مسألة مصابيح والحيّ الذي يمودون إليه، 2 ثم قال: ووددت ألا يمكنك أن تخطئ حول سمة التجرّد المحض وحبّ المخير التي تطبع الاقتواح الذي سألقدَم لك.،

وقد دهشت للمديد من الجوانب التي كان إلقاؤه فيها يشبه، أكثر من حاله في «بالبيك»، إلقاء «سوان».

 وإني إفترض أنك على قد كاف من الذكاء كي لا تعتقد أنه مستوحى من «غياب المعارف»، من خشية العزلةُ والضجر. ليس لي أن أحدَثك عن أسرتي لأنني أحسب أن صبياً في سنك ينتمي إلى البورجوازية الصغيرة (والحَّ على الكلمة إلحاح الراضي) لابدُّ أن يعرف تاريخ فرنسه. وإنما جماعة الطبقة التي انتمي إليها المذين لا يقرؤون شيئًا وهم في جهل الأجراء. كان خدًّام الملك الخاصون فيَما مضى يعينون في صُفوف السَّادة الكبار، أما الآن فلم يعد السادة الكبار أكثر من خدّام. ولكنما الشبان البرجوازيون مثلك يقرؤون وإنك تعرف بالتأكيد صفحة دمشيليه، القيمة حول ذوي: وإني أجدهم عظاما جدًا آل دغيرمانت، الأشداء هؤلاء، وما عساء يكون، إمّا قوبل بهم، ملك فرنسه الصغير المسكين السجين في قصرة في باريس؟، أمّا فيما يخصنني شخصياً، فللك موضوع لا أحب كثيراً التحدّث فيه ياسيد، ولكنك ربما اطلعت على الأمر فقد ألمح إليه مقال مدوّ إلى حدّما في «التايمز» وذلك أن امبراطور النمسا الذي شرّفني دوماً بعطفه ولايسوءه أن يحافظ على صلات قربي معي قد صرّح بالأمس القريب في حديث تم نشره على الملاَّ أنّه لو اتفق للسيد الكونت «دو شامبوره رجل بالقرب منه يعرف حقّ المعرفة مثلَّى خفايا السياسة الأوروبية لكان اليوم ملك فرنسة. كثيراً ما فكَّرت ياسيد أنَّ في أثوابي، لا من جراء مواهبي، بل من جراء ظروف ربما عرفتها في يوم، كنزاً من التجارب ونوعاً من الملف السريّ الذي لايقدر بثمن والذي لم يخطر لي أن استخدمه لنفسي، ولكنّه ربُّما كان فوق كل ثمن بالنسبة إلى شاب أدفع إليه في بضعة شهور ما صرفت أكثر من ثلاثين عاما في اكتسابه وما ربما كنت وحدي أملكه. لست أتخذت عن المتع الفكرية التي قد تصبيها في الاطلاع على أسرار قد بيذل واحد من أمثال وغيزو، في أيَّامنا سنوات من حياته ليعرفها وربما اتخذت بعض الأحداث في نظره بفضلها مظهراً مغايراً شمامًا. ولست أتخذَّث عن الأحداث المنقضية فحسب، بل عن ترابط ظروف (كانت هذه إحدى عبارات السيد ددو شارلوس، المفضلة وكثيراً ما كان يضمّ يديه، حينما ينطق بها، مثلما نفعل إذ نصلي، ولكن مشدود الأصابع وكأنما ليسهل بهذا التشابك ادراك تلك الظروف التي لم يكن يحدها وترابطها). فلعلني أزوّدك بتفسير غير معروف لا للماضي فحسب، بل للمستقبل أيضاً. ٤ وتوقف السيد دو شارلوس، ليطرح على أسئلة حول دبلوك، الذي تم الحديث عنه في منزل السيدة «دو فيلباريزيس» دون أن يبدو عليه أنه يسمع. وسألني بتلك اللهجة التي كان يجيد فصلها عمَّا يقول حتى ليبدو وكأنه يفكر في أمر مختلف تماماً وأنه يتكلم آليا ونحض التهذيب، إن كان صاحبي شاباً، وإن كان جميلاً، الخ. ولو سمعه وبلوك، لعسر عليه حتى أكثر مما يعسر بالنسبة إلى السيد ددو نوربوا،، ولكن من جرّاء أسباب مختلفة أتم الاختلاف. أن يعلم إن كان السيد «دو شارلوس» إلى جانب «دريفوس» أو ضدُّه. ثم قال لي السيد ددو شارلوس، بعدما طرح على هذه الأسئلة حول «بلوك»: لستُ على خطأ، إن ابتغيت أن تتثقف، أنَّ تتخذ في عداد أصدقائك بعض الأجانب، فأجبت أنَّ وبلوك، فرنسي. فقال السيد ودو شارلوس، وأوا لقد تبادر إليّ أنّه يهودي. وقد حملني اعلان هذا التعارض على الاعتقاد بأن السيد «دو شارلوس» أكثر عداء لـ «دريفوس» من أي من الأشخاص الذين سبق أن التقيتهم. واحتج، بعكس ذلك، على تهمة الخيانة الموجهةً إلى «دريفوس»، ولكنما فعل بالصيغة التالية: «في اعتقادي أنَّ الصحف تقول إنَّ «دريفوس» ارتكب جريمة بحقّ وطنه، في اعتقادي أنّ ذلك يقال، فلست أعير الصحف أي انتباه ؛ إني أقرُّوها مثلما أغسل يديّ دون أن أرى أن ذلك جدير باثارة اهتمامي. والجريمة أية كانت الأحوال لا وجودً لها، فقد كان مواطن صديقك هذا ارتكب جريمة بحق وطنه لو أنه خان منطقة «يهودا»، ولكن ما شأنه وفرنسه ؟، وقلت معترضاً إنّ اليهود، لو قامت حرب في يوم، سوف تتم تعبئتهم كا لآخرين تماماً. وربَّما، وليس أكيداً ألا ينطوي ذلك على مخاطر. ولكن إن تمّ استدعاء سنغاليّين أو مالاغاشيّين فلا أحسب أنهم سيبدون حماسة كبيرة في الدفاع عن فرنسه، والأمر ً طبيعي تماماً. إن رجلك «دريفوس» هذا يمكن أن يُحكم عليه بالأحرى لخروجه على قواعد الضيافة. ولكن لندع ذلك جانبًا. ريما أمكنك أن تسأل صديقك دعوتي لحضور احتفال جميل في المعبد، لحضور ختان وترانيم يهودية. ربما استطاع أن يستأجر قاعة وأن يقلّم لي حفلة ترفيهية من وحي الكتاب المقلس، مثلما مثلت فتيات دسان سيرة مشاهد اقتبسها دراسين، من المزامير للترفيه عن لويس الرابع عشر. ربّما استطعت أن تدبر ذلك، وحتى حفلات للاضحاك. فصراع، على سبيل المثال، بين صديقك ووالده يجرحه فيه مثلما دداود، وچوليات، فريَّما ألف ذلك مهزلة مسلية بعض الشيء. بل قد يمكنه، وهذه حاله، أن يكيل لوالدته ٥النتنة، كما لعلُّ خادمتي العجوز تقول، ضربات مبرَّحة. هذا ما يمكن أن يتم على أحسن وجه ولن يكون من شأنه أن يكدّرنا، أليس كذلك ياصديقي الصغير، بما أنّنا نعشق المشاهد الغربية وأنّ ضرب هذه المحلوقة التي من خارج أوروبا إنّما يعني إنزال قصاص مستحقّ ببغل عجوز، كان السيد دمو شارلوس، ، ساعة يقول هذه الكلمات الفظيمة الَّتي تقارب الجنون، يضغط على ذراعي حتى ليؤلمني. وأخلت أتذكَّر عائلة السيد «دو شارلوس» وهي تذكر الكثير من ملامح الطبية الرائعة يبديها البارون إزاء هذه الخادمة العجوز التي أعاد إلى الأذهان منذ قليل لهجمها المحلية التي من لون ومولييره، وأقول في نفسيَ إنَّ العلاقات التي لم تخطُّ إلا بالقليل من الدراسة، فيما يبدو، بين الطبية والخبث في القلب الواحد، لقد يبدو من المفيد مخليدها مهما أمكن أن تكون مختلفة.

ونبَّهِته إلى أنْ السيدة وبلوك، لم تعد، على أية حال، على قيد الحياة وأنتي أنساعل فيما يخص السيد وبلوك، إلى أي مدى ستروقه لعبة يمكن بالتأكيد أن نقفاً عينيه. وبنا الغضب على السيد ودو شارلوس، وقال: واليك امرأة أخطأت خطأ عظماً في موتها. فأما العيون المفقوءة، فالكنيس بالضبط أعمى، إنه لاييمسر حقائق الانجيل. فكر على أي حال، في هذه الفترة التي يرتجف فيها جميع مؤلاء اليهود النصاء أمام حتق المسيحيين المغين، أي شرف لهم أن يبصروا رجلاً مثلي يتنازل للتلهي بالعابهما؛ وفحت في تلك اللحظة المسيد والمبلوك الأب لين المبلوك الأب يتنازل التلهي بالعابة المبلوك الأب يومنا أن المبلد وحل المبلوك المبلوك أن أقدم له لم أكن أرتاب بالنفضب اللدي أزم أن أبتك على المبلد أن المبلد لمبلوك لمبلوك لمبلوك المبلوك المبل

ولم يكن السيد وبلوك يصرنا على أي حال، أي التباه، فقد كان يوجه للسيدة وسازراة غيات واستة خطى منها بأحسن استقبال. وقد أذهلتي الأمر، إذ سبق أن ثارت ثاترتها بالأمس في كومبريه أن استقبل والداي وبلوك الشاب لشنة عدالها للسامية. ولكن سسألة الاديفوس، حملت إليها منذ بعنمة أيام، نأن تيار هوائي، السيد وبلوك لقد ألفى والد صديقي السيدة وسازراه واتمة وقد وإقه على وجه المخصوص عناء ثلك السيدة للسامية الذي كان يرى فيه يرهانا على صدق إيمانها وصدق آرائها المناصرة لمد وريقوس، والذي كان السيدة للسامية الذي كان يرى فيه يرهانا على صحق إيمانها وصدق آرائها المناصرة لمد وريقوس، والذي كان ينهجة طائشة: ويزع السيد ودومونه إلى وضع المطالبين بالتمديل في زاوية البروتستات واليهود. ما أبدعه بلهجة طائشة: ويزع السيد ودومونه إلى وضع المطالبين بالتمديل في زاوية البروتستات واليهود. ما أبدعه المتخاطأت فكن قال مزهواً للسيد فنسم يوبراي الدى عودك، وتدري يا ويرناره، إنها من الموالس؛ ولكن المتخاطة فلم ينس بينارة لم ينس بنت شفة ورفع إلى السماء نظرة مالاتكية. لقد لنحظ الآن، وهو ينتم لفقاء المهجود ويتلد كر صداقاته للمبيحة ويضحي عنصنا متأتماً كلما تقدّمت به السن ولأسباب سوف نراها فيما يعد، من المهقد من حركة وما قبل وظاهرا، الفية فيت له أوبار على نحو قلر كأنها شعور مفعوسة في حجر من الأوبال.

وعاد الدارون يقول، ولا يزال يمسك بالمراعي: دقضية دويفوس، برمتها لاتدكو إلا معذوراً واحداً، وهو أنها تمهتم المجتمع (ولا أقصد المجتمع الصالح، فالمجتمع لم يعد منذ زمن طويل أهلاً لصفة الثناء هذه، من جرًاء تدفق سادة وسيدات من الجمال والجمالة وحقائر الجمال، وأناس مجهولين بالتالي أجدهم حتى في منازل بنات عمي لأنهم يتحون إلى وابعلة الوطن الفرنسي المعادية لليهود وما لست أدري كما لو أن رأياً سياسياً يخولك حقّ اكتساب صفة اجتماعية.

كان عبث السيد ددو شاولوس، هذا يقرّبه أكثر ما يقرّب من الدوقة ددو غيرمانت، وأشرت إلى هذه المقاربة. وإذ كان بيدو وكأنه يحسب أني لا أغوفها ذكرته بأمسية الأوبرا التي بدا أنه كان يودّ فيها التخفي خجلاً بي. فقال لي إنه لم يرني على الإطلاق وبقدر من الحوم لملني بلغت معه في النهاية حدَّ تصديقه لو لم تخملني حادثة صغيرة بعد قليل على الاعتقاد بأن السيد ددو شارلوس، لم يكن ربعا راغماً، لفرط كبريائه، أن يشاهد بصحيتي.

وقال لمي: ٩هياً نعد إليك وإلى خطعلي فيما يخصك. تقوم بين بعض الرجال، ياسيد، ماسونية لايمكنني ١٩٥٥ ع أن أحدَّثك عنها ولكنها تضمَّ في صفوفها الآن أربعة من ملوك أوروباء. ولكن حاشية واحد منهم، وهو امبراطور ألمانيه، تبغي أن تشفيه من ضلالته. وذلك أمر خطير جدًا ويمكن أن يجيئنا بالحرب. أجل، بالتأكيد ياسيد. تعرف حكاية ذاك الرجل الذي كان يظنّ أنه يحجز أميرة الصين في زجاجة. كان ذلك جنونًا، وقد تمّ شفاؤه منه. ولكن ما أن لم يعد مجنوناً من بعد حتى أضحى غبياً. ثمة أدراء ينبغي ألا نحاول الشفاء منها لأنها تقينا وحدها من أخرى أشدٌ خطورة منها. كان أحد أبناء عمومتي يشكو مرضاً في معدته فلم يكن يقوى على هضم شيء. وعالجه أكثر أخصائي المعدة علما دون جدوى. فأخذته إلى أحد الاطباء (شخص آخر شديد الغرابة بدوره، أقولها بين هلالين، لعله من الممكن أن نقول الكثير عنه). فحرر هذا الأخير في الحال أنّ الداء كان عصبياً وأقنع مربضه وأمره أن يأكل دونما خوف ما يشتهي وما كان دوماً ممكن الاحتمال. ولكنّ ابن عمى كان يشكو كللك من التهاب الكلية، وما هضمته للعدة على أحسن وجه لم تستطع الكلية في النهاية طرحه، وعوض أن يعيش ابن عمّى شيخاً بمرض في المعدة وهمي كان يزعمه على اتباع حمية معينة مات في الأربعين وقد تعافى في معدته وخسر كليته. ومن يدري، وقد أحرزت تقدماً عظيماً على حياتك نفسها، ربعاً أصبحت ما كان يمكن أن يكونه رجل لامع في الماضي لو كشفت له روح حيّرة قوانين البخار والكهرباء وسط بشرية كانت مجهلها. لا تكن غبياً ولا ترفض بداعي الاتضاع. وافهم أنني إن كنت أؤدّي لك خدمة كبرى فلست أرى أنَّ تؤدّي لي خدمة أقلّ. منذ فترة طويلة لم يعد رجال المجتمع يثيرون اهتمامي وليس بي من بعد سوى ولع واحد قوامه محاولة التكفير عن أخطاء حياتي بتمكين نفس لانزال عذراء وقادرة على التحمس للفضيلة من الإفادة مما أعلم. لقد أصابتني غموم عظيمة، أيّها السيد، وربما رويت لك عنها في يوم، لقد فقدت زوجتي التي كانت الأمرأة الأكثر جمالاً والأوفر نبلاً والأكثر كمالاً مما يمكن أن يراود الأحلام. ولديّ شبُّان من ذوي قرباي ليسوا، لن أقول جديرين، بل قادرين على تسلم الإرث الأدبيُّ الذي أحدَّثك عنه. ومن يدري إن لم تكن ذاك الذي يمكن أن يمر بين يديه، ذاك الذي يمكن أن أوجه حياته وأسمو بها عالياً جداً؟ أضف أنَّ حياتي قد تفيد من ذلك. فريّما عدت فيما اطلعك على المسائل الدبلوماسية الكبرى فأحسست معها بميل إلى ذاتي وشرعت أخيرا أقوم بأمور مفيدة تقاسمني إياها. على أنه لابدّ لي قبل أن أعرف ذلك من أن أراك كثيراً، كثيراً جلّاً، كل يوم.

كنت أود الإفادة من هذه الاستعدادات اللاهبة اللامواملة التي يبديها السيد ودر شارلوس، لأسأله إن الايستطيع أن يوفر الي لقاء زوجة أخيه، ولكتما وقع لي أن دفعت ذراعي في تلك اللحظة دفعاً شديدًا وكأنما من جًاء صدمة كهربائية. وكان السيد ودر شارلوس، الذي أقدم، لسبب جاء يعاكس القوانين والكونية، التي كان لايزال قبل ثانية ونبيها الملهم، على صحب ذراعه من شحت ذراعي على عجل. لقد شاهد منذ قليل فقط السيد ودار جذكره يطلع من شارع عرضاني مع أنه كان يتقل عينيه، وهو يكلمني، في كل ايخاه. وبدأ ويكلمني، في كل ايخاه. وبدأ الميك النظرة المرجهة إلى شخص من عرف أخر تلك النظرة المرجهة إلى شخص من عرف أخر تلك النظرة المرجهة إلى شخص من عرف أخر تلك النظرة المرجهة إلى شخص من السيد ودر شارلوس، كان حريصاً أن يدي له أنه لايحاول على الإطلاق أن لا يصره هو، فقد نادى عليه وكيما يقول له أمراً تافها جندًا. ويما المحدود وعرمانته ودروبير دو سان لوء، وأد مجذورة فقال له إني صديق كبير للسيدة ودر فيارانيه، والدوقة ودر غيرمانته ودروبير دو سان لوء، وأنه هو، وشارلوس،

صديق قديم لجنتي وأنه سعيد أن ينقل إلى العقيد قليلاً من للموقة التي يكتّها لها. ولكني لاحظت أن السيد ودارجنكوره، مع أن أسمي لم يكد يذكر له في منزل السيدة ودو فيلباريزيس، وأنَّ السيد ودر شارلوس، حكّة منذ قليل حديثاً مطولًا عن أسرتي، بناً أكثر جفاء حيالي تمّا كان منذ ساعة خلت، وقد سارت الأمور مذ ذلك فترة طويلة على هذا للموال كلَّ مرّة كان يلقاني فيها. وقد راقيني في ذلك المساء بفضول لاينطوي على شيء من المودّة، بل بناً مضطرّ لقهر مقاومة شديدة حيضا مدّ إلىّ بعد تردّد وهو يفارتنا يناً استردّها في الحال.

وقال لي السيد دو شارلوس، إلتي آسف لهانا السادت الطارئ. فالسيد ددار جنكوره، وهو كريم المحتد ولكنه سيء التهذيب، وديبلوماسي أكثر من ضبط، وزوج مقيت وزير نساء، وماكر كما المكر في مسرحية، هو واحد من هؤلاء الرجال العاجزين عن الفهم، ولكنهم فادرون على تهذيم الأشياء المظيمة حقاً. وإني آمل أن تكون صداقتنا كذلك إن انبغى أن تشأ في يوم وأنك ستوليني شرف المخاط عليها، بقدر ما أفعل، في مأمن من لبطات أحد هؤلاء المحمير الذين يستحقون جزاء البطالة أو الرعزنة أو الخبث ما كان يبدو أنه جُول ليلوم، وإنما غالبية جماعة المجتمعات قد جهلوا لسوء الحظاً في هذا القالب. ٤

وإن الدوقة ودو غيرمانت، تبدو شديدة الذكاء. وكنّا منذ قليل نتحدث عن حرب محتملة، ويبدو أنها
 تملك بهلما الشأن معلومات خاصة.

فأجابني السيد قدو شارلوس، يجفاء قاتلاً؛ وإنها لا تملك من ذلك شيئا البتة. فالنساء، وكثير من الرحال على أيّ حال، لا يفقهون شيئا في الأمور التي كنت أبغي التحدّث فيها. إن زوجة أخي امرأة ممتمة تتعفيل أنها لاتوال في زمن روايات قابزاكه يوم كانت النساء يؤثرون في السياسة. وقد لا مجرّ عليك مخالطتها في الوقت الراهن سوى أثر مشؤوم، شأن كل مخالطة اجدماعية على أنه حال. ذلك بالضبط واحد من الأشياء في الوقت الراهن سوى أن أنولها لك حيدما قاطمني هذا الأحمد. إن أنّ كل منصحية بمبني لك أن تقدّمها لي حوساً المالية بقدر ما أمنحك من هبات – ألا تتردّ على المجتمعات، لقد تألمت منذ قبل بمائلك أن رأيتك في هذا الاجتماع السيئية بي موف تقول إني كنت حاضراً فيه، ولكنّه ليى بالنسبة إلى اجتماعاً مدينياً بل هو زيارة عائلية. أما فيما بعد، مسال عنه المناهية إلى اجتمع فريما لم ينظو خلى ضرر. ولاحاجة في أن أول لك أنة اجعاء فإن سرك أن تتحد فترة إلى دنيا الجمع فريما لم ينظو قطي ضرر. ولاحاجة في أن أول لك أنة المتاه يمكن أن أولهم لك حينك في هدموسمه فندق وغيرماتنه وجمع تلك التي هي أهل لأن تفتع أبوابها أماك على مصراعها إنّما أنهض عليه أنا. سأكون من طباح الفضية على أن أطل سيد الساحة، إلك قوموطها (⁷¹⁾ في المؤقت الراهن، وقد كان لحضورك هنائك شيء من طابع الفضية، ولا بدّ قبل كل شيء من هم من طابع الفضية، ولا بدّ قبل كل شيء من هما العالمي الفاضية،

وفيما كان السيد دو شارلوس؛ يتحدّث عن تلك الزيارة إلى منزل السينة دور فيلباريزيس؛ أردت أن أسأله عن قرابته الصحيحة مع المركبوة وعن مولد هذه الأخيرة، ولكنّ السؤال جاء على شفتّي علمي نسو يختلف

 ⁽١) صفة من يجري إهداده لدخول الدين السيحي لدى قدماء السيحيين، ويعني أنه لايؤال في مرحلة التدرب على الصعيد الاجتماعي.

عمًا كنت أريد وسألت ماعسى أن تكون أسرة وفيلباريزيس،

وأجابني السيد ددو شارلوس، بصوت يخيل إليك أنه ينزلق على الألفاظ: ١٤ إلهي، ليس الجواب سهلاً؛ لكأنما تسألني أن أفيدك ما عسى يكون اللا شيء. لقد خطر لعمتي التي تستطيع أنّ تسمح لنفسها بكلّ شيء أن تزجّ في العدم أعظم اسم في فرنسه بزواجها الثاني من مجهول صغير يدعى السيد وتيريون، وقد ظنّ تيريون؛ هذا أنه يستطيم، دون أيَّة محاذير، اتخاذ اسم ارستقراطي لم يظلُّ من يطالب به، على نحو ما يفعلون في الروايات. ولا تذكر الحكاية إن كان أغراه «برج اوفيرني» وإن كان حار بين «تولوز» و«مونمورانسي». لقد أقدم على اختيار آخر بأية حال وأصبح السيد \$دو فيلباريزيس؟. ولمّا لم يبق من كان بهذا الاسم منذ ١٧٠٢ فقد ظننته يبغى بذلك أن يشير بكلّ تواضع إلى أنه رجل من افيلباريزيس، وهي قرية صغيرة على مقربة من باريس وأنه بملك مكتب وكيل دعاو أو دكان حلاق في «فيلباريزيس». ولكنّ عمّتي لم تكن تعير هذا التفسير أذنا صاغية - وقد بلغت على أيّ حال السنّ التي لايظل فيها للمرء أذن يعيرها، فقد زعمت أن لقب المركيز هذا كان في الأسرة وكتبت إلينا جميعاً وأرادت أن تضفي على الأمور صبغة نظامية ولست أعلم لماذا. فخير للمرء، مما أنَّه يتخذ اسماً لايَحق له، ألا يثير هذه الكمُّ من المتاعب، شأن صديقتنا الطبية الكونتيسة المزعومة ودوام ا... التي رفضت على الرغم من نصائح السيدة والفونس روتشيلد، أن تزيد من هباتها في سبيل لقب لن يصبح بذلك أكثر صحَّة. والمضحك أنَّ عمتي قد قامت منذ ذلك الحين باحتكار جميع الرسوم المتعلقة بآل وفيلباريزيس، الحقيقيين الذين لم يكن للمرحوم وتيربون، أيَّة صلة قربي بهم. وأضحى قصر عمتي ما يشبه مكان احتكار لرسومهم الحقيقية أو الزائفة التي اضطرت بعض رسوم آل «غيرمانت» وآل «كونديه»، مع أنهم ليسوا من ذوي الشأن اليسير، إلى الاختفاء أمام تدفق موجها المتعاظم. ويصنع لها تجار اللوحات منها في كل عام بل هي تملك في قاعة الطعام لنيها في الريف رسما لـ ١٩سان سيمون، بسبب زواج ابنة شقيقه الأول من السيدة دمو فيلياريزيس، ومع أن مؤلف دالمذكرات، ربما مُلك مؤهلات أخرى تثير اهتمام الزائرين غير أنه لم يكن جدّجد السيد وتيريونه.

وإذ لم تكن «السيدة «دو فيلباريزس» سوى السيدة «نيريون» فقد أنمّت السقطة التي كانت قد باشرتها في خاطري بمداما رأيت الخليط الذي يؤلف صالتها. كنت أرى من الظلم أن يتيسر لامرأة يكاد يكون حي لقريا والممها حديثين جدًا أن توهم المعاصرين وهي لابدّ ستوهم اللاحقين بفضل صداقات ملكيّة. ولما عادت فأضحت ما سبق أن بدت لي عليه في طفولتي، يعني امرأة مجرّدة من أية صفة أرستقراطية، فقد بنا لي أثّ فضحت ما سبق أن بدت لي عليه في طفولتي، يعني امرأة مجرّدة من أية صفة أرستقراطية، فقد بنا لي أثّ ذوي القربي النظام الذين يحيطون بها غرباء عنها. ولم تكف فيما بعد عن كونها شديدة اللطف بالنسبة إلينا. وكنت أذهب أحيانا لزيارتها وتبحث إليّ بين الحين والحين بتذكار. بيد أنّه لم يكن يخطر لي البئة أنّها من حي وسان جيرمانه وإن الفق لي أيّ بين الحين والحين بتذكار. تيد أنّه لم يكن يخطر لي البئة أنّها من حي وسان جيرمانه وإن الفق لي أيّ أستفسار أطلبه حوله فيهما كانت أخر من أتوجه إليه بالسؤال.

وتابع السيد دو شارئوس، قائلاً: دلن نفعل بارتباطك المجتمعات في الوقت الراهن أكثر من إلسحاق الأذى بمكاتئك ونشويه عقلك وطباعك. ويجدر بك على كلّ حال أن تراقب حتى، بل على وجه الخصوص، أصحابك، ولتكن لك عشيقات إن لم تر أمرتك محلوراً في ذلك، والأمر لايخصني، بل لا يسعني إلاً أن أشجعك أبها الملجن الصغير، أبها الملجن الصغير الذي سيكون عماً قليل بحلجة إلى حلاقة ذقعه، يقول لي وهو يتلمّس ذقني. وراكن انتقاء الأصدقاء الرجال برندي أهمية مختلقة. ذلك أنّ ثمانية من عدرة ثبان هم أوغاد حقيقيون وأشقياء صغار قادرون أن يلحقوا بك أذى لن تمحوه في يوم. ولكن إليك ابن أخيى دسان لوه فهو رفيق طيب لك لدى الضرورة. هو لن يفيك في شيء فيما يخص مستقبلك، ولكني أكفيك باللسبة إلى ذلك. قاما للخروج برفقتك في الأوقات التي تملني فيها فإنه يبدو لمي باختصار القول أنّه لايشكل محدورا خلك. قاما للخروج برفقتك في الأوقات التي تملني فيها فإنه يبدو لمي باختصار القول أنّه لايشكل محدورا بخياف فيها أعتقد. هو رجل على الأقرأ، ولوس من هؤلاء الخنشين مثلما نلقى الكثير منهم اليوم عمن هم الشه بالزطيعي، المساحدة المنافق عني أعرف معنى هما اللفظة المائية : الأرضائي أعرف معنى هما اللفظة العامية والأن يدتى أوضائه اللفظة العامية والأن يدتى أولئك الذين يمكن أن تؤخذ عليهم بعض الأمور أنهم لايخنون التحدث فيها، فلمائه في المختصوصية وقاضحاً للي حدّ بعيد ويسمح يرهانا على فداد الأخلاق أكثر منه على مراح من بعد المسح برهانا على فداد الأخلاق أكثر منه على السلحة، وليسبة ، ولمياً السلحة، وليس على شاكلة الأعمان، إنه لطيف جدًا ورصين جدًا)

ولم أتمالك عن الابتسام إيزاء صفة ورصين؟ هذه التي بدأ أن النبرة التي يظفها بها السيد 3دو شارلوس، كانت تضفي عليها معنى «الفاضل» وهالحسن السلوك»، مثلما يقولون عن عاملة صغيرة إنها ورصينة. ومرّت في تلك اللحظة عربة كانت تسير بالورب تماماً ؛ وكان حوذي شاب يقودها، وقد هيمَّر مقده، من الركن القعميّ في المركبة حيث كان يجلس فوق المساند نصف سكران. وأوقفه السيد 3دو شارلوس، بسرعة. وناقش الحوذي حينا.

- وإلى أيّ جهة تمضي؟٥

 - احيث تمضي، (كان الأمر موضع دهشتي إذ سبق أن رفض السيد 1دو شارلوس، عدّة عربات لها مصابيح من ذات اللون).

-- اولكني لا أريد الصعود إلى المقعد. أفيستوي لديك أن أبقى في المركبة؟؛

- وأجل، ولكن أسدل الفظاء، وقال لي السيد دو شارلوس، قبل أن يفارقني: دفكر على أيّة حال في التواحي، إلّي امنحك بضمة أيام لتعمل الفكر فيها، واكتب لي. إلّي أعيد الأمر عليك، يبني أن أراك كلّ يوم أنّ تقتم لي ضمانات في الإنخلاص والتكتم يبنو لي على أيّة حال، وبجدر بي القول، آلك تقدّمها. ولكني كثيراً ما خدعتهي للظاهر خلال حيثمي إلي لا أستطيع الوثوق بها من بعد. وبحدًا إلّي لأقلّ الأمور أن أعلم، قبلما من بعد. وبحدًا إليّه لأقلّ الأمور أن أعلم، قبلما على من أمر، تذكّر تماماً مأ عرضه عليك، فأنت، عان هم هوالي الانتفاق طابقين. فأجهد فأنت، عان معضلاته القوية، على مفتوق طابقين. فأجهد ألله تعمل التفسيلة، ثم قال للموذي: الانتفاع بعد؟ موف أطري الدوابض بنفسي. واعتقد على أي حال الذينيني لي كذلك أنّ

وقفز إلى جانب الحوذي في الركن القصي من العربة التي انطلقت مسرعة.

وما أن عدت إلى البيت حتى وجدت فيه، فيما يخصنّي، نظير الحديث الذي سبق أن تبادله قبل قليل وبلوك، والسيد دو نوربوا،، ولكن بشكل مقتضب ومعكوس وقاس: كان جدالاً بين رئيس خدمنا، وكان من أنصار «دريفوس»، ورئيس خدم آل «غيرمانت»، وكان معاديا لـ «دريفوس». كانت الحقائق والحقائق المضادة التي تتعارض في الحلقات العليا لدى المثقفين في درابطة الوطن الفرنسي، ودرابطة حقوق الإنسان، تمتّد بالفعل حتى أعماق الشعب. كان السيد «ريناك» يعرّك بالعاطفة أناساً لم يسبق أن رأوه في يوم فيما كانت قضية ٥دريفوس، تطرح أمام عقله فحسب بمثابة نظرية لا تدحض وقد برهن عليها بالفعل بأغرب مجاح في السياسة العقلانية شوهد في يوم (مجَاح قال بعضهم إنّه ضدّ فرنسه. فقد أحلّ في غضون سنتين محلّ وزارة يرئسها دبيو، وزارة يرئسها «كليمانسو، وقلب الرأي العام رأساً على عقب وأخرج «بيكار، من سجنه ليضعه، ناكراً للجميل، في وزارة الدفاع. ربَّما كان يحرُّك محرِّك الجماهير العقلاني هذا من سلف من ذوي قرباه. ولئن كانت المنظومات الفلسفية التي تتضمن أكبر قلر من الحقيقة إنّما يمليها على واضعيها في نهاية المطاف سبب عاطفي، فكيف نفترض ألا تستطيع أسباب من هذا القبيل في محض قضية سياسية كقضية ٥دريفوس٠ أن مخكم عقل المفكر دون علمه؟ كان (بلوك) يحسب أنه الحتار بالمنطق موقفه المناصر لــ«دريفوس»، وكان يعلم من ذلك أن أنفه وجلده وشعره قد فرضها عليه جنسه. ليس من شك أنَّ العقل أوفر حُرَّية ؟ ولكنه يخضع على الرغم من ذلك لبعض قوانين لم يضعها لذاته. أما حالة رئيس خدم آل وغيرمانت، ورئيس خدمنا فحالة خاصة، ذلك أن موج التيارين المتمثلين في مناصرة ادريفوس، ومناهضته اللذين كانا يشقان فرنسه من الأعلى إلى الأسفل كان خافتاً إلى حدّما، ولكنما الأصداء النادرة التي يصدرها صادقة. فقد كان يمكنك، إذ تسمع أحدهم يعلن على نحو حفيّ، وسط حديث يتجنب القضية متعمداً، خبراً سياسياً كاذباً بعامّة ولكنَّه متوحّي على الدوام، كان يمكنك أن تستخلص من موضوع تنبؤاته انجاه رغبانه: وهكذا كانت تتجابه حول بضع نقاط دعاية خجولة من جانب وغضب مقدس من جانب آخر. أما رئيسا الخدم اللذان سمعتهما لدى عودتي فقد شدًا عن القاعدة. فقد أعلن رئيس حدمنا أن ودريفوس، كان مذنباً، ورئيس حدم آل وغيرمانت، أنَّه كان يرئيا. وما كان ذلك بغية إخفاء قناعاتهما، بل عن خبث وضراوة في اللعب. كان رئيس خدمنا، وهو غير منيقن إن كانت إعادة النظر سَتتم، كان يبغي سلفاً في حال الفشل أن يسلب رئيس خدم آل وغيرمانت، غبطة الاعتقاد بأن قضية عادلة قد هزمت. كان رئيس خدم آل وغيرمانت، يظنُّ أنَّ رئيس خدمنا، في حال رفض إعادة النظر، سوف يصيبه ازعاج أكبر لرؤيته برئياً يُوالى احتجازه في «جزيرة الشيطان». وكان الحاجب ينظر إليهما، ووافاني شعور بأنه لم يكن يزرع الشقاق في صفوف خدم آل «غيرمانت».

وصعدت فوجدت جنتي أخد مرضاً. لقد كانت تشتكي منذ بعض الوقت من صحفها دون أن تفري ما بها، وانحا تبين في المرض أتنا لانعيش وحدنا، ولكننا مقيدون بكانن من عالم محتلف تفصلنا عنه هوة واسعة، وهو لايعوفنا ويستحيل علينا حمله على فهمنا، عنيت جسدنا، ربّما استطعنا، أيّا كان اللحس الذي نصادفه على طريقنا، أن نفلح في حمله على الوفق بمصلحته الشخصية، إن لم يكن بشقائنا. فأمّا أن نسأل جسننا رحمة بنا فاتما يعني التحدث أمام أعطوط لا يمكن أن تعني أقوائنا بالنسبة إليه أكثر من ضبحة المياه وقد يبعث الحكم علينا بالهيش معه الذعر في نفوسنا. كثيراً ما كانت توعكات جنّي تمرّ دون أن تلقت انتباهها الذي تصرفه دوما إلينا، وحينما كانت تعاني منها كثيراً كانت كيما تفلح في شقائها بجهد عبثا في فهمها. ولئن

كانت الظاهرات المرضية التي تتخذ من جسدها مسرحاً لها غامضة وخافية على فكرها، فقد كانت واضحة سهلة الإداك بالنسبة إلى كاثنات تنتمي إلى العالم الماديّ نفسه الذي تنتمي إليه، من تلك التي توجّه إليها العقل الإنسانيُّ في النهاية كي يدرك ما يقوله له جسده مثلما تمضي، إزاءً َ أجوبة يجود بها أجنبيّ، لَنأتي بواحد من البلد نفسه يقوم بمهمة الترجمة. هي تستطيع التحلث إلى جسدنا وأن تقول لنا إن كان غضبه خطيراً أو هو سبهداً عما قليل. وحلول «كوتار» الذي استدعيناه إلى جانب جدَّتي والذي بعثُ فينا الضيق إذ سألنا بابتسامة ماكرة منذ الدقيقة الأولى التي نقلنا إليه فيها أنَّها مريضة: ٥مريضة؟ ليس ذلك على الأقل مرضًا ديبلوماسياً ؟) حاول الحمية بالحليب بغية تهدئة اضطراب مريضته. ولكن الشوربات بالحليب لم تأت بأثر لأن جلتي كانت تضع فيها الكثير من الملح، وكانوا يجهلون ضرره في ذلك الوقت (إذ لم يكن افيدالُ، قد قام بعد باكتشافاته). فإنّه لما كان الطب موجزًا لأخطاء الأطباء المتعاقبة والمتناقضة كانَ ثمة احتمال كبير إن نحن استدعينا أفضلهم أن نلتمس حقيقة مختسب مغلوطة بعد ذلك بسنوات. حتى ليبدو أن الاعتقاد بالطب أقصى الجنون لو لم يكن الامتناع عن الاعتقاد به جنوناً أعظم، إذ قد استخلصت على مر الأيّام بعض الحقائق من ركام الأخطاء ذاك. كان وكوتار، قد أوصى بأن تقاس حَرارتها، فمضينا لإحضار ميزان حرارة. كان الأنبوب خالياً من الزئيق في كامل ارتفاعه تقريباً، وتكاد لاتبصر السمندل الفضي يقبع في أقصى حوضه الصغير. كان يبدو لا حراك به. وتم وضع الأنبوب الزجاجي في فم جلّتي. ولم تكن بنا حاجة لابقائه فترة طويلة، فلم يطل الأم بالساحرة الصغيرة التي كشفت طالعها. ووجلناها لاتبدي حراكاً وقد جثمت في منتصف ارتفاع برجها لاتغادره من بعد وترينا بدقة الرقم الذي طلبناه منها والذي ربما عجزت عن تزويد جدّتي به جميع التأملات الني كان يمكن أن تصبّها على ذاتها: ٣٨٣. وأحسسنا للمرّة الأولى بشيء من القلق. وهززنا ميزان الحرارة بقوة لنمحو العلامة المشؤومة كما لو وسعنا بذلك خفض الحمَّى والحرارة المسجلة في أن واحد. ولكنما بدا واضحاً للأسف أنَّ العرَّافة الصغيرة المرَّدة من العقل لم تزوِّدنا اعتباطاً بذلك الجواب، فما أن أعيد في الغد ميزان الحرارة بين شفتي جنّتي حتى أقبلت النبية الصغيرة لتوّها تقريباء وكأنما بقفزة واحدة، توهو يقينا واستشفافاً لأمر خاف علينا، لتتوقف في النقطة نفسها في جمود لايرحم وترينا مرة أخوى بالتماع شفرتها الرقم ٣٨٣ لم تكن تُقول غير ذلك، وكنًا عبثا رغبنا وأردنا ورجونا فقد بدا في صممها أنَّها كلمتها الأخيرة المخدَّرة المتوعدة.

حيثة توجهنا، بغية إرغامها على بديل جوابها، إلى مخلوقة أخرى من العالم نفسه لكنها أكمر اقتداراً ولا تكتفي بمساءلة البحسم بل تستطيع أن تأمره، إلى مزيل للحمى من نوع الاسبيرين التي لم تكن بعد قد استخدمت آنذاك، ولم نعمل على تخفيض ميزان الحرارة إلى أكثر من ٢٧،٥ أملاً منا أنه على هذا النحو لن يعود إلى الارتفاع، وأوعزنا أن تتناول جنتي مخفض الحرارة هذا وأعدنا حيتذلك ميزان الحرارة. ولم تتحرّك حارمة البرج الساهرة هذه المرّة، شأن حارس متصلب بيرز له أمر سلطة عليا لعبت لديها الوساهاة دورها فيجيب وقد وجد الأمر مطابقاً للقرانين: وحسن، ليس لديّ ما أقوله، نفضل ما دامت الأمور على هذه الشاكلة، ولكنما كان يدو أنها تقول متجهمة: قامانا يجديكم ذلك؟ بما أنكم تعرفون والكيناء، فسوف تصدر إليّ أمراً بالامتناع عن التحرّك مرة وعشر مرات وعشرين مرة. ثم يأخذ منها النعب، فإني أعرفها ويحكم ا أن تظلّ الأمور كذلك أبدأ، وحينناك تكونون قد كسبتم الكثير.8

حيثةً أحسَّت جدَّتي في داخلها بوجود مخلوقة كانت تعرف الجسم الإنساني أفضل من جدَّتي، وجود معاصرة للأجناس المندثرة، وجود واضع اليد الأوّل - الذي سبق بكثير خليقة الإنسان المفكر - ؛ لقد أحست بهذا الحليف المغرق في القلم يتحسمها بشيء من القسوة في رأسها، في قلبها، في مرفقها. كان يتعرف الأمكنة وينظم كلّ شيء من أجل المعركة التي تعود إلى ما قبل التاريخ والتي وقعت فورا بعد ذلك. وتم قهر الحمى في مدى لحظة، بعد ما سحق التنين، بفعل العنصر الكيميائي القوي الذي ودَّت جلَّتي لو يسعها أن تشكره عبر الممالك ومن فوق جميع الحيوانات والنباتات. وظلت متأثرة من جرًّاء هذا اللقاء الذي ثمَّ لها عبر الكثير الكثير من القرون بهذا العنصر الذي سبق حتى خليقة النبات. وكان ميزان الحرارة من جهته، وقد ثم قهره إلى أمد على يد إله أقدم منه، يمسك بمغزله الفضيّ جاملًا لايتحرّك. لكنّ مخلوقات دنيا، وأسفى، نشأها الإنسان على مطاردة هذه الطرائد الخفية التي لايستطيع ملاحقتها في أعماق ذاته كانت مخمل إلينا بقسوة في كلّ يوم رقم كمية ضئيلة من الزلال ولكنها ثابتة إلى حدّ ما كيما تبدو هي الأخرى ذات صلة بحالة مستديمة ما كنّا نبصرها. لقد سبق أن أثار لديّ «بيرغوت» الغريزة الدقيقة التي كنت أخضع بها عقلي حينما كلمني عن الدكتور ددو بولبون، على أنه طبيب لن يبعث فيّ الملل وسوف يجد صنوفاً من العلاج تلاثم تفرّد عقلي وإن بدت غربية في ظاهرها. ولكنّ الأفكار تتحوّل في داخلنا وتقهر المقاومة التي كنّا نرفعها في وجهها بادئ الأمر وتتغذي بلخائر فكرية غنية جاهزة ما كنا فعلم أنها تناسبها. وكما يتفَّق في كلِّ مرَّة كان من شأن الأقوال التي سمعناها بصدد امرئ لا نعرفه أن توقظ فينا فكرة موهبة عظيمة ونوع من العبقرية، كنت أدع للدكتور «دُو بولبون» أن يفيد من هذه الثقة اللامحدودة التي يوحي بها إلينا ذلك الذي يدرك الحقيقة بنظرة أوفر عمقاً من سواه. كنت أعلم بالتأكيد أنه قبل كلّ شيء اختصاصي بالأمراض العصبية، وهو الذي تنبأ له وشاركو، قبل موته أنَّه سيكون سيد علم الأعصاب والعلبُّ النفسيُّ. ولست أدري، ذلك ممكن،، تقول وفرانسوازه التي كانت حاضرة وتسمع للمرّة الأولى اسم وشاركوه واسم ددر بولبون، على السواء. بيد أنّ الأمر لايحول دون أن تقول: وذلك ممكن، وكان ما تقول من «ممكن» وهربما؛ والا أدري، يثير السخط في حالة كهذه. وتعتمل فيك الرغبة في أن تجيبها: ٥ما كنت بالطبع تعلمين بما أنك لا تعرفين شيئاً عن الأمر المعنَّى ؟ بل كيف يسعك حتى القول إنَّ الأمر بمكن أو غير ممكن وما كنت تعلمين شيئاً عنه؟ ولا يسعك أن تقولي الآن على أيّ حال إنّك الاتعلمين أن اشاركو، قال لـ دو بولبون، النح، فأنت تعلمين ذلك بما أننا قلناه لك، وما تقولين من قربماه ودالأمر ممكن، غير وارد بما أنَّ الأمر أكيد.،

وعلى الرغم من هذه الكفاءة المخاصة فيما يتصل بالدماغ والأعصاب، ولما كنت أعلم أنّ دو بولبونه طبيب عظيم وإنسان متفوق ذو عقل مبدع عميق فقد توسلت إلى والذي أن تأمر بإحضاره، وقد رجحت في آخر المطاف كفة الأمل في أنّه ربّما شفى الداء بفعل نظرة صائبة على الحفية التي ينا أن نزرع الرعب في قلب جائتي إن نحن استدعينا طبيباً مشاوراً. فأما ما أتنع والنتي فأنّ جنتي لم تمد تخرج وتكاد لاتبهض يشجمها في ذلك على نحو غير واع اكوتاره. وعيثا تردّ علينا برسالة السيدة «دو سيفينيه» إلى السيدة «دو لافليت»: «كان يقال إنّها مجونة أن ترفض الخروج، فأقول لاولتك الأضخاص المتعجلين في حكمهم: وليست السيدة «لافليت» مجونةة وأظل عند رأيي. وقد انبغى أن توافها المنية كي تبرهن أنّها كانت محقة في الامتناع عن الخروج، ولأن لم يخطئ «در بولبون»، بعدما ثمّ استدعاؤه، السيدة «دو سيفينيه» التي لم نذكر أمامه، فقد فعل على الأقلّ بالنسبة إلى جنتي. وبدلا من أن يفحصها أخذ، فيما يرمقها بنظراته الرائمة التي ربَّما داخلها وهم تفحص المريضة على نحو معمق، أو الرغبة في إيلاتها ذلك الوهم الذي كان ييدو تلقائها ولكنه لابدُ أصبح آلها. أو كي لايدع لها نبين أنه يفكر في أمر مختلف تماماً، أو كي تتمّ له السيطرة عليها، أخذ يتحدَّث عن «بيرغوت».

 - وآما هذا ما اعتقده تماماً يا سيدي، ذلك رائع ؛ وكم أنت محقة في ولمك به! ولكن أيًا من كتبه تفصلين؟ صحيح! يا إلهي، ربما كان بالتأكيد أفضلها. وهو في جميع الأحوال أفضل روابة له تأليفًا: إن وكلير، والدة فيها. وعلى صعيد الرجال أبهم يبدو لك الأكثر إيناساً؟ه.

وشما كي يدي كذلك اتساع فكره، بل حتى كي يديد، وهذفه أقرب إلى العلاج، الثقة لم يعند، ويظهر لها النخر مكن يدي كلك الساح، الثقة لم يعند، ويظهر لها أن غير قبل وسليها عن حالتها. ولكني فهمت مذ ذلك أنه أراد، وقد اشتهر خصوصاً بوصفه اختصاصياً أن غير قبل وسليها عن حالتها. ولكني فهمت مذ ذلك أنه أراد، وقد اشتهر خصوصاً بوصفه اختصاصياً بالمحتوهي وسبب أبحاله حول الدماغ، أن يتبين بأسئلته إن كانما أبصر الحقيقة وصمم أن يلغها مهما للملا عن حياتها وكأنما مرغما، قاتم الشغرة للإنها، ثم قال فيجأه ركانما أبصر الحقيقة وصمم أن يلغها مهما كلفه الأمر، وبحركة مسبقة يبدر بها وكأنه يجهد في أن يقض عنه، باستبمادها، موجات التردد الأخيرة التي كان يمنى صلية وبحيه، قال وهو ينظر إلى جدتني بعين كان يمن عملية وبحرية وبحديث ينشم المنا يناهم وادعة أخاذة بلؤن المناع جميع تبراتها (وقد ظل صوته على أي حل طوال الزيازة على ما طبع عليه، ظل تاعماً وكانت عيناه الساخوان فحت حاجيد الأخدين تفيضان طبية؛

٥ ستكونين على مايرام، يا سيدي، في اليوم البعيد أو التربب وبعود إليك أن يكون ذلك في هذا اليوم
 نفسه – الذي تدركين فيه أنك لا تشكين شيئاً والذي تستميدين فيه الحياة المعتادة. قلت لي إلك لا تأكلين
 وإنك لا تخرجين ؟٥

- وولكني أشكو قليلاً من الحمى ياسيدي.٥

ولس يدها:

 - اليس في هذا الحين على أية حال. ثم ما أروعه علواً؟ أما تعلمين أثنا ندع في الهواء الطلق مسلولين تبلغ حرارتهم ٣٩ وأننا نزيد من تفايتهم.»

ولكنى أشكو كذلك قليلاً من الزلال.

ويجدر بك أن لا تعرفي ذلك. أنك تشكين ما أدرجه تحت اسم الزلال المذهني. لقد عانينا جميماً
 أثناء توعك صحيّ من نوبة الزلال الطفيفة التي سارع طبيينا إلى إضفاء الديمومة عليها بتنبيهنا إليها. وفي
 مقابل علمة يشفيها الأطباء بالأدوية (قمة من يؤكد على الأقلّ أنّ الأمر وقع أحياناً) ينتجون عشوا لدى أناس
 معافين إذ ينقلون اليهم هذا العامل لمرضيّ الذي يقوق ألف مرّة سائر الأحياء الدقيقة حدّة، عنينا فكرة أقهم

مرضى. ومثل هذا الاعتقاد، وهو شديد الوقع على جميع الجئلات، أنّما يؤثر بفعالية خاصة على العصبين. قل لهم أنّ نافذة مفلقة قد فتحت خلف ظهورهم فيأخلون في المطام. وادخل في روعهم أنّك وضعت شيئاً من المانيزيا في حسائهم فيأخلهم المفص، وأنّ قهوتهم أقرى من المعتاد فلا يفعض لهم طوال الليل جفن. أتطانين ياسيدي أنه لم يكفني أنّ أرى عينيك وأنّ أسمع فحسب الطويقة التي تتحذّكين بها، ماذا أقول؟ أنّ أوى السيدة ابتك وحفيدك اللذين يشبهانك إلى حد بعيد كيما أعرف مع من أتعامل؟»

- وربما استطاعت جدّلك أن تبادر فتجلس، إن صرّح لها الدكتور بذلك، في ممرّ هادئ في والشان المنظاعة على المنظاعة المنظلة المنظاعة المنظلة الم

 وإذهبي إلى دالشازيليزيه، ياسيدي، بالقرب من كتلة شجيرات الغار التي يحبها حفيدك. سوف تفيدك شجرة الغار، فإنها تطهر. إنّ وأبولون، بعدما تضى على الثمبان إنّما دخل إلى وذلفي، وهو يحمل في يده غصن غار. كان يُعني بذلك أن يقي نفسه من جرائهم الحيوان السام الميتة.

ها إنّك ترين أن شجرة الغار هي الأوفر قدماً والأجدر بالتقدير، وأضيف إلى ذلك أنها أحسن المطهرات – الأمر الذي يتخذ قيمة في العلاج والوقاية على حدّ سواء—.

ولما كان قسم كبير مما يعرفه الأطباء إنسا يلقتهم إياه مرضاهم فإنهم بميلون بسهولة إلى الاعتقاد بأن علم والمرضى، هذا واحد لدى الجميع ويتباهون بإدهاش من كانوا بالقرب منه بسلاحظة تعلموها من أولتك اللمين عالجوهم فيما مضى. ولذلك قال الدكتور ودو بولبونه لجنّتي بالابتسامة الماكرة التي لباويسي يأمل في حديثه مع فلاح أن يدهشه باستخدام كلمة من اللهجة الإقليمية: وربعا أفلح طقس الزياح في حملك على النوم حيث تخفق أقوى المؤملات. - وبالمكس ياسيدي، فالربح عمول تماماً دون أن أنام. و ولكن الأطباء شديدو الحساسية. وهمس ودو بولبونه وهو يقطب حاجيه: وأغ!ه كما أو ديست قدمه وكان أرق جدتي في واجبه بوصفه وعقلاً متفوقاًه ألا يؤمن بالطب فقد استعاد بسرعة هدوء الفلسفي.

وأضافت أمي، مخدوها رغية عارمة في أن تطمئن بالأعلى يد صديق البيرغوت، أضافت تدعيماً لقوله بأنّ ابنة عم لها كانت ضميّة علّة عصبية فظلت سبعة أعوام حبيسة غرفة نومها في • كومبريه، لا تنهض إلاً مرّة أو مرتمن في الأسبوع.

۱۵۱ أنت ترين ياسينتي، ما كنت على علم بذلك وكان بوسعى أن أقوله لك.

وقالت جنتي، إما لأنها ضاقت نفسها بعض الشيء من جرًاء نظريات الدكتور أو لأنهًا رغبت في عرض ما يمكن أن يثار من اعتراضات عليها آملة أن يدخضها وأنه لن نظل لديها، بعدما يذهب. أيّ شكّ ترفعه حول تشخصيه الناجح: «ولكنّي لست البيّة على غرارها باسيدي، بل العكس صحيح ؛ فليس يستطيع طبيبيي أن

يأمرني بملازمة سريري.٥

 ابالطبع يا سيدي، لا يمكن أن يصاب المرء، واستميحك العذر للكلمة، بجميع العاهات المقلية، فأنت تشكين غيرها ولا تشكين هذه بالفات. لقد قمت البارحة بزيارة مصحّ لمرضى الأعصاب، وفي الحديقة كان رجل يقف فوق مقعد لايبدي حراكاً كأحد الفقراء ويميل برقبته في وضع كان لابدّ شاقاً جدًا. ولما سألته ما كان يفعل أجابني دون أن يقوم بحركة أو يدير رأسه: ٥دكتور، إني كثير الإصابة بالرثية والرشوحات، وقد قمت بالكثير من التّمرينات وفيما كنت على هذا النحو أزيد ببلاهة من حرارتي كانت رقبتي تلتصق بملابسي الداخلية. فان أبعدتها الآن عن تلك الملابس قبل أن أدع لحرارتي أن تهبط فإنّي موقن بأتى سأصاب بتصلب في الرقبة وربَّما بالتهاب قصبات. ولعله كان سيصاب به بالقعل. فقلت له: أنت واهن الأعصاب إلى حدّ يعيد، ذلك ما أنت بالتمام.، فهل تعلمين الحجة التي قابلني بها ليبرهن لي على العكس؟ الحجة أنَّهم كانوا يضطرون، فيما جميع مرضى المؤسسة مصابون بهوس وزن أنفسهم إلى حدَّ أنهم لم يجدوا بدًا من وضع قفل للميزان كي لا يقضوا كامل يومهم في وزن أنفسهم، إلى إرغامه على الصعود إلى الميزان لقلة ما يرغب في ذلك. كان يغتبط لأنه غير مصاب بهوس الآخرين دون أن يخطر له أنه مصاب بهوسه الخاصّ وهو الذي يقيه آخر غيره. لا مجمرحك المقارنة ياسينتي، فذاك الرجل الذي ما كان يجرؤ أن يدير عنقه مخافة أن يصيبه الزكام إنّما هو أعظم شاعر في عصرنا. وإنما ذلك المهروس المسكين أسمى عقل عرفته. فاحتملي أن تُدعي عصبيةً. إنك تنتمين إلى هذه الأسرة الرائمة التعيسة الحال التي تؤلف ملح الأرض. إن كلّ أمر عظيم نعرفه يوافينا من العصبيين. فهم، لاغيرهم، أنشؤوا الأديان وألفوا الروائع الفنية. ولن يعرف العالم في يوم كلُّ ما يدين به لهم ولاسيما ما كابدوه كي يهبوه إيَّاه. إننا نتلوَّق الموسيقي الرقيقة واللوحات الجميلة وَالْفًا من اللطائف ولكننا لا تعلم ما تكلف في سبيلها، أولئكُ الذين ابتدعوها، من أرق ودموع وضحكات متقبضة وشرى وربو ونوبات صرع، ومن ضيق حتى الموت هِو أسوأ من كلَّ ذلك، وربَّما كنت عارفة به ياسيدتي، ، يضيف قوله وهو يبتسم لجدَّتي، ولأنك حينما جثتُ، هيا أقرَّي بذلك، لم تكوني كثيرة الاطمئنان. كنت نخسبين أنك مريضة، مريضة ربّما إلى حدّ خطير. ويعلم الله أيَّة علَّة كنت تظنين أنك تكتشفين أعراضها فيك. وما كنت مخطئة، فقد كانت لديك. إن توتر الأعصاب مقلَّد عبقري، فليس من داء إلاَّ ويحاكيه غاية المحاكاة. إنَّه يقلد إلى حدَّ الإيقاع بك نفخة المصابين بالتخمة وغثيان الحمل ولا انتظام مريض القلب وحُمَّية المسلول. وكيف لايخدع المريض هو القادر على تضليل الطبيب؟ لا تظنَّي أني أسخر من أدوائك، فما كنت أبادر إلى علاجها إن كنت لا أستطيع ادراكها. ثم هاك، ليس من اعتراف صحيح إلا متبادلاً. قلت لك إنه ليس من فنان كبير دون مرض عصبي، بل وأكثر من ذلك،، يضيف قوله وهو يرفع مبًابته بوقار، وليس من عالم كبير. وأضيف أن ليس، لن أقول من طبيب جيَّد بل من طبيب مقبول فحسب في الأمراض العصبيّة إن لم يكن مصاباً بدوره بمرض عصبي. إن طبيباً، في حقل علم الأمراض العصبيّة، لا يدلي بالكثير من الغباوات مريض نصف معافى، مثلما الناقد شاعر لاينظم الشعر من بعد، والشرطي لص لايمارس من بعد. أنا، ياسيدتي، لا أحسب مثلك أني مصاب بالزلال فليس بي خوف عصبي من الغذاء، من الهواء الطلق، ولكني لا أستطيع النوم قبلما أعود فأنهض عشرين مرّة لاتبيّن أن كان الباب موصدا. وذلك المصحّ الذي لقيت فيه البارحة شاعرًا لايدير رقبته إنّما كنت ذاهبًا إليه لأحجز غرفة لأنّى، وأقولها بيننا، أمضى

فيه عطلتي في علاج نفسي بعدما أزيد أدوائي إِذ أرهق نفسي في شفاء أدواء الآخرين. ٩

ولكن، هل ينبغي لي يا سيدي. تقول جنتي مذعورة، وأن أقوم باستشفاء مماثل ١٥

- ولا ضرورة لذلك يا سينتي، فالظاهرات التي تبدو عليك صوف تستسلم أمام كلامي. ثم إن لك بالقرب منك من هو مقتدر جنا وإتي أجعل منه طبيك منذ الآن. إقد داؤك وفرط نشاطك المصبيّ. ولو عرفت السيل إلى شفائك منه لتحاشيت القيام بذلك. يكفيني من مرض أعصابك فلن عجيه من بعد. وهل أحمى أنّ السح أن أبادل لملتم التي يوفرها مقابل سلامة عصبية قد تعجز تماماً عن توفرها المائك إلى المائل لنفسها إثما تشكل دواء قوبا ويما كان أقواها جميعها. لاء لست أيني شراً بطاقك المصبية. إلى أطلب إليها نفسها إثما تشكل دواء قوبا كان أقواها جميعها. لاء لست أيني كانت تبذلها لتمنعك من التنزء وتناول مايكني من الغذاء فلتستخدمها في إطماعك وحداث على القراءة والخروج والترويح عنك بكل الطرق. لا تقولي لي إنك متعبة، فالتب هو التحقيق المضوي لفكرة مبي تصروها. فابدئي بالا تفكري فيه. وإن ألم بك معافي بالوهم، حسب كلمة بليمة للسيد دود والبران، وها إنها شرعت تفيك، فإنك تصمغين إلي متعنين إلي تتمنية على ذلك نصف ساعة كاملة القامة تماما دون أن استندى مؤه واحداء حاذة الشؤم متاحة الدجه وقد مضى على ذلك نصف ساعة كاملة تشهي بالأمر. سيدي، يشرفي أطفة الشرف أن احياك مؤماء

وحينما عدت، بعدما شيّمت الدكتور دور بولبوده ، إلى الفرفة حيث كانت أمي وحدها بدد الغمّ الذي كان يغيق عليّ منذ عند أسابيم وأحسست أن والدني توشك أن تطلق فرحتها وأنها على وشك أن ترى فرضوي باستحالة احتمال استظار اللمحقة القريبة التي يزمع فيها شخص بالقرب منا أن يبدي الفياله استحالة احتمال تشبه إلى حدّما الخوف الذي يتابنا حين نعلم أن أحدهم ميدخل الإثارة الرحب في صدورتا من بالا الإزار المرحب أن أقول كلمة الأمي ولكمّا خاتني الصوت وانفجرت باكياً وظللت طولاً ورأسي إلى كتفها أبكي وأفذوق الألم وأشبله وأهواء الآن وقد علمت أنه غرج من حياتي علما يطيب لنا أن تصحمى لمذروعات صالحة الاسمح لنا الظروف يتنفيذها.

وأثارت دفرانسواز، حتفي بأنّها لم تشاركنا فرحتا. لقد كانت في أشد الانفعال لأنّ شجاراً عنيفاً هبّ بمن خادم الغرفة والبرّاب الواشي. وقد انبغى أن تتدخلُ الدوقة بطبية قلبها وتعبد ظاهراً من السلام وتصفح عن خادم الغرفة. ذلك لأنها كانت طبيّة، ولعلّه كان المكان الأمثل لو لم تصغ إلى دالأقابيل.

أخذ الناس منذ بضمة آيام يعلمون أن جنتي مريضة ويسألون عن أخوارها. لقد كتب إليّ وسان لوء يقول: وا لا أريد استغلال هذه الساعات التي ليست جنتك فيها على مايرام كي أوجّة إليك ما كان أكثر من الملائمة وليست في شيء مما جرى. ولكنّي قد أكلب إن قلت لك، ولو كان من بلب التفاضي، إنني سأنسى في يوم مسلكك المعادر وأنّك تنال الصفح في يوم عن مكرك وخياتتك.ه بيد أنّ أصدقاء سألوني، وهم يرون أن جنتي يسيرة المرض أو حتى يجهلون تساما أنّها مريضة، أنّ أصحبهم في الغد إلى والشازيليزيه و ونلهب من هناك لاقوم بزيارة ونشهد في خارج المدينة عشاء كان يفرضني. ولم تعد لديّ أيّة حجة للتعلي عن هاتين

المتعتين. فقد رأينا أن جلَّتي ذكرت في الحال الشانزيليزيه؛ حينما قيل لها إنَّه ينبغي لها الآن أن تتنزَّه كثيراً نزولاً عند رغبة الدكتور «دو بولبون» . سوف يكون من اليسير عليّ أن أصحبهاً إلى هناك، وأن أتفُق واصدقائي، فيما هي جالسة تقرأ، حول المكان الذي نلتقي فيه وسوف يتسع لى الوقت إن استعجلت نفسى لاستقل القطار معهم إلى وفيل دافريه. وفي الوقت المحدد لم تشأ جلَّتي الخروج وقد أَلفَت نفسها متعبة. ولكن والدني التي درَّبها ٥دو بولبون، توافر لها العزم لتغضب وتفرض طاعتها. كادت تبكي لدى التفكير بأن جدَّتي سوفُ يعاودها ضعفها العصبي ولن تبلُّ منه. ولم يتفق أن آتي طقس بمثل هذا الجمال والدفء نزهتها إلى هذا الحدّ. كانت الشمس إذ تبدل من مكانها تدس ههنا وهناك في صلابة الشرفة المُصدّعة حواترها الرجواجة وتضفى على الحجر المنصوت قشرة دافقة وهالة من ذهب غير واضحة المالم. ولما لم يتسع الوقت لـ افرانسوازا لتبعث ببرقية لابنتها فقد غادرتنا بعد الفلاء مباشرة. لقد كان جميلاً منها. أن دخلت قبل ذلك لدى «چوبيان» لتطلب إليه أن يرفأ المعطف الصغير الذي سترتشيه جلَّتي للخروج. وإذ عنت في ذلك الوقت من نزهتي الصباحية فقد ذهبت معها إلى دكان صانع الصداري. قال «چوبيان» لـ وفرانسوازه «أهو معلمك الشاب الذي يجيء بك هنا، أم أنت من تجيء به أم أنّ ربحاً مؤاتية والأقدار تسوقكُما مما ؟٥ كان اجوبيان، مع أنَّه لم يتابع دراسته، يحترم القواعد بالسليقة بقدر ما ينتهكها السيد دو غيرمانت، على ما بيذل من جهود كثيرة. وبعدما ذهبت وفرانسوازه وتم إصلاح المعطف الصغير انبغى لجلَّتي أن ترتدي ملابسها. ولما رفضت بقاء أمي معها فقد أمضت وحيدة وقتاً لاينتهي في ارتداء ليابها، وأخذت، وأنا أعلم الآن أنها في تمام العافية وبهذه اللامبالاة الغربية التي نبذلها لذوينا ما داموا على قيد الحياة والتي تفضى بنا إلى إنزالهم بعد كل الناس، أخذت أجدها شديدة الأنانية أن تنفق كلِّ هذا الوقت وتوشك أن تؤخرني فيما تعلم أني على موعد مع أصدقاء وأزمع تناول العشاء في دفيل دافريهه. وبلغ بي الأمر، وقد ضقت ذرعاً، أن أنزل مسبَّماً بعدما قبل لي مرِّين أنها توشك أن مجهز. ولحقت بي أخيراً، دون أن تعتذر لي عن تأخرها كما كانت تفعل عادة في تلك المحالات، محمرة ساهية شأن من كان في عجلة من أمره ونسى نصف حاجاته، فيما كنت أصل على مقربة من الياب المزجج المشقوق الذي كان ينفذ الهواء اللزج الموشوش الدافئ من الخارج، وكأنما تم فتح خوّان، بين جدران الفندق الشديدة البرودة دون أن يبعث فيها أقل الدفء.

ويا إلهي، كان بوسمي أن أرتدي معطفاً آخر بما أنك تزمع لقاء أصدقاء لك، فإن مظهري به يوحي
 يعض البؤس،

وأدهنني مدى احتفان وجهها وأدركت أنها اضطرت، وقد تأخرت، أن تتعجل أمرها. ولما غادرنا العربة في مدخل شارع وظا بريال في محلة والمنازلينيه وأيت جلتي وقد عمرات دون أن تكلمني واضفت تتجه إلى الكشك الصغير القديم السبح بسياح أحضر حيث سبق أن انتظرت دوانسوازه ذات يوم. كان لا يزال ثمة بالقرب من دالم كروة الحارس الحراجي نفسه الذي كان هناك أتقد حينما صعدت درجات المسرح الريغي الصغير المقام وسط المحداث وأنا أتبع جلتي التي كانت تضع يدعا أمام فمها لأنها لاشك كانت عمر بغياف. وكما هي الحال في مدن الملاهي المتنقلة حيث يتقاضى المهرج نفسه في الباب، وهو على أهبة الصعود إلى خطئ وحجه بالطحين، ثمن المقاعد، كانت «المركزة» لاتوال في المراقبة تسوفي وسوم خطئ بعض والتبلا سرداء الدسول بعضمها الهائل اللامتظم المطلي بجس سميك وقبعتها الصغيرة التي من زهر أحمر ودانتيلا سرداء

تعلو شعرها المستمار الأصهب. على أتي لا أظن أنها تعرفتني. وكان الحارس يتحدث وهو يجلس إلى جانبها وقد أهمل مراقبة مواضع العضرة التي كانت بزّنه تنسجم مع لونها.

كان يقول: الازلت ههنا، أنت، ولاتفكَّرين في التقاعدة.

و وإم أتقاعد يا سيد؟ هذك قلت لي أين أكرن أفضل من هنا وأين توافر لي أكثر من هنا رفاعيتي وكل ما يبدي. وألى التجيئة والرواح لا ينقطمان والتسلية، ذلك ما أدعوه باريسي الصغيرة: فربائتي يطلعونني على كل ما يجري. خذ مثلا ياسيد، هنالك أحدهم، وقلت خرج منذ ما لايزيد عن خمس دقائق، إنّه قاض من أعلى المراتب. حسن، ياسيلة، تقول في صيحة حماس وكأتها مستعدة لإلبات هذا التركيد بالعنف إن أبدى رجل السلطة أنّه يشكك في صحفها، ومنذ لمائي سنوات، تفهمني تصامأً، وفي سائر الأيام التي صنعها الله، تراه هنا حين تدقق الثالثة، دائم التأثيب لا ترتفع له كلمة فوق أخرى ولا يوسخ قط شيئا يظل أكثر من نصف ساعة ليراً صحفه وهو يقضي حاجته الصغيرة، يوم واحد لم يجيء فيه، ساعتها لم أنتيه للأمر، ولكني في الماء قلت فيأة في نفسي: وويسي، هذا السيد لم يجيء وريما أدركته المنية، لقد هزئي الأمر لأنني أتعلق المالوحة، ياسيدى؟ المحتفية، وللذاء أمر حيث أن الغد، وهم يسبث أمر حينما يكون الذان طيئين. ولذلك أن منظهره حزينا بالتأكيد، أنت تدرك ذلك، أناس زوجوا منذ خصت وإنه تأثر إلى حداً أنه لم الديد مسروراً مع ذلك أن يعود. كنت نخس أنه أرجع كل الازعاج في شؤون عاداته المألوفة، وقد حاولت الديد موالدي المناد فلكه المؤلدة فقلت له: صبيني ألا تستسلم الأمر، تمال كما كنت من قبل، فسوف يأتيك ذلك بسلوي يسيرة في خطبك، فسوف يأتيك ذلك بسلوي

راردنت «المركبيزة تقول بالهجة أكثر لينا لأنها لاحظت أنّ حامي كتل الزهر والخضائر يصغي إليها بسذاجه دون أن يخطر له أن يخالفها وقد أبقى في الفمد سيفاً مسالماً بيدو بالأحرى وكأنه أداة بستنة أو مما كان خاصاً بالحدائق.

" دام إني انتقي زبائتي، تقول، ولا أستقبل جميع الناس في ما أدعوه صالاني. أليست تبدو بمثابة
صالة إلى جانب زهوري؟ وبما أنَّ لديّ زبائن لظافاً جدًا، فإن هلما أو ذاك يتلطف دوماً فيحمل إليّ غصناً
صقيراً من ليلك جميل أو ياسمين، أو وروداً، وهي زهرتي للفضاة.»

واكتسى رجهي بالحمرة لدى التفكير بأننا ربَّما كنا موضع نظرة سيئة لدى هذى السيدة إذ لا نحمل إليها في يوم ليلكا أو ورودا جميلة، وتقدمت بانتجاه باب الخروج أجهد في أن أنجَنب جسدياً حكماً في غير صالحي – أو لا تصدر الحكم بحقي إلا غيابياً. ولكن الأشخاص الذين يأدرن بالزهور ليسوا على الدوام في الحياة أولفك الذين يبدي المرء أكثر اللهف لهم، فقد خاطبتني والمركبرة، وفي ظنها أن الضجر أصابغي، قاتلة:

⁻ ألا تريد أن أفتح لك قمرة صغية؟١

ولما رفضت أضافت تقول بابتسامة. ولا لست تريد؟ كان ذلك بكامل رضاي، ولكنّي أعلم تعاماً أنّها حاجان لايكفى ألا تقد ثمنها لتحس بهاه .

ودخلت باستمجال في تلك اللحظة امرأة رثة الثياب كان بيدو بالضبط أنّها خحسٌ بها. ولكنها لم تكن من عالم «المركزية»، فقد قالت لها هذه الأخيرة بجفاء ونفسوة المتحلقين:

- اليس من شاغر ياسيلتي،.

ومألت السيدة المسكينة وقد كستها الحمرة مخت أزهارها الصفر: اوهل سيطول بي الأمراء؟

— 16.1 أنصحك ياسيدتي بالذهاب إلى مكان آخر، فأنت تهن، لايزال هنالك هذان السيدان يتنظرانه، تقول وهي المسيدان يتنظرانه، تقول وهي توليس لديّ سوى بيت خلاء واحد، فالآخر في طور الإصلاح...؛ وقالت المركزة: هداه هيئة من يماطل في دفع ما بلدته، ولايدو أنّها من طرازنا هنا، فلا نظافة ولا احترام وإنما مينيفي لي أن أمضى ساعة في التنظيف للسيدة. لست نادمة على فلسيها.»

وأخيراً خرجت جنتي بعد نصف ساعة ونيف، وإذ عطر لي أنها لن تخاول أن تستر باكرامية ما أبلدت من عمل غير محشم لبقالها وقتاً كهلا علت القهقرى كي لا يصيني جرء من الازدراه الذي ستبديه لها والمركزة، دون شك وسلكت نمراً ولكن على مهل كي تستطيع جنتي اللماق بي بسهولة وعتابعة السير معي. وذلك مانم بعد قليل. كنت أحسب أن جنتي مساوني بقولها: ولقد جعلتاً تنظر طويلاً وأمل أن لن يغوتك على الرغم من ذلك لقاء اصدقائك، ولكنها لم بعلق بكلمة واحدة حتى إلى لم أشأ، وقد خاب أملي إلى على القرب من المركز أن أختذت الأول إليها. وحين رفعت المين إليها وأبت أنها تحول رأسها في الجانب الأخر فيما تسبر على القرب مني. وخشيت أنها تعاني من غليان بعد. وأممت النظر إليها ودهشت لمشيتها المهتزة. كانت قبعتها مائلة ومعلقها متسخاً وكانت تبدي اضطرابا واستهاءً محمدة الوجه مهتمة كمن دفعته عربة أو أخرج من

وقلت لها: ختيت أن أسابك خيان ياجدُه، فهل أنت أحسن حالاً؟) وليس من شك أنّها حسبت أنّه يستجرل عليها ألا عجّيني دون أن تبعث القلق في ناسي، فقالت لي:

ولقيد سمعت كامل الحديث بين والمركبزة، والحارس، وكان ألسق ما يكون بطراز آل وغيرماست، وحلقة آل وفيردوران، الضيقة. يا الله! بأية كلمات رقيقة صيغ الحديث!، وأضافت إلى ذلك جاهدة، والاستشهاد لمركبرتها هي، السيدة «دو سيفينييه»: «ظنت إذ كنت أصفي إليها أنّها تعدّ لي متع الوناع.»

تلك كانت العبارات التي اسمعتني إياها والتي ضمنتها كامل رقتها وسلها إلى الشواهد وما مخفظ من رواتم الأدباء، بل زادت قليلاً عمّا لعلها كانت تفعل عادة وكأنما لتبدي أنَّ ذلك ملك يديها. ولكني خممنت نلك الجمل أكثر نما تمّ لي سماعها لفرط ما نطقت بها مدمدمة وهي تضغط على أسنانها أكثر نما يمكن أنْ يُمسِّم خوفها من الاقياء. فقلت لها بشيء من الاستخفاف كي لابيدو أني آخط وعكتها على محمل العبدُ: «هيا، بما أنك تحسين بغنيان طفيف، موف نعود إِن شفت، فلست أربد أن أحمل إلى النزهة في «الشانزيليزيه» جلَّة تشكو عسر هذم.»

فأجابتني قائلة ووما كنت أجرة أن أعرض الأمر عليك بسبب أصدقائك. ياصغيري المسكين! ولكنما الأمر أكثر حكمة بما ألك واض به: .

وخشيت أن تلاحظ الطريقة التي كانت تنطق بها بتلك الكلمات، فقلت لها بجفاه: «هيا، لاتججهدي النفس في التحدَّن، وبما ألَّك تحسيَّن بشيان فانتظري على الأقلَّ أن نكون عدنا فذلك غير منطقي.»

وابتسمت لي ابتسامة حوينة وشنّت على يدي. لقد أدركت. ألا سبيل إلى أن تحفي عليّ ما قد خمّته في الحال: لقد أصيت عند قليل بدرية قلبية طفيفة.

٥



الفصل الأول

مرض جلتي – مرض ويبرغوث،

- الدوق والطيب - المطاط قرى جدتي - موتها

عدنا فاجتزنا شارع دغابرييل، وسط جمهور المتنزهين. وأجلست جدتمي على مقعد وذهبت في طلب عربة. أمّا هي التي كنت أقف أبداً في قلبها لأخيّم أكثر الناس تفاهة فقد أضحت الآن مغلقة النفس دوني. لقد بالت جزعاً من العالم الخارجي وأراقي مضطراً أن أكتمها مايراودني بشأن حالتها وأن أكتمها مخاوفي أكثر من العالم الخارجي وأراقي مضطراً أن أكتمها عن الأمر بققة أكثر نما أفعل مع غرية. لقد ودّت أي منذ قابل الأفكار والفحوم التي سبق أن استودعتها إياها إلى الأبد منذ طفولتي. لم تكن بعد قد مات، وكنت مذ ذلك وحيداً. حتى تلك العلميحات إلى آل هغير ماتت، وقموليرة وأحاديثنا حول النواة الصغيرة كانت تتخذ هيئة لا وكيزة لها ولاسب، هيئة من عالم الخيال لأنها تصدر عن هذا الكائن عيد الذي يتما لن يظل موجوداً في غد والذي لن يظل لها في نظره أيًّ معنى، عن هذا العلم- العاجر عن تصورها – الذي ستصير إليه جندًى عما قريب.

- الست أنكر ياسيد، ولكنك لم مخصل على مرحد منّى، ولا رقم لك. وليس اليوم على أية حال يوم
 استشارتي. لابد أنَّ لك طبيبك، ولا أستطيع أن أحل محله إلا إذا أرسل يدعوني للمشاورة. إنها مسألة تسلسل وأدب......

وكنت في اللحظة التي أخير فيها إلى إحدى العربات التقيت بالأستاذ الشهير أ...، وهو صديق والدي وجدّي تقريباً رعلى علاقة بهما على أية حال، وكان يسكن في شارع دغابريل، فأوققت، وقد هبط عليًّ وحي مفاجئ، لحظة كان بعود إلى بيته فئنا متي أنه ربّما أشار أحسن المشورة بالنسبة إلى جنّي. ولكنّه همٌ، وهو معجل بعدما أخد (سائله، يريد أن يصرفي ولم أستطع التحدّث إليه إلا باستقلالي وإيّاه المصعد الذي رجاني أن أدع له عجربك أزراره، إذ الأمر هوس لديه.

-ولكنّي لا أسألك استقبال جلتّي، ياسيّد، وستدرك بعد الذي سأقوله، أنّها قلما تستطيع، أسألك على المكس أن تمرّ في غضون نصف ساعة إلى يبتنا حيث تكون عادت.

— فأمر إلى بيتكم؟ إنّك الانفكر في ما تقول ياسيّد. سأتناول طعام العشاء للدى وزير التجارة وينبغي أن أنوم بزيارة قبل ذلك وسأبدًا لليوم التجارة وينبغي أن الموضع بزيارة قبل ذلك وسأبدّل ليابي في الحال. يزيد في الطين بلة أن رحاتي بتمرّق وأنَّ الأخبر لاعروة له لوضع الأوسمة. أرجوك، تكرّم عليَّ بألاً تلمس أزرار المصحد فأنت لاتخسن غريكها. لابدً من الحار في كل شيء. هذه العرق سوف تزيد من تأخيري. على كلّ حال. وبداعي صداقتي لمذيك، إن جاءت جدتك في الحال فصوف استقبلها. ولكنّي أحذرك من أنه يكاد لايتسع لي سوى ربع ساعة أصرفها لها.٤

كنت قد عدت في الحال، وكدت لم أخرج من المصعد الذي حركه الأستاذ أ... بنفسه كي يحملني على النزول، ولايقفل أن ينظر إلى محافراً.

نحن نقول أنَّ ساعة الموت غير أكيدة، ولكننا حين نقول ذلك إنَّما نتمثَّل هذه الساعة وكأنَّها واقعة في مكان مبهم بعيد ولا نظنَّ أنَّ لها علاقة. أيَّة علاقة، بالنهار الذي بدأ ويمكن أن تعنى أنَّ الموت – أو امتلاكه الأوّل الجوريّ لنا والذي لن يتركنا بعده- يمكن أن يحدث في هذا العصر نفسه، وما أقلّ إيهامه، هذا العصر الذي نُظُّم فيه سلفاً استخدام الساعات جميعها. أنت تخرص على نزهتك ليتوافر لك في الشهر مجموع الهواء النقّي اللازم، وقد تردّدت في اختيار معطف تحمله معك والحوذيّ الذي ينبغي استدعاؤه، وإنَّك في العربة والنهار كله أمامك قصير المدى الأنك تبغى أن تكون عدت في الوقت المناسب الاستقبال إحدى الصديقات ؛ وتودّ أن يكون الطقس في الغد في مثل صحوه، ولا يخطر لك أنَّ الموت الذي كان يسري فيك على مستوى آخر وسط ظلمة لاتنفذ إليها الأبصار قد اختار بالضبط هذا النهار ليدخل مسرح الأحداث بعد هلعُ الغرابة الخاصَّة بالموت شيئاً من الطمأنينة في هذا النوع من الموت – في هذا النوع من الاتصال الأوَّل بالمرت- لأنَّه بحمل فيه مظهراً معهوداً ومألوفاً ويومياً. لقد سبقه غداء طيبٌ والنزهة نفسها التي يقوم بها الناس المعافون. إن عودة في عربة مكشوفة تنضاف إلى إصابته الأولى ؛ ومهما يبلغ المرض من جدَّتي فقد كان بوسع عدَّة أشخاص أن يقولوا إنَّهم حيَّوها، حينما عدنا من الشانز يليزيه، وهي تمرَّ في عربة مكشوفة وفي طقس رائع. وقد حيّانا الوغراندان، الذي كان يتَّجه إلى ساحة اللكونكورد، بحركة أدّاها بقبعته وهو يتوقفٌ مستعجاً. وسَّالَت جلَّتي، أنا الذي لم يتجرّد بعد عن الحياة، إن هي ردَّت عليه مذكّرًا إيّاها بأنّه سريع التأثر. أمّا جلّتي فقد ألفتني دونما شكّ شديد الطيش ورفعت يدها كأنَّما لتقول: دوماذا في الأمر؟ لا أهميّة لذلك على الأطلاق).

أجل، كان يمكن القول منذ قليل، حينما كنت أبدت عن عربة، إن جنتي كانت تجلس على مقعد في شارع دفابرييل، ورأبها مرّت بعد ذلك بقليل في عربة مكشوفة. ولكن، أكان ذلك صحيحاً تعام العمحة؟ إنّ المقعد لا حاجة به، فيما يعتم، كيما يقيم في أحد الشوارع- مع أنّه بخضع بدوره لبعض شروط التوازف-لقدرة معيّنة. ولكنما يبني، كيما يكون الكان البحي مستقراً وإن استند إلى مقعد أو طاحل عربة، نوتر قوى للاحس بها عادة أكثر تما نحس بالضغط البحري (لأنّه يتم في جميع الاتجاهات). وربّما شعرا، لو خقق، الفراغ في داخلنا ورُّركا تتحمل ضغط الهواء، ربّما شعرا في أثناء اللحظة التي تسبق تدميرنا بالثقل الرهيب الذي لا يعطله شيء من بعد. كللك حينما تفتح فينا هاويات المرض والموت ولا يظلّ لدينا من بعد ما نضمه قبالة الضوضاء الذي يكرًّ به علينا العالم وجدئنا نقس، اقتضانا حيناك حتى عثمل فحة مسادتا، حتى الرحشة التي تزرع الدمار في مخاخاء حتى الوقوف بلا حراك في مانفته عادة معتص الوضع السلبي للشيء الرحشة التي ترح الدمار في مخاخاء حتى الوقوف بلا حراك في مانفته عادة محتص الوضع السلبي للشيء التضانا حيناك، إن نشئا أن يظلً الرأس قائماً والنظرة هادئة، طاقة عرية وأصبح موضع عراك مضن.

وكن نظر إلينا ولوغراندان، بهذه الهيئة المستعجة فلأنَّ جنتي ظهرت له ولجميع الذين كانوا بمرّون حينذاك على السواء، ظهرت، في العربة التي كانت تبدو جالسة فيها على المقمد، كانّها تهري، كأنّها تنولق إلى الهاوية وتنشّبُ ياتسه بالمساند التي تكاد لاتستطيع احتجاز جسدها المندفع، والشعر منكوش والعين شاردة لاتقوى من بعد على مجابهة كرّ العمور التي لم تعد حدثتها نفلح في حملها. لقد ظهرت، مع أنها بالقرب منّي، غارقة في هذا العالم الجهول الذي سبق أن تلقّت في صميمه الضربات التي كانت تخمل آثارها حينما شاهدتها منذ قليل في والشائزيليزيه، وقد عبثت بقّم: وجهها ومعطها يد الملاك الخفيّ الذي صارعه.

لقد خطر لي مذ ذك أن تلك اللحظة من النوبة التي آصابت جنّبي لابدً لم تفاجعها تمام المفاجأة، بل لملها توقّمتها قبل الأوان بفترة طويلة وعاشت في انتظارها. هي لم تعلم ودنما رب حتى مخلّ تلك اللحظة المفتومة وبها حيرة، عثلها في ذلك مثل السكاق اللذي ينضهم خلّك من ذات القبيل إلي أن يبنوا آمالا غير معقولة تارة وطوراً شكركاً ليس لها ماييرها حول إخلاس عشيقهم. على أنه يندر لمثل تلك الأمراض اللحبية اللبية المثاق المفاف إصابه على مدينة ألا تتخذ مكناً لها فترة طويلة لدى المساقة المساقة المباقية بملك الأبراض المباقية مدينة ألم المنقوبة المعافق المناقبة المناقبة المباقبة بالمناقبة المباقبة المباقبة مدينة المباقبة المباقبة على المباقبة مدينة المباقبة الم

وضعت جدِّتي في مصعد الأستاذ أ... وبعد لحظة أقبل الينا وأدخلنا إلى مكتب، ولكته وإن يكن معبلاً فقد بنكات هنا هيئته المتعبرفة لشدة ما المادات قرية، وكان من عادته أن يكون لطيفاً مع مرضاه، وحَى مرضاه، وحَى مرضاه، وحَى مرضاه. ومَعْ كان عرف جدِّتي طويلة الباع في الثقافة وكان هو على ذلك فقد أخذ بيروي لها على مدى مدقيتين أو ثلاث أبياً جميلة حول العبيف المشرق الذي كان سائداً. وكان قد أجلسها فوق كتبة وظال بمكس ومع أن ربع الساعة قارب النهائة، يعبد على جنتي بعض الاستفهائت، وجبه أيضاً ثم شرع، بعدما لتنهى ومع أن ربع الساعة قارب النهائة، يعبد على جنتي بعض الاستفهائت، وجبه أنها بعد الملكة على حداما والتي لعلني كنت فشات سماعها في يوم آخر وذكرت حينلك أنَّ السبّد دفاليره ويس مجلس إلى حداما والتي لعلني كنت فنداً تعبد عادم الدين خاصيب معلى منافسه، يمارم وظائفه من جديد وكان يماء فيما يقولون، لترتبح بعد أو قريب لوائمة الجمهورية. وإودادت ثقتي بفاء مجدني السريع تماماً يقدر ما انتخلتي، لحظة كنت أنذ كر مثال السبّد وفاليرة، من فكرة هذا القارة فيقهة حميدي الدين عند ماذ للرحمة المنافراب إذ رأى أنه تأخر خسم صريحة خدمت مزحة للأستاذ أ... وإذ ذلك أخرج ساعته وقطب الحاجب باضطراب إذ رأى أنه تأخر خسم وسأت المائم الحقيقة. فقال لي:

— وجندك ميؤوس منها. إنها نوبة ناجمة عن تسمّم بولي. وليس التسمم البوليّ في حدّ ذاته مرضاً قاتلاً بالضرورة ولكنه الحالة تبدو لي ميؤوساً منها. لاحاجة لي أن أقول لك إني آمل أن أكون مخطاً. أنتم مع 8 كوتارة بين أبد أمينة. ثم قال لي وهو يصر خادمة تدخل وعمّم على ذراعها رداء الأستاذ الأسود: ومعذرة، أنت تعلم أتي أتناول طعام العشاء في منزل وزير التجارة وعليّ أن أقوم بزيارة قبل ذلك. آما ليست الحياة وروداً فحسب، كما يظائرن ذلك في سنده.

ومدًّ إلى يده بلطف. كنت قد أغلقت الباب فيما يقودنا خادم أنا وجدّتي عبر غرفة الانتظار حينما سمعنا صبحات غضب كبيرة. فقد كانت الوصيفة نسيت أن تنقب العروة للأوسمة، والأمر سيتطلب عشر دقائق أخرى. كان الأستاذ يوالي صراخه فيما كنت أنامل على صحن النوج جدّتي الميؤوس منها. كلّ امرئ وحيد تماماً ومضينا ثانية إلى الهيت.

كانت الشمس آخذة في الأفول، وكانت تلهب جداراً لاينتهي ينبغي لعربتنا أن مخاذيه قبل الوصول إلى الشارع الذي كنَّا نقطن فيه، جداراً بيرز عليه أسود على خلفيَّة ضاربة إلى الحمرة، كعربة موتى على فخَّار من هيوميين. ٤. ظل الحصان والعربة الذي يسقطه الغروب. وأخيرًا وصلنا. وأجلست المريضة في أسفل الدرج في الردهة وصعدت أخطر والدتي. قلت لها إن جدَّتي تعود وبها وعكة بسيطة إذ قد أصيبت بدوار. ومنذ كلَّماتيُّ الأولى بلغ وجه أمى ذروة يأس بدت تسلم به مع ذلك إلى حدّ بعيد أدركتُ معه أنّها كانت مختفظ به منذ سنوات كثيرة جاهزاً في داخلها من أجل يوم غير معيّن وأخير. ولم تسألني شيئاً ؛ كان يبدو، مثلما يحلو للأفيّة أن تبالغ في آلام الآخرين، أنّها لم تشأ، بداعي الحنان، أن تسلّم بأنَّ والَّدتها مصابة إصابة بالغة، ولاسيّما بمرض يمكن أن يمسُّ العقل. كانت والنتي ترتعش ويبكي وجهها دونما دموع، وجرت تقول أن يذهبوا في طلب الطبيب، ولكنَّها لم تستطع الإجابة إذ كانت وفرانسواز، تسأل من كان مريضاً، وتوقفٌ صوتها في حنجرتها. وانحدرت بخري معي وهي نزيل عن محيّاها الزفرة التي تفضّنه. كانت جدّتي تنتظر في الأسفل على أريكة الردهة ولكنّها اعتدلت ما أن سمعتنا ونهضت واقفة ولوّحت لوالدتي باشارات مرحة من يدها. وكنت قد أحطت رأسها نصف إحاطة بخمار من المنانتيلا البيضاء قائلًا لها إن الغرض من ذلك أن لايصيبها البرد في الدرج. فما كنت أريد أن تلاحظ أمّى كثيراً امتقاع الوجه والتواء الفم ؛ وجاءت حيطتي عديمة الجدوى، فقد اقتربت أمَّى من الجلَّة وقبلت يدها وكأنما يد إلهها وساتدتها وحملتها إلى المصعد بصنوف من الحيطة لاحدً لها مجَّد فيها إلى جانب خشية أن تكون هوجاء وتؤذيها تواضع من يحسُّ أنَّه غير أهل لملاصة مايعلم أنّه أشمن الشمين، ولكنَّها لم ترفع عينيها مرَّة ولانظرت لي وجه المريضة. ربَّما كان ذلك كي لا تغتُّم هذه وهي نظنُّ أن رؤيتها أمكن أن تقلق ابنتها. وربَّما مخافّة ألم بالغ العنف لم تجرؤ على مواجهته. وربَّما بداعي الإجلال لأنَّها لا تعتقد أنَّه يسعها دونما عقوق أن تلاحظ أثر أيَّ وهن عقلي على الوجه المكرَّم. وربَّما كمي تخفظ فيما بعد على حالها وعلى نحو أقضل صورة وجه أمّها الحقيقي يشمّ ذكاء وطيبة. وهكذا صعداً الواحدة إلى جانب الأخرى، تختفي جدَّتي خلف خمارها وتشيح والدتي يعينها.

وفي أثناء ذلك كان ثمة شخص لايرفع عينيه عماً يمكن أن يُستشفَّ من ملامح جندِّي المتغيّرة التي لاتجرّر ابنتها أن تراهاء شخص يتبت عليهما نظرة دهشة وضدل وشؤم: إنها فغرانسوازه . وليس يعني ذلك أنّها لاتحبّ جدّتي حبّاً صادقاً (بل هي خاب ظلها وأثار استكارها برودة واللدي وكانت تودّ لو رأتها ترتمي باكية بين ذراعي واللدتها، ولكنّما كان بها ميل إلي توقّع الأسوأ أيداً واحتفظت من طفلتها يخاصيتين تبدوان وكأّما بنبغي أن تتاقياً ولكنّهما حينما تجتمعان تقري إحداهما الأخرى، عينا قلّه تهذيب عامّة النامي اللهن لايحاولون إخفاء الإنطاع بل الرعب للؤلم الذي تبدث فيهم ورية تبلل جمعي ربّها كان أكثر لباقة أن لايينو لايخوام وكأن يلاحظه، والخدوية المبيدة عن الإحمام لذي الفلاّحة التي تشرّع أجتحة العاميم قبل أن تتوافر لها فرصة دنّ أعناق القرارج ويقصها الاحتمام الذي قد يحملها على إخفاء الاعتمام الذي تحمّ به لرؤية الجمد الذي يتملّد.

حيدما تمّ وضع جدّتي في سريرها بفضل عناية وفرانسوازه الثنامة. تبينتُ أنها كانت تتكامّ بسهولة أكبر إذ لابدّ أنَّ التسرّق المغيش أو الاختناق الذي أحدثه النسمّ البوليّ في أحد الأرهية كان طفيفاً جداًا حيثلًا شاءت ألا تكون بعيدة عن أمّى وأن تعينها في أقسى ما لعلَّ هذه الأخيرة اجتازت من لحظات.

وقالت لها، وهي تأخط يدها وتمسك بالثانية أمام فمها كي توفّر هذا السبب الظاهر للصموية الطقيقة الثني لانوال تعاني منها في لفظ يعض الكلمات: «ماذا، يا ابنتي! أهكذا ترتين لـحال أمّك! أواك تظنّين أنَّ ليس يزعج سوء الهضمية.

حينتذ حطّت عينا والدتي للمرّة الأولى بحرارة على عيني جدَّى إذ لاتبني أن تبصر بقّية وجهها وقالت وهي تبدأ لائحة تلك الأيمان الكاذبة التي لانستطيع البرّ بها:

- وسوف تشفين عماً قريب يا أمّى، ذلك عهد على ابتتك، .

واحسبت أشدٌ حبّها وكامل مبتذاها لأن تضفى والدتها في قبلة استودعتها إيّاهما ووافقتها بفكرها وبكلّ كيانها حتى حافة شفتيها وأقبلت تطبعها بتراضع وورع على الجبين الحبيب.

كانت جنتي تشكر من نوع من الخمراف الأغطية وكان يتم على الدوام في الجهة نفسها على ساقها البسب (حتى أنها السبب (حتى أنها السبب (حتى أنها السبب (حتى أنها المسبب (حتى أنها المسبب و فرائد كانت تلقي بحركة تشتيمة في ذلك المهمت في كل يوم فرائدوازه إو أنها تسيء ترتيب سريرها). فقد كانت تلقي بحركة تشتيمة في ذلك الجانب كان بيل تلك الأفطية المزيدة التي من صوف ناعم والتي كانت تتكذّس فيه كالرمال في خليج صخير سرعان ما يستحيل شاهئاً راملياً (إن لم نين فيه مذاً) من جزاء أجلاب الموج المتعاقبة.

أماً أنا (الذي كان كنبه يُحتنف سلفاً على يد وفرانسوازه الثاقية النظرة والمسيئة، وأمّى فما كمّا حتّى نبغي أن نقول إنْ جلّتي مهيضة جلماً كما لو أمكن ذلك أن يسرّ الأعداء، ولا أعداء لها على آية حال، وكما لو بدأ أكثر حناناً أن نجمد أنّها ليست سيئة الحال إلى هذا الحدّ. وذلك باختصار القول بالإحسام الغريزي نفسه الذي حملني على افتراض أن وآمدريه كانت تفرط من الرئاء لحال وألبيرتين، كيما غيّها كثيراً. وإنَّ الظاهرات نفسها تتكرّر من خاصة الناس إلى الجمهور في الأزمات الكبيرة. إنَّ الذي لايحبّ بلاده لايتناولها بسوء في الحرب ولكنّما يحتقد أنّها هالكة ويرفي لحالها ويرى الأمور بلون السواد. كانت ەفرانسواز، تۇدى لنا خدمة لاحدود لھا بقدرتھا على الاستغناء عن النوم وأداء أكثر الأشغال مشقّة. فإن اضطررت، بعدما ذهبتُ لتنام عدَّة ليال أمضتها واقفة، أن تناديها ربع ساعةً بعدما أخذها النوم، كانت سعيدة أن تستطيع أداء أمور شاقة كما لو كانت أبسط مافي العالم إلى حدّ تبدي معه على وجهها الرضى والتواضع بدلاً من أن تمتعض. فأمّا حينما تحلّ ساعة القداس وساعة الإفطار فلعل «فرانسواز» كانت تتوارى في الوقت المناسب كي لا تتأخّر وإن كانت جلّتي في طور النزاع. وما كانت تستطيع ولاهي تريد أن يحلّ محلُّها خادمها الشابّ. أجل، لقد حملت من «كومبريه» فكرة رفيعة جدّاً عن واجبات كلّ واحد مجّاهنا، وما كانت لتسمح أن يقصر أحد خدمنا في احترامنا. وقد جعل ذلك منها مربية كريمة متجّرة فعّالة إلى حدّ آنه لم يتفق أن كان لدينا خدّام مُفَّسدونُ إلى حدّ بعيد لم يبدّلوا وينقّوا بسرعة مفهومهم للحياة إلى حدّ أتهم لايقبضون فلسأ واحداً من بعد ويسارعون– مهما كانوا قليلي المروءةحتى ذاك – كي يأخذوا من يديُّ أيَّة رزمة ولايدعوا لي أن أتمب في حملها. إلا أن عفرانسوازة كانت قد اتخفت في الكومبريه، أيضا- وحملت معها إلى باريس- عادة ألا تطيق احتمال أيَّة مساعدة في عملها. فأن ترى من يمدُّ لها يد العون كان في نظرها إهانة ترجّه إليها وقد ظلّ بعض الدخدم أساييع دون أن يحصلوا منها على ردّ على خيّتهم الصباحيّة، بل هم ذهبوا لقضاء العطلة دون أن تودّعهم ودون أن يحزروا لماذاء والأمر بالحقيقة نحض أنهم أرادوا أن يقوموا يشيء من عملها في يوم كانت فيه متوعكة. وفي هذه الفترة التي كانت فيها جنَّتي في أسوأ حال كان عمل افرانسواز، يبدُّو لها ملك يليها على تحو خاصٌّ. فما كانت تريد، هي صاحبة الحقُّ، أن تسمح بسرقة دورها في هذه الأيام الاحتفاليّة وما كان خادمها الشابّ الذي استبعدته يعلم ما يفعل وقد أخذ، إذ لم يكتف بأنّه أخذ أوراقي من مكتبي على غوار وفيكتوره، أخذ إلى ذلك يحمل معه مجلَّدات شعرية من مكتبيّ. وكان يقرؤها، على مدى نصف نهار ويزيد، داعي الإعجاب بالشعراء الذين ألفوها وكيما برصَّع كذلك في اللجزء الآخر من وقته بالشواهد الرسائل التي كان يسطرها لأصدقائه في القرية. كان يأمل بالتأكيد أن يبهرهم بذلك. بيد أنّه أما كان قليل الترابط في أفكاره فقد شكل في ذلله هذه الفكرة التي قوامها أن تلك القصائد التي وجدها في مكتبى كانت أمراً يعرفه سائر الناس ومن الشائع العودة إليه، فكان بذلك إذ يكتب إلى هؤلاء الفلاحين الذين يتوقّع إذهالهم يمزج أفكاره الخاصة بأبيات لـ ولامارتين، كما لعله كان قال: من يعش ير، أو حتى: صباح

سُمح لجبلتي بالمورفين بسبب ما تعاني من ألام: ولين كان هذا الأخور يسكنها فقد كان لسوء السط يزيد كذلك من كسيّة الزلال. فالضربات التي كنا نوجهها للماء الذي سكن داخل جلتي كانت تنظيع الهدف أبدأ، فهي التي كانت تتقبّلها، وكذلك جمدها المسكين الذي حلّ بين الداء والدواء، دون أن تشتكي إلا بأنين ضعيف. وما كانت الآلام التي نسبّها لها، ما كانت تُستعاض بخير لانستطيع أن نوقره لها. والداء الشوس الذي ودننا لو نقضي عليه لم نلامسه إلا قليلاً وكنا نزيد فصسب من حدّته وريّما استعجلنا الساعة التي ستفترس فيها السجينة. كان «كوتاره يوضن المورفين» بعد تردّه، في الأيام التي يتجاوز فيها الزلال الحدّ. فقد كان لدى هذا الرجل التافه إلى حدّ بعيد والعادي إلى حدّ بعيد، في هذه اللحظات القميرة التي يتفكّر فيها والتي تتصارع فها في صدو مخاطر علاج وآخر إلى أن يوقف عند أحدهما، كان لديه ما يشه عظمة جنرال يثير مشاعرك، هو العالمي في باقي الحياة، بقراره لحظة يعيق الخطر بمصير الوطن، حينما يخلص بعدما تردّه لحظة إلى ما كان أكثر الأمور حكمة على الصيد المسكريّ فيقول: فاصمدوا شرقاً، كان يبغي على الصيد الطبيء مهما قل الأمل في وضع حدّ للوية التسمم البوليّ هذه؛ ألا ترُمنّ الكلية. يبد أنّ أرجاع جدلي كانت لانطاق من جهة أخرى حينما لايترافر لها للووفين، وكانت تكرّر دونما انقطاع حركة يعمب عليها كنيت الانطاق من جهة أخرى حينما لايترافر لها للووفين، وكانت تكرّر دونما انقطاع حركة يعمب عليها يجمل الإصابى مطابقاً لهذه الحالة. ويمكن نصير منت ألام هذا في حال برعجات ليست كللك بالنسبة أدى بين الرائحة المناس، ففي غرفة ماكن بدخان ثاقب الرائحة يدخل رجلان فقائل ويقرمان بأعمالهما، ويدي فالت أدى المناس المناس المناس المناس المناس على المناس المنا

 - وآءاً بالبنتي، إله لأمر فظيع أن يظل المرء طريحاً في هذا الطقس الشمس الجميل حينما يود الذهاب في نزمة، إلى أبكي حقاً من إرشائاتكم».

ولكنّها لم تكن تستطيع الحيلولة دون أتين نظراتها وعرق جبينها والانتفاضة المُتنسَّجة في أعضائها والتي تكتمها في الحال.

– دليس بي ألم، إني أشكو لأني واقدة على نـحو غير مربح وأحسّ شعري مشعثاً ويوجعني بطني وقد ارتطعت بالجدارة.

أَمَّا أَمَّى، وهي على حضيض السهر مشدودة إلى ذاك الألم كما لو انبغى لها في النهاية، لشنّة ما تخرق بنظرتها هذا الجبين الموجع، هذا الجمد الذي يحري الناء، أن تبلغه وتحمله، فكانت تقول:

ولا، يا أميمتي، أن ندعك تتألمين على هذا النحو، موف غجد شيئًا، فتجملي بالصبر ثانية، وهل
 تسمحين أن أعاتفك دون أن يقع عليك القيام بحركة ثه.

وإذ تنحني فرق السرير مشية الساقين نصف جالية كما لو يتوافر لها، كلما اودادت أتصناعاً، حظ أكبر في أن يقبل جوها المحموم بلماتها، كانت تعبل على جنتي يكامل حياتها خمسلها في وجهها وكانّما في كأس تربان نعلما إليها، كأس اودانت يتقوش بارزة من غمازات وشجاعيد حارة حزينة علية إلى حدّ لاتعلم معه إن كان قد حفرها فيه أوميل قبلة أم وفرة أم إيتسامة. كانت جنكي بدورها تخاول أن تعدّ وجهها صوب أمّي، وكان قد تقرر إلى حدّ أنّها ما كانت لتُمرَّفُ دونما شكّ، لو توافرت لها القدرة على الخروج، إلا من ريشة قبّمتها. كانت ملامحها تبدو وكانّما خجدً، كما هي الحال في جلسات صنع النماذج، من خلال جهد يصرفها عن كل ماتيثي، في مطابقة نموذج ما كنا نعرفه. وكان عمل المثال هذا يغارب نهايته وثين تقلّص وجه جنكي فقد تصلب كذلك. وكانت الأوردة التي تخرقه تبدو وكأنها لاعرق المرمر بل عروق حجر أكثر خشونة. ولما كانت تنحي أبدًا إلى الأمام من جراًه صعوبة التنفس فيما تنطوي على ذاتها في الوقت نفسه من جرًاء التعب فقد كان وجهها الخشن المقلس المبرّ إلى حدّ فظيع بيدو وكأنه، في نحت قديم يقارب أن يرتقي إلى ما قبل التاريخ، الوجه الخشن الضارب إلى البنفسجي الأصهب اليائس لحارسة قبر متوحشة. ولكنُّ الممل لم يكن قد أنجز بكامله، ولابدٌ بعد ذلك من تخطيمه ثم إنزاله في هذا القبر – الذي نمّت حراسته بهذا القدر من المشتج القامي-.

وفي واحدة من تلك اللحظات التي لايدري لمارء من بعد فيها إلى أيّ شفيع يلجأ حسبما يقول مواد الناس، وبما أن جدّتي كانت تسعل وتعطس كثيراً، تبعنا مشورة قريب كان يؤكد أنَّ الأمر ينتهي في ثلاثة أيام بوساطة الأخصائيّ س... إنّ رجال المجتمع يقولون ذلك عن طبيبهم وتصدّتهم مثلما كانت ففرانسوازا تصدّق دعايات الصحف. رجاء الأخصائي يحقيبته المثقلة بجميع رشوحات زباته، شأن قربة فأبولوس (١٠٠. ووفضت جنّتي رفضاً قاطعاً أن تسمح بضحمها.

أمّا نسن الذين أصابهم الإزعاج من أجل هذا الطبيب الذي كلّف نفسه عناء الجميء بلا جدوى، فقد انصمنا للرغبة التي حَبّر عنها في فحص أنف كلّ منّا مع أنّه لم يكن به شيء. وكان يزهم أنّ بلى وأن الأمر أمر مرض في الأنف أسم فهمه مواه أكان شقيقة أم منصاً، وداء في القلب أم داء السكريّ، وقد قال لكلّ واحد اعتباء هذا فيّن بديني أن ألتقبه انبّة. فلا تنظر أكثر من الملازم، وسوف نخلصكهم بيضع وجوات بالداره. كنا يمكّر بالتأكيد في أمر مختلف أنم الاختلاف. ومع يقطئ الأقتب المنازع الله المن تتحلص من أيّ شيء 14 وخلاصة القبل أن قالم المنازع المنازع والدي وضاحاد المؤقف قد نصاب كلّ منّا زكامه. وفيما كان بلاقي في الشارع والذي لهو، وبات السعال ابتسم لمخاطرة أن يستطيح جاهل الطنّ أنَّ الداء ناشي عن تدخّله، إذا أقدم على فحصنا ساعة كنا مرضى.

لقد أفسح مرض جنتي لمدّة أشخاص مجال إبداء إفراط في المودّة أو تقصير فيها فاجآنا بقدو ما الجانا المود المودة المثنا ما اردينا المودها. وكان مؤلاء أو أولفك يكشفون لنا بها حلقات مناسبات أو حتى صنوف مودّة لمثنا ما اردينا بوجودها. وكانت علامات الاهتمام التي يديها الأشخاص الذين كانوا يقبلون بدون انقطاع للتزوّد بالأعبار التكميل المتحدف لنا عن خطورة الداء الذي لم تكان حتى ذلك قد عزلناه تصامآ واضلناه عن ألف من الانطباعات المؤلة التي نحس بها بالقرب من جلتي. فلم تفادر أخواتها «كومبريه»، وقد أخطون برقيا، إذ سبق أن اكتشفن فلتأ كان يقام لم بها المراجب من موسيقى الحجرة الممتازة التي ينخل أنهن واجدات في صماعها. أكثر تما يتوافر أما سرير المريضة، خلوة فقسية وتسامياً مؤلماً بلا شكلهما غربياً على الدوام. وكتبت السيدة وسارزاة إلى والذيء والكن على نحو ما يفعل شخص فصلتنا عنه إلى الأبد خطوبة فُسختُ فيباة (والفسخ كان الاتباء الديموسية). وفي مقابل ذلك جاء وبيرغوت، فقضى كلّ يوم عدة ساعات معي.

⁽¹⁾ Bole إله الرياح ومحرك العواصف لذى قدماء الرومان.

لقد أحبّ وما أن يأبي ليقيم بعض الوقت في بيت واحد لايقع عليه فيه مختمل المشقات. بيد أن ذلك كان فيما مضى كيما يتحدث فيه دون أن يقاطعه أحد، أمّا الآن فلمحمت طويلاً دون أن يطالب إليه الكلام. كان فيما مضى كيما جداً: فلمضى يقولون من زلال في اليول، شأن جنتي، وكان به ورم حسما برى احرود. وكان آخران أن كان يتمثّر مع أنه وكان أن الشمف، فقد كان يهمد درجا بمسرية، ويسموية أكبر يهيطه. وكيراً ما كان يتمثّر مع أنه يستند إلى المرازين وأطنّه كان ظل في بيته لو لم يخش أن يفقد كاياً عادة بل امكان الخروج، هو، الرجل دو اللحمة القصيرة الذي سبق أن عرفته رشيقاً منذ وقت ليس بطيل. ولم يعد بيصر البنة وكثيراً ما كان يتلشم في كلامه.

ولكنّما أشخل مجمل مؤلفاته في الوقت نفسه، وعلى المكس تماماً، وكانت معروفة لدى المثقفين فحسب في الفترة التي كانت السيّدة وسوانه ترجى فيها جهودها العجولة في الانتشار، وأمّا الآن فقد عظمت في عيون الجمهور اقتيان المبهور المريض، وأنّه بتُفن دونما في عيون الجمهور المريض، وأنّه بتُفن دونما شاح ألا يضحي الكاتب مشهوراً إلا بعد وفله. إلا أنّه كان يشها، ولإيال بعد حيّاً وفي أثناء تقلمه البطيء نحو المريض، المريض مشهور على الأقل دونما مشقة، فإن الموالد المبين من المريض مشهور على الأقل دونما مشقة، فإن المتوافق ما المعرف من مسمّم النرم الأبدي الإنصجه الجد ولكنَّ التقيض لم يكن قد اكتمل كنا النسبة إلى البيرضوته، فهو بعد يعيا يما يكفي ليتعلب من جراه الضجيج. وهو الإيال يتحرّك، وإن فعل بمعنظة، فيات لسوق، مؤلفاته كلَّ يوم، طافرات كفتيات خَبَهنَّ ولكنَّ شبابهنَّ الجارف وضبيجيع مللًاتهن

أمّا الزيارات التي كان يقوم لنا بها الآن فتجيء في نظري متأخرة بضع سنوات إذ لم أعد معجباً به بالمقدار نفسه، الأمر الذي لا يناقض تعاظم شهرته ذاك. فنادراً ما يتم فهم عمل أدبي وانتصاره دون أن يكون عمل كانب آخر، ولايزال مفموراً، قد شرع، لدى بعض أشخاص أكثر تشدّداً، في إحلال ولع جديد محلًّ خالك الذي يافغ تقويناً حدود التسبد. ففي كتب فيرغون، التي كتت أعيد قراءتها كثيراً كانت جمله واضحة أمّا معيني وضوح الأكثري على الأقل أما عيني وضوح الأداراً، كل شيء كان برع يسر فيها على الأقل كانت الملاقات بين الأخياء مختلفة فيها في نظري عن تلك التي تربط بينها في حد أتي ما كتت أفهم شيئا تقرياً عما يكتبه. كان يقول مثلاً: وكانت أنابيب السقاية تنظر باعجاب إلى حسن صياة الطرق، (وهلما فقد كنت انواق على امتداد هذه الطرق، الطرق الطرق الطرق الما يقد كنت أن قهم من هيئات المراق الدي المناف كل تحمد دقائق من وبريانه معلى فقد كنت انولق على امتداد هذه الطرق، الطرق الطرق الما القرة والرسائة لما اسم شخص. يد أنني كنت أحسر تقاتل من وبريانه أحس تقمني أنا القرة والرسائة المنان المن بحص عد الجهاية. أحس أن ليست الجحلة هي الردينة الصياغة ولكنما تقمني أنا القرة والرسائة المنان ألم بالم بنجي فيما بعد في الكبية في فكن مرة أعود، بعدما أصل إلى نصف الجملة تقرياً، فأسقط كما هي حالي فيما بعد في الكبية في

⁽۱) Eriand : رجل سياسة وعطيب ملوه (۱۸۲۷ - ۱۹۳۲). Claudel كاب فرنسي شغل مناصب هيلوماسية، تتصف كتبه بالشاهرية والعمق وروح الإيمان. ۱۸۲۵. (۱۹۵۰ - ۱۹۰۵).

التمريين المسمّى والرجّاحة، ولايحول ذلك دون أن أكنَّ للكاتب الجديد إعجاب طفل أهوج يعطى درجة الهمقر في الرياضة أمام طفل آخر أكثر براعة. ومذ ذاك تناقص اعجابي بـ«ييرغوت» الذي بنا لي صفاؤه قصوراً. وقد حلت فترة كان الناس فيها يتمرّفون الأشياء تماماً حين كان وفرومتان، هو الذي يرسمها ولا يتمرّفونها من بعد إن كان ورنواره.

إنَّ أهل الملوق يقولون لنا اليوم إن درنواره رسّام كبير من القرن الثامن عشر. ولكتّهم إذ يقولون ذلك ينسون الزمن وأنّه البنى الكثير ما حتى في صحيح القرن التاسع عشر كيما ينادى بدونواره فأناتاً كبيراً. وينحو الرسّام الأصيل والفقال الأصيل ليفلحا في أن يعترف هكذا بهما نحر أهلياء العيون. وليست المالجة برسمهها ووعرهما محتمة دوما تقوية أمن قائل الطبيب للمارس: انظورا الآن. فإنا المالم (اللدي لم يحلن مرّف واحدة بل يقدر ما أتقتى تمّه قائل أصيل) يهرز مخلفاً كلياً عن القديم ولكنّه واضح عشام. وتعرّ نسوة في أمل الشارع محتلفات عن نسوة الأسمى بما أتهن من لوحات وزواره، ولما هو اللحوحات التي كنا نوفض بالأمم أن نبصر فيها نسوة. والعميات كذلك من لوحات وزواره، ولماء والسماء: ويهوزًا الشوق إلى التؤه في القابة نبصر المحتادة التي كنا تبديل المثال عليلة المثال المثال المثال المثال عليلة الألوان ولكتما تنقصها بالشبط الألوان المخاصرة بالمغابات. ذلك هو العالم الجديد الزائل الذي تم أيداعه منذ

كان الذي حلّ في نظري محل ويرفوته يمث في السأم لامن جراًه اللا ترابط، بل من جراًه البحدة وهي متماسكة تماماً في علاقات لم أتمود متابعتها. وكانت النقطة التي لا تتغير والتي أحسني أهود إلى السقوط فيها تشير إلى هوبة كلّ حركة صعبة ينبغي القيام بها. وحينا كنت أستطيع، على أبة حال، مرة من النس مرة أن الدون بالكاتب إلى أخر جملته فالذي كنت أرى كان أبلاً من غرابة وصحة وسحر شبهة بتلك التي سبق أن وجلتها بالأمس في قراءة وبيرغوته من جاءني به، تجديد شبيه بالذي انتظره من خلقه. ويملغ بي أن أسمني أن كان قيم من الديرغوته من جاءني به، تجديد شبيه بالذي انتظره من خلقه. ويملغ بي أن ألسام إن كان قمة شيء من الديرغوت من جاءني به، شهيد الله يا الفن الذي لم يتقدم أكثر مما مثل الفن ألف الذي لم يتقدم أكثر مما كان على المكس العلم في ذلك ؟ من المن موروس والعلم الذي يقد تقدم على الذي سبقه ؟ ومن ذا يقول لي إنه لن يطلم، بعد عشرين عاماً، وحينا أحسن مرافقة جديد اليوم دون تدب، لن يطلم أخر ينطلق السحالي هارباً أمامه للحاق

وحندتُ هذا الأخير عن الكاتب الجديد، فبحث في نفسي الفرف منه بروايته لي أنه رآه يشبه وبلوكه إلى حدّ يختلط فيه الأمر عليك أكثر منه يتأكيده لي أنَّ فته خشن وسهل وفارغ. وارتسمت هذه الصورة مذ ذلك على الصفحات المكتوبة ولم أعد أعتقد أني ملزم من بعد بعناء فهمه. ولتن حنكني وبرخوت، عنه فأنما كان ذلك أقلَّ، فيما أعتقد، بداعي الفيرة من خجاحه منه من جرًاء الجهل بالاو. فقد كاد لايقراً شيئاً، وكان معظم فكره قد مرَّمن دماغه إلى كتبه. وكان به هزال كأنما تم اقتطاعها منه. ولم تعد غريزته المؤلمة عمّة على الشاط الأن وقد دفع إلى الخاملة التي تعيشها ناقه الشاط الآن وقد دفع إلى الخاملة التي تعيشها ناقه أو امرأة ولود. وكانت عيناه الجميلتان تلبثان جاملتين ومبهورتين إلى حدّ ما كعيني رجل مستلق على شاطيء البحر ينظر في تأمّل حالم إلى كن موجة صغيرة فحسب. ولتن كنت أقل اهماماً بالتحدّث إليه 18 لعلني كنت بالأس فما كنت على أو حدّ أن أكثرها بساطة وأوفرها توانا على حدّ أن أكثرها بساطة المجاورية له إلى حين أد لتأميرها بساطة المجاورية له إلى حين. لست أدري ما الذي حمله على المجهوء أولكن الأمر بعد ذلك تمّ كلَّ يوم السبب أنه جاء المبارحة. كان يصل إلى المبيت، كما لعله يفحب الولى المحدّث أولكن الأمر بعد ذلك تمّ كلِّ يوم السبب أنه جاء المبارحة. كان يصل إلى المبيت، كما لعله كن المحدّث في مجمل الأمر أن تجد إشارة إلى أنه متأثر لفعنا أو هو يستمتع في التحدّث معي لو شاء المرع كان من مثل للك المرافلية، على أنها لم تكن غير ذلت بال في نظر والدتي، وهي حسّامة بكلّ ما يمكن أن يمتخلص شيئاً من مثل للك المرافلية، على أنها لم تكن غير ذلت بال في نظر والدتي، وهي حسّامة بكلّ ما لمحكن أن يؤخذ مأخذ التكريم لميضتها. فكانت تقول لي كلّ يوم؛ ولا تس بوجه الخصوص أن تشكره أحسن المدكن و

ونعمنا بزبارة السيّدة «كوتار» كزيادة بالجمّان على الزبارات التي كان يجود بها علينا زرجها— والأمر لفتة من امرأة، كالمصرونية التي تقدّمها لنا بين جلستي رسم رفيقة أحد الرسامين-. لقد جاءت تعرض علينا وصيفتها ، ويقيم"، إن فضداً خاصات رجول، في المبادرة إلى المبحث، ثمّ تقول، إن واجهناها بالرفض، إنّها تلم على الأقل ألا يكون الأمر من جانبا هويمة، والكلمة تعنى في عالمها حجة زائفة كي لايقل المره بالمحود. وأكدت لنا أنّ الأستاذ الذي ما كان يتحدّث البقة في بيته عن مرضاه كان حزيناً حزنه لو كان الأمر أمرها هي. وسنرى فيما بعد أنّ ذلك، حتى لو كان صحيحاً، لجاء قليلاً جناً أو كثيراً في الآن نفسه من جانباً أفراد إلى المراجع إضلاحها وأكثوهم امتناناً.

وجاءتني عروض في مثل جلواها، ولكنّها أكثر تأثيراً في النفس بمالاً يقاس في طريقتها (التي كانت مزيجاً من أرفع الذكاء وأوسع القلب ونادرة التوفيق في عارتها) على لمسان الدوق الأكبر وريث دلوكسمبوره . وكنت قد عرفته في عاليلياته حيث جاء لوبارة إحدى عمّاته، أميرة دلوكسمبوره ، حين لم يكن بعد سوى الكونت دور ناداراً . لقد ترقيع بعد يضمة شهور الإبنة الرائعة لأميرة أخرى من أميرات دلوكسمبوره فاحشة الشراء لأنتها كانت وحيدة أمير يملك مجازة ضخمة من الطحين. وعليه فإن دوق دلوكسمبوره الأكبر الذي لم يكن له بنون وكان يميد ابن أشيه دناساوه قد حمل الجلس على أن يوافق على إعلانه الدوق الأكبر وريثاً. وكما هي الحال في جميع الربحات التي من هذا القبيل فإن منشأ الثروة هو المقبة وهو إلى ذلك أيضاً السبب الفكال . كنت أنذكر الكونت دو ناساوه هذا على أنه من ألم الشيان الذين صادفتهم، قد تأكله مذ ذلك حبّ رهيب ودار لخطيته. لقد تأكله منا المائل التي لم ينفك يسطرها لمي في أثناء مرض جنكي وأخذال من والمنتو والمدتي بمورها، وقد امترّت مناعرها، تعيد بأسى كلمة أنها: ما كانت «سيفينيمه لتقول أفضل من

وفي اليوم السادس اضطرت أشي، امتثالاً لتوسّلات جنّتي، أن تتركها حيناً وتتظاهر بالذهاب طلباً للراحة. ووددت أن تمكث فاوالسواؤه دون حركة كمي تتام جنّتي، ولكنّها خرجت من الفرقة على الرغم من ترسّلامي ؛ لقد كانت عجبّ جنّتي، وقد حكمت بنفاذ بصيرتها وتشاؤمها أنّها هالكة. لقد ودّت إذن لو تمنحها جميع صنوف العناية. بيد أنَّه جاء من قال إنَّ هناك عامل كهرباء قديماً جدًّا في مؤسَّسته وصهر ربّ عمله ويحظى بكامل التقدير في بنايتنا حيث كان يجيء للعمل منذ سنوات طويلة، ولاسيما من جانب وچوبيان، كانوا قد أوصوا على ذاك العامل قبل أن تمرض جنّتي. وبدا لي أنّه كان بالإمكان ترحيله أو مطالبته بالانتظار. ولكنَّ قواعد المجاملات لدى وفرانسوازه ما كانت تسمح بذلك فلعلُّها كانت تخالف اللباقة، أمًا حالة جلَّتي فلم تعد في الحسبان. وحينما ذهبت، بعد مرور ربع ساعة، أبحث عنها في المطبخ وقد أخلني أشدٌ الحنق، لقيتها تتحدّث إليه على «تربيعة» درج الخلم الذي كان بابه مفتوحًا، والفضل في الطريقة أنّ تسمح، إن وصل أحدنا، بالتظاهر بافتراق وشيك، ولكن المزعج فيها النسبُّ في تيَّارات هوائيَّة مريعة. وقارقت ه فرانسوازه العامل إذن دون أن يكون فاتها أن تبعث بأعلى صوتها ببعض التحيّات التي نسيتها إلى زوجته وصهره. والاهتمام يميّز ٥ كومبريه، في الابتعاد عن مخالفة اللباقة، وكانت «فرانسوازه محمّله حتّى في السياسة الخارجيَّة. يتخيّل البلهاء أن الأحجام الضخمة للظاهرات الاجتماعية مناسبة ممتازة للنفاذ إلى مدى أبعد في النفس الإنسانية ؛ وينبغي لهم على العكس أن يعلموا أنّه ربّما حالفهم الحظّ في إدراك تلك الظاهرات في الانحدار إلى اعماق الفرد. كانت «فرانسواز» قد ردّدت ألف مرَّة لبستانَي «كومبريه» أن الحرب أشدّ الحبرائم جنوناً وأنَّه لايساويها شيء فيما عدا الحياة. ولكن حينما اندلعت الحرب الروسيَّة اليابانية ضاقت نفسها ألأ نكون، إزاء القيصر، قد دخلنا الحرب لمدّ يد العون اللروس المساكين، «بما أننا متحلقُون»، فيما تقول. لم تكن ترى ذلك من اللباقة حيال ونقولا الثاني، الذي خصًّنا على الدوام وبكلمات في غاية الطيبة بالنسبة إلينا، ؛ وإنَّها لتتيجة القواعد نفسها التي كانت حالت دون أن ترفض لـ چوبيان، كأسا صغيراً تعلم أنَّه سوف ويعاكس هضمها، والتي كانت مخملها، وهي قاب قوسين أو أدنى من وفاة جدَّتي. على الاعتقاد بأن الخسَّة نفسها التي مجَرَّم بها فرنسه إذ مكثت على الحياد حيال اليابان سوف تقع فيها إن لم تبادر وتعتذر بنفسها إلى عامل الكهرباء الطيب هذا الذي محمل الكثير من الإزعاج.

وما أسرع ما تعقصنا لحصن الحظ من ابنة وفرانسوازة التي وقع عليها أن تعتب عدّة أسابيع. فقد أضافت إلى النصائح العاديق المحتوية المن المباهض: ولم يخبروا الرحلة الصعنيرة، أضافت إلى السواء، واستمادة المعنيرة، الفياد الفكرة القريدة تقيياً التي كوتبياه على نصو خاص في ذهنها وكانت إلى خلال المكانسة المن المباهضة والمنافزة والمباهضة والمنافزة والمباهضة والمنافزة وا

شهور، كانت تدغدغ كبرياءهما على نحو خاصّ. وقد بلغ بالوالد، وهو مزهو في آلامه بضرب من الفَخَار، أن يروي عن ابنته وكأنّما عن نجمة أوبرا بنّد في سيلها أمواله. ولم تكن فنرانسواز، عديمة الإحساس بمثل هذه للمبالغة في الإخراج. فأمّا الذي يحيط بمرض جنّتي فيبدو لها هزيلاً بعض الشيء وصالحاً لمرض على مسرح صخير في الريف.

وحلّت فترة اتتقل فيها التسمم البولي إلى عيني جبئتي. ولم تعد بيسر على الإطلاق على مدى بضمة لمن ولم تكن عيناها البنّة عيني عمياء وطلّتا الاتبدّلان. وأدركت فقط أنها الاتبصر من غرابة ابتسامة ترحيب تعلى من الله المنافقة المنافقة والمنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة والمنافقة والمنافقة المنافقة المنافقة المنافقة والمنافقة والمنافقة

وأخنت جنّني، وقد أحسّت أثنا لانفهمها من بعد، ترفض أن تنطق بكلمة واحدة ونظل لاحراك بها.
وحينما كانت تلمحي كانت تتنفض انتفاضة من يعوزهم الهواء فمبأة وبورة أن تكلمني ولكنّها لا تتلفظ إلا
بأصوات لائفهم. حبتلذ كانت تدع وأسها يهوي، وقد قهرها عجوها نفسه، وتتمدّد بطولها على السرير وفي
الرجه وقار وجمود الرخام واليدان لاحراك بهما فوق الشرشف أو نهتم يحركة ماذية بحة كتنشيف أصابهها
بمندلها. كانت لانود أن تفكّر. ثم أخلت تتابها حركة مستمرة. فكانت ترغب دونما انقطاع في النهوض،
ولكنّا نمنها قدر المستطاع من تتحقيق ذلك مخافة أن تتبيّن شللها. وفي يوم تركت فيه حينا وحدها، وجدتها

لقد سبق أن قالت لمي في «بالبيك» ذلت يوم تمّ فيه غصباً إنقاد أرملة ألفت بنفسها في الماء (وربّما دفعها إلى الغول واحد من صنوف الحنس التي نقرؤها أحياناً في خفايا حياتنا العضويّة، مع أنّها شديدة الإيهام، ولكنّما يبدو أن المستقبل يمكس فيها) إنها لا تعرف وحشيّة ممثلة لانتزاع يائسة من الموت الذي أوادته ورمّه إلى شديد عليها.

ولم يسّح لنا من الوقت أكثر من الأمساك بجنّدي وقامت بعراق قارب الشراسة مع والدنبي، وبعدما غُلب على أمرها وأجلست عنوة في مقمد توقفت عن المراد والأسف وعاد وجهها فأضحى جامدًا وشرعت تنزع باهتمام أوبار الفرو التي خلفتها على ثوب نومها معطف سيق أن ألقى عليها. وبدلك نظرتها تماماً. وغلب عليها القلق والشكوى والضياع، لم تعد نظرتها بالأمس، لقد أضحت النظرة المتجهّمة لامرأة عجوز تهذى.

وبلغ الأمر بده فرانسوازه ، لكثرة ما تسألها إن كانت لاترغب في تسريح شعرها ، أن اقتنعت بأن الطلب
صادر عن جدي. فجاءت بفرائي وأمشاط وماء وكولونياه وسفل. كانت نقول: ولايمكن أن يتسب السيدة
وأميديه أن أسرّحها، فالمرأة بمكن دوما أن تسرّح مهما وهنته . والأمر يعني أن ليس المرء قط أضعف من أن
يستطيع شخص أخور فيما ينحقه ، أن يسرح . ولكني حين دخلت الغزفة أبصرت بين يندي وفرانسوازه
القامينين ، وهي مفتوتة وكانها أخطه في ردّ العافة لجدتي ، أبصرت عن كاية شعر هرم لايقوى على احتمال
ملاسة المشعاد ، رأساً يسجر عن الحفاظ على الوضعة التي يعطلها فهوي في دوامة لا تتوقف يتعاقب فيها
انتحاط القوى والألم. وشعرت بأنَّ اللحظة التي ترمع ففرانسوازه الانتهاء فيها تقترب ولم اجراً في استمحالها
يقولي: وكفيه مخافة أن تعصى أمري. ولكنّي في مقابل ذلك انقضفت حينما قيت فرانسوازه القلمية
في براعتها مرأة كي ترى جدتني إن كانت حسنة الشهدة. ويأيشي بادئ الأمر صعيداً أن استطعت التواعها في
المؤت المناسب من بين بديها قبلما يتم ليجنّي التي أبعدت عنها بعناية آية مرأة أن تلمح عن غير ماقصد صورة
لها لانسخطيع أن تتمنظها، ولكنّى حينما الكبت بعد لحظة عليها، والسفي، لأقبل ذلك الجين الجميل الذي
بولم في إدهائه نظرت إلى بهيئة مستعجة محافزة مستكرة: إنها لم تتعرضي.

كان ذلك، فيما رأى طبينا، عرض يزيد منه احتقان الدماغ، وكان لابد من إزائه. ويتردد وكوتره. والمستقط ألمات أفرائسوارة لحظة أنه سيتم وضع محاجم ومنقاة، ويحثت عن آثارها في قاموسي ولكنها لم استطح المستقطة الم يتنظم المنقاة الم يتنظم المنقائة الم المنطقة لأنها لم تكن تبحث عنها في العثور على تلك الصغة لأنها لم تكن تبحث عنها في حرف والمدم أكثر منها في حرف والدون، وبالفعل كانت تقول امنقائه المعتملة الركتها تكنيها (ونظني بالتألي أنها تكتب) فامنقائه. ومال وكوتاره دون كبير أمال إلى العلق، الأمر الذي يعيب أملها. وحيده دختل بعد يضع ساحات فرفة جلكي، كانت الحيات الصغيرة تعلوى وكانما في شعر والملدوسة في شعرها المداحب المستكين أهميت في وجهها الشاحب المستكين أهميت في وجهها الشاحب المستكين أخي شعرها المداحب المستكين مستديرين معترضين هادلتين (وريما حماتا ذكاء أكثر تما كانت مستودع عينها وحدهما فخرها، إذ هي الاستطيع الكلام وبنبغي ألا يتعرف الما المريضة التنها يفضل بعدم قطرات مم بتم سجها)، عنها العلميين الملتونين كما هو الزيت واللتين كات النزالة الماتي بفضل بعدم فقطرات مم بتم سجها)، عينها العلميين الماتضين كما هو الزيت واللتين كات النزالة الماتي بفضل بعدم فقطرات مم بتم سجها)، الكون المستعاد. ولم يعد هدوؤها الحكمة التي يعشها اليأمي بل الأمل. أضامة أنها تضرن بالتحسن وضغطت بالملف تكن بالتحسن وضغطت بالملف على يدي.

كنت أعلم أيَّ قرف يلماخل جنكي أن ترى يعض الهوامّ، فما بالك إن هي لامستها. وكنت أعلم ألَّها

⁽١) علقت بها شفرات

تتحمّل العلق آخذة في حسابها منفعة عليا. ولذلك كانت فرانسوازه تثير أنندٌ حنقي إذ تردّد لها بتلك الضحكات العميرة التي يتواك الشهيرة التي يتواك على سيّدتيه. الضحكات العميرة التي يجري على سيّدتيه. والأمر يضي إلى نلك معاملة مريضتنا دون احترام كما لو عادت إلى الطفولة. ولكنّ جنّتي التي أتّخذ محيًاها الشجاعة الهادئة التي لأحد الرواقيين لم تبد حتى أنّها تسمع.

وما تُزعَتْ العلقات حَتى عاد الاحتقان، وأأسلي، متزايد العظورة. وأدهمتني أن تتزارى وفرانسوازة في كلَّ لحظة أَن كانت جنّني في أسوأ حال. ذلك أنها كانت قد أوصت على أثواب حملد ولا تودَ أن عجمل الحيَّاملة على الانتظار فكل شيء يفضي في حياة معظم النساء إلى مسألة قياس، حَتى ما كان من أعظم الأحزان.

وبعد بضمة أيّام، وفيما كنت نائماً، أقبلت أمّى تناديني في وسط الليل. وقالت لي برقيق العناية التي يبديها في المناسبات الكبيرة، أولتك الذين يرزحون غنت نير حزن عميق، حّى لمناعب الآخرين الطفيفة..

اعذرني أن آتى فاعكر نومك،

فأجبت وأتا استيقظ: ١٩ماكنت نائماً.

وكنت أقول ما أقول عن حسن تية. فإن التبكل الكبير الذي يخمله إلينا اليقطة يكمن في إفقادنا ذكرى الضياء الملطف إلى حدّ ما الذي كان عقلنا يرقد فيه، وكأنما في أعماق لملياء المتلألفة، أكثر منه في إدخالنا إلى حياة الوعي لكان الخدو فوقها منذ للحظة كانت تعبّب فينا حركة كلف تعبير المناف كانف من المناف المناف المناف المناف المناف المناف المناف كانف الاستيقاظ بلقى حينالك تعاملاً لللاكرة. كانف تعلق المناف المنا

وسألتني أمّي، بصوت وقيق إلى حدّ بدت معه وكأنها تخشى إيلامي، إن لم يكن سيتعبني كثيراً أنّ ألهض، وقالت وهي تلامس يديّ بلطف:

- وياصغيري المسكين، لن تستطيع الاعتماد بعد الآن إلا على أبيك وعلى أمَّك،

ودخلنا الفرقة. كان لمة كائن آخر غير جلّي النوى فوق السرير على هيئة نصف دائرية، وما يشبه حواناً وضع شعرها ونام في شرائفها وهو يلهث ويئن وبهنز الأغطية بتشنّجاته. كان الجغنان مطبقين وكانا يسمحان، لسوء الإطباق أكثر منهما لأنهما يتفتحان، براية زاوية من الحدقة غائمة لزجة تعكس ظلام رأية عضوية وطلب داخليّ، ولم يكن كلّ هذا الاضطراب موجها إلينا نحن الذين لاتبصرنا ولا تعرفنا. ولكن إن لم يعد ما يتحرك هناك إلا محض حيوان فأين كانت جلّي ؟ كنّا تتعرف مع ذلك شكل أنفها، ولاتناسب الآن بيد وبين بقيّة وجهها، ولكتما ظلت شامة عائقة في زاويته، وبدها التي كانت تبعد الأعطية بحركة لعلّها عنت

فيما مضى أن هذه الأغطية تضايقها وهي لاتعني الآن شيئاً.

وسألتني أمّي أن أذهب وقبي بقليل من الماء والخرّل لتبليل جبين جنّدي. لقد كان الشيء الوحيد الذي
يرطَبها فيما نظنَ أمي التي كانت تراما مخاول إيساد شعرها. إلاّ أنّه أشير إليّ من الباب بالمجبيء، فالخبر الذي
مفاده أن جدّتي في الرمق الأخير كان قد انتشر في الحال داخل للنزل. لقد قام أحد والخدم فوق المادةع
الذين يؤتي بهم في الفترات الاستثنائية للتخفيف من نعب الخلام، الأمر الذي من شأته أن يكسب فترات
الاحتضار شيئاً من الأعياد، قام بفتح الباب لدوق وغيرمانت، الذي ظلّ في غرفة الانتظار فأرسل يطلبني ؛ ولم
أمتطع الإفلات منه.

- «لقد عرفت منذ قليل، ياسيّدي العزيز، هذه الأخبار المرعة، وأودّ أنْ أُشدّ على يد السيّد والدك ومزأ
 للتوادة.

واعدارت الصدوبة إزعاجه في هذه اللحظة. لقد حلِّ السيّد دو غيرمانت، مثلما هي الحال أن تزمع الذهاب في سفر. ولكنّه كان يحسَّ بأهميّة المجاملة التي يقدمها لنا إلى حدّ أن الأمر كان يحجب عد ماعداه وأنّه كان بريد الدخول إلى الصالة على الرغم من كل شيء. وكان من عادته برجه العموم أن يعسَّر على التأدية الكاملة لصنوف التأدّب التي قرر أن يكرم بها أحدهم، وقلما يهتم أن تكون الحقائب محزومة أو النابوت جاهزاً.

— وهل استقدمتم وديولافواه آ آد! ذلك خطأ فادح. ولو كنتم طلبتموه منّى لتجاء من أجلي فهو لايرفض لمي شبك المجاد الملكة. لايرفض ليوقة وشارتره . ترى، إنّى أضع نفسي دون موارية فوق أميرة من الأسرة المللكة. ويضيف قوله: وجميما متساوون أمام للوت على أيّة حال، لا لايتمنتي بأنَّ جنّي أضعت مساوية له بل لأنه ريما شعر بأن حديثاً مطوّلاً فيما ينضى سلطانه على وديولافواه وتقدّمه على دوقة وشارتره لن يتّسم بعمن اللوق.

ولم لكن نصحيته تدهشني على أيّ حال. فقد كنت أعلم أنّهم كانوا لدى آل ه غيرمانت لا يذكرون على الدوام اسم قديولانوالا (مع شيء من مزيد الاحترام فحسب، على أنّه اسم ه مُورَّده لا منافس له. وقد أوصت الدوقة العجوز هو مورتمارة، المولودة لآل هغيرمانت، (يستحيل أن ندرك لماذا يقول الناس دوماً على وجه التقريب، ما أن تعلَّق الأمر بدوقة: «الدوقة العجوزة أو على المكس. إن كانت شايّة فيلهجة لطيفة عليها مسحة من اواتوا، «الدوقة الصغيرة» أوصت على نحو أكبي تقريباً وهي تفدر بعينها، في الحالات الخطيرة «ديولافوا، ديولافوا»، كقولك «بواريه بلاتش» إن كنت بجاجة إلى مثلجة، أو «ووباتيه، روباتيه، للمعجّات المُحمّة، ولكنّي كنت أجهل أن والذي قام بالضبط منذ قليل بطلب «ديولافوا».

وفي تلك اللحظة دخلت والمدتي التي كانت تنظر بفارغ الصبر قاروات أوكسجين من شأنها أن تزيد من يُسر تنفس جلّتي، دخلت بنفسها إلى الردهة حيث ما كانت تعلم أنها واجبدة السيّد ادو غيرمانت، ووددت لو اخبته في أي مكان. ولكنّه أخذ ذراعي بعنف، وهو قائع أن ليس ما كان أكثر أهميّة وما يسكن على أيّة حال أن يرضي كبرياءها أكثر منه وكان أكثر ضرورة في الحفاظ على سممة النبيل الذي لا عيب فيه، وعلى الرغم من ممانعتي وكأنّما حيال اغتصاب وأنا أردد: وياسيّد، ياسيّد، ياسيّد، ققد قادني إلى

والدتي وهو يقول لي: ١هلاً أوليتي عظيم الشرف في أن تقدَّمني إلى والدتك؟؛ متهدَّج الصوت بعض الشيء على كلمة والدة. وكان يرى أن الشرف من نصيبها هي إلى حدّ لايستطيع معه أن يملك نفسه عن الابتسام فيما يصنع لنفسه وجها مناسباً ولم أملك إلا أن أسميه، الأمر الذي تسبّب في الحال من جهته بانحناءات واختلاجات ساقين وأوشك الشروع في حفلة التحية كاملةً. وقد خطر له حتَّى أن بياشر الحديث، ولكنُّ أمَّى التي كانت غارقة في حزنها قالت لي أن أجيء بسرعة ولم مجّب حتّى عن جمل السيّد ددو غيرمانت، الذيُّ كان يتوقّع أن يرحّب به في زيارة وألفي نفسه على العكس وقد تُرك وحده في غرفة الانتظار ولعلّه كان خرج في النهاية لو لم يشاهد في اللحظة نفسها «سان لوه داخلاً وقد وصل في الصباح نفسه إلى باريس وسارع يستقصى الأخبار. وصاح مغتبطاً، وهو يمسك ابن أخيه بزرّ أوشك أن ينتزعه ودون أن يهتّم بوجود أنّى التي كانت تجتاز الردهة مرَّة ثانية: قآه! ما أحسن المصادفة!٥ ولم يكن ٥سان لو،، فيما أعتقد، على الرغم من حزنه الصادق، أكثر استياءً من أنَّه يتجنَّب لقائي وذلك بسبب ما كان يكنَّه لي. وذهب يجرُّه عمَّه الذي ما كان يستطيع أن يصدّق فرحته، إذ كان لديه أمر هام جدًا يقوله له وأوشك لذلك أن يذهب إلى «دونسيير»، أن استطاع توفير مثل ذلك الإزعاج. وآه! لو قيل لى أنّه لايقع علىَّ إلا اجتياز الباحة وألقاك هنا لظننتها مزحة ضخمة. إنَّها من قبيل المهزلة، كما قد يقول رفيقك السيَّد. «بلوك». ويردَّد وهو بيتعد برفقة «روبير» ويمسك به من كتفه: ١ الأمر سواء، واضح تماماً أن أبواب السماء قد تفتّحت أمامي أوماكان من هذا القبيل ١ حظّى يفلق الصخرة. وليس يعني ذلك أن الدوق ددو غير مانت، كان سيخ التهذيب، بل على العكس. ولكنّه كان من قوم يعجزون أن يُحلوا أتفسهم محلِّ الآخرين، قوم يشبهون في ذلك غالبيَّة الأطبَّاء ودانسي الموتي، وهم بعدما التخلوا وجها مناسباً وقالوا: هإنَّها لحظات صعبة جدًّا، وبعد ما عانقوك، إن قضت الضرورة، وأشاروا عليك بالراحة، لاينظرون إلى الاحتضار أو الدفن إلا بمثابة لقاء لأهل المجتمع أكثر أو أقلُّ روَّاداً بيحثون بالعين فيه، بمرح يكتمونه حيناً، عن الشخص الذي يستطيعون أن يحدّثوه عن أمورهم الصغيرة أو يسألوه أن يقدّمهم لشخص آخر أو ايعرضوا مكاناً؛ في عربتهم لتقلُّهم في العودة، وفيما كان الدوق ادو غير مانت، يغبط نفسه على والربح المؤاتية، التي دفعت به إلى ابن أخيه، ظلُّ مندهشاً من استقبال والمثنى، مع أنَّه طبيعي جداً، إلى حدّ أنّه أعلن فيما بعد أنّها قليلة النهذيب على قدر ما يتحلّى به والدي من تهذيب، وأنَّها تعانى من ٥فترات غياب، تبدو في أتناثها وكأنها لاتسمع الأشياء التي نُقال لها وأنَّها دغير راكزة، فيما يرى وربَّما لم تملك كامل عقلها. على أنه شاء، فيما قيل لي، أن يضع ذلك جزئياً على عاتق «الظروف» ويعلن أنَّ والدني بدت له شديدة التأثر من جرًّاء هذا الحادث. بيد أنّه كان لايزال في ساقيه كلّ بقيّة التحيّات والانحناءات المتراجعة التي حيل بينه وبين أن يبلغ بها غايتها ولايتبيّن من جهة أخرى إلى حدّ بعيد ما كان عليه حزن أنّي إلى حدّ أتّه سأل عشية الدفن إن لم أكن أحاول أن أسليها.

وأبرق أحد أسلاف جدَّتي، وكان رجل دين، وكنت لا أعرف، إلى النمسا حيث رئيس جمعية، وجاء في ذلك اليوم بعد ما حصل على الإذن بانعام استثنائي. كان يقرأ بجانب السري، وقد هذه الحزف، نصوص صلوات وتأملات دون أن يرفع ناظريه الثاقبين ما المريضة. وقد ألتني رئية حزن هذا الكاهن في لحظة كانت فيها جدَّتي فاقدة الوعي، ونظرت إليه. وبدا أنّه فاهل من إشفاقي وجرى إذ ذاك أمر غريب. فقد ضمّ يديه أمام وجهه شأن رجل غارق في تأمّل مؤلم، ولكنّي أبصرت أنّه ترك فاصلاً صغيراً بين أصابحه وقد أدرك أنّي سوف أشيع بعينًي عند ولمحت، لحظة تفاوره نظراتي، عينه الناقية التي استغلّت مخباً بلده ذاك لترقب منه إن كان حزني صادقاً. كان يكمن هناك وكانّما في عتمة كرسيّ اعتراف. ولاحظ أتي أراه فأحكم في الحال إغلاق المشبك المذي سبق أن تركه نصف مفتوح. لقد علت فرأيته فيما بعد ولم يجر قط بيننا البحث في تلك المدقيقة. وتمّ الاتفاق ضمنياً أتني لم ألاحظ أنه كان يرصدني. فئمة على الدوام لدى الكاهن وطبيب الأمراض المقلية على حدّ سواء شيء من قاضي التحقيق. وعلى أيّه حال أين الصديق، مهما غلاء الذي لا يوجد في ماضيه المشرك مع ماضينا من تلك المدقائق التي نرى من الخير لنا أن نقتم أنه لابدً قد نسيها؟

قام الطبيب بروقة مورفين وطالب بقوارير أوكسجين كي يقلل من مشقة التنفس. كانت أمّي والطبيب والأحت يمسكون بها بين أيديهم، فما أن نفرغ واحدة حتى يعطوا غيرها. كنت قد خوجت حيناً من الغرفة. وحينما عدت وجنتني وكأنما أمام أحجوبة. فقد بلت جدّعي، برافقها في خفوت همس لاينقطع، وكأنما ترجّه إلينا نشيداً طويلاً سهيداً كان يملز ألفرفة سريعاً موسيقياً. وأمركت في الحال أنّه لم يكن أكثر وعيا وأنه كان بمثل الآلية التي تميّوت بهنا الحدرجة التي سبتند. وبهما عكس بمقدار ضعيف بعض غمّرت جاءت به للموفين. ولكنه كان ناجماً على وجه الخصوص عن تبكل في سلم التنفس، إذ لم يعد الهواه يمر على النحو مشقة ولانوفر، بال تنساب نشيطة رشيقة منولقة نحو الجسم الغازي المليلاً. وبهما امتزج في هذا النشيد لدى اقتراب الموت إنما كأنفاس الربح في ناي القصب، بعض من تلك الرفوات الأكثر إيسانية التي إذ تعلق لكن بالأنفام، ولانشعر بها كأنفاس الربح في ناي القصب، بعض من تلك الرفوات الأكثر إيسانية التي إذ تعلق لكن يعدد وجاءت تضيف نغمة أكثر رخامة، ولكن دونما تغير في الإيقاع، إلى هذه الجملة المطولة التي كانت بنع بنع من تعلى الرفاع وتطال بها القنر من القوة، يبدو، وقد امتزج بهمسة ترسل في الملذ، وكأنه يتوقف بعض الأحيان تماما علما ينضب النبع.

كانت دفرانسوازه إن حلّ بها غمّ كبير تشعر بالحاجة اللامجدية إلى حدّ بعيد، ولا تملك الفنّ السيط إلى حدّ بعيد، ولا تملك الفنّ السيط الى حدّ بعيد، للتعبير عند. فهي إذ حكمت أن جنتي هالكة لا محالة إنّما كانت ترغب في اطلاعنا على انطاعاتها هي، دفرانسوازه . ولم تكن تعلم غير أن رقد: دما أكثر مايزعجبي الأمر باللهجة نفسها التي تقول بها بعد ما أكثرت من تناول حساء بالملفوف: وكأتي أحمل الثقالا في معدتي، الأمر باللهجة نفسها التي تقول أقرب إلى الطبيعة ثما يبار أنها الحالين ولم يكن غمها، على هزالة ترجمت، أثن أضبام لملك، وقد زاد فيه من جهة أخرى الشيق من أن ابنتها التي احجرت في «كومبريه» (وكانت الباريزية الشأية لنحوها الآن الأمروره وشمّ آنها تضميم فيها دفلاحقه) ل تستطيع على الأرجع المودة للاحتفال الجنائزي الذي تشم دفرانسوازه أنه لابد صيكون شارع الواحة المناس نقلد استفحاء وهيوياناته مسبقاً وغسباً لكن طارئ إلى جميع عشيات الأسبوع. كانت تعلم أنه لن يكون عالي الأشغال ماساعة الدفن، ولكفها كانت نود على الأطفال

أخذ والدي وجدّي وأحد أبناء عمومتنا يسهرون منذ عدّة ليال وما عادوا يغادرون البيت. وقد بلغ

بتغانيهم المستّمر أن يُتَخذ قناع اللاسالاة، والبطالة المتطاولة حول هذا الاحتضار تضع على السنتهم تلك الأقوال نفسها التي لا تتفصل عن إقامة طويلة في عربة سكة حيينيّة. وكان ابن العمومة ذاك (ابن أخ والدة عمّني) يثير لديّ من الكراهية بقدر ما يستحق من التقدير وما يصيب منه بعامة.

كنت تلقاء أبداً في الظروف الخطيرة وكان شديد المواظبة بالقرب من المحتضرين إلى حدّ أنَّ الأسر، لزعمها أنَّه رقيق الصحَّة، على الرغم من مظهره القريّ وصوته الغليظ ولحية جدديّ الأنقاذ التي يحملها، كانت تستحلفه دوماً بالعبارات المهودة ألاّ يجيء إلى الدفن، وكنت أعلم سلفاً أن أنّي التي كانت نفكّر في الأخين في غمرة أكثر الأحوان هولاً سوف تقول له بصيغة أخرى ماتمودً سماعهم ثمّن يقولون له:

– دعدني بأنك ثن نجيء دخدًاه. افعل ذلك دمن أجلهاه. لا تذهب على الأقلّ إلى دهناك لقد سبق أن سألتُك الامتناع عن الهجيء.

وما كان ينفع شيء في ذلك، فقد كان أبداً الأوّل في داليت، فاطلقوا عليه لذلك السب في وسط أخر اللقب الذي كنّا خجهاء: ولازهر ولا أكاليل، وكان دوماً قبلما يذهب إلى وكل مكان، قد فكّر وفي كلّ شيءه، الأمر الذي كان يعود عليه بهامه الكلمات: وهل من ضرورة لشكرك، أنت؟ه

وسأل جدّى بصوت قوي، وكان قد أصابه شيء من الصمم ولم يسمع أمراً قاله ابن عمّي لوالدي قبل قليل: هماذا؟ه.

فأجاب ابن الحمّ: الالنبيء، كنت أقول فقط إنني تسلّمت هذا الصباح رسالة من «كومبريه» حيث الطقس رهيب، وهنا شمس يكاد يكون حرّها مفرطأة.

وقال والدي: دمم أنَّ ميزان الضغط الجوي منخفض جدًّا.

وسأل جدّي قائلاً: ﴿ وأين تقول إن الطقس ردي، ١٥٠.

– دفي كومبريه.

آما لست أستغرب، فغي كل مرة يسوء الطقس هنا يكون صحواً في «كومبريه» والمكس بالمكس.
 باللهن! تتحدّث عن «كومبريه»: فهل فكرتم في إخطار ولوغرائداناه؟

فقال ابن عمّى الذي ابتسمت وجنتاه المسمرّان من جرّاء لحية شديدة الكثافة ابتسامة خطّية لسروره أن يكون فكر في الأمر: «أجل، لاتفلق، فقد تمّ ذلك».

وهرع والدي في تلك اللحظة فظنت أن ثمة تخسناً أو ترقياً فاظ هو الدكتور دبيولافواه الذي وصل لتوة. وذهب والدي لاستقباله في الصالة المجاورة كالممثّل الذي يزمع الجيء للتمثيل. وكانوا قد أرسلوا في طلبه لا للممالجة بل الإنبات الواقعة بمثابة نوع من كاتب العدل. لقد أمكن أن يكون الدكتور دبيولافواه بالقعل طبيباً عظيماً وأستاذاً واثماً ، وكان يقرن هذه الأموار الهتلقة الذي أبدع فيها بآخر مكث فيه أربعين عاماً دون منافس، دور في مثل أصالة المُحَاجّ أو وسكاراموش، (١) أو الوالد النبيل وقوامه المجيء لاثبات واقعة النزاع أو الموت. كان اسمه يؤذن بالوقار الذي ميجري به بالوظيفة، وحينما تقول الخادمة: ٥السيَّد ديولافوا، كنت خسب أنَّك لدى «موليير» كانت تسهم في وقار المظهر دون أن تتكشَّف للعين مرونة قامة ساحرة. ووجه له مفرط الجمال في حدّ ذاته كانت تخفّف منه ملاءمته ظروفاً مؤلمة. كان الأستاذ يدخل بستوته الرسميّة السوداء المهيبة، وهو حزين دون تصنُّع ولايجود بتعزية واحدة يمكن أن تَظنُّ متكلَّفة ولايقع إلى ذلك في أقلُّ خروج على اللياقة. كان هو لادوق وغيرمانت، من كان السيّد العظيم أمام سرير الميت. وبعدما تفحصّ جدَّتي دون أن يتعبها وبفرط من التحفظ كان محاملة للطبيب المالج قال بضع كلمات لوالدي بصوت منخفض وانحى باحترام أمام والدتي التي أحسستُ أنَّ والدي كان يتمالك نفسه كى لايڤول لها: «الأستاذ ديولافوا». ولكنَّ هذا الأحير كان قد أدار رأسه، إذ لابود الإزعاج، وخرج كأحسن ما يكون المخرج وهو يأخذ فحسب الأجر الذي سلموه إيّاه. ولم يبدُّ منه أنّه رآه وقد تساءلنا بدورنا حيناً إن كنّا سلمناه إيّاه لشلّة ما أبرز من مرونة لاعب الخفة في إخفائه دون أن يفقد لذاك شيئاً من وقار، تزايد بالأحرى، وقار طبيب عظيم ذي سترة رسمية طويلة بمقالب من حرير، ورأس جميل مليء بنبيل الإشفاق. كان بطؤه وحيويتُه بيرزان أنَّه لابريد، وإن كان لايزال في انتظاره مئة زيارة، أن يبدو في عجلة من أمره. ذلك أنّه كان اللياقة والذكاء والطيبة مجسّدة. لقد ارخخل هذا الرَّجل البارز. ويمكن أن يكون أطبًاء آخرون وأساتذة آخرون قد ساووه وربَّما فاقوه، ولكن «الوظيفة» التي كان علمه ومواهبه الجسديَّة وتربيته العالية توفَّر له الغلبة فيها لم تعد موجودة لانعدام الخلف الذي أفلح في القيام بها. لم تكن والدتى حتى لمحت السيّد «ديولافوا» فكلّ مالم يكن جدَّتي لم يكن موجوداً. وإنّي أذكر (واستبق الأمور هنا) أن والدي حين قال لها في المقبرة حيث شوهدت مثل ظهور عجائبي تقترب بوجل من القبر وتبدو وكأنُّها تنظر إلى كاثن طار وغدا الآنُّ بعيداً عنها: دلقد جاء العمُّ دنوريوا، إلى البيت والكنيسة والمقبرة وقد فوَّت عليه لجنة هامَّة جدًّا بالنسبة إليه ومن واجبك أن تقولي له كلمة فسوف يؤثَّر فيه ذلك كثيراً، ، لم تستطع أمَّى حينما انحنى السفير باتَّجاهها إلا أن تُميل برفق وجهها الذي لم يبك، وقبل ذلك بيومين – وَلَنْسُتبقَ الأمور مرَّة أخرى قبل أن نعود في الحال بالقرب من السرير الذي كانت المريضة مختضر فيه - وفيما كانوا يسهرون على جدَّتي المتولَّاة كانت افرانسواز، التي ترتمد الأقلِّ ضبَّة إذ هي الاتنفي تماماً العائدين، كانت تقول: ايبدو لي أنها هي، ولكن هذه الكلمات أيقظت بدلاً من الرعب علوبة لاحدٌ لها في صدر والدتي التي ما أكثر ما رغبت أن يعود الأموات كي تكون أمَّها أحياناً بالقرب منها.

وكيما نعود الآن إلى ساعات الاحتضار تلك: سأل جدّي ابن عمّي: «أتدري بما أبرقت به لنا شقـقناها؟».

- اأجل، (بيتهوفن)، قبل لي ذلك وينبغي وضعه داخل إطار، والأمر لايدهشني،

وقال جدّي وهو يمسح دممة: ووزوجني المسكينة التي كانت غُرَنهما أشدّ العسبّ. يجب ألا نحقد عليهما. إنّهما مجنونتان حَى لينيغي تكبيلهما، لقد قلت ذلك دوماً. ماذا هناك، ألم تمد تعطي أوكسجين؟٩.

⁽١) من مشاهير المطلين في المهزأة الإيطالية النمط، ويعنى المهرج بعامة.

وقالت أمّي: وولكن ستعاود أمّي التقس بصعوبة، والحالة هذه. فودّ الطبيب قاللاً: ولا، سيدوم مفعول الأوكسجين فترة مقبولة بعد، وسنعاود الكرّة بعد قليل.« .

كان يحيل إلى آنهم ما كانوا ليقولوا ذلك بصدد ماته وأنه إن انبنى أن يستمر ذلك المفعول الخير فمقاده أنهم يستطيعون شيئا على حياتها. وتوقف صغير الأركسچين بضع لحظات. ولكن آنة التنقس السعيلة كانت تبيق دوماً خفيفة قلقة غير تالمة ولاتني تستعاد. كان يدو بين الحين والحين أن كل شيء قد انتهى فتوقف الأنفاس إن أي بفعل تلك التخيرات في نقطه القارا التي تقوم في تنفس النائم، وإما من جراء تقطع والر المتحير وتوايد للاحتناق وبعض قصور في الفلب، وعاد الطبيب فأخذ نبض جنعي، ولكن غناء جديد أخط مد ذلك يقسل بالجملة المقطوعة، كما لو أن رافظ جاء يحمل ضربيته إلى الجرى الذي جعني. وكانت الجمطة تعود على مستوى آخر وبالزخم ففسه الذي لاينضب. ومن ذا يعلم إن له يكن الكثير من الحالات السعيلة الرقيقة التي احتجرها الأثم ينطلق منها الأن، حتى دون أن يوافي جندي ضعور بذلك، تكتلك الفائوات الأقبال وزناً والتي كتُمت ومناً طويلاً؟ لكان كل ما كاكمت تود أن تقوله لنا أهد ينكشف وأنها كانت تعاطيفا لعن بهذا التعالىل وهذه الحماسة وهذه الاستفاضة. وكانت أمي في أسفل السرير وقد تشتيت بفعل سائر أنفاس هذا النزاع، لابكي ولكنما تبللها الدموع بين الحين والحين بهيها المثم الشديد الخالي من الفكر الذي لأوراق الشجر يضربها المطرو تقلمها الربح. وطلو إلى مسح عيني قبل أن أبادر إلى تقبيل جندي.

وقال والدي: دولكتّى ظننت أنّها لم تعد تبصر.

فأجاب الطبيب: الايمكن البتَّة معرفة ذلك، .

حينما لامستها شفتاي اضطربت ينا جنّي وهرّت كامل جسمها رعشة طويلة إما من قبيل المنعكس وإمّا لأنَّ لبعض صنوف الحنان فرط حساسيتها الذي يَسَرَّتُ عبر حجاب اللارعي ماليست بها حاجة تقريباً إلى الحواس لتودّه، وفجأة نهضت جنّتي نصف جالسة وقامت بجهد عنيف كمن يدافع عن حياته، ولم تستطع «فراتسواري مقاومة ذلك للنظر فاجهشت في البكاء، وأردت أن أخرجها من الفرقة وقد تذكّرت ما قاله الطبيب. وفي تلك اللحظة فتحت جنّعي عينها، فسارعت إلى «فرانسواري لأنخفي دموعها فيما يحدّث والداي للمهضة. إلا أن الأوكسجين كان قد صمت وابتعد الطبيب عن السرير، كانت جنّعي قد فارقت الحياة.

وبعد مرور بضع ساعات استطاعت دفرانسوازه مرة أخيرة أن تسرّح ذلك الشعر البحميل دون أن تعلّبه. وكان منشية فحسب وبدا حتى ذلك أصغر مثلاً منها. أما الآن فقد كان على المكس الوحد الذي يفوض الكليل الخيخوسة على الحبّل المنتجوب والتقلمات والفهدان والتوثير والترزيخاء وقد أضافها إليه العذاب منذ العديد من السنين. وكما كان شأنها في الزمن البحيد الذي اعتبار لها أهلها فيه ورجاً، كانت القنارة والطاعة تخطان ملاصحها حطاً ناعماً والوجنتان تلتممان بعفيف الأمل وحلم بالسعادة ويهجة بريّة هدمتها السنون شيئاً فنيئاً. ولقد حملت الحياة ممها في انسحابها خيبات الحياة. فنيك ابتسامة وكأنها حطلت على شفتي جئتي. وفوق ذلك السرير الجنائزي كان الموت، شأن نحات العمر الوسيط، قد مدها في انسحابها نحيات العمر الوسيط، قد مدها في انسامية فات أنه سأت العمر الوسيط، قد مدها في انسامية فات أنه.

الفصل الثاني

زيارة والبيرتين. تُرقع زراج لري ليستش أصدقاء مساق لوه. – ذكاء ألى دغير مانت، في حضرة أسرة ديارماه :– زيارة حجية للسيد ددو شارلوس». – أرقعي أقل فأقل فيساً لشياعه.– حملته فلموقة الأحمر.

مع أنَّ اليوم كان محض يوم أحد خريقي فقد أخذت أعود إلى الحياة من جديد، والوجود كان بكراً أمامي إذ حراً في الصبيحة، بعد سلسلة من الأيام المنافقة، ضباب بارد لم يتلاش إلا حوالي الظهر: وإن تحوّلاً في الطقر، وإن تحوّلاً الشهريات المن المنافقة على المالم وخطائنا، فقد كنت بالأمس حين تهب الربح في موقدي أصغي إلى الشهريات التي منظمية التي الشهريات التي المنافقة والمنافقة المنافقة عن الطبيعة يقدّم لمنا لبدلًا منافقة بين المنافقة المنافقة المنافقة والمنافقة والمنافقة من حالما استيقظت، عوضاً المكانفة والمنافقة والكان المهارب من نفسه الذي نفسجه في الأيام الصاحبة، رجلاً متعلوباً وأخا في وكن النار والسرير المنافقة المنافقة والمنافقة و

بين اللون الرمادي الرقيق لسهول صباحة ومناق كوب شوكولاته كنت أحصر كامل أصالة السجاة السجمية والمقلبة والأخلاقية التي جفت بها قبل سنة تقريباً إلى دونسيره والتي كانت تكوّن في"، يميزها شمار مستطيل الشكل لرابية جرداء - قائمة دوماً حتى حينما كانت غير مرابة - ، ملسلة من المتع متميزة شما عن كلّ عاملاما ونعجز عن روايتها للأصداقاه، بمحمى أن الانطباعات المنتبة التي تداخلت خير طها والتي كان يمكن أن تصاملها بالنسبة إلى ودون علم مني بما يفوق الوقائع كثيراً التي كان يمكن أن كانت تنظمها، إنما كان غمسني فيه ضباب هذا الصباح، كان من وجهة النظر هده عالماً مالوقاً لدي الأمر الذي كان يعلى والتي غمسني فيه ضباب بهنا الصباح، كان من وجهة النظر هده عالماً مالوقاً لدي المستطحات أن أنظر إلى عدد من لوحات الضباب التي سبق أن اقتنتها ذاكري، ولاسيما لوحات لدصباح في دونسييره، إما أول يوم في الثكنة، وإما مرة أعرى في معمر مجارر اصطحبي، إليه ممان ليوه أقضاء أبرع وعشرين ساعة فعن النافية الفضاء أبع وعشرين المنافذة التي رفعت ستائرها في الفجرة قبل أن أعرد طستلقي تبذى في لطاقة المنباب المتسابة الرجواجة) هوانها للغضية المفاس بين غدير وفاي الثالميان، وتكاد لا تميزهم العين التي تضطر أن تتلاءم حودي ماض في لطبة المغاب التناوية الرجواجة) وإيهام الطلال الغضية المدين الذي تضطر أن تتلاءه

وإنّما كنت ألاحق اليوم تلك الذكريات من سريري، فقد عدت فأويت إليه لانتظار اللحظة التي عزمت فيها في هذا المساء، مستغلاً غياب والديّ اللذين ذهبا بضعة أيّام إلى «كومبريه»، أن أذهب لسماع مسرحيّة صغيرة كانت تُمثّل في منزل السيدة ددوليا ريزس، وما كنت ربّما غيرات على القيام بلنك بعد ما يعودان، نقد كانت أمّي تريد، في وساوس إجلالها لذكرى جندي، أن تكون علامات الأسف التي تُحُص بها حرّة صادقة، وما كانت لتصنع عني تلك النزهة بل كانت استنكرتها. ولكنّها لو استثيرت لما أجابتهي من «كرميريه» بهذه المبارة الحريثة: وإفعل ما تناء فقد كبرت إلى الحدّ الذي تعلم معه ماييني أن تفعل، ولكنّها كانت تمنّت. وهي تلوم فلسها أن تركتني وحدي في بارس وعُكم على غمي بالقياس على غمّها، كانت تمنّت له تسليات لعلّها كانت تخجها عن نفسها وتعتقد أنَّ جنّعي، وهمّها قبل كلّ شيء صحي والزالي الحسّيء. كانت تشير بها عليّ.

لقد تمَّ منذ الصباح إشمال جهاز التدكة الماتيّ الجديد. ولم يكن لضجّه المزعجة التي تطلق بين الحين والحين ضرباً من الفواق آية صلة بذكرياتي في دونسييره. ولكنّ لقاءها المستفيض معها في داخلي عصر هذا اليوم كان سيكسها تقارباً معها شديداً إلى حدّ أنّها سوف تذكرتي بها في كلّ مرّة أسمع فيها التدفحة المركزيّة من جديد (بعدما فقدتُ عادتها بعض الشيء).

لم يكن في البيت غير فغرالسوازه. وكان الضباب قد تلاشى، والشياء الرماديّ ينهمر على هيئة مطر
ناعم فينسج دون انقطاع شباكا شقافة بيدو المتنزهون بيرم الأحد وكاتهم يتفعيّضون فيها. وكنت قد رميت
على قدميّ صحيفة الحوفيفاره التي كتب آمر بشرائها على نحو دقيق منذ أن أرسلت إليها مقالة لم تنشر فيها.
كانت شدة الضياء تشير على الرغم من غية الشمس إلى أثنا مازلنا في متصف العصر وكانت ستاثر والتولية
في النافذة تبدو ضبائية متفتية كما لملها الابدر في طقس صاح وبها ذلك المزيع نضم، من نعومة وسرعة
الكسار، الذي لاجمحة اليماسيب وزجاج البدرقية، كان يؤيد من ضيقي بالوحدة في يوم الأحد ذلك ألتي بعث
محاولات مؤية باعت بالفشل، على قطع صلته بعشيته والذي تم إرساله منذ ذلك الحمين إلى المغرب لينسى
محاولات مؤية باعت بالفشل، على قطع صلته بعشيته والذي تم إرساله منذ ذلك الحمين إلى المغرب لينسى
على لم يعد جهم منذ بعض الوقت، كان قد سطر لي كلمة وصلتي العشية يملمني فيها بمجهده القريب
إلى غرب مبله تحفيل مبله بعشر محمد مرور الكرام في بارس (حيث تخفي أسرته دونما
شلك أن عراه بعيد صلته بدوارطي)، فقد أخطرني، ليظهر لي أنه فكر في أنه التقى في طنجه بالأسه الم
سئل أن قام له في وبالبيان ققد طلب باسمي موعلاً من المرأة الشابة. وقد أجابته بأنها سوف تتارل طعام
سئل أن قامته له في وبالبيان ققد طلب باسمي موعلاً من المرأة الشابة. وقد أجابته بأنها سوف تتارل طعام
سن أن قامته له في وبالبيان ققد طلب باسمي موعلاً من المرأة الشابة. وقد أجابته بأنها سوف تتارل طعام
المناء معي بكل طية خاطر في أحد أدسترمارياه لأنها قد وصلت بالتاكيا.

لم أعجبُ لرسالة «سان لوء مع أتني لم أتلقُ منه أخياراً منذ أن اتهمني في حين مرض جلكي بالفلسر والخيانة. وكنت قد أدركت أثمُّ الإدراك آنداك ما الذي جرى. فقد أقنمت دراحيل، عشيقها، وكانت تخبُّ استثارة غيرته (ولديها كذلك أسباب إضافية لتحقد عليُّ): أنني قمت بمحاولات غادرة كي تتمَّ لي علاقات معها في أثناء غيابه. ومن المرجَع أنه كان يوالي الظنَّ بأذُّ الأمر صحيح، ولكنّه كفَّ عن الثوله بها حتى أثَّ الأمر أضحى، أصحيحاً كان أم غير صحيح، سواء لديه وأن صداقتنا وحدها ظلّت باقية. وحينما ابتغيت محاولة

التحدُّث إليه عن مآخذه عليٌّ، بعدما التقيته ثانية، وافته فقط ابتسامة طيبَّة ورقيقة بدا وكانُّه يعتذر بها ثمٌّ غيّر الحديث. وليس يعنى ذلك أنَّه لم يلتق أحياناً «راحيل» في باريس بعد ذلك بقليل، فان المخلوقات التي كان لها دور كبير في حياتنا إنَّما يندر أن تخرج منها دفعة واحدة وعلى نحو نهائي، إنَّها تعود لتحطُّ فيها بين الحين والحين (إلى حدّ أنَّ بعضهم يعتقدون بعودة للحبّ) قبل أن تفادرها إلى الإبد. وسرعان ما أضحت القطيعة بين وسان لو، ووراحيل، أقلُّ إيلاماً بالنسبة إليه بفضل المتعة المهدَّنة التي كانت مخملها إليه طلبات صديقته التي لاتنقطع للمال. إنَّ الغيرة التي هي امتداد للحبِّ لايمكن أن يختويُّ أشياء أكثر بكثير من أشكال الخيال الأخرى. فإن حملنا معنا حينما نذهب في سفر ثلاث صور أو أربعاً سوف تضيع على آية حال في الطريق (كزنابق االجسر القديم وشقائقه، والكنيسة الفارسية في الضباب، إلخ.) فالحقيبة مذ ذاك ملأى تماماً. وحينما نهجر عشيقة فائنا نودً، إلى أن نساها قليلاً، ألا تضحي ملكاً لثلاثة أو أربعة من المموّلين المحتملين وتراودنا صورهم، يعنى أننًا نغار منهم. أمّا جميع الذين لاتراودنا صورهم فهباء. ولكن طلبات المال المتكّررة لعشيقة مهجورة لاتزوَّدك بفكرة كاملة عن حياتها أكثر تمّا قد تفعل أوراق حرارة مرتفعة عن مرضها. على أنَّ الثانية قد تكون مع ذلك دليلاً على أنَّها مريضة. وتقدَّم الأولى افتراضاً، غامضاً بالحقيقة إلى حدَّما، بأنَّ المهجورة أو الهاجرة لابدُّ لم تجد الشيء الكثير بمنزلة النصيرِ الغَّنيِ. ولذلك يتم الترحيب بكلُّ طلب بالسرور الذي توليه الهدأة في عذاب الغيران، ويتم اتباعه في الحال بُمرْسُلات ماليّة لأنّنا نريد ألا ينقصها شيء فيما عدا العشاق (أي واحداً من العشاق الثلالة الذين تتصوّرهم)، بانتظار أن نتعافي قليلاً وأن يسعنا معرفة اسم الخلف دون ضعف. لقد عادت وراحيل، أحياناً في وقت متأخّر من السهرة لتستأذن عشيقها السابق في النوم إلى جالبه حتى الصباح. كان ذلك هناءة كبيرة في نظر ٥روبيره، فقد كان يتبيّن إلى أيّ مدى عاشا معا عيشة حميمة على الرغم من كل شيء لمحض مايري أنّه، وإن خص نفسه بجزء كبير من السرير، لايضايقها في شيء في نومها. كان يدرك أنَّها أكثر راحة بالقرب من جسم الصديق القديم الذي كان، منها في أيَّ مكان آخر، وأنَّها تلقى نفسها بجانبه- وإن كان ذلك في الفندق- وكأنَّما في غرفة هي قديمة العهد بها وللمرء فيها عاداته وينام فيها نوماً أفضل. كان يحسّ أنَّ منكبيه وساقيه وكلُّ ذاته كانت في نظرها، حتّى حينما يبالغ في الحركة من جرّاء الأرق أو عمل يقوم به، من تلك الأمور المعتادة جلّاً إلى حدّ أنّها لايمكن أن تولّد إزعاجاً وأنّ الإحساس بها يزيد من الشعور بالراحة.

وكيما أعود إلى الوراء، لقد توايد اضطرابي من جراء الرسالة التي سطرها لي وسان لوه من المغرب بقدر ما كتت أقرأ بين السطور مالم يجرؤ أن يكتب عنه كتابة أكثر صراحة. كان يقول لي ويمكنك تماماً دعوتها إلى حجرة خاصة. إنها امرأة شابة فاتنة علبة الطباع وسوف تتفاهمان على أكمل وجه وإتي متيقّن سلفاً أنك مستقضي أسبية طبية جندًا. وبما أنَّ والديّ سيمودان في آخر الأسبوع، يوم السبت أو الأحد، وأنني قد أضطر بعدها إلى السيّدة ودرستير مارياة كي أعرض عليها اليوم الذي تشاه حتى يوم السبت أو الأحد، وأنني قد أضطر الذي تشاه حتى يوم المجمعة. وقد أُجبّ أنّني سأتسلّم رسالة حوالي الساعة الثامنة في هذا المساء نفسه. وكتب بلخته بسرعة مقبولة لو نيسر لي في أثاء العصر الذي يفصلني عنه عون بيجيتي من زيارة. فحينما تلفّ الأحاديث الساعات فإنّك لاتستطيع قيامها من بعد، ولاحتى رؤيتها، إنّها تتلاشي، وإنّما يمود فيبرز فجأة في ساحة انتباط الزمن الرشيق المُختلس بعينًا جناً عن الفعلة التي غاب عدك فيها. أنًا إذا كنا وحدنا فإنّ

الاهتمام إذ يعيد أمامنا اللحظة التي لاتراق بعيدة والتي تنظرها دون انقطاع، يعيدها بتواتر تكتكة الساعة وانتظامها، إنّما يقسّم بل يضاعف الساعات بعدد جميع الدقائق التي لعلّنا ما كنّا نعدّها في مجلس أصدقاء. وكان ذلك العصر الذي أزمع أن أكمله وحدي، إمّا قربل من جرًاء رجعة شوقي المستمرّة باللّذة اللاهمة التي سأتذوّهها مع السيّدة ودوستير مارياه، ولكن بعد بضعة أيّام للأصف، كان يبدو لي شديد الفراغ وشديد الكابّة.

كنت أسمع بين حين وآخر ضبجّة المصمد وهو يرتفع، ولكنّما كانت تليها ضبّة ثانية، لا تلك التي آملها، أي التوقف في طابقي، بل أخرى مختلفة جدًا يطلقها المصعد لموالاة طريقه المندفعة صوب الطوابق العليا وقد ظلت لكثرة ماعنت هجر طابقي حين كنت أنتظر زبارة، ظلَّت بالنسبة إلىُّ فيما بعد، حتَّى حين لا أرغب في أي زيارة، ضجّة مؤلمة في حدّ ذاتها ويدوّي فيها كأنّما حكم بالهجران كان النهار الأغبر ينسج تخاريمه اللؤلئية متمبًا مستسلمًا منصرفًا عدَّة ساعات أيضًا إلى عمله المغرق في القدم، وكنت أغتَّم للتفكير بأتي سوف ألبث وحدي أجلس قبالته هو الذي ما كان يعرفني أكثر من عاملة أتَّخذت مُكانها قرب النَّافلة كمي تبصر على نحو أوضع وهي تؤدّي عملها، ولا تهتّم بالشخص الحاضر في النرفة. وفجأة، ودون أن أكون سمعت قرع العبرس، أقبلت وفرانسواز، تفتح الباب وتدخل والبيرتين، التي دخلت مبتسمة صامتة سمينة حاوية في امتلاء جسمها الأيَّام التي قضيتها في وبالبيك، حيث لم أعد قطَّ، الأيَّام التي أُعِدَّتْ كي أستمر في عشها، والتي أقبلت إليَّ. وليس من شكَّ أنَّنا كلَّما عدنا فالتقينا شخصاً اتفق لعلاقاتنا به- مهما تكن هزيلة-أن تنغيّر فكأنَّما تلك مقابلة بين عصرين. وليس من حاجة لذلك أن عجيء عشيقة سابقة لتلقانا لقاء صديقة، بل تكفي زيارة إلى باريس يقوم بها واحد عرفناه في السياق اليومي لنمط معيّن من الحياة، وأن تكون تلك الحياة قد توقَّفت حتَّى منذ أسبوع فحسب. كنت أستطيع تهجية هذه الأسئلة على كل خطُّ ضاحك مستفسر منقبض من وجه وألبيرتين، عمادًا عن السيّدة قدو فيلباريزيس، ؟ ومعلّم الرقص؟ والحلواني؟، وحينما جلست بدا ظهرها وكأنَّه يقول: «ليس من جوف بالطبع ههنا، أتسمح مع ذلك أن أجلس بالقرب منك كما لعلَّني كنت فعلت في «بالبيك» ؟ كانت تبدو وكاتمها ساحرة تقدّم لمي مرآة الأرمنة. وكانت في ذلك شبيهة بجمعيع اللين نادراً ما نلتقريهم ولكتهم عاشوا معنا بالأمس عيشة أشدٌ رفوقاً. لمم يكن ذلك فحسب، فيما يخصُ والبيرتين، . فالصحيح أنّي كنت أدهش دوماً، حتى في «بالبيك»، حينما أبصرها في أثناء لقاءاتنا اليوميّة لكثرة ما كانت مستمرة. ولكنك الآن تكاد لا تتعرِّفها. فقد برزت ملامحها شأن تمثال، بعدما مخرَّرت من الصباب الورديّ الذي كانت غارقة فيه. لقد صار لها وجه آخر، أو هي بالأحرى أصبح لها أخيراً وجه، وقد كبر جسمها. ولم يظلُّ شيء تقريباً من الغلاف الذي سبق أن لُفت به والذي كان يتخطُّ على صفحه في دبالبيك، شكلها الآمي.

لقد عادت والبيرتين، هذه المرّة إلى باريس أبكر من المتاد. فلم تكن تصل إليها عادة إلاّ في الربيع حَى أني، وبي جرع منذ بضمة أسابيع من جرًاء المواصف على الأزامير الأولي، ما كنت أفصل في المتمة التي أصيبها بين عودة والبيرين، وعودة الربيع. كان يكفي أن يُشال لي إنّها في باريس وإنّها مرّت في بيتي حتّى أعود فأراها مثل وردة على شاطح البحر. ولست أدري تماماً إن كان اشتياقي إلى وبالبيك، أو إليها هو الذي كان يستولي عليَّ حينذلك، ولأن اشتياقي إليها ربّما كان صيغة كسلى متراضية غير تامّة لامتلاك وبالبيك، كما لو كان امتلاك الشيء ماديًا، اختيار الإقامة في مدينة، يساوي امتلاكها ورحياً. ولكنّما كانت تبدو لي على آية حال، حتّى ماديًا، حينما لايرجدتها خيالي أمام الأفق البحريّ بل هي ثابتة بالقرب متّى، كانت تبدو لي في المغالب وردة هويلة جدًا أردت لو أهلق الأجفان دونها كي لا أرى هذا العيب أو ذلك في التوبجيات وليخيل إلى أنى أتنفّس على الشاطع.

بوسمي أن أقولها ههنا، مع أبي ماكنت أعلم حينفاك ماكان لن يحدث إلا فيما بعد. إنه أكثر صواباً المحابر القديمة وحتى بالتأكيد أن نضحي بحياننا في سبيل النساء منه في سبيل الطوابع البريدية وعلب السكاير القديمة وحتى الموحات والتماثيل. على أن مثل المجموعات الأخرى ينبغي أن يتبهنا إلى التغيير وألا يكون لنا امرأة واحدة بل كثيرات. فتلك الأخلاط الساحرة التي تؤلفها فتاة مع أحد الشواطئ، مع الشعر المجنول لتمثال في كتيمة، مع صورة مطبوعة، مع كل ما من أجله نصب في إحداهن، كل مرة لنخل فيها، لوحة ساحرة، للك الأخلاط لست مستقرة إلى حد كبير. على كلياً مع المرأة ولن ترى فيها من بعد شيئا أما حملك على حبيها، إنَّ الفيرة لتستطيع بالتأكيد، إن انفصل المنصران، أن تجمعهما من جديد. فإن بلغ بي الأمر بعد زمن طويل من الحياة المشتركة الأ أرى في والبيريين، من بعد سوى امرأة عادية فلمل أي مكيدة لها مع رجل أحبّه في والبيلك، ربّما كانت كافية لتدخل إليها من جديد وتمن عليه فواننا وهي شيغ عليه، ولايمكن أن نجد رقبة في يخد للمجوة في من المنافع والمنافئ والمنافئ والمنافئ وقم في قد نشاء للمجوة في يقد للمجوة في كيد للمجوة في يكون لي محمق مجموعة مناظير قديمة، ولوست في يوم كافية المعدد يكون لي محمض مجموعة من النساء علما فارة عنظارًا جديلة أولدًا ندة

لقد جاءت هذه السنة، يمكس الترتيب المعهود لأمكنه اصطيافها، جاءت مباشرة من وبالبيك وهي إلى ذلك قد مكتت فيها أقلِّ من عادتها بكثير. ولم أكن قد رأيتها منذ زمن طويل. ولما كنت لا أعرف حتى أسماء الأشخاص الذين تترقد عليهم في باريس فقد كنت لا أعلم شيئاً عنها في أثناء الفترات التي تلبث فيها دونه أن تأتي للقائي. وكثيراً ما كانت تلك طويلة إلى حدّ ما. ثم إذا بداليرتين، تطلع فجأة ذات يوم، وأليرتين، التي كانت يخلياتها المؤردة وزيارتها الصامتة تطلعني على النزر الرسير تما أمكن أن تفعل في الزمن الفاصل بينها، ويظلٌ غارقاً في هذه الظلمة من حياتها التي تكاد لاتهتم عيناي بالنفاذ إليها.

على أن بعض الدلائل كانت تبدو هذه المرة وكأنها تشير إلى أنّ أموراً جديدة لابد جرت في هذه الحياة . غير أنّه ربّسا كان يبني أن نستخلص منها فحسب أنّ المرء يتشير بسرعة كبيرة في سنّ «ألبيربين» . من ذلك مثلاً أنّ ذكاءها كان يبرز على نحو أفضل، وحينما علت فحدتنها عن اليوم الذي أبلت فيه الكثير من الحماسة لفرض فكرتها في حمل وصوفو كليس» على أن يكتب: وعيزي واسين» كانت أول من ضحك مشروح القؤاد. وقالت: «آلدريه» هي التي كانت على حقّ، وكنت غيبة . كان ينبغي لـ اصوفو كليس» أن يكتب: وسيّدي، فأن ينبغي لـ اصوفو كليس» أن يكتب: وسيّدي، فأن ينبغي لـ الموفو كليس» أن كلمتيّ: «سيّدي» ووسيّدي العزيز» لـ أد أتدريه لم تكونا أقل إضحاكاً من كلمتية على المؤدة وجزيزي : وسليقي العزيزة وأن لبس من كان غيبًا في الأساس سوى أسائلة يطلبون أن يوجد والموفو كليس» وسائلة لـ «واسين» . وهنا لم تتبخي «ألبيرتين» ، فلم تكن ترى ما في ذلك من غياء ؛ لقد كان عقلها يتفتح ولكنه لم يكن قد نما. كان ثمة وجود جدة أكثر اجتذاباً فها. كنت

أحسُ في الفتاة الجميلة نفسها التي جلست منذ قليل قرب سريري شيئًا مختلفًا. وفي تلك الخطوط التي تعبّر في النظرة وملامح الوجه عن الإرادة المعتادة تغيّراً واصحاً ونصف انقلاب وكأنّما قُضي فيها على صنوف المقاومة التي مخطَّمت على صخورها في «بالبيك» ذات مساء أضحى الآن بعيدًا وكنًّا نؤلف فيه زوجًا يناظر زوج بعد الظهيرة الحاضرة ولكنَّه عكسه بما أنَّها هي التي كانت مستلقية في سريرها حينداك وأنا بجانب السرير. ولما كنت أبغي التأكُّد إن كانت تدع لأحد أن يقبُّلها وتخونني الجرأة في ذلك، فقد كنت أسألها أن تمكث بعد في كلّ مرَّة تنهض فيها للذهاب. ولم يكن من السهولة بمكان الحصول على ذلك فقد كانت، على الرغم من أنْ ليس ثمَّة ما نفعله (ولولا ذاك لوثبتْ خارجاً)، امرأة دقيقة وقليلة اللطف معي على أيّ حال إذا بدأ أو كاد أنَّها لا تستمتع من بعد برفقتي. ولكنها كانت تعود في كل مرَّة فتجلس نزولاً عند رجائي بعدما تنظر إلى ساعتها حتى انَّها قضت بضع ساعات معي ودون أن أكون طلبت إليها شيئاً. كانت الجمل التي أقولها لها ترتبط بتلك التي سبق أن قلتها لها في أثناء الساعات السابقة ولا تتَّصل بشيء ثمَّا كنت أفكّر فيه، ممّا كنت أتوق إليه، وتظلّ موازية له إلى مالانهاية. فليس كالشوق يعول دون أن تكتسب الأشياء التي نقولها أيُّ شبه بما يجول في خاطرنا. فالوقت يستعجلنا ويبدو مع ذلك أنّنا نبغي كسب الوقت بالتحدُّث عن موضوعات غربية تماماً عن الموضوع الذي يشغلنا. ويجري الحديث بينما الجملة التي نودٌ لو ننطق بها قد ترافقها مذ ذاك حركة، على افتراض أتنا (كيما نوفر لذاتنا متعة الأمر الفوري ونشبع الفضول الذي ينتابنا حيال ردود الفعل التي سيحملها) لم نقم بتلك الحركة دونما كلمة قلناها ودون أن نلتمس إذنا بذلك. أجل ما كنت أحبُّ والبيرتس؛ فقد كان بوسمها، هي وليدة الضباب في الخارج، أن تشبع فحسب الرغبة المتخيَّلة التي أيقظها في صدري الطقس الجديد والتي كانت نقطة وسيطة بين الرغبات التي يمكن لفنون الطبخ أن تسدّها وتلك العائدة إلى النحت الأنري، فقد كانت شملؤني بأحلام قوامها أن أمزج بجسمي مادّة مختلفة دافثة وأن أربط في الآن نفسه بنقطة ما من جسمي الممدود جسماً مختلفاً مثلما كان جسم حوّاء عالقاً بقدميه، أولايكاد، بورك آدم وهي تعامد جسمه تقريباً في تلك النقوش البارزة الرومانية في كاتدرائية ابالبيك، التي تصوّر على نَحو نبيل وهادئ، وبما لايزال يقارب إفريزاً قليماً، خلق المرأة. والله يُتبعه فيها في كلّ مكان، وكأنَّما وزيران، ملاكان صغيران تتعرَّف فيهما آلهة حبّ من «هرقولا نوم» لاتزال تعيش في قلب القرن الثالث عشر وبخرّر آخر رفّة لها، رفّة متعبة ولكنّما لا تنقصها الرشاقة التي يمكن أن نتوقّعها منها، على كامل واجهة البُّوابة – مثلها مثل تلك المخلوقات الصيفيَّة الجُّنحة المحرِّمة التي فاجأَها الشتاء وأبقى عليها.

ولكن تلك المتمه التي ربّما أنشلتني، يتحقيق رضيي، من هذه الأحلام والتي لعلني كنت بحثت عنها بمثل الطبية لدى أية امرأة حلوة أخرى، لو أثني سُطلت في غضون هذه الثرثرة التي لاتتنهى والتي كنت أكتم «البيرتين» فيها الشيء الموحيد الذي أفكر فيه عنى أي أساس تقوم فرضيتي المتفائلة بشأن التساهلات الممكنة فربّما أجبت أنَّ هذه الفرضية ناجمة (فيما كانت الملاسع المنسيّة في صوت والبيرتين، ترسم لي من جديد معالم شخصيتها) عن ظهور بعض كلمات لم تكن في عناد مفرداتها، بالمنى الذي كانت تخصيها به الآن على الأقلّ. فقيما كانت تقول لي إنَّ «المستبره غيّ وأنا أصبح منذاءً أجابتني تبتسم قائلة: «أردت أن أقول إنه كان غيبًا في تلك المناسبة، ولكني أعلم تمام العلم أنه رجل مرموة إلى أبعد حدّة.

وقد أعلنت كللك، بغية أن تقول عن دغولف فونتينبلو، إنَّه أنيق:

- وإنّه بالتمام صفوة مختارة.

وقالت لي بصدد مبارزة سبق أن وقعت لي، قالت بدأن شهردي: «إنهم شهود مصطفرنه» وأقرت إذ نظرت إلى وجهي أنها تود لو تراني بشاريين. وبلغ بها حتى أن تقول، وبنا لي إذ ذاك أن احتمالات بخماحي كيمة جداً، إن اتفضى منذ أن القت هجيزيا، هم ورح من الرمن، واللفظة، وكنت أقسمت على ذلك، إنما كلت تجهيلها في السنة السابقة. وليس يعني أن «أليميزين» لم يسبق أن ملكت عددما كنت في وبالبيله كمية مناسبة جداً من تلك العمارات التي تكشف في المحال أنك تنخير من أمرة ميسورة والتي تعنى عنها الوائدة لابتها منة بعد سنة عثلما تهمها كلما كبرت مجوهراتها الخاصة في المناسبات الهامة. وقد سبق الإحساس بأن «أليبيرين» كمّت عن كونها صبية صغيرة حيثا أجابت ذات يوم للمذكر على هذة قلمتها لها إحدى الغريمات: وإنني خجليه. ولم تعمالك السيّدة وبرتانه عن النظر إلى زوجها الذي إجاب قائل!

– دبالطبع، فأنَّها تناهز الرابعة عشرةه.

وقد برزت علامات البلوغ على تحر أكثر وضوحاً حينما قالت دالبيرين، وهي تتحدّث عن فتاة سهية المظهر: فأت لا تستطيع حتى أن تميز إن كانت حلوة فإنها تضع قدماً من الحمرة على وجهها، وكانت أخيراً تصرف، مع أنها تقد بعد، تصرف أمرأة من بيتها ومكانها إذ تقول إن كثر أحدهم، ولا أقوى على رايته لأنتي أرغب أن أفسل مثله، أو أن للهوا بتقليد بعضهينً، دافير الأمر حينما تقليبها ألمك تشهينها، وكلّ ذلك مقتبى من المذخيرة الاجماعية. بيد أن بيته الجبيرونية الم تكن بنيو في قادرة أن توقيلها ومتميزة بالمخيل الذي كان والدين يقول فيه حن واحد من زملاته لم يكن يعرف بعد وكانوا يشيدون أمامه بذكاته للمناهم، الحيث يقول فيه حن واحد من زملاته لم يكن يعرف بعد وكانوا يشيدون أمامه بذكاته والدين ومواكلة وسيونه، يقدر فقد رحل متعمرة مناها، وبدل المحافظة، حتى فيما لموض علمة الغولف، لاينسجم وعائلة وسيونه، يقدر فقة سيجله لو جاء مصحوباً بالصفة وطبيعي، في نصّ سابق عدة قرون لأعمال داريين. وبدا لي أحيراً بجلاء القلايات ما كنت أهرفها ولكن من شأنها أن لصرح لي بكل الأمال حيدما قال وأيرين، والرضي الذي ينك ابداء الأمال حيدما قال وأيها.

ـ وذلك، فيما أرى، أفضل ما كان يمكن أن يحدث... وفي تقديري أنَّه السلِّ الأفضل، الحلِّ الأنيق.

كان ذلك بالغ الجدّة وجلية شديدة الوضوح تدع لك أن تخمنّ عطفات غير متظرة إلى حدّ بهيد عمر أراض مجهولة بالأمس لديها حتّى أتي جلبت وألبيرتين، حال سماعي كلمات وفيما أرى،، ولدى وفي تقديري، أجلستها على سريري.

لاشك أنه يتُمن أن تتسلم نسوة هيئات الثقافة يتزوجَّى رجلاً كثير الثقافة مثل تلك المبارات في إسهامهن الصداقيّ، وبعد التحوّل الذي يلي ليلة العرس بقليل، وسيدما يقدن بزياراتهن ويبدين مختفاً مع صديقاتهن السابقات، نلاحظ بدهنة أنهن غدون نساء إن هن قمن، لدى تقريرهن أنَّ أمد الناس ذكيّ. برضع شدّتين للفظة ذكيّ، ولكن ذلك بالضبط دليل نشيء وكان بيدو لي أنَّ ثمة عالماً بين المبارات الجديدة ومفردات «ألبيرتين» التي سبق أن عرفتها، المقرمات التي كان أكثر صنوف الجرأة فيها أن تقول عن ضخص غيب الأطوار: «إنه إنسان غيب»، أو إن هم عرضوا على «ألبيرتين» أن تلمب: ولامال عندي أضيمه، أو إن وجهّت لها هذه أو تلك من صديقاتها لوما لاترى أنه ميرو: «أجدك بالحقيقة رائمةا» والجمل يعليها في تلك الحالات نوع من التقليد البورجوازي يكاد يكون في قدم وعظمي يانفسي، ذاتها وتستخدمها الفتاة التي يتنابها لمن شرة من المنفس وهي واثقة من حقها، تستخدمها على النحو الذي يسمّونه وطبيعياً جنالاً» وأعني لأنها تعلمتها من والدنها كما تعلمت المنها أو التعيد. كران تلك الجمل علمتها أياها السيّدة وبونائاي إلي جنب كراهية اليهود والتقدير للوز الأمود الذي ييدو فيه المر لائقاً على الدوام وعلى أحسن وجه، حتى دون أن تملمها إنها تعلم مربحاً، بل مثلما تطابق وزئوقة الوالدين من الحساسين وقوقة الحساسين المؤلودة حديثاً من المحسد هي الأخرى حساسين حقيقية. وعلى الرغم من كل شيء فقد بدا لي واصطفاءه من تربة أخرى ووفي تقديريه مشجباً. لم تعد والبيرتين، كما كانت ولمألها لن تصرف التصوف نفسه ولن تكون لها رود الفعرا فضها.

لم أعد أحرّ بأيّ حبّ نحوها، وليس ذلك فحسب، بل لم يعد عليّ أنْ أخشى، كما لعلني كنت أفعل في «بالبيك»، أن أحطم فيها مودّة لي لم تعد موجودة. ولم يكن ثمّة أي شكّ في أتني غدوت منذ زمن طويل لا أهمية لى البتة في عينيها. لقد أُخلت أتبيّن أنني لم أعد بالنسبة إليها من أفراد االجماعة الصغيرة، التي جهدت كثيراً فيما مضي في الانضمام إليها وسعدت جداً فيما بعد أن أفلحت في ذلك. ثم إنّي لم أكن أشمر بمخاوف كبيرة بما أنَّها لم تعد حتى تظهر، شأنها في «بالبيك»، بمظهر الصراحة والطبية. على أنَّى أعتقد أنَّ ماحلمني على التقوير كان اكتشافاً أخيراً لغويّاً. فلَّما كنت أوالي إضافة حلقة جديدة إلى سلسلة الأقوال الخارجية التي كنت أخفى خلفها رغبتي العميقة وأتخذَث، فيما تجلس «ألبيرتين، الآن في زاوية سريري، عن واحدة من فتيات الجماعة الصغيرة، وكانت أكثر نحولاً من الأخريات، ولكنَّى كنت أجدُّها مع ذلك على جمال كاف، أجابنتي والبيرتين، قاتلة: وأجل، إنها تبدو وكاتها مومس صغيرة، وجلى كلِّ الجلاء أن كلمة ومومسُ كانت مجهولة لدى وألبيرتين، حينما عرفتها. ومن المحتمل ألها ما تعلمتها في يوم لو جرت الأمور مجراها الطبيمي وما كنت وجلت في ذلك فيما يخصنّى أيَّ صَير إذ ليس ما كان أكثر إلارة للاشمئزاز. فانَّك بخسّ إمَّا سمعتها بمثل ما يصيبك من ألم الأسنان إن أنت وضعت قطعة كبيرة من المثلجات في فمك. أمّا لدى والبيرتين، وبالجمال الذي كانت عليه، فما كانت حتّى «مومس» تستطيع أن تسوء في عيني. ولكنَّما بدا لي بالمقابل ألها إن لم تكشف عن تدرَّب خارجيّ، فعن تطوَّر داخليّ على الأقل. وكانت قد حالت للأسف الساعة التي ينبغي لي أن أودّعها فيها إن أردتُ أن تعود في الوقت المناسب من أجل عشائها وأن أنهض بدوري قبل أواني بعض الشيء من أجل عشائي. وكانت افرانسواز، هي التي تعدَّة ولانخبُ أن ينتظر ولابدُ أنَّها وجدت منافياً لأحدى موادٌّ مدّونتها أن تكون «البيرتين» قد قامت، في غياب والديُّ، بزيارة لي طويلة إلى هذا الحدُّ، وتوشك أن تؤخّر كلّ شيء، ولكنّ هذه الأسباب تهاوت أمام كلمة «مومس» وسارعت

- وتعموري أتني لا أتأتر بالدغدغة على الإطلاق، ويمكنك أن تدغدغيني على مدى ساعة فلا أشعر
 حقى بذلك.»

⁻ دمسيح!٥.

-- «أَوْكُد للك».

وأدركتُ دونما شك أنَّ ذلك كان التعبير غير الحاذق عن رغبة ما، فقد قالت لي بتواضع المرأة، شأن من يقدّم لك توصية ما كنت تجمرؤ على التماسها لكنَّ أقولك برهنت له أنَّه يمكن أن نفيد منها:

- وأتريد أن أجرّب ٤٦.

- وإن شقت، لكتما يبدو من الأسهل أنذاك أن تتمدَّدي تماماً فوق سربي.

- دمکذا؟ه

- الا، غوري،

- دولكن ألستُ ثقيلة جداً ١٩٠.

وفيما كانت تنهي هذه الجملة انفتح الباب ودخلت وفرانسواز، محمل مصباحًا. ولم يتسع لـ والبيرتين، أكثر من أن تعود فتجلس على الكرسيّ. ربّما اختارت وفرانسواز، هذه اللحظة لتخزينا وقد مضت تصغي، من وراء الباب أو حقّى تنظر من ثقب المغلاق. بيد أنّه لم تكن بي حاجة إلى القيام بمثل هذا الافتراض فقد أمكن أن تزدري التأكد بالعين نما لابدً استشفتَه بالغريزة استشفافاً كافياً لأنَّ الخشية والحذر والانتباه والحيلة قد زوَّدتها في النهاية عنًا، لطول معيشتها معي ومع والديُّ، بهذا النوع من المعرفة الغريزيّة التي تقارب الكهانة والتي تتوافر للبحّار عن البحر وللطرائد عن الصيّاد وأمّا عن المرض فللمريض في الغالب على الأقلّ إن لم يكن للطبيب. كان يمكن لكلّ ما تفلح في معرفته أن يذَّهل بحقّ شأن الواقع المتطوّر لبعض المعارف لدى القدماء نظراً لوسائل الإعلام المعدومة تقريباً التي كانت بحوزتهم (ولم نكن وسائلها أوفر عدداً ؛ كانت بعض أقوال تكاد لاتشكُّل واحداً من عشرين من حديثنا في العشاء التقطها رئيس الخدم بسرعة ونقلها نقلاً غير دقيق إلى غرفة الخدمة). ثم إن أخطاءها كانت تنجم بالأحرى، شأن أخطائهم، شأن الأساطير التي كان وأفلاطون، يعتقد بها، عن تصورٌ خاطئ للعالم وعن أفكار مسبقة أكثر منها عن نقص الإمكانات المادّية. فمن ذلك أن أعظم اكتشافات في مضمار عادات الحشرات أمكن أن تتمّ، حتى في أيّامنا، على يد عالم ما كان بملك أيّ مخر أو أيُّ جهاز. ولئن لم تَحُل المضايقات الناجمة عن مركز الخادمة الذي تشغله دون اكتساب علم لاغني عنه للفنّ الذي كان غايته –والذي قوامه أن تسومنا الخزي بنقل نتائجه إلينا – فقد فعل القسر أكثر ، فالقيد لم يكتف هنا بألاً يشلُ تقدَّمه بل أدَّى له عوناً كبيراً. وليس من شك أنَّ وفرانسواز، ما كانت تهمل أيَّة وسيلة معينة، كوسيلة الإلقاء والوقفة على سبيل المثال. ولما كانت توافق دون أدنى ارتياب (إن لم تكن تصدّق البئة مانقوله لها ومانتمنَّى أن تصدَّقه) على كلِّ مايرويه لها أيّ شخص من طبقتها ثمًّا كان منافياً للعقل أكثر ما يكون ويستطيع في الوقت نفسه أن يصلم أفكارنا، فبقدر ما كانت طريقتها في الإصغاء إلى توكيداتنا تتم عن قلة تصديقها، كانت اللهجة التي ننقل بها (لأن الكلام المنقول يسمح لها بأن توجُّه لنا دونما عقاب أشدم الشتائم) رواية طاهية حكت لها أنَّها هدَّدت أسيادها ونالت منهم، فيما تنعتهم أمام الجميع «بالزبالة»، المجمّ من النعم، كانت تظهر بالمقدار نفسه ألها كلام الإنجيل بالنسبة إليها. بل كانت «فرانسواز» تضيف قاتلة: وأما أناء فلو كنت ربّة البيت لوجدتني مفضية، وعبئاً كنّاء على الرغم من قلّة موفّتنا الأصليّة للسيّدة التي تقطن الرابع، نهرّ المنكبين إزاء رواية مثل سيّع إلى هذا الحدّ، وكانّما إزاء خرافة لاتصدّق، فقد كانت لهجة الراوية تفلع في اتخاذ النبرة القاطمة الباترة التي تطبع أكثر مالا يحمل النقاش ويثير الحق من توكيد.

زد على ذلك أنه، مثلما يبلغ الكتاب في الغالب قوّة في التركيز لعلّ نظام الحرية السياسيّة أو الفوضى الأديبّة كان أعفاهم منها، وذلك حينما بكبلهم استيداد سلطان أو ملعب شعري وقسوة قواعد العروض أو دين المدولة، كذلك كانت وفرانسوازه تتحدّث شال وتيريزياس، (١) ولعلها كان كتبت مثل «تاكيتوس» (١) ولايكيمها أن تردّ علينا وذا صميحاً. كانت تعلم كيف تفسمُن كلّ مالا تستطيع التعبير عنه مباشرة في جملة ما كان باستطاعتنا أن نطمن فيها دون أن نتهم أنفسنا، وحتى في أقلّ من جملة، في لحظة صمت، في الطريقة التي تضع بها حاجة ما.

من ذلك أنه حينما كان يتفَق لي أن أدع سهواً على طاولتي بين رسائل أخرى رسالة ما كان ينبغي أن تراها لأنّه جرى فيها على سبيل المثال التحدّث عنها بنيّة سوء تفترض أخرى بحقهًا لدى المرسل إليه تعادل مقدارها لدى المرسل، فإن عدت مضطرب النفس في المساء وذهبت رأساً إلى غرفتي كانت الوثيقة المثيرة الشبهات فوق رسائلي التي نسقت على أحسن وجه في كومة متقنة تسترعي للوهلة الأولى أنظاري مثلما لم يكن ممكناً ألا تسترعي أنظار أفرانسواز، وقد وضعتها هي في الأعلى تماماً، وكأنُّما على حدة، وفي جلاء كانت كالاماً في حدُّ ذاته وله من الكلام بلاغته وكان يبعث فيٌّ ما أن أجتاز الباب رعشة مثلما تفعل صرخة. كان عجّيد تنظيم صنوف الإخراج هذه المعدّة لإطلاع المشاهد، في غياب وفرانسوازه، إطلاعاً تامّاً إلى حدّ يعلم معه مذ ذاك أنَّها تعلم كلَّ شيء حينما تدخل فيما بعد. وكيما تُنطق على هذا النحو حاجة لاروح فيها كانت تملك الفنّ العبقريّ والمتأتى في آن مما الذي يمتاز به وإيرفنغ، وه فريدريرك لوميتر، وفي هذه اللحظة كانت افرانسواز، تبدو، وهي تمسك فوق البيرتين، وفوقي بالمصباح المضاء الذي ما كان يدع في الظلام أيَّامن الأخاديد التي لانزال واضحة والتي سبق أن حفرها جسم الفتاة في اللحاق، كانت تبدو وكأنَّها والعدالة تلقى الضوء على الجريمة. ولم يكن وجه الليرتين، ليخسر من جراء هذه الإضاءة فقد كانت تكشف على الوجنتين الطلاء المتَّور نفسه الذي سبق أن فتنني في «بالبيك». إن وجه «البيرتين» هذا الذي كان لمجمله في المخارج أحياناً نوع من الإصفرار الشاحب كان يبرز على العكس مساحات برَّاقة الألوان متساويتها إلى حدَّ بعيد وشديدة الصلابة والملاسة كلّما نشر المصباح ضياءه عليها حتّى ليمكن تشبيهها بالألوان الورديّة الثابتة في بعض الأزهار. وقد فوجمت مع ذلك بدخول افانسواز، اللامتوقّع فصرخت قائلًا:

- وكيف، أحان وقت المصباح؟ باللهي ما أشدُّ هذا النوراه

كان غرضي دونما ريب من ثاني هاتين الجملتين أن اخفي اضطرابي، ومن الأولى أن أجد العلم لتأخيري. واحابت ففرانسوازه بليس قامي:

⁽١) Tirésias من كهان وثيمه، عرقب بالعمى لأنه كشف أسرار مقر الآلية للبشر.

⁽Y) Tacitus مؤرخ روماني، اشتهر بالخطابة وبكتاباته التاريخية الرصينة كما اشتهر بوصفه الدقيق للأخلاق والأهواء.

– ۵أفينبغي أن اطفى ۵۲.

وهمست «البيرتين» في أذي: «أن اطفع؟». فعنَّفتني مفتونًا بسرعة الخاطر الأليفة التي دست بها، وقد أتخذت منّى معلماً وشريحاً في الجريمة في آن واحد، هذا التأكيد النفسي عبر اللهجة المستفهمة التي أضفّتُهاً على سؤال قواعديّ.

وبعدما خرجت ؛ فرانسواز، من الغرفة وعادت البيرتين، فجلست على سريري، قلت لها:

- الملمين ما الذي اخشاه، وهو أنني، إن تابعنا على هذا المنوال، لن استطيع الامتناع عن تقبيلك.

- وما اجملها مصيبة عُلَيَّه.

ولم امتثل في الحال لهذه الدعوة. ولعلُّ آخر غيري كان يمكن حتَّى أن يجدها نافلة، فقد كان ك \$البيرتين؛ نطق شهواني وعذب إلى حدَّ تبدو معه وكأنها نقبَّلك بمحض مخدَّثها إليك. كان القول منها منَّة وكان حديثها يغمرك بالقبل. بيد أن تلك الدعوة كانت مع ذلك محبَّبة جدًّا إلى نفسي. ولعلها كانت كذلك بالنسبة إليَّ حتى من فتاة جميلة أخرى في سنَّها ؛ لكن، أن تغدو االبيرتين، الآن سهلة بالنسبة إلىَّ إلى هذا الحدّ كان يخلف فيّ أكثر من المتمة، كان يخلف تقابل صور يطبعها الجمال. كنت أتذكّر «البيرتين» أول الأمر أمام الشاطئ وكأنَّما تمَّ وسمها على خلفيَّة البحر وهي لا تملك في نظري وجوداً حقيقياً أكثر من تلك الرؤى المسرحيّة حيث لاتدري إن كنت تواجه الممثلة التي يُفترض أن تظهر، أو محض بديلة مخلّ محلّها في تلك اللحظة أو محض إسقاط. ثمّ إن المرأة الحقيقية انفصلت عن الحزمة المضيئة، لقد جاءت إلىّ، ولكن لمحض أن أستطيع ملاحظة أنَّها لم تكن، في العالم الحقيقيّ، على السهولة الغراميَّة التي تفترض لها في اللوحة السحريّة. لقد عُلّمتُ أنّه لايمكن لمسهّا وتقبيلُها وأنّه يمكن التحدّث إليها فحسب وأنّها لم تكن بالنسبة إلىّ امرأة أكثر ممّا تكون أعناب من اليّشم، وهي زينة غير صالحة للأكل على الموائد في الزمن الغابر، أعناباً. ثم إذا هي تبدو لي على مستوى ثالث حقيقية شأنها في المعرفة الثانية التي سبقت لي عنها، ولكنَّها سهلة شأنها في الأولى ؛ سهلة سهولة تتزايد عدويتها بقدر ماظننت مدّة طويلة أنّها لم تكن كذلك. كانت زيادة معرفتي بالحياة (بالحياة الأقلُّ اتساقاً والأقلُّ بساطة ثمَّا ظننت بادئ الأمر) تفضى مؤقتًا إلى اللا أدرية. فما الذي يمكنّ توكيده بِما أَنْنَا ظُنْنَا مَحْمَلًا في البداية ماتبُدى كلباً فيما بعد وبدا أَنَّه حَقيقة في مرحلة ثالثة؟ (ولم أكن للأسف في نهاية اكتشافاتي مع والبيرتين)..

وحتى لو لم يتوافر في جميع الأحوال الجاذب العاطفي لهذه المعرفة المقتبة عن وفرة أكبر من المستويات التي كنان وسان لوة المدريات التي كنان وسان لوة المستويات التي كنان وسان لوة يلمونات التي كان وسان لوة يتوان أعضا أعضا أم المنافقة التي واكتمتها العجاة فوق رجم هادئ ملامح سبق أن علقت بالأقدة التي واكتمتها العجاة فوق رجم هادئ ملامح سبق أن علقت بالأمس التي المستويات المست

الجوقة التي تريدها اضماقا مضاعة وتتوعها، جوقة تلك الرغبات الأكثر ووحانية والأقل إشباعاً التي لاتنفض عنها خدرما وندعها تصفي وحدها حيدما لاتبني سوى احتلاك قطعة لحم، بيد أنها، من أجل امتلاك منطقة كلما من الذكويات التي تدهر بحدين أنها موجدة منها، ترقم إرتفاع العامية إلى جانبها وقضعة مها كلما من الذكويات التي تدهر بحدين أنها مبدة منها، ترقم وصنحول بالشكل الذي تدمي به، ولكنها بتنظر تلك الرغبة في متصف الطويق وتمود فتواكبها لحظة المودة. فإن أقبل بدلا من وجنتي أول عابرة سبيل، مهما كاننا غضيت إلا الجارة مبيل، مهما كاننا غضيت إلا الجارة أنها غلال لاحر بهما ولا روعة لهما، الوجنتين الملين المنا طالم حاسم بهما أنها بعض المناقب أن تتزعها وأن تنصعها بالقرب منك وأن ترى شيئاً فشيئاً حجمها والروائها كما لو أنك نقلتها خلف زجاج منظار مجسم. ولذلك فإن النساء المنمنكات بعض الشيء المواتي لايمتلكهن في يوم إقدا يلان وحيض لايمتكان في يوم إقدا يلان وحياهن الاعمام. لايمتلكهن في يوم إقدا يلان وحياهن الاعمام. ذلك أن مرفعهن والاقراب منهن وامتلاكهن أن ينوم وامينا ومواهم الورواهي ورساسة ذلك أن مرفعهن والاقراب منهن وامتلاكهن أن ينهم وامن عديد بعدما تستعيد نحافة الأطاف في ذلك أن مرفعهن الناساء ألمواتي بدوانه المواتي بالاعتمام لأنهن يقين على ماهن خطيه الإيبان.

کانت «البیرتین» من جهة أخری تجمع حولها سائر الانطباعات عن مجموعة بحریّة کانت عزیزة علی فؤادی علمی نحو خاصّ فقد کان بیدو لی آئمی ربعاً قبّلت شاطئ «بالبیك» بكامله علی وجنّمی الفتاة.

- وإن أذنت حقاً بأن أقبلك فإني أفضل إرجاء الأمر إلى مابعد وأن أحسن اختيار اللحظة التي تناسبني.
 يبد أنه ينبغي الأيفرب عن بالك أنذاك أذنب، ولابد لي من دقسيمة صالحة لقبلةه.
 - وأينبغى أن اوقعَهاه ؟
 - وفإن غنمتُها في الحال فهل أحصل على ثانية مع ذلك فيما بعد؟٥
 - اتضحكني بقسائمك، سوف أحرّر لك بمضها بين الحين والحين،
- وقولي، لدى كلمة بعد، تدرين، في وبالبيك، حينما كنت بعد لا أعرفك، كثيراً ما كانت لك نظرة قاسية محتالة، أفلا يمكنك أن تقولي لي بأي أمر كنت تفكرين في تلك اللحظات؟.
 - ولست أذكر البتّة،
- وإليك مثلاً من أجل أن أساعدك، ذات يوم قفزت صديقتك (جيزيل) من فوق الكرسي الذي كان يجلس عليه سيًّد عجوز. حاولي أن تتدكّري فيما فكُرت في تلك اللحظة».
- « كانت اجيزيل؛ أقلَّ من تتردد عليها، لقد كانت من المجموعة إن شت، ولكنها لم تكن منها
 تماماً. لابدَ أني حسب أنها سئة المتهليب إلى حدّ بعيد وعاديّة.
 - دآدا هذا كلّ شيء ؟٥.

وددت، قبل ثقبيلها، لو أستطيع ملأها من جديد بالأسرار التي كانت تكتنفها في نظري على الشاطئ قبل أن أعرفها، وأن أعود فألقى فيها المنطقة التي عاشت فيها سابقاً ؛ فإن لم أعرفها كان بوسعي على الأقلّ أن أُدخل مكانها جميع ذكريات حياتنا في ابالبيك، وضجيج الموج المتكسر تخت نافلتي وصيحات الأطفال. بيد أتَّى لابدٌ قلت وأنا أدع عيني تنزلق على كرة وجنتيها الورديَّة الجميلة التي تقبل سطوحها المثنَّية بلطف لتلفظ أنفاسها على حضيض أولى انثناءات شعرها الأسود الجميل الذي يجري سلاسل كثيرة التضاريس ويرفع ركائزه الوعرة وبيرز تموّجات وديانه: سوف أعرف أخيراً مذاق الوردة المجهولة التي نمثلها وجنتا «ألبيرتين» بعدما لم أفلح في ذلك في ٥بالبيك، وبما أن الدوائر التي يمكن أن نحمل الأشياء والكائنات على اجتيازها في بحر حياتنا ليست عديدة جدًا فريّما استطعت أن أعدّ حياتي وكأنّها ناجزة إلى حدّ ما حينما أكون قد حملت إلى هذا المستوى الجديد الوجه النضير الذي سبق أن أخترته من بينها جميعاً بعدما أخرجته من إطاره النائي، الوجه الذي سيتسنّى لي أخيراً أن أعرفه بالشفتين، كنت أقول في نفسي لأنني كنت أعتقد أن ثمة معرفة بالشفتين ؟ كنت أقول في نفسي إنّي أزمع أن أعرف مذاق هذه الوردة الجسديّة الآنه لم يخطر لي أن الإنسان، وهو مخلوق أقلَّ بدائيَّة بالطبع من الأخينوس أو حتَّى من الحوت، إنَّما يفتقر بعد مع ذلك إلى عدد من الأعضاء الأساسيَّة وهو لايملك على وجه الخصوص أيُّ عضو يَستخدم في القبلة. وإنَّه ليعوَّض هذا العضو المفقود بالشفتين وربَّما بلغ بذلك نتيجة مرضية إلى حدّ ما أكثر عمّا لو اقتصر على مداعبة الحبوبة بناب قرني. ولكنّ الشفتين المستوعتين لتحملا إلى مقف القم طعماً ما يغريهما ينبغي لهما أن ترضيا بالهيمان على سطح الوجنة الممتنعة والمشتهاه وبالاصطفام بسياجها دون إدراك ضلالتهما ودون الاعتراف بخيتهما. والشفتان على أيَّة حال قد لاتستطيعان في تلك اللحظة لدى ملامسة الجسد نفسه، حتى بافتراض أنهما قد تضحيان أكثر خبرة وأوفر مواهب، قد لاتستطيعان دون شكُّ أن تتذوَّقا أكثر من قبل الطعم الذي تخول الطبيعة حالياً دون بلوغه لأنهما وحيدتان في هذه المنطقة المقفرة التبي لايمكنهما أن تلقيا فيها غذاءهما إذ النظر ثم الشم قد هجراهما منذ فترة طويلة. فكلما ازداد فمي بادئ الأمر اقتراباً من الوجنتين اللتين سبق أن دعته نظراتي إلى تقبيلهما، أبصرت هذه الأخيرة وجنات جديدة. وأبرز العنق، وقد شوهد من مسافة أقرب وكأنَّما بالمكبرة، أبرز في مضلَّعات نسيجه صلابة بلكت طابع الوجه.

إِنَّ آخر تطبيقات التصوير الشمسيّ التي ترمي على أقدام كاندرائية جميع البيون التي كثيراً مابدت لنا عن قرب بمثل ارتفاع الأبراج تقريباً، والتي تقرّك على التوالي، على غرار كتيبة، الأبنية نفسها، غرّكها أرئالا وشالاً وتبعد وشائلاً وكثلاً متراصة، وتقرّب عمودي والساحة الصغري الراحد من الآخر، وما أيمدهما منذ قليل، وتبعد كنيسة ومالونا الفرية وتفلع على خلفية شاحية متدرجة في احتواء ألق مترام شخت تنظرة جسر وفي فتحة ناظة، ومابين أوراق شجرة وقاضة في مقدّمة الملوحة، وبوساطة لون أكثر زخما مجمل للكنيسة نفسها على التوالي إطاراً من جميع أقوام الكنائس الأخرى – ذلك مالست أرى سواه قادراً تدرة القبلة أن بيرز تما كنا نظفه شها محدد المظهر الأثنياء المئة الأخرى التي تدقيقه على السواء بما أنَّ كلاً منها متصل بمنظور لايقلُ شرعيتمن غيره. وقصارى القول إنه مثلما سبق بلت إلى وألبيرتهن غالباً مخلفة في وبالبيك، فإنما رأيت الأن و ركائما أردت بزيادة سرعة تبدلات المنظور وتبدلات الألوان التي يزوّدنا بها شخص في مختلف لقاماتنا به زيادة والمتاوية المتحربها كلها في مدى بضع ثوان كيما أرجد ثانية بالنجرية الظاهرة التي تدوع فردية كائن ما وأن

استخلص جميع الإمكانات التي تتضمنها بعضها من يعضها الآخو وكأنما من قراب – رأيت عشر وأليت عشر وأليت عشر وأليت عشر وأليت عشر وأليبينات في مذا المشوار القصير لشفتى بالجماه خدها. وإذ كانت هذه الفتاة وحدها وكأنها إليهة بعدة رؤوس، وأن الذي كنت رأيته في أخر المطاف كان يعلى المكان الآخر غره إن حاولت الاقراب منه. ذلك الرأس كنت أرأة مغي الأقل ما مدت لم ألمسه، إذ يقدّل إلي منه عظر خفيف، وكن عبني، وأأسفي ا – لأنَّ متخرينا وعيننا من بدا، ومنه منا المناب المناب على المناب ا

أفلاتنا كنا نمثل المشهد الماكس لمشهد ابالبيك (والذي يرمز إليه دوران جسم صلب)، وأتنى كنت مسئلياً وهي واقفة وقادرة على تفادي هجمه شرسة وعلى توجيه المتعه على هواها، ألذلك تركتني آخذ الآن بهذا القدر من السهولة ما كانت رفضت بالأس بمظهر القسوة الشديدة؟ (وليس من شك أن الملامح الشهوانية التي يُخطها اليوم وجهها لدى اقتراب شقي ما كانت تحلف عن هية الأس يتلك إلا بانحراف في النخوط ضغيل جداً، إلا أنه يمكن أن يحتوي بين حليه كامل المسافة التي تفصل بين حركة رجل يجهز على جهز والاعتنان على على جهيج وآخر يسعفه، بين رسم بديم أو قيم؟. رودن أن أعلم إلى كان على أن أبدي التكريم والاعتنان على حلى جلح لم أن أطبع إلى التماثل على أن أبدي التكريم والاعتنان على خطر لي أن أطبولية التي أنخطة المهاد الشهور الأخيرة، فقد تحل لي أن الطبهة التي أقد علنه المهاد المائل التي المساب الرئيسي في ها بالبيك على أنَّ أأبيرين، قدائك وكان لي سبأ قبط لللك، وهو بالضبط هذا: وأما ذلك يقل السبب حائراً لقد قدت لي وابالبك عام كنت أعرفك وكان يمكني من المشاب سوء خركات أعضائها وفي الأحليس التي تتناب جسمها أثناء الماء الأمه المهاد الأماء في أن تصرف في عركات أعضائها وفي الأحليس التي تتناب جسمها أثناء الماء الأماء وسمة إلهاهها فها.

وأيّة كانت في جميع الأحوال التبدّلات الطارقة منذ بعض الرقت في حياتها والتي ربّما فسرت أن تمتح رغبتي للؤقتة والجمديّة البحة بذلك اليسر ما سبق أن حجبته يهلم في «بالبيك، عن حيّى، فقد جرى حَوّلُ أكثر إدهامًا في األبيرتين، في ذلك المساء ذاته حالما جاءتني مناحياتها في منزلي بالارتياح المذي لابدّ ألّها لاحظته تماماً والذي خشيت حتّى أن يسبب لديها الاتفاضة الهيئة من اضفاراز وحياء مجروح والتي تمت لـ «جلبيرت» في لحظة مشابهة خلف دغل أشجار الغار في محلّة «الشائزلويه».

وقد كان العكس تماماً. نقد سبق أن التخلت والبرتين، قبل ذلك، حين مدّدتها على سريري وشرعت أداعها، هيئة ما كنت أعرفها لديها من مرية في المراس وبساطة تكاد أن تكون طفوالية. وقد أوالت اللحظة التي تعين ألمتها، وهي شبيهة في ذلك يتلك التي تلي قولاة، أوالت عنها جميع الاعتمامات وجميع المزاهم المتنادة فأعادت إلى قسماتها التي استمادت نضارتها كأما براءة السن الأولى. وليس من شك أن أي أنسان توضع موهبته فجأة موضع احتيار إثما يصبح متواضعاً ومجندًا ولطيفاً، ولاسيما إن عرف كيف يمنحنا بتلك للموهبة متناة عظيمة فإنه يسعد من جرائها وبود أن يمنحنا إلماها كاملة. بيد أنه كان في ملامح وجه والسروتي، المجديدة متات بملاكبين، كان ثمة ضرب من التفاتي المألوف والمفاجي. فلقد عادت

إلى أبعد من طفولتها، بل إلى شباب سلالتها الأولى. لقد بعدت والبيرتين، وهي شديدة الاعتلاف عنّي أنا الذي لم يتمنّ أكثر من تسكين جسديّ بلغه في النهاية، بدت وكأنها ترى بعض الفظائلة فيما يخصّها أن تخسب أن هذه المتمة الجسدية تستقيم دون شمور نفسي وأنّها تنهي أمرًا ما. كانت، هي المُمجلة عنذ قابل، تقول الآن، ولأنّها ترى دونما شكّ أن القبل تتضمنَ الحبّ وأنّ الحبّ يعلو على أيّ واجب أخر، تقول حينما أذكرها بمثانها:

- ولابأس عليٌّ من ذلك مطلقاً، لدي كل الوقت، ويحك،.

كانت تبدو وكأنما يحرجها أن تنهض في الحال بعد الذي أقدمت عليه، يعرجها بداعي التأدب، شأن و فرانسوازه حينما ظنت أنَّ من واجبها، دون أن تشكو العطش، أن تقبل باحشنام مرح كأمر الخمرة التي كان وجويبانه يقدّمها لها، وما كانت لتجرز على المذهاب حالما تشرب آخر جرعة أيا كان الواجب الملح الذي استدعاها. كانت وألبيرتينه واحداً من رموز الفلاًحة الصغيرة الفرنسية التي مثالها من حجر في كليسة دمالت آلمويه دي شانه – وربما كان ذلك، بالإضافة إلى سبب آخر سوف نراه فيما بعد، واحداً من الأسباب التي جملتني دون علم مني أشتهبها— فقد تعرفت فيها تأدب وفراسوازه التي كانت ستضحي على ذلك بعد قليل عدد قالت الترب التي التربية التربية الذي المد قليل عدد الله عدد المقابدة والحشراء الفراش.

ولعل فغرانسوازه التي ما كانت تحسب بعد وفاة عمتي أنّها تستطيع التحدّث إلاً بالمهجة مدفقة، لعلها كانت ترى أمراً فاضحاً، في بحر الأشهر التي مبقت زواج ابنتها، في ألاّ تأخذ هذه الأخيرة بداراع خطيمها حيدما كانت تنتزه معه.

كانت وْأَلْبِيرْنِينْ، تَقُولْ لِي، وقد ظلَّت لاحراك بها بالقرب منَّى:

• • معرك جميل وعيناك جميلتان وأنت لطيف.

ولما أضفت أقول، بعدما حملتها على ملاحظة أنَّ الوقت قد تأخر: «ألا تصلّقيني؟» أجابتني ثائلة وإلَيْ أصدّقك على الدوام»، الأمر الذي ربّما كان صحيحاً، ولكن منذ دقيتتين فحسب وعلى مدى بضم ساعات.

وحدلتني عن نفسي وعن أسرتي وعن بيتني الاجتماعية. قالت لي:

اه أما أعلم أنَّ ذوبك يعرفون جماعات راقية. إنَّك صديق لــــ (ديير فويستيمه ووسوزان دولاج، ولم تمن الما الما على الإطلاق في اللفقية الأولى. ولكنّي ذكرت فجأة أنّي لعبت بالفسل في اللفازليزيه الأسماء شيقاً لي على الإطلاق في اللفقية الأولى. ولكنّي ذكرت فجأة أنّي لعبت بالفسل في اللفازليزيه وقد والدير في الرقص وحتى أن أسل دوراً صغيراً في مهزلة بيئة في منزل ذيهها. ولكنّ خضيتي أن أنفلت ضاحكاً ومن بعض الرعاف حالت دون ذلك حتى أنّي لم أرها في يوم. وأكثر الأمر أنّه عيل أي فيما مضى أن معلمة آل وسوانه ذلك الرعاف حالت دون ذلك حتى أني لم أرها في يوم. وأكثر الأمر أنّه عيل إلي فيما مضى أن معلمة آل وسوانه ذلك الرعاف حالت لوي شويستيمه و وسوزان دولاج، يشغلان حيرًا قليلاً في المراتبة يوليستيمه وسوزان دولاج، يشغلان حيرًا قليلاً في موازن

دولاج، في شارع دمسينك وأنها لأبيقة، وما كانت والدتان تعرف إستاهما الأخرى إلاّ في مخيلة السيّدة وبوتان، التي استطلمست، إذ علمت أنني لعبت فيما مضى مع دروبير فور يستييه، وكنت فيما يبدو أنشاه أشعاراً، أننا كنّا نرتبط يعلاقات عائليّة. وما كانت تدع البتّة. فيما قبل لي، اسم والدتي يمرّ دول أن تقول: وأجل، إنّه وسط آل دولاج، وافوريستيمه المنهوتمنع والديّ بذلك نقطة لصالحهما لايستحقائها.

كانت مفاهيم وأليرتين؛ الاجماعية على آية حال تتصف بحماقة بالغة. فكانت تظن آل وسيدوتيه برن مشدّة أقل قدراً لامن آل وسيدوتيه على آية حال تتصف بحماقة بالغة. فكانت تظن آل وسيدوتيه بنون غير مشدّة فحسب، بل من جميع ما أمكن من أناس آخيون. فأن يحمل أحدهم الذي تحمله دون آن يكون من أمرتك سبب كبير لا زدراك. لمة استثنافات باتناكيد. فقد يغفى إن رأى الثان من أمرة مبيدوتيه (وقد ثم تعريف أحدهما بالآخر في واحد من تلك الاجماعات التي يشعر المرة فيها بالحاجة إلى التحمد عن أي ثم ثمريف أحدهما بالآخر في واحد من تلك الاجماعات التي يشعر المرة فيها بالحاجة إلى التحمد عن أي ما أغيري، وكن شهما بالاخراص على أي حال أنه يفيض استطاء المتعاونات ودونما تتبحة إن كان الابرطهما أي راباط قريم. ولكن هما محض استثناء. فكثير من النام قلما يجعر ودونما تتبحة إن كان الإسلامية أو العكس بدأنا بالحذر، ويفلب أن يكون ميراً، حول ما يساوون. إننا نخشى الخلط وتتلافاه بتكثيرة اشمئزا إن أعمل المعينات المخلود يدو لونا أنهم يتحلونه. إن فنوب غيرهم من المتعاونات المعرفية المعالم المعينات المناطقة بالمناطقة بالمناطقة بالمناطقة المعاد الأكوب نعيرهم من المناطقة بها كامل محينا، والحقد الذي نحمله لآل وسيدوته المهينة التي يزداد قوة بقدر ماهو غير فردي ولكنما يتقل بالورالة. وبعد انقضاء جيلين تنذكر فحسب التكثيرة المهينة التي يزداد قوة بقدر ماهو غير فردي ولكنما يتعال بالدي يتبي واحدة من آل وسيدوته والأم والمهينة التي الميهينية التي الميهينية التي الميهينية الأل والمية بها المة عربية ولا قرمه من آل وسيدوته ولأخيرة الى الميام ومو كثير، الذي يتبهي به الأمر إلى زواج بين واحدة من آل وسيدوته وأخير المناسة على المناسقة وأخير المناسقة المتحدودة المناسقة عن آل وسيدوته والمناسقة عن آل وسيدوته والمناسطة عن آل وسيدوته والمناسقة عن ألم المناسقة عن آل وسيدوته والمناسقة ع

ولم همدتني والبيرين، عن ورويبر فوريستيه، وهموزان دولاج، فحسب بل روت لي للقائياً، بدافع من واجب المسارة الذي ينشقه تقارب الأجساد في البداية على الأقل وعلى مدى مرحلة أولى قبل أن يولد نفاقاً خاصاً والكتمان حجاه الكائن نفسه، روت والبيرتين، عن أسرتها وأحد أعسام واندريه، قصة سبق أن رفضت في وبالميلث، أن تقول كلمة واحدة عنها، ولكنها كالت تقلن أنه لا ينبغي لها أن بدو وكانها لاتوال تملك أسراراً إلى نوان روت لها الآن أفضل صديقة لها أمراً ما ضدي لوأت من واجبها أن تقله لي وألححت في أن تعود إلى منزلها فلحبت في الدهاية ولكنما بها وجل بثاني من جراء فظاظتي حتى لتضحك أو تكاد لتمذرني، مثلها مثل رئة بيت تذهب إلى منزلها بسترة عادية فقبلك على هذا النحو ولكنما ليس الأمر غير ذي أهمية في انظرة الم

وقلت لها: وأتضحكين؟١

فأجابتي بحنان: المست أضحك، إتّى ابتسم لك، وأضافت قولها: «متى أهود فألقاك؟ و كأنها لانفرّ بأن ماقمنا به لم يكن على الأقل المقدمة لصداقة كبرى، لصداقة سابقة الرجود ومن واجبنا أن نكتشفها، أن نعرف بها وتستطيع وحدما أن تفسر ما انصرفنا إليه، بما أنه بالعادة تتربير لتلك الصداقة. - ويما أنك تأذنين لي بذلك فسأرسل في طلبك حينما أستطيع.

ولم أجرؤ أن أقول لها إنّي أبغي إخضاع كل شيء لإمكان لقاء السيدة ٥دو ستير مارياه .

وقلت لها: دسيتم الأمر على نحو مفاجئ فلست أعلم البتة مسبقاً أنيمكن أن أرسل في طلبك في المساء حينما لا أربط بموعدة ؟

– اسيكون ذلك عماً قليل ممكناً جناً نسوف أنفرد بمدخل مستقل عن مدخل عمتي، ولكن الطريق غير سالكة الآن. سأتي على أيّ حال على سبيل الاحياط في الغد بعد الظهر. لاتسقابلني إلا إذا استطمت ذلك..

وإذ بلغت الباب مئت لمي وجنتها، وقد أدهشها ألا أكون سبقتها إلى ذلك، إذ ترى أن لاحاجة المبتة لرغجة جسدية فظة كيما نتعاق الآن ولما كانت العلاقات القصيرة التي أقدمنا طبط منذ قليل معاً من تلك اللهم تقود إليهها أحياناً ألفة مطلقة واصطفاء قلمي ظنت قالبيرتين؟ من واجبها أن ترجحل وتضيف مؤتتاً إلى القبلات التي تبادلناها فوق سريري الشعور الذي ربما كانت عنواتاً له في نظر فارس وسيّدته على نحو ما يمكن أن يتصرّوها بهلوان قوطيّ.

بعدما فارقتي البيكاريدية الشابة التي كان يمكن أن ينحها على بوابته مثال وسانت آلديه دي شانه جاءتني وفرانسوازه برسالة ماكتني فرحاً إذ كان من السيدة ودو ستير مارياه التي توافق على تناول طعلم الفنداء وأياكي نهار الأربعاء. من السيدة ودو ستير مارياه ، يعني بالنسبة إلى آكثر من السيدة ودرستير مارياه السقيقية، من تلك التي فكرت فيها طوال النهار قبل وصول والبيرين. وقها لخدعة الحبّ الرهية أنه يشرع في حملنا على الملهر مع امرأة ليست من العالم الخارجي، بل مع دمية في داخل دماغناه وهي الوحيدة على أية حال على الملور مع امرأة ليست من العالم الخارجي، بل مع دمية في داخل دماغناه وهي الوحيدة على أية حال التي تظلّ درماً في متناولنا، الوحيدة التي ستكون في حوزتا والتي ربها جعلها احتباط المذكري، ويقارب أن يكون مطلقاً كاحتباط الخيلة، مختلفة عن المرأة المحقيقة انتخلاف ما كان بالنسبة إلى من أمر وبالبياء المنخيلة عن وبالبيك، الحقيقية. وهي خليقة مصطنعة سوف نرغم المرأة الحقيقية شيئاً فنيناً أن تشبهها، والأمر مدعاة لملابانا.

كانت وأليرتين، قد أخرتني إلى حد أن التعنيلية كانت قد انتهت حينما وصلت إلى منزل السيدة ودو فيلباريزيس، ولما تحقيق المرادية ودو فير مانت، والدوق، جلست بانتظار أن أستطيع على الاخبر العظيم، على الدوقة تعللم من الأولى، حيث كانت قد شهد رئيسة البيدة والمعة مدينة القامة في فسطان طويل من السائين الأصغر جلست دونما شك في العمد الأولى مناماً، مهينة واسعة مدينة القامة في فسطان طويل من السائين الأصغر علمة على تحريب من المائين الأحمد والمنافقة على تحريب والمنافقة على المنافقة على جيني (كما كانت عادتها حين كانت تعني أن تفضين) وهي تقول لي: ولا وضعت هيئة واللين والمائين الموافقة على جيني (كما كانت عادتها حين كانت تعني أن تفضين) وهي تقول لي: ولا تعابع طلمائك من أجل ملاقاة السيئة قدو غيرمائت، فقد أضبحت مشعة الأفواة في البيت، وانظر على آية استخر منافه،

فأهقطتني فجأة من حلم لطلول فجاوز مداء كممتّوم مغناطيسي يعيدك من البلاد البعيدة التي تخيلت نفسك فيها ويفتح عينيك من جديد أو كالطيب الذي يركك ليي حس الواجب والواقع فيشفيك من داء وهميّ كنت تنعم بلا في. لقد تمّ تكريس النهار التالي لوداع أخير لذاك الذاء الذي تخليت عنه. وقد أنشدت ساعات على التوالي وأنّا أبكي والوداع، لشويرت:

«الوداع، إن أصواتاً غربية تناديك بعيداً عني باشقيقة الملالكة السماوية».

ثم انتهى الأمر. لقد قطعت طلعاتي في العباح وبيسر بلغ بي أن استخلصت حيناك التوقع الذي ستبين خطأه فيما بعد والذي قوامه أنني سأتعرد بسهولة خلال حياتي ألا أرى امرأة من بعد. وحينما روت لمي فرائسوازه بعدها أن «جوييان»، وغية منه في التوسع، كان بيعث عن دكان في الحيّ، ورغبة مني في أن ألقى له دكانا (بي سعادة كبير كذلك، فيما أسكع في الشارع الذي كنت أسمعه من سمري يضيح أنواراً وكأنه لما شاطع أن أيصر شحت ستارة دكاكين الأليان الصحيفية لمرفوعة بالثمات الحليب الصعيريات فوات الأكمام طابعة أن أيصر شحت المتارة دكاكين الأليان الصحيفية لمرفوعة بالثمات الحليب الصعيريات فوات الأكمام من بعد بهدف لقاء السيدة وغير مات، وخصاله المرأة لتنظ احتياطات لاحد لمها ماطات تنخل حمثيةا فما أن تقطع صلتها به حتى تدع وسائله ميدة وهي عرضة لأن تكشف لزوجها سرّ زلة بلغ بها في النهاية أن تذعر منها في الوقت الذي تكفّ فيه عن اقترافها.

ما كان يمث الذم في نفسي هو أن أعلم أن جميع البيوت على وجه التقريب كان يسكنها أناس تصاه فيهنا لانكف أمرأة عن البكاء لأن زوجها يخدعها. وهناك يقع المكس. وفي مكان آمعر تخالول والله شغها تضميا مربي المراه. تصاه البشرية يكي بكامله. تُصرب ضرباً مربوط على يد ابن سكير أن تعفي عللهها عن أعين البحيران. كان لعمث البشرية يكي بكامله. تُصنعا مو حيثها مؤتها وحيثها مؤتها وحيثها مؤتها الكللك على التها حرما السحادة المشروعة في الميليان ظرفاً ووفاه إزاء أي شخص آخر فيما عدا الزوجة أو الزوجة الوالزوجة أو الزوج كس كانا على حتى حجة إفادة وجهيدانه الأولى مشاويري الصباحية فقد أعلمت أن خيار باحثنا الذي لم يكن يقصل بين مخطه ودكان جهيدانه موى حاجز دقيق جدا كان يزيم أن يصوفه المدير لأنه يضرب ضربات شديدة الصخب. لم يكن بوسع وجوبيانه أن يأمل أفضل من ذلك فقد كان المشمن الذي حدده السيد دوم على حافوت واحد فسيح . أشف أن وفراسوازه أو كان وجهيانه يرى أن الشمن الذي حدده السيد دوم على حافوت واحد فسيح . أشف أن وفراسوازه أو كان ويويان قدمه فيه ويقوم بهام الحاجز ويحصل على حافوت واحد فسيح . أشف أن وفراسوازه أو كان المثمن الذي حدده السيد دوم عربات مرفق عبدا ويسمع بزيارة المكان كي يوافق الموق، وقد نقد الأمل في أن يجد مساجراء على إجراء تحلف باب الدكانه استضرت شركا ينصبه البواب لاجتذاب خطية علام أن وغيرمانت (فسوف يطان فيها خلوا فيها خلوا فيها طوارة أنها باطورة ويوارة ويهانه بالموارة المؤلم المتدرة بركان فيها خلوا فيها خلورة فيها خلورة بالمؤلمة المتدمرت شركا يضعه البواب لاجتذاب خطية خلام أن وغيرمانت (فسوف يجان فيها خلورة غرامية) ونفاجة بها بعد ذلك.

ومهما یکن من أمر، ومع أنّه لم يظلّ لي أن أبحث عن دکان لـ ۵جوبيان۵ فقد واليت المخروج قبل الغداء. وكثيراً ما كنت أثنتني في هذه الطلعات بالسيّد دور نوربوا، وكان يَتفق أن يلقي عليّ، وهو يتحدّث مع زميل له، نظرات تتصرف، بعدما تفحصتني ملياً، إلى محدثه دون أن يكون ابتسم لي أو حيّاني أكثر نمّا لو لم

يعرفني على الإطلاق. ذلك أن النظر بطريقة معينة لدى هؤلاء الديلوماسيين الهامين لايهدف إلى إعلامك . بأنهم أيصروك، بل بأنهم لم يبصروك وأنَّ عليهم أن يحدثوا زميلهم عن مسألة جديَّة. وكان ثمة امرأة طويلة القامة كثيرًا ما التقى بها قرب المنزل وهي أقل مخفظًا معي. فقد كانت تلتفت إليّ، مع أنّي لا أعرفها، وتنتظرني – وعبثاً تفعل– أمام واجهات البائمين وتبتسم لي كما لو تزمع أن تقبلني وتقوم بحركة من تسلم نفسها. ثم تعود فتتخذ هيئة مجافية بتجاهي إن إلتقت بمن تعرفه. كنت أتتقى منذ زمن بعيد في نلك المشاوير الصباحية، وحسبما يقع على أن أفعله، وإن يكن ذلك شراء أكثر الصحف تفاهة، الدرب الأكثر مباشرة دونما أسف إن كان خارج الخطُّ المعتاد الذي تتبعه نزهات اللموقة، فإن كان، على العكس، من ذاك الخطُّ فدونما هاجس ودونما رياء لأنه لم يعد بيدو لي وكأنه الدرب الممتوع الذي أنتزع فيه من ناكرة للجميل منّة أن أراها على الرغم منها. ولكنّما لم يخطر ببالي أن شقائي، فيما يوفر لي إزاء السيّدة ددو غير مانت، موقفاً طبيعياً، سوف ينجز بالتوازي العمل نفسه فيما يخصّها ويضع موضع المكن تودداً وصداقة لم أعد أعيرهما اهتمامي. ولعلّ جهود العالم بأسره التي تضافرت حتى ذاك لتقرّبني منها، لعلها كانت تلفظ أنفاسها أمام السحر البغيض الناجم عن حبّ فاشل. لقد قرّرت جنيّات أكثر اقتداراً من الناس أن ليس من شيء يستطيع في هذه الحالات أن يجيء بفائدة إلى اليوم الذي نكون قلنا فيه بصدق داخل فؤادنا القول التالي: ولست أحبّ من بعده. وكنت قد حقدت على ٥سان لوه لأنه لم يصحبني إلى منزل عمته. ولكنّه لم يكن قادراً أكثر من آخر سواه أن يكسر طوق السحر. فما دمت على حبّ السيلة دوو غير مانت، كانت مظاهر اللطف التي تردني من الأخوين تغمني، وتغمني كلمات المديح، لا لأنها لا تصدر عنها فحسب بل لأنَّها لم تكن تدري بها. ولعلَّ الأمر كان لايجدي على الإطلاق حتى لو علمتُ بها. ولكنّ غياباً والامتناع عن عشاء وتشدَّداً غير مقصود وغير واع إنَّما تفيد حتَّى في تفاصيل المودَّة أكثر من جميع موادّ التجميل وأبهى الأثواب. وربَّما كان ثمة من يبلغون غاياتهم لو تمَّ تعليم فنَّ بلوغ الغاية بهذا المعنى.

حيدما كانت السيّدة دو غيرمانت، عجناز الصالة التي كنت أجلس فيها والفكر مليء بدكرى الأصدقاء اللذي لا أعرفهم والذين ربّما التقتهم بعد قليل في أسية أخرى، أبصرتي على متكبي (أنا اللاسائي الحقيقيّ الذي ما كان بيست إلا عن أن يكون لطيفاً في حين حاولت كثيراً فيما كنت أحبّ أن أتضاء مبية اللاسالاة دون أن أقلع في ذلك ؟ وانسطفت وجاءت إليّ وقالت لي وهي تمود فتلقى ابتسامة أسية الأورا التي لم يعد يمسحوها المنسور المؤلم بأن يعجها من لاغتب، قالت لي وهي ترفع بلطف تتورفها الفسيحة التي كانت شفلت لولا ذلك المنكماً بكاماء:

- الا، لاتزعج نفسك، أتأذن بأن أجلس لحظة إلى جانبك؟١

ولما كانت أطول قامة منّى ويزيدها إلى ذلك كامل حجم فسطاتها، فقد كانت تلاسمنى ملامسة خفيفة أو تكاد بذراعها العاربة الراتمة التي يُعلنُق من حولها زغبُّ لانيصره العين ولايحصى ضباباً دائماً كانّه يُحار مذهب، ويجدلة معموها الشقراء التي كانت ترسل إلىّ والحقها، وما كانت تستطيع، إذ لا مكان لها، أنْ تتفقت إلىّ بسهولة وتتخذ، وقدَّ اضطرَّت أن تنظر أمامها أكثر منها في انجامي، تتخذ هيئة حالمة رقيقة وكانّما في رسم. وقالت لي:

- همل لديك أخبار عن دروبيره؟

ومرَّت السيَّدة ددو فيلباريزيس، في تلك اللحظة.

- دماذا! لقد بكّرت في الجيء ياسيد، وهي مرّة نراك فيها ال

وإذ لاحظت أنني أشخلت مع ابنة شقيقها وريّما افترضت أننا أولق صلات تما تعلم أضافت قولها الأن المساهي الحميدة لذى القوادة هي جزء من واجبات ربّه المنزل؛ :

ولكنّي لا أربد تعكير حديثك مع فأوريان. أفلا تربد المجيء لتناول المغناء معها نهار الأربعاء؟،
 وكان اليوم ذاك الذي ينبغى أن أنعندًى فيه مع السيّدة دور ستير مارياه، فرفضت.

ر عار) --- ي دي --- ي ---- اولهار السبت؟٩ .

ولمًا كانت والدنمي ستمود السبت أو الأحد، فلعلّه كان من قلّة اللطف ألا أمكث كلّ مساء للمشاء معها، ورفعنت إذن مرّة أخرى.

- (آه! لست رجلاً يسهل استقدامه إلى المنزل).

- هلذا لانجيء البقة لزيارتي؟٥ تقول السيّنة دور غيرمانت، بسدما ابتعدت السيّنة دور فيلماريزيس، لتهني الفندائين وتسلّم والصوت الملائكي، طاقة من الورد كلّ ثمنها في البد التي تقدّمها لأنّها لم تكلّف سوى عشرين فرنكا (وكان الشمن على أيّة حال الحدّ الأقصى حين لايتم المناء إلا مرّة واحدة. أمّا المواتي كنّ يتطوّمن في حفلات بعد الظهر والمساء جميمها فتردهن ورود رسمتها بد المركيزة). (من المرجع ألا نلتقي مرّة إلا في منزل الآخرين، وبما أنّك لالهد تناول المشاء مي في منزل عمتى، فلماذا لا يتجيء لتناول المشاء من عني.

ولما مكث بعض الأضخاص أطول فترة بمكنة بناعي حجج، أي حجج، وأخذوا يخرجون في النهاية، وإذ أبصروا النوقة جالسة للتحدّث مع شاب على قطبة أثاث ضيقة حتى لاتتسع إلا لالتين ظنّوا أنه قد أسئ إعلامهم وأن الدوق، لا النوقة، هو الذي كان يطلب الانفصال بسببي . ثم سارعوا إلى نشر هذا الخبر. وكنت أكثر قدرة من أي إنسان على معرقة زيفه. ولكنّما أذهاني أنّ الدوقة، في هذه الفترات الصمية التي يقع فيها انفصال لم يتّم بعد، تدعو من تعرفه معرفة يسيرة إلى هذا الحدّ عوضاً عن أن تنزل. وخامرني شكّ بأنّ الدوق كان وحده من لم يدّد أنّ تستفيلني وأنّها إذّ تهجره الأن لم تعد ترى مانماً في أن عجّيط نفسها بمن يروفونها.

ولعلني كنت دهشت قبل دقيقتين لوقيل لي إنْ السيّدة «دو غير مانت،ونومه أن دسألني المفتي المقائها، وأكثر من ذلك أن أجميء للعشاء. وعيثاً كنت أعلم أن صالة آل وغيرمانت، لايمكن أن توقر الخصائص التي سبق أن استخلصتها من ذلك الإسم فإن الأمر الذي قوامه أنّه حيل دون دخولي إليها جعلني أتسئيلها، حتّى وأنّا متيقن من أنّها شبيهة بجميع الأخريات، مختلفة تماماً إذ يضطرني أن أضغي عليها نوع الرجود نفسه الذي يصير المعالات الذي قرأنا أوصافها في رواية أو رأينا صورتها في حلم ، فقد كان بيغي وبينها الحاجر الذي يتنهي الراقع عنده لقد كان بيغي وبينها الحاجر الذي يتنهي الراقع عنده لقد كان تناول المشاء لدى آل وغرمادت، كالقيام برحلة طال انشهاؤها وتفقيل شوق من دعوات المشاء مواجهة عيني والتعرف بعلم. ولملة كان يمكنني الظن على الأقال بأن الأمر أمر واحدة من دعوات المشاء تلك الذي يدعو إليها أرباب البيوت واحداً لايرغون في إظهاره إذ يقولون له: «تعالى، ظن يكون ثمة قطباً مواناه، ويتظاهرون بعض المبدور والمبدا، وقد ويتظاهرون بعض المبدور والمبدور المبدا، وقد أضحى على المدكس أن أضحى على الدي المبدور المبدا، وقد لدي المبدور المبدور على المدكس أن المبدور على المدكس أن المبدور على المدكس أن المبدور على المدكس أن المبدور على الدي المبدور على المدكس أن المبدور على المدكس أن المبدور على المبدور ال

والجمعة أن تكون حراً، في مجلس صغير؟ فما ألطف ما يكون الأمر. ستحضر الأميرة «دو بارما»،
 وهي فائنة. ثم إثمي لا أدعوك لو لم يكن ذلك للقاء أناس ممتمين».

إنَّ الأسرة الذي تُهجر في الأوساط المجتمعية للتوسطة، الأوساط التي تتنابها حركة صعود مستمرَّة، إنّما تمثل على المكس دوراً هاماً في الأوساط الثابتة كالبورجوازيّة الصغيرة وكأوستفراطية الأمراء التي لانستطيع المبحث عن الارتقاء بما أنّه لاشيء فوقها من وجهة نظرها الخاصة. وإن المؤدّة التي كانت تبديها في «الممتة فيلماريزس» وهوويره ربّما جعلت متى في نظر السيّدة «دو غير مانت، وأصدقائها، وهم يسيئون أبداً على انفسهم وفي عصبة واحدة، موضوع اهتمام فضولي ماكنت أرتاب بأمره.

لقد كانت تعرف أولتك الأقارب معرفة عائلية يومية عادية شديدة الاختلاف عما تتخيل، وإن نحن دخلنا دائرتها فما أبعد أن تُلفظ أعمالنا منها كحبة الرمل من العين أو قطرة الماء من القصبة الهوائية، بل يمكن أن تظلّ متفوشة وأن يُعلق عليها وتروى سنوات أيضا، بعد أن نسيناها نحن، في الفصر الذي ندهش أن تعرف فلقاها فيه كرسالة منا في مجموعة ثمينة من الأقوال المؤقفة.

إن محض أتاس أتيقين يمكن أن يمنعوا بابهم المزدحم جئاً. وماكان ذلك أمر باب آل وغيرمائت، فلم
تكن تتوافر لغرب في يوم تقريباً فرصة المرور أماه. وإذ يفقى مرة وأحدة لدوقة أحد من يشيرون إليه بنلك
الصفة فما كان يخطر لها أن تهتّم بالقيمة المجتمعية التي قد يحسلها معه، إذ هي التي تسنفها ولايمكن أن
تتلقاها. لم تكن تفكّر إلا في صفاته الحقيقية، وقد سيق للسيّدة «دو فيلابونيس» و«مان لوء أن قالا لها أي
أعمّلي بمضهها. ولعلها ما كانت لتصدّقهما دونما رب لو لم تلاحظ أنهما ما كانا يستطيمان البنّة الإفلاح في
إحضاري حينما يشاءان وأن المجتمع إذن ما كان يهمنّي، الأمر الذي يبدو للدوقة وكأنّه الدليل بأنّ أحد الغرباء
يدخل في عداد «الناس المعتمين».

كان ينبغي أن ترى، وأنت تتحلَّث عن نسوة لانتخبُّهنَّ على الإطلاق، كيف يتبدَّل وجهها في الحال إن

⁽١) من أبطال رواية ستاندال الشهيرة La chartreuse de Parme

أنت ذكرت بصدد إحداهن اسم زوجة أخيها على صبيل المثال. كانت تقول بلهجة ناعمة متيقنّة: وآدا إلّها فاتنة، والسبب الوحيد الذي تدلي به في ذلك أن هذه السيّدة وفضت أن يتمّ تقديمها إلى المركبّرة «دو شو ستروة والأميرة «دو سيليستري». ولكنها الانضيف أن هذه السيّدة وفضت أن يتمّ تقديمها لها، هي دوقة «غيرمائت». لقد وقع الأمر مع ذلك، ومنذ ذلك اليوم يعمل فكر الدوقة حول ما كان يمكن أن يجري لدى السيّدة التي يصعب التعرّف بها. كانت تتعرّق شوقاً إلى أن تُستَّيْل في منزلها. فإن أهل المجتمعات قد تعودوا أن يسمى الناس إليهم إلى حدًّ يبدو فيه من يتهرّب منهم وكأنه طائر المنقاء ويستحوذ على اهتمامهم.

فهل كان الدافع الحقيقي لدعوي في ذهن السيدة دو غير مات، (منذ لم أهد أحيها) أتني لا أسعى إلى وبهما يكن من أمر، نقد كانت تودّ، بعدما قررت أن تدعوني، أن تكرمني بأفضل ما كان في منزلها، وأن تبعد من رئما استطاعوا من بين أصحابها أن يحولوا دون أن تكرمني بأفضل ما كان في منزلها، وأن تبعد من رئما استطاعوا من بين أصحابها أن يحولوا دون عوزيه بأولك اللدين تعلم أنهم مزعجون، ولم أدري إلى ما أردٌ تغيير طريق الدونة حينما وأبتها تنحرف عن مسيرتها الكركيّة وتقبل لتجلس بالقرب مني وتدعوني إلى العداء، والأمر تتبجة أساب مجهولة، فأنت لغياب مسيرتها الكركيّة وتقبل لتجلس المبارة على الدونة - كأنهم مسيرتها الكركي فينا إلا في المحلفات القليلة التي يقونينا فيها. ولكنّ هذا النسيان المثال الذي تنعمر أنهم بهنموننا فيا اعتباطي على الإطلاق حتى إن اعتمرة في مكون العراق الذي يشبه سكون ليلة جميلة ملكات المجتمع من انتفاضة تكثر أو المنافقة عيال من فرق، وكأنا فيزك يحصل اسمنا منفوشاً وكناً طناء مجهولاً في الزُمرة أو «كأتما فيزك يحصل اسمنا منفوشاً وكناً طناء مجهولاً في الزُمرة أو «كأتسا فيرك يحمل المهنا مثوشاً وكناً طناء مجهولاً في الزُمرة أو «كأتسا فيرك يحمل المهنا منفوشاً وكناً طناء مجهولاً في الزُمرة أو «كأتسا فيلاً».

وربّما قالت السيدة «دو غير مانت» أحياناً حيدما كانت ببحث، على غرار أمراء فارس اللين كانوا يأمرون، حسبما ورد في «كتاب إيستره، أن تقرأ عليهم السجادّت التي دوّلت فيها أسماء الذين أبدوا من بين أتراعهم غيرة عليهم، تبحث في لائحة من كانوا حسني النوايا، ربّما قالت عتّي، «واحد صوف نطلب إلية إن يجيء للمضاء». ولكنَّ أفكاراً أخرى شردت بهها.

(إن الأمير حينما ينحاط باهتمامات صاخبة

إتما ينجرف باستمرار إلى أغراض جليدة)

حتى اللحظة التي لهتني فيها وحيدًا شأن دمردخاي، على باب القصر ؛ وإذ أنمشت رؤيتي ذاكرتها فقد. إبتنت، شأن دأحشورش، أن تضمرني بعطاياها.

على أنه ينبغى لي أن أقول أن مفاجأة من نوع معاكس كانت تزمع أن تلى تلك التي أصابتني حيدما دعتني السيّدة «دو غير مانت». ذلك أنّي لما وأيت أكثر قضناعاً فيما ينتصنّني وأوفر استناناً ألا أخفى هذه المفاجأة

 ⁽١) Cassiopée من الأساطير اليونائية، زوجة دسيفي، ووالمنة وتمدروسيد، أثارت نحنب الآلهة فانشلبت مجموعة تجمية تخمل هذا
 الاسم.

الأولى وأن أبالغ على العكس في التعبير عمًا كان بها من أمر مفرح، فقد قالت لي السيّدة ٥دو غير مانت٥٠، وكانت تستعد للذهاب إلى أمسية أخيرة، قالت بما يقارب أن يكون تبريراً وخشية ألا أكون علمت تماماً من كانت كي أبدو بمثل تلك الدهشة أن تتم دعوتي إلى منزلها: وتعلم أني عمة وروبير دوسان لوه وأنه سبق على أيّ حال أن تلاقينا هناه. وإذ أجبت أتني أعلم ذلك، أضفتُ أنني أعرف كذلك السيّد «دو شارلوس، الذي سبق أن كان شديد اللطف معي في «بالبيك» وباريس». وبدت الدهشة على السيّدة دور غير مانت، وبدت نظراتها وكأنَّها تعود، فيما يشبه التحقَّق، إلى صفحة أكثر قدماً في الكتاب الداخلي. اعجباً! أو تعرف وبالاميد؟٥. ويكتسب هذا الاسم في فم السيَّدة دوو غير مانت، حلاوة عظيمة من جرًّاء البساطة غير المتعمَّدة التي كانت تتحدّث بها عن رجل لامع إلى هذا الحدّ ولكتُه بالنسبة إليها لايعدو كونه صهرها وابن العم الذي نَشَكت معه. كان اسم «بالاميد» هذا يضفي على العتمة الغامضة التي تمثُّلها في نظري حياة دوقة «غير مانت» ما يشبه ضياء آيام الصيف الطويلة التي لعبت فيها فتاة وإياه في الحديقة في «غير مانت». أضف أنَّ «أوريان دوغير مانت؛ وابن عمَّها (بالاميد؛ كانا في هذا الجزء من حياتهما الذي انقضى منذ زمن بعيد شديدي الاختلاف عمَّا أصبحا عليه مذ ذلك، ولاسيَّما السيَّد «دو شارلوس» وقد انصرف بكليَّه إلى ميول فنَّية أفلح في كبحها فيمابعد إلى حدّ أتى ذهلت أن أعلم أن المروحة الضخمة ذات السوسن الأصفر والأسود والتي تبسطها الدوقة في هذه اللحظة قد رسمتها يداه. ولعلَّه كان يمكنها أيضاً أن تريني «سوناتا» صغيرة كان قد أَلْفُها فيما مضى من أجلها. كنت أجهل تماماً أنَّ للبارون كلِّ هذه المواهب التي لم يكن يتحدّث عنها البئة. ولنقل إذ نحن بهذا الصدد أن السيَّد دو شارلوس، لم يكن مغتبطاً أن يُدعى في أسرته دبالاميد،. ولعلَّه كان من الممكن أن للرك أنَّ الأمر فيما يخصُّ دميميه، ما كان ليروقه. فهذه الاختصارات النبيَّة دليل على قلَّة الإدراك الذي تبديه الأرستقراطيّة خجاء شاعريتُها الخاصة (ولليهوديّة قلّة الإدراك نفسها بما أن أحد أبناء شقيق عقبلة دروفوس ايسرائيلوه، وكان يدعى «موسى»، كانوا يسمُّونه عادة «مومو») وعلى اهتمامها في ألوقت نفسه الأتبدو وكأنَّها تعلَق أهميَّة على ماكان أوستقراطيًّا. غير أن السيَّد دو شارلوس، كان يملك إزاء هذه النقطة خيالاً شاعريًا أوسع وبيدي اعتزازاً أكبر. ولكنّ السبب الذي يجعله قليل التذوق لـ «ميميه» لم يكن ذلك بالضبط بِمَا أَنَّهُ كَانَ يَشْمَلُ ايضًا اسم «بالاميد» الجميل. والحقيقة أنَّه كان يودِّ، إذَّ يحكم ويعلم أنّه سليل أمراء، لو يقول عنه شقيقه وزوجة أخيه: ٥شارلوس، كما كان بوسع الملكة دماري اميلي، أو دوق وأورليان، أن يقولا عن أبناثهما وأحفادهما وأبناء أشقاتهما وأشقائهما: ﴿جوانفيل ونومور وشارتر وباريس،

وصاحت قاتلة: دأي شكتم هو دسميه هذا! لقد حلكناه عنك حديثًا طويلاً فقال لنا إله سوف بسعاه أشد السعادة أن يتعرف بك، كما لو أنه بالضبط لم يرك في يوم. هيا اعترف أنه غريب الأطوار وآله بين السحن والنحن على شيء من الجون، وليس من التلطف في شيء فيما يخصني أن أقول ذلك عن شقيق لزوجي أعشة وأنا معجمة بعظيم قدره.

ودهشت أيّما دهملة لهذه الكلمة التي تلصق بالسيّد دور شارلوس، وقلت في نفسي إنَّ بعض الجنون هذا ربّما أوضح بعض الأمور، كأن يكون بدا على سبيل المثال شديد الاغتباط لعزمه أن يسأل وبلوك، ضرب والمدة. وانتبهت إلى أن السيّد دومشارلوس، كان على بعض الجنون لامن جرّاء الأشياء التي كان بقولها فحسب، بل من جرّاء الطريقة التي كان يقولها بها. فحيدما تسمع للمرّة الأولى محامياً أو ممثّلاً، تدهشك لهجهما المختلفة عن الحديث. ولكنك إذ تين أن الجميع يجدون الأمر طيبياً جدًا لا تقول شيئاً للآخرين ولا تقول شيئاً لنفسك وتكتفي بتقدير درجة الموهة. وأكثر ماهنالك أن تظنّ فيما يخص محفّلاً من فرقة المسرح الذربيّ: «الماذا أثول فراء» المؤومة بحركات صغيرة متقطّة تتطلّها غرات راحة على مدى عشر دقاق على الأقل عوضاً عن أن يدعها تهوى الاهار فيها وليما يخص أضال الابوري» «الماذا أصدر، ما أن فتح فاه، هذه الأصوات للأسابية غير المنتظرة ليقول أبسط الأموراك ولكتما الإيسدمك الأمر بما أن الجميع يسلمون به قبلاً. كذلك كنت تقول في نفسك، بعد فمكره، إنَّ الديد دو شارلوس، يتحدّث عن نفسه بأسلوب مفحم وبلهجة ليست المؤدة، ولم أنت وقع إلى هذا العداكة ولكنما كان يبدو أن الجميع قد سلموا ضمناً بأنَّ الأمر حسن هكنا. فكنت تدخل طنة الذين كانوا يهالموان له في كل دقيقة، أنه كان سيخيل لغرب في بعض الأحيان أنَّه يسمع معموماً أضغاً في الصراع.

وعادت الدوقة تقرل بالوقاحة الطفيفة التي تتضاف لديها إلى البساطة: وولكن، هل أنت على تمام اليقين من أنك لاتخلط وأنّك تتحدّث بالضبط عن صهري وبالاميده؟ فمهما شفف بالأسرار فإن الأمر بيدو لي مبالغاً فيها...»

فأجبت أنَّى على أتمُّ اليقين وأن السيَّد ٥ دو شارلوس٥ لابدُّ أساء سماع اسمى.

وقالت لمي السيّدة دور غير مانت، بما يشبه الأسف: ٥-سن! إثني أتركك. بينغي أن أذهب مقدار ثانية إلى منزل الأسيرة دووليتي، ألا تذهب إلى هناك الا، لست عجب عالم المجمعات؟ إثلك على أتم العنّ، فذلك تملّ. لو لم أكن مازمة، ولكنّها ابنة حمّي، وما ذلك بلطيف: إتّي آسف بمافع الأنانيّة، من أجلي أنا، فقد كان يسمني أن آخذك في عربتي وحمّى أن أعيدك. إلى استودعك إذن، واغتبط لنهار الجمعة،

لابأس أن يكون السيّد دود شارلوس، خمجل منّي في حضرة السيّد ددار جنكورة فأمّا أن ينكر على شقيقة زوجته، وهي هجمل أرفع فكرة عد، أنه يعرفني، والأمر طبيعي إلى حدّ بعيد بما أني كنت أعرف عمّته وابن أهميه مماً، فللك مالم يكن يسمني إدراكه.

وسأختم ذلك بقولي إن السبكة ١٤ وغير مانت؛ كانت تتحلي من وجهة نظر معينة بسمو حقيقي قوامه أنه تعلمس طمساً كلياً كل مالمل غيرها ما تناساه إلا جوائياً فحي لولم تلقني في يوم أطارهما وآلاحقها واقتفي أتارها في نزهاتها الفسباحية، حتى لو لم تردّ على غيبتي اليوسة بنفاد صبر حائق ولم تزجر في يوم ١٠٠٤ لوء حانان لوء حيدما توسل إليها أن تدعوني، ماكان وسمها أن تسلك معي سلوكاً أكثر نبلاً وأوفر لطفاً فطرياً. فلم تكن لتستوقفها استفسارات تتناول الماضي وتلميدات وابتسامات غامضة وإضمارات فحسب، ولم تكن تملك في لطائفها الراهنة، ودونما عود إلى الرواء، دونما مخفظ، شيئاً بمثل اعتزاز واستقامة قامتها المهيبة فحسب، بل كانت المأتخذ التي أمكن أن تأخذها على أحدهم في الماضي تستحول بكليتها وماذاً والرماد نفسه يلقى به يعيداً عن ذاكرتها أو على الأقل عن مسلكها إلى حد أتك لو نظرت إلى وجهها في كل مرة وقع لها أن تعالج جداً عن ذاكرتها أو على الأقل كن كثيرين غيرها حجةً لبقايا جفاء وصنوف ملامة لأحسست بما يشه

عملية تطهير.

ولتن دهشت للتبدّل الذي نمَّ في داخلها إزائي فكم كانت دهشتي أعظم أن أجد في داخلي بدلاً إيزاهما أعمق بكثير! أقلم تكن ثمة فترة لاتمود فيها إليَّ الروح والقوة إلاَّ إذا بحث، وأنا أعدَّ على الدوام مشروعات جديدة، عمن يجعلها تستقبلني ويوفر بعد هذه السعادة الأولى صنوفاً أخرى كثيرة من السعادة لفؤادي الذي يزداد تطلبًا؟ أمَّا ماحلمني على اللهاب إلى «دونسيير» للقاء دسان لوه فاستحالة أن أجد شيئاً. أما الآن فمن جراء النتائج الناجمة عن رسالة منه أراني مضطرب النفس، ولكن بسبب السيَّدة «دو ستير ماريا» لابسبب السيَّدة «دو غير مات».

ولنضف، بغية أن نأتي إلى ختام هذه الأمسية، أنه جرى فيها حادث كذب بعد بضمة أيام ولم تنقطع دهشتي حياله وقد أثار الخلاف بيني وبين «بلوك» بعض الوقت وهو يشكّل في حدّ ذاته واحداً من هذه التناقضات الغربية التي سنجد تفسيرها في نهاية هذا المجلد(١). لم يكف وبلوك؛ إذن في منزل السيدة ودو فيلباريزيس، عن الإشادة أمامي بمظهر اللطف لدى السيّد دو شارلوس، الذي كان حيدما يلتقيه في الشارع ينظر في عينيه وكأنَّه يعرفه، كَأَنَّه يتوق إلى التعرَّف به، ويعلم تمام العلم من هو. وابتسمت لذلك بادئ الأمر إذ سبق لـ «بلوك» أن تخدَّث في «بالبيك» بكثير من العنف بحقُّ السيَّد دو شارلوس، نفسه. وظننت فحسب أنَّ (بلوك) كان يعرف البارون (دون أن يعرفه)، على غرار والده بالنسبة إلى (بيرغوت)، وأنَّ ما كان يعدَّ نظرة لطيفة كان نظرة ساهية. ولكنّ «بلوك» بلغ في النهاية حدّاً من الإيضاحات الدقيقة وبدا متيقناً أن السبّد «دوشارلوس» ودّ مرتمين أو ثلاثاً أن يبادره بالحديث إلى حدّ أنّى افترضت، وقد تذكّرت أنّني رويت عن رفيقي للبارون الذي طرح على بالضبط في عودتنا من زيارة لدى السيَّدة دور فيلباريزيس، أسئلة مختلفة حوله، أن «بلوك» لم يكن كاذباً وأنَّ السيّد ودوشارلوس، عرف اسمه وأنّه كان صديقي، إلخ. ولذلك فقد طلبت بعد وقت يسير من السيّد ددو شارلوس، في المسرح أن أقدم له «بلوك، وذهبت في طلبه بناءً على موافقته. ولكن ما أن أبصره السيد «دوشارلوس» حتى ارتسمت على محيَّاه دهشة كتمها في الحال وحلَّ محلَّها غضب متطاير الشرر. فلم يمدُّ لـ «بلوك» يده، وليس ذلك فحسب بل أجابه في كلِّ مرَّةٌ وجَّه هذا الأخير الكلام إليه بلهجة يشوبها أشدَّ الوقاحة وبصوت غاضب وجارح. حتى إن «بلوك»، ولم يكن البارون قد قابله حتَّى ذاك، فيما يقول، إلا بالابتسامات، ظنّ أنّى لم أوص به بل أسأت إليه في ألناء الحديث القصير الذي كلمت فيه السيد «دو شارلوس»، وأنا عارف بميله إلى الرسميّات، عن رفيقي قبل أن أصحبه إليه. وغادرنا «بلوك» منهكا كمن شاء أن يعتلي صهوة حصان يوشك دوماً يجمح، أو أن يسبح بعكس أمواج تردك دون انقطاع إلى رمال الشاطئ، ولم يعد يكلمني طوال منة أشهر.

لم ثلاً لمي الأيام التي سبقت عشائي مع السيَّدة «دو مشير ماريا» بل كانت لاتطاق. ذلك أنه كلّما كان الوقت الذي يفصلنا عماً نقصد إليه قصيراً بعامة كلّما بدا طويلاً لأنّنا نطيّق عليه مقايس أكثر قصراً، أو تحض

 ⁽١) القسم الأول من كتاب وسادوم وعامورته لأن هذه المؤلف كان يسوي في الطبئة الأصافية وجانب غير مانت؟٥ ووسادوم وعامورة١٥.

أتنا نفكر في قيامه. إنَّ البابوية فيما يقال خمس بالقرون بل هي ربّما لاتفكّر في الحساب لأنَّ غايتها تمتّد إلى مالانهاية. ولما كانت غايتي على مسافة ثلاثة أيّام فحسب فقدكنت أحسب بالتواني وأنصرف إلى تلك المنكلات التي هي بدايات مداعبات، معاجات بير حقك أن لا تستطيح حمل المرأة نضها على انجازها (تلك المسلمات بالفنبط دون الأعزبات جميعها، وخلاصة القول إن من صبح بمائة أن صموبة بلوغ موضوع رغبة ما إنّما تتميق (الصحوبة لا الاستحالة لأنَّ علم تفضى عليها، فإن البقين، فيما يتملّ برغبة جسنية محضة، بأنّها ستحقى في قدت قريب ومحدد ليس أقل إلازة من الشك، فإنَّ غباب الشك إنّما بجمل انتظار الملكة الواقعة لا محالة أمراً لايطاق، مقدار ما يفعل الملك القاني تقرياً، لأنَّ النباب إثما يجمل من ذلك الانتظار الملكة الي شرائح دفيقة على نحو ما قد يفعل القلق.

إنّ ما كان يازمني هو امتلاك السيدة ودرستير مارياة فعنذ عدّة أيام كانت رغبائي قد أعدّت، بنشاط لاينقطع، تلك المتمدة في عيالي، تلك المتمه وحدها. وما كانت سواها (المتمة مع أخرى غيرها) لتكون جاهزة، إذ المستمد لاينقطع، تلك المتمد لاتعدر كونها مخقيق شهوة سابقة ليست على الدوام واحدة وهي تتغير وفق آلاف المرجات في الأحلام ووصادافات التلك كور وحالة المراجات في الرأحات التي يستريج آخر ما تحت تلايف منها إلى أن تتتسى خصوصية ؛ وكان لايد لمي، بغية تمثي موحد أخر، أن أعود أدراجي من مكان قصي لأدرك الطبيق الرئيسي وأتحد درياً أحير أن المراجات المائة العربية بعدي المراجات المناع فيها، تلكم كانت المحمد المناع المين الرئيسية المين الرئيسية المين الرئيسية المين الرئيسية المين المراجسية والمين المراجسية بعدن المين المراجبة المين وفق المناه المين المراجبة المين وفق للك الجورة بدون المراقد المين المراجبة المين وفق للك الجورة بدون المراقد المين المين المراقد المين الم

وليس من شك أنَّ جريرة الغابة قد سبق أن بدت لي، قبل أن اتسلم رسالة هسان لوه بفترة طوبلة وحين لم يكن الأمر بعد أمر السيئدة ادر سبق أمن ي لأنطوق لم يكن الأمر بعد أمر السيئدة ادر سبق أمن ي لأنطوق له يها حزيق الأم يوجهنا على ضفاف المبحرة التي يقها حزيق الأمين أن تمرّ بنا المائية المائية المائية على امتفاف المبحرة التي تقودنا إلى تلا للم يتم على امتفاف المبحرة التي القودنا إلى تلا يكن المنتفرة على امتفادها في أسابيع المقدم الأخيرة، نهيم أملين أن تمرّ بنا الفتاة التي وقعنا في حجيا في أخير حفلة واقصة من العام والتي لن يسحنا من بعد أن نقاها عائبة في أية أمسية قبل الربيع القادم، إذ لا نعلم من بعد أنين للتقيها، بل إن لم تكن يسحنا من بعد أن نسبر على حالة المائه المرتصف المنافقة على المنافقة على المنافقة عن المنافقة عن المنافقة عن استدارتها، في خلك المسلك المجملة حديدة مناكسة لخدعة تلك المنافق المنتفق الأضافس الشمعية الأمامية محت استدارتها،

تضغي على اللوحة الخلفية المرسومة مظهر المعنى والحجم العندًا ع، لاتعلم عينانا، إذ تتقلان دون تمهيد من الروضة المزروعة إلى المرتفعات الطبيعية المائدة لـدمودونه وجبل الخاليريانه، أبن تضمان حدودا والمنحلان السعول الحقيقية ضمن أعمال المستنة فتقلان إلى ماخلف حدودها ذاتها متعنها الصنعية، وهو شأن تلك الطيور النادرة التي تنشأ طليقة في حليقة ابات والتي تمضي كلّ يوم على هوى نزهاتها المجنحة فضع حتى قلب الأحراج المجارة لونا عميلة. وإنها التطوف بقلق، بين آخو احتفالات الصيف رفرية الشناء، في هذه في قلب الأحراج المجارة المخالفة المتجارة إلى تكثير بما لو المملكة النيالية للقامات غير المؤكمة وكايات الغرام ولعله لن يدهشنا أن نقع خارج العالم المجراتي أكثر بما لو تتواكم السحب من حوله وبرز على السماء الزرقاء تم لنا في دفرساكيه في أعلى الشرقة، مقال المؤمنا على هذا المقرب المائح تعارج الطبيعة، أن القرى، في المكان الذي تعود تلك المطبيعة فيما في ما محاله المحالفة الكبرى، تلك القرى التي لا نقوى على تميزها في الأفق لعود تلك الطبيعة فيناً فيه من ميزه أو ونهيئة.

وبعدما تمر آخر عربة، حينما نشمر شعوراً مؤلاً بأنها لن ججيء من بعد، نمضى للمناء في الجزرة.
وفوق أشجار الصفصاف المرتصفة التي تذكر إلى مالانهاية بأسراو الساء أكثر عا تشكل جواباً لها، تضغى صحابة
ورفية لونا أخيراً من الحياة في السماء الساكنة. ورشقط بعض قطارات من المطر دونما ضبعة فوق الماء العتيق
الذي ظل أبداً، في طفولته الرائمة، على حاله بالأصم والذي ينسى في كل لحظة صور السحب والأرهار وبعد
الذي ظل أبداً، في طفولته الرائمة، على حاله بالأصم والذي ينسى في كل لحظة صور السحب والأرهار وبعد
الذي ظل أبداً، في طفولته الرائمة، على حاله بالأصم والذي يتكنيف ضياء ألوانها، يقبل ضباب فيفمر
الجزيرة التي تففو. وتشره في العشمة الرطبة على امتداد الماء، وأكثر مافي الأمر أن تدهشك خطوة تم يمرّ هادئا
طلحاً في سرير ليلي عبنا طفل تنفحان لحظة وإنتسانه وماكنت غضبه مستيقظاً. حيثة نود لو تصحيف حبية
وعلى نحم يتزايد بمقدار ما تلفي نفسك وحيداً وبسمك الطنّ بالذي بيد.

ولكن، كم كنت أزماد سعادة، في هذه الجرورة التي كثيراً ما يضموها الفنباب حتى في الصيف، أن أصطحب السيدة ودوسير مارياة الآن وقد حلَّ الفصل المشؤوم، وقد حلَّ آخر الخريف! ولو لم يجعل الطقس المساقد منذ نهار الآخد، لو لم يجعل بعضره المناطق التي يعيش فيها خيالي غائمة بحرية حثاما تجملها فصول أخرى معطرة منورة إيطالية لكن كان ألما في امتلال السينة ودو ستير مارياة بعد بعضة لمَّام كانا ليمة عقرين المراحة حتى فوق باريس لم يكن يلاكرني على أية حال دون انقطاع بمصقط رأس الإمرأة الماية التي أقدمت المراحة حتى فوق باريس لم يكن يلاكرني على أية حال دون انقطاع بمصقط رأس الإمرأة الماية التي أقدمت على دعوتها فحسب، بل لما كان من المرحة أنّه سيضم المنابة في المساء وهو أشد كثافة منه في الملينة، ولاسيما على ضفة البحرية، والفنهاي أبنا في نظري إحاطة الراء بطيف اليم ما يقرب من جيرة الإبريتانيه المناب مرحمة المناب في سني يهم كنت أقوم بنزهاتي في جنب وميز يكلون في المناب وميز يكلون في جنب وميز يكلون ألما المناب من مؤمن المناب في خيل من أجيل من مناب المختلف المنقبة ولكن من المنتقد المناب المناب المناب في مناب نوم كنت الأمر بالمناب المنقبة الى المام شيء وملب، وهو ما كنت تبحث عنه وبيد بكل المناب والمناب المناب ومناب ومناب ومناب ومناب وهو ما كنت تبحث عنه . وبدأ بالمنتقاد المتلاشي، م يقوم مقام المحصول عليه ولو كان ذلك لقاء خداءة مديئة أيما يعني الثوب، في غياب الاعتقاد المتلاشي، ما يقوم مقام المحصول عليه ولو كان ذلك لقاء خداءة معتند أيثما يعني الزب، في غياب الاعتقاد المتلاشي، ما يقوم مقام المحصول عليه ولو كان ذلك لقاء خداءه ميتلغ أيا عني الاعتقاد المتلاشي، ما يقوم مقام المحصول عليه ولو كان ذلك لقاء خداءه ميتلغ أيا عني الاعتقاد المتلاشي، من المناب الاعتقاد المتلاشي، ما يقوم مقام الما

هذا الأخير بوساطة وهم متعمد. كنت أعلم نعام العلم أثني لن ألفى دبريتانيه، على مسافة نصف ساعة من يبتي. ولكني سوف أفعل وأنا أعانق أثناء النزهة السيدة دورستير مارياا في ظلمات الجزيرة على ضفاف الماء، سوف أفعل ما يفعله أخرون ثمن لايستطيعون الدخول إلى دير فيلبسون امرأة قبل امتلاكها ثوب الراهبات على الأقلَّ.

كان بوسمي حتى أن أمني النفس بسماع بعض ثرثرة الموج برفقة المرأة الشابة لأن عاصفة هبّت عشية
دعوة العشاء. وكنت آخلة في حلاقة ذقتي للذهاب إلى الجزيرة بنية حجو الحجرة (على الرغم من خلو الجزيرة
في هذه الفترة من العام وإقفار المطمع) وتقرير أطباق الطعام لعشاء الغد عندما أتبائي وفرانسوازه بقدوم
واليرين؛ وأمرت بأن تدخل في الحال، غير علمي بأن تراني يقبحي ذقن أسود، تلك التي ما كنت أجداني
يوماً في وبالبيك؛ على جمال كاف بالنسبة إليها والتي كافتني أتنافا ما تكلفني السيّدة (دو ستير مارياه الأن
من منطبراب ومفقة. كان يهمني أن تحمل هذه الأخيرة أفضل أنطباع ممكن عن سهرة الغد ولذلك سألت
وأبيرين، أن توافقتي في المحال حتى الجزيرة كي تساعدني على وضع لائمة الأطباق. إن التي نمنحها كل
شيء سرعان ما نعل أخرى محله حتى المجبرة كي تساعدني على وضع لائمة الأطباق. إن التي نمنحها كل
شيء سرعان ما نعل أخرى محلها حتى لتمجب أن نهب مالدينا من جديد وفي كل ساعة دون أمل في
من المستقبل وبدا وجه والبيرين؛ المذوق المؤرد عنت قبمة عرفية تدخف بل يحد كبير حتى لتحجب المبين، بها
نفسي ارتباط كان مقاصدها كانت مخطفة، وقد ضحت بها يسر على أنج حال من أجلي فبخت في
نفسي ارتباط كريرا لألتي كنت أعلن الكير من الأهمية على أن أصطحب رئة منول شابة تعرف أفضل متى
بكير كيف توصى على طعام العشاء.

والأكيد أنها كانت قد مثلت بالنسبة إلى أمراً مختلفاً تمام الاختلاف في «بالبيك» . ولكن الفتتا، حتى حينما نحكم أنها ليست حيتك كافية الرفاقة، بامرأة نهيم بحبها إنّما تشوي بينها وبيننا، على الرخم من النواقس التي تعليبا أقداك، روابط اجتماعية نظل قائمة بعد حيناً وحتى بعد ذكر حيناً. حيتك يدهشنا وبسلينا، في التي لم تعد بالنسبة إلى الكائن الآخر الذي سبق أن كتاه بالأس، بمقدار ما يتم لنا إن انتبهنا، بعدما تلقي إلى غرب بالنسبة إلى الكائن الآخر الذي سبق أن كتاه بالأس، بمقدار ما يتم لنا إن انتبهنا، بعدما تلقي إلى الحوذي بعنوان في جادة «الكيوشيات» أو جادة «للمرة» فيما نفكر فحسب بالمرأة التي نومع أن نلقاها فيهما، أن هذين الأسمين كانا فيما مضى اسم الراهبات الكيوشيات اللوابي يقوم ديرهن هناك واسم الزورق الذي كان يعير فهر «السين» .

صحيح أن أشواقي في «بالبيك» كانت قد أنضجت إلى أبعد الصدود جسد «البيرين» وراكمت فيه مذاقات لدية وطبة حتى أني كنت أقول في نفسي، أثناء مشوارنا في الفاية، وفيما كانت الربع، شأن بستاني دقيق في عمله، تهوّ الأشجار وتسقط الشمار وتكنس الأوراق الياسة، إلى ربما حدّمت لـ«البيرين» موعداً في المساد نفسه وفي ساعة متأخرة إن اتفق أن كان «سان لوه مخطئاً، أو كنت أسأت فهم رسالته فلا يفتني بي عشالي برفقة السيّدة «دو متير ماريا» إلى شيء، وذلك كي أنسى على مدى ساعة غرامية بحجة، وأنا أسلك بين فراعي الجسد الذي سبق أن خمّن فضولي بالأمس وراز جميع صنوف القتنة التي يزخر بها الأن بإنفمالات بين فراعي الحب هذه للسيّدة «دو متير ماريا» وريما صنوف كربتها. وصحيح أأنني لو أمكنني افتراض أن السيّدة

ه دو ستير مارياة لن تمرّ على بأي شيء في هذه الأمسية الأولى كنت تمثلت سهرتي وإياها على نحو مخيبً للاتمال إلى حدّ ما. كنت أعلم بالتجربة أنم ألعلم كيف أن المرحلتين اللتين تعاقبان داخلتا في بدايات العب هذا لامراة المشتهيناها دون أن نعرفها إذ أحبينا فيها الحياة النخاصة التي تضعرها أكثر منها ذاتها وهي لاتزال مجهولة لدينا تقريباً – كيف أن هالين المرحلتين تتحكمان انمكاماً غربياً في مجال المرتائع، واعني لإعلى ما بعد بل في مواهدنا ممها. لقد تردّدنا، دون أن نكون شختنا إليها في يوم، وقد وقمنا في إغراء الشعر الذي تمثله في نظرنا فهل تكون هي أو أخرى غيرها؟ فاذا بالأحلام تستقر من حولها ولا توأف من بعد إلا شيئاً وإحداً معها.

ولابدً أن يعكس أوّل موعد معها هذا الحب الوليد. ولايتُم شيء من ذلك، وكما لو كان من الضروري أن تكون للحياة المادية أيضاً مرحلتها الأولى فائنا نتحلُّث إليها، وقد أحبيناها مذ ذلك، أنفه الحديث: ولقد طلبت إليك المجيء للعشاء في هذه الجزيرة لأتني حسبت أن الموقع سيروقك. وليس لدى على أي حال أمر خاص أقوله لك. ولكنَّى أخشى أن يكون الطقس رطباً جداوان يصيبك البردة .- ولا، لا.٠ - وتقولين ما تقولين تلطقاً. إنَّى أسمح لك ياسيَّدتي أن تكافحي البرد ربع ساعة أيضاً كي لا أشيع الضيق في نفسك، ولكنَّى سوف أعيدك بالقوَّة بعد ربع ساعة، فلست أريد أن تصابي بزكام. ونعيدها دون أن نكون قلنا لها شيئاً ولا نتذكر شيئًا منها، أو على الأكثر طريقة معينة تنظر بها، ولكننا لا نفكرٌ إلا في لقائها ثانية. بيد أن المرحلة الأولى، في المرة الثانية (وما عدنا نلقى حتّى النظرة، وهي الذكرى الوحيدة، ولكنّنا لانفكر من بعد على الرغم من ذلك – بل وأكثر بكثير من ذي قبل إلا بلقائها ثانية) قد تم تجاوزها. ولم يجر شيء في غضون ذلك. بيد أتَّنا نقول، عوضاً عن أن نتكلُّم عن أسباب الراحة في المطعم، نقول، دون أن يدهش الأمر المرأة الجديدة التي نراها قبيحة ولكننا نودٌ لو يحدَّثونها عنا على مدى كامل دقائق حياتها: ٥-وف يقع علينا أن نفعل الكثير كي نتغلب على سائر العقبات المراكمة بين قلبينا. أنظنيننا نفلح في ذلك؟ وهل تتصوّرين أننا سنستطيع أن نقهر اعداءنا وأن نأمل مستقبلاً سعيداً؟؟ على أن هذه الأحاديث المتعارضة التي لاطائل مختها بادئ الأمر والتي تلمح بعد ذلك إلى الحب لن تجري وكان بوسعي أن أصدق في ذلك رسالة دسان لو، فالسيدة ددوستير ماريا، سوف تسلم نفسها منذ أول مساء ولن تلح بي الحاجة إذن إلى استدعاء «ألبيرتين» إلى منزلي يمثابة أسوأ حل لنهاية السهرة. كان ذلك غير ذي جدوى وما كان هروبير، يبالغ قط ورسالته واضحة.

كانت والبيرونين، قليلة الكلام إذغستي مشغول البال. وقمنا ببضع خطوات سيراً على الأقدام داخل المشارة المحضوضرة التي تقرب أن تكون بسوية لدوحة كثيفة كنًا نسمع الربح تصف بقبتها وترشها بالملر. وكنت أدوس الأوراق اليابسة التي تتغرس في الأوض مثلما الأصداف وأدفع بعصاي كستناء شائكة كوخويات الأخينوس.

كانت الأوراق الأخيرة المقبضة فوق الأغصان لاتتبع اليج إلا بقدر طول معلاقها، ولكنها كانت تهوي أحياناً على الأرض إن انقطع فتلحق بها جرياً. وكنت أفكر بسرور إلى أي مدى ستضحى الجزيرة في غد، إن دام هذا الطقس، أكثر بعداً ومقفرة إقفاراً كلياً في جميع الأحوال. وعمنا فصعدنا إلى العربة، ولما كانت المصفة قد هدأت سألتنى وألبيرتين؛ أن أتابع السير حتى دمان كلوه. وكمثل الأوراق اليابسة على الأرض كانت المدحب في السماء تميم الربح . كان ثمة عيات مهاجرة، يكشف ضرب من القعلع الخروطي في السماء عن تناضياها الرودي والأزوق والأعضر، قد جهزت تماماً للانطلاق إلى مناخات أكثر صحواً. وكيما تبصر والأبين عن كلب إلهة من المرم كانت تندفع من قاعلتها وتملاً، إذ هي وحيلة في حرج كبير بيلو وكليما كرس لها، تملأ ذلك العرج بالرعب الأساطيري الذي نصفه حيواني والنصف مقدس والنبث من وثانها العنيفة، كيما تبسو بالرهاء أما أحولات المنافقة المنافقة المنافقة على الدرب. كانت تبنو بدرهاء إما أحوالات مكلنا من أسقل، ولهنات من بعد سمينة بدينة شأنها على سريري في ذلك الموم الذي تظهر فيه هيبات عنقها لمكلنا وكانها تشال صغير حافقت عليها لحظات وبالميافة السيمية غذبتها الرقيقة وحينما عنت فيو دينا أن المرب أن المنافقة عليها لمنافقة والميروث ولي أنافذي بعد الخد لدى السيمة وغير مائنة، وأن أذكر أن أجيب عن رسالة لد وجيليرت، وهن ثلاث نساء كنت أحبتهم، قال إلى حب كبير، ولكنما لم يخطر لمي أنه قد يعنى الن ثب فيها حاجننا إلى حب كبير، ولكنما لم يخطر لمي أنه قد يفي الن أن بالمنافقة الم مخطر أن المنافقة الم مخطر أن المنافقة الم منطل أن يشت فيها حاجننا إلى حب كبير، ولكنما لم يخطر لمي أنه قد يفي الن إم بادئ الأم.

وفي الند كان الطفس بارداً وصحواً: كنت محس الشناء (وكان في الواقع شديد التسبيق حتى ليبدو من قبيل الأعجوبة إن كذًا استطمنا أن نلقى في الغابة المخربة بعض القباب التي من أخضر ذهبيٌّ)، وأبصرت. وأنا أستيقظ، وكأنما من نافذة ثكنة ودونسيير، الضباب الكامد المتساوي الأبيض يتدلَّى بمرح في الشمس متماسكاً ناعماكالسكر المغزول. ثم اختفت الشمس فتكاثف أيضاً بعد الظهر. وحلَّ الليل في ساعة مبكرة فقمت بارتداء ملابسي ولكنّ الوقت كان لايزال مبكراً جداً للذهاب. وقررت إرسال عربة للسيدة ددو ستير مارياه . ولم أجرؤ على الصعود إليها كيلا أرغمها على قطع الطريق برفقتي، ولكنَّي سلَّمت الحوذيُّ «كلمة» لها أسألها فيها إن كانت تأذن بأن أجيء لاصطحابها وبانتظار ذلك استلقيت على سريري وأطبقت عيني لحظة ثم عدت فقتحهما من جديد. لم يعد ثمة فوق الستائر سوى حاشية دقيقة من الضوء آخذة في الإظلام كنت أستبين هذه الساعة اللا مجدية، دهليز المتمة العميق، التي تعلمت في «بالبيك» كيف أتعرف فراغها العاتم اللليذ حينما أشاهد، وأنا وحيد في غرفتي شأني الآن، وفيما الآخرون جميعهم على مائدة العشاء، أشاهد دون اغتمام احتضار النهار فوق الستائر وأعلم أنه يزمع عما قليل، وبعد ليلة قصيرة قصر ليالي القطب، أن ينبعث أشد "سطوعاً في لألاء "دريفييل، فأقفز من سريري وأعقد ربطة عنقبي السوداء وأمرّر الفرشاة في شعري، وهي آخر حركات في ترتيب متأخر أقوم بها في البليك، وأنا أفكر لا في بل في النساء اللواتي سأشاهدهن في • ريفبيل، فيما كنت ابتسم فهنُّ مسبقاً في المرآة المائلة في غرفتي، وقد ظلت تلك الحركات لذلك العلامات التي تبشر بلهو تمتزج فيه الأضواء والموسيقي. فكانت شأن علامات سحرية توحي به بل مخققه مذ ذاك، ويتجمع لديٌّ بفضلها فكرة مؤكدة عن حقيقته واستمتاع مسكر طائش في مثل نمام ويقين ما كان يتجمع لديّ في اكومبريه، في شهر تموز حينما أسمع ضربات مطرقة حازم المتاع واستمتع في برودة غرفتي السوداء بالدفء والشمس.

ولم تعد السيَّدة (دو ستير ماريا) لذلك، لم تعد شماماً من لعلني كنت أتوق إلى لقائها. ولعلنَّى كنت

أفضلٌ وأنا مضطرٌ الآن لقضاء سهرتي معها، وإذ كانت تلك آخر سهرة لي قبل رجوع والديّ، أن تظلُّ حرة وأن يمكنني محاولة لقاء نسوة من «ريفبيل» مجدّداً. وعدت ففسلت يديُّ مرّة أخيرة ونشفتهما، أتناء الجولة التي كان السرور يحملني على القيام بها عبر الشقة، في قاعة الطعام المظلمة. وبدت لي مفتوحة على الردهة المضاءة، ولكنَّ ما أخلته على أنه الشتى المضاء في الباب الذي كان على العكس مغلقاً لم يكن سوى انعكاس منشفتي الأبيض في مرآة وضعت بمحاذاة الجدار بانتظار أن توضع في مكانها من أجل عودة أمي. وعدت بالفكر ثانية إلى جميع ضروب السراب التي سبق أن اكتشفتها على هلما النحو في شقتنا والتي لم تكن خدعاً بصريّة فحسب، ذلك أنه خيل إليّ في الأيام الأولى أن جارتنا تملك كلبًا من جراء النباح المتطاول والبشريّ تقريبًا الذي تعوَّده أنبوب في المطبخ في كل مرة يفتح فيها صنبور الماء. وما كان الباب المطلّ على صحن الدرج ينغلق من تلقاء ذاته ببطء شديد على إثر تيارات الهواء في الأدراج إلا بأداء نتف الجمل التي تنضح شهوة وشكوى والتي تنضاف إلى نشيد جوقة الحجاج في نهاية افتتاحية «تانهويزو» (١١). وقد سنحت لي الفرصة على أية حال، بعدما قمت باعادة منشفتي إلى مكانها، أن استمع ثانية إلى هذه المقطوعة السمفونية الرائعة، إذ جريت بعدما دوّت رنّة جرس لأفتح باب الردهة للحوذيّ الذي يحمل إليَّ الجواب. كنت أحسب أنَّ الأمر من هذا القبيل ؛ (إن هذه السيَّدة في الأسفل»، أو «هذه السيَّدة تنتظرك؛ ولكنَّه كان يمسك رسالة بيده. وتردُّدت لحظة في الإطلاع على ماسطَّرته السيَّدة ٥دو ستير ماريا، التي كان يمكن أن تكون على غير هلم الصورة مادامت الريشة في يدها ولكتها الآن، وقد أفلتت منها، مصير يوالي طريقه وحده ولاتستطيع أن تبدُّل شيئًا فيه من بعد. وطلبت من الحوذي النزول والانتظار لحظة على الرغم من تذمَّرة من الضباب وما أن انصرف حتى فضضت المغلف. وعلى البطاقة كانت مدعوتي الفيكونتيسة «أليكس دو ستير ماريا، قد خطت: «إتّي مفتمة. ثمة ظرف طارئ يحول دون عشائي هذا المساء برفقتك في جزيرة الغابة. كنت مغتبطة بذلك. سوف أكتب إليك مطوّلاً من «ستير ماريا» إليك أسفى ومودتّى، وظللت لاحراك بي وقد أذهلتني الصدمة التي أصبت بها. كانت البطاقة والمغلف قد سقطا على قدميّ كحشوة سلاح ناري بعدما تنطلق القذيفة. ولممتهما وحللت تلك الجملة اتقول لي إنَّها لاتستطيع تناول العشاء معي في جزيرة الغابة،. فيمكن أن نستخلص من ذلك أنَّها قد تستطيع العشاء معي في مكان آخر. لن أتطفل فأمضى لاصطحابها، ولكنَّما يمكن في النهاية فهم الأمر على هذا النحوة ولما كان فكري قد أقام سلفاً منذ أربعة أيام في جزيرة الغابة هذه مع السيَّدة وهو ستير ماريا، فلم يكن بمقدوري أن أفلح في إعادته منها. كانت، رغبتي تتخذ غير متعمدة المنحدر الذي سارت عليه منذ العديد من الساعات، وعلى الرغم من تلك البرقية، وهي أقرب عهدأمن أن تقوى عليها، كنت أستمدُّ تلقائياً للذهاب مثلما يودّ تلميذ راسب في امتحان أن يجيب عن سؤال آخر إضافيّ. وانتهى بي الأمر أن أقرّر الذهاب لأقول لـ وفرانسواز، ان تنزل وتدفع للحوذيّ. واجترت الممرّ وإذ لم ألقها مررت في قاعة الطعام. وفجأة كفت خطاي عن الضجيج فوق الأرضية الخشبية مثلما سبق أن فعلت حتى ذاك وخرست بلقها صممت خلف في نفسي حتى قبل أن أتعرف سببه شعوراً بالاختناق والاحتجاز. كان ذلك السجاد الذي شرعوا يثبتونه بالمسامير من أجل عودة والذيُّ، هذا السجاد الشديد الجمال في الصبيحات السعيدة حينما تتنظرك الشمس عبر

⁽١) مسرحية غنائية شهيرة لـ٩فاعنر٥.

تبحثره شأن صديق جاء ليصطحبك إلى غداء في الريف، وشحلاً فوقه نظرة الغابة، ولكنّه يمثل الآن على المكس أوّل خجهيز للسجن الشتائي الذي لن أستطيع من بعد مفادرته بملء الحرية فيما أزمع أن أعيش فيه وأتناول طعامي فيه مع أسرتي مرغماً. وصاحت بي «فرانسواز» :

- وفيلمترس ميدي من السقوط فأنّه لم يسمر بعد. كان بنيغي أن أوقد النارء فاتنا في آخر وأبلول.». وقد انقضت أيام الصحوء.

عما قليل يحل الشتاء، وفي زاوية النافذة عرق من الثلج المتصلب وكأنما على زجاج من «غاليه». وحتى في محلة والشائوبليزيه، ليس سوى عصافير الدوري عوضاً عن الفتيات اللواتي تنتظرهنّ.

ما كان يزيد من كانيني ألا ألقي السيدة ودو ستير مارياة أن جوابها كان يحملني على الظنّ بأنها لم
تفكر دون شكّ مرة واحدة بذلك المشاء فيما لم أعش منذ يوم الأحد إلا من أجله ساعة فساعة. وقد علمت
فيما بعد أنها أقدمت على زواج حبّ لايصدق بشاب لابد أنها كانت تلتفيه في تلك الفترة وقد أساما دونما
خلك دعوتي. ذلك لاكّها لو تذكرتها انتظرت دون بيب المربة التي ما كنت أزمه أن أبعت بها إليها على أية
خلل دعوتي. ذلك لاكّها له به كيما تخطرني بأنها لم تكن غير مرتبطة بموعد. كانت أحلامي، أحمام عفراه
إقطاع في جزيرة ضباية، قد أفسحت الطريق لحبّ لم يكن بعد قلقماً، وكان باستطاعة خبية ألمي الأن وحقي
ورغيتي الباشة في استمادة تلك التي أقدمت على استبعادي، كان باستطاعتها، وقد أشركت بالأم مضاعري،
أن تثبت العب الممكن الذي كان محض خيالي حتى ذلك قد قدمه لمي ولكن على نحو أقل تماسكا.

كم من وجه فتاة وامرأة شابة يعمر ذكرياتنا، وأكثر منها في زوايا النسيان، وكلها مختلفة ولم نضف البها محراً وروايا النسيان، وكلها مختلفة ولم نضف المها محرواً إلى لقاتهن إلا أنهن تهين في آخر لحظة! أما فيما يحص السيدة «دو ستر ماريا» فالأمر أكثر بكثير وكان يكفني الآن كيما أحبها أن أعود فالقاما كي تتجد تلف المداع المقارف بغير ذلك القصر والتي ما كانت الذاكرة لتقوى لولا ذلك هلى الاحتفاظ بها في المنهاب. وقد قضت الطروف بغير ذلك فلم أرها ثالية ما كان بالأمكان أن تكون هي. وإن من بين ما جعل الحب الكبير الذي كنت وشيك الوقوع فيه أكثر ما يكون قسوة أن قلت في نفسي، وأنا أقذكر هذه الأمسية، إنه كان يمون على بمكن، لو تبلك فلو بسير ماريا، فلم يكن إذان، وقد نصب على تلك التي وقد نصب على تلك التي وحت إلى به بعد ذلك بقليل، لازما أورماً مطلقاً ومقدر الوقوع كما لعلني كنت راغاً إلى تصديقة.

كانت «فرانسراز» قد تركتني وحدي في قاعة الطعام وهي تقول لي إتي مخطع إن مكتت فيها قبل أن توقد النار. لقد ذهبت لإعداد المضاء، ولقد بدأت عزلتي حتى قبل وصول والديّ وعند هذا المساء. ولهت رزمة منحمة من السجاد لاتوال ملفوقة وقد وضعت في زاوية الصوان فأخفيت رأسي فيها أبتلع غبارها ودموعي، شأي شأن اليهود اللين كان يغطون رؤوسهم بالرماد أيام الصاد، وطفقت انتحب. كنت أرتشش لا من جرّاء أدّ ألصحرة كانت بارة فحسب، بل لأنّ انتخاضًا حراياً هاماً ولا نحول مقاومة خطره، بل ربما ابني أن نقول اللذة الطفيقة الناجمة عدى إنما شبه بعض دموع تنهم من عينيا قطرة فقطرة مثل مطر خفيف نفاذ شئيد البرودة يبدو وكأنّه لايوم أن يوقف في يهم، وسمعت فيئة صوتاً يقول: - اهل أمتطيع الدخول؟ قالت لي اقراتسوازه إنك لايد في قاعة الطام. لقد جت استطلع إن كتت لاتود أن تذهب لتناول العشاء مما في أي مكان، وإن كان ذلك لايؤديك إذ الضباب كثيف حتى لتقطعه بالسكت.».

وكان ٥روبير دو سان لوء، وهو وصل في الصباح في حين كتت أظنّه لايزال في المغرب أو في عرض البحر. لقد قلت رأبي في الصداقة (وكان اروبير دو سان أوا بالضبط هو الذي مدّ أي يد العون رغماً عنه لأعبى ذلك): ومفادء أنَّها أمر زهيد إلى حدَّ أنَّه يعسر عليٌّ إدراك أن يكون رجال على شيء من النبوغ من أمثالٌ دنيتشه، قد بلغوا من السذاجة أن يخصوها بقيمة فكرية وأن يمتنعوا بالتالي عن صداقات لاصلة لها بالتقدير الفكري. أجل لقد أدهشني أبدأ أن أرى أن رجلا كان يبلغ بالصراحة مع ذاته حدّ الانقطاع عن موسيقي وفاغر، بداع من رهافة الوجدان قد تصوّر أنَّ الحقيقة يمكنَّ أن تتحقق في صيغة تعبير هي غامضة بطبيعتها وغير ملائمة وقوامها أعمال على وجه العموم وصداقات على وجه الخصوص وآته يمكن أن تكون ثمة دلالة، أيَّة دلالة، في أن يترك المرء عمله ليذهب للقاء صديق ويبكى معه إذ يحاط علماً بنبأ حريق «اللوفر» الكاذب لقد بلغ بي في الباليك، أن أرى متعة اللهو مع فتيات أقل شؤماً على الحياة الروحية، وإنها لتظل على الأقلِّ غريبة عنها، من الصداقة التي ينصرف كامل جهدها إلى حملنا على التضحية بالجزء الوحيد الحقيقي الممتنع على التواصل (بغير وساطة الفن) من ذواتنا لصالح وأناه سطحية لانجد كتلك الأخرى مسرة في ذاتها بل مجّد تأثراً غامضاً في الإحساس بأنها تستند إلى ركائز خارجية وتستريح في شخصية غربية تبث منها، وقد أسعدتها الحماية التي توفر لها هناءها استحساناً وتستعجب من صفات لعلها تدعوها عيوباً لديها ومخاول إصلاحها. وإن مزدري الصداقة ليستطيعون على أيَّة حال، يستطيعون دون توهِّم لا دون وحز ضمير، أن يكونوا أفضل أصدقاء في العالم مثلما يهب فنان يحمل في ذاته وائعة فنية ويحس أن واجمه يقتضيه أن يعيش ليعمل، يهب على الرغم من ذلك، وكي لايدلو أنانياً أو يقع له أن يكونه، حياته في سبيل قضية لاطائل تحتها ويهمها بشجاعة تتزايد بمقدار ما كانت الأسباب التي ربعاً فضل ألا يهبها من أجلها أسباباً متجردة. ولكن أيا كان رأبي في الصداقة، حمَّى إن لم أتخدث إلا عن المتعة التي كانت توفرها لي وهي من نوعية ضحلة حتَّى لتشبه ما كان واقعاً بين التعب والملل، فليس من شراب، مهما يكن مشؤوماً، إلا ويستطيع أن يضحى في بعض الساعات ثميناً مشجعاً إذ يجيئنا بضربة السوط التي كانت ثلزمنا وبالحرارة التي لا نستطيع أن نجدها في ذواتنا.

وما أبعد ما كنت بالحقيقة عن أن اينني سؤال وسان لوه ، مثلما كنت راخباً في ذلك قبل ساعة، أن يهيئ على السيدة ودو ستير مارياة يهيئ لي لقاء جديداً مع نسوة وريفييله ، فالأخدود الذي خلفه في نفسي أسفي على السيدة ودو ستير مارياة كان يرفض أن يمحى بهله السرعة ، ولكنما حين لم أعد أحس في نفسي أيّا من أساب السمادة كان دخول وسان لوه بعثاية جلول لطبية ومرح وحياة كانت خارج فاتي دونما شكّ ولكنها كانت تفتم نفسها ولابني إلا أن تكون في. ولم ينرك هو نفسه صيحة استاني ودموع تأثري. فهل هنالك ما كان أكثر مودة على نصر مفارق على أيّ حال من واحد من هؤلاء الأصدقاء ويبلومائياً كان أو مكتشفاً أو طياراً أو جناباً شأن ما كان أو مكتشفاً الرطان، والله . وكانهم بهضمتون وسان لوه ، الذين يبدون، وهم يمودون في الفد إلى الريف ومن هناك إلى حيث بعلم الله . وكانهم بهضمتون لأنفسهم السهود التي يكرمونها لنا انطباعاً يدهندنا أن يستطيع، لندة ندرته وقصره، أن يلد لهم إلى هذا الحد، وأن نزاهم لإيطيلون فيه أكثر من ذلك أو لا يجتدونه مرات أكثر بما أنه يروقهم إلى هذا الحد، وأن نزاهم لإيطيلون فيه أكثر من ذلك أو لا يجتدونه مرات أكثر بما أنه يروقهم إلى هذا الحد، يتناولونه معناء وهو أمر طبيعي جدأء إنما يولي هؤلاء المسافرين المتعة الغربية واللذيذة نفسها التى توليها شوارعنا لأحد الأسيويين. وذهبنا سوية لتناول طعام العشاء، وفيما كنت انتحدر على الأدراج تذكرت «دونسيبر»، حيث أكن قد عدت إلى التفكير بها قطَّ ولم تكن في الفندق الذي كان ٥سان لوه يتعشى فيه بل في آخر أكثر اتضاعاً بكثير وهو وسط بين الفنادق والنزل العائلية وتقدّم الطعام لك فيه صاحبته وواحدة من خادماتها. وكان الثلج قد أوقفني هنالك؟. ولم يكن «روبير» يزمع في ذلك المساء أن يتناول المشاء في الفندق فلم أشأ أن أمضى إلى أبعد من ذلك. وحملوا إلى الأطباق إلى فوق حجرة صغيرة كلُّها من خشب. وانطفأ المصباح في أثناء العشاء فأشعلت لمي الخادمة شمعتين. أما أنا فقد تظاهرت بأني لا أرى بوضوح تام وأنا أمد إليها قصعتي فيما كانت تضع فيها البطاطا فأخذت ساعدها العاري بيدي وكأنما لأرشدها. وإذ رأيت أنها لاتسترده قمت بمداعبته ثمَّ شدتها إلى كليا دون أن أتبس ببنت شفة وأطفأت الشمعة وقلت لها حيتلذ أن تفتشني كي تخصل على بعض المال. وبدا لي في الأيام التي تلت أن المتعة الجسدية تقتضي، كيما يتم تلوقها، لاتلك الخادمة فحسب، بل حجرة الطعام الخشبية المعزولة تماماً. بيد أتني إنّما عدت في كلّ مساء إلى حجرة الطعام التي كان «روبير» وأصدقاؤه يتعشون فيها، بداعي العادة، بداعي الصداقة وذلك حتى رحيلي من «دونسيير» على أنى لم أعد أفكر منذ فترة طويلة حتى بذلك الفندق الذي كان يحل نزيلاً فيه مع أصدقائه. إننا لانفيد من حياتنا وندع الساعات التي بدا لنا أنه يمكن لقليل من الراحة أو المتعة أن يحتبس فيها، ندعها غير مكتملة في سويعات الشفق في الصيف وفي ليالي الشتاء المبكرة. ولكن هذه الساعات لاتذهب هدراً. فحينما تصدح لحظات جديدة من المتعة، وقد تنقضي على نحوها وفي مثل نحولها وخطيتها، تقبل لتحمل إليها قاعدة ارتكازها وتماسك جوقة غنية من الذكريات، وتمتد هكذا حتّى واحد من صنوف السعادة النموذجية التي لا نلقاها إلا بين حين وآخر ولكنَّها تستمرُّ في البقاء ؛ وفي المثال الراهن كان قوام الأمر التخلِّي عن الباقي كلُّه لتناول العشاء في إطار مربح يتضمن بفضل الذكريات داخل لوحة طبيعية وعوداً بالسفر، برفقة صديق سوف يحرُّك حياتنا الرآكدة بكلُّ طاقته وكلُّ مودَّنه وبيعث في نفسنا متعة تهزُّ مشاعرنا وهي شديدة الاختلاف عن تلك التي يمكن أن ندين بها لجهدنا الخاصّ أو لصنوف من اللهو الاجتماعي. وسوف ننصرف إليه وحده ونبثه عهود الصداقة التي ربما لم يبر بها بما أنّها ولدت ضمن قضبان هذه الساعة وستظل حبيسة داخلها، ولكتّي كنت أستطيع أن أبثها دون توجس لـ ٥سان لو، بما أنّه سيكون قد رحل في الغد بشجاعة يداخلها الكثير من الحكمة واستشفاف أنَّ الصداقة لايمكن أن تتعمق.

ولئن كنت أعيش ثانية عشيّات «دونسيير» فيما أنحدر على الأدراج فإن الليل المطبق، حينما بلغنا المجادة، الليل الذي بدا فيه الضباب وكأنه أسلقاً المصابح التي ما كنت نميزها، وهي ضعيفة جناً، إلاَّ عن قرب شديد قد رقني إلى ما لست أدري من وصول في المساء إلى «كومبريه» حين لم تكن المدينة منارة بعد إلا على مسافات متباحدة ويتلمس المرء طريقه فيها عبر عتمة مذود رطبة دافقة مقدّسة ترصمها ههنا وهناك، ولاتكاد فتيلة مصابح لا يسطع أكثر بما تفعل شمعة. ولكن أية فروق بين عام «كومبريه» هذا، وهو غير محدّد على أي حال، وحثيات «ريفبيل» التي عدت أراها منذ قليل فوق الستائر! كنت أحس في ترائيها لي حماسة كان يمكن أن تكون خصبة لو أتني بقيت وحدي وكانت جنبتي على هذا النحو عطفة العليد من السنوات اللا

مجدية التي أزمع المرور بها قبل أن تظهر بوادر هذه الموجبة الخيرة التي يؤلف هذا الكتاب قسيّها، ولو انتقى هذا الأمر في ذلك المساء لحق أن تظلّ هذه العربة جديرة بالذكرى في نظري أكثر من عربة الدكتور و بير سبيهه التي سبق أن ألفت على مقعدها وصفاً صغيراً لقباب أجراس ومارتفيل عسب بالضبط أن عثرت عليه منذ وقت قلبل مضمى ورتبته وبعثت به، وعبثاً فعلت، إلى صحيفة الدهفياوه - أفالأتنا لا نعيش ثانية سنى عمرنا في تسلما المستحر وبوما إلر يوم بل في الذكرى التي تسمرت في برودة أو إشماس صباح أو مساء وامتذ عليها ظلّ موقع، أي مرقع، متعزل سجين أسوار ثابت جاهد قصي بعيد عن كل عاهدا، وأن الديلات المتنزوع عليها غلل مود لاشعوري عنها معنا أساد والمنات المتطورة التي قادتنا علي نحو لاشعوري عنوالد عنه ؟ فإن عشنا ثانية ذكرى أعزى تقطعها من سنة مختلفة عبر الدواء من ربزاء لفرات ومساحات شاسعة من الديان ما يشبه الهورة الناجمة عن فإن الارتفاع وما يشبه عبد المنات المناجمة عن فإن الارتفاع وما يشبه تنول مناجراً وشائع من يين الذكريات التي توقع من عامري عن ه كومبريه و ودونسيره ودونسيره أكثر من فاصل الزمن، كنت أحس بالمسافة التي يصمكن أن تقوم بين أكوان مختلفة ليست المادة فيها واحدة. ولو شمت أن أصاى في مؤلف المادة التي يسمكن أن تقوم بين أكوان مختلفة ليست المادة فيها واحدة. ولو شمت أن المادي في مؤلف المادة التي كانت أدفه ذكرياتي تبدو لمي مقوشة فيها لايني لي أن أجل عرفة وردية في المادة التي كانت أشعه ذكرياتي تبدو لهي مقوشة فيها لايني لي أن أجل عرفة وردية في المادة التي كانت أنته دكرياتي تبدو لهي مقوشة فيها لايني لي أن أحمل عرفة وردية في المادة التي كانت شعبه حدى ذلك مسخر ه كومبريه الرماني القائم القامي في أن أحياها فيأة مادة خفافة مراسمة باردة وزنة.

ولكن «ووبيره لحق بي في العربة بعدما انتهى من تزويد الحوذي بايضاحاته. وفرَت الأفكار التي تبدّت لمي. فتلك آلهات يتنازل أحياناً ويظهرن لأحد الفائين المترحدين في عطفة طريق وحتى في غرفته أثناء نومه حين يقفن بالباب ويحملن إليه بشارتهن. ولكنّهن يختفين ما أن نضحى النين فالناس إن اجتمعوا لايشهدونهن المبته والفيتي أرتد إلى الصداقة.

كان « رويره قد حذري لدى وصوله أنَّ الفياب كنيف، ولكه لم يقتأ يزداد كافة فيما كنا تتحدّ.
فلم يعد ذاك الضباب الخفيف الذي تمنيت أن أراه يتصاعد من الجيرة وبلفنا أنا والسيّدة دوستير ماوياه
فلمصابيح كانت تنطقع على خطوتين ويحل الليل إذ ذاك حالكا حلكة وسط الحقول أو في غابة أو بالأحرى
في جزيرة غير متماسكة من مقاطعة «بريتانيه، كت وددت لو أهمب إليها، وأحسستي ضائعاً وكأنما على
شاطع بحر شمالي تواجه لملوت فيه حشرين مرة قبل أن نصل إلى نزار منفرد. وأحد الفنهاب يضحى، وقد كفّ
شاطع بحر شمالي تواجه لملوت فيه حشرين مرة قبل أن نصل إلى نزار منفرد. وأحد الفنهاب يضحى، وقد كفّ
من كونه سراياً نبحث عنه، واحداً من تلك الخاطر التي نكافحها حتى أننا واجهنا لنجد طريقنا ونصل إلى دار
الأمان والمصاحب والقلن ومن ثم الفرح الذي يوليه الأمان – وما أبعده عن إحساس من ليس مهدداً بفقدانه
الأمان والمصاحب والقلل ومن شيء واحد أوشك أن يوري بهجتي في أنناء رحلتنا الملكي بالأعطار بسبب
خلمسافر الحاكر المبلل الذهن شيء واحد أوشك أن يوري بهجتي في أنناء رحلتنا الملكي بالأعطار بسبب
إطلاقاً إلى هذا الحد وآلك ترى له بعض جواب سوقية، وخلص يقول قول الزاضي عن نفسه بلهجة لاتقبل
الجواب: هذه حالي، أبي أحب المواقف الواضعة، لقد أصابي الدهراء، فلم تلاني عطلقة إلى أبعد حد
الجواب: هذه صحبته فحسب. وقد خانها بما قاله لـدايلوكه، ولكنما بنا لي إلى ذلك أنه كان لابد له
يمكن أن يبلغ بالتهليب حدّ مجانبة الصراحة بعض الشيء فهل كان مظهره المظفر المظهر الذي تتخذه لنخفي
يمكن أن يبلغ بالتهليب حدّ مجانبة الصراحة بعض الشيء فهل كان مظهره المظفر المظهر الذي تتخذه لنخفي
يمكن أن يبلغ بالتهليب حدّ مجانبة الصراحة بعض الشيء فهل كان مظهره المظفر المظهر الذي تتخذه لنخفي

بعض الارتباك إذ نبوح بأمر نعلم أنه ما كان يتبغي لنا أن نفعله؟ وهل كان يعرب عن شيء من اللاتفدير؟ عن غباء يضع موضع الفصيلة عبياً ما كنت أعرفه لديه؟ عن نوبة غضب عابرة علىّ تدفعه إلى هجري أم تسجيل نوبة غضب عابرة إزاء دبلوك، وقد شاء أن يقول له أمراً مكدّراً وإن أدَّى إلى الأساءة إلى ؟كان وجهه على أيّ حال، وهو يقول تلك الأقوال التافهة، يند به التواء رهيب لم أبصره لديه سوى مرَّة أو مرتين في الحياة وكمان يتبع بادئ الأمر منتصف الوجه تقريهاً فاذا بلغ الشفتين لواهما فأضفى عليهما تعبيراً بشعاً من السفالة وما يقارب الحيوانية العابرة والموروثة دون شكّ عن الأجداد. كان لابدّ أن يتم في تلك اللحظات التي لاتعود دون شك سوى مرَّة كل سنتين احتجاب جزئي لأناه الخاصة بمرور شخصية أحد الجدود عليه وانعكاسها فيه. وكلمات الروبيرة : الذي أحبُّ المواقف الواضحة، كانت تفضى إلى الربية نفسها وربما استوجبت، لابد في ذلك، الملامة نفسها التي تستوجهها هيئة الرضى لديه. كنت أودَّ أن أقول له إنَّه ينبغي، إن أحببنا المواقف الواضحة، أن تنتابنا موجات من الصراحة فيما يتعلّق بنا وألا نبدي من سهل الفضيلة على حساب الآخرين. ولكن العربة كانت قد توقفت أمام المطعم الذي كانت واجهته العريضة المزججة المتوهجة تفلح وحدها في اختراق الظلمة. والضباب نفسه، من جرّاء الأضواء المربحة في الداخل، كان بيدو حتّى الرصيف وكأنما يدلك على المدخل بغيطة هؤلاء الخدم الذين يعكسون نفسيات سيدهم ؛ كان يتقزح بأكثر الألوان لطافة ويشير إلى المدخل مثل العمود المضيء الذي قاد العبرانيين. وكان الكثير منهم على أي حال بين الزبائن، ذلك أنّ * وأصدقاءه صبق أن جاؤوا على مدى فترة طويلة يلتقون في المساء وبهم نشوة صوم يجوعهم بقدر ما يفعل الصوم الطقسي الذي لايحل على الأقل إلا مرّة في العام، صوم عن المقهى، وحبُّ استطلاع السياسة. ولما كانت كل إثارة ذهنية تخلف قيمة تفضل سواها وميزة فاثقة للمادات التي تتعلق بها فليس من ميل على شيء من القوة إلا ويؤلف على هذا النحو من حوله مجتمعاً يوحده ويكون تقدير الأعضاء الآخرين فيه هو التقدير الذي يسعى إليه كلّ منهم أوّل ما يسعى في الحياة. وإنّلُ لتجد هنا، حتّى في مدينة ريفية صغيرة، عشاقاً يهيمون بالموسيقي ؛ فهم ينفقون أفضل الوقت لليهم وأكثر ما لهم في حفلات موسيقي الحجرة، وفي الاجتماعات التي يجري الحديث فيها عن الموسيقي، وفي المقهى الذي يلتقى فيه الهواة فيما بينهم ويجلسون جنباً إلى جنب مع الموسيقيين. أمّا غيرهم فعشاق طيران وهمهم أن يحسنوا في عين خادم البار المزجج وقد جثم في أعلى المطار. وسيستطيع هنا وهو بمأمن عن الربح، وكأنما في قفص منارة زجاجي، أن يتابع برفقة طيار لايطير في هذا الوقت مخركات قائد طائرة يقوم بدورات عمودية حول ذاته فيما قام آخر، وكان لايرى قبل لتحظة، بالحط فجأة على الأرض والارتطام بها محدثاً الضجيج الضخم الذي لجناحي طائر الرخ. إن الجماعة الصغيرة التي كانت تلتقي لتجهد في استمرار الانفعالات الخاطفة الناجمة عن محاكمة وزولا، وتعميقها كانت تعلق كذلك أهمية كبرى على هذا المقهى. ولكنّ النبلاء الشباب الذين كانوا يؤلفون القسم الآخر من الزبائن لم يكونوا ينظرون إليها بعين الرضى وقد اتخلوا لأنفسهم قاعة ثانية في المقهى مفصولة عن الأخرى بمحض ساتر خفيف تزينه الخضرة. كانوا يعدون ودريفوس، وأنصاره خونة على الرغم من أن أبناء هؤلاء النبلاء الشباب أنفسهم، بعد خمسة وعشرين عاماً وبعدما اتسع الوقت لتحلُّ الأفكار في مراتبها ولتتخذ االنزعة الدريموسية، في التاريخ شيئاً من الأناقة، أبناءهم البارعين في الرقص ذوي النزعة البلشفية لابد سيعلنون وللمنقفين، الذين يسائلونهم أنّهم لو عاشوا في ذلك الزمان لكانوا بالتأكيد إلى جانب «دريفوس، دون أن يعلموا عن جوهر القضية ما يجاوز كثيراً ما يعرفونه عن الكونتيسة وأدمون دو بورتاليس، والمركيزة دو غاليفيه،

وهمامن أسجاد أخرى انطفات يوم مولدها. ففي أسسية الضباب هذه كان نبلاء المقهى الذين سيصبحون فيما بعد آباء هؤلاء المثقفين الشباب المدونغوسيق النزعة بانتجاء الماضي لايزالون ضباناً. صحيح أن عائلات الجمعيع كانت تتطلع إلى زواج غني، ولكنه لم يكن بعد قد مخقق لأحد. كان ذاك الزواج الذي الذي يلدي يشتهيه كثيروك في الآن نفسه ولايزال بعد في دنيا الاحتمال، (صحيح أن هناك علة دورجات زيادتا مرتقبات ولكنّ عدد الباتات الضخمة أقلّ بكثير من عدد المرشحين) كان يقف عند حدّ إلارة بعض التنافس بين هؤلاء الشبان.

وقد شاء سوء الطائع فيما يخصني أن اضطرت إلى الدخول بمفردي إذ ظلَّ ٥سان لو٥بضع دقائق يخاطب فيها الحوذي كيما يعود فيأخذنا بعد تناول العشاء. ففي البداية ظننت بعدما دخلت في الباب الدوار الذي لم أتموَّده أتنى لن أفلح في الحروج منه. (ولتقل، إذ نحن بهذا الصدد، بالنسبة إلى هواة مفردات أكثر دقة، إن هذا الباب المنفاخ إنّما يدعى على الرغم من مظهره السلمي الباب المسدس، من الإنكليزية Revolving door ، (**) وقد لبث صاحب المطعم في ذلك المساء، إذ لم يجرؤ على البلل بالذهاب خارجاً ولا على ترك زبائنه، لبث مع ذلك بالقرب من الباب كي يمتع النفس بسماع شكاوي الوافدين المبهجة وقد أشرقت أساريرهم أيما إشراق بارتياح من صادف مشقة في الوصول وحالجه الخوف من الضياع، بيد أنَّ ودّ استقباله الضاحك تلاشي من جرّاء رؤية مجهول لايعرف كيف يتخلص من المصاريع الزجاجية. وقد حملته علامة الجهل الفاضح هذا على تقطيب حاجبيه تقطيب فاحص شديد الرغبة في الامتناع عن النطق بعبارة «Dignus estintrare» (إنّه أهل للدخول). وزيادة في سوء الطالع ذهبت وجلست في القاعة الخصصة لأرستقراطيين فجاء يسحبني منها يخشونه وهو يدلني بفظاظة حلما حذوه فيها فورأ جميع الخدم، على مكان في القاعة الأخرى، كان إعجابي به قليلاً بمقدار ما كان المقعد الذي يقم فيه مليئاً بالنَّاس وأنُّ قبالتي الباب المخصص للعبريين الذي لم يكن دواراً بن كان يحمل إليُّ برداً مخيفاً إذ ينفتح وينغلق في كل لحظةً ولكنّ صاحب المطعم رفض خصى بمكان آخر وهو يقول: الاياسيد، لايمكنني إزعاج الجميع من أجلك، ونسى بعد قليل على أيَّة حال المتعشى المتأخر والمزعج الذي كنته وقد أخذه وصول كلُّ وافد جديد كان عليه، قبلُ أن يطلب كأس البيرة أو جناح الفروج البارد أو الشراب الساخن (إذ انقضت ساعة العشاء منذ وقت طويل)، كما هي الحال في الروايات القديمة، أن يشارك وذلك براوية منامرته لحظة كان يدخل إلى ملجأ الدفء والأمان هذا حيث كان التناقض مع مانجا منه المرء يشيع المرح وروح الرفاقية اللذين يمزجان سوية أمام نار معسكر في العراء.

كان أحدهم يروي أن عربته قد دارت ثلاث مرّات حول مبنى «الأنفاليد» إذ تبادر لها أنها وصلت إلى جسر «الكونكورد» وآخر أن عربته قد دخلت، وهي تخاول الإنحدار في شارع «الشازيليد»، في كتلة شجراء من المستنبرة قضت ثلاثة أرباع الساعة في الخروج منها. ثم تلى ذلك منادب حول الضباب والبرد وصمت القبور في الدوارع كانت تحكى ويصفى إليها بهيئة الابتهاج اللا متوقع الذي يفسره جوّ القاعة اللطيف حيث يعم الدفء باستثناء المكان الذي أشغله والنور الشديد الذي ترف له الديون وقد تعودت ألا تبصر وجلة الأحلويث التي تعيد للآذان نشاطها.

^(%) الياب الدوار.

كان الوافدون يجدون مشقة في التزام الصمت. ذلك أنَّ غرابة الحوادث الطارئة، ويظنونها فريدة، كانت تكوي ألسنتهم فيبحثون بالعين عمّن يباشرون الحديث معه. حتّى صاحب المطعم أخذ يفقد حسّ المسافات ولم يخش أن يقول ضاحكاً: والقد ضاع السيد الأمير «دوفوا» ثلاث مرات وهو آت من بوابة «سان مارتان»، ولا يغفل أن يدل، وكأنما في تعارف، على الأرستقراطي الشهير محاميًا يهوديًا لعلَّه كان فصله عنه في أي يوم آخر حاجز تفوق صعوبة اجتيازه أكثر من النافذة للزدانة بالخضرة. وقال المحامي وهو يلمس قبعته: ٥ثلاث مرّات! أرأيت لللك، ولم يستسغ المحامي جملة المقاربة هذه. فقد كان من جماعة أرستقراطية تبدو لها ممارسة الوقاحة، حَمَى تجّاه فقة النبلاء حين لاتنتمي إلى أرفع مرتبة، وكأنها الشاغل الوحيد. لايردون على تخية ؛ فان أعاد الرجل المهذب الكرة قهقهوا بهيئة ساخرة أو ردوا الرأس إلى الوراء بهيئة حانقة اويتظاهرون بأنهم لايتعرفون رجلاً مسناً سبق أن أدى لهم خدمات ؛ ويقفون المصافحة والتحية على الدوقة والأصدقاء الحميمين للدوقة تمن يعرّفونهم بهم: ذلكم كان موقف هؤلاء الشبان ولاسيما الأمير ٥دوفواه. كان مثل هذا الموقف تيسَّره فوضى سنى الشباب الأولى (التي يظهر المرء فيها عقوقاً، حتَّى في البورجوازية، ويبدي فظاظة لأنَّه نسى على مدى شهور أن يكتب إلى محسن فقد زوجته منذ فترة قليلة ثم هو لايحييه من بعد لاختصار الأمور)، ولكنما توسى به على وجه الخصوص سنوبيَّة طبقية حادَّة. صحيح أن تلك السنوبية، مثلها مثل بعض الأمراض العصبية التي تخف أعراضها في سن النضوج، كان لابد بعامةً أن تكف عن الظهور ظهوراً عدائياً إلى هذا الحدّ لدى أولئك اللبين مبق أن كانوا شباباً لايطاقون. فمن النادر أن يظل المرء حبيس الوقاحة بعدما ينقضي الشباب. لقد ظنُّوا أنَّها موجودة وحدها، ويكتشفون فجأة، مهما بلغوا من إمارة، أن ثمة الموسيقي أيضاً والآداب وحتى التمثيل النيامي وبذلك يتغير ترتيب القيم الإنسانية ونباشر الحديث مع الناس الذبين كنّا نرشقهم فيحا مضى بنظرات غاضبة فليحالف التوفيق أولئك الذين تخلوا بالصبر للانتظار والذين حسنت طباعهم إلى حد ما - إن كان لابد أن نقول قولاً من هذا القبيل- كي يلقوا متعة في أن يتقبلوا حوالي الأربعين اللطف والاستقبال اللذين حجا عنهم بجفاء في سن العشرين!

ويجد أن نقول فيما يخص الأمير ودوفواه، بما أنّ الفرصة قد سنحت، أنّ كان في عداد جماعة تتراوح بين أني عيم عداد جماعة تتراوح بين أني عداد جماعة تتراوح التي عدر إلى خمصة عشر فقي عداد جماعة الاني عشر إلى خمصة عشر فقد كانت تتصف بهله الميزة التي كان الأمير بمنأى صنها، فيما أعتقد، وقوامها أنَّ هؤلاء الشبان كانوا فقد كانت تتصف بهله الميزة التي كان الأمير بمنأى صنها، فيما أعتقد، وقوامها أنَّ هؤلاء الشبان كانوا موزيهم على الرغم من المنه التي يعييها مؤلاء في أن يقولوا لهم: وسيدي الكونت ... سيدي المأركزة ... مهذي الموزيهم على الرغم من المأرق بوساطة والزواج النبية الملدع أيضاً وبالجراب الكبير، ولما للمنات التي يطمعون بها لا تتجاز الأربع أو الخمس فقد كان المديد ينصبون مدافعهم في كانت تدوي من المؤلفة في مبيل الخطية في مبيل الخطية . وكان السرّ يحسن كتمانه إلى حدّ أنَّ المديد من الصبحات كانت تدوي عن يقول أحدهم وهو آت إلى المقهى: ونا أحسن الأحدة إلى أودكم أكثر من الأ أخبركم بخطرجي للأنسة ودامبرساك؛ إذ يقلن العديد منهم أنّ الأمر منها تحصيل حاصل بالنسبة إليه ولا يملك بودة الأحساب للكرمة لوكته تهري من استغراب وباس إذ قد طنّ أن عطوية الأنسة ودامبر ساكه نفسها كانت ستعلن عما قريب

ولكن له هو، هشايلروه: «يروقك إذن أن تتزوج يا «يبيي» و ومع ذلك قالله يعلم كلّ ما سبق أن رواه والمه بمسهارة لآل ددامبر ساك» ضد والدة «يبيي» ولايتمالك عن أن يسأل «يبيي» مرّة ثانية: «إيسركك إذن أن تتزوج ؟» فيجيب متسماً، وهو افضل استعاداً أد انسع له كامل الموقت لاختيار منظهره منذ أن أضحى الأمر رصمياً تقريباً» إلى مسرور لا لأي أثروج، فكنت لا أرغب في خلك، ولكن لاتخارتي بدهديري دامبر ساك التي أجدها رائدة. كان «مائيلرو» قد استعاد رباطة جأشه في المدى الذي استغرقه هذا الجواب ولكنة كان يفكر أن ينيني أن يتقلب بأسرع ما يمكن باتجاه الأنسة «دو لا كانورك» أو الأنسة وفوستره، وهما الزوجتان الذي يتان رقم ٧ و٣، وأن يسأل المائين المنين يتنظرون زواج «دامبر ساك» طول الأناة وأن يوضع أخيراً لمن سبق أن قال لهم إيشاً إن الآسة «دامير ساك» فانت أن هذا الزواج مناسب بالنسبة إلى «يبير»، ولكنه لو تزوجها هو لحالف أسرته كلها. وقد بلغ الأمر بالسيكة «دو سوليون»، يوسم أن يدعيه، أن تقول إنها ان تستقبلهما.

ولتن كانوا يدون في نظر الممولين وأصحاب المطاعم إلين، أناساً قاليلي الشأن غلم يكن ينظر إليهم، وهم شخصيات مزدرجة. ما أن يحلوا في المجتمع، بمنظار فرونهم المتهدّة والمشاغل التحسة التي كانوا يتصرفون إليها شحاولة إصلاحها. لقد كانوا يضحون من جديد السيد الأمير والسيد الدوق فلاناً ولا يعلون إلا بحسب منازلهم، وهذا الدوق الذي يقارب أن يكون من أصحاب الملايارات يهدو وكأسا نجمع له كل شيء في ذاته إنما كان يجيىء بعدهم لأنهم كانوا فيما مشيء بوصفهم وإساء أمرء أمراء مطلقي السلطة في بلد صعير حق لهم فيه أن يسكوا التقود، إلى وكثيراً ما كان أحدهم يغض الطرف في هذا المتهى حينما يدخل أخو حتى لا يجبر أن يسكوا التقود، إلى أن أن قد دعا في مطارفته الخيالية للتراء صاحب مصرف إلى المشاء. وفي كل مرة يقيم فيها أحد رجال الذي الاجول هون أن يعيد رجل المجتمعات المكرة مع أخر. فإننا استمر في إشعال الشموع واستشارة الأطياء.

بيد أنَّ الأمير ودونواء ، وهو تفسه ثري. لم يكن يتنمي فصب إلى هذه الجماعة الأبيقة التي يؤلفها خصمة عشر شاباً، بل إلى جماعة من أيسة أكثر انفلاقاً والإيقصل بعضهم عن يعض وكان وسان لوه في عدادهم. وما كانوا يدعون قط الواحد حون الآخر ويسمون بالمشاق الأربة وضاهدون على الدوام معاً في النزمة ويعطون في القصور فرفاً متصلة إلى حدّ سرت معه شائمات يزياد بنها آقهم كانوا جميهم على جمال عظيم. حول ملاقهم المحميمة. واستطعت أن أكليها تكذيباً قاطماً فيما يبض وسان لوه ولكن المفهب في الأمر أنه بحن عرف الناس فيما بعد أن تلك الشائمات كانت صحيحة بالنسبة إلى الأربية فإن كلا منهم بالمقابل قد جميلها عن الثلاثة الأخرين جمهلاً تاماً. مع أن كلا منهم قد جدّ في تقصيم أخبار الأخرين إما الإشباع رغبة أم ضبغينة بالأحرى أو الدول دون زيجة أو بزّ الممديق المكشف. وقد انضم خامس إلى الأفلاطونيين الأربية مشعبة على الدوام أكثر من أربعة في الرمر التي يؤلفها أربعاً، وكان أكثر أفلاطونية من الآخرين جميمهم، ولكن وساوس دينية استوقفت حتى بعد ما تفرط عقد الأربعة بكثير وتزوج وأصبح أباً لأسرة يتوسل في ولوردة أن يكون الطفل للقبل صبياً أو بنتا ويرتمى في هذه الأفاتاء على المسكر.

وعلى الرغم من وضع الأمير فأن يكون الكلام جرى في حضرته دون أن يوجه إليه مباشرة قد جمل

غضيه أقل حدة مما لملة كان لولا ذلك. أضف أنَّ هذه الأمسية كانت تنسم بطابع استثنائي إلى حدّ ما. ثم إنّ الخاص لم يكن أرفر حظاً في إقامة علاقات مع الأمير «دوفرا» من الحوذي الذي صحب هذا السيد النبيل. وقد طنّ هذا الأخاطب الذي كان طنّ هذا الأخاطب الذي كان يقضل الضباب كأنما رفيق ستطيع أن يردّ. ولكن بلهجة متعجزة وصوت خفيض، على هذا الخاطب الذي كان يقضل الضباب كأنما رفيق ستفر صادفته على شاطئ واقع في أقاصي الذيا تضربه الرباح أو يغرقه الضباب: هليست المشكلة أن نضيع، ولكنما أن لا نهتدي إلى الطريق من بعده. وقد أذهلت صحة هذه الفكرة صاحب المفهى إذ سيق أن سمع من يعبر عنها مراراً هذا المساء.

ققد تعود بالفعل أن يقابل على النوام ما يسممه أو يقرؤه بنص معروف من قبل وبحس بإعجابه يستفيق إن لم يجد فروقاً. وليست هذه الحالة الفعنية غير ذات بال لانها إما تم تطبيقها على المحادثات السياسية وعلى قراءة المصحفة فإنها تشكل الرأي العام وتجمل أعظم الأحداث يمكنة بذلك. فكثيرون من أصحاب المقاهي الأباان الذين كانوا ينظرون بإعجاب إلى الزبون لديهم أو إلى صحيفتهم فحسب قد أدخلوا في حيز الممكن حينما كانوا يقولون إن فرنسه وإنكلتره وروسه فتستفره ألماني. أدخلوا يوم اتأخاديا حرباً لم تندلع على أية حال. ولهن لم يخطئ المؤرخون في الإحجام عن تفسير أفعال الشعوب بمشيئة ملوكهم فلا بد أن يحلوا محلها سيكولوجية الفرد، القرد ذي السوية الشحاة.

لم يكن صاحب المقهى الذي وصلت إليه منذ قابل يطبق ذهنية مدرس المفعوظات التي يتسم بهاء لم يكن يطبقها في حقل السياسة منذ بعض الوقت إلاً على عدد معين من المقطوعات حول مسألة ادريفومر، ويكن يطبقها في حقل السياسة منذ بعض الوقت إلا على عدد معين من المقطوعات حول مسألة ادريفومر، وإن الم يكن المفينة أعلن الأفقاط المفاهة علم المحكم حتى كاد الابدع غلفات الوقت الإنهاء جملته. ومساح قائلاً: صحيح القول، با أسري، أصمنت القول (الأمر الله كان يعني، باخصه المالام، تلوت دون خطيفة وقد الشرح فؤاده، حسب تعبير كتاب وألف الجالية ولياة، وهم في غاية الارتباح، ولكن الأمير كان قد اختفى في المحجرة المهنبرة. وبما أن اللحياة تمضي من جديد حتى بعد أكثر الأحداث غرابة قفد أحد المدين كانوا للحيل لم يخرجون من بحر الفنياب يومبي بعضهم بشرابه والأعزون بمثالهم، ومن ينهم شبان من نادي سباق الخيل لم يترددوا بسبب طابع اليوم غير المادي في الجلوس إلى طاولتين في الفاعة الكبرى فؤذا هم، وتلك حالهم، على قرب شديد مني . وهكذا قلد أرست الكاراة، حتى من القامة المسنرى إلى الكريرى، بين جميع هؤلاء الناس تستثيرهم في ذلك أسباب الراحة في المطعم، بعد ضلالاتهم الطويلة في خضم الضباب، ألفة أقصيت عنها وحدي وكانت لابد تشهيها تلك التي سادت مقونة فوح.

وفجأة أبصرت صاحب المقهى تلويه الانحناءات ورؤساء الخنم يهرعون بكامل عددهم. الأمر الذي حمل جميع الزبائن على تحويل أنظارهم إليه. وكان صاحب المقهى يصرخ قاتلاً: دبسرعة. نادوا لي على وسيريان» إلي بطاولة للسيد المركزة ودو سان لوه. وما كان ورويره في نظره محض سيد عظيم يتمتع بمهابة حقيقية حتى في نظر الأمير ودوفواه ، بل زبون يقضي السياة واسمة، ويفق في هذا المطعم كثيراً من المثال. كان زبائن القاعة الكبرى ينظرون بفضول وزبائن القاعة الصغرى يتسابقون إلى دعوة صديقهم المذى كان ينتهى من مسح رجليه. ولكنّه غنى في القاعة الكبرى لحقلة كان يرمع اللخول إلى الصغرى وصاح قائلاً: ويالهي، ماذا تفحل همهنا، وهذا الباب مفتوح أمامك»، ولا ينقل أن يرمي بنظرة حافقة صاحب المقهى الذي سارع إلى إغلاقه وهو يعتذر محملاً الخدم والي أقول لهم دوماً أن يظل منلقاًه .

وكنت قد اضطرت إلى إزعاج ماثنتي وموائد أخرى كانت أمامها من أجل المضى إلى. والماذا عمركت من مكانك؟ أتفضل العشاء ههنا على العشاء في القاعة الصغرى؟ ولكنّك ستتجمدٌ، ياصديقي المسكين!. وقال لصاحب المفهى: وستتكرّم على باغلاق هذا الباب نهائياً؟

دفي الحال باسيدي للمركيز. وعلى الزبائن الذين سيجيئون منذ الآن أن يمرّوا من القاعة الصغرى، هذا كل مافي الأمرو. وكي يبدي اندفاعه على نحو أفضل امر أن يقوم بهذه العملية رئيس خدم وعدد من العدم قيما يطلق بأعلى صوته تهديدات مخيفة إن لم تتم على أحسن وجه. وكان يوجه إليّ أمارات إجلال بالم كي أنسى أنها لم تبدأ منذ وصولي. بل بعد وصول دسان لوه فقط، ويخصني خفية، كي لا أطنَّ أنّها ناجمة عن المصداقة التي يبديها لي زبونه الذي الأرستقراطي، بابتسامات صغيرة كأنما تستبين فيها مودّة شخصية تماماً.

وحملني قول زبون خلف ظهري على أن أهير رأسي مقدلر ثانية. نقد سمعت عوضاً عن الكلمات التالية: وجناح فرّوج، حسن جناً، وقليل من الشمبانيا، ولكن لا تكن مرّة جناًه. هذه الأخرى: وأفضل المغلبسرين أجل دافقة، حسن جناً، ووددت لو أرى من كان الناسك الذي يقتمني على نفسه بمثل هذه الموجبة. وأدرت رأسي يسرعة صوب وسان لوه كي لايتعرّفني الذواقة العجيب. كان محض دكتور كنت أعرفه وقد طلب إليه أحد الزبائن استشارة مستغلاً الضباب كي يسجده في هذا المقهى.

وفي تلك الأثناء كنت أنظر إلى ٥سان لوه وأفكر في الأمر التالي. كان ثمة في هذا المقهى، وكذلك عرفت في الحياة، العديد من الغرباء من مثقفين ورسامين من كل نوع يسلمون بالصحك الذي يثيره معطفهم المغرور وربطات عنقهم التي تعود إلى عام ١٨٣٠ بل وأكثر من ذلك حركاتهم الخرقاء، ويبلغ بهم أن يستثيروه ليعربوا عن أنهم لا بأبهون له، وهم جماعة يتمتعون بقيمة عقلية وأدبية حقيقية وبعميق المشاعر. كانوا لايروقون – اليهود بخاصَّة، اليهود غير المنصهرين بالطبع، إذ لايمكن أن يكون الآخرون موضوع بحث الأشخاص الذين العليقون احتمال مظهر مستغرب عجيب (مثلما «بلرك» «ألبيرتين») بيد أنهم كانوا يعترفون بعامة بعد ذلك أنَّه من الصبياني، إن انفق لهم لغير صالحهم شعور بالغة الطول وأنف وعينان زائدة الاتساع وحركات مسرحية متقطعة، أن نحكم عليهم بناء على ذلك، وأنَّهم يتمتعون بكثير من الذكاء والعاطقة وأنّهم لدى التعامل معهم أناس يمكن أن نجهّم حبّاً عميقاً. وفيما يتعلق باليهود على وجه الخصوص كان القليل منهم من لايتمتع ذووهم بنبل في النفس واتساع في الفكر وصراحة تبدو إزاءها والدة ه سان لمو، والدوق ددو غير مانت، في صورة خلقية هزيلة من جراء جفاف نفسيهما وتدينهما السطحي الذي لايندَّد إلاَّ بالفضائح ودفاعهما عن مسيحية تفضي حتماً (على دروب العقل اللا متوقعة، العقل الذي يعظى وحده بالتقدير) إلى زواج ثروات ضخم. أمّا لدى ٥سان لوه مَثَاية كانت الطريقة التي التلفت بها معايب الأهل في إبداع جديد للمزايا، فقد كان يسود الساح أروع انفتاح للعقل والقلب. وإذ ذاك، ولابدُ أن نقولها نجد فرنسه الخالد، حينما بجمّع تلك المزايا لفرنسيّ أصيل، أكان من الأرستقراطية أم من الشعب، فاتّها تزهر -ه تتفتّح، قد تبدو مبالغاً فيها، لأن الاعتدال يظلّ قائماً في تلك المزليا والقيود – يرشاقة لايتحفنا بها الغريب

مهما يكن جديراً بالتقدير. صحيح أن الأعربين يملكون بدورهم المزايا المقلبة والخلقية وليست أقل فمناً إن النقدير. المنظم والمنظم الابتسامة بهد أن نظم أمر حلو ووباها كان فرنسياً حصراً وقوامه أن يجيء ما كان جمية للمنظم المنظم والمنظم المنظم المنظم والمنظم المنظم المنظم المنظم المنظم كنت أنظر إلى حالت لمو وأقول في نفسي إنه لأمر جميل حين لايكون ثمة قبح جسماعي بعجيء المنظمة ومنظم المنظم المنظم المنظم المنظم المنظمة المنظم

بعد ما مضى صاحب المقهى لحظة ليسهر بنفسه على إغلاق الباب والإيصاء بالعشاء (وقد أُلحُّ كثيراً كي نأخذ من اللحوم الذبائح». إذ الطيور غير فاخرة دون شكَّ ، عاد يقول لنا إن السيَّد الأمير «دوفوا» ودُّ لو يأذن له السيّد المركبيز بالمجيء لتناول العشاء إلى طاولة بالقرب منه. وأجاب «روبير» إذ رأى الطاولات التي مخاصر طاولتي: دولكنها مشغولة كلهاه . - ولا أهمية للأمر، وإن أمكن أن يحسن ذلك في عين السيد المركيز فسيكون من اليسير عليُّ أن أرجو هؤلاء الناس يتبديل مكانهم تلك أمور يمكن أن نقوم بها من أجل السيُّد المركبزا، وقال لي «سان لوه: اولكن الأمر يعود إليك. إن دفوا، فتي طيب ولا ادري إن كان سيزعجك إنه أقل غباء من الكثيرين، وأجبت «روبير» أنه سوف يروقني بالتأكيد ولكتّي وددت كثيراً لو نقلل وحدنا مادمت أتناول مرة طعام العشاء معه وأحسني شديد السعادة بذلك. وقال لصاحب المقهى في أثناء مداولتنا: وآه! إن السيّد دوو شارلوس، كتم عن شقيقة زرجته أنّه يعرفني، وأن أسأله ما يمكن أن يكونُ سبب ذلك ولكنّما حال دون ان افعل وصول السيّد ددوفواه. لقد شاهدناه يقف على خطوتين وقد أقبل ليرى إن كان التماسه قد صادف قبولًا. وقدمنًا ﴿ وَوَبِيرِ ﴾ الواحد للآخر ولكنَّه لم يكتم صديقه أنه يفصل أن نترك وشأتنا إذ هو يبغي التحدّث إليّ. وابتعد الأمير وهو يضيف إلى خمّية الوداع التي أنّاها لي ابتسامة تشير إلى «سان لو» وتبدو وكأنها عجّد العذر في مثيئة هذا الأخير عن قصر تعارف لعلّه تمناه أكثر طولًا. بيد أنَّ (روبير، بدا وكأنما استولت عليه فكرة مفاجئة فابتعد مع رفيقه بعد أن قال لمي: ةاجلس أنت وباشر تناول العشاء، فانَّى قادم. واختفى في القاعة الصغيرة. وشقُّ علىَّ أن أسمع الشبان الأنيقين الذين ما كنت أعرفهم يروون أكثر الحكايات سخفًا وإساءة حول كبير الدوقة الشاب وريث الو كسمبور، (الكونت «دوناساو» سابقاً) الذي سبق أن عرفته في «بالبيك» وقدمٌ لي براهين رقيقة جداً من المودة في أثناء مرض جنّتي. وكان أحدهم يزعم أنه قد قال للدوقة «دو غير مانتُ»: وإنِّي أطالب بأن يقف الجميع عندما تمرّ امرأتي، وأن الدوقة أجابت (ما لعله كان خلواً لا من الظرف فحسب بَّل من الصحة فقد كانت جئة الأميرة الشابة على الدوام أشرف امرأة في العالم): ولابدّ أن يقف الناس حينما تمرّ زوجتك فسيغير ذلك من شأن جائها لأن الرجال فيما يخصها كانوا يتمددون. ثم رووا أنه جاء في ذاك العام للقاء عمته أميرة الوكسمبور؛ وحلّ في الفندق الكبير واشتكي إلى المدير (صديقي) أنه لم يرفع علم اللاكسمبور فوق السدّ وإذ كان هذا العلم أقلّ ذيوعاً وأقلّ استعمالاً من أعلام انكلتره أو

إبطاليه فقد انبغي عدّة أيام للحصول عليه الأمر الذي أثار أشدّ استياء كبير الدوقة الشاب . لم أصدق كلمة واحدة من هذه الرواية ولكنتي عومت أن أسائل مدير الفندق حالما اذهب إلى «بالبيك» لأتأكد من أنها محض اختلاق. وبانتظار دسان لو، طلبت من صاحب المطعم أن يأمر من يعطيني خبزاً. - دني الحال. ياميدي البارونه. فأجبت بلهجة كتيبة بقصد الضحك: «لست بارون». ﴿ آه! عفوك ياسيدي الكونت!» ولم يتسع لي الموقت لاسماعه احتجاجاً آخر كنت أضحيت بعده بالتأكيد والسيِّد المركيزة وعاد وسان لوه بمثل ما سبق أن أعلن من سرعة فظهر من جديد في المدخل وهو يمسك بيده المعطف الصوفيُّ الكبير العائد للأمير وقد أدركت أنَّه قد طلبه منه كي يوفر لي الدفء وأشار إليَّ من بعيد ألا أكلف نفسي عناء، وتقدم وكان لابدَّ أيضاً من مخريك طاولتي أو من تبديل مكاني كيما يستطيع الجلوس وما أن دخل القاعة الكبرى حتى صعد بخفة على المقاعد ذات ألمحمل الأحمر التي صفت من حولها على طول الجدار والتي لم يكن يجلس عليها باستثنائي سوى ثلاثة فتيان أو أربعة من نادي السباق، وهم معارف له لم يستطيعوا أن يجدوا مكاناً لمهم في القاعة الصغرى. وكانت أسلاك كهربائية قد ملك بين الطاولات على ارتفاع معين ؛ وقفز دسان لوا من فوقها بمهاره ودون أن تربكه مثلما يفعل حصان سبق بحاجز. وقد أدهشتني تلك الثقة التي كان صديقي ينجز بهما ذاك التمرين البهلواني، وأخجلني في الآن نفسه أن تتم من أجلى وحدي وبهدف مجنيبي حركة بسيطة جداً. ولم تكن تلك حالي فقط، فقد ظل صاحب المقهى والخدم مفتونين شأن خبراء في عملية وزن.على الرغم من أنهم ما كانوا استساغوا الأمر كثيراً دونما شك من قبل زبون أدنى أرستقراطية وأقل أريحية. وقد لبث أحد الخدم لاحواك به، وكأنما أصابه الشلل، يحمل طبقاً كان متعشون بالقرب منه ينتظرونه ؛ وحينما صعد ٥سان لوء وقد اضطرُّ أن يمرّ خلف أصدقائه، على حافة المسند وتقلُّم عليها متوازن الخطو تعالى تصفيق خافت في أقصى القاعة. وإذ أصبح أخيراً بمحاذاتي أوقف على الفور اندفاعته بدقة قائد أمام منصة سلطان وانحني ومدّ إلى مُدَّة تأدب وخضوع المعلف الصوفيُّ الناعم الذي رتبة في الحال، بعدما جلس بجانبي، على هيئة شال خفيف ودافئ على كتفيُّ دون أن يقع عليُّ القيام بأية حركة.

وقال لي «روبير»: «قل لي، ما دام الأمر في بالي، لدى عمي «شاولوس» مايقوله لك. لقد وعدته بأن أوفدك إلى منزله في مساء الغد».

- وكنت عازماً بالضبط على التنحدُث إليك عنه. ولكنّي سأتمشّى في مساء الغد في منزل عمتُك وغير
 مانت...

- وأجل، ستفام مأدبة كبرى غذا في منزل وأوريانه. لستُ مدعواً. ولكنَّ عمَى وبالاميدة يودُ ألا
تنفب إليها. ألا يمكنك أن تلفي الدعوة؟ اذهب في جميع الأحوال إلى منزل عمَّي وبالاميدة بعد ذلك،
فاني أننك يمرّ على لقائك. هيّا، يمكنك أن تكون هناك حوالي الحادية عشرة. الحادية عشرة. الاستر، وأَخَذ
على عائقي أن أخطره بالأمر. إنّه شديد الحساسيّة، فإن لم تلهب أو غرت صدره عليك. والأمور تنتهي أبداً في
على عائقي أن أخطره بالأمر. إنه شديد الحساسيّة، فإن لم تلهب أو غرت صدره عليك. والأمور تنتهي أبداً في
ساعة مبكرة لذى وأوريانه. فإن لم تقدم على غير المشاء هناك أمكنك تماماً أن تكون في الحادية عشرة في
منزل عمي، وأنا على أيّ حال كان ينبغي لي أن ألقي وأوريانه من أجل منصبي في المغرب الذي أودّ تبديله.
إنّها لطيغة جنا بالنسبة إلى هذه الأمور وتستطيع كلّ شيء لذى اللواء دو سان جوزيف، الذي يرتبط الأمر به.

ولكن لاتخذتها عن ذلك. لقد قلت كلمة للأميرة «دو بارماه وستسير الأمور وحدها. أدا المغرب، شيق جداً. ربعاً كان ثمة الكثير أحدثك به. إنجم أناس مرهقو الذكاء هناك، وإنك لنشعر بالتعائل في الذكاءه.

- وألا تظنَّ أن الألمان يستطيعون المضيُّ حتَّى الحرب بهذه المناسبة ؟٥.

-ولا، الأمر يزعجهم، وهو صحيح تماماً في الأساس. ولكنّ الأمبراطور مسالم. إنهم يحملوننا دوماً على الطفن بأنهم يبدلونا دوماً على الطفن بأنهم يبدلونا المقابي لبقول الثاني لبقول الثاني لبقول الثاني لبقول الثاني لبقول الثاني لبقول الثاني المؤلّف علينا إلى لم تتنازل، فتتنازل حيثفالا، ولكننا إلى لم تتنازل لن يكون ثمة أي صنف من الحروب. عليك أن تفكر القط أي شيء كولني قد تكونه الحب في يومنا. سوف يكون ذلك أكثر جلباً للكوران من والطوفان وعروب الآلهة، على أن الأمر قد يدوم فترة أقلء.

وحدثني عن الصداقة والإيثار والأسف مع آنه كان يزمع، شأن جميع المسافيين من نوعه، الرحيل في الهذا، لمئة عدة شهور كان ينبغي أن يقضيها في الريف وسوف يعود ثماني وأربعين ساعة فقط إلى باربس قبل أن يعود إلى المغرب (أو أيّ مكان أخر) ؛ ولكنّ الكلمات التي ألقى بها على هذا النحو في حراوة القلب التي كانت بي في ظلك المساء كانت تشب فيه أحلاماً علية. إن مقابلاتنا الانفرادية النادرة، وهذه على وجه المضوم، قد علك المنافرة التي كذات تلك غين نظره وفي نظري على السواء أمسية الصداقة. يد أن الهساقة التي كنت أحس بها في هذه اللحظة لم تكن (ولا أخطو من بعض تبكيت المضميم المساقة لي كنت أحسّ تبكن ولا أزال يماؤي السور الذي أمن وهم ما كنت أحساء بنا ويلغ الهيدف برشاقة، كنت أحسّ أن ذلك السور وناجم عن أن كلاً المرور ناجم عن أن كلاً من الحركات المنفذة على أصليمة التي وطيعة فسان لوء من الحركات المنفذة على أصليمة التي وطيعة فسان لوء المفرودة ، با وأكثر من ذلك في الطبيعة التي وطبعة التي وجسه عن طريق المؤلد والتشدة.

فسلامة ذوق في نطاق السلوك لا الجمال تمكن الرجل الأبيق أن يدرك في الحال بمواجهة ظرف الحدد - شأن موسيقي يطلب إليه عزف مقطوعة مجهولة - الشمور والحركة اللذين يتطلبهما وأن يواهم بينهما وبين الآلية والتقنية الثنين تناسبان أفضل ما يكون، ثم تسمح لهذا اللوق أن يعمل بمعزل عن ضغط أيّ اعتبار أمر ربما شل المعليد من البورجوازيين الخباب مخافة أن يغذوا أضحوكة في نظر الأخين يخرجهم على اللياقة أن يداوا مسرفين في التهاديب في نظر صديقهم في الآن نفسه، اعتبار كان يحل محلك أمكان دوريو الزواء لم يداخل بالتأكيد فله في يوم ولكنما حلّ بالوراثة في جساء وكان قد طيع ملوك أسلانه أنهائة يمتقدون أنها لا يستعلي إلا أن تدفيخ مشاعر من توجه إليه وتفته المّ شهامة في سخاء لايضع في حسابه أيّ اعتبار لهذا العلمة الكبير من الامتيازات المادية (فقد لها يغيم بعداء وكن العالم في النهاية أن جمل منه مهنا وفي أيّ مكان أخر على السواء الذين الأكثر رواجاً والأكبر حظوة، وهي الحالة التي تبزيها المنابة المائة المنابة من المثل ملده المقاعد المنابة المنابة والمرعة ؛ تلكم كانت الصفات، وكلها من جومر الأرستة والسرعة ؛ تلكم كانت الصفات، وكلها من جومر الأرستة والمية، التي كانت تبرز من بأسط أوفر من الرشاقة والسرعة ؛ تلكم كانت الصفات، وكلها من جومر الأرستة والسرعة ؛ تلكم كانت الصفات، وكلها من جومر الأرسة والسرعة ؛ تلكم كانت الصفات، وكلها من جومر الأرسة والمنابق مثلم تبرز من خلال

العمل الفنتي الفدرة الحاذقة الفاعلة التي ابتدعته وتجمل حركات هذا الجري الرشيق الذي قام به (وبير، على طول الجدار بمثل وضوح وروعة حركات فرسان تمّ نقشهم على إفريز ولعلّ (روبير، فكّر قائلاً: «أكان من هاع، واأسفى، أن أكون قضيب شبايي في ازدراء كرم المتحد وفي تكريم العدل والفكر فحسب، وأن انتقى من خارج نطاق الأصدقاء اللين فرضوا على رفاقاً قليلي اللباقة سيثي الملبس إن توافرت لهم البلاعة، كيما يكون الكائن الذي يظهر فيُّ والذي يحفظون منه ذكرى غالبة لا ذاك الذي صورته إرادتي بالجدّ والاستحقاق على شبهي بل كائن ليس من صنعي ءولا هو حتّى أنا وقد احتقرته دوماً وحاولت قهره ؛ أكان من داع أن أكون أحيت صديقي المفضل على نحو ما فعلت كيما تكون أعظم متعة يجدها في أن يكتشف أمراً أكثر عمومية من ذاتي، متمة ليست على الإطلاق، حسبما يقوله وحسبما لا يستطيع بصدق أن يعتقده، متعة ناجمة عن الصداقة، بل متعة فكرية مجدة وضرب من متعة الفنَّ؟، هذا ما أخشى اليوم أم يكون خطر لـ دسان لوه أحياناً. وقد أخطأ في هذه الحالة. فلو لم يحبّ، على نحو ما فعل، أمراً أكثر سمواً من مرونة جسّمه الفطريّة، ولو لم يتجرُّد فترة طويلة إلى هذا الحدُّ عن استعلاء النبلاء لكان ثمة قدر أكبر من الاجتهاد والتثاقل في رشاقته نفسها وسوقية وافرة في مسلكه. ومثلما البغي للسيَّدة «دو فيلباريزيس» كثير من الجنبة كي تولي في حديثها ومذكراتها شعوراً بالطيش، وهو فكريّ، كذلك كان لابدّ كيما يعمر جسم ٥سان لو، هذا القدر من الأرستقراطية أن تكون هذه الأخيرة قد هجرت فكره النازع إلى أغراض أسمى وأن تكون استقرت في جسمه، بعد ما غارت فيه، خطوطاً لا واعية ونبيلة. وبذلك لم تكن أناقته الفكرية غائبة عن أناقة حسمية لعلها لم تكن تامة لمو غابت الأولى. فليس يحتاج فنان إلى التعبير عن فكره تعبيراً مباشراً في إنتاجه كيما يعكس هذا الانتاج جودته، بل أمكن أن يقال إن أرفع تسبيح لله كامن في نفى الملحد الذي يرى الخليقة على قدر من الكمال كاف لتكون في غني عن حالق لها. وكنت أعلم كللك تمام العلم أنني ما كنت أنظر باعجاب إلى محض عمل فني في هذا الفارس الشاب الذي ينشر على امتداد الجدار إفريز جريه. أقلم يكن الأمير الشاب (سليل «كاترين دو فوا» ملكة «نافار» وحفيدة شارل السابع) الذي فارقه منذ قليل لصالحي، والمكانة الناجمة عن المولد والثروة التي كان يحنيها أمامي، والأسلاف المتعالون المرنون الذين لم يبرحوا الثقة والرشاقة والتهذيب التي رتب بها منذ قليل حول جسمي المقرور المعظف الصوفي الناعم. ألم يكن كلُّ ذلك بمثابة أصدقاء أعرق منَّى في حياته ظننت أنه لابدً أن نظل من جراتهم منفصلين أبداً وكان على العكس يضحي لي بهم بخيار لايمكن أن نقوم به إلا في مرتفعات العقل وبتلك الحرية المطلقة التي كانت حركات «روبير» صورة لها والتي تتحقق فيها الصداقة الكاملة؟

وما لمل أألفة أمثال آل دغير مانت، كانت تكشف من عجرفة تافهة (بدلاً من الأناقة التي تدميز بها لدى درويره لأن الاستملاء الروائي لم يكن فيها سرى غطاء أضحى ظرفاً لا واعياً، لاتضاع خلقي حقيقي) إنسا أمكنني أن أعيه، لا لذى السيد دور شارلوم، الذي كانت عبوب طباعه، وقد اسأت فهمها حتى ذاك، قد انتضافت لديه إلى المادات الأرستمراطية، بل لدى الدوق دور غير مانت، فقد كان يكشف بدوره، في المجمل المادي الله عن سبق أن ساء إلى حدّ بعيد في عيني جلتي حينما الثقت به فيما مضى في منزل السيّلة دور فيلازيس، عن أجزاء من سمر قديم أحسست بها عندما ذهبت لتناول طمام العشاء في منزله في غد الأمسية التي قضيتها برفقة دسان لوء.

ولم تكن قد برزت لناظري لا لليه ولا لدى الدوقة، حينما رأيتهما بادئ الأمر لدى عمتهما، علما لم أيسرم لذي المرزق التي كانت تفصل بين الابيرماه ورفاقها مع أن الخصائص لدى هذه الأخيرة أوقع أيسر في اليوم الأرق التي كانت الأخياء اكثر في النفس بما لا يقاس تما هي لدى أرباب المجتمع بما أنها تضحي أكثر بروزاً كلما كانت الأخياء اكثر حقيقة وأسهل تصوراً بالنقل. ولكن مهما تكن الغروق الاجتماعية طفيفة (لي حدُّ بنبر معه المتتليات بحيثها عندما عيد التوالي الفروق التي وجدت بين متمدى المسيّلة وجوفرانه والسيّلة وركاميه والسيدة وبرانيء من مثنايهة إلى حدُّ أنَّ الحقيقة الرئيسية التي تستخلص من دراسات المؤلف، على غير علم منه، قوامها وعمره حياة المتديات) فقد أمكني مع ذلك، ويموجب السبب نفسه فيما يعرب ولا يرماه يمد ما أضمى آل وغير مائته قليلي الأهمية في نظري ولم يمد خوال يمونو في المؤلف المنافقة المنافقة المؤلفة ولم يمد

ولما لم تكلمني الدوقة عن زوجها في أسية عمتها فقد تساءلت في نطاق ما يسري من إشاعات طلاق إن كان سيحضر مأدية العشاء. ولكن سرعان ما استقر وأبي، فقد وأبت بين صفوف الخدم الذين وقفوا في الردهة ولابدً أنهم (بما أنهم لابدً نظروا إلى حتى الآن مثل أولاد التجار تقريباً. يعني على نحو أكثر مودة من سيّدهم، ولكن كمن لايمكن أن يستقبل في منزله، كانوا يبحثون عن سبب هذا الانقلاب، وأبت السيّد «دو غير مانت» ينسل، وكان يترقب وصولي ليستقبلني على عتبة الباب ويخلع بنفسه معطفي عتي.

وقال لى بلهجة حافقة في إقتاعها: والسيدة ودو غير مانت، متكون في غاية السعادة. اسمح لى أن أعلمك من أهدامك (وكان يرى سلاجة وهولاً على السواه في التحدّث بلغة العامة). لقد خشيت زوجتي بعض الشيء إسجاماً منك مع أنك سبق أن أعلنت عن يومك.كنا نقول منذ هذا الصباح الواحد للأخر: وسوف ترى أنه لن يجيء، ولايد لي أن أقول إنّ السيدة ودو غير مانت، كانت أصدق رؤية متي. لست وجلاً يسهل استفدامه وكنت على يتمين أنك ستخلف الوعده.

كان الدوق زوجاً ديناً بل شرساً فيما يقولون في حد ألك كنت ممتناً له، مثلما تمتن الأشرار بلطفههم بهلمه الكلمات؛ والسيدة دو غير مانته التي كان يبدو وكأنه ينشر بها على الدوقة جناح الرعاية كي تؤلف وإله شيئاً واحداً بهذ على نفسه وهو يمسك يبدي مسكة الألاف أن يرشدني إلى المسالات ويدعلني إليها. إن هذه العبارة أو تلك يمكن أن تروقك في فم فلاح إن أعرب عن تواثر تقليد معلي وعن بنايا حدث اليهني ربما جهلها من يلمح إليها، كذلك فتنني لدى السيد وهو غير مانت، هذا التهليب الذي كان سيرب لي عنه أثناء الأسبة كلها وكأنه بقية عادت منت عليها قرن عدة. عادات من القرن السابع عشر سيرب لي عنه الثناء الأسبة كلها وكأنه بقية عادت منت عليها قرن عدة. عادات من القرن السابع عشر مقام حديثة تتجاوز شكل ما يبرون عد وإن لن بعبدين عنا بعداً لا حدود له. ولانجرؤ أن نفترش لهم مقاصد عميقة تتجاوز شكل ما يبرون عد وإن لن بعجب حينما نصادف شعوراً لدى أحد أبطال هرميروس يمائل تقريباً ما نحس به أو خطة محدودة الذى همينا من يلاق خصصه على حين غرة. لكأني بنا تتخول هذا المناح الملحمي وهذا القائد بدينين عنا يعد حيوان نشاهده في حديثة حيوان، بل إثنا حين غيد لدى شخصيات من بلاط لويس الرابع عشر دلائل تأدب في رسائل في حديقة حيوان، بل إثنا حين غيد لدى شخصيات من بلاط لويس الرابع عشر دلائل تأدب في رسائل من مرتبة أدنى ولايمكن أن يفيدهم في شيء فإنها تنظف فينا الدهند لائها تظهر لنا فجأة لدى

هؤلاء السادة العظام عالماً كاملاً من المتقدات التي لايسرون قط عنها تعبيراً مباشراً ولكنّها تمكمهم ولاسيما الاعتقاد الذي مفاده أنّه ينبغي بداعي التهذيب التظاهر بعض المشاعر وممارسة بعض واجبات التودّد بأكبر قسط من الدقة.

وربما كان هذا البعد التخيلي في الماضي أحد الأسباب التي تسمح بأن ندرك أن يكون كتاب عظام قد وجدوا جمالًا عبقرياً في مؤلفات دجالين ضحلين من أمثال وأوسيان، وإننا لندهش أن يتأتي لشعراء قدامي أَفْكَار عصرية دهشة تصلُّ بنا حدُّ الأفتنان إن نحن صادفنا، في ما نظنَّه نشيداً وغائبلياً، قديماً، فكرة ما كنا لنراها لا بارعة لدى أحد المعاصرين. وما على مترجم موهوب إلا أن يضيف إلى مؤلف قديم بردّه بأمانة نقارٌ أو تزيد مقطوعات قد تبدو لو ذيلت بتوقيع أحد المعاصرين أو نشرت على حدة ممتمة فحسب ؛ فاذا هو يضفي في الحال مهابة تهزّ المشاعر على شاعره الذي ينقل، وهذه حاله، أصابعه على مضارب قرون عدّة. وما كان هذا المترجم قادراً إلاَّ على كتاب ضحل لو اتفق أن نشر هذا الكتاب بمثابة نتاج أصليَّ له. فإن عُدَّ ترجمة بدا وكأنه لرائعة فنية. ليس الماضي سريع الزوال، بل هو لايبرح مكانه. إن قوانين أقرّت دون استعجال يمكن أن تؤثر في الحرب تأثيراً فعالاً لا على مدى شهور من بدايتها فحسب، وإنَّ قاضياً ليستطيع أن يجد، لا خمسة عشر عاماً فحسب بعد جريمة ظلت غامضة، العناصر التي ستفيد في كشفها. وسيظل بامكان العالم الذي يدرس في منطقة بعيدة أسماء البلدان وعادات السكان أن يدرك فيها أسطورة سبق عهدها المسيحية بكثير وقد كانت غير مفهومة، إنَّ لم نقل حتَّى منسية، في عهد «هيرو ذوتس، ولاتزال باقية في قلب الحاضر. من خلال التسمية المعطاة لإحدى الصخور، من خلال أحد الطقوس الدينية، وذلك بمثابة انبعاث أكثر كثافة ومغرق في القدم ومستقرّ. كان ثمة انبعاث آخر كذلك أقلّ قدماً بكثير، انبعثات من حياة البلاط إن لم يكن في تصرفات السيّد دو غير مانت، العامية في كثير من الأحيان فعلى الأقلّ في الروح التي كانت توجهها. وكنت سأستمتع به مرة أخرى. وكأنما برائحة قديمة، حينما عدت فلقيته بعد قليل في الصالة. لأنني لم أذهب إليها في الحال.

وكنت قد قلت للسيد دور غير مانته وأنا أغادر الردعة إلى شديد الرغبة في مشاهدة ما يملك من المحدق المسلتيرة و أنا رهن إشارتك، هل السيد وإباستيره من أصدقائك إذنا ؟ إني شديد الاغتمام أن لم أعلم ألم بير المتسامك إلى هذا الحد، فإلي أعرفه بعض الشيء، إنه رجل لطيف وما كان يحبوه إلاإنا بالرجل السيل، كان بامكاني أن المالة الخداء المعالمة و كان بالمكاني أن المالة المنسلة بقضاء الأسمية بسميتك. كان المدوق قبلياً مابيد من طراز قديم حينما يجهد على هذا النحو في أن يكونه ثم يعود فيصبح من جليد كذلك دون أن يقصده. وبعدما سألتي إن كنت أرغب في أن يمين تلك اللوحات اتحادي وهو يتنحي بلطف أمام كل باب ويعتفر حين يضطر أن يعر أمامي لرشدني إلى الطويق. هذا للشهد الله في الله يعدول المنهد الله غير الذي يري في دسان ميمورده أن أحد جدود آل وغير مانت ذخذ الزمن الذي يوري في دسان ميمورده أن أحد جدود آل وغير مانت) دنذ الزمن الذي يوري في دسان ميمورده أن أحد جدود آل وغير مانت) دني المناهدي قلم أموا به من أجل زائرين كثيرين قبل أن يتنقل إلينا. وبما أنتي قلت لدوق إنه سوف يسرني أن ألبث وحدي فرة أمام اللوحات نقد انسحب دون ضبحة ومو يقول إنه لم يبي سوى أن أمضي للحاق به في الممالة.

إلا أنني ما أن لبثت وحدي مع لوحات والمستبره حتى نسبت تماماً ساعة العشاء. كان أمامي من المنظمة بطيارة الذي لايمدو أن يكون إسقاط الرؤية المنظمة بهنا الرسام الكبير والذي لا تترجمه أقواله على الإطلاق. كانت أجزاء الجدار المنطأة بلوحات بربشته، وكلها متجانسة فيما بينها، كانت كأنما العمور المفيئة لفانوس محري نفترش آله في الحالة الراهنة رأس الفنان وأنّه ما كان يمكن أن نخمن غرابتها مادمنا لم نقم بأكثر من معرفة الرجل، يعني مادمنا لم نقم بأكثر من معرفة الرجل، يعني مادمنا لم نقم بأكثر من وقية الفانوس الذي يفعلي المصابح قبل أن يتم وضع آية زجاحة ملونة. ومن بين تلك الملوحات عدد من تلك الملوحات عدد من تلك الملاحات منفأ في نظر أرباب الجميم وكان بير اهتمامي أكثر من الأخريات من حيث آنه يعيد صورة تلك الأومام المصرية الذي تشت ثنا أمنا قد لا تنمو الأشياء إن لم نلجأ إلى المحاكمة أمامنا موى جانب من حائط وانحن في عربة جادة طويلة مضيئة ثبداً على بضمة أمنار منا في حين لبس المنطق في منا المناسوى جانب من حائط المنابعة المنابعة على جذر لاتطباع فقسه، أن فحل أمرا بالأمر الأخر الذي فلئاء الخدعة الرمزية بل من باب الرجوع الصادق إلى جذر الانطباع فقسه، أن فحل الأمرا بالأمر الأخر الذي فلئاء الخدعة الرمزية بل من باب الرجوع الصادق إلى جذر الانطباع فقسه، أن فحل الأمرا بالأمر الأخر الذي فلئاء على يعمد من أن مالها منا كان يقوم جهده في عليه بعد ما تعرفاها. كان المقال المقال من المقالمات المقلة علم المن المقلة ما المقالمات المقلة علم التي يسرفه وغالباً ما كان يقوم جهده في

كان أولئك الذين يمقتون هذه والقياحات عدهشون أن يعجب فالمستبرء بدهاردانه وهيرونوه وكثير من الرسامين الذين يعجونهم هم، أرباب المجتمع. وما كانوا يتبينون أن فإلمستبرء قد عاد فبلل لحسابه المخاص أمام الواقع الجهد نفسه الذي بذله أمثال وشاردانه أو هيرونوه (بالإضافة إلى العلامة الخاصة الدالة على ميله إلى بعض التقصيات) وأنه كان يعجب لديهم تنبجة الملك. حينما يتوقف عن العمل لفضه، بمحاولات من ذات القبيل، بما يشبه اجواء مسجة لأعمال له. ولكن أرباب المجتمع ما كانوا بعنيفون بالفكر إلى أعمال المالي كان يحبوا رسم وشاردانه أو وأن ينظروا إلى على الأقل دون حرج بيد أنه كان يمكن أن يقول أكبرهم سنا في أنسهم أقهم شاهدوا في غضون حياتهم المسافة الشامعة القائمة بين ما كانوا يحكمون أقد وائمة فيه لـوافعره إنقادي أنه يقول أكبرهم سنا في أنسهم أقهم شاهدوا في غضون حياتهم المسافة الشامعة المتالمة المحكمون أقد وائمة فيه لـوافعره وينها، إلى حد تبدو مه اللوحان وكأفهما الدأولوب المناس ولكن المرام لاتيند من أي درس لأنه لايسمن الاسحدار إلى العام وأنه يتصور على الدوام أنه أمام تجربة لاسابقة لها في للاضوى.

وقد أثر في نفسي أن ألقى في لوحين (وهما أكثر واقعية ومن طريقة سابقة) الرجل نفسه، مرة باللبام الرسمي في صائته، وأخرى المسترة والقيمة العالية المستديرة في احتفال شميي على حافة الماء لايمنيه بالبداهه شيء فيه ويقيم البرهان على أنه لم يكن في نظر الالستيرة جليساً غادياً فحسب بل صديقاً وربما نصيراً كان يحب أن يكون موجوداً في لوحاته، شأن وكاريا تشيره بالأمس وبعض الأسياد المشهورين في البندقية والشبة تام يينهم-؟ كذلك وبيتهوفن، كان يجد متمة في تسجيل اسم الأرشيدوق ورودولف، الحبوب في مستهل عمل فئي مفضل. كان ذلك الاحتفال على حافة الماء يتسم بشيء من السحر. فالنهر وفساطين النساء وأشرعة القوارب والإندكاسات التي لاتخصى لهلمه وتلك كانت تتجارر وسط مربع الرسم هذا الذي اقتطامه والمستيرة

من ساعة عصر واثعة. وما كان يفتنك في فسطان امرأة كفت لحظة عن الرقص بسبب النحر وفقد الأنقاس كان يتلألأ كذلمك وبالطريقة نفسها في قماش شراع ساكن وفي مياه المرفأ الصغير والجسر الخشبي الصغير وأوراق الشجر والسماء. ومثلما كان المشفى، وهو في مثل جمال الكاتدرائية نفسها غت سماته الزمردية، مثلما كان بيدو، وهو أكثر جرأة من (اللستيرة المنظر، من (اللستيرة الذواقة و عاشق العصر الوسيط، وكأنه ينشد: وليس ثمة من طراز قوطى، ليس من رائعة فنية، إن المشفى الذي لا طراز له يساوي البوابة المجيدة، كذلك كان يطرق أذني: وإن المرأة العادية إلى حدّ ما التي يتجنب هاو في نزهة أن ينظر إليها، ويستثنيها من اللوحة الشاعرية التي تؤلفها الطبيعة أمامه، هذه المرأة جميلة بدورها وينعم فسطانها بالضياء نفسه الذي ينعم به شراع المركب، وليس ثمة أشياء أكثر ثمناً أو أقل فالفسطان العادي والشراع الجميل في حد ذاته مرآمان لانعكاسة الضياء نفسها. القيمة كلُّها تكمن في نظرات الرسام. وإن هذا الأخير قد أفلح في أن يوقف ويخلد حركة الساعات في هذه اللحظة المنيرة التي اشتد فيها الحر بالسيدة فتوقفت عن الرقص، والتي كانت الشجرة محاطة فيها بهالة عاتمة والأشرعة تبدو وكأنّها تنزلق فيها على طلاء من ذهب. ولكن هذه اللوحة المثبتة إلى أبعد حدّ كانت تورثنا بالضبط، لأنَّ اللحظة كانت تضغط علينا أعظيم الضغط، الانطباع الأكثر زوالاً ويوافينا شعور بأن السيدة تزمع أن تعود عمّا قليل أدراجها، والمراكب أن تخضى والظلّ أن يبلّل مكانه والليل أن يحلّ وأن المتمة تنتهي والحياة تنقضي وأنَّ اللحظات التي تبرزها في الآن نفسه كثرة من الأضواء تتجاور فيها لاتستعاد. كنت أتعرّف كذلك وجها مختلفاً نماماً بالحقيقة لما هي عليه واللحظة، في بضع لوحات مائية ذات موضوعات ميثولوچية تعود إلى بدايات اللستيرة وكانت هذه الصالة مزينة بها أيضاً. كان أرباب المجتمع والمتطورون، يذهبون، حتى، هذه الطريقة ولكن لا إلى أبعد من ذلك. وما كان ذلك بالتأكيد خير ما فعل وليلستيرة، ولكن الصدق الذي عولج به الموضوع كان يقلل مذ ذاك من جفافه. من ذلك مثلاً أن ربات ألشعر كانت ممثلة مثلما قد يتم تمثيل كالنات تتمي إلى نوع مستحالي ولكنّما قد لا يندر أن تراها في العصور الميثولوچية نمرٌ في المساء مثني أو ثلاث على امتداد درب جبليّ. وأحياناً كان شاعر من سلالة تنفرد كذلك بشخصية خاصة في نظر عالم الحيوان (وتتسم بشيء من اللاجنس) يتنزه برفقة إحدى ربات الشعر مثلما في الطبيعة مخلوقات من أجناس مختلفة ولكنّها صديقة ويمضي بعضها برفقة بعض. وكنت ترى في إحدى هذه الملوحات المائية شاعراً خائر القوى من جرّاء نزهة طويلة في الجبل بحمله رجل ثور التقاه، فهزه تعبه، على ظهره ويرجعه، وفي أكثر من واحدة أخرى كان يتم رد المنظر المترامي الأطراف، (حيث يشغل المشهد الأساطيري والأبطال الخرافيون مطرحاً صغير جداً ويخيل إليك أنّهم ضائعون)، من القمم إلى البحر، بدقة تزوَّدك بأكثر من الساعة، تزودك حتى بدقيقة الحدث بفضل الدرجة المحدَّدة لانحدَّار الشمس وصدق الظلال المعابر. وإنَّما يزوِّد الفئان بذلك رمز الأسطورة، إذ يضفي الآنية عليه، بضرب من الواقع التاريخي المعاش ويصورُّه ويرويه في الماضي المحدد.

وفيما كنت أتأمل لوحات اليلستيرة كانت رنات جرس المدعوين الوافلين تطنّ غير منقطعة وتهدهدني برفق. ولكن الصممت الذي أعقبها والذي كان يخيم منذ فترة طويلة أيقظني في النهاية ~ بسرعة أقلُّ بالحقيقة - من أحلامي، مثلما الصمت الذي يعقب موسيقي «ليندور» يوقظ «بارتولو» من نومه. وخشيت أن يكونوا قد نسوني وأنَّهم يجلسون إلى المائلة ومضيت مسرعاً إلى الصالة. وألفيت على باب حجرة لوحات اليلستير، خادماً

ينتظر، وهو عجوز أو «مُبُودُورُه الشعر، لست أدري، وله مظهر وزير اسباني ولكته يعرب لي عن الإجلال نفسه الذي ربما أبداه في حضرة أحد الملوك. وأحسست في هيئته أنه ربما انتظرني ساعة بعد وفكرت بهلع في التأخير الذي ألحقته بالعشاء ولاسيما أنني وعدت بالحضور في الحادية عشرة إلى منزل السيّد «دو شارلوس» وقادني الوزير الإسباني (ناهيك أنّي التقيت في طريقي الخادم الخاص الذي يضايقه البواب والذي قال لمي، وقد تألق من السعادة حينما سألته عن أخبار خطيبته، إن الفد كان بالضبط يوم خروجها وإياه وإنَّه يمكنه قضاء النهار كله برفقتها وأشاد بفضل السيَّدة الدوقة) إلى الصالة حيث كنت أخشى أن أجد السيَّد ددو غير مانت، معكر المزاج. فاستقبلني على العكس بفرح مصطنع جزئياً بالطبع أملاه التهليب، ولكنه صادق من ناحية أخرى، أرحت به على السواء معدته التي جوعها مثل هذا التأخير والشعور بنفاد صبر مماثل لدى جميع المدعوين الذين كانوا يملؤون الصالة تماماً. وقد علمت بالفعل فيما بعد أنهم انتظروني حوالي ثلاثة أرباع الساعة، وليس من شك بأن الدوق ودو غير مانت، قد ظنّ بأنّ تمديد العذاب العام دقيقتين لن يزيد منه وأن التهذيب، وقد دفعه إلى تأخير لحظة الجلوس إلى المائدة، قد يضحي أكثر اكتمالًا إن هو أفلح في إقناعي، إذ لا يأمر بتقديم العشاء في الحال، أنتي لم أكن متأخراً وأنَّهم لم ينتظروا من أجلى. وقد سألني، وكأنما لاتوال لدينا ساعة قبل العشاء وأنَّ بعض مدعويه لم يحضروا بعد، كيف كنت أرى لوحات اليلستير،. ولكنَّه أخذ في الوقت نفسه يقوم بالتعريف تؤازره الدوقة في ذلك، كي لايضيع ثانية إضافية ودون أن يظهر اعتلاجات معدته. ولاحظت حينذاك فقط أنَّه قد تمُّ للتو من حولي، من حولي أنا الذي حتَّى هذا اليوم – باستثناء الدورة التدريبية في صالة السيّدة ٥سوان٥– قد عَوّد في منزل واللته في ٥كومبريه، وباريس التصرفات الحانية أو المتمنعة لبورجوازيات متبرمات كنّ يعاملتني معاملة الطفل، تبدلاً في المظهر الخارجي شبيهاً بذاك الذي يجيء فجأة بـ الرسيفال، وسط الفتيات الأزاهير. فاللواتي كن يحطن بي عاريات الكتفين تماماً (كانت بشرتهن الموردة تبرز من جانبي غصن ميموزا متمرج أو تحت بتلات وردة عريضة) لم يقرئنني السلام إلا وهن يرمقنني بنظرات طُويلة متحبة كما لو حال الخفر وحده دون أن يعانقنني. وليس يقلل ذلك من أنَّ الكثيرات كنِّ فاضلات جداً على صعيد الأخلاق، الكثيرات لا كلُّهن، إذ أنَّ أكثرهن عفة ما كن بيدين إزاء من كنُّ طائشات ذاك النفور الذي ربما أحست به والدقي. فقد كانت نزوات المسلك التي تنكرها صديقات فاضلات على الرغم من جلاء الأمر، كانت تبدو في دنيا آل «غيرمانت» وكأنها أقلّ أهمية بكثير من العلاقات التي أقلح المرء في الحفاظ عليها. كانوا يتظاهرون بأنَّهم يجهلون أنَّ جسد واحدة من سيدات البيوت كان نهب من يشاء بشرط أن تكون «الصالة» قد لبثت لامساس بها.

ولما كان الدوق قليل التحرج إلى حدّ بعيد مع مدعويه (الذين لم يظلّ له منذ زمن بعيد ما يظلمه عنهم ويطلمهم عليه)، ولكنّه كثير التحرج معى أنا الذي كان نوع تفوقه. وهو مجهول لديه، بيمث في صدره نوع الاحرام نفسه الذي يبعثه الوزراء البورجوازيون في صدور السادة الكبار في بلاط لويس الرابع عشر، فقد كان يرى بالطبع أن أمر الجهل بمدعويه لا أهمية له على الإطلاق، إن لم يكن في نظرهم فعلى الأقل في نظري. وفيما كنت أهتم بسبه بالأثر الذي سأعلفه في نفوسهم كان يهتم فحسب بالأثر الذي سيخلفونه في نفسي.

وقد وقع بلدئ الأمر على أية حال اختلاط طقيف مزدرج، ففي اللحظة نفسها التي دخلت فيها إلى الصالة اصطلحيني السيّد 3دو غير مانت) دون أن يدع لي حتى متسماً من الوقت لتحية الدوقة، إلى سيّدة على شيء من قصر القامة وكأنما ليوفر مفاجأة سارة لتلك المرأة التي بنا وكأنه يقول لها: «هوذا صديقك: تهن، إلى أن أسل أمامها، يدفعني الدوق، إلي أجيئك به بعظم رقيته فلك أنّ تلك السيّدة لم تكن قد كفت، قبل أن أسل أمامها، يدفعني الدوق، يوقت طويل، عن أن توجّه إلي فيض البسمات المتضيى الذي نوجهه إلى أحد المارف القدامي الذي ربما لايتعرفنا، وذلك بعينها السوداوين الوديعتين الواسعتين. ولما كانت تلك حالي بالضبط وأنني ما كنت أفلح في تذكر من تكون فقد كنت أشيح بعيني فيما أنقدم كي لايقم علي أن أجيب إلى أن يكون التعارف قد خلصني من ورطني.

وقد ظلت السيَّدة في تلك الأثناء توالي الاحتفاظ في توازن غير مستقر بابتسامتها الموجهة إليّ. وكانت تبدو وكأنها في عجلة من أمرها للتخلص منها وأن أقول أخيراً: ٥آه! ياسيدتي، ذلك ما أعتقده بالتمام. وكم سيسعد والدتى أن عدنا فالتقينا اوكنت أبدي من نفاد الصير لمعرفة اسمها بقدر ماتبدي لملاحظة أتني أسلم عليها سلام العارف بالأمر تماماً وأن ابتسامتها، التي تطاولت تطاول «صول» مرفوعة ، يمكن أن تتوقف أخيراً. ولكنُّ السيَّد (دو غير مانت، لم يحسن التصرف، في نظري على الأقل، إلى حد بدا لي معه أنه لم يسم غيري وأنتي لا أزال غير عارف بالمجهولة الزائفة التي لم يتبادر إليها أن تذكر اسمها لفرط ما تبدو لها دواعي ألفتناء وهي غامضة لديُّ، واصمحة فلم تمد إلى بدها حالما أصبحت بالقرب منها بل أخلت يدي أخذ الألاف وكلمتني بمثل اللهجة التبي تكلمني بها لوكنت على مثل احاطتها بالذكريات الطيبة التي كانت تعود بالفكر إليها. وقالت لي إلى أي حدّ سيأسف «ألبيره» الذي أدركت أنه أبنها، أن لم يسعه المجيء. وبحثت بين رفاقي القدامي من عساه يدعى وألبير، فلم أجد غير وبلوك، بيد أنه ما كان يمكن أن تكون تلك الماثلة أمامي السيَّدة «بلوك» الوائدة بما أن هذه الأخيرة قد توفيت منذ سنوات طويلة. وعبثاً كنت أجهد في استشفاف هذا الماضي المشترك بيني وبينها والذي كانت تعود بالفكر إليه. ولكني ما كنت أبصره عبر السبج الشفاف في الحدقتين الوادعتين الواسعتين اللتين لا تسمحان بغير مرور الابتسامة أفضل محا نميز منظراً واقعاً خلف زجاج أسود وإن ألهته الشمس. وسألتني إن كان والدي لايفرط في التعب وإن كنت لا أودَ الذهاب في يوم إلَى المسرح برفقة «ألبير» وإن كنت أقل مرضاً، ولما لم تصبح إجاباتي، وهي تتربّح في عتمة الفكر التي كنت فيها، واضحة إلا لأقول إنّي لم أكن على مايرام في ذلك المساء، دفعت إليٌّ بنفسها كرسيًّا وهي تبلل جهوداً لاتخصى لم يعودني قط عليها أصدقاء والذيُّ الآخرون وأخيراً زودني الدوق بكلمة اللغز، فهمس في أذني التي قرعتها هذه الكلمات كما لو لم تكن مجهولة لديها، همس قائلاً: وإنَّها تجدك ظريفاً، وكانت تلك التي سبق أن قالتها لنا السيَّدة ٥دو فيلبايزيس، لي ولجئتي عندما تعرفنا بأميرة ٥لوكسمبور، حيثلة أدركت كلُّ شيء، فالسيّدة الحالية لايربطها بالسيّدة ددو لو كسمبور، رباط ولكنني ميزت صنف الطريدة لدى سماع من كان يقدمها لي. لقد كانت صاحبة سمّو. لم تكن تعرف أسرتي ولاتعرفني بدوري ولكنّها كانت ترغب، وهي تنحدر من أكرم سلالة وتملك أعظم ثروة في العالم (إذ هي ابنة الأمير «دوبارما» وقد تزوجت ابن عم هو الآخر من سلالة أمراء) ، كانت ترغب في امتنانها للخالق أن تعرب للقريب أنَّها لاتختقره مهما كان فقير المحتد أو متواضعه. وكان بوسع الابتسامات، والحق يقال، أن تكشف لي الأمر، فقد سبق أن رأيت أميرة ولوكسمبورة تبتاع شطائر خبز الشيلم على الشاطئ كي تقلع منها لجلتي وكأنما لأيلة في وحديقة الأقلمة. ولكنها لم تكن سوى ثاني أميرة من أسرة مالكة يتم تعريفها بي وكان يمكن التماس العلم لي لأنني لم

أسخطه الميزات العامة في تلطف الكبار. أفلم يكلفوا أنفسهم على أي حال عناء تنبيهي إلى الأ أيالغ في الالاتكال على ذلك التلفظ وي مسرح الأوبرا الالاتكال على ذلك التلفظ وي مسرح الأوبرا الهازلة بدا أنها حافقة من أن أحييها في الشارع شأن اللين يحسبون أنهم، بعدما أعطوا أحدهم لمرة ذهبية، قد أدرًا ما عليهم إزاءه إلى الأبد. أنا السيد 3 و شاروس، فقد كانت محاسمه ومساوئه أبرز تناقضاً. وقد عوفت أعيراً، كما سترى، صاحبات سمو وصاحبات جلالة من نوع آخر، من ملكات يمثلن دور الملكة ويتكلمن لا وقو عادات أبناء سلائهن بل كما تفعل الملكات في مسرح وساردوه.

ولتن لجأ السيّد دور غير مانت؛ إلى هذا الاستعجال في التعريف بي فلأنه لايمكن احتمال أن يكون أم اجتماع ضخص مجهول لدى صاحبة سمّو ملكية ولايمكن أن يدوم الأمر ثانية واحدة.كان ذلك هو الاستجال نفسه الذي أبداه وسائن لوء غي طلب تعريف جنّسي بد. كان اللوق دور غير مانت؛ يعتبران على أيّة حال، من جزّاء بقية مورولة من حياة البلاط تدعي التهذيب الاجتماعي وليست سطحة ولكنّما على أيّة حال، من جزّاء بقد من جزّاء انقلاب من الخارج إلى الداخل جوهرياً وعميقاً، كانا يعتبران بمثابة واحب جوهري أرعميقاً، كانا يعتبران بمثابة واحب جوهري أن الفال الإيكترث بها على الحرارة في في الغالب لايكترث بها على المرة دارامة إلا يضمير الغائب.

واثن كنت لم أذهب البتة بعد في حياتي إلى وبارماه (الأمر الذي كنت أتوق إليه منذ عطلة فصح بعيدة) ، فإن معرفة أميرتها التي كانت تملك فيما أعلم أجمل قصر في تلك المدينة الفريدة حيث كان لابد أن يكون كل شيء متجانساً على أيَّة حال إذ هي معزولة عن بقية العالم بين الجدران المصقولة وفي الجرِّ الخانق كحاله في أسية صيف لاهواء فيها على ساحة مدينة إيطالية صغيرة، جو اسمها الكثيف المفرط في علوبته، إن تلك المعرفة كان ينبغي أن تخل فجأة محل ما كنت أحاول نمثله ما كان موجوداً بالحقيقة في «بارماء، وبضرب من الوصول الجزئمي ودون أن أكون برحت مكاني. كان ذلك في حبر الرحلة إلى مدينة وجورجونه، بمثابة معادلة أولى بذلك المجهول. على أتى إن كنت منذ سنوات قد أشبعت اسم أميرة وبارماه بعطر ألوف من زهر البنفسج- شأن ما يفعل عطار بكتلة متساوية من مادّة دسمة - فقد بدأت بالمقابل، ما أن رأيت الأميرة إلاَّبعد انقضاء ببضعة شهور على ذلك وقامت بواسطة جبلات كيماوية جديدة على طرد كل الزيوت الأساسية من زهر البنفسج وكلّ فوح «ستانداليّ» من اسم الأميرة وأدخلت مكانها صورة امرأة قصيرة سوداء تشغلها المبرات ذات لطف عظيم الانضاع حتى لتدرك في الحال في أيّ كبر واعتزاز اتخذ هذا اللطف منشأ. لقد كانت على أية حال، وهي شبيهة مع بعض الفوارق البسيطة بالأخريات من كبار السيّدات، قليلة الاتسام بـ الستاندالية، قلة شارع «بارما» في حيّ أوروبا في باريس مثلاً الذي هو أقل شبها باسم «بارما» منه بجميع الشوارع المجاورة وأقل تذكيراً بدير الرهبان الذي يموت فيه «فابريس» منه بصالة «الخطى الضائمة» في محطة enli Vilia.

^(#) من بطلات رواية متائدال الشهيرة المحيس بارماي ..

كان لطفها ناجماً عن سبين ؟ أحدهما، وهو عام، البرية التي تواؤت لابنة الملوك هذه، فقد رسخت والدعه (درام تكن ترقيط بعلاقة مصاهرة بجميع الأسر الملكية في أوروبا فحسب بل كانت، على نفيض الأسرة الملكية في أسروبا فحسب بل كانت، على نفيض الأسرة الملكية في نفسها، منذ نعومة المفائرها، تعالم سنوية الخيلية مستكرة في اتضاعها . مال كل للمحمد في وجه الثناة، كانت استطرة كشهه وحركات فراعيها تبدو الخيلية مسجولة والمنافرة الإلهية في سبح الله بأن تولدي على سلام العرض، ألا تستغلي فلك لاحقال للله المن تعدون الموافقة بالممائل المنافرة والمحلولة والموافقة بالممائلة المنافرة والمحافظة والمحافظة المحافظة المنافرة والمحافظة المحافظة الم

كانت الأميرة مخاول لذلك، حتى في الفترات التي لاستطيع فيها فعل الدخير، أن نظهر أو بالأحرى أن توهم بجميع العلامات الخارجية التي نميز اللغة الصاحتة أنها لانظن نفسها أرفع من الذين نعيش بينهم. كانت تبدي لكل منهم هذا التهذيب الرائع الذي يديه أناس حسنو التربية لمن هم أدنى منهم مرتبة وتدفع في كل لحظة، كيما تؤدي خدمة ما، كرسها من أجل أن توسع للكان وشحمل قفاري وتقدم لي كل هذه الخدمات التي لاتليق بالمهرجوازيات المستكبرات والتي تؤديها بملء الخاطر الملكات أو يقمل بالغريزة ومن جراء عادة مهنية قفامي الخدم.

أما السبب الأخر لما ألمنت في الأميرة دور بارماه من لطف فأكثر خصوصية ولكتما لايمليه على الإصلاق ود تنفي تكتم لي. ولكن الوقت لم يتسع في لتمميق هذا السبب الثاني في تلك اللحظة. فقد دفعني الدوق مذ ذلك، وكان يبدو على عجلة من أمره لانعام المحريف بي، إلى واحدة أخرى من الفتيات الأواهير وإذ سمعت اسمها قلت لها إلله مبيق أن مروت أمام قصرها في مكان غير بعيد عن وبالبيائه فقالت: إذا كم التبيير منبعة بالأصف المرجمة مفقودة في متمة فريدة وأصافت بنظرة موحية، أثمل أن كل شيء لم ينفض. التبيير منبعة بالأصف المرجمة مفقودة في متمة فريدة وأصافت بنظرة موحية، أثمل أن كل شيء لم ينفض. ولايد أن أقول إن ما كان استهواك أكثر منه فقصر عمتي «وراتكام» فقد باه وما نصاره وهو دور الأقليم. ولما لم تكن لتجواف ولم المتحرب بالماح أنه لايد أن يواطق المتحرب بالماح أنه لايد أن يحافظ المتحرب بالماح أنه لايد أن يحافظ المتحرب بالماح أنه لايد أن يحافظ المراتجار، ولاسيما في زمن تعيل فيه الأرض إلى الانتقال إلى أيدي وجال مل لا يوصونون العين، على التقاليد المربقة في ضياة علية القوم بالقوال لا تلارم صاحبها في شيء اضف أنها كانت مجاول، شأن جميع الناس في

وسطها، أن تقول من الأمور ما يمكن أن يدخل أعظم السرور في نفس من شخله وأن توليه أرفع فكرة عن ذاته وأن يمتقد أنه يروق من يكتب إليهم ويشرف مستضيفه ويتحرق الناس إلى معرفته. وإن ابتغاء ابلاء الأعربين هذه الفكرة المفرسة عن فواتهم موجودة أحيالاً والدى بقال حتى في صفوف البورجوازية. فأنك تصادف فيها هذه النزعة المغيرة، وقلك بمنزلة ميزة فردية تعرض عن عيب ماء الالدى أكثر من تلق بهم من الأصلقاء للأصف بمل للدى أكثر من يروقك من الرفيقات على الأقل. وهي تزدهم على أية حال على نحو أفرادي. أما لدى قسم هام من الأرستقراطية فقد كفت هذه المزة في الطباع على المحكس عن كونها فردية، وأضحت، وقد نمتها التربية وتمهنتها فكرة عظمة خاصة لايمكن أن تعضى التحقير ولا تعرف منافساً لها وتعلم أنها تستطيع بالوداعة أن تسعد المعش ويطيب لها أن تقمل، الطابع المميز لطبقة مينة، حتى أولئك الذين تخول معايب ضعصية مفرطة التنافض دون أن يحفظوها في قلوبهم يحملون أثرها اللاراعي في كلمائهم أو حركات

وقال لي السيّد دو غير مانت، دعن الأميرة، دو بارما،: «إنّها امرأة طبية جناً وتعرف كيف تكون فسيّدة كبيرة، كما لايستطيع غيرهاه.

وفيما كان يتم تعريفي بالنساء كان ثمة رجل يطلق أمارات اضطراب كثيرة: وكان الكونت وهانيبال دو بريوتيه كولسالفي، فقد وصل متأخراً فلم يتسع له الوقت للاستعلام عن المدعوين وحينما دخلت إلى الصالة وإذ أبصر فيُّ مدَّعواً لم يكن في عداد مجتمع الدوقة وكان لابد بالتالي أن يمتلك ألقاباً خارقة تماماً كي ينفذ إليه فقد وضع نظارته بخت قوس حاجيبه المستدير وفي اعتقاده أنَّها ستعينه على تمييز نوع الرجل الذي كنته أكثر منه على رؤيتي كان يعلم أنَّ السيَّدة ودو غير ماتسته تملك، والأمر امتياز ثمين للنساء المتفوقات حقاً، ما يدعي بـ ١٩الصالة، بعني أنَّها تضيف أحياناً إلى جماعة مسيطها رجلاً مرموقاً أبرزه منذ قليل اكتشاف دواء أو انتاج رائعة فنية. كان حي ٥سان چيرمان، لايزال خمت تأثير معرفته أنَّ الدوقة لم تخش أن تدعو السيّد ٥دو تاي، إلى حفل الاستقبال على شرف ملك إنكلترا وملكتها. وكانت متطرفات «الحيّ» يسلين بصعوبة أنهن لم يدعين لشدّة ما لعلهّن كنّ استحلين الاقتراب من تلك العبقرية الغربية. وكانت السيَّدة ٥ كورفوازيه، تدعى أنّ السيَّد وربيو، كان أيضاً حاضراً ولكنه كان اختلافاً معداً للحمل على الظنُّ بأنَّ وأوريان، كانت تخاول أن يتمّ تعيين زوجها سفيراً ثمَّ إنَّ السيَّد ﭬدو غير مانت، ; يادة في الفضيحة، كان قد ذهب إلى قاعة استراحة مسرح والكوميدي فرانسيز، ورجا الأنسة وإيشنبرغ، بتأدب يليق بالمشير ددو ساكس، أن تجيء وتنشد الشعر أمام الملك، الأمر الذي تمَّ وألف واقعة لا سابقة لها في حوليات اللقاءات المجتمعية. ولدى تذكر هذا القدر من اللامتوقع الذي كان يقره على أي حال تماماً. وعلى قدر ما كان السيّد (دو بريوتيه) نفسه زينة لأيّ صالة وتكريساً لها على نحوما كانت الدوقة «دو غير مانت» ولكن في فغة الذكور، أخذ يحسّ، وهو يسائل نفسه من كان يمكن أن أكون، بحفل فسيح جداً ينفتح أمام عجرياته. ومرّ اسم السيّد «ويدور» لحظة في خاطره ولكنّه حكم أنى فتيّ جدا كيما أكون عازف أرغن وأن السيّد (ويدور؛ هيّن الشخصية إلى حدّ بعيد كيما يقم استقباله. وبدأ له أكثر احتمالاً أن يبصر فيَّ فحسب الملحق الجديد في مفوضيَّة السويد الذي سبق أن حكَّموه عنه، وأخذ يعدّ العدة ليسألني أخبار الملك (أوسكار) الذي استقبله أحسن استقبال مرّات عديدة. ولكن عندما قال الدوق اسمي للسيّد ددو بريوتيه، بغية التعريف بي وإذ رأى هذا الأخير أن الإسم مجهول لديه تماماً لم

يشك مذ ذاك بعد أنني لوجودي هناك من بعض المشاهير. ولم تكن «أوريان» بالتأكيد تفعل غير ذلك وهي تتقن فنّ اجتذاب الرجّال المرموقين إلى صالتها بمعدّل واحد إلى مئة بالطبع وإلاّ لكانت سبقته. وشرع السيّد هدو بريوتيه، إذن يمّرر لسانه على شفتيه وهيشمشم، بأنفه النهم، وقد أهاج شهيتُه لا العشاء الطبيب الذي هو على يقين من الحصول عليه، بل طابع الاجتماع الذي لايمكن إلاَّ أن يضَفي عليه وجودي إثارة وسوف يوفر له موضوع حديث مثير في الغد أثناء غداء دوق (شارتر، ولم يكن بعد قد قرّ رأية على النقطة التي مفادها أن يعلم إن كتت أنا ذاك الذي جاؤوا على تجريب مصله ضدّ السرطان أو على اعتماد نصة للتمثيلية الجديدة في المسرح الفرنسيُّ، ولكنه لم يكن يتوقف، وهو مثقف كبير وهاو كبير ولقصص الأسفار،، عن مضاعفة الإنحناءات أمامي وعلامات التفاهم والابتسامات التي تسربها نظارته، إما انطلاقاً من الفكرة الزائفة القائلة بأن أيُّ إنسان ذي شأن سوف يزيد من تقديره له إن هو أفلح في أن يدخل في روعه الوهم بأن اسميازات الفكر ليست في نظره، هو الكونت ددو بريوتيه كونسالفي، أقلُّ جدارة بالاحترام من امتيازات المولد، وإمَّا لمحض حاجة إلى التعبير عن رضاه وصعوبة في التعبير عنه في جهله للغة التي ينبغي أن يحلَّلني بها، كما لو اتفق له، باختصار القول، أن يكون في حضرة واحد من السكان الأصليين في أرض مجهولة وصل إليها طوفه ويحاول، أملاً في الربح، وفيما يلاحظ باستغراب عاداتهم ودون أن يوقف تظاهرات الصداقة أو يغفل عن إطلاق صبيحات عالية مثلهم، أن يبادل ببيض نعامة وتوابل مصنوعات زجاجية صغيرة. وبعد أن استجبت جهد المستطاع لابتهاجه، شددت على يد الدوق دوو شاتيلوه الذي مبق أن لقيته لدى السيَّدة دو فيلباريزيس، التي قال لي عنها إنها داهية. كان من آل دغير مانت، إلى حدّ بعيد بشقرة الشعر وعقفة الأنف في منظره الجانبي والنقاط التي يمتقع فيها جلد الخَّد وكلِّ ما تبصره العين مذ ذاك في رسوم هذه الأسرة التي خلفها لتا القرنان السادس عشر والسابع عشر. ولما لم أعد أحب الدوقة فإن عودتها في جسد شاب كانت خالية من أيّ جاذب في نظري وكنت أقرأً العقفة التي يشكلها أنف الدوق ددو شاتيلرو، بمثابة توقيع رسام درسته فترة طويلة ولكتَّه لم يعد يهمني على الإطلاق ثمَّ حبيت كذلك الأميرة ١دوفو١١. وتركت سلامياتي لتعس حظها تدخل في الملزمة، ولاتبرحها إلاّ مرضوضة، والملزمة التي تؤلفها مصافحة على الطريقة الألمانية ترافقها ابتسامة ساخرة أو ساذجة يجود بها الأمير «دو فافتهايم» صديق السيّد «دو نوربوا» والذي كان يدعى، من جرّاء هوس الألقاب الذي يميزٌ هذا الوسط، الأمير دفون، وذلك على نطاق شامل إلى حدّ أنّه أخذ يوقع بدوره والأمير فون، أو « فون» إن هو راسل الألآف والاختصار هذا تدركه عند اللزوم بسبب طول الإسم المركب ولكنَّك أقل تبيناً للأسباب التي كانت مخمل على استبدال اليزابيت، بـ اليلي، طوراً ونراة بـ ابيبيت، مثلما تكثر في وسط آخر أسماء «كيكيم» وإنك لتدرك أنَّ جماعة ربما اختاروا «كبو» كي لايضيعوا وقتهم بقولهم «مونتسكيو» مع أتهم قليلو المشاغل ومستهترون بعامة. ولكنك أقلّ تبيئاً لما كانوا يكسبونه في تسمية أحد أبناء عمّهم ودينان، بدلاً من الهيردينان، وينبغي ألا نعتقد على أية حال أنَّ آل،(غير مانت، كانوا يلجؤون دوماً في إطلاق الأسماء إلى ترداد أحد المقاطع. فمن ذلك أنَّ شقيقتين هما الكونتيسة ددو مونييرو، والفيكونتيسة ددو فيلود،، وكلتاهما على بدانة هائلة، لم تسمعا قط من يناديهما بغير ٥صغيرة، و٥ظريفة، دون أن تغضبا لللك أقلّ الغضب ودون أن يخطر لأحد أن يبتسم للأمر لفرط قدم العادة. ولعل السيّدة دو غير مانت، التي كانت تعشق السيَّدة ودر مونبيرو، لعلَها لو أصيبت هذه الأخيرة إصابة خطيرة، سألت أخمها دامعة العين. ويقولون إنَّ دصغيرة، في أسوأ حال، أمّا السيّدة ددو ليكلان، التي كان تصفف شعرها شرائط تحجب أذنيها كلياً فعا

كانوا يدعونها قط بغير االبطن الخاري، ويكتفون أحياناً باضافة 100 مربوطة إلى كنية الزوج أو اسمه للدلالة على الزوجة. ولما كان اسم الرجل الأمند بيخلاً والأكثر خسة والأكثر قسوة في الحيّ ووافاتيل، فإن فاتنه وزهرته التي نبتت كذلك في الصخر كانت توقع دوماً باسم الرافاتيله، على أن تلك نماذج لقواعد لاتخصى يمكننا دوماً، إن سنحت الفرصة، أن نشرح بعضاً منها.

وسألت الدوق بعد ذلك أن يقدّمني للأمير دداغر بجانت، قصاح السبّد ددو غير مانت، قائلاً: دعجاً، ألا تعرف هذا الصرار الرائعة، وذكر اسمى للسيِّد اداغر بجانت، وقد سبق أن بدا لي اسم هذا الأخير على الدوام، وكثيراً ما ذكرته وفرانسوار، بمثابة زجاج شفاف كنت أبصر مخته المكعبات الوردية لمدينة قديمة تسقط فوقها على شاطئ البحر البنفسجي الأشعة الماثلة لشمس ذهبية، وما كنت أشكَّ أن الأمير -وقد مرَّ في باريس بأعجوبة خاطفة- هو نفسة سلطانها الحقيقي الواضح إلى حدّ بعيد في طابعه الصقلي والذي اكتسى بالأمجاد. ولكنَّ الخنفس التانه الذي عرفوني إليه والذي دار على نفسه ليسلم عليٌّ بوقاحة متثاقلة يظنُّها متأنقة كان بعيدًا عن اسمه بعده عن عمل فني ربما حازه دون أن يحمل في نفسه أيُّ انعكاس منه ودون أن يكون ربما نظر إليه في يوم. كان الأمير دداغر يجانت، خلواً تماماً من أي طابع أميريُّ ويمكن أن يذكر بـ أغريجانت، إلى حدّ تفترض معه أن اسمه، وهو مختلف أتمَّ الاختلاف عنه ولايربطه بشخصه رباط، كان بمقدوره أن يجتلب إليه كلّ ما أمكن أن يكون ثمة من غامض الشعر لدى هذا الرجل، كما هي الحال لدى سواه، وأن يسجنه بعد هذه العملية داخل المقاطع المسحورة. ولئن تمت هذه العملية فقد أنخزت في جميع الأحوال على أحسن وجه إذ لم يظل فرة واحدة من سحر يمكن استخلاصها من قريب آل اغيرمانت، هذا، حتى اتفق له أن يكون في الآن نفسه الرجل الوحيد في العالم الذي كان أمير وأغريجانت، وربَّما أقل رجل في العالم يمكن أن يكونه. وقد أسعده جدًا على أية حال أن يكونه، ولكن على نحو ما يسعد صاحب مصرف لأن يملك أسهماً كثيرة في منجم دون أن يهتّم من ناحية أخرى إن كان هذا المنجم يتفق وجمال أسماء منجم وإيفانهو، ومنجم وبريمروز، أو إن كان يدعى منجم \$الأول، فحسب. وفي تلك الأثناء وفيما كانت تنجز أدوار التعريف الطويلة جدًا إما رويتها ولكنها لم تدم، وقد تمُّ البدء بها منذ دخولي إلى الصالة، سوى بضع لحظات، وفيما كانت السيّدة دور غير مانت، تقول بلهجة التوسل تقريباً: وإنّي متيقنة من أنَّ وبازان، يتعبك باصطحابك على هذا النحو من هذا إلى ذاك، نحن نريد أن تعرف أصدقاءنا ولكنّنا نريد على وجه الخصوص ألا نتعبك كيما تعود مرَّات كثيرة، أشار الدوق بحركة غير حاذقة إلى حدٌّ ما ومتهيبة إلى أنَّهم يستطيعون تقديم الطعام (الأمر الذي ودُّ لو قام به منذ ساعة عبثت فيما يخصني بتأمل لوحات ١ايلستير٥).

وينبغي أن نضيف بأن أحد المدعوين لم يكن حاضراً، وهو السيّد دو غروشي، التي جاءت زوجته، وقد ولدت لآل دغير مانت، وحدها من جانبها، إذ يصل الزوج مباشرة من الصيد حيث نضى النهار. وكان السيّد دو غروشي، هذا، وهو سليل دغروشي، في زمن الأمبراطورية الأولى الذي قبل زوراً إنَّ غيابه في آئل ووارلو، كان السبب الرئيسي لهزيمة نابليون، ينحد من أسرة ممتازة رلكتها غير كافية مع ذلك في نظر بعض المولمين بأمور النبلاء. من ذلك أنَّ الأمير دور غير مانت، الذي كان يزمع أن يكون بعد ذلك بسنوات كثيرة أقل تشدَّداً فيما يخصة قد تمود أن يقول لبنات أشهر، و يالمسية السيّدة دو غيرمانت، المسكينة هذه وهي الفيكونتيسة دور غيرمانت؟ المستعلم قط تزويج بناتها له. – دولكن البكر ياعمي تزوجت السيّد دور غروشي، -- لا أسمّي هذا زرجاً؟ على ألهم بزعمون أنَّ الدم دفرنسوا، قد طلب الصغرى، الأمر الذي من شأنه ألا يكن كالهن قد لبئن بنات.

وما أن صدر الأم يتقديم المطمام حتى انفتحت أبواب قامة الطعام على مصراعيها في صرّة دائرية واسعة متعددة متواقدة. وانحنى رئيس خدم يبدو وكاته رئيس تشريفات أمام الأميرة دو بارماه وأعلى الخبر: «طعام سيّدتي جاهزة وبلهجة خبيهة بتلك التي ربعا قال بها: «سيّدي تصارع الموت، ولكنّها لن تثر أي غمّ في الجماعة إذ تقدّم الأزواج بهيئة مرحة، وكما هو الصيف في «وربسون، الواحد تلو الآخر إلى قاعة الطعام يفصلون حينما يلفون أماكنهم حيث يدفع خدم من الخلف مقعدهم، وتقدمت السيّدة «دو غير مات» آخر المطاف صعري كيما أصحبها إلى المائدة ودون أن يماخلني أي خجل كان يمكن أن أخشى منه، فقد دارت، فعلة الصيّلة د التي أولت المهارة العلى الكبيرة رشاقها مهولة، وإذ أبصرت دون شأت أتني وققت في الجانب الذي لاينيني لي الوقوف فيه، دارت من حولي بقدر من الدقة ألقيت معه فراعها على ذراعي ورجبتي أنقص انفصاماً طبيعاً في إنهاع حركات دقيقة ونبية، وانست لها يسر توليد بقدر ما كان أل دفير ماسته أبواب أخرى دخل مها الحداء الذي يتصاعد بخاره وكأشا أتيم المضاء في مسرح دمى أعدً بمهارة وحرًاك فيه وصول المدعو الشاب المتأخر جميع الأجهزة باشارة من القائم عليها.

وإنسا كانت وجلة، لا عظيمة في جلالها. إشارةً الدوق تلك التي استجاب لها الطلاق هذه المجموعة الآلية والبشرية الفسيحة المبتكرة الطيمة الفخمة. ولم تعفر حيرة الحركة في نظري بأثر المشهد الذي كان يرتبط بها. فقد كنت أحسّ بأثّ باجلها مترددة مربكة إنسا المختبة من أن أبيمر أنهم ما كانوا ينتظرون سواي للمشاء أرزّهم انتظروني فوتو طويلة، مثلما كانت تعشي السيدة دو غير ماتمه أن يرمقوني بعد ما شاهدت الكثير من المراجعة المحتبي على نحو مستمر. إلى حدّ أنَّ عباب العظمة في الحركة هو الذي كان يرز العظمة الحقيقيّة، لامبالاء الدوق تلك يذخه الدفاص ومراعاته على المحكس لعنيف غير ذي شأن في حدً ثان وقي يدد كويهه.

وليس يعنى ذلك أنَّ السيّد دو غير مانت، لم يكن عاديًا جدًا في بعض الجوانب ولم يبدُّ حتى مهازل رجل مفرط الثراء واستعلاء وصوليًّ لم يكنّد. مثلما يعمر الموظف أو الكاهن موجيعما الضحالة تضاعف إلى ما لاتهاية من جراء تلك الفوصة التي يتناف خلفها كان الدينة (فيها الفوسة والكنيسة الكانوليكية، (كما الموجة من جراء كامل البحر المدي يتناف خلفها) كملك كان الدينة دعن من المراسقة الله الله القرة الأخرى، أي التهليب الأرسقراطيّ الأكثر مدتاً ولكن هذا التهليب يستبد الكثير من الناس. فما كانت السيّدة دود غير من الناس. فما كانت السيّدة دود غير من الناس. فما كانت السيّدة دود غير منت كان منته كنوبًا من يتاملة المنيافة أكثر روعة بعد، إن بما أحدهم بن تلك المسابلة المنيافة أكثر روعة بعد، إن

وهكذا كان السيّد «در غير مانت» يملكُ، إن شاء إشاعة السرور في صدر أحدهم، فنَا يُحسن الإفادة من الظرف والمكان كي يجمل منه في ذلك اليوم الشخصية الأساسية. ولملّ صنوف أناقته وظوفه كانت أتّخذت في دغير مانت، دونما شك صيغة أخرى. فركما أمر أن تسرج الخيول كي يصطحبني وألوم وحدي بنزهة معه قبل المضاء. كنت شحر ان سلوكه، بالشكل الذي هو عليه، كان يؤثر فيك مثلما توثر فيك، وأتت تقرأ ذكريات من المصر الغابر، ذكريات لويس الرابع عشر حينما يجيب بلطف وبلهجة ضاحكة وينصف انحناءة واحداً جاء يلتصمه. على أنه ينبغي أن ندرك في كلا الحالتين أن ذلك التهليب ما كان يتجاوز حدود دلالة مذه الفظة.

ولويس الرابع عشر (الذي ينعي عليه المولعون بعليقة النبلاء في عصره مع ذلك قليل اهتمامه باللياقة إلى فالوا، وقشارل الخامس، ، إلخ) يأمر بصياغة أكثر التعليمات دقة كي يعلم أمراء الأسرة المالكة والسفراء أيّ ملوك ينبغي لهم أن يقدمُوهم عليهم. وإزاء استحالة الوصول إلى وفاق في بعض الحالات يُفضل الاتفاق على أنَّ مولاي ابن لويس الرابع عشر لن يستقبل هذا العاهل الأجنبيُّ أو ذاك في منزله إلاَّ خارجاً وفي الهواء العللق كي لاَيقال إنَّ أحدهما قد سبق الآخر وهو يدخل إلى القصر. أمَّا والى مقاطعة البالاتينا فيتظاهر، في استقبال الدوق ددر شوفروز، كي لايدع له أن يتقدّمه، بأنّه مريض ويتناول عشاءه معه ولكنّه يفعل في سريره، الأمر الذي يحسم الصحوبة. وإذ يتجنب الدوق فرص تأدية خدمة السيادته، فإنَّ هذا الأخير يتَّخذ، بناء على مشورة الملك أخيه الذي يحَه حباً رقيقاً، ذريعة ليحمل ابن عمَّه على الحضور ساعة استيقاظه وأن يُلبسه قميصه. ولكن حالمًا يدور الأمر حول عاطفة عميقة، حول أمور القلب، فإن الواجب الذي لايلين مادام الأمر يتعلق بالتهديب إنَّما يتغيّر تغيراً كليّاً. فبعد بضع ساعات من وفاة الشقيق هذا، وهو أحد أكثر من أحبُّ من الناس، وحين لايزال دسيادته، حسب تعبير الدوق ددومونفور؛ دساخناً بعد تماماً؛، يغنّى لويس الرابع عشر ألحاناً أوبرالية ويدهش أن تبدو الدوقةدو بورغونيي، التي تلاقي عنتاً في إخفاء ألمها حزينة إلى هذا الحدُّ وإذ ينبغي أن يمود المرح ثانية في الحال وكيما يقرّر رجال البلاط العودة إلى اللعب فإنّه يأمر الدوق ددو بورغوني، أن يباشر لعبة ورق سريعة. والحقيقة أنَّك كنت تلقى التناقض نفسه، لا في أعمال السيَّد ددو غير مانت، المجتمعيَّة والمركزة فحسب، يل في كلامه الأقلّ تعمداً وفي مشاغله وفي برنامج عمله: فما كان آل اغير مانت، يحسّون بعموم أكثر من باقى الفانين، ويمكن حتى أن نقول إنّ حساسيتهم الحقيقية كانت أقلّ. ولكنك كنت تبصر بالمقابل اسمهم في كل يوم في باب أخبار المجتمع من صحيفة والغاليَّة بسبب العدد الهائل من المآتم التي ربَّما ألفوا أنفسهم مذنبين إن لم يسجلوا اسمهم فيها. ومثلما يلقى المسافر البيوت المغطَّاة بالتراب والسطوح التي أمكن أن يعرفها ٥ كزينوفون، أو القديس بولس، كذلك كنت ألقي في سلوك السيّد ٥دو غير مانت، وهو رجل يهزّ باللطف مشاعرك ويثير بالقسوة اشمئزازك، وهو عبد لأصغر الالتزامات ومتحلِّل من أقدس المواثيق، ذاك الانحراف الخاصّ بحياة البلاط في عهد لويس الرابع عشر، ولايزال على حاله بعد انقضاء أكثر من قرنين، الانحراف الذي ينقل وساوس الضمير من نطاق مشاعر الودّ والأخلاقية إلى مسائل شكلية بحتة.

أمّا السبب الأحر للطف الذي أبيده لي أميرة وبإرماه فأكثر خصوصية. ذلك أنّها كانت توقن سلفاً أنَّ كلَّ ماتراه لدى الدوقة ودو غير مانت، من أخياء وأضخاص كان من نوعية أرفع من كلِّ ما تملك لديها. كانت تتصرّف، والحقّ يقال، لدى جميع الناس الآخرين وكان الأمر على هذه الشاكلة. فما كانت تكتفي، إزاء الطبق الأكثر بساطة والأزهار العاديّة كأكثر ما تكون، بالافتتان، بل كانت تستأذن في أن ترسل منذ المغد في طلب الوصفة أو تأمر بتحرّي النوعية على يد طباخها أو بستانيّها الأول، وهما من ذوي الرواتب الضخمة وممن يملكون عربتهم الخاصة ولهم على وجه الخصوص ادّعاءاتهم المهنيّة، فكانا يجدان إذلالاً كبيراً في الجيء للاستعلام عن طبق مزدري أو تقليد صنف من زهر القرنقل لم يكن على مثل نصف الجمال ونصف تعدد الألوان ونصف الحجم- قياماً على أحجام الأزهار- الذي بلغته الأزهار التي حصلوا عليها منذ فترة طويلة لدى الأميرة. ولفن كانت هذه الدهشة التي تعتري هذه الأخيرة لدى جميع الناس إزاء أقل الأمور، لفن كانت مصطنعة ترمى إلى إبراز أتها لاتستمد من سمّو منزلتها ومن ثرواتها استعلاء يحظوه مربّوها القدامي وتخفيه والدتها ولايطيق الله احتماله، فقد كانت في مقابل ذلك تنظر بكامل الصدق إلى صالة الدوقة •دو غير مانت. على أنَّها مكان مفضل لاتستطيع أن تنتقَّل فيه إلاَّ من مفاجأة إلى نشوة. لقد كان آل دغير مانت. على نحو عام على أيَّة حال، ولكنَّه قد لايكون البتَّة كافياً لشرح هذه الحالة اللهنية، مختلفين إلى حدٍّ ما عن باقي المجتمع الأرستقراطي فقد كانوا أكثر تأنقاً وأكثر ندرة. لقد خلقوا لديٌّ للوهلة الأولى الانطباع المعاكس، فقد سبق أن وجلتهم عاميين يشبهون جميع الرجال وجميع النساء، ولكنّما ذلك لأنني رأيت مسبقاً فيهم أسماء كما رأيت في «بالبيك» وفظورانسه، وهبارما، وفي هذه الصالة بالطبع كانت جميع النساء، اللواتي سبق لي أن تخيلتهن بمثابة تماثيل صغيرة، أكثر شبها مع ذلك بالكثرة الكاثرة من النساء. بيد أن آل «غير مانت»، شأنهم شأن وبالبيك، أو وقلورانسه، كانوا يستطيعون، بعد ما خيبوا الخيال لما يشبهون أمثالهم أكثر من اسمهم، كانوا يستطيعون فيما بعد أن يزودوا العقل وإن بدرجة أقلّ ببعض الخصائص التي كانت تميزهم، فتكوينهم الجسماني ولون بشرتهم وهو من وردّي خاصّ يبلغ أحياناً حدٌّ البنفسجيّ وشقرة تكاد تكون منوّرة لشعر ناعم، حتى لدى الرجال، يتراكم خصالاً ملعبة حلوة نصفها من الأشنة الجدارية والنصف من فروستوري (والبريق المضيء كان يقابله تألق في الذكاء، فلئن قيل لون عائلة وغيرمانت، وشعرهم فقد كانوا يقولون كذلك ظرف آل، غيرمانت، مثلما يقولون ظرف آل «مورتمار»)، وسمة اجتماعية أكثر رقة -منذ ما قبل لويس الرابع عشر– يزيد من إقرار الجميع بها أنهم كانوا يعلنون عنها بأنفسهم، كلِّ ذلك كان يؤدِّي إلى أن يظلّ آل (غير مانت) في مادة المجتمع الأرستقراطي ذاتها، مهما غلت ثمناً، والتي مجتمع ينفرسون فيها ههنا وهناك، أن يظلُّوا يسيري التعرُّف سهلي التمييز والمتابعة شأن العروق التي تخطيط شقرتها حجارة البشب والعقيق أو بالأحرى شأن التموَّج المرن لشعور الضياء هذه التي تجري أعرافها المشمئة كأشعة طبعة في زوايا العقيق الرغويّ.

ولم يكن آل دغير مانته – على الأقل من كانرا أهلاً لهذا الاسم- يتميزُون بنوعية بديمة من بشرة وشعور ونظرة صافية فحسب بل كانت لهم طريقة في الوققة والمشية والنحية والنظرة قبل المصافحة، وكانوا بذلك مختلفين في مجموع هذه الأمور عن أيّ رجل من أرباب المجتمع اختلاف هذا الأخير عن مزارع بصدرية. كان المرء يقول في قرارة نفسه، على الرغم من لطفهم: أليس لهم بالحقيقة أن يفكروا، مع أقهم يكتمون الأمر، حينما يصورتنا نمشي وضعي وضعي، كلّ هله الأمور التي إمّا أخيروها أصبحت بمثل رشاقة طيران السنوزة أو انتحاء الوردة: «إنّهم من سلالة غير سلالتا وأثناء نحن، أمراء البسيطة» ؟ لقد أدركت فيما بعد أنّ آل؛ غير مائت، كانوا يظنونني بالفعل من سلالة أخرى، ولكنما من سلالة تثير حسدهم لأنتي أملك مزيا كنت أجهلها وكانوا يجاهرون بأنّهم يعدّونهم وحدها مهمة. وضعرت فيما بعد كذلك أنّ عدة المجاهرة لم تكن إلا نسف صادقة وأن الاستخفاف أو الدهنة يتعايشان لديهم والإعجاب والحد. لقد كانت المرونة الجسمية المميزة لآل اغير مانت المرونة الجسمية المميزة لآل اغير مانت الجسمية المميزة لآل اغير مانت الدين وحصل في كل لحظة، إن ذهب مثلاً لتحية سيدة، على صورة الذاته وإلغها التوازن اللا مستقر الدينة، على صورة الذاته وإلغها التوازن اللا مستقر لمحكات غير متناظرة ومستماضة على نحو عصبي، فمان تحيرة قليلاً إنا عمل أواناً لأنها سبق أن كسرت كثيراً للوجلة تعمركز في المعين والمعين على المحتلف في المعين ورفع حجاجاً في الوحت الذي تتحدر لوفاع أحد الكتفين. فيما النظارة للإحيادة تعمركز في العين ورفع حجاجاً في الوحت الذي تتحدر في خصلة الشعر للتحية ؛ أما المرونة الثانية كان يذكر محت المينين كان يذكر محت المينين الموركية المتوف الذي تحقيظ أبناً به المحارة أو المركب، قد الزوانان المبارزين وفوق مشتين رقا بافراط ومنها الميتقال لدى النساء صوت اجش، كان يذكر بالمنظ الأمولوي الذي خص به كرم علماء الدين ودياء خلال المي وحورية الذي المحارب الأسطوري الذي ودياء خلال لهي الحداً الذي للحيا الأسطوري الذي ودياء خلال لهي الحداً الذي كان إلى الحداً الذي كانها يذكونه مين طائر إلهي وحورية الدي ودوياء الذي ودوياء الذي ودوياء الدين ودوياء الدين ودوياء الدين ودوياء الدين ودوياء الذي ليس إلى الحداً الذي كان يدرا المي وحورية.

ولم يكن آل دغير مانت أقال تقرداً على الصعيد الفكري منهم على الصعيد الجسمي. فباستثناء الأمير دجيلبيره، وزج دماري جيلبيره ذي الأفكار البالية والذي كان يجلس زوجته، حينما يتنزهان في عربتهم، عن يساره لأنها أدنى منه مولداً، مع أن المولد ملكي دولكنه كان يبث عن القاعلة ويؤلف في غيابه موضوع تهكم الأسرة ونوادر دائمة المجدداً، كان آل دغير مانت، عنظامرون بأنهم لايقيمون أي وزن العبقة البلاء، مم أنهم يعيشون في صلب النجة المطارة من الأرستمراطية. وكانت نظريات المدوقة دو غير مانت، التي أضحت، يعيشون في صلب النجة المطارة الله دغير مانت، أضحت إلى حدّ ما أمراً منابراً وأشد إمتاعاً، تضم الذكاء والحق كل شيء وكانت في حقل السيامة اشتراكية إلى حدّ يساعل المرء معه أين كان يختبع في فندقها «المبقرة المكلف بالمخاط على المجاة الأرستمراطية والذي كان، وهو متوار إنباً عن الأبصار ولكنة قابع بالمطبع في الرحمة تارة وفي المسالة أخرى وطوراً في حجرة الملابس، كان يذكّر حنكم هذه المرأة التي لاتؤمن بالألقاب بأن يقولوا لها دسيدتي الدوقة، وهذه الأمرأة التي لاخبّ غير القراءة ولايهؤها الحياء البشري بأن تذهب بأن يقولوا لها دسيدتي الدوقة، وهذه الأمرأة التي لاخبّ غير القراءة ولايهؤها الحياء البشري بأن تلهب

وهِقرة الأسرة نفسها كانت تظهر للسيّدة ودو غير مانت، حالة الدوقات، الأوليات من بينهن على الأقل وصاحبات الملايين الدينة مثلها، والتضحية في سبيل حفلات شاي علمّ وأعشية في الملينة وخلات رائصة بساعات ربّمنا أمكن أن تقرأ فيها أشياء مسليّة على أنها ضرورات مزعينة شبيهة بالمطر تقبل بها السيّدة دو غير مانته وهي تعمل فيها قريحها الساعوة ولكن دون أن يبلغ بها أن بحث عن أسباب قرولها، وهذه الهمدنة الغرية الذي قوامها أن يقول دوماً رئيس خدم السيّدة ودو غير مانته: وسيّدي الدوقة لهذه المرأة التي توام بن ترجوه أن يقول لها وسيّدي، فحسب رئيما أمكن أن نظرً، إن ذهبا بسلامة العلوية إلى أقصى حدوماً، أنها كانت تسمع، وهي شاروة، وسيّدي، فحسب وأن الزائدة الكلامية الملحقة بها لم تكن تبلغ مسمعها. على أنها لم تكن خرساء إل هي تظاهرت بالمسمم، فني كلّ مزَّه تبغي أن تبلغ زوجها رسالة كانت تقول لرئيس الخنم: وذكر السيّد الدوق......

وكان لعبقرية الأسرة على أيّ حال مشاغل أخرى كأن مخمل على حديث الأخلاق. كان ثمة بالتأكيد «غرمانتيون» أذكياء على الأخص و«غرمانتيون» أخلاقيّون على الأخصّ، وما كانوا بالعادة الأفراد ذاتهم. ولكن أولكك- يمن فيهم من سبق من آل «غير مانت» أن زيف وكان يغشّ في اللعب وكان أروعهم جميعاً ومنفتحاً على جميع الأفكار الجديدة والصائبة – كانو يبحثون في الأخلاق أفضل من هؤلاء وبطريقة السيَّدة ودو فيلباريزيس، ذاتها في الفترات التي كانت عبقرية الأسرة تتكلُّم فيها بلسان السيَّدة العجوز. لقد كنت ترى آل ٥غير مانت، يتخذون فجأة في لحفات متماثلة لهجة في مثل تقادم وسذاجة لهجة المركيزة تقريباً، بل وأكثر تأثيراً منها بسبب درجة من الفتنة أعظم لديهم، ليقولوا عن إحدى الخادمات: ومحسر أنَّ لها أساساً طيباً، أنها فتاة غير عادية ولابدُّ أنَّها ابنة ملاح وقد ظلتَ أبدأ بالتأكيد في الصراط المستقيم،. في تلك الفترات كانت عبقرية الأسرة تستحيل نبرة. ولكنُّها كانت أحيانًا كذلك طريقة وهيئة في الوجه هي واحدة لدى الدوقة ولدى جدُّها المشير وهي ضرب من التقبض اللا مدرِّك الشبيه يتقبضّ الحيَّة، وهي العبقريّة القرطاچية لاسرة «برقا»، والتي أصابني منها مرّات عديدة خفقان في القلب في نزهاتي الصباحية حينما كنت أحسني، قبل أن أكون تعرَّفت السيَّدة (دو غير مانت)، تنظر إلىُّ من أقصى محلِّ ألبان صغير. وقد تدخلت هذه العبقرية في ظرف ما كان أبعده أن يجيء غير ذي بال لا في نظر آل «غير مانت، فحسب، بل في نظر آل ٥كورفوازييه، كذلك وهم القسم المناوئ من الأسرة ونقيضهم تماماً مع أنهم يساوون آل «غير مانت» طيب محد (فقد بلغ بال اغير مانت، أن يفسَّروا تقصُّد الأمير ٥دو غير مانت، في التحدَّث أبدأ عن كرم المولد وطبقة الأشراف، وكأنما ذلك الشيء الوحيد ذو الأهمية، بجنته التي من آل «كورفوازييه»). فماكان آل «كورفوازييه» لايولون الذكاء المرتبة نفسها التي يوليه إيَّاها آل دغير مانت، فحسب، بل كانوا لايحملون عنه الفكرة نفسها. فأن تكون ذكياً في نظر واحد من آل دغير مانت، (وإن يك غبياً) فانَّما أن تكون هجَّاءٌ قاسياً على التفوَّ، بأقوال مسبئة وأن تغنم الغنائم وأن تستطيع كذلك الصمود في موضوع الرسم والموسيقي وهندسة العمارة على حدّ سواء وأن تتكلم الإنكليزية. أما آل اكورفوازييه، فكانوا يحملون عن الذكاء فكرة أقلّ إيجابية وما كان ببعيد، لأقلّ مالا تكون عن عالمهم. أن يعني الذكاء لهم «أن تكون على الأرجع قد قتلت أباك وأمَّك». لقد كان الذكاء في نظرهم ضربًا من العتلة المسطحة التي يقتحم بها أناس لانعرفهم من حوَّاء أو آدم أبواب أكثر الصالات تقديرًا وكانوا يعملون لدى آل «كورفوازييه» أنَّك تكتوي دوماً في آخر الأمر لأنك استقبلت مثل هذه والأصناف. كان آل اكورفوازييه يقابلون أقل التوكيدات شأناً على لسان أناس أذكياء ليسوا من أرباب المجتمع بارتياب لايتبدل. فقد قال أحدهم ذات مرّة: وولكنّ وسوان، أصعر مناً من وبالاميده. فأجابت السيّدة ودو عالا دون، قائلة: وإنه يقول لك ذلك على الأقلِّ، وإن يقل ذلك فتيقَّن أنَّه إنَّما يلقى مصلحته في ذلك. بل أكثر من ذلك، فقد سألت السيّدة ودو غالاردون، ، فيما كانوا يقولون بشأن أجنبيتن بالغتيّ الأناقة كان آل وغير مانت، يستقبلونهما إنّهم جعلوا هذه تمرّ بادئ الأمر بما أنّها الكبرى، سألت قائلة: وولكن أتراها حتّى هي الكبرى؟؛ لا على نحو إيجابيُّ كما لو لم يكن لهذا الصنف من الناس عمر، بل كما لو كانتا، وهما تفتقران على الأرجع إلى سجل مدني وديني وإلى تقاليد أكيدة. أكبر أو أصغر سناً شأن القطط الصغيرة الموجودة في السلة نفسها والتي لايستطيع غير الطبيب البيطريّ أن يتعرّف سبيله بينها. كان أل ٥كورفوازييه، بمعنى أو بأخر يحافظون أفضل من آل «غير مانت، على أيَّة حال على صفاء طبقة النبلاء بفضل ضيق عقلهم وخبث فؤادهم في آن معاً. ومثلما كان آل \$غير مانت\$ (الذين كان كلّ شيء أدني من الأسر الملكية وبعض الأمر الأعرى كأسرة ولينيى، والانرومواي، إلغ، يختلط في نظرهم في غمامة من الناس القليلي الشأن) وقصين مع أناس من سلالة عربقة كانوا يقطون حول وغير مائت، لأنهم بالضبط ما كانوا يصرفون انتباهم إلى مزايا النسب من المناه عربة كان قلبل الأهمية في نظرهم، فقد كان يهتم لها آل و كروفوازيمه أعظم الاهتمام، فإن غياب هذه المزابا كان قلبل الأهمية في نظرهم، فقد كانت بهم سلاما اللوابي لايشغلن منزلة رفيعة جناً في إقليمهن ولكتهن ورجع ألم والأم الأوراج، وهن غيلت جميلات عجبهن المدوقات، يشكلن في نظر بوس حيث الناس قليلو الإحاطة بأمر والأم الأورء، أن يتم استقبال مثل تلك النسوة لدى بعض سيلمات وغير مائت عن ماريق أميرة وبارام و بغضل موافقتهن النحاصة. ولكن منحط آل و كروفوازيمه بيثانهن ما كان بلك الناس ما كان بين غيريم، و يقد كان لقاؤمم بين الخاصة والسادمة في منزل ابنة عمهم بأناس ما كان وجه خزوهم يحبون أن يخاطوا ذاتهم في معلة يورش، وضحى غنطرم مب حتى متنام وموضوع خطب كانت الكرائيسة المفات المناس المائية التي كانت الكرائيسة المفاتة ع... تنشل فيها مثلاً إلى منزل آل وغير مائت، كان وجه السينة ودن فيلون، يتمدّ المنبط الهيئة التي كان لابدً أن يتقلها لوقع عليها أن تنشد البيت النالي:

دفان لم يبق سوى واحد كنت ذاك الرجل.

واليت مجهول لديها على أي حال. لقد سبق أن ازدردت هذه «الكورفرازية» كل يوم اثنين تقريةً قطع حلوى مثقلة بالكريما على يضم خطوات من للكونتية ج... ولكن دون جدوى. وكانت السبدة «دو فيلبون» تتدوف في الخفاء بأنها لاستطيع أن تتصور كيف تستقبل أينة عمومتها «الفرنانية» امرأة لم تكن حتى من النسق المثاني في المجتمع في «شاء دانا» وكانت السيّنة «دو فيلبون» تخلص إلى القول» «لاداعي بالصقية لأن من تكون ابنة عمي متصمة إلى هذا الحد في علاقاتها، فالأمر قد بلغ حدّ الهوء بالنامي»، وتقولها بهيئة أخرى على وجهها، باسمة هذه وساخرة في يأسها، ولمل لمبة حوازير كانت وضعت فوقها بالأحرى بيتا أمر ما الكونت وضعت فوقها بالأحرى بيتا أمر ما الكونت الكونتية بالطبع تعرفه أكثر من الأول:

الشكر للآلهة! إن مصيبتي مجاوز مرجماي،

ولنستين الأحداث على أي حال بقولنا إن و منابرة السيدة و در فيلون» التي تماشي والمكابرة على صعيد القافية في البيت التالي، منابرتها على صب سنوبيتها على السيدة ج...لم تكن غير ذات جدوى تماماً. فقد أولت السيدة ودر فيلون» في نظر السيدة ج... مهابة عظيمة، وهي من فعل الدنيال الهض على أية حال، إلى الحد الذي عجب معه الناس، حينما حان تزويج ابنة السيدة ج... التي كانت أجمل وأغنى من شهد الحفلات الراقصة في تلك الحقبة، أن رأوها ترفض جميع الدوقة. ذلك أنَّ والنتها ما كانت، إذ تذكر الإهانات الاسبوعية التي لحقت بها في شارع وغروبل، استذكاراً لـوشاتودان». ما كانت تتمتّى بالحقيقة سوى زوج واحد لابنتها: أحد أبناء أسرة وفيليون».

نقطة واحدة كان يلتقي فيها أل غير مانت وآل اكورفوازييه، وكانت تكمن في فن تخديد المسافات الفارقة، فن متنزع إلى مالا حدود بأيّة حال. ولم تكن تصرّفات آل اغير مانت، متساوية كلياً لدى الجميع. ولكن سائر االغرمانتيين، مثلاً، أولئك الذين كانوا حقاً من آل اغير مانت، كانوا يلجؤون، حينما تُقدّم لهم، إلى نوع من الاحتفال، تماماً كما لو أنَّ مدَّ يدهم كان جسيماً جسامته لو أن الأمر تعلق بتكريسك فارساً. ففي اللَّحظة التي يسمع فيها أحد ٥ الغرمانتيِّين٥ ، وإن يكن بعد في العشرين ولكنَّه سائر مذ ذلك على خطي من يكبرونه سناً، اسمك ينطق به أحد المعرّفين كان يلقى عليك، كما لو لم يكن مصمماً البتّة أن يقرئك السلام، نظرة زرقاء بعامة وهي أبدأ ببرودة شفرة فولانيّة يبدو على استعلاد لغرسها في أعماق شفاف فؤادك. ذلك على أبة حال هو ما كان آل وغير مانت، يظنُّون أنَّهم فاعلوه فعلاً إذ يحكمون أنَّهم جميعاً علماء نفس من الطراز الأوّل. وكانوا يحسبون علاوة على ذلك أنّهم يزينون بهذا التفحصّ من لطف التحية التي تزمم أن تتبع ذلك والتي لن توجّه إليك إلاّ عن دواية تامة. كل ذلك كان يجري على مسافة منك صغيرة لو أن الأمر أمر تبادل ضربة سيف، لا أنَّها تبدو ضخمة من أجل مصافحة وكانت نجمد الدم في عروقك في الحالة الثانية كما لعلُّها كانت نفعل في الأولى بحيث أن يد «الغيرمانتي»، بعد ما يكون هذا الأخير قد حكم أنك أهل مذ ناك للتلاقي وليَّاه على إثر وجولة سريعة تمت في آخر مخابيء نفسك وكرامتك، يده الموجهة إليك في آخر ذراع ممدودة على مدى طولها كانت تبدو وكأنّها نقدّم لك سيف مبارزة من أجل قتال غريب، وكانت تلك اليد باختصار القول بعيدة جدًّا عن ﭬالغيرمانتي، في تلك اللحظة إلى حدٌّ يصعب معه، حينما كان يحمي الرأس حينذاك، أن تميّز إن كنت أنت من يحيه أم يده. كان بعض آل «غير مانت»، ولا يملكون حسّ الاتزان أو هم عاجزون عن ألا يكرّروا أنفسهم دون انقطاع، يبالغون إذ يعيدون ذلك الحفل في كلّ مرّة يلتقونك فيها. ركًا لم يعد ينبغي لهم أن يقوموا بالتحقيق السيكولوچي المسبق الذي من أجله فرَّضتهم «عبقريَّة الأسرة، بسلطاتها ولابدّ أنّهم كانوا يتذكّرون نتائجه، فلم يكن من الممكن تفسير النظرة الثاقبة التي تسبق المصافحة إلا بالآلية التي اكتسبتها نظرتهم أو بموهبة سحر يظنُّون ألَّهم يملكونها. أمَّا آل ٥ كورفوازييه، الَّذين كانوا يختلفون عنهم بنية فعبثاً حاولوا تمثل هذه التحية المتفحصة فانقلبوا إلى الجفاء المتعالى أو الإهمال السريع. ولكنما كان يبدر بالمقابل أن عدماً قليلاً جداً من والغيرمانتيّات، أخذن عن آل ٥كورفوازييه، عميّة السيّدات. فحينما كانوا يقدَّمونك إلى واحدة من تلك \$الغيرمانتيات، كانت مخيبًك مخيَّة واسعة نقرَّب منك فيها وفق زاوية من خمس وأربعين درجة رأسها وجذعها فيما يظلُّ أسفل الجسم (وهو مرتفع جناً لديها) إلى الزنار الذي يؤلف محور دوران ثابتاً لا حراك به. ولكنَّها ما أن تقذف على هذا النحو باتجاهك القسم العلوي من شخصها حتَّى تردُّه خلف الخط العمودي بانسحاب مفاجئ يبلغ طولاً مكافئاً على وجه التقريب. كان الانقلاب اللاحق يعطل ما سبق أن بدا لك وكأنه مسلم به، والأرض التي حسبت أنَّك ربحتها لاتلبث حتَّى في حيازتك كما هي الحال في ما يخصُّ المبارزة فالمواقع الأوليَّة كانت محقوظة. وكان هذا الإيطال نفسه للطف باستعادة المسافات (وكان من منشأ ٥ كورفوازي، وبرمي إلى إبراز أن محاولات التقرّب التي تمت في الوهلة الأولى لم تكن سوى تظاهر هلم لحظة واحدة) يتجلَّى بمثل ذلك الوضوح، لدى آل «كورفوازييه» وآل «غيرمانت» سوا بسواء، في الرسائل التي كانت ترد منهن على الأقل في أثناء الفترات الأولى من التعرف بهن. فقد كان يمكن أن يحوى «جسم» الرسالة جملاً قد لاتكتبها فيما يبدو إلا لصديق، ولكن عبثاً حسبت أنك تستطيع المفاخرة بأنَّك صديق السيّدة لأن الرسالة كانت تبلأ بعبارة: «سيدي، وتنتهى بعبارة: «وتفضّل، ياسيّدي بقبول أسمى المشاعر، كان بمكن أن تتوالى مذ ذاك، بين هذه البداية الباردة وهذه النهاية القارسة، وكلاهما تبدُّلان معنى كلُّ شقيقتها وللألفة التي كانت سائدة بينهما ولجمال المنطقة التي كانت تصطاف فيها ولصنوف العزاء التي كانت تلقاها في روعة أحفاهها، كل ذلك لم يعد سوى رسالة من مثل ما خجد في مجموعات مختارة ولايستبع طابع الألفة فيها مع ذلك قدراً أكبر من الألفة بينك وبين كانبة الرسالة نمًا لو كانت هذه الأخيرة، وبليزيم الأصغر أو السيدة هدوسيميانه.

صحيح أن بعض والغيرمانتيَّات، كنُّ يكتبن إليك منذ المرَّات الأولى ٥صديقي العزيز، ٥صديقي٠: وما كنَّ على الدوام أكثرهنُّ بساطة بل بالأحرى أولئك اللواتي لايعشن إلا في وسط الملوك وهنَّ إلى ذلك الطائشات، فكنُّ يوقنٌ في كبريائهنَّ أنَّ كلُّ ما يصدر عنهنَّ يثير البهجة وتعودن في فسادهنَّ ألا يساومن في أيّ من صنوف المسرّة التي يمكن أن يوفرُنها. ولما كان يكفي على أيّ حال أن يتوافر لك جدّة ثالثة مشتركة ني عهد لويس الثالث عشر كيما يقول شاب من آل اغيرمانت، في حديثه عن المركيزة (دو غيرمانت؛ (العمّة آدم، فقد كان آل وغير مانت، عديدين إلى حدّ أنّه كان يوجد كثير من الأنواع حتى بالنسبة إلى هذه الطقوس البسيطة كطقس محمية التعارف على صبيل المثال. فلكلّ جماعة فرعيّة على شيء من رهافة اللوق يخيتُها التي يورثها الأهل للأبناء كوصفة دواء خاص بالجروح وطريقة خاصّة بتحضير المربيات. وقد رأينا على هذا النحو يد وسان لوء تنطلق للمصافحة كأنّما غصباً عنه لحظة كان يسمع اسمك دون اشراك لنظر ودون إضافة لتحيَّة. كان كلِّ تعيس حظ من العوام تمَّ تعريفه لسبب خاص- وقلَّما يتفق ذلك على أيّ حال-بواحد من مجموعة وسان لو، الفرعية يشحد ذهنه، إزاء هذا الحدّ الأدني الشديد الجفاء من التحيّة التي تشخذ عمداً مظاهر اللامبالاة، كي يعلم ما يمكن أن يحمله والفير مانتي، أو والغير مانتية، من عداء له. وشدٌّ ما كان يدهشه أن يعلم أنَّه رأى أو رأت من المناسب أن تكتب بوجه خاصَّ إلى المعرَّف لتقول له إلى أيَّ حدَّ رُفتها أو رقته وأنَّه أو أنَّها تأمل تماماً في لقائك ثانية. وفي مثل تفردّ حركة «سان لو» الآلية كانت القفزات الراقصة المعقدة والسهمة (ويراها السيّد ددو شارلوس، مضحكة) التي يقوم بها المركيز ددو فييربوا، وخطوات الأمير ددو غير مانت؛ الرصينة المنتظمة. ولكنما يستحيل ههنا أن نصف وفرة حركات آل «غير مانت؛ الراقصة هذه يسبب اتساع مجموعتهم الراقصة.

قإن عدنا إلى الكراهية التي كانت تعتمل في صدر آل «كورفوازيم» ضدً اللدوة «دو غيرمائت» فقد
كان يمكن أن يتمزى هولاء بالراء لحالها طوال ما كانت فتاة إذ كانت هيئة الثروة أتلنك. بيد أنَّ ضرباً من
الانبمائات السخاسة الخاصة كانت لمدوء الحقد تواري على الدوام ويججب عن الأنظار ثراء آل «كورفوازيم»
الانبمائات السخاسة المخاصة كانت لمدوء الحقد تواري على الدوام ويججب عن الأنظار ثراء آل «كورفوازيم»
الذي كان يلبث مجهولاً مهما تعاظم. وعيناً تتزوج وكورفوازيم» بلغة الثراء نصبياً دسماً فقد كان يتُعقى دوماً
الذي ين ظهراني ممجمع لا اختلاط فيه ولكنة خطر من الرواق. وفيما كان ومان لوء الذي كاد لابملك
من بعد سوى الديون يفتن «دونسير» بجياه وعرباته لم يكن يستقل أي «كورفوازي» واسع الثروة سوى
الحافلة. وعلى عكس ذلك (قبل سنوات عديمة على أي حال) كانت الأنسة دو غير مانت الأروان (التي لا
الحافلة. وعلى عكس ذلك (قبل سنوات عديمة على أي حال) كانت الأنسة دو غير مانت الأروان (التي لا
ملسهن. حجى الفضيحة الناجمة عن أقوالها كان لوقر نوعاً من الدعاية لطريقتها في الملس وتصفيف الشعر.
ملسهن. حجى التعلى أن تقول لدوق روسيا الكبير: «ويحك ياسيّدي، بيدو أنك تبغى تدبير مقتل «تولستوي» ؟ وذلك
في عشاء لم يدع إليه آل «كورفوازيه» وهم على أي حال قبلو الاطلاع على أسول «تولستوي» وذلك
في عشاء لم يدع إليه آل «كورفوازيه» وهم على أي حال قبلو الاطلاع على أسول «تولستوي» . وذلك
في عشاء لم يدع إليه آل «كورفوازيه» وهم على أي عالم الإطارة على أسول «تولستوي» . وذلك
في عشاء لم يدع إليه آل «كورفوازيه» وهم على أي أعي حال قبلو الاطلاع على أسول «تولستوي» . وذلك

أكثر اطلاعًا بكثير على المؤلفين البونانيين إن حكمنا في ذلك بناء على الدوقة الوريثة «دو خالاردون» (وهي حماة الأميرة «دوغالاردون» التي كانت بعد فتاة) التي إذ لم تظفر في غضون خمس منوات بشرف زيارة واحدة من الرويان» أجابت شخصاً كان يسألها عن سبب غيابها: هيدر أنّها تلقي أشعاراً لأوسطو طاليس (وتقصد أن تقول لأرسطو فانس) في المجتمع الراقي، ولست أسمح بذلك في منزلي اه.

ويمكن أن نتصور إلى أي حد كانت وفلته الآنسة ودر غير مانت، تلك حول وتولستوي، إن هي أثارت سخط آل ٥ كورفوازييه، تثير دهشة آل ٥غير مانت، ومن وراثهم كل ما يرتبط بهم لا من قريب فحسب، بل من بعيد. والكونتيسة الوريثة ددار چنكوره، وهي من عائلة دسينبوره، التي كانت تستقبل جميع الناس تقريباً لأنّها من دعيّات الأدب وعلى الرغم من أن ابنها كان سنوبياً شديداً، كانت تروي النكتة أمام بعض أرباب الأدب قاتلة: إن وأوريان دو غيرمانت، وهي في رقَّة العنبر وخبث القرد وتتمتع بمواهب في كلُّ شيء وترسم رسوماً مائية جديرة برسّام كبير وتقرظ شعراً من مثل ما تفعل قلَّة من الشعراء العظام، وهي على صعيد الأسرة، كما تدرون، من أرفع ماوجد فقد كانت جدَّتها الآنسة «دو مونبا نسييه»، وهي «أوريان دو غير مانت، الثامنة عشرة دونما أي زواج غير متكافئ، إنها السلالة الأكثر صفاء والأكثر عراقة في فرنسه. ولذلك فإن أرباب الأدب المزيفين وأنصاف المثقفين الذين كانت تستقبلهم السيّدة ددار چنكوره كانوا يتحثلون وأوريان دو غيرمانت؛ التي قد لاتناح هم الفرصة في يوم لمعرفتها شخصياً بمثابة شيء مدهش وخارق أكثر من الأميرة بدر البدور فلا يحسون أنَّهم على استعداد للموت من أجلها فحسب إذ يعلمون أن امرأة رفيعة المولد إلى هذا الحدّ كانت تمجّد الولستوي، فوق كل شيء، بل يحسّون كذلك أن حبّهم الخاصّ لــالولستوي، ورغبتهم في مناهضة القيصرية كانا يستميدان في أذهانهم قوة جديدة. لقد أمكن أن تهزل فيهم هذه الأفكار الليبرالية وأمكن أن يشككوا بروعتها فلا يجرؤون من بعد على المجاهرة بها حينما وافاهم فجأة مثل هذا العون من الآنسة *دو غير مانت، نفسها أي من فتاة ذات شأن وسلطان عظيمين بما لايقبل النقاش وشعر ترسله أملس على جبينها (وهو ما لم تكن ٥ كورفوازيّة، لتقبل به في يوم) إن عدداً من الوقائع الجيدة أو السيئة تفيد كثيراً على هذا النحو من أن يتبنَّاها قوم لهم سلطان عليناً. مثال ذلك أن طقوس الملاطفة في الشارع لدى آل وكورفوازييه، كان قوامها مخيّة معينة شديدة القبح وقليلة اللطف في حدّ ذاتها ولكنّما يعلم الناس أنّها الطريقة المتألَّقة في إلقاء التحية حتَّى إن الجميع كانوا يجهدون في محاكاة هذه الرياضة الجافية فيزيلون عنهم الابتسامة وحسن الوفادة. أمَّا آل وغير مانت، بعامَّة، ولاسيَّما وأوريان،، فما كانوا يتردَّدون، مع أنَّهم يعرفون تلك الطقوس أفضل من سواهم، أن يحيّوك، إن هم لمحوك من عربة، باشارة لطيفة من يدهم، ويقومون في صالة بالتحاءات حلوة، تاركين لآل ﴿ كورفوازيه النام وُدُوا عُيَّاتِهم المتكلِّفة الجامدة، ويمدُّون ينهم إليك وكأنَّما إلى رفيق فيما تبتسم عيونهم الزرقاء حتى ليدخل فجأة بفضل آل اغير مانت، في صلب الأناقة، وهي حتى ذاك خاوية بعض الشيء وجافّة، كل مالعلك أحببت بالطبع وجهدت في أن تستبعده: حسن الوفادة ودفق اللطافة الحقة والعفويَّة. وإنما يفلح بالطريقة نفسها، ولكن بردّ اعتبار قلّما خجد تبريراً له هذه المرّة، الأشخاص الذين يحملون أكثر ما يحملون في نفوسهم الميل الغريزي إلى الموسيقي الرديئة والألحان التي تتميّز بشيء من الرقة السهولة، مهما تكن تافهة، يفلحون بفضل الثقافة السمفونية في إمانة هذا الميل في صدورهم. ولكنَّهم بعدما بيلغون هذه النقطة وحينما يرون، وقد فتنتهم بحق الألوان الأوركسترالية الرائعة لدى (ريشار شتراوس)، حينما

برون هذا الموسيقي يحتضن أكثر الموضوعات عاميّة بتساهل يليق بــ فأوييره فإن ما كان يعمّه هؤلاء الأشخاص يلقى فعبأة لدى ملطة رفيعة إلى هذا الحدّ التبرير الذي يخلب ألبابهم فيفتنون دونما وساوس وبامتنان مزدوج لذى سماع دصالومي، ، بما كان محظوراً عليهم أن يحمّوه في ولاّلئ ألتاجه.

وسواء أكان انتهار الأنسة دور غير مانت، للدوق الأكبر حقيقياً أم لا فقد كان، بانتقاله من بيت إلى أخر، مناسبة للرواية عن الأناقة المفرطة التي زوَّقت بها «أوريان» نفسها في ذلك العشاء. ولتن كان البذخ لاينبع من الثراء (الأمر الذي كان يجعله بالضبط عزيز المنال على آل ٥كورفوازييه٥) بل من الإسراف فإن هذا الأخير يدوم فترة أطول إن اتفق له أخيراً أن يسانده الأوّل الذي يمكنّه آنذاك من التألق إلى أبعد حدوده. وحيث أن المبادئ التي تجاهر بها علناً لا «أوريان» فحسب بل السيّلة «دو فيلباريزيس» كذلك، ومفادها أن شرف النسب لايؤخذ فمي الحسبان وأنَّه من المضحك أن تهتُّم للمكانة وأن الثروة لاتمني السعادة وأنَّ العقل والقلب والموهبة هي الهامّة وحدها فقد كان بامكان آل «كورفوازييه» أن يأملوا أن تتزّوج وأبريان، بمقتضى هذه التربية التي قبستها عن المركيزة شخصاً لايكون من المجتمع الراقي، فناناً أو محكوماً سابقاً أو متسولاً أو ملحداً وأنها ستضم نهائياً إلى فقة من كان آل ٥ كورفوازييه، يدعونهم «بالضالين». كان يمكن أن يتزايد أملهم بمقدار ما كانت السيَّدة ٥دو فيلباريزيس، وهي ججمَّاز في هذه الفترة على الصعيد الاجتماعي أزمة صعبة (فلم يعد إليها بعد أيّ من الأشخاص اللامعين النادرين الذين لقيتهم في منزلها)، مجاهر بقرف عميق إزاء المجتمع الذي كان يضعها جانباً. حتى حينما كانت تتحدّث عن ابن أخيها الأمير ٥دو غيرمانت، لم تكن تملك مايكفي من عبارات التي جاهرت بها العمَّة وابنة الأخ هي التي تولت القضية، ولكنَّما فعلت «عبقريَّة الأُسَرة، الغامضة، وبمثل ما يتفق من حتمية لو أن السيَّلة ددو فيلباريزيس، ودأوريان، ما مخلَّتنا في يوم إلاَّ في سندات الدخل والأنساب عرضاً عن القيمة الأدبية ومزايا القلب وكما لو أن المركيزة وافتها المنية ووضعت في تابوت بضعة أيّام - مثلما سوف يتُم لها ذلك فيما بعد - في كنيسة «كومبريه» حيث لم يعد أيّ فرد من الأسرة سوى واحد من آل ه غيرمانت، وقد فقد فرديتُه وأسماء، الأمر الذي يبرزه على الستائر السوداء الكبيرة حرف ٤ غa الأرجواني وحده يعلوه الناج الدوقيّ، فان عبقريّة الأسرة وجهّت اختيار السيّدة ٥دو فيلباريزيس، المثقفة المتهكمة الملائكية إلى الرجل الأُوفر ثراء والأكرم مولدًا، إلى أعظم نصيب في حيّ دسان چيرمان،، إلى ابن دوق دغير مانت، البكر أمير داومه. وعلى مدى ساعتين في يوم زواجها جمعت السيَّدة ٥دو فيلباريزيس، في منزلها جميم النبلاء الذين كانت تسخر منهم، بل اللين كانت سخرت منهم، بل الذين سخرت منهم مع بعض البورجوازيين الحميمين الذين كانت قد دعتهم والذين وضع لهم أمير دلوم، بطاقات حيتقذ قبل أن ايقطع بهم الحبل، منذ العام التالي. وكيما تزداد الأمور سوءًا بآل «كورفوازييه» فإن الحكُّم التي مجمل من الذكاء والموهبة وجوء التقوق الاجتماعي الوحيدة عادت تَلقى من جديد في منزل أميرة ولوَّم، عقب الزواج مباشرة. ولنقل عرضاً، إذ نحن بهذا الصدد، إن وجهة النظر التي كان وسان لوه يدافع عنها حينما كان يعيش مع وراحيل، ويتردد على من الكذب أقلُّ ثمَّا تتضمنُه وجهة نظر آنسات «غيرمانت» عامَّة وهنَّ يشدن بالذكاء ويكدن لايقلبن بأن توضع المساواة بين الناس موضع شك فيما يؤول كلّ ذلك في الوقت المحدد إلى النتيجة نفسها التي يؤول إليها لو

أنهن جاهرن بحكم مناقضة، أي إلى الافتران بدوق عظيم النراء. أمّا دسان لو؛ فكان يعمل على المكس وفق نظرياته الأمر الذي كان يجملهم يقولون إنّه في الطريق الخاطة. صحيح أنَّ دراحيل، كانت بالفعل لانرضي إلاً قلبلاً وجهة النظر الأخلاقية. ولكنّه ليس أكيداً أنَّ السيّدة «دو مارسانت» ما كانت لتؤيد الزواج لو أن ثمة امرأة ليست أفضل منها ولكنّها دوقة أو هي تملك الكثير من الملايين.

ولكن إن عدنا بالحديث إلى السيَّدة ٥دي لو مه (التي أضحت بعد ذلك بقليل دوقة ٥غيرمانت، بوفاة والد زوجها)، فممّا زاد في المصيبة التي حلَّت بال «كورفوازييه» أنْ لم توجه نظريات الأميرة الشابّة، وقد لبثت على هذا النحو في حديثها، لم توجُّه في شيء سلوكها، وهكذا لم تسيء تلك الفلسفة (إن جاز القول) إطلاقاً إلى الأتاقة الأرستقراطية في صالة آل وغيرمانت. وليس من شكّ أن جميع الأشخاص الذبين ما كانت السيدة ودو غيرمانت، تستقبلهم إنما كانوا يتخيلون أن الأمر مردّه أنّهم لم يكونوا على قسط كاف من الذكاء، فهذه الأميريكية التي لم تملك في يوم كتاباً غير نسخة صغيرة قديمة لم تفتحها البتة من قصائد وبارني، موضوعة على قطعة أثاث في حجرة استقبالها لأنها تعود إلى تلك الفترة كانت تبرهن عن مقدار إجلالها لمزايا الفكر بالنظرات اللاهبة التي تثبتها على الدوقة ددو غيرمانت، حينما كانت هذه الأخيرة تدخل إلى الأوبرا. وليس من شك كذلك أنَّ السيَّدة ودو غيرمانت، كانت صادقة حينما تخدار شخصاً بسبب ذكاله. وما كانت تظنُّ، حينما تقول عن امرأة: يبدو أنَّها ﴿ واثمة ﴾ ، وعن رجل إنَّه غاية في اللكاء، أنَّها تملك أسباباً أخرى للموافقة على استقبالها غير هذا السحر أو هذا الذكاء، إذ إن عبقرية ٥ آل غيرمانت، لم تكن تتدخل في هذه الدقيقة الأخيرة: فقد كانت هذه العبقرية اليقظة، وهي أكثر عمقاً وقد اتّخذت موقعها في المدخل المظلم من المنطقة التي كان آل وغيرمانت، يطلقون منها أحكامهم، كانت تخول دون أن يجد آل وغيرمانت، أن هذا الرجل ذكّى أو أن هذه المرأة ساحرة إن لم يمتلكا قيمة مجتمعية راهنة أو مقبلة. فكانوا يعلنون أنَّ الرجل عالم ولكن على غرار معجم، أو أنَّه على العكس عاميّ يتمتّع بفكر عمثل بخاري جوّال، وأنَّ المرأة الجميلة تصرّف بطريقة مقيتة أو هي كثيرة الكلام. فأمّا اللين لا مركز لهم فقدكانوا متحذلقين، وباللقرف. كان السيّد ددو بريوتيه، وقصره مجاور تماماً لأرض «غيرمانت»، لايتردد إلاَّ على أصحاب سمّو. ولكنّه كان يسخر منهم ولايحلم إلا بالعيش في المتاحف. ولذلك كانت تثور ثائرة السيَّدة قدر غيرمانت، حينما ينعتون السيَّد قدو بريوتيه، بالسنوبيَّة دبابال، سنوبي ا إنَّك مجنون ياصديقي المسكين، فهو عكس ذلك تماماً، إنَّه يكره الناس اللاممين ولست تستطيع حمله على التعرّف بأحدهم. حتى إلى منزلى! هو لايجيء إلا متلمّراً إن أنا دعوته مع شخص جديدة.

وليس يعني ذلك أن آل «غيرمانت» ما كانوا يقيمون للذكاء حتى على صعيد التطبيق وزنا بختلف اختلافاً تاماً عنا يفعل آل «كورفوازييه» يعطبي مذ ذلك المارق بين آل «غيرمانت» وآل» كورفوازييه» يعطبي مذ ذلك على صعيد الإيجاب نماراً طبية إلى حدّ ما. من ذلك أنه سبق للموقة «دو غيرمانت» ، ويلقياً على أي حال سرّ كالمانيد من الشعراء يحلمون من بعيد أمامه، إن أقامت ذلك الاحتفال الذي قد مختلفا عنه والذي سرّ به ملك المكانره أفضل من أي مكان آمر لأنه خطر لها مالمله لايخطر يوماً بيال وهجرات على ما كان ردّ على أعقابها شجاعة آل «كورفوازيم» بأسرهم وهو أن تدعو إلى جانب الشخصيات التي جتنا على ذكرها الموسيقي وغامتون معلى على العصوص على

الصحيد السايي". قان راح المعامل الضروري من الله كاء والفتنة في انخفاض كلما ارتفعت مكانة الشخص الله يم كان يتوى أن يدعي إلى منزل الدوقة دو غيرمانته إلى حدّ الاقتراب من الصغر إن تمثق الأمر بالرؤوس المتوجة البارزة، فكلما كان يتم الانحدار، في مقابل ذلك، دون هذا المستوى الملكي كان المعامل يرتفع. كان المعامل يرتفع. كان المعامل يرتفع. كان المعامل يرتفع. كان المعامل الأميام والمنافقة أو المنافقة أو المنافقة أو المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة أو خلف والمنافقة أو خلف والمنافقة أو خلف أو أخياء أو أخياء أو المنافقة المنافقة أو دعي تقضي نظر وحد من آل الاكرواريمة من أمياه أو أو من يتميقة للدوقة وادرابجونا، من أمياها أو وهي تقضي ثلاثة شهور كال عام في منزل الأميرة ودو بارماء أم تمافقة والميئة وحد من الموافقة والميئة وحد الميئة وحد الميئة والمنافقة المنافقة والميئة على دعوة مثل هؤلاء الناس، في حين لم تدع الميئة على منزل الأميزة ودو بارماء أم تدع الميئة على المعافقة المنافقة على المعاملة على المعميد المنافقة والمنافقة على المعميد المادي عبث تكفي قطع ألم المنافقة ألما كان المنافقة على المكان وبرهانا على المعميد المادي ومن على المعميد المادي ومهم وقبها قبيمة ومن المنافقة ألم المكان وبرهان على المعرفة وبهرج ومهولة أمر الكتاب كامر الميت وجودة والمسالة، فيها تطن السيانة على المعافقة وبهرج ومهولة أمر الكتاب كامر الميت وجودة والمسالة، فيها تطن السيانة على الموردة والمسالة، فيها تطن السيانة على وهدى نصل، إنسا التضمية حجر الزاراة فيها.

كثيرات من صديقات الأميرة «دو بارما» من اللائي كانت الدوقة «دو غير مانت» تكتفي منهن منذ سنوات بالتحيّة المناسبة نفسها أو تقابل بطاقاتهن بأخرى دون أن تدعوهن في يوم أو تذهب إلى احتفالاتهنّ كنّ يشتكين سرًا إلى صاحبة السمّو التي كانت في الآيام التي يجيء فيها السيّد ددو غيرمانت، وحده لوياتها تقول له كلمة في ذلك. بيد أنَّ السيّد الماكر، وهو زوج سيءٌ للدوقة بما كان له من عشيقات ولكنّه صاحب يعتمد عليه فيما يتعلَّق بسير صالتها الصحيح (وبظرف الوربان، الذي كان يشكِّل الجاذب الرئيسيُّ فيها)، كان يجيب قائلاً: «ولكن هل تعرفها امرأتي؟ آه كان عليها الفعل أن تقدم على ذلك. ولكنّي سأقول الحقيقة لسيَّدتي: وإن وأوريان، في الأساس لا يحبُّ حديث النساء. وهي محاطة ببلاط من العقول المتفوقة- أما أنا فلست زوجها، لست سوى خادمها الخاص الأوّل. وإن النساء، باستثناء عدد هيّن جدًا هنّ، فيما يخصهنّ، بالغات الظرف، يبعثن الملل في نفسها. هيًّا ياسيَّلتي، لن تقولي لي، سمَّوك، وأنت على هذا القدر من الرهافة، إن المركيزة دو موفريه، تملك شيئاً من الذكاء. أجل أدرك تماماً، إن الأميرة تستقبلها تكرّماً. ثمَّ إنّها تعرفها. تقولين إنَّ «أرريان» شاهدتها، هذا ممكن، ولكن أقلَّ القليل، أوْكَد لك. ثم إني سأقول للأميرة، ثمة أيضاً بعض ذنب لي. إن زوجتي متعبة جداً وما أكثر ما حجبٌ أن تكون لطيفة حتّى لتتوالى الزيارات إلى مالا نهاية إن تركتها تفعل. ليس أبعد من مساء البارحة كان بها حمّى، وكانت تخشى أن تغمّ الدوقة «دو بوربون» بالاحجام عن الذهاب إلى بيتها. كان لابد أن أكشر عن أستاني فمنعتّ أن يُسرجوا. هاك، تدرين ياسيدتي، إنّي شديد الرغبة حتى في ألا أقول لـ «أوريان» إنك حدَّثتني عن السيّدة ددو سوفريه». إنَّ «أوريان» محبّ سمّوك إلى حدّ أنَّها متبادر في الحال إلى دعوة السيَّدة ٥دو سوفريه، وسيكون ثمَّة زيارة إضافيَّة وسيضطرُّنا الأمر إلى بذلك. سوف نجنَّبها على هذا النحو كثيراً من التعب والاضطراب. وإنَّى أؤكَّد لك أن الأمر لن يشكُّل حرماناً للسيِّدة ودو سوفريه، إنها تذهب إلى كل مكان وتخلُّ في أشهر المطارح. أمَّا نحن فاتَّنا حتى الاستقبل، أعشية صغيرة لا شأن لها، والسيّلة «دو سوفر به» قد يصيبها ملل قاتل». أمّا الأميرة «دو بارما»، فإذا اقتنحت بسذاجة بأنّ الدوق «دو غير مانت» لن ينقل طلبها إلى الدوقة واغتمّت أنّها لم تستطع الحصول على الدعوة التي كانت ترغب فيها السيّلة «دو سوفريه»، فقد زاد ذلك من زهرها لأن تكون واحدة تمّن بتردّد، على صالة قلّما يمكن الوصول إليها. وليس من شكّ أن هذا الارتباح ما كان يحصل دون إزعاجات. ففي كل مرّة كانت الأميرة «دو بارما» تدعو فيها السيّلة «دو غير مانت» كان ينبغي لها أن خجهد الفكر كي لايكون لديها من يستطيع أن يسوء في عيني اللموقة وبحول دون أن تعود.

في الأيَّام المعتادة وبعد العشاء حيث يجتمع لديها على الدوام (من فترة مبكَّرة جدًّا، إذ هي احتفظت بالعادات القديمة) بعض المدعرين كانت صالة الأميرة «دو بارما» مفتوحة في رجه الروَّاد وعلى نحو عام في وجه كبار الأرستقراطيّين الفرنسيّين والأجانب كاقّة. وكان الاستقبال قوامه أنّ تجلس الأميرة لدى مغادرة قاعة الطعام على أريكة أمام طاولة كبيرة مستديرة وتتحدّث إلى التنين من أكثر النساء اللواني تعشّين أهمية أو تلقى نظرة على مجلة مصوّرة وتلعب بالورق (أو تتظاهر باللعب حسب عادة مستقاة من البلاط الألماني) إمّا بالقيام بترتيب الورق ترتيباً معيناً وإمّا بالدّخاذ شخصية بارزة بمثابة شريك حقيقي أو مُفتّرُضَ. وفي حوالي الساعة التاسعة كان باب الصالة الكبرى لايكف من بعد عن أن ينفتح على مصراعيه وينغلق وينفتح من جديد كي يسمح بمرور الزائرين الذين سبق أن تناولوا عشاءهم أربعة أربعة (أو هم إن تناولوا عشاءهم في المدينة مخاشوا القهوة يقولهم إنَّهم يزمعون العودة، وهم يتوقعون بالفعل االدخول من باب والخروج من الآخرة) كي يوافقوا ساعات الأميرة. إلا أنَّ هذه الأخيرة كانت تتظاهر، وهي تصرف النفس إلى لعبها أو إلى الحديث، بأنَّها لاتبصر الوافدات ولم تكن تقف بلطف وهي تبتسم ابتسامة رقيقة للنساء إلا لحظة يكنّ على خطوتين منها. بيد أنَّهنّ كنَّ يقمن أمام سمُّوها الواقفة بانحاءة تبلغ حدَّ الجَّو بحيث يضعن شفاههنَّ بموازاة البد الجميلة التي تتدلّى كثيراً ويقبلنها. ولكنّ الأميرة في تلك اللحظة كانت تنهض الجائية كما لو أنها تدهش في كلّ مرّة من جرّاء مراسم كانت تعرفها مع ذلك حقّ المعرفة. تنهضها كأنّما عنوة برقة وعلوبة لامثيل لهما وتقبلها على الرجنتين. والرقة والعذوبة شرطهما، يقول قائل، الأتضاع الذي تثني به الوافدة ركبتها. لاشك في ذلك ؟ ويبدو أن التهذيب قد يزول في مجتمع ينادي بالمساواة لا من جرّاء غياب التربية، كما يظنّون، بل لأنَّه قد يزول لدى بعضهم الإجلالُ الواجب للمهابة التي ينبغي أن تكون خياليَّة كيما تكون فعَّالة، ويزول على وجه الخصوص لدى الآخرين اللطف الذي يُبذِّلُ ويرق حين يتمّ الإحساس بأنّه يكتسب في نظر من يناله ثمناً لاحد له، ثمناً قد يتهاوى فجأة إلى لاشيء في عالم مبني على المساواة على غرار كل مالم يكن يملك سوى قيمة التمانية. ولكنّ زوال التهذيب هذا في مجمع جديد ليس أكيداً وإنّنا لنغالي أحياناً في استعدادنا للاعتقاد بأن الشروط الراهنة لحالة معينة إنّما هي الوحيدة الممكنة. لقد ظفّت عقول حصيفة أن الجمهورية لن تستطيع أن توفّر لنفسها ديبلوماسية وأحلافاً وأن طبقة الفلاحين لن تطيق الانفصال بين الكنيسة والدولة. والتهذيب في مجمع ينادي المساواة قد لايكون في جميع الأحوال معجزة أعظم من نجاح السكك الحديدية واستخدام الطائرة عسكرياً. ثم إنه لاشيء يثبت، حتّى إذا التهذيب زال، أن الأمر يشكّل مصيبة. وأخيراً ألن يتراتب مجتمع في الخفاء كلما أضحى في الواقع أكثر ديموقراطية؟ ذلك عكن نماماً. لقد تعاظم سلطان البابوات السياسيّ كثيراً منذ أن لم يعد لديهم دول أو جيش ؛ والكاندراتيات كانت تلقى المهابة في نفس منديّن من

القرن السابع عشر أقل منها بكثير في نفس ملحد من القرن المشيرين، ولو أن الأميرة «دوبارما» كانت مليكة إحدى الدول لكان خطر لمي دونما شك أن أتخلف عنها بمقدار ما أنعل تقريباً عن رئيس للجمهورية، يعنى ألا أنعل على الإطلاق.

وما أن يتّم إنهاض ذات اللقب ونقبيلها على يد الأمرة حتى تمود هذه الأخيرة إلى الجلوس وتتصرف ثانية إلى ترتيب الروق، والافصل، إن كالت الوافدة الجديدة ذات شأن، دون أن تكون مختلت إليها فترة وهي تُجلسها على مقعد.

وعدما تمتلع العمالة بما يجاوز الحدً كانت وصيفة الشرف المكافة بحفظ النظام تفسح المكان إذ تقود الرواد إلى بهو فسيح كانت العمالة تطل عليه وكان مليمًا بالرسوم وبالتحف النادرة العائدة إلى بيت آل الإمالك بهور فسيح كانت العمالة المحادرات يقومون راضين بدور الدليل ويقولون أموراً فات بال الإمالك الشبر لسلماعها وهم آكثر اهتماماً بالنظر إلى صاحبات السمر اللواقي على قيد الحياة (وأن يطفوا إلى وصيفة الشرف والفتيات القابعات أن يعرفن بهم إلى قضت الناجء على قيد المحاة (وأن يطفوات التوفيات. كانوا بهم وهذه المعادرات التي يمكن أن تتوافر لهم والدعوات التي رباما تصيفوها، وما كانوا يعرفون شيئاً على الإطلاق حتى بعد سنوات تما في هذا المتحف الشمين من محفوظات النظام الملكي ويتأكون فحسب على تحر غامض أنه كان مرتباً باشجار الصبار والدخول المملاق التي يجمل مركز الأناقات

لائبكَ أنَّ الدوقة ددو غير مانت، كانت مجىء أحياناً لتقوم في تلك الأمسية، تقشَّفاً، بزيارة هضم للأميرة التي كانت تحتفظ بها طوال الوقت إلى جانبها فيما تمازح الدوق. ولكن حينما كانت الدوقة عجىء للعشاء كانت الأميرة تتحاشى وجود روّاد بيتها وتغلق بابها لدى مفادرة المائدة مخافة أن يسوء زوّار غير مصطفين تماماً في عيني الدوقة المتشددة. فإن أقبل في تلك العشيّات خَلَص لم يتّم إعلامهم على باب صاحبة السمّو كان البوّاب يجيب: وإن صاحبة السمّو الملكي لاتستقبل هذا المساء، فيعودون أدراجهم. كان كثيرون من أصدقاء الأميرة يعلمون سلفاً على أيَّة حال أنَّهم لن يَدُّعُوا في التاريخ. لقد كانت حلقة خاصَّة، حلقة مغلقة دون العديد تمن لعلهم تمنّوا أن تضمّهم. كان بمقدور المستبعدين أن يسمّوا المختارين بما يشبه اليقين وكانوا يقولون فيما بينهم بلهجة يلوّنها الغضب: «تعلمون أنَّ «أوريان دو غير مانت، لا تتنقّل البتّة دون كامل أركانها، كانت الأميرة «دو بارماه مخاول بوساطة هذه الأركان أن مخيط الدوقة كأنّما بسور يقيها الأشخاص الذين ربَّما كان خجاحهم بالقرب منها أكثر مدعاة للشكُّ. بيد أنَّ الأميرة ٥دو بارما، كانت تضيق فرعاً بملاطفة العديد من أصدقاء الدوقة المفضَّاين، المديد من أعضاء هذه الأركان اللامعين إذ كانوا يبدون لها القليل من اللطف. وليس من شكّ أن الأميرة «دوبارما» كانت تسلّم تماماً بامكان الارتياح إلى مخالطة السيَّدة «دو غيرمانت» أكثرتمًا غالطتها هي. لقد كانت تلاحظ اضطراراً أن الناس يتدافعون إلى «أيام» الدوقة وأنَّها غالبًا ما كانت تلتقني بنفسها هناك بثلاثة أو أربعة من أصحاب السمُّو ثمَّن يكتفون بوضع بطاقاتهم في بيتها. وعبثاً مخاول حفظ عبارات الوريان، وتقليد فساطينها وتقديم معجنات توت الأرض نفسها في حفلات الشاي لديها فقد كان يتفق لها مرّات أن نظل وحيدة طوال النهار برفقة وصيفة شرف ومستشار مفرّضية

أجنبيّة. ولذلك لم يكن يداخل الأميرة دو بارما، رغبة كبيرة، حينما لم يكن أحدهم (كما سبق أن كانت تلك حال «سوان» فيما مضى على سبيل المثال) يختم نهاره قط دون أن يكون قد بادر إلى قضاء ساعتين في منزل الدوقة فيما يقوم مرّة واحدة في كلّ عامين بزيارة لها. في استدراج أيّ وسوان، من هذا القبيل لدعوته للمشاء. وقصاري القول إنَّا دعوة الدوقة كانت بالنسبة إلى الأميرة ودو بارماه مدعاة لصنوف من الحيرة لشدَّة ما تتأكلها خشية أن عجمد وأوريان، كلّ شيء ردئياً. بيد أن الأميرة ودو بارما؛ في مقابل ذلك وللسبب نفسه كانت على يقين مسبق، حيدما عجيء للعشاء في منزل السيَّدة «دو غير مانت؛ أن كلُّ شيء سيكون حستاً ولذيذاً ولاتداخلها إلا خشية قوامها ألا تحسن الإدراك والحفظ والإمتاع، ألامحسن تمثّل الأفكار والناس. كان وجودي يثير من هذه الزاوية اهتمامها وطمعها نماماً كما ربّما فعلتْ طريقة جديدة في تزيين المائدة بجبال من الفواكه وهي لاتدري إن كان هذا أم ذلك، تزيين الطاولة أم وجودي، الذي كان يشكّل على نحو أكثر خصوصية واحداً من صنوف الروعة تلك التي هي سرٌ مجاح حفلات استقبال وأوريانه، وقد صمّمت أن تخاول الحصول على هذا وذلك في مأدية عشائها المقبلة. وما كان يبرّر على أي حال أتمُّ التبرير الفضول المفتون الذي تخمله الأميرة ودوبارماه إلى منزل الدوقة فإنّما هذا الجزء المضحك الخطر المثير الذي كانت الأميرة تغوص فيه بضرب من الخشية والدهشة والسعادة لكما هي النحال على شاطع البحر في واحد من احمامات الموج، التي يشير أدلاء السباحة إلى خطرها لمحض أن ليس منهم من يحسن السباحة) والذي كانت تطلع منه منشطّة سعيدة مجدّدة الشباب وهو ما كان يدعى يظرف آل «غير مانت» كان ظرف آل «غير مانت» - وهو كيان لاوجود له شأن تربيع الدائرة، حسما ترى الدوقة التي كانت محكم أنها الوحيدة من آل «غير مانت» التي نملكه -حسيتاً كـ همفرومة، مدينة تور أو بسكويت مدينة رانس. وليس من شكّ (إذ لا تستخدم خاصيّة عقلية من أجل انتشارها الطرق نفسها التي يستخدمها لون الشعر أو البشرة) أن يعض ألأف الدوقة عُمن لم يكونوا من سلالتها كانوا يملكون مع ذلك هذا الظرف الذي لم يستطع بالمقابل أن يفشى بعضاً من آل وغيرمانت، يستعصون بشدّة على أيّ من أنواع الظرف. وإن أصحاب ظرف آل وغير مانت، من غير أقرباء الدوقة كانوا يمتازون بعامة بما سبق أن كانوا أفراداً لامعين ومهيئين لوظائف فضَّلوا عليها، سواء في ذلك الفنون والدبيلوماسية والبلاغة النيابية والجيش، حياة العشيرة المترابطة. وربما أمكن تفسير هذا التفصيل بشيء من النقص في الأصالة أو روح المبادرة أو الإرادة أو الصحّة أو الحظ أو بالتحلق.

واتن كانت صالة آل وغير ماتت، بالنسبة إلى بعضهم (وينيني الإقرار على آية حال بأن ذلك استشاء) حجر العثرة في وجه مستقبلهم فائما كان ذلك على كره منهم. من ذلك أن طبيباً ورساماً وديلوماسياً ذوي مستقبل عظيم لم يستطيعوا النجاح في مهنتهم، مع أنهم كانوا ألمع مواهب من الكثيرين بالنسبة إليها، لأن ألفتهم لدى آل دغيرمانت، أفضت إلى أن يُعدُ الأولان من رجال المجتمعات والثالث رجعياً، الأمر الذي حال دون ثلاثهم أن يعترف بهم أقرائهم. إن الحلة القديمة والقلنسوة الحمراء، ولانوال هيئة الناخبين في الكليات ترتدي نلك وتعتمر هذه، ليستا أو ما كانتا على الأقل منذ فترة ليست ببعيدة محض استمرار خارجي بحت لماضي ضيق الأنكار أعمى في تشيئه. فقد كان الأسلالة بعد، عجت المقلسوة ذات الشراويب الذهبية مأن كبار الكهنة غمّت قبمة المهود الطروطية، لايزالون في الأعوام التي سبقت مسألة دويفوس، مجاء داخل أفكار فيسهة تماماً. كان دوي بوليونة فئاتاً في أساسه ولكنما كان خلاصه في أنه لم يكن يحب المجتمع الراقي.

وكان اكوتارا، يتردّد على قوم الدوفيردوران ولكن السيّدة دفيردورانه كانت إحدى زبائته، ثم إن سوقيّته كان أخيراً يستقبل في منزله سوى جماعة الكليّة في ولاتم تفوح منها والده حمض كان أخيراً يستقبل في منزله سوى جماعة الكليّة في ولاتم تفوح منها والده حمض الفينيك. ولكنّ الأحمال الهيئات الشدينة التماسك حيث لاتعدو قسوة الأفكار المسبقة كونها الشمن لأجمل صنوف النزاهة ولأونع الأفكار الأخلاقية التي تضعف في أوساط أكثر تسامحاً وأكثر حربة وسرعان ما تضعي أكثر تسامحاً وأكثر حربة وسرعان ما تضعيم أكثر الدحلالاً، إن الأستاذ يحلّته التي من الساتين القرمزي المبطن بقراء المقاقرم كحلة دوج (يعني دوقاً) من البندقية حبيس في القصر الدوقي كان يماثل في نفعائلة وتلمّة بالمبلاء التي قسودة التي لا ترحم ازاء كل عنصر غرب، ذلك الدوق الأخر الرائق والخيف، عنينا السيّد دور سان سيموزة كان التيس مجمعات واقبة!) إنه هو خيراً الدوق «دو غير مات»، كان يأمل أن يهدئ سخطهم بهاتما عمل علمه مخلط على نفسه بالهلاك، أو هو يضعي بالأحرى يليّغ الأمر حيما كان فيضي الدولم سوى اسم طبيب أقرب إلى المادي، وإن يكن أكثر ضحالة، ويرخود الفيتية في الكثير القليمية وسيّاً مضحكا مخيفاً شأن والقسّمه الذي توقي دموليرة في إيانه. كذلك والمرائم الذي مشكل أبد الدهر رجل مجمعات حينما أفلح رجال مجمعات يتماطون الفين في أنه. كذلك أمر الرسام الذي وكذلك أمر الديلومامي الذي أفرط في ارتباطاته الرجعية.

ولكن هذه الحالة كانت من أكثرها ندرة. فإن نموذج الرجال البارزين الذين كانوا يؤلفون خلفيّة صالة آل دغير مانت، كان نموذج النامى اللمين تعقّلوا طوعاً (أو طنّرا ذلك على الأظلّ) عن الباقي، عن كلّ ملاينسجم وروح آل اغيرمانت، وتهليب آل دغير مانت، وهذا السحر العفّي البغيض في نظر أيّة دهيئة شرعة التنظيم، إلى حدّ ما.

ولمله كان بمقدور الذين كانوا يعلمون أنَّ أحد روَّاد صالة المدوقة سبق له أن نال الميدالية المدهية في المملس، وأنَّ الأخر، وهو أمين سرّ مؤتمر الحامين، كانت له بدليات مدوّية في المجلس، وأنَّ ثالثاً خدم قضية فرنسه ببراعة كقائم بالأعمال، لعلم كان بمقدورهم أن يضموا موضع الفاشلين أناساً لم يأثوا من بعد بشيء من عشرية من عالم أو أو أم مانت والمعافرة عن من بلد كرّ بالأمر إذ يرون للله المنافرة أنفسهم آخر من بلد كرّ بالأمر إذ يرون لله الله المنافرة أنفسهم آخر من بلد كرّ بالأمر إذ يرون لله الله المنافرة الشيء وظال الفرم بالتلاحب الفظيق، من اللهن تتنفى الصحف بمدالتحهم ولكتما تتناوب السبئة ودو غير مانته بجانهم وبندى نقد صبر إن جاءتها قلة تبصر رئة بيت بهذا أو ذلك جازاً لها، بالرجل الممل أو المردد أو على المكس بأجير المخازن؟ وبما أن كونك رجل دولة من الطراز الأوّل لم يكن على الممل أو المردد أو على المكس بأجير المحاس، إذ يجيئون كلّ يوم لتناول الغذاء أو المتحاسة من «المسلك» أو المجاسة أن قدموا استفارعه من «المسلك» أو المحاس، إذ يجيئون كلّ يوم لتناول الغذاء أو المحكث مع صديقه عن المحلس بعض المرع على أيد حال يا تقولونه على أية حال، أو هكذا يقولونه على بعض الشيء صحية هما أن مقاهرهم الحزين حتى في صميمة هما أدر كان يتاقش المنافرة المنازين حتى في صميمة المرح كان يتاقش المنيء صدة المعالمة المؤين على أية حال، أو هكذا يتقولونه على المناسة على المعالمة المناسة على أية عالم الموردة أنهم اختاروا أفضل حصة مع أنَّ مظهرهم الحزين حتى في صميمة المرح كان يتاقش المنيء صدة المنا المنحية من المناء عسرة المنيء صدة المن أنه المناسة على المن

أضف أنّد لابدٌ من الإقرار بأنَّ لطاقة الحياة الاجتماعية ونمومة الأحاديث في منازل آل وغير مانت كان يطيمهما شيء من الحقيقة مهما دق الطابع. فلهس من لقب رسمي يساوي فيها متمة بعض المفضلين لدى السيدة ودر غيرمانت الذين ربّما لم يستطع أكثر الوزواء افتداراً أن يفلحوا في اجتذابهم إلى منازلهم، ولئن وقُدت إلى الأبد في تلك الصالة طموحات فكرية ما أكثرها، بل جهود كريمة، نقد نبت فيها على الأقل أنشر أزهار الكياسة من زايها. مسجع أن رجال فكر من أشال مموادات كارا يمتحدون أقهم يفوقون رجالاً فوي قدر هم يمتقرونهم، وكتّما ذلك لأنما كانت الموقة تضمه فوق كل شيء لم يكن المقل بل المقرف— وهو حسبما ترى صيفة رفيعة من المقل أكثر ندوة وأوفر روعة، المقل الذي سموا به حتى شكل كلامي من المومة. وحينما كان وموانه فيما مضى يمد وبهضوه ووالمستيرة، في منزل ألى وفيردورانه، الأزل بمثابة متحللق والآخر بمثابة فقل على الرغم من كل علم الأول وكل عقرة البنا ترقيما تسرّب طرف آل وغيرمائت، هو الذي حمله على تصنيفهما على هذا النحو. وما كان ليجرؤ البنة أن يقدم هذا أو ذلك للموقة إذ يسمى صلغا بأية هيئة لعلها استقبلت مقالات وبهيثوه وهراء والمستيرة إذ إن ظرف آل وغيرمائت، يضع الأقوال للمكلفة المطولة من النوع البعدي أو الفوع الهازل موضع أقل أنواع المناء احدمالاً.

قائمًا ما يخص آل دغير مانته بحسب اللحم والدم فإن لم تَغْشَهُمْ رُوح آل دغيرمانت، بعثل التعام الذي يقع على سبيل المثال في التفوات الأدبية حيث يتخذ جميع الناس طريقة واحدة في النطق، في العبير، وبتيمة ذلك في التفكير فليس يعني ذلك بالتأكيد أن الأصالة أند ّ رضا في ارساط المجتمعات الراقية وتقيم فيها حاجزاً في وجه الهماكة، ولكن للمحاكاة شروطاً ليس قوامها غياب أصالة لا يمكن ردّها إلى سواها فحسب بل رهافة نسبيّة في الأذن أيضاً تسمح بأن نميّز أولاً ما نحاكيه فيما بعد، ولكتما ثمة من آل وغيرمانت، من كان ينقصهم هذا الحسّ الموسيقيّ تماماً كال «كورفوازيه».

وكيما تتخذ على سبيل المثال التمرين الذي يدعونه، بمعنى آخر المفظة محاكاة، والمحارضةه (وما
يدعونه لدى آل، وغيرمانت، يـ والتحميل)، فعيثاً كانت السيّدة ودو غير مانت، تفلح فيه إلى حدّ خطب
الألباب فقد كان آل وكورفوازيمه عاجرين عن تبيّن ذلك عجزهم لو كانوا جماعة من الأراتب بدلاً من رجال
ونساء لأنهم لم يفلسوا يوماً في ملاحظة العبب أو النبرة التي تخاول الدوقة ردّها. فحينما كانت وتعارضه
للدوق ودو ليموع، كان آل وكورفوازيمه يحجون ثالثين: لا، إنه لايلتم هاما المبلغ في حديث، فأتى تعتيب
المدوق ودو ليموع، كان آل وكورفوازيمه عن يحجون ثالثين: وما كان يتكلم على هانا السوء، في حين
مساء البارحة معه في معلم هم يبيبت، وقد كلمني طوال السهرة، وما كان يتكلم على هانا السوء، في حين
يصرخ من كان من آل وغيرمانت، على شيء من الثقافة: وبالله كم هي مضحكة قروراناه! وأغرب الأمر
(دون أن نذهب حتى أولتك المنين كانوا يقولون باعجاب حينما تقلد المدوق الدوق ودوليموج، وأدا يمكن أن
تقول إنك تصميحين يتلابيه، إلى الظرف فقد توصيلوا، حسبما ترى السيدة ودو غيرمانت، وكانت مصيية
فيما ترى لكثرة ما يسممون كلمات الدوقة، أن يحاكوا كيفما تبسر الأمر طريقتها في التمبير وإبلاء المرأى وما
لمل وسوانه كان سماها، شأن الدوقة نفسها، طريقتها في والصباغة إلى حدّ يقدّمون فيه في حديثهم شيئاً
كان يدو في نظر آل وكورفوازيم، وكأنما يشبه أفظع الشبه ظرافة وأوريانه وكانوا يعتبرونه بدورهم روح آل
وغيرمانت، وبما أن هؤلاء والغيرمانتين، لم يكونوا من أقرباء وأوريانه فحسب بل من المحجين فألها (هي و

التي كانت تستبعد أشدُّ الاستبعاد باقي أسرتها فتثأر الآن بصنوف ازدرائها للاساءات التي ألحقتها بها هذه عندما كانت فتاة) كانت تذهب أحياناً لزيارتهم وتفعل عامَّة بصحبة الدوق في الربيع حينما كانت تخرج برفقته. كانت تلك الزيارات تشكّل حدثًا. كان قلب الأميرة ٨ديبينيه، يسرع قليلاً في خفقاته، وهي تستقبل في صالتها الكبرى في الطابق الأرضى، حينما تلمح من بعيد، وكأنما أوّل الأضواء تنبعث من حريق لا أذيَّة فيه أو ااستطلاعات، غزر غير متوقّع، الدوقة مجتناز الباحة على مهل مائلة المشية وهي تعتمر قبعة رائعة وتخشى شمسية تنهمر منها وائحة صيفيَّة. وويحكم، هي أوريان، تقول وكأنَّما تلك عبارة ﭬانتبه!؛ تخاول أن تخطُّر زائراتها بحذر وكيما يتسع الوقت للخروج بانتظام ولإخلاء الصالات دونما ذعرء كان نصف الأشخاص المحاضرين لايجرؤ على البقاء فينهض. وكانت الأميرة تقول بلهجة طليقة مطمئتة (لتظهر بمظهر السيّدة الكبيرة) ولكن بصوت أصبح متكلفاً: الا، ما الخر؟ عودوا إلى مقاعدكم، فانَّما يغبطني استبقاؤكم بعد قليلاً، - وقد تودُّون التحدُّث فيما بينكمه. ونجيب سيَّدة البيت اللواتي تودُّ أن يمضين في سبيلهنَّ: ٥ أألنت حقاً معجلة؟ إذا أذهب إلى منزلك، كان الدوق والدوقة يحييان بأدب بالغ أناساً كانا يبصرانهم هناك منذ سنوات، دون أن يزيدهما الأمر معرفة بهم، ومّمن لايقرئونهم السلام إلاً لماماً بداعي التحفظ. فما أن يمضوا حتى بطلب الدوق بلهجة لطيفة معلومات حولهم كي يبدو وكأنه يهتم بالصفة الذاتية لدى الأشخاص الذين ماكان يستقبلهم بسبب قسوة القدر أو بسبب حالة وأوريان، العصبية التي تؤذيها مخالطة النساء: ومن تراها كانت تلك السيَّدة الصغيرة ذات القبعَّة الورديَّة ؟٥- وولكنَّك كثيراً ما رأيتها ياابن عمَّى، إنها الفيكونتيسة ودو تور، من عائلة الامارزيل. - وولكن هل تدرين أنها جميلة، إنها تبدو ظريفة. ولو لم يكن قمة عيب صغير في الشفة العليا لكانت بكلِّ بساطة رائعة. وإن كان ثمَّة فيكونت «دوتور» فلا بدُّ أنَّه لايصيبه الملل. أتدرين يا وأوريان، بمن ذكرني حاجباها وأغراس شعرها؟ بابنة عمك وهيدويج دوليني، أمَّا الدوقة ودو غيرمانت؛ التي كانت تفتر ما أن يأخذوا في الحديث عن امرأة غيرها فتهمل الحديث. بيد أنَّها لم تدخل في حسابها الميل الذي لدى زوجها إلى إيراز علمه التام بحال الأشخاص الذين لم يكن يستقبلهم، الأمر الذي يظنّ أنّه يبدي به وجدَّيَّة أكثر من امرأته. ثم يقول فجأة بنبرة قويَّة: دولكنَّك أنيت على اسم والامارزيل. إنِّي أذكر أن خطاباً ملفتاً تماماً قد ألقي حينما كنت في المجلس...ه - وإنّه عمّ المرأة الشابّة التي التقيتها منذ قليل. - وآوا ياللموهبة...، أو يضيف قوله للفيكونتيسة ديغرمون، التي لاتطيق السيَّدة ددو غيرمانت، احتمالها والتي ما كانت ثبرح منزل الأميرة «ديبينيه» حيث تتنازل طوعاً إلى دور خادمة (وإن هي ضربت خادمتها إذ تعود) وتظلُّ، خجلة حزينة المظهر، ولكنُّها نظلٌ حينما يحضر الدوقان وتأخذ المعاطف ومجمهد في أن تكون مفيدة وتعرض من باب التحفظ الانتقال إلى الغرفة المجاورة: ولا، ياصغيرتي، لا تخضري الشاي من أجلنا، ولتتحدث بهدوء إنّنا قوم بسطاء لانتكلف الأمورة. ويضيف وهو يلتفت إلى السيّدة «دببينيه» (ويدع «ديغرمون» خجلي متواضعة طامحة مندفعة): الا نملك على أيِّ حال سوى ربع ساعة نخصكم بهاه. وكان ربع الساعة يشفّل بتمامه بما يشبه عرضاً للكلمات التي حضرت الدوقة في أثناء الأسبوع والتي ما كانت لتجيء بنفسها على ذكرها ولكنّ الدوق يدفعها بحلق كبير إلى تردادها وكأنّما غير متعمد إذ يبدو وكأنّه يؤنبها بشأن الحوادث التي استجرتها.

أمَّا الأميرة «ديبينيه» التي كاتت تخبُّ ابنه عمومتها وتعلم أنَّها تهوى المديع فقد كانت تطرب أيَّما

طرب لقبضها وضمسيتها وظرفها. وحديثها ما شنت عن ملابسها وزينتها، يقول الدوق بلهيمة خننة كان قد اعتصدها ولكشما يلطفها بابتسافة الخزة كي لايؤخذ استهاؤه مأخذ العبد، ولاعن بلهتها، يحق السماء، فلعلني في غنى نام عن أن يكون لي امرأة بعثل بلهتها. إلك تشيين على الأرجح إلى التلاعب اللفظي غير اللاتق الذي المنته على شقيق وبالاميده، يضيف توله وهو بعلم تمام العلم أن الأميرة وبراقي الأحرة لايزالون بيجهلون ملما التلاعب ويضعله أن يرز مواهب زوجت. وفلمت أرى بادئ الأمر أنه يلق بامرئ قال أحياناً، إلى مقر بلمك أموراً على شيء من الحلاوة أن يؤلف صنوفاً غير لائقة من التلاعب بالألفاظ ولاسيما بحق شقيقي عده فما أجمل المناعي له.

~ وولكنَّما الاندري! لمة نكتة له وأوريائه ؟ ذلك الإبدُّ رائع، هيَّا، أسمعنا!ه.

وعاد الدوق يقول، ولايزال حردان وإن تعاظمت بسمته: الاءلاء إني شديد الاغتباط أتكم لم تبلقُوها. إِنَّى جادَّ في أَنِّي أُردَّ شقيقي كثيرةًه.

وتقول الدوقة وقد آن الأوان لتردّ على زوجها: «اسمع يا «بازان»، لست أدري لمذا تقول إن الأمر بمكن أن يضضب «بالاميد» وأنت تعلم العكس تماماً. فإنّه أخدٌ ذكاء بكثير من أن يجرحه ذلك المزاح السخيف وليس فيه مايسيء: أيّا كان. سوف ترحي بأتي قلت قولاً مسيئاً وقد أجبت محض إجابة لاغرابة فيها، وإنّما أنت من يوليها أهمية من جراء استنكارك، لست أفهمك.

- وتثيرون أشدُّ فضولنا، فما الأمر؟٥

ويصرخ السيّد دو غيرمانت، قائلاً: دليس بالتأكيد ما كان هامّاً. وبما سمعتم من قال إن شفيقي كان يبغى أن يهب «بريزيه»، وهو قصر زوجه، لشقيقته «مارسانت».

- وأجل، غير أنّه قبل لنا إنّها لا ترغب فيه وإنّها لا تخبّ المنطقة التي يقع فيها. وإن المناخ لا بالاثمهاء.

- دالمد قال قاتل بالضبط كل ذلك الورجي وإنّ أسمي إن كان يهب ذاك القصر لشقيقتنا فما ذلك الإدخال السرور على قلبها بل ليشاكسها. ذلك أنه مشاكس جندًا، دشارلوس، يقول ذاك الشخص. ولكنكم تعلمون أن دبريزيه، شيء ملوكي ويمكن أن يساوي عدّة ملايين، إنّها أرض قديمة للملك وثمة واحدة من أجمل غابات فرنسه. هنالك الكثيرون ثمّن يرفيون أن تتم مشاكستهم على هذا النحو. ولذلك لم تستطح دارويان، وهي تسمع كلمة دمشاكس، هذه تطلق على دشارلوس، لأنّه يهب قصراً جميلاً إلى هذا الحدّ، أن تملك نفسها عن الصراح، دون تعمد، لايدً لي من الإقرار بذلك، فأنها لم تحمّله ما يسيء والتكتة جاءت مراجعة كالبرق؛ ومشاكس... مشاكس... فظرة دائرية ليحكم على الأثر الذي خلفته طرأقة امرأته، يضيف الدوق وهو يستعيد المهشوسة ولايضل أن بلقي نظرة دائرية ليحكم على الأثر الذي خلفته طرأقة امرأته، يضيف وبه بعض

cib) لهم أجد سبيلا إلى رد هذا التلاعب اللفظى القالم بين Tarquin, taquin والمقصود هو التذكير بـ11ركوبينوس المتكنوة وهو من ملوك روما واشتير بصلفه واستبداء برأيه.

الشكوك على أيّة حال فيما يخص معرفة السيّدة وديينيه بالتاريخ القليم: وتفهمين، ذلك بسبب وتركوبيوس المنكبره ملك روما. تلك سخافة وتلاعب بالألفاظ رديء ولايليق بداأربانه ثم إنّي أنا أشد حفراً من امرأتي، وإن كنت أقلّ طرفاً فاني أذكر بالمواقب، فإن شاء سوء الطالع أن يردوا ذلك لشقيقي كان ثمة قصمّ، أي تُصمّ، وأي تُصمّ، وأن المناف يقول: وأضف أنّه لابد من الإقرار، بما أن وبالاميده بالضبط شديد الاستعلاء وصعب المراس كذلك إلى حدّ بعيد وضغوف بالقيل والقال حتى في غير مسألة القصر، بأن ومشاكس المتكرّر يلائمة إلى حدّ ما حتى حينما تشاء النزول إلى مستوى التفريات السخيفة و.

حدّ ما حتى حينما تشاء النزول إلى مستوى التفريات السخيفة و.

وهكذا كانت زيارات الدوق والدوقة لأسرتهما، بفضل دمشاكس المتكبره مرة وأخرى بفضل نكحة ثانية، أخبدًد مؤونة الحيالية ومغير أثبيهة ومغير أعمالية المتحدد مؤونة الحيالية ومغير أعمالها الفنية. كانوا يتلذون أول الأمر بالنكات التي قالتها «أوريانه مع أصحاب الحظ الذين حضروا الاحتفال (أولفاك الذين مكتوا هناك). كانت الأميرة دوبينيه تسبق للأميرة دور سارسينا لاروشفركوه أن المتكبرة فضيب المركزية دور بالنيزه والحمرة نكسر صياها؛ فلقد سبق للأميرة دور سارسينا لاروشفركوه أن المتكبرة عن ذلك ولكتما لم تفعل باللفظات فضها. بيد أنه لابدّ كان أكثر إثارة بكثير أن تسمم من بروبها في حضرة ابنة عمي على هذا النحوه، تضيف قولها كما لعقها كانت تقول فأن تسممها برافقها المؤلفة فيها، وكانوا يقولون لوارائة كانت ستنتم لأنها لم هجىء قبل ساعة: «كنا تتحدّث عن آخر نكتة لم أورياناه التي كانت مها هذا قبل إلى المنافقة المؤلفات المنافقة المؤلفات المؤلفات المنافقة المؤلفات المؤل

- وعجاً، هل كانت وأوريان، ههنا؟،

فتجيبها الأميرة (ديبينيه غير لامة ولكتما توحي بكل مالم تصبه الطائشة: وبالطبع، ولو اتفق أن جت مبكرة بعض الشيء من الذنب ذنبها أن لم تشهد خليقة العالم أو آخر عرض للسيدة وكارفالهوه. وماقولك في تكتة وأوريائه الأخيرة إلى أقر بأتي أقدر كثيراً مشاكس المتكبره، ويتم تناول والنكتة باردة أيضاً في المغد على مائدة الغناء وتعود إلى المظهور بمختلف أنواع لمارق في أثناء الأصبوع. حتى الأميرة تستمل أنها تقوم في خلك الأسبوع بزيارتها السنوية للأميرة ودو بارماء لعسائمة العبني من حبراء إحجاب قبلي ولكنه يلتمس شروحا خلك المسكرة ودو بارماء محملة العبني من حبراء إحجاب قبلي ولكنه يلتمس شروحا إضافية لا تعالم بها الأميرة ودو بارماء محملة العبني من حبراء إحجاب قبلي ولكنه يلتمس شروحا على صعيد الصياغة، وكلمة وصياغة كانت بالحقيقة غير ملاكمة البئة بالنسبة إلى هذا التلاعب اللفظي، على صعيد المياغة، وكلمة وسياغة كانت بالحقيقة غير ملاكمة البئة بالنسبة إلى هذا التلاعب اللفظي، ولكنه ومياغة وطبقه وكلم المتكبرة تروك أن عفرمانت قد أخدلت من فأوريان عبارتها السيدة وديبينيه إذ تجدها قبيحة وتعلم أنها بخيلة وتطلها شريرة على دنة آل و كروفرازيه، تعرفت كليل السيدة وحياها تعرف مانت تعرف جها وما كانت لتعرف وحجاها كيفية والمياغة، هي الذي كانت تؤلف صحر ومشاكس المتكبر، ورحاه الميئية، هذه قد خيل إليها بالفعل أن والصياغة الميئية، أن تتمالك عن شعور بالاعجاب عظيم بامرأة تملك

إلى هذا الحدّ روح آل وغير مانته حتى عرمت أن تدعو الأميرة ودبينيه إلى الأوبرا. ولم يحل دون ذلك سوى أنّه ربّما كان من اللائق استشارة السيّلة ودو غيرمانته بادئ الأمر. أمّا السيّدة ودبينيهه التي كانت، على اختلافها المديد عن آل و كورفوازيهه، بمدي الكثير من صنوف اللطف لـ وأوبانه وحبّها ولكنّها تغار من علاقاتها في حضرة جميع الناس بنأن بعلها فقد روت لدى عودتها إلى منزلها كم معادفت الأميرة ودر بارما من المنقة لتفهم ومشاكس المنكرة و كم كان بيني أن تكون وأوربانه سنوبية كي تلبط في ألفتها بارما من ملذه الشاكلة. وقد قالت للأصدقاء الذين كانوا على مائدة عنائها: وه لو شت بال استعلمت قط مناطقة الأميرة ودو بارماء لأن السيّد ودبينيه ما كان البنّة ليصرح لي بذلك بسبب فجورهاه، قالت تشير بلك إلى بعض شجاوزات محض وهميّة للأميرة: و ولكنّي اعترف أتي ما كنت أستطيع حتى لو أنفق لمي زوج من المنشّة لأصل إلى نهاية الزيارة.

فأمًا من كانوا من آل «كورفوازيمه» في منزل «فيكتور نبين» أن زيارة السيَّدة «دو غير مانت، فإن وصول الدوقة كان يدفعهم عامّة إلى الهرب بسبب السخط الذي تسببه لهم السلامات المفرطة التي تُقابَلُ بها وأوريان، واحد منهم فقط ظلّ يوم ومشاكس المتكبّر، ولم يفهم المزحة تمام الفهم ولكنَّه فهم نصفها مع ذلك لأنَّه كان متعلماً. وراح آل «كورفوازييه» يردُّدون أنَّ «أوريان» دعت العمَّ «بالاميد، «تركوينيوس المتكّبر»، الأمر الذي كان يصوّره، حسبما يرون، على نحو مقبول. ثم يضيفون قولهم: ٥ولكن لم يثار كل هذا الضجيج حول وأوريان، فما كانوا ليفعلوا أكثر منه لملكة. وماعسي تكون وأوريان، باختصار القول؟ لست أقول أنَّ ليس أل «غيرمانت، من أصل عربق، ولكنّ آل «كورفوازييه» لايقلون عنهم في شيء لا على صعيد الشهرة ولا على صعيد العراقة ولا على صعيد المصاهرة. وينبغي ألاننسي أنه فيما كان ملك انكلتره في مخيم الملاءة الذهبية يسأل وفرانسوا، الأوّل من كان أعرق الأسياد الحاضرين. أجاب ملك فرنسه قائلًا: «إنّه «كورفوازييه» ياسيّدي». ولو مكث جميع آل ٥ كورفوازييه، لتركتهم النكات في جمود متزايد بمقدار ما قد ينظرون إلى الحوادث التي أورلتها بعامّة من وجهة نظر مختلفة تماماً. فإن أتفق على سبيل المثال لواحدة من آل \$كورفوازييه\$ أن تعوزها المقاعد في حفل استقبال تقيمه أو أن تخطئ في الاسم وهي تتحدَّث إلى زائرة لم تتعرَّفها، أو إن وجَّه إليها أحد خدمها جملة سخيفة كانت والكورفوازيَّة، تأسف وهي في أشدُ الأزعاج لمثل هذا الحادث الطارئ خجلي راعشة من اضطرابها. وحينما كان لديها زائر وتزمع اأوريان، الجيء كانت تقول بلهجة مستفهمة يشوبها الضيق والإلحاح: ٥هل تعرفها ؟٤مخافة أن يخلف وجود الزائر إن كان لايعرفها انطباعاً سيئاً في نفس وأوريان، ولكنَّ السِّدة 1دو غير مانت؛ كان تستخلص على العكس من مثل هذه الحوادث منامبة لحكَّايات تضحك آل المغير مانت، حتى لتدمع عيونهم فيرى الناس لزاماً عليهم أن يحسدوها لأنها أعوزتها المقاعد، لأنها هفت أو سمحت أن يهفو خادمها هفوة، لأنَّها استقبلت في منزلها شخصاً لايعرفه أحد مثلما يرون لزاماً عليهم أن يغتبطوا أن يكون الكتّاب العظام قد استبعدهم الرجال وخانتهم النساء حينما كان إذلالهم وعذابهم مادّة أعمالهم الفنية على الأقل إن لم يكن حافزاً لمبقربتهم.

ولم یکن آل 1 کورفوازییه اکثر قدرة علمی التسامي حتّی ررح التجدید الذي کانت الدوقة دور غیر مانت، تدخله في حیاة المجتمع والذي کانت تجمل منه، إذ تکیفه بغریزة سلیمة مع ضرورات الساعة، شیئاً فنیاً حيث كان التطبيق المعقلن لقواعد صارمة سوف يفضي إلى نتائج بمثل سوء مايجنيه من ينبغي تجاحاً في المحمّ أو السياسة فيكرر في حياته المخاصّة مآثر «بوسّي دامبواز» بعطافيرها. وإن أقام آل «كورفوازييه» عشاء عائلًا أو تكريماً لأحد الأمراء بدا لهم أن أضافة رجل فكر أو أحد أصدقاء ابنهم أمر شاذ من شأنه أن يخلف أسها الأثر. فقد استنتجت «كورفوازية» صبق أن كان والدها وزيراً لدى الإمبراطور، وكان عليها أن تقيم حفلة بعد الظهر على شرف الأميرة «ماتيلد»، استنجت بذهنيّة هندسيّة أنّها لاتستطيع أن تدعو غير «بونا برّيّين». لكنها لم تكن تعرف أحداً منهم تقريباً. وقد نم استبعاد جميع النساء الأنيقات من معارفها وجميع الرجال الظرفاء دون رحمة إذ ربّما أمكن، وهم أصحاب رأي أو صلات مع المنادين بالشرعية، ربّما أمكن، حسب منطق آل وكورفوازييه، أن يسوءوا في عيني صاحبة السمّو الأمبراطوري. أمّا هذه الأخيرة التي كانت تستقبل في منزلها صفوة حيّ وسان چيرمان، فقد دهشت إلى حدّ ما حينما لم تجد في منزل السيّدة ودو كورفوازيه، سوى متطفلة شهيرة، وهي أرملة حاكم سابق في زمن الإمبراطوريّة، وأرملة مدير البريد وبعض الأشخاص المعروفين بولائهم لنابليون الثالث وغبائهم وثقالتهم. ولم يحل ذلك دون أن تنشر الأميرة ٥ماتيلد، لطفها الملكي الفيَّاض الحلو على هؤلاء القبيحات المفجعات اللواني تخاشت الدوقة ددو غير مانت.. فيما يخصها أن تدعوهن حينما جاء دورها في استقبال الأميرة واللواتي استبطت بهنّ، دون تفكير قبلّي بالبونبارتيّة، أثمن باقة مؤلفة من جميم ربّات الجمال وجميع ذوي الشأن وجميع للشاهير الذين يدفعها ضرب من الفطنة واللباقة والحذافة إلى الإحساس بأنهم لابدُّ سيروقون ابنة شقيق الإمبراطور حتى إن هم كانوا من أسرة الملك العناصَّة. حتى الدوق ودومال، لم يتنيب عنها. وحينما قبلت الأميرة، وهي تغادر المكان وتنهض السيّدة ودو غير مانت، التي كانت تنحني محيّة ونهم بتقبيل يدها، حينما قبلت هذه الأخيرة على الوجنتين فاتّما أمكنها أن تؤكد من صميم الفؤاد للدوقة أنها لم تقض في يوم نهاراً أضل ولم تشهد احتفالاً أوفر نجاحاً. كانت الأميرة هدو بارماه كورفوازيّة يعجرها عن التجديد على الصعيد الاجتماعي ولكنّما الدهشة التي تسبّها أبداً لها الدوقة ددو غير مانت، إنَّما كانت تبعث في نفسها، بخلاف آل اكورفوازييه، لا النفور،كما هي الحال لديهم، بل الانبهار. وكان يزيد من ذلك العجب أن ثقافة الأميرة كانت متخلفة إلى ما لا حدود. كانت السيّدة ددو غيرمانت، بدورها أقلّ تقدّماً بكثير مما تعتقد. بيد أنّه كان يكفي أن تكون أكثر تقدّماً من السيّلة هدو بارماه كيما تدهش هذه الأخيرة، ومثلما يكتفي كلّ جيل من النقاد باتّخاذ عكس الحقائق التي أقرَّها أسلافهم، فقد كان يكفيها أن تقول إن افلوبير، عدوَ البورجوازيّين هذاكان بورجوازيّاً قبل كلّ شيء أو إنّ ثمة الكثير من الموسيقي الإيطالية لدى «فاغنر» كيما توفّر للأميرة ، مقابل إرهاق دائم الجلّة وكأنّما لشخص يسبح داخل العاصفة. أَفَاقًا تبدو لها خارقة وتظلُّ غامضة لديها. والدهشة على إيَّة حال إزاء المفارقات المعلنة لابصدد الأعمال الفنية فحسب، بل حتى بصدد أشخاص من معارفهم والأعمال الاجتماعية كذلك. وليس من شك بأنّ العجز الذي كان لدى السيّدة ودو بارماه في تمييز روح آل وغيرمانت، الحقيقية عن أشكال هذه الروح التي تمّ تعلّمها على نحو بدائي (الأمر الذي كان يجعلها تؤمن بالقيمة الفكرّية الرفيعة التي تميزٌ بعض الفيرمانتيّين، وعلى، رجه الخصوص بعض «الغيرمانتيّات» اللواتي كان يذهلها فيما بعد أن تسمع الدوقة تقول عنهنّ والبسمة على شفتيها إنهنّ محض غبيّات) إنّما كان احداً من أسباب الدهشة التي تنتاب الأميرة على الدوام لدى سماعها السيَّدة ودو غيرمانت، تطلق أحكامها على الناس. بيد أنَّه كان تُمة سب آخر أوضحته لنفسي، أنا الذي كان يعرف في تلك الفترة من الكتب أكثر مما يعرف من الناس، والأدب أفضل من دنيا المجتمع، بتصوري أنَّ

الدوقة، إذ تخيا هذه الحياة الاجتماعية التي تشكّل البطالة والعقم فيها بالنسبة إلى أي نشاط اجتماعي حقيقي ما يشكلُه النقد في الفنّ بالنسبة إلى الإبداع، إنَّما كانت تعمَّم على من يحيطون بها تقلب وجهات النظر والعطش غير السليم الذي يبديه المحاج الذي يمضى في مبيل إرواء فكره المفرط في جفافه باحثاً عن أيَّة مفارقة لاتزال على شيء من الندوّة ولايحجم عن مساندة الرأي المروّي القائل بأنَّ أجمل وايغيجيني، هي ماوضع وبيتشيني، لا ماوضع وغلوك، وأن وفيدر، الحقيقية لدى الاقتضاء ماكتب وبرادون، . فان تزُّوجت امرأة ذكيَّة متعلَّمة نبيهة رجلاً فظاً خجولاً يندر أن يراه الناس ولايسمعونه البتَّة استنبطت السيَّدة ٥دو غير مانت، ذات يوم لنفسها متعة روحيَّة لا في ذمَّ الزوجة فحسب بل في ٥اكتشاف، الزوج. فلو أنَّها، فيما يخصُّ الزوجينُ «كامبرمير» على سبيل المثال، لو أنَّها عاشت آنذاك في ذلك الوسط لقرِّرت أنَّ السيَّدة «دو كامبرمير» بلهاء وأن الشخص الممتع المنتقص القدر الرائع الذي كتب عليه الصمت على يد امرأة ثرثارة ولكنه يساويها ألف مرّة إنَّما هو المركيز على العكس ولأحسَّت الدوقة في الإعراب عن ذلك بنوع البرودة نفسها التي يحسُّ بها الناقد الذي يعترف، وقد مضى سبعون عاماً على إعجاب الناس بـ هيرناني، أنَّه يفضلٌ عليها ١٥ الأسد العاشق. وبسبب الحاجة المرضيّة نفسها إلى اللقيات الاعتباطيّة كانت السيّدة (دو غير مانت، إن رثوا لحال امرأة نموذجية وقدّيسة حقيقيّة لأنّها منذ شبابها زوّجت وغداً، كانت تؤكدٌ ذات يوم أنَّ ذاك الوغد كان رجلاً طائشاً ولكنَّه يفيض شهامة وقد دفعته قسوة زوجته التي لاترحم إلى أعمال طائشة حقيقيَّة. كنت أعلم أنَّ النقد يتلهيُّ في أن يعيد إلى العتمة ما كان منذ فترة طويلة جدًا متألقاً وأن يخرج منها ما كان يبدو وكألما كتب عليه ليل نهائيّ، وذلك لابين الأعمال الفنّية فحسب، في سلسلة القرون الطويلة، بل حتّى في صميم العمل الفنّي الواحد. ولم أر فحسب ابلليني، ودفنتر هالتر، والمهندسين المعماريين اليسوعيّين ونجاراً من عهد عودة الملكية يحلُّون محلُّ عباقرة قيل إنَّهم متعبون لمحض أنَّ المثقفين العاطلين عن العمل تعبوا منهم مثلما مرضى الأعصاب هم على الدوام متعبون ومتقلّبون. فقد رأيت من يفضّل في دسانت بوف، الناقد طوراً والشاعر تارة، ودموسيّه، ينكرونه فيما يخص أشعاره، ما خلا مقطوعات صغيرة عديمة الشأن إلى حد بميد، ويشيدون به قاصاً وليس من شكّ أنَّ بعض كتَّاب المقالة على غير حق أن يؤثروا على أشهر مشاهد مسرحيَّة (السيَّد، أو وبوليوكت، هذا المقطع أو ذاك من مسرحيَّة «الكذَّاب» الذي يزرِّد، شأن خريطة قديمة، بمعلومات عن باريس في تلك الحقبة، ولكن إيثارهم الذي إن لم تبرُّره دواع جمالية فاهتمام وثائقي على الأقل لايزال مفرطاً في عقلانيته بالنسبة إلى النقد المجنون. فإنّه يستبدل بكلّ دمولييره بيت شعر من مسرحية دالطائش، وهو وإن عدّ أوبرا دريستان، الدفاعنر، قاتلة فإنّما يستبقى منها دنغمة حلوة للبوق، لحظة مرور الصيّادين. ولقد أعانني هذا الفساد على إدراك ذاك الذي كانت تبديه السيَّدة «دو غيرمانت» حينما تقرَّر أن رجلاً من دنياهم مشهوداً له بطيبة القلب ولكنَّه أحمق كان فظيع الأنانية وأكثر إرهاقاً تما يظنُّون، وأن آخر معروفاً بكرمه يمكن أن يكون رمزاً للبخل، وأنّ والدة مخلصة لاتهتَم بأبنائها. وأن امرأة خيلت فاسقة مخمل أنبل المشاعر.كان عقل السيّدة ودو غيرمانت، وإحساسها شديدي التردّد، وكأنما عبث بهما عدم الحياة الاجتماعية، كي لايعقب الاشمئزاز لديها الافتتان بسرعة (على أن تحسّ ثانية أنّها مجتذبة إلى نوع التفكير الذي سبق أن سعت إليه وهجرته على التوالي)، وكمي لاينقلب السحر الذي لقيته لدى رجل عزيز النفس، إن كان يفرط في التردّد عليها ويكثر من البحث لديها عن الجماهات كانت عاجزة عن تزويده بها، إلى تبرّم نظنًه من صنع المعجب بها وإنّما هو ناجم عن العجز الذي بك أن تلقى المتعة حيدما تكتفي بالبحث عنها.

وما كانت تقلبًات أحكام الدوقة ترحم أحداً باستثناء زوجها. فهو وحده لم يحبُّها في يوم، وقد أحست دوماً لديه طبعاً حديدياً لايأبه لتزوات لديها غير عابع بجمالها عنيفاً. وإرادة من النوع الذي لا يلين البتّة والذي يعرف العصبيّون محتم وحده مبيلهم إلى الهدوء. ولم يكن لدى السيّد ددو غير مانت؛ من جهة ثانية، وهو يلاحق نمطأ واحداً من الجمال النسائي ولكنّه بيحث عنه لدى عشيقات كثيراً مايجدّدهن، لم يكن لديه بعدما يهجرهنّ وكيما يسخر منهنّ سوى شريكة دائمة لاتتبلّل وغالباً ماتثير حنقه بثرثرتها ولكنّه يعلم عنها أنّ الجميع يعدّونها الأكثر جمالا والأوفر فضيلة والأشد ذكاء والأكثر علما بين الأرستقراطيين وامرأة أسعده جلنا هو السَّيَّد ودو غيرمانت؛ أن وجدها وكانت تستر سائر مفاسده وتستقبل كما لايفعل أحد ومخافظ لصالتهم على مكانتها كأوّل صالة في حيّ وسان جيرمان. ورأي الآخرين هذا إنّما كان يشاطره بدوره، فقدكان فخرراً بزوجته وهو غالباً ساخط عليها. ولئن كان يفضلها، وهو بخيل بمثل بذخه، أقلّ المال في سبيل أعمال خيريّة ومن أجل الخدم فقد كان يصرّ على أن تخوز أروع الملابس وأجمل الجياد والعربات. وكان يهمَّه أخيراً إيراز ذكاء امرأته. ففي كلّ مرّة يتفق للسيّدة «دو غيرمانت» فيها أن تبتكر مفارقة جديدة وشهيّة بخصوص مزايا واحد من أصدقائهما ومعايبه، وقد جرى قلبها فجأة على يدها، كانت تتحرّق إلى تجريبها بحضرة أشخاص قادرين على تذوقها، وأن تحمل على التلذذ بتميّزها السيكولوجي وعلى إبراز أذاها السريع المقتضب، ولاشكُ أنَّ هذه الآراء الجديدة لم تكن تتضمن عادة قدراً من الحقيقة أكبر من القديمة، بل أقل في الغالب. ولكن مابها من مظهر اعتباطي غير متوقع كان يضفي عليها شيئاً من صيغة فكريّة بجعل إيصالها مؤثراً. بيد أن المريض الذي تناولته سيكولوچية الدوقة كآن بعامّة أحد الألأف وكان أولئك الذين ترغب إليهم نقل أكتشافها يجهلون أتمُّ الجهل أنَّه لِم يعد في أعلى درجات الحظوة. ولذلك فإن السمعة التي عَرفت بها السيَّدة ٥دو غيرمانت، بأنها صديقة لاتضاهي عاطفية رقيقة متفانية كانت عجمل من العسير بدء الهجوم ؛ وإن اقصى ماتستطيعه هو التدخّل فيما بعد وكأنها مجبرة ملزمة وذلك بالردّ كي تهدّيء، كي تكذّب في الظاهر وتساند في الواقع شريكاً أخد على نفسه أن يستثيرها ؛ كان ذلك بالضبط الدور الذي يبرع فيه السيّد ددو غير مانت.

فأمّا الأعمال المجتمعية فقد كانت أيضاً متعة أخرى بمسرحة على نحو اعتباطي عجس بها السيّدة ودر غيرمانته في إصدار أحكام عليها من تلك اللانتوقية التي تهرّ الأميرة ودو بارماة بمفاجآت لليذة لاتفقع. ولكن محمة الدونة هذه إنّا حاولت إدراك ما يمكن أن تكون انطلاقاً من الحياة السياسية والأنباء البرطانية أكثر متي بوساطة النقد الأدبي. فلما لم تعد الأوامر المتوالية والمتنافعة التي كانت السيّدة ودو غير مانته تقلب بها دونما انقطاع ترتيب القيه لدى جماعة وسطها كافية لتسليتها كانت تخاول كذلك بالطيقة التي تنظم بها دائم المتعالمة ويتمرض أقل قراراتها المجتمعية أن تتذوّق هذه الانفعالات المصطفحة وتختم لهذه الواجبات المتكلفة التي يتمر مشاعر المجالس ونفرض نفسها على فكر السياسيّين. فإنّا نمام أنه حيثما يشرح وزير للمجلس المنابي اعتقاده بأنه أحصن نفاط في أقباع خط سلوك معين يبدو بالفعل بسيطاً جدًا في نظر الإنسان ذي الحس السليم المدي يقرأ في الفد محضر البياسة في صحيفته، فإن هلما لقاري إذ يرى أنّ خطاب هلما الأخيري قد جرى المساعرة تجبأة ويضرع بشك أنه كان على حرّ في تصديق الوزير إذ يرى أنّ خطاب هلما الأخيري قد جرى الإصفاء إليه وسط بلبلة شديدة وأنة قوطع بعبارات لوم من مثل: «ذلك خطير جداً» تتقوه بها تاب ينظي اسمه والقابه مساحة كبيرة جداً وتعقبها حركات أبرزت إلى حدّ بعيد حتى تشغل الكلمات وذلك خطير جداًا داخل مقاطعة الخطاب كلمها مكاناً أقلَّ من عجز بيت من البحر الطوبل. مثال ذلك فيما مضى حينما كان السبّد دو غيرمانت، أسيردارم، يحل مقمداً في المجلس آنك كنت تقرأ أحياناً في صحف باريس، مع أنَّ ذلك مرجّه خصوصاً إلى مقاطعة دميز يكليزه وكيما يَيْسَ للناخيس أنّهم لم يعتحوا أصواتهم لمرضّح خامل أو أبكم:

«السيّد دو غير مانت- يويّون أمير لوم: «هذا عطيرا» (عظيم! عظيم! في الوسط وعلى بعض مقاعد في اليمين، صيحات شديدة في أقصى اليسار).

والقارئ السليم الحسّ يحقظ بعد بومضة إخلاص للوزير الحكيم ولكنّ فؤاده تزعزعه خفقات جديدة من جرّاء أولى كلمات الخطيب الجديد الذي يردّ على الوزير:

— وإن العجب والذهول، ولست أبالغ في ما أقول، (تأثير شديد في القسم اليميني من القاحة النصف دائرية) اللذين بشهما في نفسي من لايزال، في افتراضي، عضواً في الحكومة... (عاصمة من التصفيق ٤ يعض التواب يسارعون إلى مقمد الوزراء ؟ السيّد أمين الدولة المساعد لشؤون البريد والبرق يشير برأسه من مكانه بالايجاب).

وتقضي دعاصفة التصفيق، هذه على آخر معاقل مقاومة القارئ ذي الحسّ السليم، ويبعد من المُهين للمجلس والفظيع طريقة في التصرّف هي في حدّ ذقها غير ذات بال. وريّما بلغ به، إزاء أمر عاديّ ؟ كالمزم، مثلاً، على أن يدفع الأفنياء أكثر من الفقراء، والضوء يُلقى على مظلمة، وتفضيل السلم على الحرب، أن يلقى ذلك فاضحاً وبرى فيه إهاتة لمبادئ لم يكن قد فكّر فيها بالفعل وليست مسجلة في فؤاد الإنسان ولكنّها تهزّ للشاعر بقوّة بسبب الهتافات التي تطلقها والأغليّات المتراصّة التي يجمعها.

على أنه لابد من الاعتراف بأن رهاقة السياسيين هذه التي أفنت منها في أن أوضح لنفسي الوسط والفرمائي، وأرساطاً غيره فيما بعد لاتعمو كونها انحراف دقة معينة في التفسير غالباً ما يطلقون عليها عبارة والقراءة ما بين السطورة فلفن كان غي إفغالس صخف صادر عن انحراف هذه الرهاقة فئمة غياء لانصادم للك المرافقة في صفوف الجمهور الذي يأحد كل شيء وحوفه لا يقرض المران حينما يقال صاحب رتبة حالية من وظيفته وبناء على طلبه، ويقول في نفسه، وإنّه لم يعرل بها أنه هو من طلب ذلك، ولا الهيهمة حينما من وظيفته وبناء على طلبة، ويقول في نفسه، وإنّه لم يعرل بها أنه هو من طلب ذلك، ولا الهيهمة حينما مقاطمة استقلالها من إمراطور ألمانيه فيمنحها هذا الأخير الاستقلال الذاتي الديني. ومن المحتمل من ناحية لنها نهو أن المحلفة بهيا، ما المحلمة المنافقة المحلوث أن عمالاً مضربين قد أرسلوا مندوبهم إلى الحسال المحلومة أن عمالاً مضربين قد أرسلوا مندوبهم إلى السلم المواقعة المحلومة والمحلومة وال

يُسمَّع صوته إلاَّيد انقضاء بضع دقائق، الوزير الذي سيتغبَّل لذى عودته إلى مقعدة تهاتي زملائه. ويبلغ الانفعال السدَّ الذي يلغه يوم أغفل أن يدعو رئيس المجلس البلدي الذي كان يعارضه إلى احتفال رسميٌّ كبير، ويعلن الناس أنّه تصرُف في هذا الظرف وذلك على السواء تصرُف رجل دولة بحقيقيٌ.

وكثيراً ما كان السيّد الاو غيرمائت، في تلك الحقية من حياته في عداد زملائه الليمن يذهبون التهيئة الرزير، نما يغير استكار آل الاكرفوازييه، وقد سممت فيما بعد من يروي أنه، حتى في الفترة التي مثّل فيها دوراً كبيراً إلى حدّما في الجلس وكانت الأنظار متجهة إليه لرزارة أو سفارة، كان، حينما يجهد صحيفي يسأله خدمة، أكثر بساملة بما لايقام ويتفتي الشخصة الكبيرة على صحيف السياسة أقلَّ بكثير من آخر سواه لمه يكن الدوق دور خيرمائته فلتى كان يقبل إل طبقة النبلاء شيء يسير ولتن كان يعد رسلاءه مساوين له فيما كان يلبث بالنبية إلى ذلته السيّد المنظاهر بتقديرها ولكنّه يحتقرها، ولما كان يلبث بالنبية إلى ذلته السيّد دو خيرمائت، فلم تكن تخيط شخصه بتصنّع الوظائف الكبرى الذي يبحل سواه عسيري للقابلة. ولم كان يكن شيط شخصه بتصنّع الوظائف الكبرى الذي يحمل سواه يصيري للقابلة. وكانت كبرهاؤه بذلك لاشحي من أي سوء تصرّفاته التي تتصنّع الألفة فحسب بل ما كان

لم تكن السيّدة ودو غير مانته، إمّا عدنا إلى قراراتها المصطنحة والمؤثرة على غرار قرارات السياسيين، ا أقل إذهالاً لأل وغيرمانته وآل وكورفوازيده وسائر والحيّ، والأميرة ودو بارماه أكثر من سواها من جرّاء قرارات غير متوقّعة غمّس من خلفها مبادئ تزيد من دهشتك بقدر ما قلّ توقّعك لها. فإن أقام وزير الويانات الجديد خللة واقصة تنكّمية كان كلّ ينتقي حلّته ويتساهلون ماعسى أن تكون حلّة المدوقة. فتظنّ إحداهن أنّها تود أن نظهر بملابس الدوقة ودو بورغونيه، ويقول ثانية باحتمال تنكّرها بملابس أميرة من ودو جاباراء، وثالثة بتنكرها على هيئة وبهيئيها الجواب الوحيد الذي ام كان إطخة من آل وكورفوازيده قائلة: وماذا تراك تحتارين من لبام يا وأريانه، يأتيها الجواب الوحيد الذي ما كانوا لمفكروا فيه والانهيء على الإطلاق! والأمر الذي كان يطلق الألسنة كثيراً على أنه يكشف وأي وأرويانه حول موقع وزير اليونان الجديد الحقيقي في الوسط الراقي وحول السلوك الواجب اتباعه إزاءه، يعني المرأي الذي كان ينبغي توقعه وقوامه أنّه ولايقع على، ووقة تذهب إلى الخفلة الراقعة التنكرية التي يقيمها هذا الوزير الجديد. واست أرئ تمة ضرورة للذهاب إلى منزل وزير الويان الذي لأعرفه، است يوناية فلماذا أذهب إلى هناك؟ لا شغل لي لديه، تقول الدوقة.

وتصيح السيَّدة ٥دو غالارودن، قاتلة: ﴿ وَلَكُنُّ الجميع ذَاهِبُونَ وَبِيدُو أَنَّهَا سَتَكُونَ مُتَعَةًۗ ٩.

فتجيب السيَّدة ودو غيرمانت، وولكنَّما من الممتع كذلك البقاء إلى جانب الموقد،.

وبصاب آل «كورفوازيه» بدهشة أيّما دهشة أمّا آل دغير مانت، فكانوا يقرّون الموقف دون أن يقلدوه: اليس الجميع بالطبع في موقع بمكنّهم على غرار وأروبان» من مقاطمة كلّ العادات. ولكنّنا لا نستطبع أن نقول من جهة إنّها مخطئة في عزمها على إظهار أثنا نبائغ في ارتسائنا أمام هؤلاء الغرباء اللفين لانطلم على

Psyché (ﷺ) Psyché من الأساطير البونائية، فناة والمة الجمال عشقها إله الحب.

الدوام من أبين يجيئون.

وإذ كانت السيّدة «دو غيرمانت» تعلم التعليقات التي سيثيرها هذا الموقف أو ذاك فقد كان يغبطها أن تذهب إلى حفلة لايجرؤون على توقِّعها فيها بقدر مايغبطها أن تمكث في المنزل أو أن تقضى الأمسية مع زوجها في المسرح عشية حفلة اللهب إليها الجميع، أو حينما يظنُّون أنَّها سوف تغطَّى على أجمل الماسات بتاج تاريخي أن تدخل دون أبَّة حلية وفي ملابس غير تلك التي كانوا يظنُّون خطأ أنَّها إلزامية. ومع أنَّها كانت من مناهضي ادريفوس، (فيما تعتقد ببراءته تماماً كما كانت تقضى حياتها في دنيا المجتمعات وهي لاتعتقد إِلَّا بِالْأَفْكَارِ)، فقد خلفت إنطباعاً ضخماً في أمسية لدى الأميرة (دولينبي، حينما ظلَّت بادئ الأمر جالسة في حين وقفت جميع السيّدات لدى دخول اللواء وميرسيه؛، ثم بوقوفها ومناداتها على خدمها على نحو بيّن حينما شرع خطيب وطنّى بحاضر مظهرة بذلك أنّها لاترى أن المجتمع الراقي جعل للتحدّث في السياسة. وقد المجهت جميع الرؤوس إليها في حفلة موسيقيّة يوم الجمعة العظيمة لم تلبث فيها، مع أنّها من فكر ٥فولتير، لأنها رأت من غير اللائق تمثيل المسيح على المسرح. وإنّنا نعلم ما تمثّله، حتّى في نظر أعظم نساء المجتمعات الراقية، هذه الفترة من العام التي تبدأ فيها الحفلات: إلى حدّ أن المركيزة "دامونكور" التي كانت، لحاجة تحسّها للكلام وهوس سيكولوچي وانعدام للعاطفة كذلك، غالباً ما يبلغ بها أن تتفوّه بالحماقات، استطاعت أن تجيب واحداً جاء يعزِّيها بموت والدها السيَّد «دومونمو رانسي»: «ربَّما جاءك بمزيد من الحزن أن يتفق لك مثل هذا الغمّ في فترة يتجمع لك فيها في مرآتك متات من بطاقات الدعوة، ففي تلك الفترة من العام حيتما كانوا يدعون الدوقة ١٥و غير مانت، إلى العشاء ويسرعون كي لا تكون قد حجزت بعد كانت ترفض للسبب الوحيد الذي ما كان ليخطر يوماً ببال رجل مجتمعات: لقدكانت نزمع الذهاب في حلة لزيارة خلجان النرويج التي تثير اهتمامها. لقد ذهل رجال المجتمع للأمر، ودون أن يهتموا بمحاكاة الدوقة أحسّوا مع ذلك عجّاه فعلتها بنوع الارتياح الذي يداخلنا في قراءة وكانت، حينما نكتشف بعد إقامة البراهين الأكثر إحكاماً على الحتميّة أن ثمة فوق عالم الصرورة عالم الحريَّة. إن أيُّ اختراع لم يسبق أن انتبهنا له في يوم إنَّما يستثير الفكر حتّى لدى أولتك الذي لايعلمون كيف يفيدون منه. لقد كان اختراع السفن البخارية أمراً يسيراً في مقابل استخدام السفن البخارية في الفترة غير المترحّلة من الـ season (١١٤) . ولم تبدُّ فكرة إمكان التخلّي طوعاً عن مئة عشاء أو غداء وعن ضعفها من حفلات الشاي وثلاثة أمثالها من الأمسيات وعن أجمل أيّام الإنسين في الأوبرا وأيّام الثلاثاء في مسرح «الفرنسيون» من أجل الذهاب لزيارة خلجان النرويج، لم تبدُّ لآل «كورفوازييه» أكثر وضوحاً من كتاب ٤عشرون ألف فرسخ تحت البحار،، ولكنّها أشاعت فيهم الشعور نفسه بالاستقلال والظرف. ولذلك لم يكن ثّمة يوم لاتسمع من يقول فيه لا هذه العبارة فحسب دهل تعرف آخر نكتة لـ وأوريان، ؟بل هذه أيضاً وأتعرف الأخيرة لــ أوريانه ؟ وعن والأخيرة لأوريان، وهآخر نكتة لأوريان، كانوا يرددون على السواء: هإنَّها بالضبط من أوريان، وهذا أسلوب أوريان بالضبط، همذا أسلوب أوريان الخالص. وآخر ما جادت به وأوريان؛ كان على مبيل المثال، إذ وقع عليها أن حجيب باسم جمعية وطنية الكاردنيال س... مطران مدينة الله الله الله كان السيّد الدو غير مانت؛ يدعوه حينما يتحدّث عنه اللسيّد دو ماسكون، لأنَّ الله ق كان

^{(*} أثبتناها بالإنكليزية لايراز تصنع بعض الأرستقراطيين وتعنى فصل الشتاء هنا.

يرى ذلك من النمط الفرنسيّ القديم وإذ كان كل يعاول أن يتخيل كيف تصاغ الرسالة وبجد بالضبط أولى كلماتها: قصاحب النياقة أوقصاحب السيادة ولكنما يحار إزاء الباقي، أنَّ رسالة وأويانات كانت، ويالدهشة الجميع، تبدأ بده سيئي الكاردينالي بسبب عادة أكاديمية قديمة أو بده اين الممّ إذ الملفظة مستخدمة بين الجميد تبدأ بده عن المحرية المنات والمالي كانوا يدعون الله أن أو مواين الممّ إذ المنافظة مستخدمة بين المحرية والمنات والملوك اللين كانوا يدعون الله أن إن عرض تجد فيه كل باريس ويقم المراجعة وعلى الحديث عن ونكة أخيرة أوريانه كان يكفي، إنان عرض تجد فيه كل باريس ويقم وهر مائت وأخيوات كثيرات كن وعرفها، كان يكفي أن يجدوها وحيدة بالواب سوداء وقيمة صغيرة جنآ على مقدد وصلت إليه آن رفع الستارة. وكانت توضع قائلة: والسماع أفضل بالنسبة إلى مسرحية على جانب من الأهمية، كا يتر استكار آل وكروفوازيه وانبهار آل وغيرمانت؛ والأميرة ودو بارماء إذ يكتشفون فجأة أنَّ وهيمة عسماع بداية مسرحية ما كانت أكثرجة وتذارً على قدر أعظم من الابتكار والذكاء (الأمر الذي ماكان ليدهن على لمائةأوريان) من الوصول ساعة الفصل الأخير عقب عشاء كبير وظهور في إحدى ماكان ليدهن على لمائةأوريان، من الوصول ساعة الفصل الأخيرة ودو بارماء تمير وظهور في إحدى مراحت موالاً أدياً أر اجتماعها على الميدة ودو غيرمانت، والتي كانت شعمل صاحبة السمو في أثناء هدام من موجين. ولدي كانت شعمل صاحبة السمو في أثناء الأعبط الذي تبديه المباحة المن مرجعين. إذ تطلم من ين مرجعين.

ومن بين العناصر التي غابت عن الصالتين أو الثلاث الأخرى المتساوية تقريباً والتي كانت على قمة
حي وسان چيرمانه، من تلك العناصر التي كانت تميز صالة اللوقة ودو غير مانته عنها، وطلما بسلّم
ولايينتمر، بان كلّ مونانا تضيف إلى الكون، فيما تعكسه بكامله، شيئا خاصاً، كان أقلّ ما يستجب من
عناصر فيها إثما توفره عادة امرأة أو امرأتان على جمال عظيم وليس ما يسوغ حضورهما هنالك سوى
جمالهما، سوى ما سبق أن فعل به السيّد ودو غيرمانته، وكان وجودهما يكشف في الحال، مثلما هله
الملوحات أو تلك في صالات أخرى، عن أن الزوج في هذه الهمالة كان مجنّل متحمساً خاسن الساء. كن
كلهن متنابهات إلى حد ما لأن الدوق كان بعيل إلى النساء فوات القامات الطيقات الطيقات في آن
واحد رمن نوعية متوسطة بين فهنوس ميلوه وتشال ونصر ساموراس. كن في الغلب مقراوات وفيما ندس
سمراوات وصهباوات أحياناً كان بهن عهداً، وكانت في ذلك المشاء، وهي الفيكونتية ودار باجونه التي سبق
ان أحجها حباً جمداً إلى حد أنه أرغمها منة طويلة على أن تبعث إليه قرابة عضر برقبات في اليوم (الأمر الذي
كان يزعج الدونة بعض الشيء)، والتي كان يواسلها بوساطة المحماء الزاجل حينما يقيم في اغيرمانته وقد
لبث أخيراً فرة طويلة عاجزاً مما عن أن يكون في غنى عنها إلى حد أنه كان ذات شناء اضطراً أن يقضيه في
وابرماد يمود في كل أسبوع إلى باريس فيقوم برحلة تدوم يومين ليلتهيها.
والمواه يعرد في كل أسبوع إلى باريس فيقوم برحلة تدوم يومين ليلتهيها.

لقد سبق أن كانت تلك الممثلات الصامتات الجميلات عشيقاته عادة وما عدن كللك (كما هي المحال بالنسبة إلى السيّدة ددار باجوزه) أو كنَّ على شفا أن يكففن عند. إلاَّ أنَّ المهاية التي تعلقها الدوقة في نفوسهن وأمل أن يتم استقبالهن في صالتها مع أنهنَّ يتتمين إلى أوساط ارستفراطيّة جنّاً ولكن من مرتبة ثانية حملاهنَّ على الإذعان لرغبات الدوق حتى أكثر نما لجمال هذا الأخير وكرمه. وما كانت الدوقة على أيه حال التعارض دخولهن إلى بيتها معارضة مطلقة، فقد كانت تعلم أنّها لقيت لدى أكثر من واحدة من بينهن حليفة حصلت بفضلها على مالا يحصى من أمور كانت راغبة فيها وكان السيّد دو غير مانت، يرفضها لزوجته دونما شفقة مادام لايعشق أخرى غيرها. ولذلك فإنَّ ما يفسّر انتفاء استقبالهنَّ لدى الدوقة مالم تكن علاقتهنُّ قد قطعت شوطاً بعيداً إنّما كان بادئ الأمر ناجماً بالأحرى عن أن الدوق ظنٌّ في كل مرّة خاض فيها حمّاً جديداً أنه محض نزوة عابرة يحسب من المغالاة أن يجيء في مقابلها الاستقبال لدى زوجته. ولكنَّما كان يتفق أن يقدَّمه لأقلَّ من ذلك بكثير، من أجل قبلة أولى لأنَّ صنوفاً من المقاومة لم يكن قد أخذها في الحسبان جرت، أو لأنَّه لم يكن تَّمة على العكس مقاومة. ففي الحبُّ غالباً مايحمل الامتنان والرغبة في الإبهاج على عطاء يجاوز حدود ماوعد به الأمل والمصلحة. ولكنّما كانت تعترض سبيل مخقيق ذاك العطاء حينئذ ظروف أخرى. فقد كانت مختجز بادئ الأمر، كل بدورها على يد السيّد ددو غير مانت، جميع النساء اللواني استجبن لحبِّه وأحياناً حتَّى حينما لم يكنّ بعد قد استجبن. فما كان يسمح لهنَّ من بعد بلقاء أحد وكان يقضي بالقرب منهنَّ ساعاته كلها تقريباً ويهتم بتربية أطفالهنَّ الذين اتَّفق له أحياناً، إن انبغي أن نحكم في الأمر فيما بعد بناء على وجه شبه صارخ، أن يوفّر لهم أخا أو أختاً. ولتن كان للتعريف بالسيّدة 1دو غير مانت، الذي لم تراود فكرته الدوق على الإطلاق، لكن كان له في أوَّل العلاقة دور في ذهن العشيقة، فإن العلاقة نفسها قد حوكت وجهات نظر تلك المرأة ؛ فلم يعد الدوق في نظرها زوج أكثر نساء باريس أناقة فحسب، بل رجل أخذت العشيقة الجديدة كخبّه، رجل غالباً ما وقر لها إلى ذلك وسائل مزيد من البذخ وميل إليه وقد قلب الترتيب السابق على صعبد الأهمية بين مسائل السنوبية ومسائل المصلحة وأخيراً كانت قمة أحياناً غيرة من كلّ صوب تعتمل في صدور عشيقات الدوق ضدّ السيّدة ودو غير مانت، ولكنَّ هذه الحالة كان من أندرها. وحينما كان يحلّ أخيراً على أيّ حال يوم التعريف (في فترة أضحي عادة فيها مذاك غير ذي بال في نظر الدوق الذي كانت محكم أعماله، شأن أعمال كل الناس، الأعمال السابقة أكثر منها الدافع الأول الذي لم يعد موجودًا عالباً ما كان يتَّفق أن تكون السيَّدة دو غير مانت، هي التي سعت إلى استقبال العشيقة التي كانت تأمل أن تلقى فيها وهي بحاجة كبرى إلى أن تلقى فيها حليفة ثمينة تنصرها على زوجها المرهوب عدا فترات نادرة في المنزل كان يطلق فيها، حينما تفرط الدوقة في الكلام، أقوالاً وعلى وجه الخصوص لحظات صمت صاعقة. أمّا أولئك الذين لايعرفونها فقد كان يمكن أن يخدعوا ففي الخريف أحياناً، بين فترتى سباقات «دوفيل» والحمَّامات والرحيل إلى «غير مانت» وطلعات الصيد، وفي غضون بضعة أسابيع يقضونها في باريس، وإذ كانت الدوقة حجبُ المقامي الغنائية، كان الدوق يمضي معها ليقمني أسية فيها. كان الجمهور يلاحظ في الحال في واحدة من تلك المقصورات الصغيرة المكشوفة التي لا تتسُّع إلا لاننين ذاك الجبَّار بلباس االسموكنغ، (بما أنهم في فرنسه يطلقون على كلُّ شيء ذي طابع بريطاني في كثير أو قليل الإسم الذي لا يحمله في الكلتره) وعلى العين نظارته وفي يده السمينة والجميلة مع ذلك التي تلتمع في يتصرها باقوتة زرقاء سيكار ضخم يتفث منه بين الحين والحين دفعة دخان، ونظراته تتجه عادة إلى خشبة المسرح ولكنما يلطفها، حينما يخفضها على القاعة حيث لايعرف أحداً على الإطلاق على أية حال، بمظهر صن العذوبة والتحفظ والتأدب والاحترام. وحينا يبدو له مقطع مضحكاً ولا يفرط في قلة الاحتشام كان الدوق يلتفت إلى زوجته باسماً ويشاطرها، بإشارة تعرف عن الإدراك والعطف، المرح البريء الذي توفره له الأغنية اليجديدة. وكان يوسع النظارة أن يعصبوا أن ليس من زوج أفضل منه وأن ليس من امرأة عليقة بان تحسد أكثر من المرقة عليقة بان تحسد أكثر من المدونة – هذه المرأة التي ما كان المتمامات الحياة في نظر الدوق خارج نظاقها، هذه المرأة التي ما كان يحبي ولم يكف في يوم عن خداعها. وحينما عشر الدوقة أنها متعبة كانوا ييصرون السيّد دو غير ماسته ينهض فيلسها معطفها ينفسه وهو يرتب عقودها كي لا تعلق بالبطانة، ويشق لها دربا بصنوف من العناية تشم بالاهتمام والاحرام فتقبلها بيرود امرأة المجتمع التي لانرى في ذلك سوى شيء من محض آداب السؤك، أحيانا المراة المساخرة قلبلاً لبدهها الرابعة الخيبة التي لم يظل لها وهم تفقده من بعد، بيد السواد عمل كانت صنعة على الرغم من هذه بيد من الأحماق إلى السطح في فترة أضحت قديمة ولكنها لائزال مستمرة للباقين منها على قيد الحياة. ولايمود دو غير مانت، فيضحي كريما وإنسائيا إلا بالنسبة إلى عشيقة جديدة تضفر، مثلما كان يتقتى ذلك في مان الأعلى، جناب الدوقة وتناصرها. وترى هذه الأخيرة أن صنوفاً من السخاء إزاء مرؤوسها وحسنات للفقراء وحتى بالنسبة إليها فيما بعد سيارة جديدة والمديدة ومن من المحالة إن مرؤوسها وحسنات للفقراء مستثبات من الميظ الدي تبعث بشيء من السرعة عادة في صدير السينة قدو غير ماشت، نساء يفرطن في عنديت نلك الفنزة أيضاً من نهايتها. ذلك أن عشيقة أخرى كانت تطلع في الأفق.

ليس من شك أن الحب الذي داخل السيّد ودو غير مانت، على التوالي إزاءهن كاف كان يعود ذات يوم ناس من شك أن الحب الذي داخل السيّد ودو غير مانت، على التوالي إزاءهن كاف كان يعود ذات يوم إلى الظهور: فقد كان ذلك السبّ المترس المرسميلة في نظر الدوق وقد اضحى على هذا النحو قال التحو قال التحوي المناجرات ووافقت أغيرة فيها كانت من نتاجج الحب الذي قرار للبيّد ودخير مانت الذي كوليه الصيافة ، في أن هذه الصيافة نفسها كانت من نتاجج الحب الذي قرر للبيّد ودخير مانت الدي كلّ كائن بضري ولكنما الاستركيا إلى الله وحدها حتى لتصبح الشيقة السابقة ، وقد أضحت وديقاً عمناأة قد يعنم على أي أم أم في سبينا، ووسماً شأن الطبيب الوالد الذي ليس طبيباً أو والداً بل صديق. على أن المرأة التي كان السيّد ودو غير مانت؛ يشرع على أن المرأة التي كان السيّد ودو غير مانت؛ يشرع على النظور منها. حيث كان السيّد الدو غير مانت، أن تبرز الماب الحقيقية أو المفترفة. لذي تبدئ طلى استها المؤسلة الذي بديا المناجعة المهجورة وغياؤها لذى تمام كانت السيّدة (ودوعها ولانشكو من الأمر. كانت تضحك من ذلك مع زوجها، ثم مع بعش الألاف. وما كانت السيّدة (ودوعها ولانشكو من الأمر كانت تضحك من ذلك مع زوجها، ثم مع بعش الألاف. وما كانت السيّدة وودوعها ولانشكو من الأمر كانت تضحك من ذلك مع زوجها، ثم مع بعش الألاف. وما كانت السيّدة (ودوق والدوة منذ عهد ترب، ما كانت تربح أن يوالم الطباع المضحكة التي صنعها لها الدوق والدوقة منذ عهد ترب، ما كانت تربح أن يتبلغ من يراه الفرات متواطة ساخرة مع زوجها،

وفيما كانوا يجلسون إلى المائلة تذكّرت الأميرة «دو بارماه أنّها تبغي دعوة السيّنة «دو ديكوره إلى الأوبرا وإذا كانت راغبة أن تعلم إن كان الأمر لن يسوء في عيني السيّدة «دو غير مانت» حاولت أن تسبر أعماقها. وفي تلك اللحظة دخل السيّد «دو غروشي» الذي تعطّل قطاره ساعة بسبب خروجه عن الخطأ، فاعتذر جهد المستفاع. ولو أن امرأته كانت من آل اكورفوازييه، لمانت خيلاً. ولكنَّ السيّدة «دو غوشي» لم تكن من آل «غيرمانت» عبناً. ففيما كان زوجها يعتذر عن تأخّره قالت مستهلة كلامها: «أرى أنَّ التاخَر حَمَّى في الأمور الصغيرة تقليد في أسرتكم».

وقال الدوق: (إجلس يا (غروشي، ولا تفقد رباطة جأشك.

- دارى لزاماً علي أن اعترف، مع أتى أمانتي زماني، بأن لمركة دوازلوه جوانب جيئة بما أنها
 سمحت باعادة حكم آل دورورن»، وأفضل من ذلك أنها فعلت بطريقة جعلتهم بعيدين عن نفوس الشعب.
 ولكتي أرى ألك دنمروده حقيقي أا.

 - ولقد عدت بالحقيقة بيعض الطرائد الجميلة، وسوف أسمح لنفسي أن أبعث إلى الدوقة غداً بدزينة من التدارج.

وبدا كاتُمنا تلوح فكرة في عيني السيّدة (دو غير مانته؛ فالحُت ألا يكلّف السيّد (در غروشي؛ نفسه عناء إرسال التدلرج، وقالت وهي تشير إلى الخادم الخطيّب الذي سبق أن تخدّلت إليه وأنا أغادر قاعة عائلة والبلستير؛ :

- وبولان، إذهب لجلب تدارج السيّد الكونت وعدَّ بها في الحال، أليس ألَّك تسمح يا وخروشي، أن أقدم على بعض المجاملات؟ فلن تأكل أنا وبازائه بمفردنا التي عشر تدرج.

وقال السيّد ددو غروشي، : دلعلّ في بعد الفد ما يكفي من تبكيره.

وتلحّ الدوقة: الا، أفضَّل الغده.

وضحب «بولان» أشدً الشحوب، لقد فشل موعده مع خطيته. وكان ذلك كافياً لتسلية الدوقة التي كانت تصرّ أن يحتفظ كلّ شيء بمظهر إنساني، فقالت لـ «بولان»:أعلم أنّه يوم عطلتك، ماعليك إلاّ أن تباطل جورج فيخرج غذاً ويمكث بعد غك.

ولكنّ خطيبة «بولان» قد لا تكون حرّة بعد الغذ، وسيان لديه أن يخرج. وما أن غادر «بولان» الفاعة حُني هناً كل منهم الدوقة على رفقها بخدمها.

- ولكنّي الأفعل أكثر من أن أكن معهم كما أودّ أن يكون الناس معيه.

- وبالضبط! بوسعهم أن يقولوا إن لهم لديك عملاً ممتازأه.

- والمس خارقاً إلى هذا الدحد. ولكنّي أعتقد أنهم يودّونني. أمّا ذلك فمزعج إلى حدّ ما لأنه عاشق.
 ويحسب أنه يجدر به أشخاذ ملامح حزيدة.

ودخل وبولان، في تلك اللحظة، فقال السيّد دوو غروشي،

- وبالفعل، فليس يبدو باسم الوجه. لابدّ أن نكون طيبيّن معهم، ولكن دون إفراط في الطبية، .

-واعيرتُ أنّي لست قامية ؛ فلن يقع عليه في كامل نهاره سوى الذهاب لجلب تدارجك والمكوت. هيمنا لايفعل شيئاً وتناول حستُه منها؛

وقال السيّد ددو غروشي،: ٥كثيرون يودّون لو يحتلون مكانه فالحسد أعمى،

وقالت الأميرة دربارما: : أوريان، لقد حظيت ذلك اليوم بزيارة ابنة عمَّك دووديكورة. هي بالطبع امرأة ذات ذكاء رفيع: إنها وغيرماتيكة وذلك يختصر كلّ شيء. ولكنّما يقولون إنها نمامة....

وألقى الدوق على زوجه: نظرة طويلة محمكة بدهشة مقصودة. وأخذت السيّدة 1در غير مانت، في الضحك ؛ ولاحظت الأميرة ذلك في النهاية نسألت بساورها القلق:

- وولكن... ألاتوافقيني... الرأي.....

-دولكنّ سيّدتني بالغة الطبية أن يشغلها ماييدي وبازانه. هيًا بادبازانه، لايوحيّن مظهرك ألّك تغتاب أفرياهناه.

وسألت الأميرة بحرارة: (أويجدها بالغة السوء؟).

فرقت الموقة الثالمة: الا! على الإطلاق لست أمري من قال لسمّوك إنّها نمامة. إنّها على المكس مخلوقة ممتازة لم تنتب أحدًا في يوم ولا أساءت إلى أحمه.

وقالت السيّدة دوبارماه وقد انزاح الهمّ عن صدوها: وآءا لم أكن قد لاحظت ذلك بدوري. ولكنّي لمّا كنت أعلم أنّه يصعب في الغالب ألاً يلناخل المره شيء من الخبّ حيدما يتمنّع بكثير من الذكاء...».

- وآه! أمَّا هذا مثلاً فنصيبها منه أقلَّه.

وسألت الأميرة ذاهلة: وأقل ذكاء ؟...

وقاطع الدوق الحديث بلهجة شاكية وهو ينظر من حواليه يميناً وشمالا نظرات ساخرة: وويحك يادأورياد، أنت تسممين أنَّ الأميرة تقول لك إنها امرأة متفوقة.

- وأفليست كذلك؟٥.

- وإنها على الأقل متفوقة ببدائتهاه .

- والاتصغي إليه ياسيندي إنه ليس صادقاً. إنها غيبة غباء (هم...) إرزّة، تقول السيد 1 دوغير مانت. بصوت قوي ألحّ، وكانت، وهي أكثر إغراقاً في لماضي من المدوق حينما لاجمهد في الأمر، مخاول غالمها أن تبدو كذلك، ولكن على نحو متاقض لطريقة زوجها الأرستفراطية المتميّمة إلا أنّها في الواقع أشدٌ إرهافاً بكثير، يضرب من تلفظ فلأحمى تقريباً له طعم الأرض القوي واللذيذ. وراكنها أفضل امرأة في الدنيا. ثم إني لأفري والمنافذ. وراكنها أفضل امرأة في الدنيا. ثم إني لأفري وان كان يمكن في هذا الدخد أن نسمي ذلك تجاء. ولا أطن إني عوفت في يوم مخلوقة شبيهة بها. إنها حالة جديرة بطبيب وبها شيء من الحالة المرضيّة، إنها من نوع والبريّة، البلهاء والمتخلقة كما هي الحوال في المبلور مراما أو في أوارد والأرليزيين؟، وإني اتساعل على الدوام حيسا تكون ههنا إن لم يحن الوقت الذي سيستغيق في عقلها، الأمر الذي يورث دوما بعض الخشية، كانت الأميرة تعزيها المدهنة لتلك العبارات فيما تظلّ مذهولة من جراً المحكم، وججيب: ولقد ذكرت لي، وكذلك فعلت السيّدة وديينيه، نكتنك حول ومشاكس المشكّدة وديينيه، نكتنك حول ومشاكس المشكّدة وديينيه، المنته.

وشرح لبي السيّد دور غير مانت، الطرفة. كنت راغباً أقول له إنَّ مقيقه الذي كان ينَّ عي أنه لايموفي ينتظرني في المساء نفسه الساعة الحادية عشرة. يبد أنّي لم أكن سألت درويره إن كنت أستطيع التكلّم عن مذا الموعد، وبما أن كون السيّد دور شارلوس، قد حدّده لبي علمي وجه التفريب يناقض ما سبق أن قاله للمدوّلة فقد رأيت لياتة أكبر في أنْ أصمت.

وقال السيّد 1دو غير مانت؛ دمشاكس المتكبّر لايأس به،، ولكنّ السيّدة 1دو ديكوره لم تروّ لكم على. الأرجح طرقة أجود بكثير قالتها لها «أوريان ذلك اليوم جواباً عن دعوة إلى الغداء؟»

ellali IV . Yo -

 واصمت، ويحك، يا «بازان»، فهاء الطرفة سخيفة يادئ الأمر وسوف مخمل الأميرة على الحكم بأتي أدنى بعد من ابنة عمّى البلهاء لم إني لا أدري لماذا أقول ابنة عمّى، فإنها ابنة عمّ لـ وبازان»، ولكنّها مع ذلك على شئء من القرابة معي».

وصاحت الأميرة ددر بارماء لدى التفكير بأنها قد عجد السيّدة دور غيرمانت، غبيّة وهي غتيجٌ بشئة أنّه لايمكن لأمر أن ينتقص من لملزلة التي تشفلها الدوقة في اعجابها: وأوه!؛

 - وانم إثنا قد خلمنا عنها صفات الفكر، ولما كانت الطرفة تنزع إلى انكار بعض صفات القلب لديها فيبدو لي أنها في غير محلمها،

وقال الدوق بسخرية متصنعة وكي يحمل على الإعجاب بالدوقة: «إنكار! في غير محلَّها! كم تخسن تعييراه.

- ٥هيا يابازان، لاتسخر من امرأتك.

وعاد الدوق يقول: «لابدً أن أقول لسمّوك الملكي أن ابنة عمّ «أوريان» واقية طبية بدينة وما شئت لها أن تكون، ولكنّها ليست بالضبط، ماذا عساي أقول... مسرقة».

قاطعته الأميرة قاتلة: (أجل، أدرى، إنها شديدة الشحّ).

- ٥ما كنت لأسمح لنفسي بالعبارة، ولكنك ثقيت الكلمة الصحيحة. إنَّ ذلك بيَّن في نمط معيشتها

البيتية وعلى وجه الخصص في طعامها، فهو رائع ولكنَّه مقنَّن٥.

وقاطعه السيّد دور بريوتيه، قائلاً: دبل إنَّ ذلك يفضي إلى مشاهد مضحكة إلى حد ما. من ذلك، ياعزيزي دبازانه، أنني مررت ذات بوم في الوديكور، حيث كانوا في انتظاركما أنت واأريان، وكانا قد أعدُوا أشياء فاخرة عندما حمل أحد الخدم الخاصين بعد الظهر برقية بأنكما أن تجيئا،

فقالت الدوقة التي لم يكن من المسير التقاؤها فحسب بل هي عجّب أن يعرف النامى ذلك: ولست أستغرب الأمراء

– ووتقرأ ابنة عمك البرقية وتغتم ثم تعود في الحال، دون أن نفقد رباطة جأشها، فتستدعي الخادم قاتلة في نفسها إنّه لاضرورة لنفقات لاطائل مختها عجّاه سيّد لا أهمية له مثلي وتصبح به: قلل للطاهي أن يرفع الحُرّج، وفي المساء سممها تسأل رئيس الخدم: قل لي، وبقايا وبقره البارحة؟ ألا تقدّمونها؟،

 ولايدٌ أن نعترف على أي حال بأنَّ الماكل لاغبار عليها، يقول الدوق الذي يظنَ باستخدامه هذه العبارة أنه يدو من العهد السابق، وفسلت أهرف طاراً فيهما الطعام أطبيب.

- وأقلُّ ، تضيف الدوقة مقاطعة.

وأردف الدوق قائلاً: ه إنّه صحّي جدًا وكاف تماماً لما يدعونه بالرجل الفظّ السخيف مثلي، فهو لايشفي من جوع.

وخلص الدوق إلى القول: وأخيراً وفي نهاية المطاف أخلت وزينائيدا تلخ كي تأتي وأورياده التارل طعام الدوق إلى القول: وكنوا المطاف المسلم إلى كانوا الايزجونها المناول المن

وبعد بضع لحظات أطلقت الأميرة ضحكتها، بعدما فهمت. وكأنها هزيم الرعد. [أه| سنكون ثمانية

إذن، ذلك رائع! وما أحسن الصياغة!» تقول وقد عادت فلقيت في جهد أخير العبارة التي سبق أن استخدمتها السيّدة ديسينيه؛ والتي كانت أحسن موقعاً هذه المرّة.

- وأوريان، جميل جلاً ما تقوله الأميرة، تقول إنه «حسن الصياغة».

وأجابت السيّدة «دو غيرمانت» التي كانت تستسيخ بيسر طرفة حينما تنطق بمها صاحبة سموّ ونمتلاح نياهة فكرها في الآن نفسه: وولكنّك لاتعلمني شيئا ياصليقي. إنّي شديدة الاعتزاز أن تقدّر سيّدتي صياغتي المتواضمة على أنّي لا أذكر أنّي قلت ذلك. وإن كنت فعلت فلأدغدغ مشاعر ابنة عميّ، ذلك لأنّه لو كان لذيها مبعم لقم فلاريد أنّ الأفواء، إن توفّرت لي جرأة التعبير على هلا النحر، كانت تتجاوز الدّريّنة،

وفي هذه الأثناء كانت الكونتيسة ددار باجونه التي سبق أن قالت لي قبل العشاء إلى عمقها كانت ستسعد أعظم السعادة أن تفرجني على قصرها في النورماندي، كانت تقول لي من فوق رأس الأمير وداغريجانت، إن المكان الذي تودّ على وجه الخصوص أن تسقبلني فيه واقع في منطقة والساحل الذهبي، لأنها هناك، في وبون لودك، إنّما هي في دارها.

أكدّت لي الكونيسة، التي سبق أن أخطرتني السيّدة (دو غير مانت، ألها طويلة الباع في الأداب، فاللة: وقد تير محفوظات القصر اهتمامك فئمة مراسلات غرية إلى حد بعيد بين جميع أبرز الشخصيات في القرن السابع عشر والثامن عشر والثامع عشر. إنّي أقضي هناك ساعات وائمة وأعيش في الماضي،

وعادت الأميرة تقول، وهي تتحلّث عن السيّدة ادو ديكوره، وكانت تريد أن ججهد في إيراز الأسباب الوجههة التي يمكن أن تكون لديها لإقامة علاقات صداقة معها: وإنّها تملك جميع مخطوطات السبّد ادو بوزنيمه.

فقالت الدوقة: (الابدُّ أنَّها حلمت بذلك وأظنَّ أنَّها ما كانت حتَّى تعرفه،

وتابعت الكنتيسة ددار باجوزه التي كانت تربطها بالبيوتات الدوقية في أوروبا، وحَى المُلكِيّة منها، علاقات مصاهرة يسعدها أن تذكر بالأمر: دماهو جدير بالاهتمام على وجه الخصوص أن تلك المراسلات صادرة عن شخصيات من بلدان مخلفةه .

وقال السيّد دور غيرمانت. دون أن يكون خالي القصد: دبلي. يا أوريان، تتذكّرين تعاماً ذاك العشاء الذي كان فيه السيد ددويورنيمه جاراً لك!»

فقاطعته المدوقة قاتلة: وإن كنت تقصد أن تقول يا وبازانه إتى عرفت السيّد دو بوربيده فبالطبع، وهو حقى جاء عدّة مرات ليلقاني ولكنّي ما استطعت في يوم أن أعقد العزم على دعوته فقد كنت أضطر في كلّ مرّة إلى طلب التطهير بالفورمول، فأما عن ذلك العداء فإنما الذكّره تمام التذكّر ولم يكن على الإطلاق في منزل وزينائيده التي لم تبصر وبورنيده طوال حياتها ولابدٌ أنّها تحقد، إن حدثوها عن دابنة رولانه، بأنَّ الحديث عن أمرة من أسرة وبوزايرت، يزعمون أنّها خطية ابن ملك اليونان. لا، كان ذلك في سفارة النمسا. لقد ظنَّ دهريوس، الطريف أنَّه يسمدني وهو يطرح على كرسيّ إلى جانبي عضر الأكاديمية النتن هذا. لقد خلت سرية من رجال الدرك جيراناً لبي، واضطررت أن أكم أتفي قدر المستطاع في أثناء العشاء كلّه ولم اجرؤً على التنفّس إلاّ حين تقديم جينة «الغروبر»!.

وتفحصُ السيّد «دو غيرمانت». بعدما بلغ هدفه الخفيّ، تفحّص خلسة الأثر الذي خلفّته كلمة الدوقة على وجوه المذعويّن.

وتابعت السيّدة والطويلة الباع في الأدب والتي كانت تملك في قصرها رسائل غرية إلى هذا العدّ. وذلك على الرغم من اعتراض وجه الأمير وداغر يجانته: وإنّي أجد للمرسلات على أيّ حال سحراً خاصاً. فهل لاحظتم أنَّ رسائل الكانب غالباً ما تفرق بقيّة آثاره؟ ماعساء بدعى ذاك الكانب الذي ألفّ «سالمبوه؟

وددن ألاً أجيب كي لاأطيل هذا الحديث، ولكنّي ضمت أتي سأكدّر الأمير (داغر يجانت، الذي تظاهر بأنّه بعرف أنّمُ المعرفة مّمن كانت «سالمبو» وأنّه يدع لي لذّة الإعلان عنه محضَ مجامل، لكنّه كان في أندًّ السيرة.

وقلت آخر الأمر: افلوبيره، ولكنّ إشارة الموافقة التي رسمها رأس الأمير قضت على صدى إجابتي حتى أذّ محدثتي لم تعلم بالضبط إن كنت قلت وبول بيرة أو فنوليير، وهما اسمان لم يخلفًا في نفسها رضي تامًا.

فأردفت تقول: ووفي جميع الأحوال ما أغرب مواسلاته وكم تفوق كتبها ولأنها لتقسره على أيّ حال إذ إننا لبصر في كلّ ما يقال عن المشقّة التي يصادفها في وضع أيّ كتاب أنّه لم يكن كانباً حقيقيّاً وإنساناً موهوباًه.

• اتتحدثمين عن المراسلات، وإثبي أجد مراسلات وغامبيئاء وائمة، نقول الدوقة ودو غير مانت، كي تهرز
 أقبه الاتخشى الاهتمام بيروليتاري وراديكالي. وأدرك السيّد ودو بهروته، كامل معنى هذه الجرأة ونظر من حوله
 بعين زائمة ورفيقة مماً، وبعد ذلك مسح نظارت.

وقال السيّد قدو غير مانت: «بالإلهي» ما أسأمها كانت ابنة رولان!» وهو لايزال بعد في أمر السيّد قدو بورنيمه، وبالرضى الذي يخلفه لديه شعوره بالتفوق إزاء مؤلفَ قد أضجره إلى هذا الحد وربما أيضاً من جرًاء ويطيب لك، والبحر هاجع ⁽⁴⁸⁾ ، الذي تخسّ به، أثناء عشاء فاخر، في تذكّر أمسيات مربعة إلى هذا الحدّ. «على أنّه كان فيها بعض البيوت الجميلة وعاطفة وطنيّة».

وألهت إلى أنِّي لم يكن يداخلني أيّ إعجاب بالسيَّد ددو بورنبيه.

وسألني الدوق باستنراب: األديك ماتلومه عليه 18، وكان يظنّ على الدوام، حينما يتناولون بالسوء أحدهم، أنّ الأمر ناجم عن استياء شخصي، وامرأة بالحسنى، أنّها بدلية حبّ عابر. وأرى ألّك حاقد عليه، فما

^(#) ورد في النص استشهاد بالشاعر الرسائي فلوكريم،: Suave marimagno وهي بدئية قصيدة تقول: ويطب لك، والبحر ماتج، أن تنظر من البابسة إلى إنفاطر الرحية التي يصرض لها المبرء.

الذي فعله بك؟ قصّ ذلك علينا! بلي، لابدّ أنّ بينكما جنّة بما أنك تذمّه. «ابنة رولان» مؤلّف طويل ولكنّه صادق الشعور إلى حدّ ما».

وقاطعته السيَّدة دوو غيرمانت، قاتلة: وصادق المنصوره كلمة صحيحة تعاماً بالنسبة إلى كاتب ذكَّي الرائحة إلى هذا الحدّ. فإن اتفتى أن كان هذا الصغير برفقته في يوم فمن المنطقي إلى حدّ ما أن يعلق في أنمه اله.

وعاد الدوق يقول وهو يوجّ النحدث للأسيرة دوبارناء: دلابدً لي على أكيّ حال أن أعترف لسيّلتي أتّني في الأدب رحمّى في الموسيقى، باستثناء دابنة رولانه، قديم الهورى فليس من هزار مهما شاخ إلّا ربرونخي. قد لاتهدتيني ولكنّما يتقن في في لملساء، أن جلست زوجتي إلى البياتر، أنّ أطلب منها لحناً قديماً لـداريو، لـ دبرالديوه وحمّى لـدييتهوفن، اذلك ما أحب. أمّا بخصوص وفاغنو، في مقابل ذلك فأنّه يتوّمني في الحال».

وقالت السيّدة «دو غيرمانت»؛ ولست على حقّ، فقد كان دفاغنره ، إلى جانب تطويل لايطاق، بملك المهقرية. إن داوهانغرين، وائمة فشّية. حتى في غنائيّة «نريستان» ثمة ههنا وهناك صفحة طريفة. أمّا كورس الفؤالات في دالسفينة الشيخ، فأية محضة.

وقال السيّد ددو غيرمانت، موجّها كلامه للسيّد ددو بريوتيه، وأليس أنّنا نفضل يا دبابال.

وإنَّ مواعيد الرفاقة الكريمة

تُضرب كلّها في هذا المقام الساحرة (١١٥).

ذلك رائع. وفورا ديافولو، وفالمزمار للمسحورة وفالشاليمه وفعرس فيغارو، وفعاسات الثاج، تلكم هي الموسيقي، اوالأمر واحد في الأدب. وهكذا فاتي أعشق والمزاك، ودحفلة سو الراقصة، وفعوهيكان باريس.

- وأما ياعزيزي، إن أنت الطلقت في الحديث عن وبازاك فما أبعد أن نتهي. احتفظ بذلك ليوم
 يكون فيه وسيميه حاضراً هو في ذلك بعد أفضل ، إنه يعرفه عن ظهر القلب».

وسلط الدوق، وقد غاظته مقاطعة زوجده، سلط عليها بضع لحظات نيران صمت متوعدً. وكانت عياه المحادان تبدوان وكأنهما مسنّسان محضوان. وفي أثناء ذلك كانت السيّدة قدار باجونه قد تبادلت والأميرة قدر بارماه، حول الشعر المأساوي وغيره، أقوالاً لم تبلغ مسامعي على نحو واضح حينما سمعت هذا القول يجود به السيّدة دار باجونه، وقاء كلّ ما تشاء سيّدي إتني أرافقها أنّه برينا العالم تيبحاً لأنّه لابحسن التمييز بين القياحة والجمال أو بالأحرى لأن خورره الذي لابطاق بعمله على الاعتقاد بأن كلّ مايقوله جميل، وأتي أثر م سمّرك أنّ في المقطوعة للمنية أموراً مضحكة ومتعلزة الفهم وأخطاء ضدّ المذوق وأنّها عسيرة الإدراك وهي توليك في قراءتها مشدقة بقدر ما لو كانت مكتوبة بالروسية الصينية، فهي كلّ شيء بالطبع باستثناء

الفرنسيّة. ولكننا، بعد ما ننفق هذه المُشقة، أيّة مكافأة ننال، فما أكثر ما فيها من خيال!» لم أكن قد سمعت بداية هذا الخطاب الصغير. وأشركت في النهاية أنَّ الشاعر العاجر عن النمييز بين الجمال والقباحة هو افيكتور هرغوا، وليس ذلك فحسب بل إن القصيدة التي كانت تقتضيك لفهمها قدراً من المُشقّة يساوي ما تقتضيه الرسيّة الهيئيّة هي:

ةعندما يطلع الطفل

يضج مجلس العائلة بالصباح والتصفيق....

وهي مقطوعة من فترة الشاعر الأولى وربّما كانت حتى أكثر قربًا من ومدام ديورليبره منها من أسلوب فيكترر هرغو في وأمطورة القرون». وعوضاً عن أن أجد السيّدة دارا باجون» سخيفة رأيتها اوهي الأولى على هذه المائدة الحقيقية إلى حقد بعيد، التي جلست إليها بهذا القدر من خيبة الأمل)، رأيتها بعيني الفكر في قلنسوة الدانيلا الله التي نفلت منها قصيبات مستدو لدوات طراق السيّدة ودروروجوزاه والسيّدة دو بروي» والسيّدة ودر سانت أوليره وسائر النساء المظيمات الأناقة اللواتي يستشهدن في رسائلهن الرائعة وبالكثير من العلم وحضور المديهة بسوفو كليس وشيار وكتاب «المضاهات» واللواتي كانت أولى قصائة الروانتيكيين تبحث في نقومهن هذا الرعب وهذا التعب اللذين لاينفصلان في نظر جندي عن أخور فسيقا ملاومية.

وقالت الأميرة ددو باماء للسيّدة دو غيرمانت، وقد أثّرت فيها اللهجة الحماسيّة التي قيل بهما الخطاب: وإنّ السيّدة دار باجون، تخبّ الشعر كبيراًة .

وأجابت السيدة ودو غيرمانت، بصوت خافت: ١٧، إقها لانفهم شيئاً منه على الإطلاق، مستلة أن كانت السيدة ودارباجون، فيما ترة على اعتراض للواء ودو بوترقي، أكثر إنصرافاً إلى أقوالها الخاصة من أن تسمع تلك التي همست بها الدوق. ولقد أضحت أديئة النوعة منذ أن هجرت. سوف أقول لسموك إتي إلما أمصل أنا وزر كل هذا لأنها إثما هجيء إلى شاكية في كلّ مرة لم يذهب فيها وبازاده المقالما، يعني كلّ بوم تقريباً. على أنَّ الذب ليس ذنبي إن كانت تشيع الملل في نفسه ولا أستطيع إجباره على الدهاب إلى منزلها مع أنني ربما فضلت أن يكون بعض الشيء أكثر إخلاصاً لها لأنّي أراها بللك أقل بعض الشيء. لكنها وترققه وليس ذلك بغرب. ماهي بالمرأة السية ولكنّها مزعجة إلى درجة لاستطيعين تخلها. وإنّها نورتني في كلّ يوم أرجاعاً في الرأس شديدة إلى حد اضطر معه أن أنتاول في كلّ مرة قرصاً من البيراميدون. كلّ ذلك لأنه طلب المبازات طوال عام أن يخذعني ممها، وليكن لك فوق ذلك خادماً خاصاً يعشق بلهاء صغيرة الدوة الحديث بلهجة فاترة: «أدا إنَّ الحياة قائلة.

كانت السيّدة ددار باجون، تزهق السيّد ددو غيرمانت، بوجه خاص لأنّه كان منذ وقت وجيز عشيقاً لأخرى علمت أنها المركبزة ددو سورجي لو دوك، وكان الخادم الخاص الذي حرم يوم عطلته يقوم بالشبط بتقديم الطعام. وحسبته يقعل ذلك، ولايزال حزيناً، بكثير من الاضطراب إذ لاحظت وهو يقدم الأطباق للسيّد ا درضاليلروه أله يوذي مهمته برعونة كبيرة إلى حدّ أن الفنق أن يصدم مرفق الدوق عدّة مركت مرفق الخادم. ولم ينضب الدوق على الطلاق من الخادم الذي كست وجهه الحمرة بل نظر إليه على المكس وهو يضحك بعينه الروقاء الصافية. وبندا لمي أنَّ البشائة فيما يخصُّ للدعو كانت برهاناً على الطية. ولكنَّ الإلحاح في الضحك حملني على الاعتقاد بأنه على علم بخية الخادم وأنّه ربما داخله على المكس فرح ماكر.

وتابعت الدوة تقول وهي توجّ الحديث هذه المرّة إلى السيّدة ودار باجوزته التي أبصرتها منذ قليل تدبر وأسها بادية القلق: ولكنّك تعلمين باعزيزي ألّك لاتقومين باكتشاف وأنت تحدّثيننا عن وفيكتور هوغوه. لا المُسلّي أن ترجيّى لهذا المبتدئ، فالكراّ يعلم أنّه صاحب موجة. إنّ ماهو مقيت هو وفيكتور هوغو، الفترة الأخيرة. فترة فاسطورة القروزة، لم أحد أعرف العارين. ولكنّ أواراق الخريف، وفائشيد القروب، هما في الفائض من عمل شاعر حقيقي، وأضافت الدوقة التي لم يجرق محدثوها على موفائشها، والسبب وجيه، وحيّن في التأكدن، لايول مثاك أشياء حلوة. ولكنّي أثر أنّي أفضلً ألا أغفر بعد والفروب، ! ثم إذلك غالباً ما تلقى في قصائدة وفيكتور هوغوه الجميلة، وهي موجودة فكرة، بل فكرة عميقة،

ثمَّ قالت الدوقة على مهل وباحساس صحيح وهي تستخلص الفكرة الحزينة بكامل قوى نبرتها وتضمها خطف حدود صوتها وغَدَّقُ أمامها بنظرة حالة رائعة:

- دخلى مثلاً:

وإن الألم ثمرة ليس ينميها الله على غصن لايزال شديد الضعف كيما يحملهاه.

أو هذا أيضاً:

۵ما أقل مايدوم الأموات...

وإنّهم واأسفى لينقلبون في التابوت ترابأ

بأقلّ سرعة نمّا يفعلون في قلوبنا!!

وفيما كانت ابتسامة مغينة تغضّن فمها الذي يضح ألماً بالتواءة ناهمة ثبت الدوقة على السيّدة «دارباجوزا» نظرة حالة من عينها الصافيتين الساحرتين، لقد أعفت أعرفهما كما أعرف صوتها المتمهل
المتناقل المستملح كأشد ما يكون. وكنت ألقى في هاتين المينين وهذا الصوت الكثير من طبيعة «كومبريه».
كان ثمة بالتأكيد أشياء كثيرة في التصنّع الذي كان يبرز به ذلك الصوت بين الحين والحين خشونة تفوح
منها رائحة الأرض: فللمثأ الريفي تماماً لفرع من أمرة دغير مائت، ظلِّ محدد المكان فترة أطول، وأكثر إقداماً
وأشد انعزالاً وأكثر مختباً ؛ ثم تعرّد جماعة من أهل الأناقة الحقة وجماعة فكر يعلمون أنَّ الأناقة ليست في
التحدّث من طرف الشفتين وكذلك نبلاء يرتضون التأخي مع فلاحهم أكثر منهم مع جماعة من
البورجوازيين ؛ كلّ هذه الخصائص التي مسمح وضع السيّدة «دو غير مائت» ملكة أن يبرزها بسهولة أكبر وأن
ينشرها على الملاً. ويدو أنَّ هذا الصوت نفسه كان يميّز شقيقات لها تكوهين وكنّ. وهن أقلَّ ذكاء وقد رُومِن (واجاً يكاد يكون بورجوازيا تقريباً، إن أمكن استخدام هذه الصفة حينما يتناول الأمر زيجات من نبلاء ممضورين بتجرب في مقاطعتهم أو في باروس في زارية من حي وسان جيرمانه لا ألّى فيها، كنّ يمتلكن ذلك مضمورين يتجربون في مقاطعتهم أو في باروس في زارية من حيّ وسان جيرمانه لا ألّى فيها، كنّ يمتلكن ذلك المسرت لكنهن كبحت وأصله ألله المستقد وأصله المستقد المستقدة الله محاكاة السافح الأخرة عييناً، ولكنّ وأوربانه كانته التر قطيماً جناً والأوربان بوصفها أميرة قومه ومعظيماً جناً في أمير فقاله إلى حد أوركت مه أنّ ذلك المصوت الناشر كان من السحر وأنها جعلت منه، على صعيد على أمير فقال المرأة التي يوفرها التفرة والنجاح، ماصنعت على صعيد المسرح مثيلات ورجانك ووجان غرابيه، دون مقارنة بالطبع وعلى أي حال بين قدر هاتين الفئاتين وموهبهما، من صوتهما، أي شيئاً رائحاً من مورهبهما، من صوتهما، على أنه عيب مرمدية مارك يقلم على أنه عيب اليورب.

وقد جاء الكتاب المنطون لدى السيّدة ودو غيرمانته: وميريه، ووميلاك ووهاليني، يسيفون إلى المدد من الأسباب الداعة إلى البراز تفرّدها المحلي، يضيفون إلى جانب احترام والفطوية من الأمرر، ميلاً إلى المبارة المعادية بله حدًا الداعة إلى المبارة المعادية، ومن المرارة المعادية بله حدًا المدونة قادرة تماماً على أيّ حال، إذ تضيف إلى هذه التأثيرات معياً فياء أن تكون اختارت لمعظم المؤدات النعلق الذي يعاد لها أقرب ما يكون المحادث والمساباتي، الأنهاء وإن لم تبلغ نصاماً على مقادة والمساباتي، الأنهاء وإن لم تبلغ نصاماً كانت تعلى اللغة العلمة المؤقدة كان الإصداء إلى حديث السيّدة وهي عرائم المكن أن يستخدمها على من المائمة المؤدنة على المساباتي عديد السيّدة وهي من المائمة المناباتي، عنها المسيّدة وهي المنابات المؤلدة كان الإصداء إلى حديث السيّدة وهي أن أن كثير و الراحة نفسها التي تحسن بهاء إن المسيّدة وفيما كنت أنظر من منابعة ودو غيرمانته وأصغي إليها كنت أبصر حيثياً المائم الملخف، محماء المناباتية مناب أنها من والمسيّدة ودو عرمانته وأصغي إليها كنت أبصر حيثاك، وأنا مجين عصر عينها المائم الملخف، محماء ومنابات أنها تعدد رقياء مائلة وبها زاوية الميل نفسها التي كانت تتخذها لمدى ومان الم ومائلة، والماؤونة المائمة، والشاء التي كنت تعدد والماء المناباتية عدد فيما كنت أنه ومائلة وبها زاوية الميل نفسها التي كانت تتخذها لمدى ومائلة، والم أدة، والمرد والسرة والمناباتية عدد ومائلة وبها زاوية الميل نفسها التي كانت تتخذها لمدى ومائلة، والمائه ومائلة وبها زاوية الميل نفسها التي كانت تتخذها لمدى

هكذا، وبفضل هذه الثقافات المختلفة، كانت السيّدة دو غيرمانت عبر في الآن نفسه عن أهرق الأرستقراطية الفرنسية، وبعد ذلك يكثير عن الطريقة التي ربّما استطاعت الدوقة ددو برويه بها أن تتلوق ويكثير موغو وزنده في عهد ملكية تصورة وأخيراً عن ميل قوي إلى الأدب صادر عن معيرميه، ووهالالله، كانت أولي هذه الثقافات تروشي أفضل من الثانية وتعينني آكثر منها على تحريض خيبة الرحلة والوصول إلى حيّ اسال جيرمانه هذا، وما أكثر اختلافه عنا كنت قد ظنت، ولكني كنت أفضل الثانية على الثالثة فقيماً كانت نزعتها والبايرونية (19، وحيّها لفيما الماليونية (19، وحيّها لدومامي، الإبن صادرين عن ترو وقصد ولما كان هذا الحب تقيض حبيّ، فقد كانت توفر لفكري الأدب حينما غذائي عن غير عدني بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو ليّة بمثل التصافها الذي بعيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها الذي يسمّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها المن عن حيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافها المن عن حيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافية عن حيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافية المثلاثي عن حيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافية عن حيّ وسان جيرمانه ولابدو لينا التحديد والمنافقة عن المنافقة عن المنافقة عن حيّ وسان جيرمانه ولابدو لي البّة بمثل التصافية عن حيّ وسيّ وسيّ وسيرانه ولابدول البّة بعثل التصافية عن حيّ وسيّ وسيّ وسيرانه ولابدول البّة بمثل التصافية عن حيّ وسيّ وسيّ وسيرانه ولابدول البّة بعدول البّد عن المنافقة عن وسيّ وسيّ وسيّ وسيّ وسيّة عن مثل التصافر المنافقة عن المنافقة وسيّة وسيّة عن حيّ وسيّة عن من المنافقة عن المناف

^(%) نسبة إلى الكاتب المسرحي الفرنسي Pailleron

تخدَّثني في الأدب.

صاحت السيّدة ددارباجونه وقد هزّتها الأبيات الأخيرة:

إن لبقايا القلب هذه ترابها أيضاً اه.

وقالت للسيّد ددو غيرمانته:

اينبغي أن تكتب لي ذلك على مروحتي ياسبّدي.

فقالت الأميرة ودو بارماه للسيَّدة ودو غيرمانته: وباللمرأة المسكينة، إنَّها تبعث الأسى في نفسي.

~ ولا، لايرقٌ قلب سيّنتي، فليست تنال إلاَّ ما تستحيّ، .

·· وولكن.... عفوك أن أقول ذلك لك أنت... ولكنها محبَّه حقاً!».

- ولا، على الإطلاق، إنها عاجزة عن ذلك، تغلن أنها عتب كما تظن في هذه اللحظة أنها تروي لدوقة بكريا تلك من قد يهزه شعور لدوقة بكنا ويكون المنافقة المنافقة

كان السيّد دو غرمانت، أثناء ذلك قد أصغى، والعين يلتمع فيها الرضى، إلى زوجته وهي تتحدّث عن دفيكتور هوغو، دون سابق استعداد وتروي له بضمة أبيات. وعبئاً يتفق له أن نوعجه الدوقة فقد كان ضوراً بها في مثل هذه اللحظات. دأوريان، وائمة حَمَّاً. تستطيع التحدّث في كلّ شيء وقد قرأت كلّ شيء لم يكن بوسمها أن مخور أنّ الحديث ميتناول دفيكتور هوغو، في هذا المساء. إنها على استعداد أيّا كان الموضوع الذي يطرح عليها واستطيع مجابهة أكثرهم علماً. لابد أنها خلبت لبّ هذا الشابّ.

وأضافت السيّلة دو غيرمانت، تقول: ولكن هيّا نغيّر التحديث لأنّها سريمة الفضيه. وأردفت قاتلة وهي تلتفت إليّ: ولابدُ ألّك عجنني من طراز قديم جنّاً، فأنّي أعلم أن حبّ الأفكار في الشعر يعتبر اليوم ضمعًا شأن الشعر الذي يحرى فكراًه.

— دمن طراز قديم؟٩ تقول الأميرة ددو بارماه بالدهشة الخفيفة التي كانت تسبّيها لها هده الموجة الجديدة التي لم الموجة الجديدة التي لم يك المراحة المسلمات المتلاحقة اللذي يقم المالية وهذا الرحمة المتلاحقة اللذية وهذا الرحمة المتلاحقة اللذية وهذا الرحمة المتلاحقة اللذية وهذا الرحمة المتلاحقة اللذية وهذا الرحمة المتلاحة المتلاحة على المحتمد على المتلاحة المت

وقالت السيَّدة (دو بريَّساك): ولا يا أوريان فيما يخصني، فلست غاضبة من (فيكتور هوغو، لأنَّه يملك

أفكاراً، بل على المكس تماماً، وإنّما للبحث عنها في كلّ ما كان فظهماً. فهو الذي عوّدنا في الأساس على القباحة في الأدب. إنّ في الحياة ما يكفي من قباحات، فلماذا لا نساها على الأقلّ حينما نقراً؟ إن المشهد المؤلم الذي ربّما أشحنا بوجهنا عد في الحياة، فلك مايجناب ففيكتور هوغوه.

وسألت الأميرة «دو بارما» قائلة: «ليس فيكتور هوغو بقدر واقعية «زولا» مع ذلك؟».

ولم يعَرَك اسم وزولا، عضلة في وجه السيّد دور بوتر يّي. لقد كان عناء اللواء كـ «دويفوس، أحمق من أن يحاول التمبير عنه. كان سكوته اللطيف حينما يطرقون تلك الموضوعات يهزّ مشاعر غير العارفين بالأمور بالرقة نفسها التي يديها كاهن إذ يتجنّب التحدّث إليك عن واجبائك الدينية، ورجل مال إذ يجهد ألاّ يوصي المشروعات التي يديرها، وجهار حين يدي المطف ولا يوجّه إليك اللكمات.

وقالت لي السيّدة ددو فارامبون، بلهجة العارف، وكانت وصيفة شرف للأميرة ددو بارما، وامرأة ممتازة ولكنَّها محدودة الأفق وقد وفرِّتها للأميرة «دو باما» فيما مضى والدة الدوق: «أعلم أنَّك قريب أمير البحر وجوريان دو لاغرافيير، ولم تكن بعد قد وجهَّت إلىَّ الحديث ولم أستطم البنَّة فيما بعد، على الرغم من تعنيفات الأميرة (دربارما) واحتجاجاتي الخاصَّة، أن أَنزع من ذهنها فكرة أنَّ لي صلة أيَّة كانت بأمير البحر عضو الأكاديمية الذي كان مجهولا تماماً عندي لقد كان في إصرار شرف الأميرة ١ در بارما، أن تبصر في شخصي ابن أخ لأمير البحر (چوريان دو لاغرافيير، ما يثير الضحك إلى حدّ الابتدال. ولكن الخطأ الذي كالت ترتكبه لم يكن سوى النموذج اليابس المبالغ فيه لأخطاء ما أكثرها أقلّ وزنا وأفضل تنوعاً غير مقصودة أو متعمدة ترافق اسمنا في البطاقة التي يخطها المجتمع فيما يتعلق بنا. وإني أذكر أنَّ صديقاً لآل «غيرمانت» أبدى رغبته الشديدة في التعرف بيء وقدّم لي بمنزلة السبب أني كنت أعرف أنمَّ المعرفة ابنة عمَّه السيّدة ددو شوسغَروه، وإنَّها فاتنة ومخبَّك حبًّا جمًّا وتوخيتُ الدقَّة، دونما جدوى، في الإلحاح على أن ثمَّة خطأ وأنّي ما كنت أعرف السيَّدة ٥دو شوسغرو٥: ٥أنت تعرف أختها إذاً، والأمر واحد. لقد التقت بك في سكوتلنداه. ولم أكن ذهبت قط إلى سكونلندا وتكلفت عبثاً عناء تنبيه محدِّني إلى الأمر بداعي النزاهة. كانت السيَّدة ودو شوسفرو، نفسها هي التي قالت إنّها تعرفني وكانت تعتقد ذلك دونما شكّ عن حسن نيّة من جرّاء التباس سابق لأنها لم تنفك تمد لي يدها بعد ذلك حينما كانت تشاهدني. وقصاري القول إنه لما كان الوسط الذي أرتاده هو بالضبط وسط السيَّدة ﭬدو شو سغَّرو؛ فإنَّ نواضعي ما كان ليعني شيئًا أمَّا أن أكون من ألاف عائلة ٩ شو سنرو الفضلالة بالمعنى الحرفي للكلمة ولكنّه على الصعيد الاجتماعي مكافىء لمكانتي، إن أمكن التحدّث عن مكانة بالنسبة إلى من كان بمثل شبابي. فعبثاً لا ينقل إلىّ صديق آل وغير مانت، سوى أمور خاطئة عنّى فإنَّه لم يخفض ولا رفع من قدري (على الصعيد الإجتماعي) في الفكرة التي لم ينفك يحملها عتى. ومجمل القول أن سأم العيش الدائم داخل الشخصية نفسها إنّما يتبدّد برهة، بالنسبة إلى الذين لايتصنّعون أدورهم، كما لو يعتلي المرء خشبة المسرح حينما يكوّن شخص آخر فكرة زائفة عنك ويظنّ أثنا على علاقة صداقة بسيَّدَة لانعرفها ويسجَّل علينا أنَّنا عرفناها في أثناء رحلة بديمة لم نقم بها البَّة. إنَّها أخطاء مكتَّرة ولطيفة حينما لا تُتسم بالتصلب الذي لايلين والذي يميز ذاك الذي كانت ترتكبه وارتكبته طوال حياتها كلها، على الرغم من صنوف إنكاري، وصيفة المشرف البلهاء لدى المسيَّدة «دو بارما»، الوصيفة التي ترسخ أبداً في اعتقادها أنّى كنت قريب أمير المبحر الممل وجوريان دو لاغرافيمير؛ وقال لي الدوق: وليست قوية جناً، ثم إنّه لايلزمها الكثير من السنراب المراق وأشائها قليلاً تحت وطأة وبالخوس؛ ^{وهيا}. ولم نكن السيّلة «دو فاراسبون» شربت بالحقيقة غير الماء ولكنّ الدوق كان يعشق استخدام عباراته المفضّلة.

— واكن وزولاء ليس واقعياً باسيّنتي ا إنه شاعراً؛ تقول السيّنة ودو غرمانت مسئلهمة الدراسات النشدية التي سبق أن قرأتها في هذه السنوات الأخيرة ومواقعة بينها وبين موهبتها الخاصة. أمّا الأميرة ودو بارماه التي طاب لها مازحمها من أمور حتى الآن خلال البحرّ الفكريّ الذي لفّها هذا المساء، وهو حتّ مضطرب فيحا بيخصيّها، والذي حكمت أنّه لابدٌ سيفيدها على نحو خاص، وإذ استسلمت تتقاذفها المفارقات التي كانت تتدفق الواحدة الو الأعرى، مقد قفرت إزاء هذه الأخيرة، وهي أكثر حسامة من الأخرى، مخافة أن تسقط أرضاً وقالت بصوت متقطع وكاتّما تفقد أنفاسها:

- « وزولا» شاعرا» فأجابت الدوقة ضاحكة وقد أبهجها أثر الاختتاق هذا: «أجل، واعتلاحظي سموك كيف يُعلي قدر كل ما يلمسه. سوف تقولين لي إنه لايلمس بالضبط إلاً ما... يجلب السعدا ولكنه يجعل من شيئاً مترامي الحدود. إن في زبالته طالع لللحمة! إنه هوميروس الأقلارا وليس يملك ما يكفي من حروف كبيرة ليخط بها كلمة «كاميرونه» (****)

كانت الأميرة منتبطة على الرغم من التعب المظيم الذي أخلت بحسّ به، فلم يسبق لها قط أن ألفت نفسها أفضل حالاً. وما كانت لتستبذل إقامة في وشون بروزه، مع أنها الأمر الوحيد الذي يدغدغ مشاعرها، بهذه الأعشية الرائمة لدى السيّدة ودو غير مانت، والتي توليها نشاطًا من جراً، ما يداخلها من ظرف كبير.

وصاحت السيّدة ددار باجون، قاتلة: وإنّه يكتبها بحرف، كبيره وشجيب السيّدة دور غير مانت، وابل بمودن لل كبيره وشجيب السيّدة دور غير مانت، وابل بمودن لل كبير فيما أعتقد ياصغيري، ولايفوتها أن تبادل زوجها نظره مرحة تقول بها: وما أنسَّ غياءها أه ثمّ قالت لي السيّدة دو غير مانت، وابلك بالضبط مثلاً، وهي تثبت على نظر مضح خاص وتوفر لي فرصة إظهار كريّة ببت كاملة أن تظهير لي علمها حول الفنّان الذي كان يهمني على نحو خاص وتوفر لي فرصة إظهار علمي إن دعت الحاجة، قالت لي وهي غيرك قليلاً مروحها التي من ريش لشدة ماتعي في تلك اللحظة أنها تودي على أدم وجه واجبات الضيافة وتومع كذلك، كي لاتخل بأي منها، ليقدّموا لي مرة أخرى هليوناً بالمرق المهادميّ، وإليك مثلاً، إنّي أعتقد بالضبط أنَّ وزولاء كتب دراسة حول ولياستيره هذا الرسّام الذي رحت منذ قليل تمامل لوحاته، وتضيف قولها: وهي الوحيدة التي أحبّها له على أي حاله.

كان في الواقع تكره رسم اليلستير، ولكنّها ترى في كلّ ما تملك في بيتها ميزة فريلنة. وسألت السيّد هدو غير مانت؛ إن كان يعرف اسم السيّد الذي يظهر بقبمة رسمية في الملوحة الشعبية والذي عرفت أنّه هو

⁽ﷺ) إله البخم لدى قدماء الرومان.

^(##) Cambronne جنرال قرنسي من القرن الثامن عشر عرف بإكاره من استخدام كامة merd بالفرنسية وتقابلها بالهميمية كلمة ط... حتى درج الناس على استخدام اسمه بدلا من الكلمة تلك وهو ما يفسر قول الدوقة فيما بعد.

نفسه الذي كانت عائلة وغير مانت؛ تملك رسمه بلباسه الرسمّي إلى جانب ثلك تماماً ويعود تاريخه تقريباً إلى تلك الفترة نفسها التي لم تكن شخصيَّة الطِلستير، قد برزت بعد فيها بروزاً تاماً وتستلهم ٥مانيه، قليلاً. فأجابني: ويالهي، أعلم أنّه ليس بالرجل المجهول ولا هو معتوه في اختصاصه، ولكنّي على خصام مع الأسماء. إنه ههنا، على رأس لساني، إنه السيّد... السيّد... لا أهمية لذلك على أية حال، فلم أعد أعرف. قد ينبثك وسوان، عن الأمر فهو الذي حمل السيَّدة ودو غير مانت، على شراء هذه البضاعة، وهي أبدأ بالغة اللطف وبهما أبداً فرط خشية تكدير الناس إن هي رفضت أمراً ما. وإنِّي أظنَّ، وأقولها فيما بيننا، أننا ابتلينا بالرديء من اللوحات. ما بمكنني أن أقوله لك أنَّ هذا الرجل كان بالنسبة إلى واللستير، بمثابة مناصر لفئة وقد روجٌ له وغالبًا ماجنيه خطر الضائفة المالية بأن أوصاء على لوحات. وقد رسمه بداعي الامتنان- إن كنت تسمَّى ذلك امتنانًا، إذ الأمر رهن بالأفواق – في ذلك المكان حيث يخلف فيك أثراً غربيًا. قد يكون حبراً طويل ألبا ع ولكنَّه يجهل بالبداهة في أيَّة مناسبات يعتمر المرء قبعَّة رسميَّة. وإنَّه ليبدو بڤيمتَّه، وسط البنات الحاسرات وكأنَّه كاتب عدل صغير من الريف لعبت الخمرة برأسه. ولكن، قل لي، تبدو لي مغرمًا تمامًا بهذه اللوحات. فلو أتى عرفت ذلك لجمعت المعلومات لأجيبك. ولا ضروره بأيَّة حال أن تهتَّم كثيراً للغوص في رسم اليلستيرة كمَّا لو تتاول الأمر لوحة «النبع» لــ«أنفر» أو لوحة «أولاد إدوار» لــ«بول دولاروش». إن ما تقدره فيها أن الأمور تمت ملاحظتها على نحو دقيقٌ وهي مسليَّة وعليها مسحة باريزيَّة، ثمَّ تمرُّ مرور الكرام. ولاحاجة بك أن تكون واسع الاطَّلاع لتشاهد ذلك. أعرف تماماً أنَّها محض رسوم بسيطة وسريعة ولكنَّى لا أرى أنَّه صرف فيها ما ههنا بضعة أيَّام. لم يكن في اللوحة سوى ذلك، حزمة هليون شبيه تماماً بهذا الذي تبتلعه. ولكنِّي أنا رفضت ابتلاع هليون السيّد وإيلستير، كان يطالب بثلاث مئة فرنك. ثلاث مئة فرنك لحرمة هليون! عشرون فرنكاً، هذا كلُّ ما تساوية، حتى البواكير منها! لقد وجدت ذلك صعب التصديق. فما أن يضيف شخصيّات إلى هذه الأشياء حتى يضحي لها جانب مبتلل تشاؤمي لايروقني. وإني أعجب لرؤية فكر مرهف وعقل متميزٌ على نحو ما أنت عليه بحبّ ذلكه.

وقالت الدوقة التي لم تكن عجب أن ينتقص ما تخريه صالاتها: «ولكني لا أهري لماذا تقول ذلك با «بازان» ما أبعدني أن أقبل كلّ شيء دون تمييز في لوحات الهلستيره، نقيها الغثّ والسمين، ولكنّها على الدوام لاتخلو من موهبة. وينبغي الإقرار بأنَّ الملوحات التي ابتعتها نادرة الجمال».

- وأوريان، إني أفضل ألف مرة، في ما كان من هذا القبيل، دراسة السيّد وفييره الصغيرة التي
شاهدناها في معرض الرسّامين الماليّين. إنّها لاشيء إن شئت وريّما وسعتها قبضة اليد، ولكنَّ فيها ذكاء حتّى
أصغر خط فيها: إن هذا المرسل المهزول الوسخ في حضرة هذا العجر الناعم الذي يلاعب كلبه الصغر، إن ذلك
لقصيدة صغيرة صيفت من وهافة وحتّى من صفق».

وقالت لى الدوقة: ٥أظنك تعرف السيّد وإيلستير، إن الرجل ممتع،

وقال الدوق: وإنّه ذكيّ ويدهشك حينما تتحدّث إليه أن يكون رسمه عاديًّا إلى هذا الحدّه.

- الله أكثر من ذكيّ، بل هو ظريف إلى حدّ ماه، تقل النوقة بلهجة العارف الذوّاقة المطلّع على

بواطن الأمور.

وسألت الأميرة ددو بارماه قائلة: دالم يكن قد باشر رسماً لك يا دأوريانه؟

فأجابت السيّدة دور غير مانت،: «بلي، بالملون الأحمر السرطاني. وما ذلك ما سيحمل اسمه إلى الأجيال المقادمة. إنّه شيء مقيت وكان وبازان» ينزي إتلافه.

كانت السيّدة دور غير مانت، كثيراً ما تقول هذه الجملة، ولكنَّ تقييمها كان مغايراً في مرّات أخرى: دلست أحب فئه في الرسم ولكنّه أثجز فيما مضى رسماً جميلاً ليء. كان أحد هذين الرأيين يوجّه عادة إلى الأشخاص الذين يحدلون الدوقة عن صورتها والأخر لمن لا يحدلونها عنها وهي واغبة أن تطلعهم على وجودها. فالأرَّل كانت تستوحيه من ضجها والثاني من غرورها.

وقالت الأميرة ددر بارماه بسلنجة: وينجز شيئاً مقيناً في رسم لك! إنه ليس إذ خلك رسماً، إنّه كلية ؛ فأنا التي تكاد لاندري كيف تمسك ريشة إنّما يبدو لي أنّني لو رسمتك لأنجزت رائمة فنّية بمحض تمثيل ما أرىه أ.

وقالت السيّدة ددر غير مانته: وإنّه براني على الأرجع كما أرى نفسي، أعني خلواً من المجاذبيّة؛، قالت بالنظرة الحرينة والمتراضمة وللمنتاجة في آن واحد والتي بدت لها أكثر ما يكون من شأنها أن نظهرها على غير ما أظهرها وإلمستيرة.

وقال الدوق: الابدُّ أن هذا الرسم لايسوء في عيني السيَّدة ددو غالاردون.

وسألت الأميرة ادر بارماؤه التي كانت تعلم أن السيّدة ادر غير مانت؛ مختقر ابنة عمّها إلى مالاحفود: والانها غير عاوفة بأمور الرسم؟ ولكتنها امرأة طبية جدّاً، أليس كذلك؟؛ قالت. فعلت وجه الدوق دهشة عميقة.

- ويحك يا «بازان»، ألا نرى أنَّ الأمرة تسخر منك 9 (ولم يكن ذلك يخطر على بال الأمرة ، وأردت السيّدة دو غير مانت، تقول: وإنّها تعلم مثلما تعلم تعاماً أن دغلار دون، الصغيرة عجوز مشاكسة، وكانت مفرداتها، وقد اقتصرت عادة على سائر هذه العبارات القديمة، للفيلة كتلك الأطباق التي يمكن اكتنافها في كتب فياسيء الرائمة ولكنها أضحت في الواقع شنيدة الندرة والتي تكون المجتملات فيها والزينة غراسهمير والفطائر حقيقية ولاغزى أي خليط أميحت في الواقع شنيدة الندرة والتي تكون المجتملات فيها والزينة غشر في النبرة واختيار المفردات أنَّ أساس حديث الدونة بصدر مباشرة عن دغير مانت. بللك كانت الدونة تخلف اختلافاً عميماً عن ابن أحديا دسان والله الذي إنزدهم رأسه بالكثير من الأنكار والعبارات الجديدة. فمن المصحب حينما فقلفك أنكار وكند، وحين «بودايرة أن كتب المؤندية الحلوة التي استخداها هنري المحمب حينما فقلف أنكار وكند، وحين «بودايرة أن العلل والعاطفة قد ظلاً لديها منظتر دون جميع مسنوف التجديد. في هذه الشعلة أيضاً كان فكر السيّدة دو غير مانت، يوقعي بالشبط بما يستبعده (درما يشكل بالدفة ماذة تفكري الخاص) وبكلّ ما استطاع من جراء ذلك فلمه أن يحافظ عليه، هذه العوية

البطاية في الأجسام المزنة التي لم يفسدها أي نفكر مرهق أو هم خطفي أو اضطراب عصبي. كان فكرها الذي تشكل قبل فكري بكثير، كان فكرها الذي تشكل قبل في نظري المراحف لما سبق أن قدمته لي مشية فيات الرمرة الصغيرة على ضاطئ البحر. كانت السيّة «دو غير مانت» تعرض لناظري»، وقد رؤضتها وأخضمتها الدمائه والاحترام الذي تبديه إزاء القبم الرحية، المقوّة والفتنة لدى فتاة صغيرة قاصية القلب من ارمتقراطيي ضواحي و كرمبريه كانت، منذ القبم المواجئة والمهرة وتنزع عبون الأرانب، ولملها كانت استطاعت، تماماً خلساً لمبتد وهو ماغانه، يهد أنها كانت عاجزة عن إدواك ما يحتب عنه في شخصها - السحر الكامن في اسم قورمائة، أن تكرن قبل سنوات ليست بالقلبلة، ولمدة ما تمتز يصوف الأناقة نفسها، ألمع عشبة للأمير وهو ماغانه، يهد أنها كانت علجزة عن إدواك ما يحتب عنه في شخصها - السحر الكامن في اسم تقاهم لايمكن إلا أن يبرز ما أن تفحب صنوف تقديره، بدلاً من أن تتخذ طريقها إلى المرأة المنوفة نسبياً التي تظن أنها تمقلها بالتجاه أنه امرأة أخرى بمثل متقديره، بدلاً من أن تتخذ طريقها إلى المرأة المنوفة نسبياً التي المبتد نفسه. وسوء التفاها طبعي عبداً وسوف يظل قائماً أبدا بن طبيمة فلاراته المنجلية ولم يسلم بخيبات الأمل المختمة التي لابدت سهائيها المعربات الأمل المختمة التي لابدت سهائيها بالقباء له يفسله بالمبار الم المناه لتي لابدت سالم، دائله بن المسرء والسفر وحتى في العب.

حينما أعلن السيّد ددو غير مانت، (بنتيجة هليون «إيلستر» والهليون الذي قُدَّمُ لي منذ قليل بعد الفروج المعدُّ بمرق العجل والدجاج) أن الهليون الأخضر الذي ينبت في الهواء الطلق والذي الايملك صلابة شقيقه المذهلة، على حدّ غريب القول الذي ينقله إلينا المؤلف الظريف الذي يوقّع باسم هأ. دو كليرمون تونّير، يجدر أن يؤكل مع البيض أجاب السبّد دو بريوتيه، قائلاً: دالأمر الذي يروق بعضهم ويسوء البعض آلآخر والعكس بالعكس. ففي مقاطعة ٥ كانتون، في الصين لايمكن أن يقدَّموا لك طبقاً أطيب مذاقاً من بيض الأرطلاق الفاسد شماماً، ولم يكن السيّد «دو بريوتيه»، وهو مؤلّف دراسة على قوم المورمون ظهرت في «مجلّة العالَمين، ، لم يكن يخالط غير أكثر الأوساط ارستقراطيّة، ومن بينها فحسب تلك التي تتمتّع ببعض الشهرة في دنيا الذكاء، حتّى ليعرف الناس من جرّاء حضوره، المتواصل منه على الأقلّ، إلى منزل امرأة إن كانت هذه الأخيرة نملك صالة. كان يدّعي أنّه يكره دنيا الجتمعات ويؤكّد لكلّ دوقة على حدة أنّه إنّما يسعى إليها نظراً لظرفها. وكنَّ جميعهنَّ والقات من ذلك. وفي كلُّ مرَّة كان يسلم، والأسى يعتصر فؤاده، بالذهاب إلى أمسية كبرى لدى الأميرة ددوبارما، كان يستدعيهنُّ جميمهنُّ كي يشجُّنه ولايظهر هكذا إلاَّ وسط مجموعة أليفة. وكيما يظل صيته كمثقفٌ في منجي من واجباته المجتمعيَّة كان بمضى، مطبقًا بذلك بعض قواعد مأثورة من روح آل اغيرمانت، بصحة سيَّدات أنيقات ليقوم برحلات علميَّة طويلة في فترة الحفلات الراقصة وحينما يأخذ شخص متحللق، وبالتالي لامركز له بعد، في التردُّد على كلِّ مكان، كان يصرُّ إصراراً عنيفاً على رفض التعرّف به وألا يسمح بأن يُقَدُّم له. كان كرهه للمتحفلقين نابعاً من سنوبيتُه ولكنّه يحمل السلّـج، يعني سائر الناس؛ على الاعتقاد بأنّه خلو منها.

وصاحت الدوقة «دو غير مانت، قاتلة: «بايال» يعرف دوماً كلّ شيء. إنَّ بلداً تودّ فيه التأكد من أنَّ باتع الألبان بيبعك بيضاً فاسداً تعاماً، بيضاً من عام المذتب، إنّما أجده رائماً. وأراني من هنا أغسس في كمكني المطلبة بالزبدة. وينبغي أن أقل إنَّه يتقتل لدى العمة «مادلين» (السيّدة «دو فيلباريزيس») أن يقدموا أشياء منفسخة وحتى بيضاً (وإذ أعدات السيّلة «دارجون» هختج): ولكن عجباً يا وفيلي، إنّك تعرفين ذلك تعاماً كما أعرف. الصوص مذ ذلك في البيضة. ولست حتى أعلم كيف يقروهم المقل إلى المكوت هناك. فليست عجّة، إنّها حمّ دجاج ولكنّما لم يُعرِّ إلى ذلك على الأقلّ في لائمة العلم. حسناً فعلت أن لم تججي للمشاء قبل البارحة نقد كان ثمّة سمكة خبرّط بحمض الفيئيك! ولم تكن تبدر مائدة ممدودة بل دائرة أمراض سارية. حقاً إن ونوروك بيلغ بالإخلاص حدّ البطولة: لقد عاد فصبّ منهاك.

- واقتل أني رأيتك في منزلها يوم حملت على السيّد وبلوك و لولم يلفظ السيّد وه غير مانته اسم وبلوك الكاف بل بالخاء كما هي الحال في الألمانية ربّما ليضغي على اسم يهودّي كها سمة أجتبية أكبر) الله عن شاعر ثم أعد أدري من كان إنه رائع. ومبناً كان وشائيرًو عضرب على عظم ساق وبلوك فلم كن هذا الأخير يهمم وفي ظنه أن همزات ركبة ابن أخي موجهة لامراة مألية كانت تلاصقه تصامأه (وهنا كمت حمرة طفيفة وجه السيّد ودر غير مانت)، ولم يتبيّن أنه يزجع حمننا وبروائمه التي يوزعها ذات المحمدة مناطق التي يوزعها ذات المحمدة التي يوزعها ذات المحمدة والمائية ويحد المحمدة والمائية ويحد المحمدة المحمدة والمحمدة ودو غير مائته يحسب أن لفظة السيّد ولا يوسية والأداة والمحمدة المسيّد والأداة المحمد مناطق المناطقة السيّد والأداة المحمدة المح

- ala! أوكدُ لك أنَّ السيَّد «بلوك» لم يتنظر، ولايزال يجري».

وقالت لبي السيدة دو غير مانت، بلهجة واضحة: وأجل، إتي أذكر تماماً أتي رأيتك في ذلك اليوم، وكأتما كان في تلك الدوم مسلية وكأتما كان في تلك الذكرى فيما يخصها أمر ينبغي أن تغيط له نفسي كثيراً. والأمور على الدوام مسلية جداً في منزل عمتي كان يوتي في الأمسية الأخيرة التي التقيت بك بالنسيط فيها أن أسألك إن لم يكن ذلك السيد المسمية وكذلك بداعي المتلف والرابع، لابد ألك تعرف جميع الأسماء، تقول وهي تخسلني صادقة علاقاتي الشعرية وكذلك بداعي المتلف والمتلف والمنابع، عن نظر مدعويها من قدر شاب طويل الباع إلى هملا المحدّ في الأحب. وأكدت للدوقة أتي لم أر أياً من الوجوه الشهورة في أسبية السيدة دو فياباريزيس. ا إلى هملا المحدّ في مانت، بلهجة طائشة: وعجاًا عجاًا لم يكن ثمة كتاب كبار! إلك تدهلني مع أن كان ثمة هيئات لاتطاقاء تقبل فقر بلنك أن إجلالها لأهل الأسب وازدراءها لدنيا المجتمعات كانا أكثر مطحة نما تقول بل ربّما نما تعقد.

كنت أتذكر بوضوح تام ذلك للساء بسبب حادثة غير ذات شأن البتة. فقد قدّمت السيّدة ودو فيلماريزس، والمولئة للسيّدة والقونس دو روتشيله لكنّ رفيقي لم يسمع الإسم ولم يجب، وقد ظنّ الأمر أمر

^(#) Bossuet مطران ذاتع الصبت من القرن السابع عشر، ويحسب السيد ددر غير مانته أنه يزيده مكانة باستخدام كلمة السيد بالإضافة إلى الأداة ددو Ch التي تسيير أسماء التهلاه.

إذكلينية عجوز مجونة يعض الشيء، إلا يكلمات متقطمة على الأقوال المسهبة التي جادت بها جميلة السهبة التي جادت بها جميلة الجميلات السابقة حيما قالت السبقة قدو فيلباريزيس، وهي تقدّمها لآخر غره، بوضوح شديد هذه المرّة: والبارونة ألفورس دو رونشيلاء. حيتك التمسب في خرابين وبلوك فيأة ودهمة واحدة عدد كبير من أفكار للملايين والحهاة التي كان يبنئي أن يقرم بتفريمها يحذر إلى حد أنه أصيب وكأنما بطعنة في القلب وحمّى في العجوز الملطفة: قال أبي عرفتاه صيحة حال غباؤها دون أن ينام على مدى ثمانية أثام كانت كلمة فهلوك تلك قليلة الشأن ولكني أفذكرها بمثابة البرهان على أننا نقول أحياتاً في حياتنا ما نفكر أيه وذلك غت وطأة الفعال غير عادي.

وقالت الأميرة دهو بارماه: وأعقد أنَّ السيّدة دو فيلياريزيس، ليست... أخلاقيَّة تماماً» وكانت تعلم أقهم لايرنادون منزل عمَّة الدوقة وترى، انطلاقاً ممّا أقدمت هذه على قوله، أنّه يمكن التحدث بحرية عن ذلك. ولكنّها أضافت تقول، وقد بدا أنَّ السيّدة دهو غير مائت، لانوافقها:

- اولكن الذكاء كفيل بتمرير كلّ شيء على هذا المستوى،

ناجابت الدوقة: وإذك تحملين عن عمتي الفكرة التي يحملها الناس بمامة وهي باختصار القول مغلوطة
تماماً. ذلك بالضبط ما كان يقوله لي ومبعيه وليس بأبعد من البارحة. (وكست الحمرة وجهها وغامت
عيناها من جراء ذكرى مجهولة لدي. وافترضت أن السيد دو شارلوس، طلب إليها أن تحجم عن دعوتي
عناها من جراء ذكرى مجهولة لدي. وافترضت أن السيد دو شارلوس، طلب إليها أن تحجم عن دعوتي
حال التي كست رجه الدوق وهو يتحدث عن شقيله الإيمكن رقما إلى السبب نفس) ومسكينة عمتي! بأبه
مود ثلازمها سمعة امرأة من المهد السابق ذات فكر خلائب، وتهتك لا ضابط له، وليس من عقل أكثر
مود ثلازمها سمعة امرأة من المهد السابق ذات فكر خلائب، وتهتك لا ضابط له، وليس من عقل أكثر
ولكنه لم يستطع في يوم أن يقهمها ماعسي تكون الملوحة. أما فيما يخص حياتها فلم تكن امرأة فاسدة، وما
أبعد أن تكون، بل كانت معدة للزواج وقد ولمدت تطبع الزوجية إلى حد أنها إذ لم تستطع المخاط على
وصنوف الفحب نفسها والإخلاص نفسه. ولاحقي أنها أحياناً من أكثرها صدقاً، فضمة باختصار القول عدد
يأيى العراء أكبر بين المشاق معه بين الأرواجة.

 - «رمع ذلك فهياً انظري يا «أوريان» إلى سلفك «بالاميد» الذي تتحدّثين عد، فليس من عشيقة يمكن أن مخلم بمن يكيها على غرار ماتم للسيدة « دو شارلوس، المسكينة».

فأجابت الدوقة: فالمتسمحي سمُوك ألاّ أكون تماماً من رأيك. ليس يحبّ الجميع أن يُبكّرُا بالطريقة نفسها فلكل ميولهه.

– وولكنّه خصّها بتكريم حقيقيّ منذ وفاتها. صحيح أنَّ المرء يقدم أحياناً في سبيل الأموات على أمور ما كان ليقدم عليها في سبيل الأحياءة.

فأجابت السيَّدة ١٥و غيرمانت، بلهجة حالمة كانت تناقض مقصدها المستهزئ: ١ أولاً نذهب إلى مأتمهم

وهو مالا نفعله البئّة من أجل الأحياءاه (ونظر السيّده دور غيرمانت، إلى السّيد دور بريوتيه على نحو ماكر وكانّما ليستير ضحكه إيراء تظرّف الدونة). وأردنت السيّدة دور غيرمانت، نقول: دبيد أنّي اعترف بصراحة أنَّ الطريقة التي أتمنّى أن يبكيني بها رجل أحبّه ليست طريقه سلفي».

وججهم وجه الدوق، فما كان يعمي أن تطلق امرأته أمكاماً كيفما تيسر ولاسيّما بحقّ السيّد ودو شارلوس، وقال بالهجة خشنة متعالجة، وأنت صعبه الإرضاء، فإن أسفه كان له أحسن الأثر لدى الجمعيم. لكنَّ الدوقة كانت تبدي مع زوجها نوع الجسارة الذي يميّز المُروَحين أو أولئك الذين يعيشون مع مجنون ولايخشون إغضابه:

- «بالطبح لا، ماذا عساك تربه، إنه له أحسن الأثر، لست أقول المكس، فهو بمضى كل يوم إلى المقبرة ليري لها عن عدد الذين دعاهم إلى مائدة الغذاء، وهو يأسف عليها أعظم الأسف، ولكن أسفه على ابنة عمّ، أسفه على جدة عمّ، الحدة على حداد زرج. صحيح أنهما كانا قديسين، الأمر الذي يجمل المحداد غير عدى المنتج بشمن الشيء، وكان السيّد دو غيرماسته، وقد ضاق ينزرة زرجه، بيشت عليها بمجمود مخيف حدقتين مشحوتين نساماً، وعادت الدوقة تقول: وماذلك لأتناول بسوء «ميمهم» المسكين الذي لم يكن، وأقولها بين قوسين، حراً هذا المساء، فلتي أعزف بأنه طب مثلما لايتفى لأحد، إنه والمع وممتاز بالمافاة ويملك الرجال بعائمة على المناد، فلتي الحرف بأنه طب مثلما لايتفى لأحد، إنه والع ويمتاز بالمافاة ويملك الرجال بعائمة على المناد، قلي المبادة وميمياه مثلاً، إنه خلال الرجال بعائمة عثله، إنه خلال الرجال المؤمن المناد، المنادة وميمياه المناد، ويملك طبح المناد المناد المنادة وميمياه المناد، المناد المنا

فقاطعها السيّد دور غيرمانت، بلهجة حادّة: دما تقولين محال، دسميه، ليس على شيء من التختّث وليس من هو أكثر رجولة مده، وعادت الدوقة تقول: وولكنّي لا أقول لك إنّه مخنث أثل ما يكرن التختّ. إفهم على الأقلّ ما أقوله. آءا هذا الأخير، ما أن يظنّ أنّهم ينفون المساس بشقيقه...ه، تضيف قولها وهي تلتّف إلى الأميرة دو بارماه.

فقالت الأميرة ددر بارماه: دذلك لطيف جناً ويلدّ الأذن سماعه. فليس ما كان أجمل من أخوين متحابين، على نحر ماقد يفعل الكثيرون من طبقة الشعب، لأنك يمكن أن تتمي بالدم إلى أسرة أمراء، وبالمكر إلى أسرة عاميّة جدّاًة.

وقالت الأميرة: «بمما أثنا كنا نتحدّث عن أسرتك يا دأوريالاه فقد رأيت البارحة ابن اختك «سان لمو» . وأطن أنه يودّ أن يسألك خدمةه .

وقطب الدوق دور غير مانت؛ حاجبه والسبوبيتريّة) (**)، فلم يكن يودّ حينما لايحبّ أن يؤدّي خدمة أن تتكفّل بها زوجه إذ يعلم أنّ الأمر واحد وأنّ الأشخاص الذين ربّما اضطرّت أن تسألهم إيّاها سوف يدرّنونها على حساب الروجين المشترك كما لو طلبها الزوج بمفرده.

وقالت الدوقة: دلماذا لم يطلبها منَّى بنفسه؟ فقد ظلَّ البارحة ساعتين ههنا ويعلم الله إلى أي حدُّ كان

^(*) شبة إلى جوبيتر كبير آلهة الرومان.

مملاً. قد لايكون أكثر غباءً من غيره لو عرف مثل العديد من رجال المجتمعات كيف يظل أبله. ولكنّما قشرة العلم هذه هي المربعة. إنه يودّ أن يكون مفتوح العقل... مفتوح العقل على جميع الأمور التي لايدركها. إنّه يحتلك عن المغرب وظك أمر فظيم؛.

فقال الأمير «دوفوا»: «لايريد الرجوع إلى هناك يسبب «راحيل».

فقاطعه السيَّد ودوبريونيه، قاتلاً: وولكنُّ القطيعة وقعت بينهماه.

وأجاب الأمير ددوفواه الذي كان يحبّ نشر جميع الشائدات التي من شأنها أن تعطّل زواج درييرة والذي كان يمكن أن تضلله جميع المعاودات المتقطمة للعاتمة قضى عليها بالحقيقة: وإن القطيمة بينهما يسيرة إلى حدّ أتي لفيتها منذ يومين في شئمة دروبيرة الخاصة وأؤكّد لك أتهما لم يظهرا بمظهر المتخاصمين).

 وراحيل هذه حدثتهي عنك، إتي أراها هكذا عرضاً في الصباح في محلة الشانوليزيه، وهي نوع من الفتاة الطائدة المقل مثلما تقول، وما تدعوة بالمنظرةة وضرب من وغادة الكاميلياء، بالمحنى المجازي طبعاًه.
 كانت تلك المقالة تردني على لسان الأمير وفوذه الذي كان يهمة الظهور بمظهر الهيط بالأدب الفرنسي وبالظرافات الباريزيّة،

وصاحت الأميرة منتهزة على عجل هذه القرينة: ﴿بَالْصَبِطَّ، كَانَ ذَلَكُ بَصِدُدُ الْمُرْبِ...﴿.

فسأل السيّد در غيرمانت، بلهجة صارمة: ووماذا عساه بيغي بالنسبة إلى المغرب؟ إن وأوريان، لا تستطيع شيئاً على الإطلاق في هذا الجال، وهو يعرف ذلك تماماً،

وتابعت السيّدة «دو غيرمانت» تقول: ويظنّ أنه اخترع الإستراتيجية، ثم إنّه يستخدم كلمات مستعيلة لأمنى الأمور، الأمر الذي لايحول دون زرعه لطخات الحبر في رسائلة. فقد قال ذلك اليوم إنّه أكل بطاطا وفائقة ووجد مقصورة دفائقة، للإيجاري.

وزاد الدوقة فقال: دويتكلم اللاتينية.

فسألت الأميرة: ٥ كيف ذلك، اللاتينية ٩٥.

- دبشرفي! فلتسأل سيدتي دأوريان، إن كنت مبالغة.

- «كيف ذلك ياسئينتي، لقد قال في ذلك اليوم في جملة واحدة ودفعة واحدة: المست أعرف مثالاً على Sic transit gloria (هكذا يزول مجد العالم) أوقع في النفس» ؛ وإني أقول الجملة لسموك الأتنا توصكنا بعد عشرين مؤالاً وباللجوء إلى اللسائيين إلى استمادتها، ولكنّ وروبيره قدف بذلك دون أن يلتقط أنفامه وكاد المرة الايستطيع أن يميز أنَّ لمة جملة الانبيّة، وكان يدو وكأنه شخصية من مسرحية الملهض بالوهما اوكل ذلك كان ينطبق على موت امبراطورة النمسالة.

وصاحت الأميرة قاتلة: «باللمرأة المسكينة! ما أروعها مخلوقة كانت!».

فأجابت الدوقة: اأجل، مع ذُرَّة من الجنون وذُرَّة من الحمق، ولكنّها كانت امرأة بالغة الطبية ومجزنة محبّة بالغة الملطف، على أتّي لم أنهم قطأ لماذا لم تشتر في يوم طقم أسنان ثابت، فقد كان طقمها يفلت ورماً قبل نهاية جملها فضطراً أن تطعها كمى لايتلده.

وقال الأمير وفوزده: وراحيل هذه حدثتني عنك وقالت لبي إنّ وسان لوه العزيز يعشقك ويفضلك حتى عليهاه، قال، وهو يأكل كالغول، قرمزيّ اللون وضحكه الدائمة تكشف عن سائر أسنانه.

فأجبت قائلاً: وهي لابدّ منّى إذن وتكرهني.

- ولا على الإطلاق، لقد أأنت عليك كثيراً أماني ؛ ربّما غارت عثيقة الأمير (دوفوا) لو فضلك
 عليها. أما فهمت؟ عد معى وسوف أشرح لك كلّ هذا).

- الست أستطيع فاتّى ذاهب إلى منزل السيّد ادر شارلوس، في الحادية عشرة،

- عجباً، لقد أرسل يطلب إلي البارحة الجيء لتناول الشئاء هذا المساء، على آلا أجيء بعد الحادية
 عشرة إلا ربعاً. فإن أصبرت على الذهاب إلى منزله فهلم سمي على الأقل حتى المسرح الفرنسي وستكون في
 والدوائرة، يقول الأمير الذي كان يعتقد دونما شك آلة الأمر يعني دعلى مقربة من أو ربما وفي المركزة.

ولكنّ عينيه الموستَدين في وجهه الأحمر السمين والجميل أثارتا مخاوفي فرفضت قاتلاً إن أحد الأصدقاء سوف يجيء ليصحبّي. ولم تبُد لي هذه الإجابة مهينة. وقد خلفت دونما شكّ في صدر الأمير الطباعاً مغابراً إذ لم يوجّه قطاً إلى الحديث من بعد.

ويدفي لي بالضبط أن أذهب للقاء ملكة ونابولي، فما أعظم مايها من غمّ، تقول الأميرة
 دوبارما، أو بدا على الأقلّ أنها قالت. ذلك الأنّ أقوالها لم تبلغ مسامعي إلاَّ مبهمة من خلال تلك الأقرب
 التي وجهها إلىَّ الأمير دفون، م مدألة قالها بصوت متخفض جناً.

وقد خشى دون شكّ، إن هو مخلَّت بصوت أعلى، أن يسمعه السيَّد دو فواه.

فأجابت الدوق: ولا، أحتقد فيما يخص ذلك أن ليس بها غم البتّة.

ولاغم البنّـة؟ أَتِل على المدوام ياوأروبيان، متطرّفة، يقول السيّد دور غيرمانت، وقد استعاد دوره
 كصحرة تضطر الموجة فيما تقارمها إلى أن تقذف خصل زبدها إلى نقطة أعلى.

فأجابت الدوقة: 9بازان يعرف خيراً منّي أنّي أقول الحقيقة، ولكنّه يظنّ أنّه ملزم باتّدخاذ مظاهر صارمة من جرّاه وجودك ويخشى أن أصدمك.

وصاحت الأميرة «دو بارما»: «لا أرجوك»، وقد خشيت أن يُسدوا شيئًا بسببها في إيّام الأربعاء الرائمة التي تقيمها الدوقة «دو غيرمانت»، هذه الشعرة الحَرِّمة التي لم تستحق بعد ملكة السويد نفسها أن تلوق طعمها. - ولكنها أجابته هو فيما كان يقول لها بلهجة مبتلل حزنها: ولكن الملكة في حداد ؛ على من ياترك ألم الله في حداد ؛ على من ياترك ألبه مايضم جداء إنها ستيقتيه. عداد طفيف جداء إنها ستيقتيه. والحقيقة أنها مغبطة بللك، ووبازائه يعرف الأمر تمام المرفق، فقد دعتنا إلى حفلة في اليوم نفسه ووهبتي لؤاؤتين. وددت لو تفقد في كل يوم شقيقة النها لاتبكي موت شقيقتها بل وتفهقهه عالماً. وإنها على الأرجح نقول في نفسها، شأن وربيره، أنْ Sic transit» (هكذا يزول، ولكني ماعدت أعرف، تضيف قولها بعاعي الاتضاع مم أنها تعرف أتم المرفة.

كانت السيّدة قدو غيرمانت؛ على أيّة حال تبدي بذلك ظرفاً فحسب، ظرفاً من أشدّها زيفاً لأن ملكة فابولي؛، شأن الدوقة فالانسون، التي وافتها يدورها منيّة مفيحة، كانت كبيرة الفلب وقد بكت ذويها بعدق. لقد كانت السيّدة قدو غيرمانت، تعرف الشقيقات البافاريّات الكريمات بنات عمومتها إلى حدّ لاتجهل معه ذلك.

وقالت الأميرة ددر بارساء وهي تشهر ثانية اسم دروبيره هذا الذي كانت السيدة ددو غيرمانت، تقدمه لها بعثابة عون غير مقصود: «كان بودة ألا بعود إلى المفرب. واعتقد أنّك تعرفين اللواء ددو مونسيرفوي».

فأجابت الدوقة: ومعرفة يسيرة حبّلًا، كان وليقة العلاقة بلماك الضابط. وشرحت الأمهرة مابيغيه 9سان لوء.

 - «باللهي، إن رأيته... فقد يتفق أن أصادفه»، عجب الدوقة كي لايد أنها توفض، وقد بدا أن علاقاتها باللواء « و نسير فوي» أخذت تتباعد بسرعة منذ أن اقتضى أن تطالبه بأمر ما. على أنَّ هذا الشكّ لم يكن
 كافياً في نظر الدوق الذي قاطع لمرأته قاتلاً:

- وتعلمين نصاماً أنك لن تلتقيه يا فأويانه : ثم إنّك قد سألته أمرين لم يبر بهمماه . وأردف يقول متزايد الحدّ كي يرغم الأمورة لم يبر بهمماه . وأردف يقول متزايد الحدّ كي يرغم الأمورة على سحب طلبها دورة أن يقرد ذلك إلى التشكيك بلطف اللدوقة وكي تردّ السيّدة دو بارماه الأمر إلى طباعه المشخصية المتقلّة في جوهرها : فإن زوجي شغوة بأن تكون لطيفة . وإن دوبيره لقادر على نيل ما يتنبه من دونسيرفويه . ولكنه إذ لايدري ماييد ناته يحملنا نعن على طلبه لأد يعلم ان ليس من طريقة أفضل لإفشال الأمر. لقد طلبت وأريانه من دمونسيرفويه أكثر من الكثير. وإن طلباً يصدر عنها الآن لسبب كاف كي يرضده .

فقالت السيَّدة ٥دو بارماء: ٥من الأفضل إذن في هذه الظروف ألا تفعل الدوقة شيئًا.

وقال الدوق في ختام حديثه: «بالطبع».

فقالت الأميرة ١ دو بارما، بغية تغيير الحديث: اللهاء المسكين، لقد هُزمَ مرة أخرى في الانتخابات.

 قاوه، الأمر ليس بالخطير فما هي إلا المرة السابعة، يقول الدوق الذي كان يحبّ إلى حدّ ما خيبات الآخرين الانتخابية وقد اضطر هو نفسه أن يتخلى عن السياسة. - دوقد تعزّى بعزمه على أن تنجب امرأته ولدا جديداً.

فصاحت الأميرة قائلة: ٥عجباً؟ أهي حامل بعد هذه للسكينة ددو مونسيرفوي، ؟

وأجابت النوقة: وتماماً، وإنّها «النائرة» الوحيدة التي لم يفشل فيها اللواء المسكين قطأ».

لم ينفكَ القوم بعد ذلك طلك يدعونني باستمرار، حتى مع بضعة أشخاص فحسب، إلى تلك المآدب التي سبق أن تمثلت مدعوبها بالأمس وكأنهم رسل االكنيسة الصغيرة المقدّسة، فقد كانوا يجمعون هداك على غرار المسيحيّين الأوائل لا ليقتسموا غلناء ماديّاً فحسب، غذاء لذيذاً على أيّ حال، بل في ضرب من العشاء السريّ الإجتماعي، حتى انّي بعد عدد قليل من الأعشية تمثلت معارف جميع أصدقاء مضيفيّ، هؤلاء الأصدقاء الذين كانوا يقدّمونني لهم بمسحة من العطف بارزة (كمن لعلهم فضّلوه أبدآ تفضيل الآباء) إلى حدَّ أن ليس من بينهم من كان الإيظنَ أنَّه يسيء إلى الدوق والدوقة إن هو أقام حفلة راقصة دون أن يدّون اسمى على اللائحة، وكنت الدَّوق في الوقت نفسه، فيما التناول واحداً من الخمور التي مختوبها أقبية آل «غيرمانت»، طيور أورطولان محصّرة وفق الوصفات المختلفة التي كان الدوق يضمها ويبدّل فيها بحدر. بيد أنّ تناول هذه الأخيرة لم يكن محمَّماً على من سبق أن جلس أكثر من مرَّة إلى المائدة السريَّة. وكان يجيء أصدقاء قدامي للسيّد ددو غيرمانت، وعقيلته للقائهما بعد العشاء دوكأنّما تلك على حدّ ما تقول السيّدة سوان اخطرة المساويك، على غير موعد ويتناولون في الشتاء كوباً من مغلى الزيزفون عجت أضواء الصالة الكبيرة وفي الصيف كأساً من عصير البرتقال في ظلام الحديقة المستطيلة الصغيرة. ولم يعرف أحد قطّ، عن آل اغير مانت، في عشيّات الحديقة تلك، سوى عصير البرتقال. لقد كان يتسم بما يشبه الطابع الطقسي. ولعلِّ إضافة مرطبَّات أخرى إليه، لعلَها كانت بدت إفساداً للتقليد مثلما لاتلبث حفلة راقصة كبرى في حيّ ٥سان چيرمان، حفلة راقصة من بعد إن كان ثمَّة مسرحية هزليَّة أو موسيقي. فلا بدُّ أن يفترض أنَّك عجيء-وإن حضر خمس منة شخص- لمحض زيارة الأميرة دمو غيرمانت، مثلاً. وقد أعجب القوم بنفوذي لأُتنبى استطعت حملهم على أن يضيفوا إلى عصير البرتقال زجاجة تحوي عصير كرز مطبوخ أبه إجّاص مطبوخ.وقد داخلني من جرًاء ذلك عداء للأمير ٥داغريجانت، الذي كان شأنه شأن جميع الناس الذين يفتقرون إلى الخيال لا إلى البخل والذين يعجبون بما تشرب ويستأذنونك في تناول شيء منه، حتّى أنَّ السيّد ٥داغيرجانت، كان في كلّ مرة يفسد سروري بانقاص حصّتي. ذلك لأنَّ عصير الفواكه هذه لايتوافر البَّنة بكميّة كبيرة إلى حدّ ما كيما يروي. فليس ما يقلل مللك مثلَ انقلاب لون الثمرة طعماً، هذه الثمرة التي تبدو مطبوخة وكأنها تعود القهقري إلى فصل الأزهار. فالعصير الذي اكتسى حمرة مثل بستان في الربيع أو كان فاقد اللون ندياً كالنسيم في ظلَّ الأشجار المشمرة إنَّما يستسلم للشمُّ والنظر قطرة فقطرة ويحول السيَّد «داغر يجانت، بانتظام دون أن أرتوي منه. وعلى الرغم من هذه الفواكه المطبوخة فقد ظلُّ عصير البرتقال التقليدي موجوداً شأن مغليّ الزيزفون. وظلت المشاركة الاجتماعية تحت هذه الأعراض للتواضعة على أنَّ أصدقاء السيَّد والسيَّدة ودو غيرمانت، لبنوا في ذلك دونما شك، على تحو ما صبق أن تمثّلتهم بادئ الأمر، أكثر اختلافاً ثمّا وبّما حملني على الاعتقاد به مظهرهم المحيَّب. فقد كان العديد من الشيوخ يجيئون إلى منزل الدوقة لينعموا، إلى جانب الشراب الذي لايتبدلٌ، باستقبال قليل الودّ في الغالب. وما كان يمكن أن يكون ذلك بداعي السنوبيّة إذ هم في مكانة لايسمو عليهم فيها أحد، ولابداعي حبّ البذخ: فربّما كانوا يحبّونه لكن ربّما كان بمقدورهم، في شروط اجتماعية أدنى، أن ينعموا بالرائع منه إذ ربَّما فعلت الزوجة الفاتنة لأحد رجال المال الطائلي الثراء، ربَّما فعلت في تلك الأمسيات نفسها كلّ شيء في سبيل دعوتهم إلى حفلات صيد بديعة تقيمها طوال يومين من أجل ملك اسبانيه. ولكنّهم رفضوا مع ذلك وجاؤوا على سبيل الاحتياط ليروا إن كانت السيّدة •دو غيرمانت، في منزلها. وما كانوا حتّى على يقين أنّهم واجدون هناك آراء مطابقة شماماً لآرائهم أو مشاعر تتسم بحرارة خاصة فقد كانت السيدة ودو غيرمانت، ترسل أحياناً حول مسألة ودريفوس، أو حول الجمهورية أو حول القوانين المناهضة للدين أو حتى، وتخفض الصوت، حولهم وحول عاهاتهم والطابع الممّل لحديثهم ملاحظات كان ينبغي لهم أن يتظاهروا بأنهم لاينتبهون لها. وليس من شكّ أنهم إن كانوا يحتفظون بعاداتهم هناك فمن جرًّاء تربية مرهفة تميز ذواقة المجتمعات الراقية من جرًّاء معرفة واضحة بميزة الكمال الأولى في الطبق الاجتماعي ذي الطعم المألوف المطمئن الحلو المذاق الذي لا اختلاط فيه ولاغشّ والذي يعرفون منشأة وتاريخه بقدر ما تعرف تلك التي تقدّمه لهم وقد ظلوا أكثر «ارستقراطية» في ذلك ممّا يدرون هم أنفسهم. وفي عداد هؤلاء الزوار الذين عُرِّفتٌ يهم بعد العشاء شاءت المصادفة أن يكون اللواء ١ در مونسيرفوي، هذا الذي سبق أن تخدثت عنه الأميرة ٥دو بارماه والذي لم تكن السيّدة ٥دو غيرمانت، التي كان أحد روّاد صالتها تعلم أنه يومع المجيء في هذا المساء. وانحى أمامي لدى سماع اسمى كما لمو كنت رئيس المجلس الحربي الأعلى. كنت ظننت أنَّ الدوقة رفضت أن توصى السيَّد «دو مونسيرفوي» بابن اختها لمجرَّد عزوف عن المعروف متأصَّل كان اللموق فيه شريكاً لزوجته شأته في أمر التظرّف الفكري إن لم يكن في أمر الحبّ. وكنت أرى هنا لا مبالاة يزيد من جرمها أله خيل إلى من جرَّاء بضع كلمات أفلتت من الأميرة ددو بارماه أن مركز دروبير، كان محفوفاً بالمخاطر وأنَّ من الحكمة العمل على إبداله. على أتم إنَّما ثارت ثائرتي من جرَّاء قسوة السيَّلة ودو غيرمانت، الحقيقيَّة حينما اقترحت الأميرة ودوبارما، بلهجة وجلة أن تخلُّث بنفسها ولحسابها هي، اللواء عن ذلك ففعلت الدوقة كلُّ ما بوسعها كي تصرف صاحبة السمُّو عن الأمر، وصاحت قاتلة:

 - «ولكن «مونسيرفوي» باسيًنتي لانفوذ له من أيّ نوع ولاسلطة مع السكومة الجديدة وسوف يكون ذلك ضربة في الهواء».

وهمست الأميرة وهي تدعو الدوقة إلى التكلم بصوت أخفض: وأظنُّ أنَّه قد يستطيع سماعنا،.

فقالت الدوقة دون أن تخفض الصوت وقد سمعه اللواء تماماً: الاتخشي سموك شيئاً فالله اصمّ كالحجره.

وقالت الأميرة: وذلك أتِّي اعتقد أنَّ السيَّد ودو سان لو؛ ليس في مكان مطمئن جدًّا.

فأجابت الدوقة قائلة: وماعساك تبغين، إنَّ حاله حال جميع الناس مع فارق أنَّه هو الذي طلب الملحاب إلى هناك، ثم إن المكان ليس خطراً، لا، وإلاَّ لكنت اهتممت للأمر بالطبع، ولكنت حقّلت بلملك وسان چوزيف، في أثناء العشاء، فهو أشدّ نقوذاً وكم هو مثابرا تهين، ها إنّه قد ذهب. ولعل الأمر من جهة أخرى أقلُ إحراجاً منه مع هذا الأخير، فتلالة بالضبط من أبنائه في المغرب ولم يشأ أن يطلب تغير مكانهم. وربّما أثار الأمر. وبما أن سمُوك تصرّ على ذلك نسأقاع به وسان چوزيف. .. إن التقييم، أو ديونري.. أمّا إذا لم ألفهما فلا ترثي كنيراً لحال دروبيره. لقد أوضحوا لنا في ذلك اليوم مكان إقامته، وفي اعتقادي أنّه لايمكن أن يكون في أيّ مكان أفضل حالاً من هناك.

وقالت الأميرة دور بارماه: وباللزهرة الجميلة، أتي لم أشاهد البئة مثيلتها، وليس سواك يا دأوريانه من يملك مثل هذه الروائع ا». قالت تخاول أن تغير الحديث مخافة أن يكون اللواء دور مونسيرفوي» قد سمح المعوقد. فتعرفت نبتة من صنف تلك التي سبق أن رسمها وإبلستيره أمامي.

- وينبطني أنها تروقك. فهي راتمة، نظري إلى دائرة عنقها الصغيرة التي من مخمل ليلكي. بيد أن لها اسمأ شنيعاً ورائحتها قبيحة مثلما يمكن أن يتفق ذلك لأشخاص شديدي الجمال وأنيقي الملبس إلى حدّ بعيد. ولكتي أحبّها كثيراً على الرخم من ذلك. بيد أنَّ مايضمني بعض الشيء أنّها ستموت عمّا قريب.

فقالت الأميرة: ٥ ولكنهًا في الآنية وليست أزهاراً مقطوعة، .

وأجابت الدونة ضاحكة: ١لا، ولكن الأمر واحد بما أنها من صنف السيّدات. إنّها ضرب من النباتات لانوجد فيها السيّدات والسادة على النبتة نفسها. مثلي مثل الجماعة الذين يملكون كلية. لايدً لمي من زوج لأزهاري، وبدون ذلك لن أحصل على صفاره.

- وباللغرابة ؛ ففي الطبيعة إذن....

- اأجل، ثمة بعض الحضرات التي تنولي إتمام الزواج بالشهيض، شأن الحال بالنسبة إلى الملوك، دون أن يكون الخطيب والخطيبة قد التقيا في يوم. ولذلك فأتي أقسم لك أنني أوسي خادى يوضع نبتى في النافذة قدر المستطاع تارة من جانب الباحة وطوراً من جانب الحليقة عسى أن تجيء الحضرة التي لاغني عنها. ولكنّ الأمر قد يتعلب مصادفة وأيّة مصادفة فكّري، ينبغي بالضبط أن تكون مضت للقاء شخص من الصنف نفسه من جنس مختلف وأن يخطر لها المجيء لحصل بطاقات إلى البيت. ولكنّها لم تجيء إلى هنا وأظنّ أن نبتي لاتزال أهلاً لأن تكون فتاة فاضلة وأقر أن قليلاً من التهتك ربّما سرّي أكثر من ذلك. عضوي، إنّها حال هذه الشجرة الجميلة التي في الباحة فسوف تموت دون أطفال لأنّها صنف نادر جناً في بالادنا. الربع هي الملكافة، فيما يخصّها، بعقد القراف، ولكرّ الجدار عال قليلاً م

وقال السيّد «دو بريوتيه»: «بالممل كان عليك أن تهدمي يضعة صتميترات فحسب فريّما كان ذلك كان ذلك كان ألم عمليّات ببغي أن نحسن القيام بها. إن عطر الفائيليا الكائن في المثلجة الرائمة التي قدّمها لنا منذ قلل عمليّات ببغي أن نحس القيام بها. إن عطر الفائيليا وصحيح أن هذه الشجرة تنتج أزهاراً مذكرة وموتئة في الآن نفسه ولكنّ نوعاً من الحجر الصلب القائم بينها بمنع الاتصال أيّا كان. ولم يكن قط بمكناً لذلك للحصول على لمار إلى أن خطر قلت بيرم لرنجي شاب من مواليد جزيرة «الريونيون» يدعي «ألبان»، الأمر الذي يثير الفنحك إلى حدّ ما بالنسبة إلى أحد السود، وتقولها بين قومين، بما أن الاسم يعنى «الأبيض»، أن يصل ما بين الأعضاء المفصولة بوساطة رأم صحّر فصاحت الدوقة قائلة؛ «أنت رائع با «بابال»، إلّمك عالم بكلّ

شيءه .

وقالت الأميرة: ٥ وأتت أيضاً يا ٥ أوربان، علمتني أموراً كنت أشك بوجودها، ـ

- وسوف أقول لسمُوك إنَّ وسوانه هو الذي حدثني كثيراً على الدوام عن علم النبات، فقد كتا نمضي أحياناً إلى الريف، حينما كان يوعجنا أحد الإزعاج أن نذهب إلى حفلة شاي أو إلى وعصرية، وكان يدلني على تزاوجات غرية للأزهار، والأمر أبعث على السلوة من زبجات الناس دون حفل غذاء ردون سكرسيّه¹⁴⁷، وما كان يتسع لنا الوقت البيّة للذهاب بعيناً جناً. أمّا الآن وقد وجدت السيارة فريّما كان ذلك رساً، وكتّه أكدم في هذه الأثناء لسوء العظ على زواج أحد إدهاتاً بكير وبجعل كلّ شيء عسوراً. أما ياسيّدني، إن البياة لأمر فظيع، فإنك تقضين الوقت في القيام بأمو تبعث الملل في فضك فإن عرفت مصادادة من بمكنك الذهاب بوقته لرؤية أشياء جغيرة بالاعتمام لابني أن يتزوج زواج وسوانه وإذ المتبني بين التحلي عن النوعات البائية وواجب مخالفة أمرأة المنح بي العار فقد اخترت أولى هاتين البليتين. قد لا تدعو الحاجة على أيّ الحال إلى للمني بعيداً جناً. ذلك إنه يجري فيما يدو، في حديثني الصغيرة وحدها، وفي وضع على أيّ الحال إلى للمني بعيداً جناً. ذلك إنه يجري فيما يدو، في حديثني الصغيرة وحدها، وفي وضع حال بين الأرهار إذ ترى رذاذا برتقائي المارن أو ذبابة منفلة بالغبار تقبل لتمسح قدميها أو تغتسل قبل الدخول في زهرة. ويتفضي كل شيءاء !!

قالت الأميرة: والعموان الذي وضعت فوقه النبتة بديع هو الآخر، إنّه من الطراز الأمبراطوري فيما أعتقده، وكانت لاندوك تماماً دلالة دعابات الدوقة إذ لا عهد لها بأعمال «داروين» وخلفائه.

فأجابت الدوة: وأليس أنه جميل. يغطني أن تخبّه سّيدي. إنها قطعة رائمة. سأقول لك إنّني عشقت على الدوام الطراز الأمبراطوري حتّى في حين لم يكن شائعاً. وابني أذكر أنَّ حماتي شنّمت عليٌ في وغيرمانته أنّني قلت بأن ينزلوا من السّقيفة جميع الأثاث الراقع الإمبراطوري الطراز الذي سبق أن ورث وبازاده عن ألّ وموتسكيوه وأنّني أثنت به المجاح الذي كنت تُسكمه.

ابتسم السيّد «دو غيرمانت». على أنّه كان لابدٌ يتذكّر أنَّ الأمور جرت على نحو مغاير نماماً. ولكن مزحات الأميرة «دي لوم» حول رداءة ذوق حمانها إذ ظلّت عادة أثناء الزمن القليل الذي كان فيه الأمير مولماً بزوجه فقد أعقب حبّه للثانية شيء من الإزدراء لقلّة نباهة الأولى، ازدراء كان يقترن على أيَّ حال بالكثير من التعلّق والاحرام.

 - قادى أسرة وإيبناه المتعد نفسه بتطعيم من يد ووجنووده ، إنه جميل ولكني أفضل مقمديء ، تقول الدونة باللهجة المجردة نفسها التي تشخفها لو أنها لم تملك أيّة من قطعتي الأثاث. ووليّي أثّر من جهة أخرى
 أنّ لديهم أخياه بديمة لا أملكهاه .

^(#) مكان ملحق بالكنيسة يسوي ملابس الكهنة وأشياء أخرى تستخدم في العلقوس الدينية ؛ لملقصود بالعبارة: دون أخذ بالمستلزمات الاجتماعة.

وظلت الأميرة ددو بارماه صامتة.

ولكن صحيح، إن معاليك الامرف مجموعهم. وينبغي لها بالتأكيد أن عجيء برفقتي إلى هناك.
 إنها من أروع الأمور في باريس، إنها متحف تدبّ فيه السياة.

ولًا كان هذا المقترح أحد صنوف القحة الأكثر انساماً وبالغرمانتية، لدى الدوقة لأن آل البيناء كانوا في نظر الأميرة «دو بارما» محض منتحلين إذ يحمل ابنهم، شأن ابنها، لقب دوق «غاستالا»، فإنَّ السيَّدة «دو غيرمانت، لم تملك وهي تلقى به على هذا النحو «لشدّة ما يغلب الحبّ الذي تكنّه لتفردها على إجلالها للأميرة «دو بارماء) أن ترمق المدعوِّين الآخرين بنظرات هازئة مشرقة. هم كذلك كانوا يجهدن في التبسم نقلها ٥ساخنة تماماً٥. كانوا نصف ذاهلين فحسب إذ يعلمون أنَّ الدوقة تملك فنُ اللامبالاة بجميع آراء آل ٥ كورفوازييه، مقابل عمل ناجح في الحياة أكثر إنارة وأشدٌ إمتاعاً. أقلم عجمع في غضون هذه السنوات الأخيرة بالأميرة وماتيلده الدوق «دومال، الذي سبق أن كتب لشقيق الأميرة نفسه الرسالة الشهيرة: ٥ جميع الرجال في أسرتي شجعان وجميع النساء عفيفات؟ وأما كان الأمراء على هذا حتى حينما يبدو أنَّهم يودُّون تناسي أنَّهم كذلك، فقد طاب المقام للدوق «دومال» والأميرة «مانيلد» في منزل السيَّدة «دو غيرمانت» إلى حدَّ أن ذهب كلِّ منهما فيما بعد إلى منزل الآخر وبهما تلك القدرة على تناسى الماضي التي أبداها لويس الثامن عشر حينما الَّخَذ بمثابة وزير له «فوشيه» الذي سبق أن صوّت على موت شقيقه. كانت السيّدة «دو غيرمانت» تفكّر في مشروع التقارب نفسه بين الأميرة «مورا» وملكة «نابلي». وفي أثناء ذلك كانت الأميرة «دو بارما» تبدو بمثل الحيرة التي يمكن أن تنتاب وريثي عرش هولندا وبليجكا، وهما، كلُّ فيما يخصُه، أمير وأورانجه ودوق «برابان»، لو اعتزموا أن يقدّموا لهما السيّد «دو ماتي نيل» أمير «أوراغ» والسيّد «دو شارلوس» دوق «برابان». ولكنُّ الدوقة الى توصُّل ٥سوان، والسيَّد ٥دو شارلوس، (على الرغم من تصميم هذا الأخير على بجَّاهل آل وإبينا ٤) بجهد عظيم إلى تحبيبها بالطراز الأميراطوري، صاحت بادئ الأمر قاتلة:

— وصدقاً باسيَدني، لا أستطيع أن أقول لك إلى أيّ حدّ ستيطين ذلك جميلاًا أني أقر أن الطراز الإسراطوري قد ألّر في على الدوام. أنّا في منزل آل وإيناه فالأمر هناك بالحقيقة أنب بالاستهام. إن هذا النوع، ماذا عساي أقول لك، من... تواجع حملة مصر وكذلك عودة العصور القديمة إلينا وكلّ ذلك الذي يجتاح منازلنا وتعاليل أي الهول التي تجيء لتفف على أقدام المقاعد والحيات تلتف على الشمعداتات وربة شعر ضخعة تمد إليك صغيراً لتعلب الحروق أو هي اعتلت مطحئة موقدك واستدت ذراعها إلى ساعة جدارك، وجمعيع المصابع التي من طراز وبوسيّي، والأمرة الصغيرة المراكبية الشكل التي تبدو وكأنما عثر عليها لذي النوب على أطراف طاولات القديمة التي يجري على أطراف طاولات.

وتجرَّأت الأميرة فقالت: ولايجلس المرء مرتاحاً على الأقاث الذي من الطراز الإمبراطوري.

فأجابت الدوقة: ولا\$، وأردفت تلحّ بابتسامة: ەولكنّي أحبّ أنّ أجلس جلسة غير مربيحة على مقاعد الأكاجو هذه المفطأة بالمخمل الرماني أو الحرير الأخضر. إنّي أحبّ شظف المحاربين الدنين لايفهمون سوى الكرستي المسكري السيط والذين كانوا يشبكون الأسلحة وبكوتون أكاليل الغار وسط الصالة الكبرى. وإلى أو كن أنهم لايفكرون بها حينما يصر المرء أمامه تمثال ولايم الميثرة لتي يجلسون بها حينما يصر المرء أمامه تمثال ونصره كبير لمعنى رسم على الجغار بطريقة الرسم المأتي، سوف يجدنى زوجي ملكية ردية جماً ولكنى غير صليحة المرأي إلى حدّ بعيد، تدرين، على أتي أو كذلك أن الأمر يبلغ بك لدى هولاء القوم أن عجّى كل حرف «النون» تلك وجميع تلك السحارت (⁶⁸⁾. ولما كنا لم تحظ في عهد الملوك، منذ زمن ليس بالسيم، حرف «النون» منذ وابهة الأمجاد فإن هؤلاء الهاريين الذين كانوا يجلون معهم الكثير من النيجان لي حدّ أن يخلفوا بعشاً منها حتى على سواعد المقاعد، أتي أجد في ذلك شيئاً من الأناقة ا يجدر بسموك أن

وقالت الأميرة: (الألهي، إن كنت ترين ذلك، ولكنّما يبدو لي أن الأمر لن يكون سهلاً.

- «لكن سيلني سترى الله كل شيء ميسوى على أحسن حال. إنهم جماعة طيبون جبداً وليسوا بالأغبياء . وتضيف اللوقة قولها، وهي عالمة بقوة المثال: «لقد اصطحبنا إلى حالك السيلة «دو ضوفروز» فاغتبطت بللك أيما اغتباط. بل إن الابن محبّب جبداً ... وأردفت تقول: «إلى ما كان المؤلف ليس لانماة جبداً ... وكن لديه غرفة وسهراً على وجه الخصوص يود المراء لوينام فيه- بدونه! وما كان أقل لياته بعد أتي ذهبت مرة لزارته فيما كان مرسمناً بلازم سريه. كان إلى جانبه على حافة السرير حفر لعروس بحر طريلة مستلقية فائته لها فيل صدفي وتمسك في بدها مايشه أو أهرا اللوس» أضافت السيئة «دو غيرمانت» وهي تتمهل في فائته لها في النواء شفيها المجمداتين وانطلاقها كي يلما المجمداتين وانطلاقها يليها الطوياتين المعرفين وانطلاقها على الترتب والم ترق الأمرة بنظرة علية ثابتة عميقة: «وإتي أو كذلك أن المشهد كان مؤثراً مع وريقات النخيل والتاج الذهبي المدي على وحة «الشاب والموسة».

أمّا الأميرة دو بارماه التي كانت تجهل حَى اسم الرسّام فقد هزّت رأسها هزّاً عنهاً وابتسمت بحماسة كي تعرب عن إعجابها بتلك اللوحة. ولكن شدّة إيمائها لم تفلح في النيابة عن ذلك الضوء الذي يظلّ غائبًا عن عينيا مادمنا لاتعرف عمّا يورّون أن يحتكوناه.

وتسأل قائلة: دهو شاب جميل فيما اعتقد؟٥.

- الا، فإن له هيئة تابير هندي. فالعينان إلى حدّ ما عينا دهورتانس، لللكة المستخدمة كحامل مصابيح. ولكمة ظن على الأرجح أن تعزيز هذا الشبه قد يكون فيما يخص الرجال مدعاة للمسخوبة إلى حدّ ما، فيضيع الأمر في وجنتين ملمحنين تضفيان عليه نوعاً من مظهر المماليك. ويوافيك احسام بأن الملمّح لابد يمرّ كلّ صباح، لم تضيف قولها: ولقد ذهل دموانه في عودته إلى سهر الدوق الشاب من الشبه بين عوص البحر هده ولوحة والكوت، لدفوستاف موروه . وأردفتا تقول بلهجة أكثر سرعة ولكنها جدية مع ذلك بنية الزيادة في

 ^(*) إشارة إلى المحرف الأول من اسم نابليون والتمحل الذهبي الذي كان يزين رهاء الإمهراطور.

الإضحاك: وليس لنا أن نعجب على أيّ حال إذ الأمر رشحاً كان وصحَّة الشاب كأنَّها من خشب السنديان.

وسأل السيّد دو بريوتيه؛ ويقولون إنّه سنريّي؟» سأل بلهجة تبطنها الأنيّة مستثارة تنتظر في الجواب ما ينتظر من دقة لو أنّه قال: دقيل لي أن ليس في يده البمني سوى أربعة أصابع، أصحيح ذلك؟».

فأجابت السيّدة دو غيرمانت، بابتسامة عذية في تسامحها: هل... لابي... يارتي، ؛ ريّما كان على قلل من السنوبية في الظاهر لأن حديث السنّ جناً ولكنّما قد يدهدني أن يكرن كذلك في المراقع لأنّه ذكّي، عضيف قولها كما لو كان قمة فيما ترى تعارض مطلق بين السنوبيّة والذكاء. وأضافت تقرار. وأنّه مرهف الذكاء وقد وجنده غريب الأطوار، عن قبل وهي نضحك الذوائقة المارف بالأمور وكأنّما يستوجب الحكم بغرابة الأطوار على أحدهم مظاهر المرح أو كأنّما تبدو إلى ذهنها في هذه اللحظة نوادر الدوق ددوغاسكالا، وأردفت قائلة: وبلًا كان الإرحب به على أني حال فان بتنكى لهذه السنوبيّة أن تلفى صيعتها المملية، دون أن تفطن إلى أنّها لم تكن تدبيخ كثيراً على مثال النحو الأميرة دور بارماه.

 - وأنساءل ماعسى أن تقول الأمير دوو غير ماتت، الذي يدعوها المسيئة وإيماله إن علم أتني ذهبت إلى منزلها،

فسألت الأميرة التي كانت لفظة «انروسكي» لاتعني لها إلاَّ القليل: ٥مصري؟

وياريّي، الإنتان إلى حدً ما، كان وصوائه يقول لنا ذلك وقد أوضحه لمي ولكنّي، تدوين، جاهلة
مسكيته، ثمّ إن ما ينبغي أن نقوله في الأساس باستيتي إنَّ مصر الطواز الإسراطوري لاصلة لها البئة بمصر
الحقيقيّة، ولا رومانييهم بالرومانيّن، ولا ما يقولون عن اقدورياه ...

فقالت الأميرة: ٥-هَأَلُهُ

ولاء بالطبء فلمك من قبيل ما كان يدعى بلباس لويس الخاس عشر في فترة الإمبراطورية الثانية
 وفي شباب وآنا دو موشيء أو والدة وبريفوده العزيز. منذ قليل كان وبازاناه يحانكم عن بيتهوفن. لقد عوقوا
 لنا في ذلك اليوم حاجة منه جميلة جدًا على أيِّ حلل وعلى شيء من البرودة وفيها فكرة روسية.

رورتر في نفسك أن تفكر أنه كان يحسب ذلك روسيّا. كذلك طنّ الرساون الصينيون أقهم بقلدون وبلينيء. أضف أن أرمة أرباع الناس حَى في البلد الواحد لايرون، في كل مرّة ينظر فيها أحدهم إلى الأشياء نظرة على شيء من الجدّة، لايرون شيئاً لبّة فيما يعرضه عليهم. ولابدّ من أربعين عاماً على الأقل كمي يفلحوا في التصيرة.

وصاحت الأميرة مذعورة: فأربعون عاماً!.

قاردفت الدوقة: وأجل، ، وهي تضيف أكثر فأكثر إلى الكلمات (التي كانت كلمات لي تقريبة، إذ سبق لي بلفيجة أن أهريق المنطبة الله المنطبة الله عرف الطباعة الي بالضبط أن أهريت أمامها عن فكرة مطابهة) ، بفضل نطقها، المقابل لما يسمّى بالنسبة إلى حروف الطباعة والمحرف المثال، ، وأبّه ضرب من الرجل الأول المعزول عن جنس لايزال غير موجود وسوف يتكالر، رجل يتمتع بنوع من والحسرة لايمامت البشري في عصره. ليس باستطاعتي الاستشهاد بنفسي لأنني أننا أحببت دوماً على المكس ومنذ البلياة بنفسي لأنني أننا أحببت من على المكس ومنذ البلياة جديم ما يبرز من أمور شيرة مهما الزنت من جلة. ولكني رحت في ذلك اليوم المن المنافقة الكبرى فمرينا أمام لوحة وأدلياه من أعمال دمانيه. والأن الايمدش أحد من لك يمد شرية البني لي أن أكسر في سبيل هله من المنافقة الي لا أن أكسر في سبيل هله الملوحة التي لا أميذ فيها كل شيء ولكنها بالتأكيد من صنع شخص ذي شأن. وربسا لم يكن اللوفرة مطرحها بالنسط.

ونسأل الأميرة ددو بارماء قائلة: وألهي على مايرام الدوقة الكبرى؟، وكانت عمّة القيصر أفرب إليها بعدا لايقاس من مثال دمانيه.

- وأبيل، وقد تكلمنا عنكه. وأودف الدوقة قول، وبها إصرار على فكرتها: فالحقيقة في الأسلم، كما يقول سلفي وبالاحيدة، أنَّ بيتنا وبين أكر أساس، خدار لفة أجدية. وإني أكر من ناحية أخرى أن الأمر لإيمين عن أحد بقدر ما يصح عن حجيليو، وإن طالب لك المذهاب إلى متزل آل وليباة فأنت أكثر نباهة من أن تبيش إنسال به الممكن أن يعظر لهانا الرجل المسكين، وهو مخلوق عزيز بريء، ولكنّ له على كلّ حال أنكارا من غير عالمنا: وأحسني أكثر قبل أؤلوب، عصباً من حوزئي وجيادي متي من هذا الرجل الذي يرجعك بالمتمرار إلى مالملهم كانوا يفكرون في عهد وفيليب الجسورة أو في عهد ولوبي الشخيرة، تصوري أنه حيدما بالمتمرار إلى مالملهم كانوا يفكرون في عهد وفيليب الجسورة أو في عهد ولوبي الشخيرة، تصوري أنه حيدما ينتزه في الريف بيمد لفلاً حين يتنابني لو كنت أسمع تماثيل وأوقد القبور القوطية القديمة غذائي وعبئاً يكنني بعثل الأسخيرات الذي يتنابني لو كنت أسمع تماثيل وأوقده القبور القوطية القديمة غذائي وعبئاً يكون هذا الجبر الحي أبن عم لي يؤته يدينه نه لم يقتل أحيا في يوم.

وقال المواه: «لقد تعشّيت بالضبط وإيّاه منذ قليل في منزل السيدة «دو فيلباريزيس» ولكن دون أن يبتسم ردون أن ينبّئ مزحات الدوقة.

وسأل الأمير افون،، وكان دائم التفكير بأكاديمية العلوم الأخلاقية: اهل كان السيّد ادو نووبوا، حاضراً؟».

فقال اللواء: ٥أجل، وقد جاوز فتحدُّث عن امبراطوركمه.

- قايدو أن الأسراطور فغليوم، ذكري جدًا ولكنه لايحبّ رسم قايلستيره. ولست أقول ذلك على أية
 حال ضدة فأني أشاطره نظرته إلى الأموره، تجبّ الدوقة. قمع أنّ ايلستير صنع رسماً جميلًا لي. عجبًا! ألا

تعرفه ؟ ليس فيه من شبه ولكته غريب. إنه مثير في أثناء جلسات الرسم. لقد جعل متّى ما يشبه السجوز، وفي ذلك تقليد للوحة «المشرفات على المشفى» من أعمال «هاازه. ثم قالت الدوقة وهي تلتفت إليّ وعثرك بيطء مروحتها المتي من ريش أسود: وفي احتقادي أنّك تعرف هذه الروعات كيما ألجأ إلى تعبير عزيز على قلب ابن أختبىء ، كانت الدوقة متتصبة على كرسيّها، بل أكثر من ذلك، وكانت تردّ رأسها إلى الوراء بإباء، ذلك أنّها كانت تسئّل بعض الشيء دور السيّدة الكبيرة مع أنّها ظلّت على الدوام سيّدة كبيرة، وقلت إني ذهبت فيما مضى إلى استرادم ولاهاي، ولكنّي بغية ألا أنطط الدحابل بالنابل تركت همارلم، حانياً إذ كان وكتي محلوداً.

وصاح السيّد «دو غير مانت» قائلاً: وأد! لاهاي، أيّ متحف ذلك اله فقلت له إنه أعجب فيه ولاشكً بلوحة «منظر ديلفت» من أعمال «فيرمير». ولكن الدوق كان أقلّ علماً منه كبرياء، لذلك اكتفى بأن يجيني بلهجة متغطرسة شأنه في كلّ مرّة يحدُّونه فيها عن عمل فتّي في أحد للتاحف أو عن «الصالون» ولا يتذكّر: وإن كان لايدٌ من رؤيته فقد رأيته!».

وصاحت الدوقة بدورها: وعجباً؟ قمت برحلة إلى هولندا ولم تلهب إلى دهارلم، ؟ فأن تكون شاهدت لوحات دهالزء أمر غير عاديّ حتى لو لم يتّسع لك سوى ربع ساعة. وريّما طاب لي أن أقول إنّه ينبغي لمن قد لا يستطيع رئيمتها إلاّ من أعالى عربة حافلة كهربائية دون أن يتوقف، إن أتفق عرضها في الهواء الطلق، أن يفتح عينيه وسمهماء.

وصدمني هذا الثمول من جرًاء أنه يتجاهل كيفيّة نشكل الانطباعات الفنيّة في داخلنا وأنه بيدو وكأنه يفترض أن عيننا في هذه المحالة معض آلة مسجلة تأخط لقطات آئيّة.

كان السيّد قدو غير مانته ينظر إلى مهابة زوجه للشهورة، وهو سعيد أن همتني بعثل تلك الكفاءة من موضوعات تستائر باهتمامي، ويصغي إلى ما تقوله عن فوانس هاؤو ويفكّر في نفسه قائلاً؛ وإنّها طويلة الباح في - كل شيء، ويستفيه ويسقي الشاب أن يقول بينه وبين نفسه إنّ في حضرته سيّدة كبيرة من الأصي بكلّ ما للكلمة من معنى وكما لايفقي الشاب أن يقول بينه وبين نفسه إنّ في حضرته سيّدة كبيرة من أخرجاً من المع فغيرماتته هلا الذي كنت بالأس أشيئهما فيه يعيشان حياة يتمثر تميزهما كلهما وقد شبهان بالراحية التحريق الموسلة اللهمي ومنا اليوم شبهان بالدارة في التوقف في العصر اللهمي ومنا منساو شأن العديد من الأسر في حيّ مان عبد أقهما يتطلقان قبلاً عن معاصريهما ولكن على نحو غير منات المنافرة عن العصر اللهمي ومنا كن المراح فالعديد واللهمي ومنا المنافرة من الماضور اللهمي ومنا المنافرة عن الماضر اللهمي ومنا كنا الأمر بالنسبة إلى بادئ الأمراء في المنافرة عن المنافرة الكبير من طيبًا كنان الأمراء وبنائل الأولى من جاء دولم الفضل الكبير من طيبًا المنافرة من المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة المنافرة عن المنافرة المنافرة المنافرة عن المنافرة المنافرة عن المنافرة عن بنائرة بقائرة والمنافرة وبنائها في المنافرة المنافرة عن المنافرة المنافرة عن المنافرة عن المنافرة عنه المنافرة عنه المنافرة عنه المنافرة عنافرة عنه المنافرة عنه المنافرة المنافرة عنه المنافرة المنافرة عن المنافرة عن المنافرة المنافرة عنافرة المنافرة عن المنافرة الم

في حين خجدنا نبصر بأم المين، بفضل مصادفة خارقة، بطلة روائية في شخص وأيزابيل ديسته وإثناء بعدما
نلاحظ، بدراسة وايزابيل ديسته ونقلها من هذا العالم الخرافي إلى عالم الثاريخ، أنَّ حياتها وتفكيرها لايمويان
شيئاً من تلك الفرابة الواخوة بالأصرار التي سبق أن أوسى لنا بها اسمها، وبعد ما تبلغ هذه الخبية تمامها، إثما
نبدى امتناثاً لاحد له لهذه الأميرة أن تجمع لديها حول رسم ومائتينياه معلومات مسارية لما تجمع من معلومات
تحت أحس، بعد المن المساء، على حد قول وفرانسوازه وفي أسفل السافلين، لدى السلد ولافنيرة المقد
كنت أحس، بعد المساء، هي مألوقة في أمكنة أخرى، أسماء وفيكور هرغوه ووفرانس هائزه ووفيييره
كنت أحس إذ أجد فيه السماء، هي مألوقة في أمكنة أخرى، أسماء وفيكور هرغوه ووفرانس هائزه ووفيييره
كنت أحس إذ أجد فيه المساء، هي مألوقة في أمكنة أخرى، أسماء وفيكور هرغوه ووفرانس هائزه ووفيييره
بعد أن المراحل أو شجر المنسيلاً مكاناً يقرؤون وميروب، أو وأأثيره (وراما اتقفق ذلك أحياناً أملم
خوائب مسرح روماني أو عمود مكرس لم وفيوس)، وكان للقافة الممائذ المائلة المائد المناج وهدت الميدة وهو غيرمات
خوائب مسرح روماني أو عمود مكرس لم وفيوس)، وكان للقافة المائلة المائد التي جهدت الميدة وهر غيرمات
خوائب مسرح روماني أو عمود مكرس لم وفيوس التعامل اللوامي عوفتهن الهابم الصحيد، المؤتر تعرياً المناذ وخير عائد خود عملحة ودن عملحة ودن علم السيدة وحدد المهاؤ.

قالت لي السيّدة دو غيرمانته بلهجة لطيفة وهي تختلني عن دهائوه: دكان بمقدوري أن أريك لوحة جميلة جداً، بل أجملها فيما يزعم بعض الناس، ورئتها عن ابن عمّ ألماني. ولكنّما اتقق لسوء الحظ ألها وأقطمته للقصر. ألا تعرف هذه العبارة؟ ولا أنا بدوريه، تضيف قولها من جرّاء هذا الميل الذي يها في إطلاق المزاح (الذي تخال أنها عصريّة به) حول العادات القديمة التي كانت مع ذلك شديدة التعلق بها على نحو غير واع. ديسرّي أنك شاهدت لوحاني التي من أعمال دايلستيره ولكنّي أقر أنّي كنت سأسر أكثر بكثير لو استطعت أن أرحبّ بك أمام لوحة دهاؤه، أمام تلك اللوحة دالتّشكية.

وقال الأمير دفونه: وأعرفها، إنّها لوحة دوق دهيس، الأكبر،.

فقالت السيَّدة «دو غيرمانت»: «بالضبط، لقد سبق أن نزوّج أخوه أختى، وكانت والدته على أيّة حال إبنة همّ والدة «أوربان».

وأضاف الأمير يقول: «أمّا فيما يخصّ السيّد «الماستير» فسوف أسمح لنفسي أن أقول، دون أن يكون لي رأي في أعماله الفنيّة التي لا أعرفها، إنّ الكراهية التي يكنّها له الإسراطور لابيدو لي أنّه ينبغي اتخاذها حجّة ضدّه. إنّ الأمراطور رائم الذكاءي.

- «أجل، لقد تعنيت مرتبن معه، مرة في منزل عمتي «ساغان» ومرة في منزل عمتي «دادزيفيل» ويجدر بيء أن أقول إثني وجدته غربياً. لم أجده بسيطاً! ولكنّ لديه شيئاً مسلياً، شيئاً «مستياً» (تقول وهي تبرز الكلمة) مثل فرنفلة خضراء، أعني شيئاً يدهشني ولا يروقني إلى مالاحدود، شيئاً يدهشك أنهم استطاعواً أن يفعلوه، ولكنّي أرى أنهم كانوا أحساوا فعلاً كذلك لو أنهم لايستطومون. آمل أني لا أصدم مشاعرك؟؟

وأرفف الأمير: ويتمتّع الإمراطور بذكاء لايصدّق، وهو يعبّ الفنون إلى حدّ التولّد. وإنّ له في الأعمال الفنّية ذوقاً منزهاً من الخطأ إلى حدّ ما، إنّه لايخطئ البنّد. فإن اتفق ما كان جميلاً تعرّفه في الحال وأضمر له الكراهية، وإنّ كره شيئاً فهو، ما من شكّ في ذلك، ممتاز،

وابتسم الجميع.

وقالت الدوقة: وتطمئني،

وعاد الأمير يقول (وما كان يدسن لفظ كلمة وأركيولوغه (Archéologue) "ك كما لو أقها كتبت بالكاف ولايضيع قط فرصة يستخدمها فيها) : ويطوب لمي أن أنش الإمبراطور بأركيولوغ عجوز (بيقول الأمير أرشيولوغ) من برلين. إن الأرشيولوغ العجوز يبكي أمام الاثار الأشورية القلعية. فإن كانت من الحديث المرّيف، وإن لم تكن قديمة حقاً، فائد لايمكي. فإن وقوا أن يعلموا إن كانت هذه القطعة الإرشيولوغية أو تلك قديمة حقاً حملوها إلى الأرشيولوغ العجوز. فإن يكي اجتاعوا القطعة للمتحف. وإن فللت عينا ناشختين رقوها إلى الناجر ولوحق بتهمة التريف. وإني في كل مرّة أتناول فيها عشامي في وبرتسدام، أدوّن جميع القطع التي يقول لي الإسراطور بشألها: وأنها الأمير، عليك براية ذلك فأنه يفيض عهرية، وذلك كي احترز من اللعاب إلهها، وحينما أسمعه يعبّ جام غضبه ضدّ معرض فإني أجري إليه حالما يمكني ذلك. .

وقال السيّد ددو غير مانت: «أليس دنوربوا» إلى جانب تقارب انكليزي – فرنّسي ٩٣.

فسأل الأمير دفونه بلهجة غاضبة ماكره، وكان لايطيق احسال الإنكليز، دوما عساكم تفيدون من ذلك؟ فما أعظم خيادهم. أهوف تماماً أقهم لن يكونوا عوناً لكم على الصديد المسكري. على أنه يمكن المحكم عليهم بناء على خياء جرالانهم. لقد غشت أحد أصدقائي مؤخراً إلى دبيرتاه، تدري، القائد اليويري. كان يقول أنه : وجيش كهلا شيء معينيم. غير أني لي على حل أصب بالأحرى الإنكليز، ولكن فكر أني أناه ولست سرى فلاح، قد نلت منهم في جميع المعارك. وفي المركة الأخيرة وفيما كنت أنهارى عمد من الأحساب الإنفران عمل عمد من المحاسبة بقوضي عمدين مؤخر أن المتسلم لانني أوضعت على ذلك، أن آخذ ألفي أميرا وحسناً كان ذلك لأنبي كنت محضر رئيس فلاحين، ولكن لو اتدن الحلومين في يوم أن يجابهها جيناً أروباً أن ترى اذً ملكهم حقيقاً فأتي ارتباً على أبه حال إلا أن ترى اذً ملكهم حقيقاً فأتي ارتباف عدل أعرف يعد رجلاً عظيماً في انكلتره.

كنت لا أكاد أصغير إلى هذه القصص وهي من نمط التي كان السيّد دود نوربوا؛ يرويها لو الدي، فما كانت توفّر أي غفاء للأحلام التي أعشقها، وحتى فو ملكت على أيه حال تلك الأغلبة التي كانت خلواً منها فكم كان بيني أن تتسم بميزة الإثارة الشدينة كي يمكن لحياتي الداخلية أن تستيقط في أثناء هذه الساعات الإجتماعية التي كنت أسكن فيها جلدي وضعري الحسن التصفيف وصغار قميصي يعني تلك التي ما كنت أستطيع فيها الاحساس بأيّ شيء تما كان يشكل المتعة في الحياة بالنسية إلىّ.

^(*) عالم آثار وقد عربنا اللفظ فحب المستطيع رد الخطأ الذي غالباً ما يقع فيه الألمان في لفظ.. arché (وتقال «أركيه» بالفرنسية أرشيه...

وقالت السيّمة دو غيرمانت، التي كانت ترى أنَّ الأمير الألماني يخلّ باللياقة: «أما لست من رأيك، فأني أجد الملك ادواره راتما وبسيطاً جناً وأكثر رهافة كما يظنّرن. والملكة لاتوال حَمّى الآن أجمل ما أعرف في العالمية.

- دلكن ياسيدي الدوقة، يقول الأمير غاضباً وهو لاينته إلى أنه يسوء في عين الناس، دولكن لو كان أمر، مواكن لو كان أمرة متدى إلا بهشطب اسمه ولما رضى أحد أن يشد على يده. إن الملكة وائمة المير واثمة المعنى المناسبة على يده. إن الملكة وائمة بالمعنى بالمنة المعلوبة محدودة الأفق. يبد أنَّ ثمة ما يصنم في هذه الأسرة الملكية التي ينفق عليها رعاياها بالمعنى الحرقي للكلمة والتي تحمل كبار رجال المال من اليهود على دفع جميع نفقاتها، التي كان جديراً به هو أن يدفعها، فيعينهم من صنار البارونات في مقابل ذلك. كما هي حال أسر دبلغاريه ...

قالت الدوقة: ٥هو ابن عمنًا وهو على ظرف.

فقال الأمير: ووهر ابن عمّى أيضاً، ولكتنا لا نعقد لذلك أنه طبّب القلب. لاء إنّما يجدر بكم أن تتفاربوا وإنّانا، تلك أعظم رغبة لدى الإمبراطور، ولكنّه يود أن يأتي ذلك من القلب، ويقول: ١٥ أبديه أن تصافحني يدهم لاعميّة إجلال! هكذا يتمثّر قهركم. ولملّ الأمر عملي أكثر من التقارب الإنكليزي – الفرنسي الذي يكرز به المبد ١٥ ونوربواه.

وقالت الدوقة ٥در غيرمانت، كي لاتدعني خارج دائرة الحديث: ٥أنت تعرفه، أدري.٥. وإذ تذكّرت أنَّه سبق للسيّد ددو نوربواه أن قال إنّه بدا عليّ وكأنّى أبغى تقبيل بده وإذ حسبت أنّه الابدّ روى تلك الحكاية للسيدة ودر غيرمانت، وأنه ما كان يمكن في جميع الأحوال إلا أن يحدِّها عنى حديث الأذيَّة بما أنَّه لم يتردّد على الرغم من صداقته لوالدي في أن يهزئني إلى حدّ بعيد، فاتّى لم أفعل مالعل رجل مجتمعات كان فعل. كان قال إنّه يكره السيد «دو نوربوا» وأشعره بذلك، كان قال ذلك كي يبدو وكأنّه السبب المتعمّد لنميمة السفير التي لاتضحى من بعد سوى عملية انتقامية كاذبة ومفرضة. وقد قلت على العكس إنَّني أظنَّ: وبي أسف شديد، أنَّ السيِّد ددو نوربوا، لايحبّني فأجابت السيِّدة ددو غيرمانت، وأنت مخطى، إنَّه يحبَّك كثيراً. تستطيع مساءلة ابازانه. فإن عُرِفَ عنى أنني لطيفة أكثر ثمًا ينبغي فانّه ليس كذلك. سوف يقول لك إنّنا لم نسمع السيد دو نوربوا، في يوم يتحدّث عن أحد بمثل اللطف الذي يتحدّث به عنك. وقد عزم مؤخّراً أن يسند إليك في الوزارة مركزاً عظيماً. ولما علم أنَّك تعاني من مرض وقد لايمكنك اللقبول به أبدى لباقة حتى في ألا يحدّث بجميل قصده والدك الذي يقدّره لي مالا حدود، كان السيّد (دونوربوا؛ بالتأكيد آخر من لعلَّني توقعت منه خدمة طبيَّة. ولما كان بالنحقيقة متهكمًا بل سيء الطويَّة إلى حدُّ فإن الذين خَدعوا مثلي بحا يبدي من مظاهر القديس ولويس، يقيم العدالة في ظلّ سنديانة وبنغمات صوته السريعة الإشفاق التي كانت تخرج من فمه الرخيم يجاوز قليلاً الحد اللازم كاتوا يظفّونها خيانة حقيقيّة حينما يطلّعون على قدح بحقّهم صادر عن رجل بدا بالأمس وكاتَّه يضع قلبه في أتوالة. كانت صنوف القدح تلك كثيرة إلى حدٌّ لديه. ولكنَّما لايحول ذلك دون أن يدي ضروبًا من الودِّ وأن يمتدح من يحبُّهم ويسرهُ أن يبدو صاحب معروف إزاءهم. وقالت لي السيّدة ادو غيرمانته؛ وليس يدهشني على أيّ حال أن يقدّك، فإنّه ذكّي، وأوضافت من أجل الآخرين وهي تشير إلى مشروع زواج كنت أجهله، ووأتي أدرك نماماً أن تبدر له عمشي، وهي لاتسره كثيراً كمشيقة قديمة، عديمة النفع كورجة جديدة، ولاسيّما أنّها لم تعد تلك حالها، حتى كمشيقة، منذ زمن طويل فهي تفيض من حلاوة التقوى، ويستطيع وبوعز – نوروبوك⁽⁴⁸⁾ أن يقول كما ورد في أبيات فيكتور هوغو:

همو ذا قد انقضى زمن طويل منذ أن هجرت فراشي إليك،

يارب، تلك التي اضطجعت معهاه.

حقاً إن عمتي لشبيهة بهؤلاء الفنانين الطليمين الذين هاجموا الأكاديميّة طوال حياتهم فم هم يؤسّسون في أواخر سنيهم أكاديميتهم الخاصّة ؛ أو هولاء الذين خلعوا ثوب الرهبان ويصنعون لنفسهم ديناً شخصياً. لقد كان من الأجدى إذ ذلك الاحتفاظ بالنوب أو الامتناع عن الزواج، وأضافت الدوقة بهيئة حالمة: ومن ذا يدري، ربّما كان ذلك استشفاقاً لترمّل آت. وليس أبحث على الفمّ من حداد لاستعليم أن تلبسه،

فقال اللواء دو سان جوزيف، : قاماً إن أضحت السيّنة دو فياباريزيس، السيّدة دو نوريوا، فأطنّ أن ابن حمنًا دچيليو، سوف يصاب يمرض من جرّاء ذلك.

وقالت الأميرة دو بارماه: وإن الأميرة دو غيرمانته ظريف ولكنّه بالفعل شديد المحرص على مسائل المولد واللياقة. لقد ذهبت لقضاه يومين في منزله الريف في أثناء ما كانت الأميرة مريضة لمدوء الحظّ. كانت المفسية ترافقني (وكان ذلك لقباً بطائفونه على السيئة دو نولئتايين، لأنّها كانت ضخمة). لقد جاء الأمير يتظفرني في أسفل المعرج وقدّم لي ذراعه وتظاهر بأنّه لايرى الصفيرة. وصعدنا إلى الطابق الأول حتى مدخل الصابحات وحيد قال وهو يتنحى ليفسح لي الطريق: وأما صباح المخرر سيّدة دو نو لشتاين، دفهو لايتاديها المحالات وحيثط قال وهو يتنحى ليفسح لي الطريق: وأما صباح المخرر سيّدة دو نو لشتاين، دفهو لايتاديها البنّة إلا حكما منذ الفراق، منظاهراً بأنّه يلمح الصغيرة أنذاك فقط كي يرهن أنّه لايقع عليه الذهاب لتحريّها في الأسفراء.

- دذلك لايدهني إطلاقاً، ولا حاجة في أن أقول لك، يقول الدوق الذي كان يخال أنه معمري جداً وأنه يزدري أكثر من أي سواه كوم المولد، بل أنه جمهوري، وإني لا أشاطر ابن عمي الكثير من الأفكار.
تستطيع سينتي أن تخمن أثنا نكاد تنفق حول جميع الأمور علما النهار والميل، بيد أنه ينبغي أن أقول إني سوف أنحاز هاه المرة إلى رأي اجيليرو إن الزيجة عمني ونورواه فأن تكون ابنة دفلوريمون دو غيزه وتفلم على زاوج كهذا إنسا يشحك منا المدجاج على حد قولهم ماذا عساك لريدني أن أقول ألاه (كانت هاه الكلمات الأخيرة التي ينطق بها المدوق عامة في سط الجملة لاجدوى منها هها، ولكنما كانت به حاجة الكلمات الأخيرة التي ينطق بها المدوق عامة في سط الجملة لاجدوى منها هها، ولكنما كانت به حاجة مستحرة إلى قولها غمله على دفعها إلى أخر المقطع إن لم تجد مكاناً في محل أخر. كان ذلك بالنسبة إلى، من بين ما كان، أشبه بمسألة أوزان شعرية). وأضاف يقول: ولاحظي أنَّ آل ونوربواه نبلاء طبيون من بيت

^(#) بوعز: هو في الكتاب المقدس زوج راعوث وقد خصه فيكتور هوغو بفصل في ملحمته المُساطير القرونة.

كريم وأصل عريق.

وقالت السيّدة ادو غيرمانته: واسمع يا وبازانه، لاداعي للسخرية من الإجيلبير، والتحلّث على غراره، وكانت عراقة المولد في نظرها، ولاتقلَّ عن عراقة أحد الخمور، إنّما تقوم بالضبط، شأنها في نظر الأمير ونظر الدوق دو غيرمانته في قدمها. ولكنّها كانت تصرّ، وهي أقلَّ صراحة من ابن عمّها وأكثر رهافة من زوجها، على الا تكذّب في حديثها روح لّل وغيرمانت، فكانت توتري للكانة في أقرالها على أن تجلّها بأنسالها.

وسأل اللواء ددو سان جوزيف، د دائيس أتكما حتّى على بعض قرابة خؤولة؟ يبدو لي أنَّ دنوروواه سبق أن تربّح واحدة من أل دلا روشفوكوه .

فأجاب الدوق:

— ولكن لم تكن القرابة بتاتا بالطريقة تلك. نقد كانت من فرع دوقة «دولاروشفوكو»، وجعلتي من دوئة «دويدوليل»، إنها جند «ادوار كوكو» الرجل الأكثر حكمة في الأسرة» بجيب الدوق الذي يعمل آراء بشأن الحكمة سطحية بعض الشيء، «ولم يلتق الفرعان منذ لويس الرابع عشر، وقد يكون ذلك بعيداً إلى حدم ما».

وقال اللواء: ٥عجباً، هذا أمر مثير وما كنت أعرفه.

فأردف السيد «دو غيرمانت» قائلاً: «كانت أمّه على أيّ حال باعتقادي شقيقة الدوق «دو مونمورانسي» وسبق أن تزيّجت بادئ الأمر واحدًا من أسرة «لانور دونيرني». ولكن لما كاد هؤلاء «المونمورانسيون» لايكونون من آل «مونمورانسي» وأنَّ جماعة «لانور دو فيرنيي» ليسوا باتاً «ليوردونييني» فلست أرى أنَّ ذلك يومِّ له مركزاً كبيراً. يقول، وقد يوندي الأمر أهميّة أكبر، إنه يتحدر من «سائتراي»، وبما أثنا تنحدر منهم على نحو مهاشر...»

كان ثمة في الأوسيمة شارع باسم (دو ساتتراي» لم أكن قد علت بالفكر إليه المبتّد. وكان يقود من شارع الإسرة، ولما تقال المستقد المستقد المستقد المستقدة من المستقدة المست

الأحياء. وإننا لنضطر أن نبنى فوق ما مبق ومالا نمود فعشر عليه إلا أتفاقاً في عملية تنقيب من طراز تلك التي قام بها اسم وسانتراي، منذ قابل. ورأيت من غير المفيد أن أوضح كل ذلك بل إتي كذبت ضمنياً قبل قابل حين لم أحر جواباً عندما قال لي السيّد دور غيرمانته: والا تعرف ضيعتا 9 وريّما كان حتّى على علم يأتي أعرفها ولم يلخ بداعي حسن التهذيب على الأقلّ. وقطمت عليّ السيّدة دور غيرمانته تأمّلاتي.

— إنّي أنا أجد كل ذلك ثاتلاً. اسمع، ليست الأمور دوماً نملة إلى هذا الحدّ في منزلي، وأملي أنّك ستمود بسرعة لتناول المشاء للتعويض عليك، ودون أنساب هذه المرّة، وتقول لي الدوقة بصوت خافت، وهي عاجزة أن تدرك نوع الروعة التي يمكن أن ألقاها في منزلها وأن تتواضع في ألا تروقي إلا بمثابة معشبة مليفة بالنبات القديمة الههد.

لقد كان ما نظيه السبّة دو غيرمانته معنيها لآمالي، كان على المكس ما يتقذ أسبتي في أواخوها – لأنَّ الدوق واللواء لم يكفًا من بعد عن حدث الأنساب – من خيبة نامة. وكيف لي ألا أشعر بخية حتى ذلك ؟ فكلَّ واحد من المذعمين إلى السفاء إذ كان يُسب الاسمّ الواخر بالأسرار الذي سبق أن عرفته به وحلمت به عن بُعد فحسب جسما وعقلاً مساويين لما يتتمق منهما لجمع الناس اللين كنت أعرفهم أو هما أنني أشعا حقلة لدي انطباعاً بالتفاهة السنجفة التي يمكن أن يورقها الدخول في مرفأ والمسنوره المناصر كي لكلّ قارئ الممصموم لـ وهمات على كانت تضع أدواط محموم لـ وهملت. وليس من شك أن تلك المناطق الجغرافية وذلك الماضي القديم التي كانت تضع أدواط وقباب أجراس قرطة في أسعائهم إنسا المتقال فيها لأ

وقد أعادت آراء الأمس هذه فيهأة إلى أصدقاء السيد قدو غيرمات، وعقليته شاعريتهم المفقودة. صحيح المفاهيم التي يملكها البلاء عجمل منهم المتقفين وعلماء أصول اللسان، لاليما بعض الكلمات بل الأسماء (بالنسبة إلى الوسطى البياه في يساوي المؤسسات، فلك لأنه إذ كان متنفي، في يساوي الضيحالة، أقدراً مساحد على إجابتك عن الطقوس للدينية فإن عالم آثار مناهض لرجال الدين غالماً ما يتمكن أن يلقابل أن يز كاهار مهيته في كل ما يتملق حتى بكيسة هنا الأخيرا، تلك المفاهيم، إن شتنا البقاء في مدارة الصواب، أي في دائرة العقل، لم تكن تملك حتى في نظر هؤلاء السادة المظام المروحة التي رئياً ملكتها في نظر أحد اليورجوازيين. رئياً عليما خيراً مني أن الفوقة دور غيرة كانت أميرة ذكليات، والوراياتة ودورسانة المؤلمة ودورسانة المؤلمة دورغيزة المذى كان هذا الأسماء جميماً وجه المدوقة دورغيزة المذى كان هذا الاسماء جميماً وجه المدوقة دورغيزة المذى كان هذا الاسم يمكم، مذاك الم فيالمرأة.

إنّنا نبصر أحياناً ضروياً من الفيرة تشتأ في الأسر البورجوانية إن تروجّت الشقيقة الصغرى قبل الكبرى. كذلك كان عالم الأرستقراطين، ولاسيّما آل «كورفوازييه»، بل آل «غيرمانت» أيضاً، يقلس عظمته الأرستقراطيّة إلى حدّ محض تفوق في دنيا الخدم بموجب سخافة سبق أن عرفتها بادئ الأمر (وتلك كانت في نظري فنتها الرحيدة) في يطون الكتب. أليس يبدو أنّ وتالمان دي ربوع إنّما يتحدّث عن آل «غيرمانت» بدلاً من آل وروهانه حيداً يروي بارتباح جليّ أن السيّد ودو غيمينيه، كان يصرخ قائلاً لأخبه: وتستطيع الدخول هنا، قليس هذا متحف اللوفراك ويقول عن الفارس ودو روهانه (لأنه كان ابناً غير شرعي للدوق ودو كليرمونه) وأما هو فأمير على الأقل! أما الأمر الوحيد الذي غستي في ذلك الحديث فأن الاسط أن الحلايات اللامنطقية المتعلقة بالدوق الأكبر الفطيف وريث عرش ولوكسمبورة كانت مجد آذاتا صاغية في هذه الصافاة خأنها لدى وفقاء وسان لوه. حقاً لقد كان ذلك وباءً لعلم لمن يدوم سوى سنتين ولكته يمتذ إلى. الصافاة خأتوا المحجمع، وأعادوا المحكايات الكافية نفسيها وأضافوا أخرى إليها. وأدركت أن أميرة وركسمبورة نفسها كانت توفر، فيما لهدو وكانها ندفو عن ابن اختها، أسلحة المهاجمته. وقال في السيد ودو غيرمائت، مثلما سبق أن فعل همان لوه، في المقاع عنه. إلىك مثلاً، فقدع جائباً حتى رأي أهلنا الإجماعي، حدث عنه خلصه، فهم في الأساس خير من بعرفنا، كانت السيقة «دو لوكسمبورة قد أعطت زنجيتها الصغير لابن اختها. فعاد الزنجي بإلياً يقول: دوق آكبر يفسرب أناء أنا غير سافل، دوق أكبر شرير، باللوعة أو وأستطيع التكلم عن ذلك كلام العارف فإنه بين عمد الدورية.

ولايمكنني على أي حال أن أقول كم مرة سمعت في هذه الأسبة لفظي ابن عم وابنة عم. نقد كان السيد ادو غرمائت، من جهة يصرح تقريباً لدى كل اسم ينظقون به: ولركته ابن عم الـ وأرباناته بالاجهاج نفسه الذي يدنيه رجل ضل سيله في غابة ويقرأ على طرف سهمين ربيًا بالتعاكم فوق تُوحة أتجاء ويليهما عدد صغير جناً من الكيلو متوات: امنظرة كازيمير بيريمه ووصليب كبير الصيادين، فيدوك ذلك أنه على عدد صغير جماً من الكيلو متوات: امنظرة كازيمير بيريمه ووصليب كبير الصيادين، فيدوك ذلك أنه على عبداً على المنات مقبلة مغير كانت قد جاءت بعد المضاه. كان بتأكلها الطموح الاجتماعي وقد وهبنا على لمان مقبلة مغير كان وكانت تتعلم بالسهولة نفسها حكاية وتفهقر الصرة آلانهه "الأن وصحة كان يستحيل أن تخطيها حول أحدث الدراسات الألمائية، أبعث في الانتصاد السياسي أم الأمراض الفقلية أم مختلف أشكال الأونائية أهلفة واليقورة. وكانت إلى ذلك امرأة بفعشاد السياسي أم الأمراض الفقلية أم مختلف أشكال الأونائية أنساء طاشنات تماماً من يتحلين بفعائل لإينائيها شك وعقلوك من رجل غرقكه أمرون المقاصد ولروي ضروياً من المحكايات تبدو وكأنها لدخرج من بطون الكتب لامن جراء جلايه لامعقوليتها.

كانوا قليلاً ما يستقبلونها في تلك الفترة. كانت تترقد بضمة أسابيع على نساء لامعات تماماً كالدوقة
و در غيرمانت، لكنّها اقتصرت بعامةً وعلى الرغم منها، فيسا يبغض أكثر الأسر استقراطية، على فروع مغمورة
لم يعد آل وغيرمانت، يتردّدون عليها. وكانت تأمل أن تبدو تماماً من دنيا الجمعمات الراقبة بذكر أعظم
الإسماء لأناس قليلاً ما يتم استقبالهم وكانوا أصدقاء لها. ويهتز السيّد دود غيرمانت، في المحال فرحاً أن بلقي
الأسماء لأناس قليلاً ما يتم استقبالهم وكانوا أصدقاء لها. ويهتز السيّد دود غيرمانت، في المحال وحياً أن بلقي
الفسه في بلاد بعرفها وبطلق صيحة عجمة طفاً منه أن الأمر يتمان بأناس كثيراً ما يتناولون عشاءهم في منزله :
ولائنه اين عم لداورانه التي أعرفه كما أعرف حبيبي، إنه يسكن في شارع دفانوه وكانت والدته الأنسة
ودوزيس، ونفسطر عقبلة السفير أن نقر بأن مثالها مأخوذ من حبواتات أدنى قدراً. وكانت مجال أن تربط بين
أصدقائها وأصدقاء السيد دو غيرمائت، باللحاق به موارية: وأعلم تماماً من تعني. لا، ليسوا هؤلاء، إنهم ابناء
م الهم، لكن هذه الجملة المرتدة التي تطلع بها السفيرة المسكينة مرعان ماتلاشي. فقد كان السيد دو

غيرمانت، يجيب خالب الأمال: وآما أنما لا أرى إذ ذلك من تقصيين، ولا تنبس السفيرة بينت شفة لأنها إن لم تعرف في يوم سوى البناء عمّ، من كان يبني، فكنيراً مالم يكن أبناء المم هؤلاء حتى من ذوي القربي. ثم يتطلق، فيما يخص السيّد قدو غيرمانت، مدّ جليد من عبارات واكتّما هي ابنة عمّ لـ«اأوريان»، وهي كلمات تبدو وكأنّها تولّر للسيّد قدو غيرمانت، في كلّ من جمله الفائدة نفسها التي توفّرها بعض الشوت المريحة لشعراء الرومان لأنّها تزرد أبياتهم السناسية المقاطم بتمعلية مناسبة (⁴⁸⁾.

على أن انطلاقة وولكتما هي ابنة عم آداوريانه بنت على الأقل طبيعة دماماً في انطباقها على الأمرة ادو غيرمانت، التي كانت بالفعل شديدة القرأى من الدوقة. ولم يكن بيدو أنَّ السغيرة تحبّ تلك الأميرة، فقد فقالت لي بعدوت خافت تماماً؛ وأنها خبية لا المستجمعات الدفة، وتلك شهرة مغتصبة، وأضافت فقالت لي بعدوت خافت تماماً؛ وأنها خبية الإسماء الدوي والإسمان والتصميم، ووأنها لتوجي إليّ على أيّ حال بفور دويها، ولكن المعرود غالبه عالى أبعد من ذلك بكثير إذ ترى الديئة و دو غيرمانت، من واجبها أن تقول وعمتي، غالباً ما كانت تمتد إلى أبعد من ذلك بكثير إذ ترى الديئة وعن فيهم الدعن متر، تماماً كما هي أن المسابقة على أن توزع جيادورة أميراً، أي أمير، مبين أن توزع جيئة الثالث، شأن جدّ السيّدة ودو غيرمانت، التي تدعيا قبل باتسانة أموميّة. ولكن المبارع عن المراحة ودو غيرمانت، التي تدعيا قبل باتسانة أموميّة. ولكن يهما كنا يهم المراحة المنا كنا يوفرانها أي المنتفى المستفاحية، منذ أوّل كان يهمني ماصى أن يكون فاطولته يه نظر السيّد ودو غيرمانت، والسيّد ودو بوسيوفوي»، فما كنت كان يهمني ماصى أن يكون فاطولته يه نظر الشيّد وو غيرمانت، والسيّد ودو بوسيوفوي»، فما كنت أميره من قبل أما نقم لل يكن المن فل الأحاديث التي يتبادلانها بهذا الشأن إلا عن مته شمية. كانا يوفرانها في الميدا المنا المنا والمورو وهي حقائق قبليلاً ما تنقصل عن أبحث في يلمحاديث أن يلومونها أن يتمونها، كما أحد فراهم حتى يمكنهم أن يتلوقوا فيها الجمال اللذي كنت أقوم دخصيا باستخلاصه عنها.

كان الاسم يذكر أحياناً بواقعة خاصةً، بناريخ أكثر منه بسلالة. فمجنما سمعت السيّد «دو غيرمانت» يذكر بأنّ والدة السيّد «دو بهروي» كانت من أسرة «شوازول» وجنّك من أسرة «لوساغ» خلتني أيصر مخت القميص العادي ذي الأزار اللؤلؤيّة السيطة هاتين اللخيرتين الرفيتين تقطران دماً داخل كُريّن من الكريمتال: قلب السيّدة «دويرالان» وقلب الدوق «دو ييرّي». كان ئمة أخرى أكثر إمتاعاً: الشمور الطويلة الناعمة للسيّدة «تاليّان» أو السيّدة «دو سايران».

وأحياناً لم يكن ما أرى محض ذخيرة. فقد كان السيّد ادر غيرمانت.» ، وهو أكثر اطلاعاً من زوجته على ما كان عليه أجداده، يحمل ذكريات تضفي على حديثه مظهراً جميلاً لمسكن قديم خطل من الروالع الفنيّة الحقيقيّة ولكنّة مليء بلوحات أصيلة المستوى فخمة يخلف مجملها مظهراً جليلاً. فحيضما سأل الأمير داغريجانت، لماذا قال الأمير س... في حديثه عن الدوق دومال دعميّع، أجاب السيّد ، و غيرمانت، قاتلاً:

^(#) بدا من المسير تقريب ماورد في النص من إشارة إلى الشعر اليونائي والمالايني حيث جاءت لفظتنا dactyle (وتبشي مقطماً يضم طويلة وقصيرتين)و Spondée و (وتعنى مقطماً يضم طويلتين) فاستبدلنا بهما التضيلات.

الأن شقيق والمدته والمدوقادو فو تتبيرغ، سبق أن تزوّج إحدى بنات الويس فيليب، حينماك تأمّلت مذخرة كاملة شبيهة بالتي كان يرسمها وكارباتشيوه أو دميملنغ، من العانة الأولى حيث تظهر الأميرة في احتفالات عرس شقيقها النوق «دورليان» وهي تلبس فسطان نزهة بسيط لتعرب عن استيائها إذ رأت مبعوثيها يردون على أعقابهم، وكانوا قد ذهبوا يطلبون من أجلها يد الأمير ددو سيراكوزه، إلى الأخيرة التي تقوم فيها من ولادة صبّى، هو الدوق ددو فورتنبرغ» (عمّ الأمير الذي تعشّيت وإيّاه منذ قليل»، في قصر «فانتيزي» هذا، وهو أحد الأمكنة الأرستقراطية، ارستقراطية بعض الأسر: فهي بدورها ترى على مدى أكثر من جيل أكثر من شخصية تاريخية ترتبط بها ؛ ففي هذا الأخير على وجه الخصوص تعيش جنباً إلى جنب ذكريات دوقة «بايروث، وهذ. الأميرة الأخرى الغربية الأطوار بعض الشيء هشقيقة الدوق ددورليان،) التي كانوا يقولون لها إنَّ اسم قصر زوجها يروق الأسماع، وملك والبافييره، وأخيراً الأمير س.، وكان يشكلٌ بالضبط العنوان الذي طلب منذ برهة إلى الدوق ددو غيرمانت، أن يراسله إليه، إذ كان قد ورثه ولم يكن يؤجرٌه إلا في أثناء عروض وفاغنر، للأمير «دُو بُولِينياك»، وهو متظرّف آخر ارتع. وكان الأمر واحداً كذلك حينما كان السيّد «دو غيرمانت» يضطّر في سبيل أن يوضح كيف أنه قريب للسيَّدة ١٥ار باجون، أن يعود بعيدًا جدًا إلى الوراء وببساطة عظيمة، عن طريق صلسلة ثلاث أو خمس جلات وأيديهنّ المتشابكة، إلى «ماري لويز» أو «كولبير»: فلا يظهر الحدث التاريخي الكبير عرضاً في جميع تلك الحالات إلا من خلف قناع مثوهاً مقلصاً في اسم عقار وفي أسماء امرأة اختيرتُ على نحو ماهي عليه لأنَّها حفيلة الويس فيليب، واماري أديلي، لابوصفهما ملك فرنسه وملكتها يل بمقدار ماخلفا ميراثاً بوصفهما جدّين. (نشاهد لأسباب أخرى في قاموس لآثار «بلزاك» لاتظهر فيه أكثر الشخصيّات شهرة إلا بحسب صلاتهم بـ الكوميديا البشريّة، نشاهد نابليون يحتّل مكاناً أقلّ بكثير من ٥راستينياك، ولايحتله إلا لأنه تحدّث إلى الأنسات «دو سان سيني»). كذلك الأرستقراطية، ببنائها الثقيل الذي تنفتح فيه نوافذ قليلة عجلب اليسير من الضوء، وإذ تَبرز القصورَ نفسه في الإنطلاقة ولكنّما إلى ذلك القوّة الكثيفة المعمَّاة التي تطبع الهندسة الرومانية، إنَّما تختبس التاريخ كلُّه وتسدُّ عليه المنافذ وتوليه عبوساً.

وهكذا أحداث مساحات ذاكرتي تفطيها شيئاً فشيئاً الأسماء التي تتراتب ويشكل بعضها بالنسبة إلى البعض الآخر وترابط فيما بينها بصلات أكثر فاكثر تعدّداً فتحاكي تلك الأعمال الفنيّة الكاملة حيث ليس من ضربة ريشة معزولة عن غيرها وحيث يأخذ كل جزء من الأجواء الأخرى علّة وجوده مثلما يفرض عليها علة وجوده.

وقد روت عقلية سفير تركيا، إذ عاد اسم السيّد ادو لوكسمبوره على بساط البحث، أنّ جدّ المرأة الشابّة (ذاك الذي كان يملك تلك الثروة الضخمة التي جاءته من الطحين والمجترئن) دعا إلى مأدية خلاء السيّد ادر لوكسمبوره فرضن هذا الأخير طالباً أن يوضع على المقلّف: اللسيّد...، طحّان، الأمر الذي أجاب عليه المجدّ بما يلي: وإنّما يزيد من اختمامي أن لم تتمكّن من الجيء، ياصديفي العزيز، أتنى كنت أستطيع الإنتهاج بلك في جوّ حميم، فقد كنّا صلّة صغيرة وما كان ليحضر المأدية سوى الطحّان وابد وأستهدا الله الرية المثيرة الذي الملّية المدين المبالد الدينة في أن يكتب عزيزي السيّد ادو

 ^(#) إشارة إلى أحد أمثال الشاعر الفرنسي الافرنتين، وهو بعنوان: «الطحان وابنه والحمار».

الكلمات الأولى إذ إن تسمية الطحَّان قد وضعت على نحو جليّ جلًّا لاستدراج عنوان مثل الافونتين. ولكنَّ في حيّ دسان چيرمان، من الغباوة ما يجد كلّ بها، حينما يزيد منها سوء الطويّة، أنّها كانت دضربة معلّم، وأنَّ الجدَّ الذي أعلن الجميع في الحال عن مصدر ثقة أنه رجل مرموق قد أبدى نباهة أكبر من صهر ابنه. وشاء الدوق ددو شاتيلُرو، أن يستغلُّ هذه الحكاية ليروي تلك التي سبق أن سمعتها في المقهى: 8كان الجميع يأوون إلى أسرتهم، ، ولكنّ الدوق أوقفته منذ الكلمات الأولى وبعدما نقل عن مطالبة السيّد ددو لوكسمبور، بأن ينهض السيّد دو غيرمانت، قدّام زوجته واحتجت قائلة: ولا، إنه سخيف جدّاً ولكن ليس إلى هذا الحدّه. كنت مقتنعاً في الصميم أن جميم الروايات المتعلقة بالسيّد ودولو كسمبور، كانت كاذبة على حدّ سواء وأتني سوف أسمع التكليب نفسه في كل مرة أجدني فيها في حضرة أحد المثلين أو الشهود. هلي أتى تساءلت إن كان تكليب السيَّدة ودو غيرمانت، ناجماً عن حرصها على الحقيقة أو عن اعتزازها بنفسها. ولكنَّ هذا الأخير تراجم أمام سوء الطوية لأنها أضافت تقول ضاحكة: القد منيت على أي حال بإهانتي الصغيرة أيضاً فإنه دعاني إلى العصرونية وهو راغب في أن يعرّفني بالدوقة الكبرى «دو لوكسمبور»، إذ هكذا يطيب له أن يدعو زوجته وهو يكتب إلى عمته. وقد أجبته بأسفى وأضفت: وأمَّا بشأن والدوقة الكبرى دو لوكسمبور، بين قوسين، فقل لها إن جاءت ازبارتي إنّي في منزلي بعد الساعة الخامسة من كل يوم حميس، بل لقد لحقت بي إهانة ثانية. فقد هتفت إليه وأنا في االلوكسمبوره أن يجيء ويكلمني على الهاتف. ولكن سموّه يزمع أن يتناول غداءه، قد انتهى من تناول غدائه، وانقضت ساعتان دونما نتيجة فلجأت حينذاك إلى وميلة أخرى: هل تكرّمت بأن تقول للكونت دو ناسوً، أن يجيء ويكلمني أه وأسرع في الدقيقة نفسها وقد استثرته في الصميمة. وضحك الجميع من حكاية الدوقة ومن أخرى مشابهة، يعني من أكاذيب، إني مقتنع بذلك، لأنني لم التق يوماً رجلاً أشدُ ذكاء وأفضل وأوفر رهافة، ولنقل الكلمة الفصل، أكثر روعة من هذا المدعّو الوكسمبور - ناسوَّه. وسوف نرى ممّا يلي أنني أنا من كان على حقّ. على أنّه يجدر بي الاعتراف بأن السيّدة دو غيرمانت، قد جادت بجملة لطيفة وسط كل دغلاظاتها،

 - دأو رئيسان، يفيض ظرافة، ولديه من بورثه إياها فإنّ والدته من آل «موننجو» إنّه على غير مايرام هذا المسكين «أورنيسان».

وقد كان لهذا الاسم فضل قطع دابر الأفيات التي كانت ستنوالى إلى مالانهاية. فقد أوضع السيّد دهو غيرمانت، بالفعل أن جدّة السيَّد دورونيــان، الثانية كانت شقيقة دماري دو كاستيبي مرشحوه وزوجة دنيـمولـيون دو لورين و وعمة وأوريانه بالتيجة. وبذلك ارتذ الحديث إلى الانساب فيما كانت سفيرة تركيا المعترهة تمهمس في أذني: وهيدو المسائلة المهناح ذلك فل أحدى المسائلة المهناح ذلك فل أحدى المسائلة المهناح ذلك فل المسائلة المسائلة المسائلة المسائلة المسائلة المسائلة المسائلة المسائلة المسائلة وعلى ابنك، وبعد، لذن كان شدق رحل شفف يوماء على المحرى، بعب النساء حصوا فقد كان بالتأكيد المدوى ودو غيرمانته. لا ولكن الشعائلة وعكس الحقيقة الذي يؤخل بسناجة إنها كان بالنسبة إلى السفيرة بمثابة الرسط الحيوي الذي لا يمكنها اللحرك خارجه. وإن شقيقة ومهميهه الذي ينقرئي في الصميم لأسباب أخرى وما كان يحييها كأورة ميال المسائلة وعكس المراق قليه والمدون على المسائلة وعكس المسائلة للمسائلة والمسائلة المسائلة والمسائلة المسائلة المسا

ولكنَّى لم أجب السفيرة بغية سماع الأنساب. ولم تكن كلها ذات شأن بل لقد اتَّفق في أثناء الحديث أنَّ إحدى للصاهرات اللامتوقِّعة التي اطلعني عليها السيَّد. (دو غيرمانت، كانت زواجاً غير متكافَّع لمكنّه لايخلو من روعة إذ قرن في العهد الملكّي الذي بدأ في تموّز الدوق ددو غيرمانت؛ والدوق ددوفزنزاك، بالاينتين الفاتنتين لأحد رجال البحر المرموتين فأضفى على هذا النحو على الدوتنين الإثارة اللامتوقعة المنبعثة من ظرافة غرية في طابعها البورجوازي من عصر لويس فيليب في طابعها الهندي. أو أنَّ أحد آل دنوريوا، صبق أن تؤوج في عهد أريس الرابع عشر ابنة الدوق هدو مورتماره الذي كان لقبه الشهير ينعكس، في أقاصي ذلك العهد، على اسم ونوربواه الذي كنت أجده كامداً ويخيل إلى أنه حديث العهد وينحت فيه يعمق جمال ميدالية. ولم يكن أقلَّ الأسماء شهرة، في تلك الحالات، هو الذي يكسب فحسب من جَّراء التقارب، فقد كان الآخر، وقد أضحى عادياً من كثرة الألق، يدهشني أكثر فأكثر خلف هذا المظهر الجديد والأقل ذيوعاً مثلما يتمني أحياناً أن يكونَ الأكثر روعة من بين لوحات رَّمنّام خلاّب الألوان رِسمٌ خَطْ كله باللون الأسود. وما كان مردّ سرعة الحركة الجديدة الى يدو لي أن تلك الأسماء تتسم بها إذ تُقبل فتتخذ مكانها إلى جانب أخرى كنت ظننتها شديدة البعد عنها، ما كان مردّها جهلي فحسب ؛ فهذه التنفّلات التي كانت تقوم بها في ذهني لم تفعلها بأقلّ يسرأ في تلك العهود حيث كان اللقب دائم الارتباط بالأرض فيتبعها من أسرة إلى أخرى حتّى إنّى كنت أستطيع على سبيل المثال، داخل البناء الإقطاعي الجميل الذي يؤلفُه لقب دوق ونومور؛ و دوق وشوفروز؛، أن اكتشف على التوالي أفراداً من آل دغيز، وأميراً من ال «سافوا»، وأخرين من آل «أورليان» و«لوين» يقبعون وكأنَّما في دار مضيافة لأمثال «بيرنار» الناسك. وأحياناً يظلُّ العديد منهم يتنافسون على قوقعة واحدة: فعلى أمارة وأوراَغِ، الأسرة المالكة في البلاد المنخفضة والسادة «دو مايي – نيل»، وعلى دوقيّة «برابان» البارون «دو شارلوس، والأسرة المالكة في بلجيكا، وآخرون غيرهم ما أكثرهم على ألقاب أمارة ونابولي، ودوقيَّة وبارما، ودوقيّة وربجّيو، ويتّفق العكس أحياناً، فالقوقعة قد خلت منذ زمن بعيد جدّاً من ملاكها الذين طواهم الموت منذ عهد بعبد إلى حدَّ أني لم أنتبه في يوم أن اسم القصر هذا أو ذلك كان يمكن أن يؤلُّف في فترة هي بإجمال القول غير بعيلة جدًّا اسم إحدى الأسر. من ذلك أنّي، فيما كان السيَّد ٥دو غيرمانت، يجيب عن سؤال للسيّد دو مونسيرفوي: الا، لقد كانت ابنة عمّى ملكيّة مهووسة، فهي ابنة المركيز دو فيتيرن، الذي قام بدور لايستهان به في حرب الشوان،، حلّ بي لدى رؤية اسم «فيتيرن»، هذا الذي كان في نظري اسم قصر منذ إقامتي في «بالبيك»، يضحي مالم يخطر لي البَّة أنَّه يمكن أن يكون، أي اسمأ لأسرة، حلّ بي مايحلّ من دهشة في مشهد خوافي تلبُّ فيه الحركة في أبراج صغيرة وفسحة درج فتضحي أشخاصاً. وبمكننا أن نقول بهذا المعنى إن التاريخ، وحمَّى تاريخ الأنساب حصراً، إنَّما يعيد الحياة إلى الأحجار العتيقة. لقد كان في المجتمع الباريسيّ أناس لعبوا فيه دوراً مرموقاً ولاقوا فيه بداعي أناقتهم أونباهتهم ودّاً أكثر من الدوق دمو غيرمانت، أو الدوق ادولاتريمواي، وكانوا بمثل كريم محدهما. وأليوم لقهم النسيان لأن اسمهم الذي لم يعد يسمع البُّنَّة بِمَا أَنْهُم لَم يَخْفُوا ذِرِية إنِّما يَتردُّد بَمِثَابَة اسم مجهول، ويظلُّ على الأكثر اسم شيء لا يخطر لنا أنّ نكتشف خلفه اسم بشر ويُطلق على قصر، أيّ قصر، على قرية بعيدة، وفي يوم قريب سوف يجهل المسافر الذي سيتوقّف في أقاصي مقاطعة (بورغونيا) في قرية (شارلوس) الصغيرة بنية زيارة كنيستها أن اسم «شارلوس» هذا كان اسم رجل ماشي أعظم الرجال. وذكّرتني هذه الفكرة بأنّه ينبغي لي أن أرحل وأن ساعة موعدي مع شقيق السيَّد (دو غيرمانت، كانت تقترب فيما أنا أصغى إلى حديثه عن الأنساب. وتابعت التفكير في نفسي قاتلاً: من ذا يعلم إن كان وغيرمانت، سوف بيدو ذات يوم بدوره شيئاً مختلفاً عن اسم المكان، إلا في نظر علماء الاثار الذين توقَّفوا صدفة في ٥كومبريه، وسوف يتوافر لهم أمام زجاج «چيلبير لو موفيه، الصبر للاستماع إلى خطابات خلف اليودور، أو قراءة دليل الخوري. ولكن الاسم العظيم إنَّما يستبقي اللين حملوه، مادام بعد لم ينطقيه، في دائرة الضياء. وليس من شكُ أنَّ الأهميَّة التي كانت توفَّرها لناظريَّ، في قسم منها، شهرة تلك الأسر أنك تستطيع انطلاقاً من يومنا هذا أن تتابعها بالارتفاع درجة فدرجة حتى مابعد القرن الرابع عشر وأن تعشر على مذكرات سائر جدود السيّد «دو شارلوس» والأمير ّ «داغريجانت» والأميرة «دو بارماه ومواسلاتهم في ماض ربّما حجب فيه ليل دامس أصول أسرة بورجوازية وفيه نميزٌ خلف الارتسام المضيء الراجع لأحد الأسماء منشأ بعض السمات العصبيّة وبعض العيوب وفساد هذه الفئة أو تلك من آل وغيرمانت، واستمرارها جميعها. وإنَّهم ليثيرون، وهم يشبهون تقريباً على نحو مرضيّ جماعة اليوم، يثيرون من قرن إلى قرن اهتمام مراسليهم انحافر سواء أكانوا سابقين للأميرة البالاتينية والسيَّدة «دو موتفيل» أو جاؤوا بعد الأمير ددولينيي.

كان فعرلي التاريخي ضعيفاً على أي حال إذا ماقور، بالتمة الجمائية. فقد كان من شأن الأسعاء المذكورة أن تعرّي مدعوي المدوقة الذين أحالهم فناع الجمد والغباء أو الذكاء المادي أثاماً، مطلق أناس عادين، فلكاتي حفلت على حجيرة الردهة في أقاصي عالم الأسعاء المسحور لا على عتبته كما سبق وضول إلى قد نخلف الأمير وداخ يهات، ما أن سمعت أن والبته كانت من أمرة ودامار، وحفيلة الدوق دو موهين، من الهيئة والأفوال التي كانت مخول دون أن أعرقه، وكأنما من رفيق كميائي غير سعتمر، وراح يواف من الهيئة والأفوال التي كانت عن محض الأقلب مركباً أكثر روعة بما لايقامي. كان كل مماهم تخول من حركه اجتلاب آخر له ما الوتب أن أي قارة تجمعه إليه يهجر المكان الثابت الذي كان يشغله في مداغي حيث كسته العادة اولاً كامياً ويرح بلحق بال وموريدارة أو آل وميزوارة أو آل وموريونه ويرسم معهم غرباً ربيعة المحادة اللهب لذلك والتي كان يلنني فحسب أنه مزيط بها غذيباً جبيلاً عادياً المجيلة التألية وعادت كانت أعتفيح على هيئة ملك

حكيم أو أميرة مشهورة كوالد هنري الرابع أو الدوقة 3دو لو نغفيل. و وكا لم تكن أيَّة بقيّة من خيرة ماديّة وضحالة مجتمعية تضخّم في نظري ثلك الوجوه، وهي مختلة في ذلك عن وجوه المدعوّين، فقد كانت تلبث بخطوطها الجميلة والوائها المتغيرة مجانسة لتلك الأسماء التي كانت تنفصل على فترات منتظمة، كلّ بلون مختلف، عن شجرة عائلة وغيرمانت، والامكر بأيّة مادّة غربية وعائمة البراعم الشفّافة المتعاقبة المصدّدة الألوان التي كانت تزهر على كلا جانبي الشجرة الزجاجية مثلما جداود يسوع على زجاج» 1جيسيّه الملوّن المتيّق.

كنت قد وددت مراراً وتكراراً أن انسحب وذلك، أكثر مني لأي سبب آخر، من جراء الشامة التي يفرض حضوري طابعها على هذا الاجتماع، مع أنه واحد من تلك التي كثيراً ما تصرّرتها بالغة الجمال، ولمله كان دونما شك كنيراً ما تصرّرتها بالغة الجمال، ولمله كان دونما شك كلد على الاجتماع، مع أنه واحد من يحت المنافرات المنافرات التي اجتمعوا بعدما بغادو الفترس المكان، من أن يؤلفوا أعبيرا لعبة سرية. موف يستطيعون الاحتفال بالأسرار التي اجتمعوا من أجل إقامة طقوسها الأقهم لم يفعلوا بالطبع للتحدث عن دفران هائرة أرع كل المتحدث عنهما على نفو من المؤلف الأنهي كنت حاضراً، لاحلك في ذلك، في المنافرة المنافرة المؤلفات المنافرة المنافرة والمنافرة والمنافرة عن عامل كن أرجل الدي كنت أبني تنفيذه في كل لحظة فيؤنين صباء أنها المنافرة على أن ذلك الرجل الذي كنت أبني تنفيذه في كل لحظة إنام كان المنافرة من المنافرة في غير سمي وسائل احتفال ماكان يختلف المتلاف عمل تعرف على الورة المنافرة المنا

أفحقاً لمثل أعشية من نمط هذا الأخير كانت تترّين كلّ هذه النساء ويوفضن السماح لبورجواليّات بالدخول إلى صالانهن المثلقة إلى هذا الحدّ؟ لأعشية من نمط هذا الأخير؟ وهي واحدة لو كنت غالبًا؟ وداخلني لحظة من ذلك ارتياب ولكنّه كان مستحيارً إلى أبعد الحدود وكان محصّ الحصّ السليم يمكنّني من استماده. ثم إنّي لو أعدّت به فما الذي كان بقي من اسم «غيرمانته وقد دبّ فيه البلي منذ «كومبريه»؟

كان من اليسير إلى درجة غربية على أيّ حال إرضاء تلك الفتيات الزهرات على بد شخص آخر بل كنّ هن راغبات في إرضائه، ذلك أنْ أكثر من واحدة من اللولتي لم أوجّه إليهينّ في كامل الأسمية إلاّ جملتين أو ثلاثاً أعجلني غباؤها أصرون قبل مفادرة الصالة على الجيء ليقان لي، وهنّ يعدّلنن إليّ بعيزتهنّ الجميلة الناعمة فيما يوفعن شريط زهور الأوركيذا الذي يلفّ صدوهنّ، آية متمة شديدة أصبن من تعرفهن في ويحلّنني عن رغبتهنّ وفي ترتيب شيء ماه بعدما يكنّ قد «حلّدن يومهن» مع السيّدة ودو غيرمانت، وذلك تلميح من خلف ستار إلى دعوة عشاء.

لم ترسل أي من تلك السيدات الزهرات قبل الأميرة «دوبارما». فقد كان وجود هذه الأخيرة – إذ ينبغي ألا يمضي أحد قبل إحدى صاحبات السمّو – واحداً من السبين الملقين لم أفطن لهما واللذين ألعت المدوقة من أجلهما كلّ هذا الإلحاح لكي أبقى. وما أن نهضت السيّدة «دو بارما» حتى كان مايشبه الخلاص. فبعد ما نست كلّ السيدات ركبتهن أمام الأميرة التي أنهضتهنّ، نلن منها عبر قلبة، وكاقبما نلك بركة طلبتها جائيات، الإذن في طلب معطفهن وخدمهنّ، وكان من جرّاء ذلك أمام الباب ما يشبه تلاوة مهترقة لأسماء كبيرة في تاريخ فرنسه. وكانت الأميرة «دو بارما» قد منعت السيّدة «دو غيرمانت» من النزول لمرافقتها حتى الردمة مخافة أن تصاب بالبرد فكان أن أضاف الدوق يقول: «هيًا يا «أوريان»، بما أن سيّدتي تأذن بذلك، وتذكّري ما قاله لك الدكتورة.

داعتقد أن الأميرة دور بارماه قد سعدت جدًا بتناول المشاء سعاه . كنت أعرف العبارة، وقد اجماز الدوق كامل الصالة كي يأتي وينطق بها في حضرتي بلهجة لطونة مشبعة بما يقول، وكاتما يسلمني شهادة أو يقدّم لمي معجات محمصة. وشعرت من المسرة التي كان ييدو وكاته يحرّم بها في تلك المنطقة والتي كانت تصفي على وجهه تعبيراً مؤقتاً من العذوبة المديدة أن نوع الاحتمامات التي يمثّلها ذلك في نظره كان من تلك التي قد يفي بها حتى آخر لحظة في حياته شأن تلك الوظائف الفخريّة السهلة التي يظلّ المرء يحفظ بها حتى في

وفي اللحظة التي كنت أزم فيها الذهاب عادت إلى العمالة وصيفة شرف الأميرة وقد نسبت أن همل معها أزهار قرنفل بديمة ورد بارماء كانت وصيفة المزهار قرنفل بديمة وردد بارماء كانت وصيفة الشرف محمرة الرجمة الرجمة الرجمة الرجمة الرجمة الرجمة الرجمة الرجمة الرجمة المحمدة المجموعة كانت كانت مداده الأحيرة تجري المجموعة ما كانت تستطيع تمالك نفاد صبرها إزاء محافة وصيفتها. والمثلل فقد كانت هذه الأحيرة تجري بسرعة حامالة أزهار الفرنفل، ولحكاما، بنية الاحتفاظ بعظهر الارتباح والممازحة لديها، أقلت هذه الكلمات وهي تعرّ أمامي: ولري الثيرية التي متاخرة وتورد أن نكون فدينا، ومعنا أزهار الفرنفل مع ذلك. أنا لست بالطبع عصفوراً صعنواً ولايمكنتي أن أكون في أمكن واحدة.

لم يكن سبب الإحجام عن القيام قبل إحدى صاحبات السبق الوحيد للأسف. فلم استطع النحاب في الحال إذ كان ثمة سبب آخر قوامه أن ذلك البذخ المشهور والجهول لدى آل و كورفوازيه، والذي كان أل و فيرمانته للصعوف أو نصف الفلسين يجيدون إمتاع أصحابهم به لم يكن محض بدخ مادي ولكنه كان أل و فيرمانته المنصوف أو كن المنافقة ولكنه أقول واثنة وأعمال لمليئة ويجمل أنافة كلامية يفلوها فراء داخلي حقيقيّ. ولكن بما أنّ هذا البراء يظار دون استعمال في بطالة وبحمل أنافة كلامية يفلوه المنافق المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة للدي لمنافقة المنافقة المنا

يبني أن تصلّله الوعود كثيراً، وهي أبحث نشوة في النفس من أيّ وعد سممه في يوم، تنطق بها تلك النسوة اللواتي يشعرن شموراً ما أشدّه بمذوبة إحدى اللحظات فيجعلهن منها بنعومة ونبل خجهلهما المخلوفات الماديّة رائمة مؤرّة من الظرافة والطبقة ولايظلّ لديهن شيء يهبته من فواتهنّ بعدما تحلّ لحظة أخرى، فودادمن لابيقى بعد الحمامة التي تمليه، وإنَّ رهافة الفكر التي قادتهنّ أقالك إلى استدغاف جميع الأمور التي كنت راغباً في سماعها وإلى اسماعك إياها سوف تمكّنهن كذلك بعد بضمة أيام من الوقوف على مواطن الهزء فيك فيضحكن منها آخر من روارهن يتذوّقن بصحبته إحدى نلك «اللحظات الموسيقيّة» التي تتُسم بالقصر الشديد.

وفي الردهة التي طلبت فيها إلى المحبّد، حذاهي الثلجي الذي كنت قد أخذته بدافع الحيطة من الثلج، وقد مبق أن تساقطت منه بعض رقع سرعان ما استحالت أوحالاً، دون أن انتبه إلى أن في الأمر قلة لياقة، شمرت من جراء ابتسامة متعالية صدرت عن الجمهيم بخيل بلغ أعلى درجاته حينما تينت أنَّ السيّدة فوه بأرماه لم ترحل وكانت تراني انتما حدالي المطافئي الأميركي. وعادت الأميرة إلى وصاحت قائلة، دأودا بالفكرة الجميلة، وكم هي عملية إليكم رجلاً ذكياً، وقالت لوصيفتها، فسيّدي، بينهي أن نبتاع ذلكه، فيما كانت سخية الخدم تقلب إجلالاً ويسارع المدعون من حولي كني يستفسروا مني أين أمكن أن أهر على على هذا الغرائب. وقالت في الأميرة: دفيفضل هذا لمن يصيبك ما تخشاء حتى وإن عادت إلى الإثلاج

وقاطعتها وصيفة الشرف بلبهجة حاذقة: «يمكن لسمّوك الملكّي أن يطمئنّ بهذا الشأن فلن يعود الثلج إلى التساقط».

وسألت الأمرة ددر بارماة الرائمة بالهجة حادّة، وكان غباء وصيفتها يفلح وحده في أزعاجها: دوما عساك تدرين عن ذلك ياسيّدتي؟؟

- وأستطيع أن أثركد الأمر لسمّوك الملكي، لايمكن أن تعود إلى الإللاج ففي ذلك استحالة ماديّة.

– دولماذا ؟ه .

~ الايمكن أن تعود إلى الإثلاج فقد قاموا باللازم لذلك: لقد رشوا الملح على الأرض،

ولم تلاحظ السيّدة الساذجة غضب الأمرة وابتهاج الآخرين لأنها قالت لي بابتسامة وديمة دون أن تأخذ في حسابها انكاري فيما يتّصل يأمير البحر دولا غرافيره: دوماهمّ على أيّة حال؟ لابدّ أنَّ للسيّد قدماً بخارة، والأصيل يعمل بأصله:

بعدما صحب السيّد دو غيرمانت، الأميرة دور بارما، قال لي وهو يأخذ معطفي: دسأساعدك على دخول فشرتك، وما كان حتى يتبسّم وهو يستخدم هذا التعبير لأنَّ أكثرها عاسّة قد أصبح من جرّاء ذلك، وبسب تكلّف آل «غيرمانت» البساطة، ارستقراماياً.

ولمًا كانت الحماسة الأنفضي إلاّ إلى الحزن لأنّها كانت متصنّمة فإن ذلك هو ما أحسست به، وإن على نحو يظير تماماً حال السيّدة «دو غيرمانت»، بعدما خرجت في نهاية المطاف من منزلها، داخل العربة التي كانت تزمع نقلي إلى فندق السيّد «دو شارلوس». فلك أنّنا نستطيع باختيارنا أن ننصرف إلى إحدى قوّتين، أولاهما ترتفع من ذاتنا وتصدر عن الطباعاتننا العميقة، والثانية تجيئنا من الخارج. فالأولى مخمل بالطبع معها فرحاً، ذاك الَّذي تبعثه حياة المبدعين. أمَّا التَّيار الثاني الذي يحاول أن يدخل فينا الاضطراب الذي يهزّ الأشخاص الخارجيّين فلا ترافقه المتعة. ولكنّنا نستطيع أن نضيف إليه متعة عن طريق الارتداد وبنشوة متكلّفة إلى حدّ أنها سرعان ما تنقلب مللاً وحزناً. ومن هنا ذاك الوجه المتجهّم الذي يميزُ الكثيرين من رجال المجتمعات ومالديهم من الحالات العصبيّة الكثيرة التي يمكن أن تبلغ حدّ الانتحار. وقد كنت داخل العربة التي تقودني إلى منزل السيَّد ٥دو شارلوس، فريسة هذا النوع الثاني من الحماسة وهي مختلفة تماماً عن تلك التي يخلُّفها فينا انطباع شخصي كذلك الذي وافاني داخل عربات أخرى: فمَّرة في ٥كومبريه، داخل عربة الدكتور وبيرسبيه، التي أبصرت منها قبتَى أجراس «مارتنفيل» ترتسمات في الغروب ؛ وذات يوم في «بالبيك؛ داخل عربة السيَّدة ٥دو فيلباريزيس، وأنا أحاول تمبيز الذكرى التي يحملها إلىُّ ممرّ مشجّر. فأمَّا ما كان قبالة عيني فكري في هذه العربة الثالثة فالأحاديث التي سبق أن بدت لي مملّة إلى هذا الحدّ في عشاء السيّدة ٥دو غيرمانت، كقصص الأمير «فون» مثلاً عن امبراطور ألمانيه واللواء «بوتا» والجيش الإنكليزي. لقد قمت بوضعها في المنظار المجسّم الداخليّ الذي نضفي بروزاً عبره، منذ اللحظة التي لم نعد فيها ذواتنا، ومنذ اللحظة التي نتخذ فيها نفساً مجمعيَّة فلا نبغي أن تجيئنا حياتنا من بعد إلا على يد الآخرين، نضفي بروزاً على ما قالوا وعلى ما فعلوا. وكمثل رجل ثمل يفيض رقة مشاعر إزاء نادل المقهى الذي قام على خدمته أخلت أذهل لسعادتي التي لم أشعر بها بالحقيقة في اللحظة ذاتها، سعادتي أن تناولت عشائي مع رجل كان يعرف حقّ المعرفة وغليوم الثاني، وقد روى عنه نوادر تُتسم صدقاً بالظرف. وإذ تذكّرت، بالإضافة إلى نبرة الأمير الألمانية، قصَّة اللواء (بوتاء أخذت أضحك بصوت عال كما لو كانت هذه الضحكة ضروريَّة لتلك القصَّة من أجل تدعيم مواطن الهزل فيها شأن بعض ضروب التصفيق التي تزيد من الأعجاب الداخليّ. حتّى ما سبق أن بدا لي من أحكام السيَّدة ددو غيرمانت، متَّسماً بالغباء (حول دفرانس هالزه مثلاً الذي ينبغي أن تراه من حافلة ترام) أخذ يكتسب حياة وعمقاً حارقين. ولابد لي أن أقول إنَّ هذه الحماسة لم تكن مطلقة الحماقة وإن تهاوت بسرعة. ومثلما يمكن أن تسعدنا ذات يوم معرفة المرأة التي كنّا نزدريها أكثر ما نزدري إذ يتَّفق أن تكون على صلة بفتاة تخبُّها ويمكن أن تعرّف بنا وتيسّر لنا على هذا النحو القائدة والمتعة، وهما أمران لعلنًا ظنناها خلت منهما إلى الأبدء فليس من أقوال ولا من علاقات يمكن أن نوقن أنّنا لنّ تستخلص منهما يوماً شيئاً ما. إنّ ما قالته لي السَّدة دو غيرمانت، حول اللوحات التي ربُّما بنا مفيناً أن نراها حتَّى من حافلة ترام كان خطأ ولكنَّما يحوي جزءاً من حقيقة كان بالنسبة إلىَّ كبير الأهمية فيما بعد.

وكذلك كانت أبيات وفيكتور هوغوه التي ذكرتها لي، ولابدٌ من الإقرار بللك، من فدرة سابقة لتلك الشهد وكان من فدرة سابقة لتلك الشهد والميد و

ولكن بدون فكرة ا؛ وكانت ٥ فكرُّ، فيكتور هوغو تلك (وهي غائبة تقريباً في ٥ أسطورة القرون، غياب ٥ الأنغام، ، غياب والألحان؛ في طريقة وفَاغنر، الثانية) هي التي كانت السيَّدة ١٥ و غيرمانت؛ مخبَّها في طريقة ١هوغو، الأولى، وما كانت على ضلال مطلق. فقد كانت مؤثّرة، وكان تدّفق الكلمات الكثيرة والقوافي الفنيّة المخارج من حولها، ودون أن يكون الشكل قد اكتسب بعدّ العمق الذي لن يبلغه إلاّ فيما بعد، يجلها غير شبيهة بتلك الأبيات التي يمكن اكتشافها لدى أمثال «كورنبي، على سبيل المثال حيث لم تنفذ رومانتيكيّة متقطعة مكتومة، وهي لذلك أكثر تأثيرًا فينا، لم تنفذ مع ذلك إلى منابع الحياة المادّية ولم تغير الجسم اللاواعي القابل للتعميم الذي تقبع فيه الفكرة. وقد كنت لذلك غير محقّ في الاقتصار حتّى ذاك على مجموعات •هوغو، الأغيرة، كان حديث السيّدة «دو غيرمانت، لايزدان بالحقيقة إلا بجزء زهيد من الأولى. ولكنّك إذا ذكرت على هذا النحو بيتًا معزولًا فإنَّما تضاعف بالضبط عشر مرَّات قوَّة الجذب فيه. وإنَّ الذي ولج منها ذاكرتي أو عاد فولجها في أثناء ذلك العشاء إنُّما كان يمغنط بدوره ويستدعى إليه بقرَّة عظيمة المقطوعات التي تعوَّد أن تضمة إلى حدُّ لم تستطع معه يداي المكهربتان أن تقاوم أكثر من ثمان وأربعين ساعة القوَّة التي كانت تقودهما إلى المجلَّد الذي جُمعت فيه االشرقيَّات، واأناشيد الشفق، ولعنت خادم افرانسواز، الخاصُّ أن أهدى مسقط رأسه نسختي من وأوراق الخريف، وأرسلتُه ليبتاع أخرى دون إضاعة لحظة واحدة. وقرأت هذه المجلّدات من أزَّلها إلى آخرها وماعدت فوجدت الطمأنينة إلا حينما أبصرت فجأة الأبيات التي ذكرتها لي السيَّدة ددو غيرمانت، وهي تنتظرني في الضياء الذي غمرتها بها. كانت المحادثات مع الدوقة تشبه، من جرًّاء كامل تلك الأسباب، تلك المعلومات التي نستقيها من مكتبة قصر متقادمة العهد ناقصة عاجزة عن تكوين العقل ومجرّدة تقريباً عن كلّ مانحبُّ ولكنّها تقدّم لنا أحياناً إحدى المعلومات الغربية وحتّى استذكاراً لصفحة جميلة ما كنّا نعرفها ويسعدنا فيما بعد أن نتذكّر أنّنا مدينون في معرفتها لمسكن سيّدي رائع. ويغرينا إذ ذاك، لأنّنا وجدنا مقدّمة «بلزاك» لكتاب «الشارتروز» (** أو رساتل لم تنشر بعد لـ «چوبير»، أن نبالغ في تقدير الحياة التي قضيناها فيه والتي نسى طيشها العقيم مقابل هذا الحطُّ الذي أصبناه ذات مساء.

ولكن لم يستطح هذا المدام، من وجهة النظر هذه، أن يستجيب في الوهلة الأولى لما كان ينتظره خيالي وكان سيدهشني بالتألي في أول الأمر بما له من أسس مجمعه إلى جميع الموالم أكثر منه بما يختلف عنها فقد تكشف مع ذلك لناظري شيئاً فندياً على أنه متميز تماماً. إن الأسياد المظام هم الجماعة الوحيدة تقريباً التي يمكن أن تتعلم منها يقدر ما نعلم من الفلاحين، فحديثهم يزدان بكلّ ما يتملّ بالأرس وبالمنازل وكيفيّة مكناها بالأمس وبالمنادات القديمة وبكلّ مايجهله عالم المثال جهلاً عميقاً. فإن بلغ بأكثر الأرستمراطيّين اعتدالاً في مطامحه أن يلحق بالعصر الذي يعيش فيه فإنّ أنه وأعمله وجدات عماته يصلون بينه، حينما يتذكّر طفولته، وبين ما كان يمكن أن تكون عليه حياة مجهولة تقريباً في يومنا. ولمن السيدة ودو غيرمانت، ما كانت أدر كتمها ما كانت أدر كتمها في الحال. فقد كان يصدمها أن تبصر النساء في جنازة يختلطن بالرجال في الوقت الذي ينبغي أن يقام فيه الحال، فقد كان يصدمها أن تبصر النساء في الحال، وزما شك أن استخدامها كان وقفاً على الجزارات

[:]La chartreuse الدر محس وعنوان رواية مشهورة ا استنال.

بسب أشرطة البجلالة التي يتحدّنون عنها في محاضر المأتم فقد كان السيّد ودو غيرمات و لايزال بستطيع أن يذكر الزمن الذي شاهدها فيه، وهو طقل بعد، مستخدة في زفاف السيّد ودومائي – نبل و. وفيما كان وسان لو كله بلاع وحجرة نسبه الثمينة ورسوماً قليمة آلل وبيونه ورسائل لموس الثلث عشر لشراء لوحات لدكاريير وأثاثاً من طراز عصري، احتفظ السيّد ودو غيرمات، والسيّدة عقيات، يدفعهما ضور ربّه اكن فيه لدو المؤلف السيّد ودو غيرمات، والسيّدة عقيات، يدفعهما ضور ربّه الأولى والذي يوم محموعة أكثر إغراء لمين القان، ولمن العرب كذلك كان وجد فته في حديثهم الذي ربّما ألف في نظره – إذ الجائم لا حاجبة به إلى جائم آخر – قاموماً حيّا لكن العبارات لتي يزدك كل يوم نصانها: نظره – إذ الجائم لا حاجبة به إلى جائم آخر – قاموماً حيّا لكن ألزية، كا لاجتده من بعد إلا لدى أولئك الذين جدلوا من أنفسهم الحافظاء المتطرّعين على الماضي. وإنّ المتمة التي يدصّ بها كاتب فيما بينهم تربّل عبي مجائل عن الدعل إذ يحصل أن يحصب أن أمور الماضي تربّل عبي حدث ذاتها، وأن يقتلها على حالها إلى كتبه التي تموت في هذه الحالة منذ ولانتها وتبعث مالاً يتأسى عن عبقوله: وهذات بذلك الأحاديث الأرسقراطية تشم على أنها المينة ودومث على هذا النحوة . كانت تلك الأحاديث الأرسقراطية تشم على أنهال المينة ودومث أدتها بغربية على أنها إلى كتبه التي تموت كي على منال النحوة . كانت تلك الأحاديث الأرسقراطية تشم على أيّ حال في منزل السيّة ودومث أدتها بغربية على ضرعة أدتها بغربية على أنهاك إداء كاناه المنته على ويقد أدتها بغربية على أنهاك إداء ألله المذي من عد وبينغه .

كانت الحكايات التي سبق أن سمحتها في متول السيدة قدو غيرمانته، وهي مختلفة في ذلك تعام الاختلاف عما أمكن أن أحسّ به أمام أواهير الزعرور أو لدى تلوقي إحدى الكمكات، كانت على الرغم من كلّ شيء غرية عتي. لكاتها، وقد داخلتني لحظة، أنا الذي لم تستلكه إلا جسياً، لكاتها فرهي من طبيعة الجماعية وليس فردية كانت في عجلة للخروج مئي. وكنت أضعوب في المربة ثان إحدى المرافات. كنت انتظر مأدية عشاء جديدة أستطيع أن أضعي فيها بدوري من أمثال الأمير من ... والسيدة ودر غيرمائت وأن تعرف على المربق ثان أو ذكري إلى وقد غيرمائت وأن تصو مدتر غرق على المربق ثان أو ذكري إلى وقد جرفته على تصو مدتر غرقة أطول في عربة كنت أرغت المنفس فيها على أيّ حال عن قلة الحديث بالكلام بصوت عال وأن تضميا به مي حال وان يقد على وأن يقود غير على المربق ثان يقود لمي كلما بصوت عال وأن يعد بما يمكن أن يقود لمي أكلام بصوت عال وأن يعد بما يمكن أن يقود لمي أمكن عالم الوقت الذي مكنت فيه في صالة أدخلتني إليها خادم خاص وكنت على المورك أكثر أن نطوله في من أمده البي حد أتي أصبت بغيرة فاسية إذ حسبت أنْ سيد البيت اليت المنا المنا

⁽١١١) نسبة إلى «بيثيا» التي كانت تنبأ في معبد «أبراو» في «ذلفي».

الدعاجة إلى الكلام لاتحول دون الإصداء فحسب، بل دون الرؤية، وإنْ غياب أيَّ وصف للوسط الخارجيّ في هذه الدعالة إنما يؤلف مذ ذلك وصفاً لحالة هاخليّة. وكنت أوشك الخروج من العمالة لأحاول استدعاء أحدهم، فإن لم ألق أخداً فلاستدلال طريقي إلى الردهات والرجاء بأن يفتحوا لي حينما دخل خادم خاصّ، وهو بادي الاهتمام، في هذه اللحقة نفسها التي أقدمت فيها على النهوض والقيام بيضع خطوات على الأرض الخشية المقطمة قطماً صغيرة، وقال لي: دلقد شفل السيّد البارون بمواعيد حتى الآن، ولايزال ثمة عدّة أشخاص ينتظرون. سأبذل كلّ ما بوسمى كي يستقبل سيّدي وقد أرسلت من هتف مّرتين للسكرتيرة.

 - ولا، الاترجح نفسك، لقد كنت على موحد مع السيّد البارون ولكنّ الوقت نأخرٌ كثيراً وبما أنه مشغول في هذا المساء فسوف أعود في يوم آخره.

فصاح الخادم يقول:

- ولا، لايذهبن ميدي، فقد يستاء السيد البارون ؛ سأحاول مرّة ثانية،

وتذكّرت ما سبق أن سمعته عن خدم السيّد دو شارلوس، ومن تقانيهم في سبيل سيّدهم. لم يكن
يمكن أن يتال عنه تماماً، شأن الأمير دور كوتيي، إنه كان يحاول أن يروق الخادم والوزير على حدّ سواء
ولكنّه أحسن في أن يجسل من أقلّ الأمور التي يطلبها ضرباً من اللّه إلى حدث أله حينما كان يقول، وقد عثمات
حوله خداًمه على مسافة يفرضها الاحرام وبعدا يتقل فيهم نظراه: والشمعان اكواليها أه أو القميهم
التوركيها فإنّما كان الآخرون يتسجون وهم يدمنمون غيرة وبحدود هذا الذي ميزة الملم. بل كان تمنة
الثاناء وكانا متكارهين، يحاول كلّ منهما أن يخطف المنطوة من الآخر بالمادرة لأفقه حجة إلى إبلاغ المهاره
بالأمر، إن كان عسد قبل ذلك، عمى أن يكلف في هذا المناء مهمة الشمعان أن القميم. فإن وجه
الحديث مباشرة إلى واحد منهم لأمر لايناخل في نطاق الخديث، بل أكثر من ذلك إن هو قال في فصل الشاء
وفي الحديثة، وهو يعلم أنّ أحد حوثية بهاي من رضح، إن قال له بعد انقضاء عشر دقائق: وضع قبعكك، الم
يعد الآخرون يكلمونه على مدى خصمة عشر يوماً من باب الغيرة وسبب المثقة التي نالها.

وانتظرت عشر دفائق أخرى لم أدخلت بالقرب منه بعدما طلب إلى آلا أمكث طويلاً جناً لأنَّ السيّد البارون قد اضطر، من تدب، أن يصرف عند أشخاص من أكثرهم أهمية سبق أن حصلوا على موعد منذ أيام طويلة. كان ذلك الإخراج من حول السيّد ادو شاولوس، يبدو وكأنه يتسم بعظمة تقلَّ كبيراً عن بساطة أخيه وغيرمائت، ولكن الإسار كن الدين مستلقياً على أربكة. وقد وغيرمائت، ولكن المستق مستلقياً على أربكة. وقد أدهنني في اللحظة نفسها رئية قبعة رسميّة بدائمائي لمعات، على كرسي إلى جانب فراء وكأنما عاد البارون منذ قبل. وانسحت الخاص الخاص. وظنت أنَّ السيّد ادوشارلوس، سيتقدم نحوي. فحدق إلى بعينين قاسيتين عن منذ قبل. ينظم بعد الله المنافق المنافق أن أن أتخذ لنفسي حون أن يقوم بحركة واحدة. واقتربت منه وحيّته غلم بعد الليء ينا الضرورة أن ألبث وأقفاً. وقد فعلت كرسيًا. وسألته من المنفورة أن ألبث وأقفاً. وقد فعلت كرسيًا. وسألته من المنفورة في يته في الريف وفي قصر اشارلوس، أن يستلقى بعد العشاء، لمندة ما يحبً

أن يلعب دور الملوك، على مقعد في حجرة التدخين تاركاً مدعوِّيه وقوفاً من حوله. كان يسأل أحدهم ناراً ويقدُّم لآخر سيكارأ ثم يقول بعد بضع لحظات: «ولكن هيًّا اجلس يا «أرجنكور»، خذ كرسيًّا ياعزيزي، إلخه، وقد أُصرَ على إطالة وقفتهم لمحض أنّ بيرهن لهم أنَّ الإذن بالجلوس إنَّما بجيئهم منه. وأجابني بلهجة آمرة وبغية أن يرغمني على الابتعاد عنه أكثر منه ليدعوني إلى المجلوس: ١٥جلس في المقمد الذي من طراز لويس الرابع عشره. فأخلت مقعدًا لم يكن ببعيد. وصاح مستهزئًا: «آه! هذا ما نسميَّه مقعدًا من طراز لويس الرابع عشرًا أرى أنَّك شاب متعلمه. وأصابني من الذهول مالم أبرح معه مكاني، لا لأنصوف كما كان يجدر بي أنَّ أفعل، ولا لأبدَّل مقعدي مثلما كان بيغي. فقال لي وهو يزنُّ جميع الألفاظ التي كان يضع في مقدَّمة أكثرها وقاحة زوجاً مضاعفاً من السواكن: «ياسيُّد، إن الحديث الذي تنازلت فمنحتك إيَّاء تلبية لرجاء شخص يرغب ألا أسميه يشير إلى النقطة النهائية في علاقاتنا. ولن أكتمك أنني أمّلت أفضل من ذلك. وربّما مخاملت قليلاً على معنى الكلمات، وهو مالا يجلر أن نفعل حتى مع من يجهل قيمتها ولمحض احرام ذواتنا، إن قلت لك إِنَّهُ سَبِّقُ أَنْ دَاخِلْنِي بَعْضَ الْوِدِّ لِكَ. على أَنِّي اعتقد أَنَّ ﴿العَطْفِ﴾ بِمَا يَتَضمنَ من معنى الرفق الأكثر فعاليَّة قد لايجاوز لا ما كنت أحس به ولا ما كنت عازماً على الإعراب عنه. لقد سبق أن أبلغتك منذ عودتي إلى باريس وفي البالبك، بالذات أنَّك تستعليع الإعتماد عليَّه. أمَّا أنا الذي كان يذكر بأيِّ فلتة لسان فارقه السيد «دو شارلوس، في «بالبيك، فقد هممت بحركة تفيد الإنكار. فصرخ غاضباً: «ويحك!» وكان وجهة المتدنّج الشاحب يختلف بالفعل عن وجهه العاديّ بمقدار ما يختلف البحر حيتما تبصر في صبيحة عاصفة بدلاً من الصفحة المشرقة المعتادة ألف أفعى من رغوة وزبد، «تزعم أنَّك لم تتبلّغ رسالتي – وهي تقارب البوح – في وجوب أن تتذكّرني؟ فما الذي كان بمثابة نزويق حول الكتاب الذي بعثت به إليك؟٥.

فقلت له: دمشبكات منمقة في غاية الجمال،

فأجاب بازدراء: وأما معوقة الشبان الفرنسيين برواتع بلدنا يسبرة. ما عسى أن نقول عن برليتي شاب لايعرف الدفائلكريني؟ (80 ؟ ولابد على أبه حال ألمك نملك عينين لاتيمبر بهما بما ألمك قلب لي إلمك أمضيت ماعتين أمام هماء الرائمة الفئية. وإري ألمك لست أفضل خبرة في الأزهار منك في والطرزء. وصاح بلهجة حافقة حادة؛ ولاتختيج فيما ينحق الطرز المال ليسم لا يحتى لاتموث ما أنت جالس فوقه وفقام لمجري المركبة من من طراز عصر المدين بحالية كرسيّ من طراز لوس الرابع عشر. وسوف يحلّ إليك في يوم أنَّ ركبتي السيئة ودو فيلماريزس، هما المنسلة ولاتدري ما عساك نقعل بها. وأنت كذلك حتى لم تتمرّف في جلنة كتاب وبيرغوب، إفرية أزهار أذان الفار في كتيسة وبالبيك، فهل كان ثمة طريقة أكثر صفاء في أن أقول لك، ولا تتسني ؟ (1888)

كنت أتأمَّل السيّد (دوشارلوس». صحيح أن رأسه البديع، والذي كان بيمث الاشمعزاز في النقس، كان يرجع على رأس جميع ذوبه ؛ لكانّه وأبولونه هرم، ولكنّ زبداً بلون الزيتون صفراويًا كان يبدو وكانّه بوشك أن يطفر من فمه الشريّر. فأمّا الذكاء فما كان بمقدور أحد أن ينكر أنّ ذكاءه كان يشرف بغملة فرجار واسمة

^(*) La Walkyrie هي اليوم الثاني لرياعية وفاغره مستوحاة من قصص انبيلوننن، (**) الانتسنى، هو الاسم الأخر لزهر آذان الغار.

على أمور كثيرة رئما ظلّت على الدوام معهولة لذى الدوق (دو غيرمانت). ولكن أيّة كانت الكلمات المسولة التي يلوّن بها صنوف حقده فقد كنت خمسّ. وإن كان فيها شيء من الكبرياء المجروحة تارة، ومن الحبّ المخبّ أخرى أو ضغينة أو ساديّة أو مشاكمة أو فكرة ثابتة، كنت مخسّ أن هذا الرجل قادر أن يقتل وأن يقيم البرهان للموط المنطق والكلام المنشق أنّه كان محمّاً في أن يفعل ولا يقلل ذلك من نفوّقه مئة باع على شقيقه وزوجة شقيقه، إلىخ. إلىخ. إلى

وأضاف يقول: وركما هي الحال في وحراب الرسام وفيلاسكيرة فإن الغالب يقفكم بالتبجاه من كان المخطوات الأكثر اتضاعاً، ومثلما يجدر بكل بشر بيل، بما أتي كنت كلّ شيء ولم تكن شياً، فقد قمت أنا بالخطوات الأولى بالتجاهل. وقد استجبت استجابة حدقاء لما لا يقيع على أنا أن أسمية وفعة النفس. ولكنّي لم أدع لتربيني أن تنها، وي دنين يدعو إلى مؤلى الأناة، وأملى أنَّ ما أبديته أزاعك من طول أناقه صوف يحتسب في وأبي الم أقابل بغير الابتسامة ما يمكن أن يوصف بالوقاحة لو كان في متالك أن نبدي شيئاً منها تجاه من يفوقك بهذا المقدر من الباعات. على أي حال لم يعد ذلك مسألة بحث. لقد أخضتك للاختبار المذي والرجل المراز الوحيد في عالمنا، يدعوه بذكاء احتبار اللطف المقرط والذي يمان بحق أنّه من أكثرها قسوة والوحيد الذي يستطيع أن يقصل الحطة عن الزؤان. وأكاد لا ألومك على آلك لم نجتره بنجاح لأنّ المنين يفلمون فيه ظلمون جدًا. ولكنما مردي على الأقلّ، وتلك هي النتيجة التي يلني استخلاصها من الكلمات الأخيرة اللي منتبلها على هذه الأرض، أن أكون بسأمن من اختلاقاك واقترائك.

لم يكن قد خطر لي حتى ذلك أن يكون سب غضب السيد دو شارلوس، مقالة مسيئة نظوها إليه. وساطت الذاكرة ؛ ولم أكن قد كلمت أحداً عنه. لقد لفقها أحدا الأشرار جملة ونفصيالاً. وأكنت محتجاً لذى السيد دو شارلوس، أنني لم أقل شيئا على الإصلاق. ولا أحسب أنه يمكن أن أكون أغظتك بقولي للسيد دو شارلوس، أنني على صلة صداقة بك، وابتسم بتعال وارتفع بصوئه إلى أقصى درجانه وهنا أحد للسيدة دور غيرمانت، أنني على صلة صداقة بك، وابتسم بتعال وارتفع بصوئه إلى أقسى ورجانه وهنا أحد بلطف على أكثر النعمات ارتفاعاً وأشدها وقاحة وقال وهو بعود ببطء شديد إلى النبرة الطبيعية وكأنما به افتتان عارض لغرابة هذا السلم الموسيقي النازل؛

أواء ياسد، في اعتقادي ألّك تلحق الأذى ينفسك حينما قفر بألّك قلت إنّنا نربيط بصلة صداقة. لست أتوقع صحة لفظية كبيرة جبداً ثمن قد يتّخذ بسهولة قطعة أثاث من طراز وطبيندالي، بحثابة كرسي من طراز والروكوكو، وأضاف بقول بتنفيمات صوتية متزايدة السخرية يطفو منها على شفتيه ما يبلغ حدّ الإبساسة الرائمة: وعلى أتّي لا أحسبك قلت أو صدّفت أثنا نرتبط بصلة صدافقة أفاماً أن تكون بلهيت بألّك عُرفت بي وألّك مختلت إلي وألّك على معرفة قلبلة بي وألّك تلت دونما سعى تقريباً إسكان أن تكون يوماً في حمايتي فأتي أرى على المكن من الطبيعي جناً ومن قبيل اللذكاء أن تكون فعلت. إن فارق السن العظيم الذي بينا يخولني أن اعترف دونما سخرية تصييني أن هلا التعريف وهذه الأحديث ووهم بداية الملاقات هذا كانت بالنسبة إليك، ليس يجدر بي أنا أن أقول خرفاً، وإنسا أقله مكسباً أرى أنَّ غباوتك قامت لا على اذاعته بل على المعيد ألى الوضاء في باريس إلى تعرف تلوّل وهو ينتقل فجأة وللحظة من النفيب المصالي إلى تعومة تلوّلها كأبة عظيمة إلى حدّ أنني ظنته يزمع أن يأخذ في البكاء: «بل سوف أضيف أني، حينما تركت عرضي لك في باريس دون جواب، إنّما بدا لي الأمر لايصدّق فهما يخصُّك أنت الذي سبق أن تراءى لي حسن التهذيب ومن أسرة بورجوازية طيبة؛ (وكان لصوته أزّة وقاحة على هذه الصفة وحدها)، ٥-حتّى بلغت بي السلاجة أن أصدّق جميع المزحات التي لا تقع في يوم والرسائل المفقودة والعناوين الخاطئة. وإنِّي أقر بأنَّها كانت سذاجة عظيمة فيما يخصني، ولكنَّ القدُّيسَ «بونفانتور» كان يفضلُ أن يصدَّق أنَّ ثوراً يمكن أن يطير على إمكان أن يكذب أخوه. كلُّ ذلك قد انقضي على أيّ حال والأمر لم يحسن في عينك ولم يعد موضع بحث غير أنّه يبدو لي أنّه كان بامكانك، (وحقاً كانت الدموع تبلّل صونه) وإجلالًا لسني على الأقل، أنّ تكتب إلى. وكنت قد صمّمت بشأنك أموراً مغرية إلى مالاحدود حاذرت نماماً أن أقولها الله. وقد فضَّلت أن ترفض دون أن تعلم، وذلك شأنك أنت. ولكن، مثلما أقول لك، الكتابة ممكنة دوماً. ولعلني في موقعك، وحتى في موقعي، كنت فعلت ذلك. وإنِّي أفضل بسبب ذلك موقعي على موقعك، وأقول بسبب ذلك لأنَّى اعتقد أن جميع المواقع متساوية وإني لأودُّ عاملًا ذكيًّا أكثر من العديد من الدُّوَّة. ولكنَّ بمقدوري أن أقول إنِّي أفضل موقعي لأنّ مافعلته أعلم أني ما فعلته قط في حياتي كلها التي أخذت تبدو طويلة إلى حد ماه. (كان يدير رأسه في الظلام فلا أستطيع أن أبصر إن كانت عيناه تفيضان بالدمع مثلما يوحي بذلك صوته). هكنت أقول لك إتى قمت بمئة خطوة في ملاقاتك، الأمر الذي كان من شأنه أن دفعك إلىّ القيام بمتتى خطوة إلى الوراء. والآنّ جاء دوري في الإبتعاد ولن يعرف أحدنا الآخر من بعد. لن أحفظ اسمك، بل حالتك كي ألذكر في الأيَّام التي ربّما أغراتي فيها الاعتقاد بأن الناس يملكون قلباً ويتسمون بالتهذيب، أو يملكون الفعلنة فحسب في عِنْبُ السماح لَفرصة لاثانية لها بالإفلات منهم، أنَّى أضعهم أعلى موقعاً ثمَّا ينبغي. لا، أن تكون قلت إنَّكَ تعرفني حينما كان ذلك صحيحاً - إذ سيكف الأعر الآن عن كونه صحيحاً - فليس بمقدوري إلا أن أرى ذلك طبيعياً وإنى أعده بمثابة تكريم أي على أنه يشرح الصدر. ولكتك لسوء الحظ تفوّهت بأقوال محتلقة جداً في مكان آخر وظروف أخرى،

- وأقسم لك ياسيد ألتي لم أقل شيئاً من شأته إلحاق الإهانة بك.

فصاح بحتن وهو ينتصب بمنف على الكراسي الطويل الذي كان قد مكث فيه حتى ذاك لايدي حراكاً في حين كان موته يضبع على التوالي حاناً وضفيضاً كماصفة هائجة تصم الأذان، فيما تتأدى حيات وجهه الشاحبة المزيدة: وومن ذا يقول إلي أحسر في ذلك إهادة؟ و (كانت الشنة التي يتحدّث بها عادة والتي كانت تضطر الغزياء في الخارج إلى الالتفات تتضاعف مئة مرّة مثلما هي إشارة ويقوّه إن عوفتها الأوركستوا بدلاً من أن يعرفها البياتو وإن هي انقلبت فوق ذلك إلى إشارة ويقوّة كبيرته. لقد كان السيّد ودر شارئوس يزعق بأعلى صوته)، وأتحسب أنَّ من شأتك إهانتي؟ أفلا تعلم إذن إلى من تتحدّث؟ أو تظن أن الوبد المسموم يطلقه خمس مئة من الصبية أصدقائك الذين تكدّس بعضهم فوق بعض قد يفلح حتى في بل أصابع قدميًا؟ و.

كان قد أعقب منذ هنيهة رغبتي في إقناع السيّد دور شارلوس، النّي لم أسىء مرّة إليه ولاسمعت من يسيء إليه حنق مجنون مبعثة الأفوال التي كانت نمليها عليه، فيما أرى، كبرياؤه اللا محدودة. ورمّما كانت في جزء منها على أيّ حال نتيجة تلك الكبرياء. وكان الباقي بأسره تقريباً ينجم عن شعور كنت أجهله وما كان ذنبي إذن أنني لم أفود له حصتُه. لعلَّني كنت أستطيع على الأقلِّ، في تعذَّر وجود الشعور المجهول، أن أمزج بالكبرياء، لو أنني تذكرت أقوال السيدة «دو غيرمانت»، قليلاً من الجنون. ولكنّ فكرة الكبرياء لم تخطر حتى على بالى في تلك اللحظة. فلم يكن في صدره حسيما أرى سوى الكبرياء، وفي صدري سوى الحنق. ولم يقف هذا الحنق (لحظة كان يكفّ السيد ودو شارلوس، عن الصياح كي يتحدّث عن أصابع قدمه السامية بجلال ترافقه تكشيرة وإقياءة اشمئزاز تجاه لاعنيه المغمورين)، لم يقف عند حدّ من بعد. ووددت بحركة نزقة أن أضرب شيئاً ما وإذ دفعتني بقية من روّية إلى احترام رجل يكبرني بكثير وحتّى أواني الخزف الألمانية الموضوعة من حوله بسبب رتبتها الفنية انقضضت على قبعة البارون الرسمية الجديدة والقيت بها أرضاً ودستها بقدميَّى والكببت عليها تقطيعاً ونزعت العمرة ومزّقت التاج قسمين دون أن أصغى إلى زعاق السيّد ددو شارلوس؛ المتوالي واجتزت الغرفة لأمضى في سبيلي ففتحت الباب. كان على جانبيه ما أثار كبير دهشتي، كان يقف خادمان خاصًان ابتعدا ببطء كي يبدو وكأنهما وُجدا هنا لمحض مرورهما من أجل أمور وظيفتهما (وقد علمت مذ ذاك اسميهما، فالأوّل كان يدعى «بورنييه» والآخر «شارميل»). ولم ينطل عليّ لحظة واحدة ذلك التغسير الذي كانت تبدو مشيتهما الكسولة وكأنّها تقدّمه لي. فقد كان مستحيلا. وبدت ثلاثة أخرى أقلّ استحالة: أحدها أنّ البارون كان يستقبل أحياناً ضيوفاً كان يحكم من الضروريّ، إذ يمكن أن يحتاج إلى عون ضدَّهم (ولكن لماذا؟) ، أن يتوافر له مركز نجدة قريب ؛ والآخر أنَّ الفضول قد اجتذبهما فأخذا پتنصتّان دون أن يخطُّر لهما أنني قد أخرج بهذه السرعة ؛ وثالثها أنَّ كاملِ الحق الذي أبداه لي السيد •دو شالوس• كان مهيًّا سلفاً ومتكلفاً وقد طلب إليهما بنفسه أن يتنصنًّا حبًّا بالعروض التي ربَّما اقترنت بـ -Nunc eru di emii " يقيد كلّ منه بدوره.

لم يكن غضبي قد هذا غضب البارون، أما خروجي من المنوقة فقد بدا أنه بيريه ألما شديدا فاستدعاني، وأمر من يستدعيني وفاته أخيراً أنه ظن قبل لحظة، وهو يتحدّث عن وأصابع قدسه الساميه، أنه سيجمل متي شاهداً على تأليهه فبجرى بأقصى سرعه ولمحق بي في الرحمة واعترض سبيلي إلى الباب وقال لمي، وهيا، لا تكل طفلاً، عد دقيقة واحدة، فخير الحبّة في خير المقاب ولتن كنت عاقبتاً والآنما أحباك، وزال غضبي وتفاضيت عن كلمة وعقاب، وتبعت البارون الذي نادى خادماً خاصاً وأمره دون أي اعتزاز بالنفس أن يعمل لتف الفَهَمة المتأفة التي استبدلت بها أخرى.

وقلت للسيّد دو شارلوس: اإن تكّرمت ياسيّدي وقلت لي من الذي غدري وافترى عليّ فأظلّ لأعلم ذلك وألحق الخري بالمنافق،

– دسراً ألست تعرفه؟ أفلا تتذكّر ما تفول؟ أو تخسب أنَّ اللين يؤدّون لمي معروفاً باطلاعي على هذه الأمور لايدئرون بمطالبتي بالسرًا؛ وتظنّ أتمي سأخلف بما وعدت؟ه.

وسألت وأنا أبحث لملمرّة الأخيرة في وأسي (حيث لا أجد أحدًا) إلي من أمكن أن المحدّث عن السيّد «دو شارلوس» : فأيستميل أن تقول لمي ذلك ياسيّد؟».

⁽١٤) اثبتنا العبارة اللاتينية في النص عمداً الانصافها بلغة الأرستقراطيين وتعني: «الآن احطتم علماً».

فقال لى بصرت دار: والم تسمع أتى وعدت مبلني بالسرّ؛ ولتى أرى أتلك تجمع إلى ميلك إلى الأقوال المحرجة ميلاً إلى الإلحاح اللامجدي. وحريّ بك على الأقلّ أن تحسن الإفادة من محادثة أخيرة وأن تتكلّم لتقول شيئاً لايكون بالشبط لاشيءه.

فأجبت وأنا ابتمد عنه: وإنّك تشتمني ياسيّد، وأرى أتي أعزل من السلاح بما أنّ عمرك أضماف عمري فلا تكافؤ بيننا. وإنّي عاجز من جهة أعرى عن إنناعك وقد أقسمت لك أنّي لم أقل شيفاًه.

فصاح بصوت مخيف ووثب وثبة حطّت به على خطوتين منّى: ٥ فانّى أكذب إذاً أله - ١ لقد خدعوك.

حيتك قال لى بصوت ناعم حنون كيب كما هي الحال في هذه السمفونيات التي تُعزف دونما انقطاع بين مختلف المقطوعات حيث تمقب حركة سريعة رشيقة لمطيفة شاعرية صواعق المقطوعة الأولى: وذلك ممكن تماماً، فنادراً ما يصدق قول منقول من حيث المبدأ. والحقّ عليك إن كنت لم تستغلّ الفرص التي وقرتها لك لزيارتي فلم تزردتني، عبر تلك الكلمات الصريحة اليومية الى تصنع الثقة، بالواقي الوحيد والمطلق في وجه قول كان يصوّرك بمثابة الخائن. وإن يكن صحيحاً أو باطلاً فقد فعل القول في جميع الأحوال فعلته. ولست أستطيع من بعد التخلص من الإنطباع الذي خلفه في نفسي. لست حتى أستطيع القول بأنَّ خير الحبَّة في خير العقاب لأنني عاقبتك خير عقاب ولكنَّى لا أحبَّك من بعده. وفيما كان يقول هذه الكلمات أجبرني على الجلوس ثانية وقرع الجرس. ودخل خادم خاص جديد. ٥جيئونا بشراب وبلَّغوا باسراج جياد العربة». وقلت إنى لم أكن عطشاً وان الساعة تقدّمت بي كثيراً وإنَّ لي عربة في جميع الأحوال». فقال لى: الابدُّ أنَّهم نقدوها وردُّوها فلا تهتم بها. لقد أمرت بالإسراج كي يعيدوك... وإن خشيت أن يكون الوقت قد تقدم... فلملنَّى استطيع أن أقدم لك غرفة ههنا...؛ فقلت إن والدتي قد تقلق. وأجل، لقد فعل القول فعلته إن يكن صحيحاً أو كاذباً. لقد أزهر ودّي المبكّر بعض الشيء قبل أوانه بكثير، وكمثل أشجار التفاح التي كنت تتحدَّث عنها في وبالبيك؛ لم يقوّ على مقاومة أوّل جمدة، ولو أن ودّ السيّد ودو شارلوس، لم يتهدّم لما استطاع مع ذلك أن يفعل غير ما يفعل إذ هو يحملني على البقاء والشرب، فيما هو يقول لي إنَّنا على خلاف، ويسألني أن أنام ويزمع أن يطلب احادثي إلى المنزل. بل كان يبدو أنه يخشى لحظة فراقي وأن يعود فيلقى نفسه وحيداً، من نوع الخشية تلك التي يشوبها بعض القلق والتي سبق أن بدا لي لساعة خلت أن زوجة أخيه وابنة عمَّه ، الغيرمانتيَّة، أحسَّت بها حينما خطر لها أن ترغمني على البقاء قليلاً بعد بنوع من الميل العابر نفسه إلى والجهد نفسه للإطالة دقيقة واحدة.

وعاد يقول: فومن سوء الطائع أتي لا أملك موهبة أن أعيد الزهر إلى ما سبق أن ولّى. لقد مات ودّي لك موته الأخير وليس ما يقوى علمي بعثه من جديد. ولا أظنّ أنَّ من غير الملائق بي الاعتراف بأنّي آسف للملك. فأتي أحسني على الدوام مثل فبوعوف فيكتور هوغو إلى حدّ ما:

اإِنِّي أَرِمل وأنا وحيد وحولي يحلُّ الظلام،.

وعدت فاجترت برفقته الصالة الكبيرة المخضراء. وقلت له علمى نحو عارض تماماً إلى أي حدّ كنت أراها جميلة. فأجاب: األيس كذلك؟ لابدُ لنا أن نحبٌ شيئًا ما. إنّ الخشبيّات من يد دباغارة وما هو لطيف إلى حدّ ما، كما ترى، أنَّها صنعت من أجل المقاعد التي من طراز «بوفيه» وطاولات الجدارن. تلاحظ أنَّها تكرّر موضوعها التربنيّ نفسه. ولم يظلّ تُمة غير دارين بقى فيهما الأمر على هذا النحو: اللوفر ومنزل السيّد ودينيسدال، ولكن ما أن عزمت على المجيء للسكني في هذا الشارع حمّى اتَّفق لي بالطبع فندق قديم يدعى وشيميه لم يكن قد رآه أحد بما أنه لم يجيع ههنا إلا من أجلى. ذلك حسن باختصار القول. ربّما أمكن أن يكون أفضل، ولكن لا بأس على أيّ حال. أليس أنَّ ثمّة أشياء حلوة، رسم أعمامي، ملك بولونيا وملك انكلترا بريشة «مينبار» ولكن ما هلما الذي أقوله لك، إنّك تعرفه بقدر ما أعرفه بما أنّك انتظرت في هذه الصالة. لا؟ فهم وضعوك إذاً في الصالة الزرقاءه، يقول بلهجة تنَّم عن وقاحة إزاء خلوَّي من الفضول وإمَّا عن تفوّق شخصي وأنَّه لم يسأل عن المكان الذي طلب إلىَّ الانتظار فيه. دخذ مثلاً، في هذه الحجرة جميع القبَّعات التي اعتمرتها السيَّدة واليزابيت، والأميرة دو لامبال، والملكة. ذلك لايثير اهتمامك، لكأنك لاتبصر. ربما عانيت من إصابة في العصب البصري. فان كنت أكثر حبًّا لهذا النوع من الجمال فهوذا قوس قرح بريشة «توونر» نميزٌ بالفعل التناغمات الأولى من القسم الثالث في والسمفونية الرعويَّة، والحبُّ بعد العاصفة، يعزفها موسيقيون غير بعيد عناء في الطابق الأول دون شك. وسألت بسذاجة بأي مصادفة يعزفون ذلك ومن كان الموسيقيون فقال لى بلهجة تشويها يعض الوقاحة ولكنَّها تذكّر قليلاً مع ذلك بتأثير وسوان؛ ونبرته: الله! لاندري، لسنا ندري البتَّة. إنَّها من نوع الموسيقي الخفيَّة. ولكتَّك لاتعبأ بها، شأن سمكة بتفَّاحة. إنَّك تودّ العودة وإن قصرت في واجب احرامك لبيتهوفن ولشخصي، وأضاف بلهجة وديّة حزينة حينما آن أوان رحيلي: وَإِنَّكَ تُصِدر عَلَى نَفْسُكُ الحكم وتدينهاه. وقال لي: وأُعذر لي أنَّي لا أصحبك مثلما يقضي عليٌّ حسن السلوك أن أفعل. فليس يهمني كثيرا، وأنا راغب ألا أراك من بعد، أن أقضى خمس دقائق إضافية وإياك. ولكنِّي متعب ولدي عمل كثيره. وإذ لا حظ أن الطقس جميل جلًّا: «ولكن بلَّي، سأستقل العربة. ثمة ضياء قمر رائع وسأمضى لأتأمله في الغابة بعدما أكون صحبتك، وقال لي وهو يمسك بذقني بين اصبعين ممغنطين، إن جاز القول، صعداً، بعد مقاومة دامت لحظة، حتى أذنَّى كأصابع الحلاَّقين: ٥عجاً! إنَّك لاتعرف كيف تخلق، ويختفظ ببضع شعرات حتّى في مساء تتناول فيه عشاءك في المدينة، ثم قال لي بعذوبة مفاجئة وكأنَّما لا أراديَّة: وآما إنَّها لمتحة أن أتأمل «ضياء القـمر الأزرق هـلـاه في ألغابة برفقة رجل مثلك»، ثمَّ أضاف بهيئة حزينة: ﴿ لَأَنْكُ مَعَ ذَلْكُ لُطِّيفَۥ ؛ وأردف يقول وهو يربت أبويًّا على كتفي: ﴿ وربَّمَا استطعت أن تكون أكثر لطفاً من سواك. وينبغي لي أن أقول إنّي كتت أراك بالأمس غير ذي شأن إلى أبعد حدّه. ولعلّه كان يجدر بي الظن بأنه لايزال يراني على مثل ذلك وما على سوى أن انذكّر الحق الذي حدّثني به لنصف ساعة خلت أولانكاد. وكان يخيّل إلىّ مع ذلك أنّه صادق في هذه اللحظة وأن قلبه الطببّ فاق ما كنت اعدّه بمثابة حالة تكاد تكون هذيانية من فرط الحساسية والكبرياء. كانت العربة أمامنا وهو لايزال يطيل الحديث. وقال لي فجأة: هميًا، اصعد، بعد خمس دقائق منكون في منزلك وسوف احييك خيَّة تضع إلى الابد حدًّا لعلاقاتنا. وخيرلنا، بما أنّنا سنفترق إلى الأبد، أن نفعل ذلك كما هي الحال في الموسيقي بتناغم تامَّه. ولعلني كنت أقسم، على الرغم من هذه التوكيدات الرسميَّة بأنَّنا لن نلتقي ثانية بعد اليوم، أنَّ السبِّد 9دو شارلوس؟ ما كان ليغضبه أن نتلاقي مرّة أخرى، وقد أزعجه أن يكون نسي نفسه قبل قليل وهو يخشي أن يكون غمّني لم أكن مخطئاً إذ قال لمي بعد لحظة: «ويحك! ها إنِّي نسيت الأمر الرئيسي. فقد أمرت، تذكاراً للسيَّدة جدَّتك، بتجليد طبعة غربية للسيدة «دو سيفينييه» من أجلك. وهو ذا ما سيحول دون أن يكون هذا اللقاء هو الأخير. ولابدُ أن يعزّينا عن ذلك قولنا إنّا نادراً ما ماننهي في يوم واحد مسائل معقّدة. فانظر كم امتدّ مؤتمر فيينًا،

فقلت بلطف: دولكنَّى استطيع أن أبعث في جلبها دون أن أكلَّفك هذا العناءه.

فأجاب يفيظ: «تفضل واصمت، أيها الغبيّ الصغير، ولاتبدّ مضحكاً في اعتبار شرف استقبالك المحتمل على يدي (ولست أقول الأكيد فربّها كان خادماً خاصاً من سيحمل إليك المؤلفات) أمراً قليل الدأن».

وتمالك نفسه وقال: ولا أود أن أفارقك على هذه الكلمات. فلا نغم شادً، وقبل الهمست الأبدي تناغم على العلامة الرئيسيّة اله وإتما بدا أنه يخشى على أعصابه هو من المودة حالاً، بعد أقوال خلاف جافية، فقال لى بلهجة التأكيد لا الأستفهام، وليس ذلك فيما بدا لي لأنه لايوبد أن يوفر لي ما يقول بل لأنه يخشى أن تمنى عرّة نفسه بالرفض: ولا تريد أن تأتى حتى المنابقه ؛ ثمّ قال لي وهو يتباطأ أيضاً: هميا انتبه، إنها الفترة التي يعود فيها، حسيما يقول ووستلره، البورجوازيون (رئيما كان يود أرضاء اعتزازي بنفسي) ووالتي يجدر بنا فيها أن نشرع في التأمل. ولكنّك لا تعرف حتى من عماه يكون ووستلره.

وغيّرت موضوع الحديث وسألته إن كانت أسيرة وإييناه امرأة ذكيّة. فاستوقفني السيد 3دو شالوس، وقال وهو يُتخذ أكثر للهجات التي عرفتها لديه احقاراً:

- ١١٥! ياسيَّد، إنَّك تلمع ههنا إلى رتبة من التسميات التعنيني على الإطلاق. ربَّما كان ثمَّة طبقة ارستقراطيه لدى سكَّان «ناهيتي» ولكنّي أقرّ بأنّي لا أعرفها. والغريب مّع ذلك أن الاسم الذي نطقت به منذ قليل قد دوى في مسمعي لبضعة أيام خلت. كانوا يسألونني إن كنت أتكّرم بالموافقة علي تقديم الدوق الشاب ودر غواستالاً لي. وقد أدهشني الطلب لأنَّ الدوق ودو غواستالاً لاحاجة به البتَّة لأن يُعرَّف بي والسبب أنّه ابن عمّى وقد عرفني على الدوام. إنه ابن الأميرة ٥دو بارما ولا يفوته البئة بوصفه قريباً حسن التهديب أن يجيء ليفي بواجباته مجاهي في يوم رأس السنة. ولكنَّما الأمر، بعد حصولي على معلومات بهذا الشأن، لم يكن أمر قريبي بل أمر ابن المرأة التي تعنيك. وإذ ليس من أميرة بهذا الاسم فقد افترضت أنَّ الأمر يدور حول متسوّلة تنام نخت جسر وإبينا، واتخذت على نحو مثير لقب أميرة وإبينا، كمثل قولهم فهد وبالينبول، ودملك الفولاذه. والحقيقة أن لا، فقد كان ذلك شأن امرأة غنية أُعْجُتْ في أحد المعارض بأثاث لها جميل جداً يسمو على اسم صاحبه بأنه غير مزيّف. فأما دوق «غواستالا» المزعوم فلابدُ أنّه مأمور صوافة أمين سرّي، إذ يومِّر المال الكثير من الأمور. والحقيقة أن لاء فائه الإمبراطور فيما يبدُّو الذي تلهَّى بتزويد هؤلاء الناس بلقب ليس بالضبط في المتناول. ربِّما دلُّ على السلطان أو الجهل أو الخبث، ولكني أرى على وجه الخصوص أنَّه شرك ماكر نصبه على هذا النحو لهؤلاء المنتصبين رغماً عنهم. ولكتّي لا أستطيع على أيّ حال تزويدك بايضاحات حول كل ذلك، فإن صلاحيتي تتوقف حتى عند حيّ دسان چيرمان، حيث أنت واحد بين جميع أَل اكورفوازييه؛ وَالْ (غالاردون؛) إن أفلحت في اكتشاف من يُوصلك إليهم، عجائز شرّيرات تمّ استخراجهنّ عمداً من وبلزاك؛ وسوف يشعن السرور في نفسك. كلُّ ذلك بالطبع لايعني في شيء مهابة الأميرة «دو غيرمانت؛ ولكن مسكن هذه الأخيرة لايبلغ إليه بمعزل عنَّى وعن وافتح ياسمسم، الذي أملكه، .

⁻ دحقاً إنَّه لجميل جلًّا، ياسيَّدي، فندق الأميرة ددو غيرمانته.

- وأوا ماهو بالجميل جدًا، إنه ما كان الأكثر جمالًا، بعد الأميرة بالطبعة.
 - دأفتفوق الأميرة دو غيرمانت، الدوقة دو غيرمانت، ؟
- فاوه المس لمنة من نسبته . (بينهي أن نلاحظ أنَّ جماعة المجتمعات الراقية ما أن يكونوا على مني م من الخيال حتى يترجوا أو يخلموا من كانت بدو حالهم أكثر ما تكون صلابة وأوفر ثباتاً وذلك على هوى ضروب ودهم أو خلافهم . فإنَّ الدوقة «دو غيرمات» (وريّما أواد، إذ لا يسميّها «أوريان» أن يزيد من المسافة ينهي ربينها) ، وارتمة وتفوق إلى حدّ بعيد ما أمكن أن تخمتُه . ولكنما لا يمكن بأية حال أن تقلم بابنة عمها. وهذه بالضبط ما يمكن أن يصرر جماعة «الهال» ما كانت عليه الأميرة «دو ميترنيخ» ولكنّ «ميترنيخ» هله كانت تعتقد أنها شهرت «فاغنر» لآنها تعرف «فيكور موريل» . إنَّ الأميرة «دو غيرمات» ، أو بالأحرى والدتها، كند عرفت الحقيقي » وذلك جاء، ناهيك عن جمال هله المرأة الذي لايمندُق. تكفي حداثق «ايستير»
 - وألا تمكن زيارتها؟ه.
 - الا، لابد من دعوة، ولكن لادعوة البئة لأحد إلا أن أتدخل.
 - ولكنَّه سحب في الحال طُعم هذا المرض بعدما ألقاه ومدَّ إليَّ يده لأنَّنا كنَّا قد يلفنا منزلي.
- ولقد التهى دوري باسيّد، وإنّي أضيف إليه بضم الكلمات هذه فحسب، ريّما عرض آخر عليك وده ذات يوم عثلما فعلت. فليكن المثال الحاليّ عظة لك. لابهمله. إن الوداد ثمين على الدوام، وما لانستطيع القيام به وحدنا في العجاد لأنَّ ثمة أمرواً لابمكننا أن نطلبها أو نفطها أو نبتنها أو تعلمها بأنفسنا، فاننا نستطيعه جماعة ودونما حاجة لأن نكون ثلاثة عشر كما في رواية وبلزاك؛ ولا أربعة كما في والفرسان الثلاثاة. إلى اللقاء.

لابد أنه كان متماً وقد تخلى عن فكرة اللهاب لرؤية ضياء القمر إذ سألني أن أقول للحوذي أن يعود. وقام في الحال بحركة مفاجقة وكأنسا يدني التراجع، ولكثي كنت مذ ذلك قد أصلوت الأمر، وكي لا أتأخر أكثر من ذلك مضيت أفرع بلني دون أن أكون فكرت من بعد أنه كان علي أن أروي للسيّد ودو شارلوس، فيما يخص أمبراطور ألمانيه والمواء وموتاء، ووليات كانت للموّ تستحوذ عليّ إلى حدّ كبير ولكنّ استقباله الملا معونة الهماعن قد جعلها تقر بهيدًا جماً عني.

ورأيت على مكتبي، وأنا أعود، رسالة كان قد كتبها خادم هفرانسوازه الشابّ إلى أحد أصدقائه ونسيها هناك. فمنذ أن غابت والدي لم يكن يتراجع أمام أيّ فعلة لامبالية ، وكنت أقبع ذنياً منه في أيّ قرآت غير مبال الكتاب الذي لم يوضع في متلف، وكان مبسوطاً في كامل عرضه وبيدو، وذلك كان علمري الوحيد، وكأنّ يقتّم ذله إليّ.

الصديقي وابن عمى العزيز،

آمل أنَّ صحتَك دوماً على مايرام وأن الأمر كذلك بالنسبة إلى كامل الأسرة الصغيرة وبشكل خاصٌّ فليوني الصغير چوزيف الذي لم أفرح بعد بمعرفته ولكن أفضَّله عليكم كلكُم لأنَّه فليوني، إن بقابي القلب، (الله عنه الما هي الأخرى ترابها، فلا نرفع الأيدي على بقاياها المقدَّمة. وعلى أيّ حال ياصديقي العزيز وابن عمَّى ومن يقول لك إنَّك لن تَقذف غدن أنت وزوجتك العزيزة ابنة عمَّنا «ماري» إلى اعماق البحر مثل البحار المربوط في أعلا الصاري الكبير لأنو هذه الحياة ليس سوى وادي مظلم. صديقي العزيز، وجب أقول لك أن انشغالي الرئيسي وأنا متأكِّد من تعجَّك هو الآن الشعر الذي احبِّه بابتهاج لأنَّو يجب تمضية الوقت. ولذلك ياصديقي العزيز لا تكون مدهوشاً إن كنت لم أجاوب بعد على رسالتك الأخيرة فدع النسيان يفعل إن لم يكن لّمت عفو. كما تعلم والدة سيّلتي توفّاها الله في عذايات لا توصف أتعبتها قليلاً لأنّها زارت حتى ثلاث أطبًاء. ويوم جنازتها كان يوم عظيم لأن جميع معارف سيَّدي جاؤوا جماعة وكذلك ثلاث وزراء. وقد قضينا أكثر من ساعتين للذهاب إلى المقبرة الأمر الذي سيجملكم تفتحوا عيونكم واسعة في قريتكم لأتّو لن يفعلوا بالتأكيد كذلك للعمَّة «ميشوء. ولذلك لن تكون حياتي من بعد سوى زفرة طويلة. إنِّي أتسلَّى كثيرًا بالدراجة النارية التي تعلمتّ عليها مؤخراً وماذا تقولوا يا اصدقائي الأعزاء لو وصلت هكذا بأقصى السرعة إلى اليكورة، ولكنَّى لَنْ أسكت أكثر عن ذلك لأنَّى أحسَّ أنَّ نشوة المصيبة تذهب بعقله. إنِّي أخالط الدوقة دمو غيرمانت؛ وشخصيات ما سمعت قط حتى باسمها في مناطقنا الجاهلة. ولذلك سأرسل بكلّ سرور كتبأ رأيت فيه النور من الجهل الذي يقود حتماً إلى الجريمة. لا أرى شيء أقوله لك بعد وأبعث لك مثل البجعة التي أرهقتها رحملة طويلة خميّاتي الطبيّة وكذلك لزوجتك وفيلوني وأختك ٥وردة٥. رجائي أن لايقولوا عنها: قروردة لم نعش إلاًّ ما تعيش الورود، مثلما قالها دفيكتور هوغو، ومقطوعة ددارفير؛ ودَّالفريد دو موسيَّه، وكلُّ هؤلاء العباقرة العظيمين الذين موَّنوهم على نار المحرقة مثل «جان دارك». فالى رسالتك القريبة وتقبّل قبلاني كقبلات أخ، وبيرينو جوزيف،

إِنَّا إِنَّمَا جَعَلَمِنا كُلّ حِياة تمثل في نظرنا شيئاً مجهولاً من جراء وهم أخير ينبغي القضاء عليه. وإن الكثير من الأمور التي قالها في السيد هو شاؤري ه قد حفزت خيائي حفزاً شديداً، وبعدما أنسته إلى أيّ حدّ خير الراقع ظنّه في منزل الدوقة هو غيرمانت القار الأشخاص ما كان من أمر أسماء البلدان) وجهته إلى المنتج ما أوريانه، ولم يعاضي السيد هو شارلوس، بعض الوقت على أيّ حال حول قيمة رجال المجتمع الراقعي وتوقعهم الوهمينين إلا لأنّه كان يدوره صفلكاً. وريّما كان ذلك لأنّه ما كان يقمل شيئاً، لا يكتب ولايسم وهو حتى القرأ أي شيء قراءة جدية حميقة، ولكنّه إذ كان يفرق جماعة المجتمع الراقي عقة درجات حديد النائية على الأكثر استخلاص الروعة الدخائية لذى رجال المجتمعات الراقية، ولكنتما للنائين فعيمة على الأكثر استخلاص الروعة الدخائية لذى رجال المجتمعات الراقية، ولكنتما الاستخلاص من أجل المنتزين فعيسه اللذي كان يوثري فيها يختمهم المدور فقعه الذي يؤدنه الأكل لجمادة الأسكيمون فإن هذا الحيوان الشعين يعتزع من أجلهم عن صفحة المسكورة فإن هذا الحيوان الشعين يعتزع من أجلهم عن صفحة المسكورة فإن هذا الحيوان الشعين يعتزع من أجلهم عن صفحة المسكورة في المنافرة المنتجورة المقدرة أشنيات وطحالب

⁽١٣) النص الفرنسي الأصلي زاخر بالاخطاء الاملائية والقواعدية الفاحشة وقد وضعنا في النص العربي شيئاً من هذا القبيل على أن ذلك من لغة الخام صاحب الرسالة.

لإغلمون لا في اكتشافها ولا في استخدامها ولكنّها تضحى، بعلما يهضمها الأيّل غذاء يمكن نمثله بالنسبة إلى حكان الشمال الأقصى.

وأضيف إلى ذلك أنَّ تلك اللوحات التي كان السيد 3دو شارلوس8 يرسمها عن المجتمع الراقي إنَّما كان يناخلها الكثير من الحبوية من جراء اختلاط صنوف حقده الشاري يصنوف وداده المتبعد – والحقد موجَّه خصوصاً ضدَّ الشَّبَان والتعبَّد تستثيره بصدوة رئيسية بعض النسوة.

ولئن كانت الأميرة «دو غيرمانت» من بينهن قد وضعت على يد السيد «دو شارلوس» على أرفع عرش فإن أقواله الخفية حول ٥قصر علاء اللين لايمكن بلوغه، والذي كانت تسكنه ابنة عمَّه لاتكفى لتوضح دهشتي التي سرعان ما أعقبتها خشية أن أكون ضحية خدعة شريره دبّرها من ربّما ابتغي طردي من مسكن قد أذهب إليه دونما دعوة حينما قرأت، بعد قرابة شهرين عقب عشائي في منزل الدوقة وبينما كانت هذه الأخيرة في كان، وبعدما فضضت مغلقاً لم ينبئني مظهره بأي أمر غريب، قرآت هذه الكلمات المطبوعة على بطاقة: والأميرة ودو غيرمانت، دوقة منطقة وبافيره بالمولد، متكون في منزلها في ليس من شكَّ أن الدعوة إلى منزل الأميرة دو غيرمانت، ربّما لم تكن، على الصعيد المجتمعيّ، أمرأ أكثر عسراً من تناول العشاء في منزل الدوة وقد علمنتي معلوماتي الضعيفة في دنيا الشعارات أن لقب أمير ليس أرفع من لقب دوق ثم إني كنت أقول في نفسي إنَّه لايمكن أن يكون ذكاء امرأة من المجتمع الراقي من ماهيَّة تختلف عن ذكاء مثيلاتها بقدر مايدًعي السيّد ودر شارلوس، ولكنّ خيالي، شأنه شأن وايلستيره إذ يمضي في ترجمة بعض مايوحي به المنظور دون أن يأخذ في اعتباره مفاهيم فيزيائية يمكن من جهة ثانية أن يكون محيطاً بها، كان يرسم لي لا ما كنت أعرفه بل ما كان يراه، ما كان يراه، يعني ما كان يبرزه الاسم له. وإن اسم «غيرمانت» المسبوق بلقب أميرة قد ذَّكُرني دومًا، حَمّى حين لم أكن أعرف الدوقة، على نحو علامة موسيقيَّة أو لون أو كميَّة تتبدُّل تبدلاً عميقاً من جراء قيم محيطة ومن جراء الإشارة الرياضية أو الجمالية التي تؤثّر فيها، بشيء مختلف تماماً. وإنّنا لنجده مقروناً بهذا اللقب في مذكّرات عصر لويس الثالث عشر. ولويس الرابع عشر على وجه الخصوص. وكنت أتمثّل فندق الأميرة ودو غيرمانت، وكأنّما تتردّد عليه، كثر أو قلّ التردّد، الدوقة ودو لو نغفيل، واكونديه، الكبير اللذان كان وجودهما يقلّل إلى حدّ بعيد احتمال أن ألجة في يوم.

وعلى الرغم من كلّ ما يتعلّق بمختلف وجهات النظر الذاتية التي سأتخذّث عنها في ضروب التضخيم الهمطنعة فإنّما يقى شيء من الحقيقة الموضوعية في جميع تلك الكاتنات، وبالتالي يظلّ فارق فيما بينها.

بل كيف يمكن أن تكون الأمور بخلاف ذلك؟ إنَّ الإنسانية التي يخالطها والتي تشبه أقلّ الشبه أحلامنا هي مع ذلك الإنسانية نفسها التي شهلناء في ملكّرات رجال مرموقين وفي رسائلهم، وصفاً لها وتعنينا أن نعرفها. إن أقلّ الشيوخ شأناً من الذين تتاول عشاءنا وإيًاهم هو ذلك الذي قرآنا بالفمال، في كتاب حول حوب السبعين، وسائله المستكبرة إلى الأمير وفريديوبك شارل، يلاخلك الضجر في عشاء لأنَّ الخيال غائب عنه وتلهر بصحبة كتاب لأنَّ الخيال بصحبنا فيه. ولكن الأمر يدور حول الأشخاص عينهم نود لو أثنا عرفنا السيدة ودو بومبادرو التي ناصرت الفنون إلى حدّ بعيد وربّما أصابنا بالقرب منها ما يصيينا من ملل بالقرب من ربّات الإلهام المعاصرات اللواني لانستطيع التصميم على العودة إليهنَ لشدة ضحالتهنَ. على أنَّ تلك الفوارق تظلَّ قائمة مع ذلك. لايشبه الناس تماماً بعضهم بعضاً وإن تصرَّفهم إزاءنا، بمقدار متساو من الصداقة إن جاز القول، إنّما يكشف عن فوارق تتولّى التعويض في نهاية المطاف. لقد حلا للسيّدة ١٠و مونمورانسي، حينما عرفتها أن تسمعني أشياء مكّدرة ولكنّها، إن كانت بي حاجة إلى خدمة، كانت تلقى في سبيل الحصول عليها، وعلى نحو فعّال، كامل ما تملك من نفوذ ولا توفّر شيئاً في هذا السبيل في حين أنَّ أخرى غيرها، كالسيّدة ددو غيرمانت، ما كانت لتبغي في يوم أن تغمنّي ولا تقول عنّي إلاّ ما يمكن أن يبهجني وتغدق عليٌّ جميع صنوف اللطف التي تؤلُّف نمط العيش الأدبيُّ الغني لآل (غيرمانت، ولكنُّها ما كانت، لو أنَّى سألتها أقلَّ الأشياء فيما عدا ذلك، لتقوم بخطوة واحدة لتوفُّره لي، كما هي الحال في تلك القصور التي يضعون بتصرّفك فيها سيّارة ووصيفاً ولكنّما يستحيل الحصول فيها على كوب من عصير التفّاح لم يلحظ في ترتيب الاحتفالات. فمن كانت الصديقة الحقيقية بالنسبة إليٌّ، السيَّدة دو مونمورانسي، السعيدة جدًا بجرح مشاعري والمستعدة أبدأ لتخدمني أم السيّدة ددو غيرمانت، التي تعاني من أقلُ تكدير ربّما اللحق بي وتعجز عن أقلَّ جهد في سبيل إفادتي؟ كانوا يقولون من جهة أخرى إنَّ الدوقة ١دو غيرمانت، تتحدث عن أمور طائشة فحسب وابنة عمّها عن أمور مهمّة أبدأ بالفكر الأكثر ضحالة. إن صيغ الفكر متتوّعة ومتعارضة لافي الأدب فحسب بل في الدنيا كذلك إلى حدَّ أن ليس لــ بودلير، وهميريميه، وحدهما الحقَّ في أن يحتقر أحدهما الآخر. وهذه الخصائص إنّما تؤلف لدى جميع الناسّ منظومة نظرات وأقوال وأفعال متماسكة مستبدة إلى حد أنها تبدو لناء حينما يكون في حضرتها، فوق كل ماعداها أمَّا لدى السيَّدة ودو غيرمانت، فإن أقوالها كانت تبدو لي، وهي مستنجة شأن نظرية من نوعيّة تفكيرها، وكأنّها بالوحيدة التي كان ينبغي أن تقال. وقد كنت أساساً من رأيها حينما كانت تقول لي إن السيدة دو مونمورانسي، بلهاء ومفتوحة الذهن لجميع الأمور التي لا تدركها، أو حينما كانت تقول لي الدوقة وقد بلغها إساءة منها: ٥هذا ماتدعوه امرأة طيبة وما أدعوه أنا مسخاًه. ولكنّ استبداد الواقع هذا الذي يمثل أمامنا ووضوح ضوء الصباح هذا الذي يتضاءل به الفجر وقد تباعد مذ ذاك كأنّه محض ذكرى كانا يتلاشيان حينما أضحى بعيداً عن السيّدة «دو غيرمانت، وتقول لي سيَّدة مختلفة وهي تضع نفسها على قدم المساواة معي وعُمَكم أنَّ الدوقة واقعة دوننا بكثير: وأوريان لاتهتّم في الأساس بشيء ولابأحده، بل وهي متحذلقة، (وهو ما لعلّه بدا في حضرة السيّدة دو غيرمانت، مستحيل التصديق لشدة ما تعلن العكس بنفسها). وإذ ليس من علوم رياضية تسمح لنا بتحويل السيّدة ددار باجون، والسيّدة دو مونبانسييه، إلى كميّات متجانسة فقد كان يستحيل عليُّ أن أجيب إن سئلت في أيهما تبدو لي متفوَّقة على الأخرى.

فاقد كانت الميزة التي يذكرونها أكثر مايذكرونها من بين الميزات الخاصة بصالة الأميرة دو غرمانت، استبداداً بالرأي ناجماً في جزء منه عن محد الأميرة لللكّي، وبخاصّة التشدد المتحجّر تقريباً لآراء الأمير الأراء الأمير الأراء الأراء الله يفت الدوق والدوقة على أيّ حال أن يسخرا منها في حضرتي، والذي كان لايد سيحملني بالطبح على أن اعتبر من قبيل اللامقول أن يكون هذا الرجل قد دعاتي وهو من كان لايمد سوى أصحاب السحر والدوقة ويستشيط غيظاً في كلّ مأدية عشاء لأنّه لم يخص على لمائلة بالمكان الذي كان من حقّه في عهد لوبس الرابع عشر، مكان كان يعرفه وحده بفضل تبحّره الواسع في مادة التاريخ وعلم الأنساب. وكان الكثيرون بسبب ذلك يفصلون لصالح الدوق واللدوقة في الفوارق التي تفصل بينهما وبين ابني

عمومتهما. وإنَّ اللوق واللوقة أكثر عصرية بكثير وأشدُّ ذكاء ولايهتمان شأنُ الآخوين بمحض عدد مراتب النباة، إن صالتهما تقدّم صالة ابن عمّهما بثلاث مئة عام، تلك التي كانت الجمل المئنادة التي كان ذكرها بيمث الرعنة في الآن وأنا أنظر إلى بطاقة الدعوة التي كانت توليها عدداً أكبر من احتمالات أن يكون بعث بها إليَّ مضلل.

ولو أن الدوق والدوقة دور غيرمائت، ما كانا في وكاناه لتستى لي أن أحاول أن أعلم بوساطتهما إن كانت المدعوة التي ورونتي حقيقية. وليس هذا الشك الذي كنت فيه، ليس حتى على الإطلاق، مثلما تبادر إلي حيناً، ضموراً لايحسّ به رجل المجتمعات الراقية وبينغي للكاتب بنتيجة ذلك، وأن انتمى فيما عدا ذلك إلى طبقة رجال المجتمع الراقي، أن ينقله كي يدو وموضوعاً، تماماً ويصوراً كل طبقة على نحو مختلف. فقد رجعت مؤسوراً بالمغمل في كتاب مذكرات واقع تسجيلاً لشكوك كالفائلة لتلك التي كانت ترجيع فيها بعالمة محرق الأميرة. وأنا وجورج أو أنا وهيلي ظبى الكتاب في متناول يدي للتحقق) كنا نتحرق أشد ألسحرة إلى أن من جهته قبولنا في صالة المبندة دولوسيره وقد رأينا من باب للحرب بعدما وصلتنا دعوة منها، أن تتأكد كل من جهته قبلنا نمن ضحية إسعدى كدابات نيسان وليس الراوي سوى الكونت دوسر نقيل الألذي ترج إبنة الموق دور يروي)، أما الرجل الآخر الذي يمضي، فليما يخصّه، للتأكيد من أنّه لم يقع ضحية الخداع فهو، حسما يدعى وجورج الله وهيليه، أحد صديقين لايفصلان عن السيد دور صونفيل، الله السيد دواركورا أو الم

وفي اليوم الذي كانت تزمع أن تُقام فيه الأمسية في منزل الأميرة ٥دو غيرمانت؛ بلغني أن الدوق والدوقة قد عادا إلى باريس منذ الليلة السابقة وعزمت أن أذهب لزيارتهما في الصباح. ولكنَّهما لم يكونا بعد قد عادا بعدما خرجا في ساعة مبكرة. فترقّبت بادئ الأمر، من حجرة صغيرة كنت أُحسبها مركز مراقبة ممتاز، وصول العربة. ولكنّى كنت في الواقع قد اخترت مرصدي أسوأ اختيار إذ كدت لا أميزٌ منه باحتنا ولكنّي رأيت منه عدَّة باحات أخرى، الأمر الذي ألهاني فترة دونما فائدة تذكر. وليس يتوافر لنا في البندقيَّة وحدها مشارف كهذه على عدّة بيوت معاً أغرت الرسامين، بل في باريس أيضاً على السواء. ولست أقول البندقيّة اعتباطاً. فائما تذكّرنا بعض أحياء باريس الفقيرة في الصباح بأحياتها الفقيرة بمداخنها العالية الموسّمة الفوّهات التي تضفى عليها الشمس الألوان الورديَّة الأكثر زهوا والحمراء الأكثر إشراقاً ؛ إنَّها حديقة كاملة تزهو فوق البيوت، تزهر ألواناً متنوّعة حتّى لكأنّها حديقة هاوي خزامي من «ديلفت» أو «هارلم، غرست فوق المدينة. وإن تقارب البيوت الشديد من جهة أخرى بنوافذها المتقابلة المطلة على باحة واحدة إنّما يجمل من كلّ نافذة الإطار الذي تحلم فيه طاهية وهي تنظر إلى الأرض، والذي تدع فيه فتاة أبعد منها شعرها تسرَّحه عجوز لها وجه ساحرة تكاد لا تميَّزه في الظلام ؛ وهكذا تؤلُّف كلِّ باحة بالنسبة إلى جار المنزل، إذ تلغى الضجَّة بمسافتها الفاصلة وتبرز الحركات الصامتة ضمن مربّع وضع تحت الزجاج من جرّاء إقفال النوافذ، معرضاً من مئة لوحة هولنديّة متقابلة. صحيح أنّه ما كان يتوافر من فندق ەغيرمانت، نوع المناظر نفسه، ولكنّما كان تُمة مناظر طريفة ولاسيِّما من النقطة المتَّلثية الغربية التي كنت قد اتَّخذت مكاني فيها والتي ما كان يستوقف النظر فيها أيّ شيء حتّى المرتفعات البعيدة التي كان يؤلفُها، إذ الأراضي المقفرة نسبياً التي تسبقها شديدة الانحدار، فندق الأميرة ددو سيليستري والمركيزة ددوبلاساك، وهما ابنتا عم ارستقراطيتان جداً للسيّد ددو غيرمانت، وما كنت أعرفهما. وحتى هذا الفندق (الذي كان فندق والدهما السيّد دو بريكينيي)، لاشيء سوى كتل أبنية قليلة الارتفاع موجهة بأكثر الطرق اختلافاً وكانت تزيد من طول المسافة بمستوياتها المائلة ودون أن تستوقف النظر. وكان برج المرآب الذي يوقف فيها المركيز «دو فريكور» عربانه، وهو من قرميد أحمر، كان ينتهي بمسلّة أكثر ارتفاعاً ولكنّها دقيقة حتى إنها لاتحجب شيئاً وتذكر بهذه الأبنية السويسرية القديمة الجميلة التي تندفع وحيدة على حضيض أحد الجبال. وكانت جميع هذه النقاط المبهمة المختلفة التي ترتاح فوقها العيون تبرز فندق السيَّدة «در باسَاك؛ أكثر بعداً تمَّا لو تفصله عنَّا عدَّة شوارع أو عدَّة سلاسل جبليَّة، وهو في الواقع على شيء من القرب ولكنّما يتّخذ بعداً وهميّا كمنظر في جبال الألب. وحينما كانت نوافذة المربّعة العريضة الملتمعة بالشمس كوريقات بأور صخري مفتوحة من أجل تدبير المنزل كنت تصيب في متابعة الخدام الذين يستحيل تعييزهم تعييزاً دقيقاً ولكنُّهم يقومون بطرق السجاد، كنت تصيب في متابعتهم في مختلف الطوابق المتعة نفسها التي تصبيها إذ تشاهد في منظر من أعمال وتورنر، أو واللستير، مسافراً في عربة أو دليلاً على ارتفاعات مختلفة من جيل دسان غوتاره. بيد أنَّى ربَّما أمكن ألا أرى من المكان المشرف الذي وقفت فيه السيَّد أو السيّدة دو غيرمانت، في عودتهما، حتى إنّى حينما اتيح لي بعد الظهر أن أعاود رصدي اتخلت مكاني بيساطة على الدرج حيث لايمكن أن يخفي عليٌّ فتح البوَّابة، فكان أن وقفت في الدرج مع أنَّه لاتظهر منه مواطن الجمال ١٤الألبي، في فتدق ددو بريكيفي، وهي رائعة إلى حدّ يميد بخدّامها الذين جعلهم البعد صغاراً جناً وهم آخذون في التنظيف. وسوف يسفر هذا الانتظار على الدرج بالنسبة إلىُّ عن نتالج بالغة الأهمية ويكشف لي عن منظر ليس وتورنرياً من بعد بل أخلاقي على جانب كبير من الأهمية بيدو من الأفضل معه تأجيل روايته بعض الوقت مسبقاً عليها بادئ الأمر قصَّة زبارتي لأسرة اغيرمانت، حينما علمت أنَّهم رجعوا.

كان الدوق وحده هو الذي استقباني في مكتبته. وفي اللحظة التي دخلت فيها خرج رجل قصير أبيض المتحد تما أقد ترسل فصير أبيض المتحد تما قد كومبريه، وهذه أصدقاء المسدقاء للجدر تماماً قد كومبريه، وهذه أصدقاء المهدقاء ولي المساقد، لهذا كل كان يوسيها الكان كليون المتحدد قد مرح الدوق من المكتبة يطلب إليه أمراً لم أفهمه رديًا الآخر بشيئات جديدة وجهها إلى السائلة، مرات. وقد صرح الدوق من المكتبة يطلب إليه أمراً لم أفهمه ورد يأخر من ذلك، شأن هذه الإجساماء الأقلالية والمتحدد والمتحدد وجهها إلى السائلة، لأن الدوق لا يستطيع أن يواه، ولكمّا ودّها إلى مالا نهاية على الرغم من ذلك، شأن هذه الإجساماء لأولئك الذين يتحدثون لميك بالهاتف. كان له صوت رئميّ وقد حياتي مرة ثانية بتواضع رجل الأعمال. وكان يمكن على أي عبال أن يكون رجل أعمال في وكومريه، لفرط ما يُتمنف بالطراز الريقي المتقادم المذب الذي يميّز نقراء القدم والمديوخ المتواضعين هناك.

وقال لي الدوق بعلما دخلت: «سوف تلتقي «أوريان» بعد قليل. فقد فضلَتْ، بما أنَّ «سوان» يزمع الجيء عما قليل الدوق بعلما دخلت: «سودة الجيء عما قليل ليجلب لها مسردات دراسته حول عملات جمعية مالطا، بل ماهو أسوأ من ذلك، مسورة شمعية ضخمة نسخ عليها وجهي تلك العملات، فضلّت «أوريان» أن توندي ملابسها أولاً كي تستطيح المكوث معه إلى حين اللمعاب إلى العماء. إن يبتنا يزدجم بالعاجات حتى لانعلم أين نضمها وأتساءل أين ستحر هله الصورة، ولكنّ لديّ زوجة مفرطة الطفف بطاخ في حبّها إيهاج الغير. وقد فلت من قبيل اللطف أن سأل مسوائه إمكانية تأمّل جميع أرباب هذه الجماعة العظام الذين لتي صورهم في «رودم» الواحد بجانب الأخر. كنت أقول مالطا، إنّها رودم ولكنّها جماعة القليس بوحنا الأورشيلمي نفسها، وهي في

الأساس لاتهتم بذلك إلا لأنَّ دسوانه يهتم به. إن لأسرتنا ضلماً كبيراً في كلِّ هذه القصة. فشقيقي الذي تعرفه هو حتى في بومنا هذا أحد أعلى أصحاب المرقب في جماعة مالطا. على أتي لو خدلت عن كل ذلك لما أوريانه لما كانت حتى أصنت إلى قرائة واقد كان كافياً، في مقابل ذلك، أن تكون بحوث «سوانه حول الذابيّة (فإن اندفاع الباع دين معين إلى دراسة دين الأخوين من أغرب الغريب) قد قادته إلى تاريخ فرسان رودس ورثة الداوية حتى تبني وأوريانه في الحال مشاهدة وجوه هؤلاء الفرسان. لقد كانوا قوماً صغاراً جناً إذا ما قيسوا بأل وارزينيانه ملوك قبرص الذين تتحدر منهم على نحو مباشر. ولكنّ «سوانه لم يتهم بهم حتى الآن رايذ للا لاتريانه أن تعرف شيئاً عن آل والوزبيانه.

لم يسعني أن أقول للدوق في الحال لأيّ سبب جئت. فقد جاءت بالفعل بضع صديقات أو قريبات، كالسيَّدة ١٤ر سيليستري، والدوقة ١٩دو مونروز، للقيام بزيارة للدوقة التي كثيرًا ما كانت تستقبل قبل العشاء ولما لم يجدنها مكثن برهة مع الدوق. كانت أولى تلك السيّدات (وهي الأميرة «دو سيليستري») بسيطة الملبس جالمة ولكنَّما تبدو لطيفة وتمسك في يدها عصا. وخشيت بادئ الأمر أن تكون مصابة يجرح أو عاجزة. ولكنَّها كانت على العكس رشيقة جدًا. وحدَّثت الدوق بكآبة عن ابن عم له - لامن جانب آل اغيرمانت، بل من جانب أكثر شهرة بعد إن كان ذلك ممكناً- تدهورت حالته الصحيَّة فجأة بعد أن كان مرضه شديداً منذ بعض الوقت. وكان واضحاً أنَّ الدوق فيما كان يرثى لمصير ابن عمَّه ويردَّد: ومسكين وماماه ! إنَّه فتي شديد الطبية، كان يشخص تشخصياً مشجعاً. فقد كان العشاء الذي يزمع الدوق حضوره يبهجه بالفعل ولاتزعجه الأمسية الكبرى في منزل الأميرة ٥در غيرمانت، ولكنّ كان على وجه الخصوص يزمع الذهاب في الواحدة صباحاً برفقة زوجته إلى عشاء كبير وحفلة راقصة تنكَّرية تمُّ من أجلها تجهيز حلَّه له من طراز لويس الحادي عشر وللدوقة من طراز الإزابو دو بافييره. وكان الدوق عازماً على ألا يلقى إزعاجاً في صنوف اللهو المتعدّدة هذه من جُراء آلام هآمانيان دوسمون، الطيب القلب. وجاءت بعد ذلك سيَّدتان من حاملات العصاء السيدة دو بلاسًاك» والسيّدة دو تريم،، وكلتاهما ابنتا الكونت دوبريكينيي، لزيارة دبازان، وأعلنتا أن حالة دماما، لم يظلّ فيها أمل. وبعدما ارتفع الدوق بمنكبيه سألهما كيما بينُل سياق الحديث إن كانتا ستذهبان في المساء إلى منزل دماري جِيلبيره. فأجابتا أن لا بسبب حالة ددامانيان، التي كانت تداني الرمق الأخير، بل هما اعتذرتا عن مأدبة العشاء التي يذهب إليها الدوق والتي عدّدتا له مدعويّها، كشقيق الملك اتيودوزة وسليلة العرش «ماري كونييسيون» إلخ. ولما كان المركيز «دوسمون» على درجة أقلّ من القربي بالنسبة إليهما منه بالنسبة إلى «بازان» فقد بدا «نكوصهما عن الحضور» في نظر المدوق بمثابة لوم غير مباشر لسلوكه فبدا قليل الأنس. ولذلك لم تمكنا طويلاً مع أنهما انحدرتا من مرتفعات فندق «بريكينييي» للقاء مدوقة (أو بالأحرى لإخبارها بالطابع المقلق والذي لاينمجم بالنسبة إلى الأقرباء واللقاءات المجتمعيّة، طابع مرض ابن عمومتهما)، وعادت ووالبورج، وددوروتيه، (وهما اسماء الشقيقتين) أدراجهما في طريق قممهما الوعرة تحملان عصا متسلقي الجبال. لم يخطر لي البتّة أن أسال آل «غيرمانت» ما الذي كانت تعنيه تلك العصّي وهي كثيرة جانّاً في بعض أجزاء حيّ «سان چيرمان». ربّما عدّنا كامل الرعيّة بمثابة ملك لهما وكانتا تقومان، وهمالانحبّان استقلال العربات، بمشاوير طويلة. جَعَل العصا ضرورية فيها كسر قديم ناجم عن الافراط في مزاولة الصيد وما تتضمنه في الغالب من مقوط عن صهوة الجياد أو محض إصابات بالرثية تتأتى من رطوبة الضفة اليسرى والقصور القديمة وربّما لم تلعبا في الحيّ في حملة بعيدة إلى هذا الحدّ بل انحدرتا فقط إلى حديقتهما (وهي على مسافة غير بعيدة عن حديقة الدوقة) لقطاف الفواك اللازمة للثمار المثليّة وجاءتا قبل العودة إلى منزلهما لتعيد السيّدة دور غيرمانته، وما كان ليبلغ الأمر بهما مع ذلك أن يحملا معهما مقراضاً أو رضّاشة.

بدا الدوق متأثراً أن أكون جئت إلى منزلهما في يوم عودته نفسه. ولكنَّ وجهه اكفهرَّ بعدما قلت له إنَّى آت لأسأل زوجته أن تستعلم إن كانت ابنة عمَّها قد دعتني بالفعل. وكنت قد لامست بذلك واحداً من أنواع الخدمات التي ما كان السيَّد «دو غيرمانت» والسيَّدة عقليته يرغبان في تأديتها. وقال لي الدوق إنَّ الوقت تأخر بي وإنّه سوف يبدو، إن كانت الأميرة لم تبعث لمي بدعوة، وكأنّه يلتمس واحدة، وانَّ أبناء عمّه قد سبق ورفضواً له واحدة منها ذات مرَّة وإنَّه لايريد من بعد لا من قريب ولا من بعيد أن بيدو وكأنَّه يتدخَّل في شؤون لواتحهم، كأنَّه ويقحم نفسه فيهاه وأنه حتى لايعلم في النهاية إن كان هو وزوجته، وهما يتناولان عشاءهما خارج المنزل؛ لن يعودا بعده في الحال إلى المنزل، وأنَّ أفضل علر لديهما في هذه الحالة لأنَّهما لم يذهبا إلى أمسية الأميرة أن يخفيا عليها عودتهما إلى باريس، وأنهما لولا ذاك بالتأكيد كانا على العكس سارعا إلى إعلامها بارسال كلمة أو هاتف بشأني متأخّر جدًا بالتأكيد لأن لوائح الأميرة قد أقفلت بالتأكيد في جميع الاحتمالات. وقال لي بلهجة متربيّة، لأنَّ آل «غيرمانت» يخشون دوماً آلا يكونوا على علم بآخر الخلافات وأن تتمّ محاولة الصلح على ظهورهم: الابأس بحالك معهاه. ثم قال لي الدوق فجأة، وقد تعوّد أن يأخذ على عاتقه جميع القرارات التي يمكن أن تبدو قليلة الوداد، وكأنَّما تمرَّ الفكرة فجأة في خاطره: ﴿ إليك، ياصغيري، تخبُّك حبًّا جمًّا، وسترغب في إيلاغ ابنة عمَّها على الرغم من كلِّ ما يمكن أن أقوله لها وإن كانت متعبة بعد العشاء فلن يظلُّ لمَّمة عذر لها وستضطِّر أن تذهب إلى الأمسية. لا، بالتأكيد لن أقول لها شيئاً عن ذلك. سوف تراها عمَّا قليل على أيَّة حال، فلا تنبس ببنت شفة، رجونك. وإن قررتُ الذهاب إلى الأمسية فلا أرى حاجة بي إلى أن أقول لك أية فرحة متداخلنا لقضاء السهرة برفقتك. إنَّ الدوافع الإنسانية أكثر قدسيَّة من ألأ ينحني أمَّامها ذاك الذي يتم التذرّع بها أمامه، سواء أطنّها صادقة أم لا. ولم أشَّأ أن أبدو وكأني أوازن لحظة واحدة بين دعوتي وتعب السيّدة ددو غيرمانت، المحتمل ووعدت بألاً أحدَّثها عن غرض زيارتي كما لو انطلت بالضبط عليَّ المهزلة الصغيرة التي مثَّلها عليَّ السيَّد هدو غيرمانت، وسألت الدوق إن كان يظنُّ لي حظاً أن ألقى في منزل الأميرة السيّدة ددو ستير مارياة .

فقال لي بلهجة العارف: «لا، أعرف الإسم الذيء تقرله لمشاهدتي إيّاه في دليل المتنديات، وليس على الإطلاق من نوعية المعتدمات التي تذهب إلى منزل وجيلبيره. إلّك لن يتجد هناك سوى أناس مهذابين أشدً التهذيب وعلي المتعدمات التي تذهب إلى منزل وجيلبيره . إنّا لن أنتي الرّ لداستيراياه، فقد يمرض والعديد من آل هكريوره ومن الصحاب السعو الأجانب لركن لا تأمل أنهي الرّ لداستيراياه، فقد يمرض وجيلبيره حتى من جراء افتراضك، اسمع، أنت الذي يحبّ الرسم، ينبغي أن أطلعل على لوحة والممة انشريتها من ابن عمى مقابل لوحة لدفيليت دو من ابن عمى أمثار لوحة لدفيليت دو شاماني، أعتد أنا قبا بعد أعظم. أثريد رئي في ذلك الأماني، لقد باكن إليا لوحة لدفيل كرو و لدفيل على الدوق وهو يستحق في عبني الم ليرف أنها لوحة لدفيل عرف المهى فردة المنادي ومن أبهى فردة المنادي ومن أبهى فردة المنادي ومن أبهى فردة المنادي ومن أبهى فردة المنادي ومن المنادي ومن أنهى المنادي ومن المنادي ومناديات المنادي ومناديات المنادي ومناديات المنادي ومناديات المنادي والمناديات المناديات المناديات المناديات المناديات المناديات المناديات المنادي المناديات المناد

 والسيّنة الدوقة تبعث في سوال الدوق إن كان السيّد الدوق سيتلطّف باستقبال السيّد وسوانه لأنَّ السيّدة الدوقة ليست جاهز بعد».

نقال الدوق بعد أن بين في ساعته أنه لايزال لديه بضح دقائق قبل أن يمضي لارتداء ملابسه: وأدخل السبك وصواته زوجي بالطبح غير جاهزة وهي التي قالت له أن يجيءه وقال لي الدوق: الاداعي التحدث أمام وسرانه عن أمسية ماري جيابيره عملي عربي الله يعتب تحيداً غير شرعي للدوق دو ييزيء، أنها قسلة، آية قسلة، ذكرة، لولا ذلك البن عمي اللذي يصاب بنوية حينما يصر يهودياً على بعد منة مترك. ولكن الأمور تتفاقم الآن من جراء مسألة دويفوري، وكان جديراً بدوسوانه أن يبدئ أنه ينبغي له أكثر من آخر سواه أن يقطع كل علاقة بهؤلاء الناس، وهو على المكس يتفره بأقوال

واستدعى الدوق الخادم الخاص من جديد ليملم إن كان الذي سبق أن أرسله إلى منزل ابن العم
دوسمون» قد عاد. فقد كانت خطة الدوق بالفعل هي التالية: كان يهمه، إذ يظنّ بحق أن ابن عمه على
دوسمون» قد عاد. فقد كانت خطة الدوق بالفعل هي التالية: كان يهمه، إذ يظنّ بحق أن ابن عمه على
منظ الموت، أن يُرافى بأخبار قبل الوفاق، يمني قبل المحادد الإضطراري. وما أن يحتمى خلف اليقين الرسمي
لوس الحادي عشر ويترافر له فيها المؤجد الأمد إلارة بعشية جديدة ولابسمى من بعد إلى أن يوافى بأخبار
لوس الحادي عشر ويترافر له فيها المؤجد التهت. حيناداً لا يتم لبس الحادد إن توفي في المساء. لا ياسيدي
الدوق، لم يعد بعده – ويالعنة الماء إن الأمور لائتم ههنا إلاً في الدقيقة الأخيرة، يقول الدوق وفي ظنه أن
والمنافانة قد وسعه الوقت الأن يوحل، على صفحات جريدة مساتية وأن يقوّت عليه حفاته الراقصة. وأوسل
في طلب صحيفة والزمانة التي لم يجيد فيها شياً.

لم أكن قد التقيت وسوانه منذ زمن طويل جدًا وتساءلت لحظة إن كان بالأمس يقمر شاربه أو لم يكن فعبير الشعر لأنتي ألفيته على غير حاله بعض الشيء. وكان ذلك فقط لكونه بالفعل قد وتغيره كثيراً لأنه كنن فعبير الشعر لأنتي ألفيته على غير حاله بعض الشيء. وكان ذلك فقط لكونه بالفعل لحيثك أو بشأن مطرح كان ميمة الذي سبق أن أورى بواللته والذي أصيب به بالضبط في السن الذي كان في، وإن حياتنا في الواقع لملية من جراء الورائة بالأوقام الخفية وصنوف السحر كما لو كان ثمة بالحقيقة ما ماحوات. وكما أن ثمة مدّة معيّة للعمر بالسبة إلى الأسرية عامة، هنالك كذلك مدّة بالنسبة إلى الأسر خاصة، يعني، داخل هذه الأسر، بالنسبة إلى الأعضاء الذين يتشابهون، كان وصواته أبين اللباس أناقة تجمع، شأن أناقة زرجحه إلى ما كان ما سبق أن كان. كان يشد جسمه داخل سترة رسمية رمادية بلون المؤلو تبرز قامت كان المواته أبين اللباس أناقة تجمع أعلاما الإيسامية ورائد ورسية رمادية بهرو المؤلول وواسيد. وحو والمؤلول وواسيد وو طروين، وأدهم والمنيد وو شروين، وأدهمتني الايسامة الفائة وشدة البد الورية التي ردّ بها على غيني، لأني كن أن الأن آلام ما كان ليعرفني في الحال بعد زمن طويل إلى هذا الحدّ. وأعربت له عن دهشتي، فتفاقها بفهقهة عالية وشيء من الاستكار وشد من بعديد على يدي كما لو أن الأمر من باب الشكيك

بسلامة دماغه وصدق موقعه في الفراض أنه لايتعرفني وهو مع ذلك ما كان، فإنه لم يعرفني، وقد علمت ذلك بعد زمن طويل، إلا بعد بضع دقائق إذ سمع من ياكر باسمي. بيد أنه لم ينبئ بالاكتشاف الذي يسرّته له كلمة قالها السبّد، وهو غرماسته أيُّ تبدّل في وجهه وفي أقواله وفي الأمور التي أفضى إليّ بها لفرط ما كان يتمتع به من رباطة جأن ورققة في بمارسة السباة المجمعية. وكان ييز فيها على أنه حال تلك المعفرية في التصرف وتلك المبادرات الشخصية، حتى فيما يخص اللهام، التي كانت تطبع طراز آل 190 غرفرمة، من التصرف وتلك المبادرات الشخصية، من تحرّفي، موسل الملتديات العقرف التي قرار ماتيدي المعاقبة التي لحرب المجتمعات الشكلي الحضن، بل عمية تغيض باللطف المحقيقي والطوف الاكبيد على غرار ماتيدي المدونة وو فيماست، عمل المنافذ المتحربات المتحربات المتحربات المتحربات المتحربات الأكثر الية والمألونة لذى ميكات حي صان جيربان، ومن ذلك أيضاً أنَّ قبته التي وضعها على الأرض بالقرب منه حسب عادة أتحلة في الزوال كانت مبطئة بالبطد الأخضر، الأمر الذي لم

- «هياً با «شارل»، أمت الحبير الكبير، تمال رشاهد شيئاً ما. وبعد ذلك ياصغيري سأستأذنكما وأدعكما حيناً معا فيما أمنعي لارتشاء بدلة. وأحسب على أيّ حال أنّ «أوريان» لن تتأخر». وعرض لوحة (فيلاسكيز» على «سوان»، فقال بتقطيب المرضى اللغين يشكل الكلام بالنسبة اليهم إرهاقاً: «ولكنما يدو لي أني أعرف دا».

وقال الدوق وقد أولاه التأخير الذي يبديه الخبير في الإعراب عن إصجابة جديّة: وأجل، لابدُّ ألك وأيتها في منزل «جيليبر».

- ١٠٠٥ إنّي أنذكّر، بالفعل».

- دوما عساك تظنُّ ذلك؟٣.

فقال دسوانه بمنهج من السخية والإجلال إنزاء صاحب سمّر لعلّه يجد من قبيل سوء التهابيب والارة الهزء أن يتجاهله ولكنّه لايريد بداعي حسن الذوق أن يتحدُّث عنه إلاّ كمن يلهو: «إذاً، إن كان ذلك في منزل وچيليرو، فلايد أنّه أحد أجدادك.

وقال الدوقى بخشونة: المالتاكيد. إنه اميزورنه، ولا أدري أي رقم يحسل بين آل وغيرمانته. ولكني لا آبة لذلك، فأنت تعلم أني لست قطاعي النزعة شأن ابن عكي. لقد سمعت من يلفظ اسم وريغوه وامينياره وحتى وفيلاسكيزه ايقول الدوق وهو يحدّق إلى دسوانه بنظرة المحتّق والمجلاد كي يحاول في الآن نفسه أن يقرأ أفكاره ويؤثر في جوابه. واختتم قائلاً (إذ كان قادراً، حينما يحملونه على استجرار مصطنع لرأي هو راغب فيه، أن يحتقد بعد بضم لحظلت أنه قد صدر تلقائياً): هميًا على كلّ حال، وبدون تملّق، أنقلَ أنها لأحد الأساطين المطام الذين أثبت على ذكرهمه؟

فقال دسوانه: دلـ.. لـ.. لاه.

ولكن، على أيّ حال أنا لا أدري شيئاً من ذلك وليس لي أن أقرر لمن تكون هذه اللوحة. ولكن
 أنت الهارى والمعلم في الموضوع إلى من صناك تنسبها أنه.

وتردّد وسوان» لحظة أمام هذه الملوحة التي كان من الواضح أنّه بجدها قبيحة وقال: «إلى سوء الطويّه»! قال وهو يجيب الدوق ضاحكاً ولم يَسعُ هذا الأخير أن يدع المجال لحركة غاضبة تصدر عنه. وبعدما هدأت: «كلاكما بالغ الملف، فانتظر فأروبان» برهة، سوف أرتدي بدلتي الرسميّة وأعود. وسأبعث من يقول لقريتُي انكما تنظرانها كلاكما».

وكلمت «سوانه برهة عن قضية «دريفوس» وسألته كيف يتفق أن يكون جميع آل «غرمانت» مناهضين لـ دريفوس». قاجاب «سوان»: «لأن هؤلاء القوم بادئ الأمر مناهضون للسامية جميعهم في الأمر ساهضون للسامية جميعهم في الأمراس»، يقول وهو يعلم مع ذلك تمام العلم بالتحرية أن بعضهم على غير ذلك ولكنه، شأن جميع الناس اللذين يحملون وإلى حملياً، كان يغضل كيما يفسر أن يعض الناس لإيناطونه إنّه، أن يفرض لديهم سبباً سياس السمور وشيرًا لايمكن أن تفعل شيئاً إزاء، أكثر منه أسباغ يمكن مناقشتها. لقد كان يمقت على أي حال، وقد يلغ نهاية حانه قبل الأوان، كان يمقت كحيوان متعب يممنون في مطاردته تلك الأضطهادات

وقلت: وفيما يخص الأمير ددو غيرمانت، صحيح، لقد قبل لي إنّه من أعداء الساميّة،

قاوه: هذا الأعير، إني حتى لا أجيء على ذكره.. فقد بلغ به، حينما كان ضابطاً وأصيب بألم
 أسنان مربع، أن فضل البقاء في عذابه على أن يستشير طبيب الأسنان الوحيد في المنطقة وكان بهودياً، وأن ترك
 فيما بعد للنيران جناحاً من قصره شبت النار فيه لأنه كان ينبغي أن يطلب الإطفاء في القصر المجاور الذي
 يخص آل دروتشيلده.

- وهل أتت ذاهب هذا المساء إلى منزله ٢٣.

فأجابيني قائلاً: وأجل، مع أتمي أجدني متمباً جدًا. ولكنّه بعث إلى بسجالة ببثنني فيها أنَّ لديه ما يقوله لمي. وإنّي أحسَّ أنّي سأكون نديد للرض في هذه الأيام كيما أذهب إلى هناك أو استقبله فسوف يهزني ذلك وأفضل التخلص منه في الحال؟.

- ولكن الدوق ددو غرمانت، ليس مناهضاً للسامية.

ولكنك ترى تماماً أن بلى بما أنه مناهض لـ«دويفرس» يجيبي «سوان» دون أن ينتبه أنه يقرم بمصادرة على الطلوب. وليس يحول ذلك دون اغتمامي لأتي خيبت أمل هذا الرجل – ماذا أقول! هذه الدوق – إذ لم أحجب بلوحته المزعومة لـ «مينيار» ومالست أدري». وأردفت أقول وأنا أعود إلى قضية «دريفوم»؛
 ولكما الدوقة ذكة فيما يخصفها».

- وأجل، إنها رائعة، وقد كانت على أيّ حال أكثر من ذلك، فيما أرى، حينما كانت لانزال تدعى

الأميرة ددي لوم. لقد أنتخذ فكرها طابعاً أكثر نتوءاً، وكان كلّ ذلك أكثر وقّة في السيّدة الكتبيرة الفتيّة. ولكن ما عساك نريد، جميع هولاء الناس، أكنانوا أكثر شباباً أم أقلّ وسواء في ذلك الرجال أو النساء، هم من سلالة أخرى، فليس يمرّ ألف عام من الإقطاع في الدم بسلام. وهم يظنّون بالطبح أن لا أثر لذلك البيّة في رأيهم.

- اولكنَّ دروبير دو سان لو، مع ذلك مناصر لـدريفوس، ؟

- ولحسن الحظ لاسيَّما أنَّ واللقه كما تعلم مناهضة شديدة له.

لقد سبق أن قبل لي إنه على ذلك ولكنّي لم أكن متيقناً. إن ذلك يسرّني كثيراً. وليس يدهشني الأمر فإنّه شديد الذكاء. وهذا شيء عظيمه.

كانت الدريفوسية قد أولت «سوان» سذاجة غربية وأضفت على نظرته إلى الأمور اندفاها وانحرافاً أكثر مشرّفاً بالنسبة إليه بما أنّه كان يرده إلى الطريق التي جاء منها ذووه والتي حرفته عنها مخالطاته الأرستقراطية. على أنَّ وسوان؛ كان يبدي في اللحظة نفسها التي قدر له فيها، وهو وأضع الرؤية إلى حدّ بفضل المعطيات التي ورثها عن أجداده، أن يمسر حقيقة لاتزال خافية على جماعة المجتمعات الراقية، كان يبدي مع ذلك غباوة مضحكة. فقد أعاد جميع صنوف إعجابه وازدراته على محك ميار جديد هو الدريفوسيّة. فأن تكون نزعة السيَّدة (برنتان) المناهضة للدريفوسيَّة قد جعلته براها غبيَّة لم يكن أكثر إدهاشاً من أن يكون رآها ذكيَّة بعدما تزوّج. ولم يكن من الخطورة بمكان كذلك أن تصيب الموجة الجديدة فيه كذلك أحكامه السياسيّة وأن تنسيه أنه نعت «كليمانصو» برجل المال وبجاسوس لإنكلترة (وكانت تلك إحدى سخافات وسط آل «غيرمانت»)، «كليمانصو» الذي يعلن الآن أنَّه عدَّه على الدوام بمثابة الوجدان الحيَّ والرجل الحديديُّ شأن «كورنيلي». «لاء لم أقل لك قط غير ذلك. إنَّك تخلط». ولكنَّ الموجة كانت تتجاوز الأحكام السياسيَّة وتقلب لدى وسوان، الأحكام الأدبيَّة وحتَّى صيغة التعبير عنها فــهبار يَس، قد افتقد كلَّ موهبة، بل إن مؤلفات شبابه ضعيفة وتكاد لاتستطيع إعادة قراءتها. ٥-حاول، ولن تستطيع المضي حتّى النهاية. وأيّ فارق بينه وبين ا كليمانصوه الست شخصياً مناهضاً للإكليروس، ولكن كم تتبيّن أنُّ (باريس، الاتماسك لديه إلى جانبه! إنه لرجل عظيم هذا العمَّ «كليمانصو» وكم يحيط بلغته!» وما كان لمناهضي «دريفوس؛ على أيِّ حال الحقُّ في انتقاد هذه الحماقات. فقد كانوا يفسرون انتصارك لـ٩دريفوس، أنَّك من أصل يهوديّ. فإن أصر كاثوليكيُّ ممارس من أمثال «سانييت، على إعادة النظر في الدَّعوى فلأنَّه كان سجين السيَّدة «فيردوران» التي كانت تتصرّف تصرف راديكالية شرسة. فقد كانت قبل كلّ شيء ضدّ لابسي القلنسوات. لقد كان وسانييت، غبيّاً أكثر منه شريراً وما كان يعلم الضرر الذي تلحقه به وربَّة المنزل. فإن قال قائل إن «بريشو، كان صديق السيَّدة «فيردوران» بالمقدار نفسه وهو عضو في جماعة «الوطن الفرنسيُّ» فذلك لأنَّه أشدَّ ذكاء.

وقلت لــ ١ سوان، وأنا أنكلم عن ١ سان لوه : ١ هل تراه أحياناً؟،

- «لا، إطلاقاً. لقد كتب إلى ذلك اليوم كي أسأل الدوق هدو موضى، وآخرين غيره أن يصوتوا إلى
 جانبه في نادي الفروسية حيث ساوت أموره على أيّ حال سير رسالة في البريده.

- وعلى الرغم من القضيّة اه.

– الم تُثر المسألة. وسوف أقول لك على أيّ حال إنّي منذ ذلك كلّه لا أطأ بقدمي ذلك المكان.

وعاد السيد دور غيرمانته، وعادت بعد قليل زوجه وهي جاهزة تساماً مدينة القامة رائمة في فسطان من الساتين الأحمر زركشت حاشية تقوته بالبروق. وكانت تضع في شعرها ريشة نعامة كبيرة صبغت باللون الأحمر نفسه. قالت الدوقة التي لم يكن يفونها شيء: دما الأرجواني وعلى تحفيها شال من التول باللون الأحمر نفسه. قالت الدوقة التي لم يكن يفونها شيء: دما تحسن أن يبعلن المرة تجهد بالأعضر. وعلى أي حال كل شيء فيك جميل يا «شارك» سواء في ذلك ما تتلي من ما تقرأ رما نفسل، أمّا دموانه فكان يتأكل المدوقة، دون أن يبور أنه يسمع، كما لمله كان فعل بلوحة مدني والمحتل المرة مدني: دياويجيء ا وانفجرت السيدة وفعل بلوحة مم بالحراحة مناحكة: وإن لباسي يروقك رأتي منعطة بذلك. ولكنما يجدر بي أن أقول إنه الايروقي كثيراً التفيف قولها بهيئة متجهمة. وبالهيء ما أرجع أن يزلدي المرء ملابسه وأن يخرج فيما يودً إلى أبعد حداً أن

- دما أروع هذه الياقوتات الحمراء!.

— «آما يا «شارلي» الصغير، إنَّ المرء لبيصر على الأقل أنّك خبير بها ولست كهذا الحيوان «دو مونسير فوي» الذي كان بماني إلى المشترية على المشترية من المشترية من المشترية من المشترية من المشترية المشتري

وسأل وسوان، قائلاً: دوماذا لدى الأميرة؟،

فسارع الدوق إلى الإجابة وقد حمله سؤال «سوانه على الظنّ بأنّه لم يكن مدعوًّا: والاشيء تقريباً،

- «كيف ذلك يا «بازان» ؟ أعني أنَّ جميع الأنصار والمؤيّدين مستدعون. ستكون ثمَّة مجوّرة، وما يكفي لتودي بحيائك. وأضافت وهي تنظر إلى «سوان» نظرة وقيقة: «الجميل، إن لم تعبّ العاصفة الكامنة في التجوّر بحيون تلك الحدالتي الرائمة. إنَّك تعرفها. لقد كنت هنائك قبل شهر مضى آن كان الليلك مزهراً، ولايمكن تكوين فكرة عمّا أمكن أن تكون عليه من جمال. ثمَّ هنائك نافورة للماء، وخلاصة القول إنَّها حقاً «فرساي» في باريس».

وسألت: وأيّ نوع من النساء هي الأميرة ؟؟ .

ولكنك تعلم، بما أتل التقيتها ههنا، أنها جميلة كالنهار وأنها كذلك على قلبل من الغباء وهي
 شديدة اللطف على الرغم من كل تعاليها العبرمائي، تفيض طبية وهفوات».

كان دسوانه أكثر رهافة من ألا يتبيّن أنَّ السيّدة ددو غيرمانت، كانت تحاول في تلك اللحظة أن دتبرز

الظرف الغيرمائيّي، ودون كبير عناء لأنّها إنما كانت تعيد فحسب طُرقاً لها قديمة في صبيعة أقلِّلَ كمالاً. ولكنّه بنية أن يبرهن للدوقة أنه يدرك مقصدها في أن تبدو مستهجنة وكما لو كانت بالعقيقة كلملك ابتسم إنسامة متكافقة فيمت في نفسي من جراء هذا الدوع النخاصِّ من قلّة الصدق الفسيق نفسه الذي كان بنتائبي بالأمس لدى مساعي فويّ يتحدّلون إلى السيّد افانتوي، عن فساد بعض الأوساط (فيما يعلمون تعام العلم أنّ ما يسود «مونجو فانه أكبر منه) أو نحض سماعي السيّد الوغرائذان» في المجتمعات الراقية يتوع في إلقائه من أجل أغياء وينتقي نعونًا رقيقة بعلم تعاماً أنّها لايمكن أن تلوك في جمهور فريّ أمّيّق ولكنّه جاهل.

وقال السيد 3دو غيرمانت: ٩ويحك يا ﴿أُورِيانَ، ماذا تقولين؟ مازي غييَة؟ لقد قرأت كلُّ شيء وهي موسيقية كالكمانة.

- وولكن ياصغيري المسكن وبإزائوه، إنك طفل وأد ليزه. كما لو أنها الاستطيع أن تكون كلّ ذلك وعلى من من النباء اوالغباء مبالغ فيه على أي حال، لا إنها غالمة، إنها من أمرة وهيئة - دار مشتات وعلى من عن البراطروية المقدّمة ووالبلادة، إن سحن تلفظها يشر أعصابي، ولكنّي أعرف على أية حال أنها والعد في غيرة أطوابها، وأول الأمر محضى فكرة أن تكون انحيرت من عرضها الألماني لتأتي وتترزح فرداً مسيطاً زراجة بوروارياً تعاملًا. صحيح أنها انتقتاله وقالت وهي تلقت صوبي، وولكن، صحيح، أنت الانعرف وجيليره اماؤوك في الحال يفكرة عند، لقد أزم الفراش فيما مضى لأتي بعثت يطاقة للميئدة وكارنوه، لم قالت الدوت بغية تغيير الحفيث وإذ رأت أن حكاية بطاقتها بدت وكأنها علي غضب المبئدة و وهرماته؛ ولولكن با مثلول بهم، بفضلك والذين أرغب أشد في العرف بهم،

ولم يكن الدوق قد كفُّ مع ذلك عن التحديق إلى زوجته:

- داريان، يجدر بك على الأفل أن تقلي الدخية، وألا بلدي نصفها . وقال مصحّحا وهو بلتغت إلى
دسوانه : دينيني أن نقول إن سفيرة انكلتره في تلك الفترة، وكانت امرأة بالغة الطبية ولكنّها تعيش بعض
الشيء في القصر وقد تعرّدت هذا الدوع من الهفرات، خطر لها هذا الخاطر الغرب إلى حد ما بأن تدعونا
والرئيس وزوجه . وقد دهشنا، وحتى دارياناه ، بعض الدهشة، بإيد منها أنّ السفيرة كان تمكّ وزير قام باختلاس،
من نموض من أشخاص كي لاتعربونا بالفنبط إلى اجتماع غرب إلى هذا الحدّ . كان ثمكّ وزير قام باختلاس،
وأرثاناهي عن ذلك على أي حال، ولم نكن قد أخطرنا بذلك ووقعنا في الشرك، على أنّه لابدّ من الإقرار بأنّ
جميع هؤلاء الناس كانوا مهذبين أبد التهذيب . كانت الأمور كانية إلى هذا الحدّ. ولكنّما بنا للسيدة وهر
غيرمائته التي لاتوليني كثيراً شرف استشارتي أنَّ من واجبها المبادرة إلى وضع بطاقة في غضرت الأسبود
فنسه في قصر دالإليانية، رئما بالم وجيليري إذ رأى في الأمر كأنما للمؤة المطخ استنا، ولكنما ينهي ألا
قنسى، إن وضعنا السياسة جناباً، أن وكارن المناس منصبه، من ناحية أخرى، على نحو مرضي جناً،
هر حفيد أحد أعضاء الحكمة الثورية التي أهلكت في يوم واحد أحد عشر من جماعتناه .

- وفلماذا كنت تذهب إذاً يا وبازان، لتناول طعام العشاء في وشاتني، كلّ أسبوع؟ لقد كان الدوق

دوماليه بدوره حفيد أحد أعضاء المحكمة التربية بفارق أنَّ «كاونوه كان رجلاً طيبٌ القلب وه فيلبب-المساولة نذلاً مربعاًه.

وقال دسوانه: داعتذر للمقاطعة كي أقول لك إنّي بعثت بالصورة ولست أفهم أنّهم لم يعطوك إيّاها.

فقالت الدوقة: ولا يدهشني الأمر إلاً جوتياً. فإن ختامي لايقولون لي إلاً ما يلقونه مناسباً. إنّهم لابدً لايميّرن جمعيّة الفدّيس بوحاًنه. وقرعت المجرس.

- وتعلمين يا وأوريان، أتى حينما كنت أتناول العشاء في وشانتي، إنَّما كنت أفعل دونما حماسة،

- دوزمها حمامة ولكن بقميص نوم كي نظلٌ وتمام إن سألك الأمير ذلك، وقليلاً ما كان يفعل على أي حال بوصفه إنساناً نظاً شأن جميم آل وأورليانه، وسألت السيّلة «دو غيرمانت» زوجها قائلة: وأمملم مع من نتاول المشاء في منزل السيّلة «دو سانت أوفيرت؟»

- افيما عدا الجلساء الذين تعرفينهم سيكون تمة شقيق الملك اتيودوزة ، وهو مدعو الساعة الأخيرة.

واكتست، لدى هذا الخبر، ملامح الدوقة بالرضى، وأقوالها بالسأمه: وآه! ياإلهي. يزيدوننا أمراءه.

وقال ٥سوان٥: ٥ولكنَّ هذا الأخير لطيف وذَّكَّي٠.

فأجابت الدوقة وهي تبدو كمن يبحث عن كلماته كي تضفي جدّة أكبر على فكرتها: وليس تماماً على أي حال فهل المحقودة الله المسلمة على أي حال فهل الاحتجاء بين الأمراء، أن أكثرهم المفلة أيسوا المفلفة متماماً بلي أو كذل ذلك ذلك! يبغي المبلك أن يتولوا إن هذا الأمر قد تم القيام به خير طلب آراتنا مناء والحجوء الثاني في تقديمها التية لنا. لابد لهم حتماً أن يقولوا إن هذا الأمر قد تم القيام به خير على الأمر كن المحتودة الأمر تمني المحتودة الأمر قد تم القيام به خير سألتي أي اسم بطلقون على الشعبة المحتودة على المسلمة المحتودة التمامت عيناها وأطلقت ضمحكة عالم بالمحتودة على المحتودة التمامت عيناها وأطلقت ضمحكة عالية عن شخصها المحتودة التمامة المحتودة التمامة المحتودة المحت

وأقبل أحد الخدم. وكان المخطيب المشاب الذي سبق أن تخاصم مع البوّاب إلى أن أقامت الدوقة فيما بينهما بطية نفسها سلاماً ظاهراً.

وسأل قاتلاً: وهل ينبغي لي أن استعلم في هذا المساء أخبار السيّد المركيز ودوسمون، ؟

– الا، على الإطلاق، لاشيء قبل صباح الفدا إنّي لا أربد حتّى أن تمكث ههنا هذا المساء. فعلى خادمه الخاصّ الذي تعرفه أن يجيء ويزوك بالأخبار ويقول لك أن تلهب وتأتي بنا. أخرج وإذهب حيثما تشاء افعل الموبقات ونم خارج المنزل، ولكتِّي لا أريدك ههنا قبل صباح الغده.

وقاض وجه الخاص الخاص بغرح لاحدً له . هاهو يستطيع أخيراً أن يقضي ساعات طويلة برنقة خطيبته التي كان لايستطيع أن بلقاها من بعد مد أوضحت له الدوقة بالطفء، على إثر شجار جديد مع البواب، أنه من المخير له ألاً يخرج من بعد ليستخب منازعات جديدة. كان يسبح، لدى التفكير بأنه ينال أخيراً أمسيته المحرّة، في لهنة سعادة لاحظائها الدقة وفهمتها. وأحسّت بالضاض في الصدر وأكال في جميع الأعضاء لدى وثية هذه المسادة التي يأخلونها على غير علم منها وبالنخية عنها والتي تبعث في صدرها النيظ والفيرة. ولا، ياه باوانه، فلمحكن، المتزايه .

- ولكن يا «أوريان»، ذلك غير معقول فخدمك كلهم حاضرون وسيجيك بالإضافة إليهم في
 متصف الليل الكاسية وصانع الملابس التنكية من أجل حفلتنا الراقصة. إنه لايمكن أن يفيد البنة في شيء،
 وبما أنه وحده صديق لخادم «ماما» الخاص فإني أفضل ألف مرة أن أرسله بعيدًا عن هناه.

- واسمع، دعني يا وبابال، وأن لدي بالضبط أمرا أربد أن يقتل إليه في السهرة ولست أدري تماماً في
 أيّ ساعة، وقالت للخادم البالس: وخصوصاً لاتبرح المكان دقيقة واحدة.

لئن كان لدية على الدوام مشاجرات ولئن مكترا قليلاً في منزل الدوقة فإن الشخص الذي كان يبغي أن تُعرى إليه هذه الحرب الدائمة كان بالتأكيد غير قابل للعزل، على أنّه لم يكن المرآب. لاشك أنَّ المدوقة، بالنسبة إلى الأعمال الشاقية إلى من المنفوب بالتي يتطلب إنزافها مشقة أكبرو المفاجرات التي تتنهي بالمضرب، كانت تمهد بالانها الشهية إلى مركن يقوم بدوره على أيّ حال دون أن يزاب أن يكونوا عهدوا به إليه. كان ينظر باعجاب السطية المدونة شأن الدخلم. وكان الدَّخلم القليلو التبعشر يجينون كثيراً بعد رحليهم لملقاء فرانسوارة قائلين بأن منزل المدوق ربّما كان أفضل مكان في باريس لو لم يكن ثمة الحفل. وكانت الدوقة تستخدم الحفل طلما استخدمت على مدى قرة طويلة الإكليوسية والماسونية والخطر اليهودي، إلغ. ودخل أحد الخطب الخاصين.

ملاذا لم يأتوني إلى فوق بالرزمة التي بعث بها السيّد دسوانه إليّ 9 ولكن، مادمنا بهذا الصدد وتدري
 و شارل، أنَّ دماما، مريض جناً، دجول، هذا الذي ذهب يستعلم أخبار السيّد المركز دو سمون، هل
 عاد ؟،

- القد وصل لتوَّه ياسيَّدي لدوق. إنَّهم ينتظرون بين لحظة وأخرى أن يفارق السيد المركيزة.

فصاح الدوق بزفرة ارتياح: «آءا إنَّه على قيد الحياة. أقِمم ينتظرون، إنَّهم ينتظرون! بالك من شيطان أنته. قال لنا الدوق بهيئة ستهجة: «مادام لَمة حياة فَقُمة أمل. لقد صوّروه لمي وكانَّه قضى روري خمّت الثرى. في نمانية آيام يكون أفضل عافية منّي».

والأطلباء هم الذين قالوا إله ان يُدهني السهرة. وكان أحدهم يبغي العردة في الليل، ولكن رئيسهم
 قال إنّ الأمر لايجدي. كان لايد أن يكون المركيز قد مات، ولم يبق على قيد السياة إلا بفضل حض شرجية

من الزيت الممزوج بالكافوره.

وصاح الدوق وهو في صورة فلفضب: «اخرس، يالك من غييًا قمن ذا يطلب منك كلّ ذلك؟ إنَّك لم تفهم شيئاً مما قبل لك.

- دماقيل لي، بل لـدجول،

فزعن الدوق عالياً والن تحرس 1 والتقت إلى هموانه: ولمّة محادة أن بكون حيّاً صوف يستعيد قواه شيئاً فشيئاً. إنّه على قبد السيئة بعد قوية كهيف، والأمر مذ ذاك راتم، فلا يمكننا أن نظلب كلّ شيء دفعة واحدة، وقال الدوق رهو يفرك يله، و الابد أنَّ حقت طفيقة بالمؤيت للمزوج بالكافور ليست مزعجة أن بُه على قيد الميئاء فماذا يورون أكثر من ذلك ؟ أنها لتيبية علية جمّاً بعد أن قامي مافلسي، بل إلي أحمده أن يكون بمثل هلا للزارة المراحي، يقهم يصوطونهم بهانية الإيحيطوننا بها. لقد حضر لي طأه في الصباح ضفاً. خروف بالمرق الكثيف العمر نامج أروح الدجاح، في مقر بذلك، ولكني لهذا السبب بالضبط أخذت منه إلى العمد المعالم المواجئ يموان بشاري على ضو مفاطوا بإزارة المواجئ في المواجئ المواجئ الإيدة الدي الإيزال يتقل ضدتي. لكنّ خلك الايمول دون المتناعهم عن استعلام أخياري على ضو مافطوا بإزام البرز قامايانات فيهم حتى يجاوزون الدحة، والأمر يرمقه. لايد أن يدموا له أن يزناح. إنهم يقعلون هذا الرجل إذ

وقالت الدوقة للخام الذي كان خارجاً: دويوك! سبق أن طلبت أن محملوا إليّ بإلى فوق، العمورة المُملَّة التي يمث بها إليّ السيّد دصواته.

سيّدتي الدوقة، إنها ضخمة إلى حدّ أتي ما كنت أعلم إنّ هي ستمبر من الباب. لقد تركتاها في
الردمة. فهل تودّ سيّدتي الدوقة أن أحملها إلى فوق؟٥.

– 18، فني هذه العال. وكان يجدر أن أَبَلَغ ذلك، ولكن إن كانت كبيرة إلى هذا الحدُّ فسوف أشاهدها عندًا قليل لدى نزولي.

- ونسيت كذلك أن أقول لسيّنتي الدوقة إن السيّنة الكونتيسة وموليه، قد تركت في هذا الصباح
 بطاقة لسيّدي الدوقة».

فقالت الدوقة بلهجة الاستياء ومن ترى أنَّ امرأة شابَة مثلها لايمكن أن تسمح لنفسها بأن تترك بطاقات في الصباح: «كيف ذلك، في هذا الصباح؟».

- ونحو الساعة العاشرة ياسيّدتني الدوقة،

- وأرنى هذه البطاقات.

وأرفف الدوق يقول، وقد عاد إلى حديثه الأول: وعلى أي حال، حينما تقولين يا وأرويانه إنْ ماري قد راودتها فكرة غرية في زواجها من «چبلمبيره فأنت النبي تنهج طريقة فريشة في كتابة التاريخ فإن كان تُمة غُيّ في هذا الزواج فإنّما وجيلبره في زواجه من قرية وثيقة القربي إلى هذا الحدّ بملك البلجيكيين الذي اغتصب اسم ديراناه الذي نماك. أننا باغتصار القول من سلالة آل دهيئه نفسها ومن فرع البكوريّة، ثم قال وهو يوجّه الحديث إلى " وأنّه من قبيل النباء دوماً أن يتحدّث المرء عن نفسه، ولكنّنا حين ذهبنا لا إلى الدر يوجّه الحديث إلى " ودار مشتاته فحسب بل حجّى إلى وكاميّل، وفي سائر أنحاء أمارة دهيشه فقد تلطّف الأعيان جميعهم وتظاهروا على المدوارة بوصفنا من فرع البكوريّة،

 - ولكشما لن تقول لي يا وبازاده إنَّ تلك للرأة التي كانت قائدة لجميع فيائق بلدها والتي خطبوها لملك والسويده

– دأوها تبالغين يا دأوريان، ماكاتَّك لاتعلمين أن جدّ ملك دالسويد، كان يورع الأرض في مدينة دبوء حيدما كنّا نحتّل على مدى تسع مئة سنة خلت مكان الصدارة في أوروبا بأسرهاه .

- وذلك لايمنع أنّه لو قبل في الشارع: ويوحك، إنّه ملك السويدة فسوف يجري الجميع لرقيته حتى إلى ساحة والكونكوردة، فإن قبل: وهو ذا السيد ومر غيرمانت، ذلن يملم أحد من عساء يكون».

- وياله من مبب!ه.

 - وولايمكن أن أفهم على أية حال كيف تستطيع، بما أنَّ لقب دوق وباربان، قد انتقل إلى الأسرة المالكة البلچيكية، أن تدَّعيه لنفسك.

وعاد الخادم النخاص يبطأنة الكوتنيسة دموليه، أو بالأحرى بما تركته بمثابة بطافة. فقد تذرعت بأنها لاتخمل بطاقات معها وأخرجت من جيبها رسالة سبق أن وردنها فاحضظت بالضمون واقتطلت زارية المقلف التي مخمل اسم: الكوتنيسة دموليه، ولما كان المقلف كبير الحجم إلى حدً ما حسب قباس ورق الرسائل الذي كان شائماً في ذلك العام فإن هذه والبطاقة، التي سُطرت بخط البد قد بلغت تفرياً ضعف حجم بطاقة الزيارة العادية.

فقالت الدوقة هازائة: وهذا ما يدعونه بساطة السيّدة وموليده . تريدنا أن نعتقد أنّها لم تكن شخسل بطاقات وأن تعرب عن تفرّدها. ولكنا نعرف كلّ ذلك، أليس أنّنا نعرفه ياعويزي وشارل: 9 لقد بلغنا من السنّ وقدراً من التغرّد أكثر من أن تتعلّم التظرف على يد سيّدة صغيرة خرجت إلى الدنيا منذ أربع سنوات. إنّها فاتنة ولكنّما لا يدو لي أنّها بلغت مع ذلك حجماً كافياً لتتصرّر أنّها تستطيع إدهاش الناس بكلفة زهينة إلى الحد الذي تترك فيه مظفاً بعثابة بطاقة وترميها في العاشرة صاحباً. سوف تبرهن لها الفأرة العجوز أنّها عارفة بهذا الشأن بمقدار ما تعرف.

ولم يتمالك دسوانه أن ضحك وهو يفكّر أنَّ الدوقة التي كانت غيرى بعض الشيء من خجاح السيدة وموليمه سوف مجمّد بالتأكيد في دظرف آل غير مانت، جوابًا وقحًا بحقّ هذه الزائرة.

وعاد الدوق يقول: «أمَّا بخصوص لقب الدوق «دوبرابان»، فقد قلت لك عنة مرَّة يا «أوريان» ... ولكنُّ

الدقة قطعت عليه الكلام دون أن تصغى.

- اولكنّني تواقة إلى صورتك ياعزيزي اشارل.

فقال وسوائه: وآه! Extinctor draconis Intrator Anubis!

 - أجل، جميل جناً ماقلته لي بهذا الشأن بالمقارنة مع القديس جاروچيوس في البندقية. ولكنّي لا أفهم لماذا تقول وأتريسي⁽⁸⁸⁾.

وسأل السيّد ددو غيرمانت، قائلاً: ﴿ كَيْفَ هُو مَنْ كَانْ جَدَّ ﴿ وَبَابِالْ ۗ ٩

فقالت السيَّدة ودر غيرمانته بلهجة جافة لتعرب أنَّها كانت تزدي هذا التلاعب اللفظيِّ. ﴿ وَوَلَّكُ أَنْ ترى الجدّة وإبالَ، وأضافت قولها: وأودّ لو أراهم جميعاًه .

وقال الدوق: «اسمع با «شارل»، هيًا ننزل بانتظار أن يتم تقديم العربة وستقوم بزيارتك لنا في الردهة لأذّ ورجي لن تدعنا بسلام مادات لم تشاهد صورتك، وأضاف بلهجة الراضي عن نفسه: «إني والحق يقال أطول بالاً، أبّي رجل هادئ أنا، ولكنّها قد توردنا حنفناه.

وقالت الدوقة: وإنّي أوافقك الرأي تماماً يا وبازانه، هيا إلى الردهة، فاتنا نعلم على الأقلّ لماذا نمحدر من حجرتك فيما لن ندري في يوم لماذا ننحدر من كونتات آل وبرايانه.

فقال الدوق افيما كنا نمضي لمشاهدة الصورة وكنت أفكر في تلك التي كان يحملها وسوانه إلي في عام ذكومبرهه): ولقد كرّرت لك مقة مرة كيف دخل اللقب بيت آل هميسه برواج أحد آل «برايان» في عام ١٩٤١ بابنة آخر أمير لمقاطعتي وتوراغ، وهميسه، حتى إنّ لقب أمير دهميسه، هو بالأخرى الذي دخل بيت «برايان» أكثر منه لقب دوق «برايان» بيت دهميسه، وتذكرين على أيّ حال أنَّ تمازنا الحربي كان شعار دوقة «برايان» : فليمبور لمن احتلها، إلى أن استبدلنا بشعار آل «برايان» شعار آل دغيرمانت، الأمر الذي أجد أتنا كنا فيه على غير حق، وإن مثّل آل دغرامون، ليس من شأنه أن يحملني على تغيير وأبي».

وأحابت السيّدة دو غير مانته : فولكن، بما أنَّ ملك البلجيكيين هو الذي احتله... وعلى أيِّ حال فوريت بلجيك يدعى دوق فبرابانه .

ولكن ما تقولين ياصغيري لايقوم على أساس وهر خاطع منذ البداية. فإنّلك تعلمين مثلما أعلم أنّ
 ألمة ألقاباً مذّعاة بقى بكل تأكيد إن اتفق احتلال المنطقة على يد مخصب. فملك إسبانيه مثلاً يسمّى نفسه
 دوق وبرابان منذراً في ذلك بملكية أقل قدماً من ملكية أقلّ قدماً من ملكية الركنة إلكنه أكثر قدماً من ملكية

⁽١/٤) باللاتبية في النصر، وألويس النباح يا مجعل الثنيزة، والاستشهاد من ملحمة والانباذة، فلمرجيليوس، وهو غير دقيق، وقد عدت إلى الأصل اللاتبين فإذا هو كالأمي: وألهة من جميع الأصناف الخرافية وفي عدادهم النباح ألويس يوجهون سهامهم إلى نبتون ولينوس ومينواله.

ملك البلجيكيين. ويقول كفلك إلّه دوق «بورغوني» وملك الهند الغريّة والشرقيّة ودوق «ميلانو». ولكنه لايملك «برغوني» ولا الهند لا «برابان» أكثر بما أملك أنا هذا الأخير أو يملكه أمير دهيسّه ولايحول ذلك دون أن يعلن ملك اسبانه أنّه ملك أورشليم، وكذلك يقعل ملك النمسا وليس يملك أورشليم هذا ولاذاك.»

- داسمع يا دبازانه ، لست أطلب خيراً من أن أتبعك في حفر دفانسين وحتى إلى دتارات. وبهله المناسبة ، ياحزيزي دفارل، ذلك بالفبط ما كنت أنوي قوله لك حيدما كنت تختلني عن القليس جاورجيوس. الذي في البندقية، ذلك أن في نيتا أنا ودبازانه فضاء الربيع القادم في إيطالبه وصقاية. فلر تجيء معنا، فكر كم سيكون الأمر منطقاً إلى إلا أختلت عن سروري بالمثال فحسب، ولكن تصفر تصور ما الذي تضمى عليه رحلة كهله تفضيها بوفقتك بالإضافة إلى كل ما رويته لي في المديد من المرات عن ذكربات الاحتلال الروماندي والذكريات القديمة أ هميي أن دبازات. نضم، ماذا أقول، ووجيليره قد يفيدان من ذلك لأتني أحس أنه رباسا أثارت اهتمامي حتى مطالباتنا بعرض دنامولي، وساتر تلك الأمور إن شرحها لي أنت في كنائس ورمانية قديمة أو في قرى صغيرة جالمة شأنها في لوحات الأوائل، ولكننا سنشاهد صورياك، وقالت الموقة لأحد الدخير الخطاسية، والزع الملافق،

وتوسّل إليها الدوق الذي سبق أن توجّه إليّ باشارات مذهورة وهو بيصر ضخامة المصورة: فولكن لايكن الأمر في هذا المساء يا فأوريانه.

– وولكنّما يسرّبي أن أشاهد ذلك برفقة وشارل» تقول الدوقة بابنسامة متكّلفة في رضيتها مرهفة في عممة في عممة الله المناسبة عن المنحب لـ وسوائه ، عن المنحة التي ستصيبها من مشاهدة هذه الصورة وكأتما عن المنحة التي يحصّ مريض أنه سيصيبها من أكل برتقالة أو كما لو أنّها ديّرت في الأن نفسه طلمة برنقة أصدقاء وأطلمت كانب سيرة على صيول لها تشرّفها.

وأعلن الدوق، فاضطرّت زوجته إلى موافقته، أعلن قائلًا: وسوف يجيء إذا خصيصًا ليواكه. وأضاف بسخرية: وتقضيان ثلاث ساعات معا أمامها إن حلا لك. ولكن أبين تضعين لعبة بهذا الحجم؟»

- افي غرفتي بالطبع، فاني أود الاحتفاظ بها أمام عيني.

– 15. على قدر ما تشاتين إن كانت في غرفتك، فمن المحتمل ألا أشاهدها في يوم، يقول الدوق دون إن يفطن إلى التصريح الذي يعلن به على هذا النحو الطائش عن الطابع السليني لعلاقاته الزوجيّة.

وأمرت السيّدة ادو غيرمانت؛ الخاص قائلة (وكانت تضاعف التوصيات بداعي التودّد لـوصوان»): «انزع هذا إذن باهتمام بالمّ، ولا تتلف الفلاف كذلك».

وهمس الدوق في أذني وهو يرفع ذراعيه إلى السماء: «بينني لنا حتّى أن نحرم الغلاف!» ثم أضاف قوله: وولكن يا «سوانه! أنّا للذي لايعدو كونه زرجاً مسكيناً وعاديًا جناً إنّما بثير اعجابي في ذلك أنّك استطمت الطور على غلاف بعثل هذا الحجو. فأين اكتشفت ذلك؟»

وائيما دار حفر الرواسم التي كثيراً ما تقوم بهذا النوع من الإرساليات. ولكنّه رجل فظاء فاني أرى أنه
 كتب عليها: والدوقة ودر غيرمات. وأغفل والسيدة.

وقالت الدولة ساهية: وإلَي أصفح عده، لمَّ بدا فجأة وكأنما أدهشتها فكرة أشاعت السرور في نفسها فكتمت ابتسامة خفيفة وسرعان ماعادت تقول ل_«سوان»: •عجباًا لانقول إن كنت سنجيء معنا إلى إبطالهـ؟٥.

- وأظن ياسيّنتي أنّ الأمر لن يكون ممكناًه.

- «إذا فالسيدة دور مونموراتسيء أوفر حظاً. لقد ذهبت برفقتها إلى البندقية ووفيسانس». وقد قالت لي إن المرء يتخاهد ممك أشياء ما كان ليراها في يوم لولا ذلك ولم يتحدث أحد عنها قطا. وإذلك أريتها أموراً لاتصدّق وأنها استطاعت حتى في الأمور المعروفة أن تعرك تفاصيل لملها لولاك كانت مرّت عشرين مرّة أمامها لاتصدّق وأنها البنة. لقد كانت بالتأكيد أكثر حظوة منّا.... وقالت للخادم: وخذ غلاف صور وسوان» الضخم واذهب وضعها، بعدما أطري أنا زاويتها، في منزل السيدة الكرنتينة وموليهه في العاشرة والنصف من هذا المساءه.

وانفجر ٥سوان، بالضحك.

وسألته السيَّدة «دو غيرمانت»: «أودّ مع ذلك أن أعلم كيف تستطيع قبل عشرة أشهر أن تعلم أنَّ الأمر سيكون مستحيلاً.

- اسوف أقول لك ذلك يادوقتي العزيزة إن كنت تصرين عليه، ولكنك ترين، بادئ الأمر، أتي مريض
 جناة

«أجل، ياعزيزي «شارل»، إتي أرى أتك لست البعة على مايرام ولست مسرورة من لود وجهك،
 ولكتي لا أسألك ذلك إلى ما بعد شمانية آيام، إتي أسالك ذلك إلى مابعد عشرة أشهر. وفي عشرة شهور،
 لدري، يتسع الوقت للمعالجة.

وجاء خادم خاصّ يعلن في تلك الحظة أن العربة قد جيء بهما. فقال الدوق الذي كان قد أخذ منذ فترة يضرب الأرض بقدمه من نفاد صبر كما لو كان هو نفسه أحد الأحصنة التي تنتظر: «هيًا يا «أوريال»، إلى الجياد».

وسألت الدوقة وهي تنهض لتستأذننا: حسن اوالسبب بمختصر القول ؟ الذي سيحول دون مجيك إلى العالمية ؟ .

فأجاب دسوانه وهو يشسم، فيما كان الخادم يفتح باب الردهة للزيخ ليسمع للموقة بالمرور: وذلك لأني، ياصديقتي العزيزة، أكون قد فارقت منذ عند شهرر. فقي رأي الأطباء الدين استشراعهم لن يدع لي المرض الذي يي، والذي يمكن على أيّ حال أن يقضي عليٌ في الحال، أكثر من ثلاثة شهور أو أربعة وذلك كحد ألهمي».

وصاحت الدوقة وهي تتوقف ثانية في سيرها إلى المربة وترفع عينها الزوقايين الجميلتين الحوينتين الملتين امتلاًتا حبرة. فإذ اللفت نفسها لأوّل مرة في حياتها واقعة بين واجبين محتلفين اختلاف استقلال عربتها للمبادرة إلى تناول المستاء في الملينة والإعراب عن المشاتها لرجل تناو متيته لم تكن ترف منها في مرقة اللبقائات يشير إلى الاجهاد الواجب أتباهه وأما لم تعلم أليهما تفصل طلت من واجبها أن تتظاهر بأنها لالصدق امكانية طرح الخيار الثاني كيما تتصاع للارًان الذي كان يقتضيها في هذه المحظة جهداً أقل وحسبت أن خير طريقة لمرا النزاع تكمن في إيكاره: وماهذا الذي تقوله لي "4 دم قالت لم صوائه: ومرادك المناورة على المناورة على المناورة والمرادلة الذي تقوله لي "4 دم قالت لم صوائه: ومرادك الدورة على "4 دم الله الناورة على "5 دم الدورة المناورة المرادلة المناورة المرادلة المناورة المرادلة المناورة المرادلة الناورة المناورة المناورة المناورة المرادلة المناورة الم

فأجاب وسوانه بلهبجة ساخرة: هند يكون ذلك مزاحاً والتع اللوق. لست أدري لماذا أقول لك ذلك فلم أحدثك عن مرضي حتى الآن. ولكن مادمت سألتني عن ذلك وأنّه يمكن الآن أن أموت بين يوم وآخر... ولكني فوق المنافرة على المنافرة بين يوم وآخر... المختصبة في نظر الأنت كان يعلم أن الالتوامات المجتمعية في نظر الأخزين تسمو على موت أحد الأصدقاء وأنّه كان بفضل تهذيه يضع نفسه في مكاتهم. على أن تهليب الدوقة كان يمكنها بدورها أن تتبيّن على نحو ميهم أن المضاء الذي تمعني إليه هو لابد أقل وزناً في نظر وموانه من موت. ولذلك فقد خفضت منكيبها فيما توافي طريقها إلى العربة وقالت: والإنشغل بالك بهذا العشاء فلا أهمية له البنّة اله ولكن هذه الكلمات عكرت مزاج الدوق الذي صاح قائلاً: وهياً يا وأورانه بالا لا المبنة وبوال المائلي مع وموانه، مع أنك تعلمين تماماً أن المبنّة ودو سانت أوفيرت، مخرص أن فجلس إلى الملافة في الساعة الثامنة تماماً. لابد أن تعلمي أيَّ أمر تربعين فقد انقضت عنص دقائق وجيادك تنظره . ثم قال وهو يلفت إلى وموانه، واني استميحك عذراً با وشاراه ولكنّ الساعة بلغت الثامة والأعراق من حصل دقائق نالمعام، وأن أوريانه متأخرة على الدوام ويقتضينا الأمر أكثر من خصل دقائق للمعاب إلى

منزل العمَّة 1دو سانت أوفيوت.

ونقلت السيدة دو غيرمانت، بينات إلى العربة واستردعت دسوان، مرة أخيرة. دندري، سوف نعاود المحدث عن ذلك سوية. فريما أشاعوا المحدث عن ذلك سوية. فريما أشاعوا المحدث عن ذلك سوية. فريما أشاعوا الرحب في نفسك بطنياء تعالى للغذاء وفي اليوم الذي تريد، (كان كلّ شيء يلقى حلّه على الدوام في حفلات غلناء)، دوتيلتني باليوم والساعة، ورفست تتورهها الحسراء ووضعت قدمها على المرقاة. كانت على وشك أن تدخل العربة حينما صرخ الدوق بصوت مخيف إذ أبصر هذه القدم: دأوزيان، ما الذي كنت تومعين الإقدام عليه أبتها التعبسة. لقد استخطت بحذائك الأسودا مع ملابس حمراءا هيا اصعدي ثانية لاتمال حلائل أخمر، أو قل في الحال لوصيفة السيدة الدوقة، يقول للخدم الخاص، دأن تجيء بالحذاء الأحمره.

وأجابت الدوقة بلطف وقد أربكها أن تلاحظ أنَّ «سوان» الذي كان يخرج برفقتي ولكنَّه شاء أن يسمح للعربة بالمرور أمامنا قد سمح، «ولكن ياصديقي مادهنا تأخّرنا…».

ولاء الوقت كله يتسع لنا. فلم تتجاوز الساعة الثامنة إلا عشراً ولن نقضي عشر دقائق للذهاب إلى
 حديقة «مرنسو» ثمّ ماعساك تبخين، سوف ينتظرون وإن بلغت الساعة الثامنة والنصف فلا يمكنك الذهاب
 يفسطان أحمر وحذاء أسود. ومهما يكن من أمر فلن نكون آخر القوم، اطمئتي، هنالك أسرة وساسناج»، فأنت
 تعلمين أليم لايحضرون قبل التاسمة إلا ألثاناً.

وعادت الدوقة إلى غرفتها.

وقال لنا السيّد (دو غيرمانت): 9يا للأزواج المساكنين، يسخرون منهم ولكنّما فيهم بعض الخبر مع ذلك. كانت وألويانه تزمع تناول عشائها بحلماء أسوده .

وقال (موانه: اليس ذلك قيبحاً، فقد مبق أن لاحظت الحذاء الأسود الذي لم يصدمني على الإطلاق.

لم يكن الدوق يحسُ أيَّ حرج في التحدُث عن متاعب زوجه ومتاعبه إلى مشرف على الموت لأنَّ الأولى التي تثير اهتمامه بقدر أكبر كانت تبدو له أكثر أهميّة. ولللك فقد صاح بلماعي حسن التهليب والعافية فحسب وبعدما صرفنا بلطف، صاح كأنّما في الفراغ ويصوت جهوري من الباب إلى «سوان» الذي كان مذ ذلك في الباحة:

 وأتت الانسمع بأن تؤثر فيك سخافات الأطباء، باللمنة! إنهم حمير هؤلاء. صحتك أمتن من االجسر الجديد، وسوف تدفئنا جميماًا».

Φ

المحتويات

1	القسم الأولالقسم الأول
117	القسم الثانيا
717	ألفصل الأول
	الفصل الثاني



عيون الأنب الأجنبي

صدر منها

♦ عبدة الصفر

الان نادو

ترجمة : البستاني والبطراوي

♦ مدام بوقاري

جوستاف فلوبير ترجمة: محمد مندور

♦ الكلمات

چان بول سارتر ترجمة : خلیل صابات

الأحمر والأسود

ستاندال

ترجمة : عبد الحميد الدواخلي

المكان

آني إرنو

ترجمة : أمينة رشيد وسيد البحراوي

♦ الآثار الشعرية الكاملة

إديث سودرجران ترجمة : محمد عقيقي مطر

ومحمد عيد (براهيم

+ چاز

توني موريسون ترجمة : محمد عيد إبراهيم



& fee may a ling to fee to get La fie mag a monte for monte for monte for monte of the first of the f Line and the first of the land down be Temps and talle à reherite que la se sur ce me place an entrane pologie das bounds lit of for soffethis